بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شَرْحُ كِتَابِ

## العَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّة

تَأْلِيفُ الْعَلامَةِ:

ابْنِ أَبِي العِز الحَنَفِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-

شَرْحُ فَضِيلة الشَّيخِ الدُّكْتُورِ:

مُحَمَّدٍ النُورِسْتَانِي

حفظه اللهُ

الشيخ لم يُراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّ الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، اللهم اغفر لشيخنا ولأشياخه وللمسلمين، قال الإمام علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ...

فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ عِلْمُ أُصُولِ الدِّينِ أَشْرَفَ الْعُلُومِ، إِذْ شَرَفُ الْعِلْمِ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ، وَهُوَ الْفِقْهُ الْأَكْبَرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى فِقْهِ الْفُرُوعِ، وَلِهَذَا سَمَّى الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَا قَالَهُ وَجَمَعَهُ فِي أَوْرَاقٍ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ: "الْفِقْهَ الْأَكْبَرَ" وَحَاجَةُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ، وَضَرُورَتُهُمْ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ؛ لِأَنَّهُ لَا حَيَاةَ لِلْقُلُوبِ، وَلَا نَعِيمَ وَلَا طُمَأْنِينَةَ، إِلَّا بِأَنْ تَعْرِفَ رَبَّهَا وَمَعْبُودَهَا وَفَاطِرَهَا بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَيَكُونَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِمَّا سِوَاهُ، وَيَكُونَ سَعْيُهَا فِيمَا يُقَرِّبُهَا إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ.

وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ تَسْتَقِلَّ الْعُقُولُ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَإِدْرَاكِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ، فَاقْتَضَتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ أَنْ بَعَثَ الرُّسُلَ بِهِ مُعَرِّفِينَ، وَإِلَيْهِ دَاعِينَ، وَلِمَنْ أَجَابَهُمْ مُبَشِّرِينَ، وَلِمَنْ خَالَفَهُمْ مُنْذِرِينَ، وَجَعَلَ مِفْتَاحَ دَعْوَتِهِمْ، وَزُبْدَةَ رِسَالَتِهِمْ، مَعْرِفَةَ الْمَعْبُودِ سُبْحَانَهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، إِذْ عَلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ تُبْنَى مَطَالِبُ الرِّسَالَةِ كُلِّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا.

ثُمَّ يَتْبَعُ ذَلِكَ أَصْلَانِ عَظِيمَانِ:

أَحَدُهُمَا: تَعْرِيفُ الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ، وَهِيَ شَرِيعَتُهُ الْمُتَضَمِّنَةُ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

وَالثَّانِي: تَعْرِيفُ السَّالِكِينَ مَا لَهُمْ بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ.

فَأَعْرَفُ النَّاسِ بِاللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– أَتْبَعُهُمْ لِلطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ، وَأَعْرَفُهُمْ بِحَالِ السَّالِكِينَ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ. وَلِهَذَا سَمَّى اللَّهُ مَا أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ رُوحًا، لِتَوَقُّفِ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ عَلَيْهِ، وَنُورًا لِتَوَقُّفِ الْهِدَايَةِ عَلَيْهِ. فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[غافر: ١٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[الشورى: ٥٢ – ٥٣].

فَلَا رُوحَ إِلَّا فِيمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَلَا نُورَ إِلَّا فِي الِاسْتِضَاءَةِ بِهِ، وَهُوَ الشِّفَاءُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[فصلت: ٤٤]. فَهُوَ وَإِنْ كَانَ هُدًى، وَشِفَاءً مُطْلَقًا، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْمُنْتَفِعُ بِذَلِكَ هُمُ (الْمُؤْمِنِينَ)، خُصُّوا بِالذِّكْرِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، فَلَا هُدَى إِلَّا فِيمَا جَاءَ بِهِ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يُؤْمِنَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ إِيمَانًا عَامًّا مُجْمَلًا، وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَعْرِفَةَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ عَلَى التَّفْصِيلِ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي تَبْلِيغِ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ، وَدَاخِلٌ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَعَقْلِهِ وَفَهْمِهِ، وَعِلْمِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَحِفْظِ الذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ إِلَى الْخَيْرِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالدُّعَاءِ إِلَى سَبِيلِ الرَّبِّ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَالْمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى الْكِفَايَةِ مِنْهُمْ.

وَأَمَّا مَا يَجِبُ عَلَى أَعْيَانِهِمْ: فَهَذَا يَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِ قُدَرِهِمْ، وَحَاجَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ، وَمَا أُمِرَ بِهِ أَعْيَانُهُمْ، وَلَا يَجِبُ عَلَى الْعَاجِزِ عَنْ سَمَاعِ بَعْضِ الْعِلْمِ أَوْ عَنْ فَهْمِ دَقِيقِهِ مَا يَجِبُ عَلَى الْقَادِرِ عَلَى ذَلِكَ.

وَيَجِبُ عَلَى مَنْ سَمِعَ النُّصُوصَ، وَفَهِمَهَا مِنْ عِلْمِ التَّفْصِيلِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، وَيَجِبُ عَلَى الْمُفْتِي وَالْمُحَدِّثِ وَالْحَاكِمِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ).

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

**أما بعد...**

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

**ثم أما بعد...**

هذا الكتاب الذي استمعنا إلى مقدمته هو شرحٌ لأحد الأئمة الذين كانوا من أبرز أئمة أهل السنَّة في عصرهم، شرحٌ على متنٍ مختصر لأحد الأئمة المتقدمين وهو الإمام الطحاوي.

**الإمام الطحاوي ألَّف هذه الرسالة المختصرة:**

- ألَّفها وضمَّنها مجمل أصول أهل السنَّة والجماعة في العقيدة.
- وضمَّنها مسائل تتعلق بأركان الإيمان.
- وأيضًا مصادر التلقِّي.
- ومنهج أهل السنَّة في التعامل مع المصادر.
- ومسائل تتعلق بأصول الإيمان وفروع الإيمان.

وكتب هذه العقيدة، ولكنه يبدو أنه لم يجد فرصةً لترتيبها، إنما ذكر المسائل حسب ما سنحت له، وحسب ما تيسَّر له، ولذلك جاءت هذه العقيدة المختصرة غير مرتبةٍ للمسائل، جاءت المسائل فيها مفرقةً؛

- مسائل القدر.
- مسائل الإيمان.
- مسائل الأسماء والصفات.
- مسائل التوحيد.
- حتى مسائل المنهج التي يتعلق بالمصادر.

هذه كلها جاءت مفرَّقةً متناثرةً؛ لأن الإمام -رَحِمَهُ اللهُ- يبدو أنه لم يجد وقتًا لتبييض مؤلَّفه، على ما فيه يُعتبر ذلك الكتيب وتعتبر تلك العقيدة من أجمع الكتب التي أُلِّفت في عقيدة أهل السنَّة في ذلك الوقت، ويُعتبر من أوائل الرسائل الجامعة في عقيدة أهل السنَّة، مؤلَّف الإمام الطحاوي من أجمل الرسائل التي أُلِّفت في عقيدة أهل السنَّة.

والإمام الطحاوي لظروفٍ معينة نسبها إلى الإمام أبي حنيفة وصاحبيه وإلى أصحابه، وذكر أن هذه العقيدة على منهجهم كما سنقرأ في المقدمة، ما ذكره قد يكون سببًا لتأليف هذه الرسالة؛ لأن المذهب الحنفي قد تسرَّبت إليه البِدَع من بداياته، أما المذاهب الأخرى فكان تسرُّب البدع إليها متأخرًا، أما هذا المذهب فقد تسرَّبت البدع إليه في الطبقة الثانية من أئمة المذهب، والبِدَع التي تسربت إليه كانت خطيرةً جدًّا؛

- خذ من الإرجاء.
- وخذ من الاعتزال.
- وخذ من التجهُّم ما شئت من البدع.

وكان بعض أئمة أصحابه كانوا يتبنون هذه العقيدة؛ وخذ مثلًا المريسي الذي توفي سنة مئتين وسبعة عشر، وهو توفي قبل أن يولد الإمام الطحاوي؛

- الإمام الطحاوي ولد سنة مئتين وتسعة وثلاثين.
- المريسي توفي قبل أن يولد الإمام الطحاوي، وهو إمام الحنفية في وقته.

تستطيع أن تأخذ من كون المريسي إمامًا في المذهب، تستطيع أن تأخذ وتخمِّن وضع هذا المذهب من حيث انتساب أهل البدع إليه، طبعًا كل انتسب إلى هذا المذهب من أهل البدع باستثناء مرجئة الفقهاء ليس لهم صلة بالمذهب، إنما هم استغلوا المذهب لنشر البدع وضلالاتهم كما هو الحال في المذاهب الأخرى.

لأجل هذا استحب وحبَّذ الإمام الطحاوي أن ينسب هذه العقيدة إلى الإمام أبي حنيفة وأئمة أصحابه، وقد أحسن صنعًا في ذلك، وهو يبدو لي أن هذا السبب كان سببًا مباشرًا لتأليف هذه العقيدة، وخاصةً بعدما تحول الإمام الطحاوي إلى هذا المذهب بعدما كان شافعيًّا؛ لأن الإمام الطحاوي:

- خاله الإمام المزني تلميذ الشافعي، من أخص تلاميذه خاله، وكان يدرس عليه، وفي يوم من الأيام أغضبه وقال له: لن يأتِ منك شيء يعني لست... وهذا قد يكون سببًا أيضًا لتحوله.
- أو كما قيل: إن قدوم ابن أبي عمران القاضي إلى مصر قاضيًا عليها هذا الذي شجعه للنَّهل من علمه، والانتقال إليه، ومن ثمَّ تأثر به.

قد يكون هذا وهذا.

**على كل حال**؛ مصر لم يكن فيها رواج للمذهب الحنفي، فالإمام الطحاوي حنفي، ويجد مذهبه مخترقًا قد اخترقته هذه البدع، فلا بد أن يُدافع عن هذا المذهب، هو من مذاهب أهل السنَّة، ولا يجوز أن يعبث به المبتدعة ويتفرج أمثال الإمام الطحاوي الذي ينتسب إليه، وهذا فيه الدرس لجميع الأخوة طلاب العلم والذين ينتسبون إلى المذاهب، ينبغي أن يكون حرصك على الدفاع عن المذهب في باب العقيدة أكثر، أولئك الأئمة الجبال العباقرة العمالقة، أولئك تنسب إليهم البِدَع بأي حجة؟!

- شخص يقول: أنا شافعي وينسب إلى الإمام الشافعي.
- الأشعرية شخص ينسب إلى الإمام أحمد.

التجهُّم والاعتزال والكلابية، لماذا؟ لأنه حنبلي، وهكذا مع بقية المذاهب.

لما ألَّف هذه العقيدة صارت هذه العقيدة كما يقول الإمام الذهبي: "صارت هي عقيدة أهل السنَّة"، هي في الجملة من المتون التي اتفقت عليها المذاهب الأربعة، سواءً من حيث الدعوة عند بعضهم، وبالتفصيل عند بعضهم، طبعًا أهل السنَّة هي عقيدتهم بالتفصيل باستثناء بعض المسائل المعدودة جدًّا، وهي لا تمثل شيئًا بالنظر إلى المسائل التي تضمنتها هذه العقيدة؛

- مثلًا مسائل الإيمان.
- وأيضًا مسائل التعلُّق الصفات بذات الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

مسائل معدودة، وإلا هي الرسالة من الرسائل التي اتفقت عليها المذاهب الأربعة من حيث الأصل. أما من حيث المتأخرين فسنجد أن الماتوريدية جعلوا من هذه العقيدة عقيدة الماتوريدية، وشرَّاحها من الماتوريدية كُثُر كلهم جعلوها ماتوريديةً بحتة كما جعلوا الإمام أبي حنيفة نفسه جعلوها أيضًا ماتوريديًّا.

كان الإمام ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- من أئمة أهل السنَّة كما قلت، مع أن النظر إلى شيوخه وإلى تلاميذه لا يُعطينا صورة واضحة عن ترجمة هذا الرجل، فلا تكاد تجد ذِكرًا لشيوخه، وكذلك لتلاميذه، حتى الكتاب طُبِع في بداية ما طُبِع غير منسوبٍ إليه.

**ومصادره أيضًا في الكتاب**: من النادر أن ينسِب شيئًا إلى مصادره، ومصادره باتت معلومةً واضحةً كوضوح الشمس، بالجُمَل صارت واضحة ما هي مصادره، مع ذلك لم يكن -رَحِمَهُ اللهُ- ينسِب ما يكتبه إلى مصادره، كل هذا بالنظر إلى تلك الظروف التي كان يعيشها، وهي فترة تلاميذ شيخ الإسلام، إذا كانت تلك الفترة التي هي فترة تلاميذ شيخ الإسلام كانت صعبة جدًّا على أهل السنَّة -على تلاميذ شيخ الإسلام-، الفترة التي بعدها كانت أصعب.

مجرد كون فلان يستقي من كتب ابن تيمية كانت هذه جريمة، وهذه الجريمة بسببها كانت تُصادر أمواله، ويُفصل من وظائفه، ويُطرَد، وأحيانًا يُسجَن، لماذا؟ لأنه تيمي كما سنذكر في محنة ابن أبي العز، ولذلك -رَحِمَهُ اللهُ- مشى في رسالته غير ذاكرٍ لمصادره، وهذا الأرم ليس فيه أي عيب، وخاصةً كما قلت: إذا علمت تلك الظروف التي كان يمر بها -رَحِمَهُ اللهُ-.

**الإمام الطحاوي**:

- وَلِد سنة مشتين وتسعة وثلاثين.
- وتوفي سنة ثلاثمئة وواحد وعشرين.
- من مشايخه: المزني، ومن مشايخه أيضًا: بعض مشايخ الإمام النسائي، وهو تلميذ الإمام النسائي.

الإمام النسائي توفي سنة ثلاثمئة وثلاثة، وكما تعرفون هو آخر الأئمة الستة وفاةً وزمنًا، وهو من مشايخ الإمام الطحاوي، الإمام الطحاوي في أسانيده أحيانًا يلتقي مع مشايخ شيوخه، أسانيده عالية، وقد يهتم بالعلم من صِغره، فلذلك كان نتاجه نتاجًا قيِّمًا جدًّا.

**من كتبه**: [شرح معاني الآثار] هذا الكتاب الذي أراد الإمام الطحاوي أن يجمع فقه الحديث، وأن يكون جامعًا بين الحديث والفقه [شرح معاني الآثار]، لو لم يكن أحيانًا تكلُّفه في نُصرة المذهب الحنفي، لكان هذا الكتاب كتابًا متميزًا جدًّا وهو كتاب متميز، ولكن لو لم يكن فيه شيء من التكلُّف لنُصرة المذهب لكان له شأنٌ آخر.

وكذلك شرح [مشكِل الآثار] طُبِع في ستة عشر مجلدًا، وله كتاب مختصر في الفقه، وهذا الكتاب من الكتب القيمة عمومًا وفي المذهب خصوصًا، ولكنه ليس له ذلك الشأن في المذهب مع أنه للإمام الطحاوي؛ لأن الإمام الطحاوي عنده بعض التحرُّر، وعنده الإنصاف، ولم يكن متعصبًا مثل بقية المتعصبين.

وعمومًا مَن يكون بهذا الشأن لا يكون له ذلك التأثير في المذاهب، وانظروا هذا في كل المذاهب، مَن يكون له شأنٌ وله رأيٌ أصحاب المذهب لا يُعطونه ذلك الشأن، مثلًا في المذهب الحنبلي الإمام أبو داود هو مَن الذي يفوقه في تلاميذ الإمام أحمد، مَن؟ وانظر كيف رواياته في المذهب شأنها، قيمتها بالنظر إلى بقية الروايات؛ لأنه إمام.

**على كل حال**؛ الإمام الطحاوي -رَحِمَهُ اللهُ- تحول إلى هذا المذهب، يبدو أنه... أنا لم أجد تاريخًا دقيقًا؛ لأني كنت أُريد أستنتج بعض الأمور، لم أجد تاريخًا دقيقًا لتحوله من المذهب الشافعي إلى المذهب الحنفي، نحن لا نتدخل في اختياره -رَحِمَهُ اللهُ-، هذا اختياره، مَن أنا حتى أتدخل في اختياره؟! وهو إمامٌ له شأنه، لما ترجم له الذهبي بدأ ترجمته بقوله: "مُحدِّث الديار المصرية وفقيهها"، مَن أكون أنا حتى أدخل في اختياراته؟! هذا الأمر يرجع إليه، ولكن يهمني رأيه في مسائل العقيدة لما كان شافعيًّا، وهل تغير شيء منها لما تحول إلى هذا المذهب؟

**لماذا يهمني هذا الشيء؟**

لأن هناك بعض المسائل، تلك المسائل التي اشرت إليها فيها شيء تشُم رائحة الكلَّابية، من أين أخذ هذه؟ لأن الأئمة الشافعية في ذلك الوقت لم نجد منهم إمامًا معروفًا متأثرًا بالكلَّابية في ذلك الوقت، فهل كانت هذه عقيدته قبل أن يتحول إلى هذا المذهب، أو تأثر ببعض أئمة الأحناف بعد أن تحول إلى هذا المذهب؟ كل هذا لم أجد له ما يُحدّده ويُقوّيه والله أعلم.

**على كل حال**؛ الرجل كما قلت: هو من الأئمة الأعلام، وهذه الرسالة التي كتبها هي رسالة لجميع أهل السنَّة والجماعة، وكما قلت: لا يختلفون إلا في بعض المواضع التي ستأتي الإشارة إليها.

هذه العقيدة على ضوء ما ذكرت تُعتبر أهم وثيقة لعقيدة الإمام أبي حنيفة، بقية الأئمة قد لا يكونون بحاجة إلى هذه، ليس هناك شيء يتوقف على هذه الرسالة فيما يتعلق بعقائدهم، نصوصهم،

وأقوالهم، وأقوال تلاميذهم؛ لأن تلاميذهم أئمة، كل هذه الأمور تُعطينا إطارًا عامًّا بل ومفصَّلًا عن عقائدهم، فليس هناك شيء يتعلق بعقائدهم يتوقف على هذه الوثيقة بالنسبة للأئمة الثلاثة:

- الإمام مالك.
- وتلميذه الشافعي.
- وتلميذه أحمد.

**أما ما يتعلق بالإمام أبي حنيفة:** الإمام أبو حنيفة لم يؤلف كتابًا في العقيدة، ولا تلاميذه صاحباه: أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، وأئمة المذاهب المذهب بعده ظُفَر وغيره لم يؤلفوا كتابًا في العقيدة، وهذا كان سببًا من أسباب اختناق المذهب، كل من هبَّ ودب ينسِب رأيه إلى هذا المذهب، حتى ابن سينا لم يتردد في نسبة نفسه إلى المذهب الحنفي؛ لأنه يعرِف أنه حسب ما وصل إليه يسعه ويسع أمثاله، مع أن المذهب بريء.

حتى الكتاب الذي سيُشير إليه ابن أبي العز [الفقه الأكبر] الذي أشار إليه جزمًا وأنه للإمام أبي حنيفة، هذا منه جريًّا على دعوى القوم، تقولون: هو كتابه، طيب إذا كان هذا الكتاب عليكم باتباع ما فيه؛ لأن أكثر ما فيه موافق لعقيدة أهل السنَّة [الفقه الأكبر]، وإلا هذا الكتاب ليس للإمام أبي حنيفة جزمًا.

من أين نأخذ عقيدة الإمام أبو حنيفة، والإمام أبو حنيفة كما تعرفون مذهبه منتشر بين المسلمين في العالم الإسلامي، بل قد يكونون هم الأكثر، من أين نأخذ عقيدته؟ نحن نُحسن به الظن يقينًا ونقول: نأخذ عقيدته من الكتاب والسنَّة، هو الإمام، ما صار إمامًا إلا لأنه يعتقد كل ما جاء في الكتاب والسنَّة، ولكن على النَسك المعروف الآن.

هذه المسألة ينسب فيها فلان العقيدة الفلانية، وفلان العقيدة الفلانية، من أين أتأكد أن هذه عقيدته؟ أوثق وثيقة بالنسبة له هذه الوثيقة [العقيدة الطحاوية]، أنا بالنسبة لي أهمية هذا المتن طبعًا أسباب كثيرة تجعله مهمًّا، هذا السبب أهم شيء عندي؛ كونه أهم وثيقة لعقيدة الإمام أبي حنيفة، لماذا؟ لما ترون من وضع هذا المذهب، هكذا كان ولا زال على هذا بالنسبة لانتشار البدع والخرافات، وإمام المذهب وتلاميذه بريئون.

ولذلك نقول لمن يعتقد هذا المذهب، نقول لهم: عليكم بهذه العقيدة حسب الشرح الذي شرحه أيضًا أحد أئمتكم وهو ابن أبي العز، ابن أبي العز هذا حنفي أبًا عن جد، أسرته حنفية، أسرته عريقة في هذا المذهب، أسرته: أبوه قاضي، وجدَّه قاضي، وجده الأعلى أيضًا من العلماء المعروفين، أعمامه قضاة، إخوانه قضاة، أسرة عريقة في العلم، فلا أحد يشك في كونه حنفيًّا، هذا حنفي وهذا حنفي، فهذا مذهب الإمام أبي حنيفة وهذه عقيدته، أهمية هذه الوثيقة من هذه الناحية: هذه الأهمية هي أهم الأسباب عندي.

♣ **بالنسبة لابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ-:**

هذا الكتاب شرحه كثيرون، طبعًا نحن سندرس الشرح، شرح ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ-، المتن هذا شرحه كثيرون؛ من أشهر شرَّاحه البابرتي وهو معاصر لابن أبي العز، وهو من أئمة الأحناف، وشرحه مطبوع هنا، طبعته وزارة الأوقاف قديمًا، وقد جعل هذا المتن ماتوريديًّا محضًا، هو موجود لكم أن ترجعوا إليه، جعله ماتوريديًّا محضًا.

ابن أبي العز سيذكر الأسباب التي دعته إلى كتابة هذا الشرح، فلذلك لا نستبقه، سيذكر الأسباب، **من أهمها:** وضع هذا الكتاب بعد أن ألَّفه الإمام الطحاوي لبيان عقيدة أهل السنَّة مسخوه وجعلوه أيضًا ماتوريديًّا، فكان لا بد أن يكون هناك شرح لأحد أئمة الأحناف لهذا المتن، فكان هذا الشرح شرح ابن أبي العز.

**ابن أبي العز:** هو الإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، وُلِد -رَحِمَهُ اللهُ- سنة سبعمئة وواحدٍ وثلاثين بعد وفاة شيخ الإسلام بثلاث سنوات؛

- شيخ الإسلام توفي سنة سبعمئة وثماني وعشرين.
- وهذا ولد سنة سبعمئة وواحدٍ وثلاثين.

وتتلمذ على تلاميذ شيخ الإسلام.

**من شيوخه الذين عرفناهم جزمًا من كتابه:** ابن كثير ذكره في ثلاثة مواضع في كتابه في الشرح، ولكن يبدو كما ذكر المحققون الذين في طبعة الرسالة، يبدو أنه كان وثيق الصلة بابن القيم، وأنه كان يستفيد منه، وأنه لازمه، يبدو، إذا كان هذا الشيخ الذي ذكره في شرحه لم يذكره أحدٌ ممن ترجم له، هذا أخذناه من الكتاب ما أخذناه من كتب التراجم.

كتب التراجم أغفلت شيوخه وأغفلت تلاميذه، ولماذا يُفصِّلون فيه وهو تيمي؟ لا يهمهم، وقد اتُّهم بأنه تيمي، وقد فُصِل من وظائفه على هذه التهمة، وقد حُبِس -رَحِمَهُ اللهُ-، لماذا يُفصِّلون فيه؟ فإذا كان هذا الشيخ الذي ذكره لم يذكره أصحاب التراجم، فكيف بابن القيم؟ ويبدو لي أن صلته بابن القيم كانت قوية.

هذا الكتاب وهذا الشرح إذا قلنا: أنه شرحٌ لابن القيم ما أبعدنا المجال، هو ينقُل عن شيخ الإسلام، وينقل عن ابن القيم، ولكن نقله عن ابن القيم أكثر جدًّا، في البداية في حديثه عن التوحيد سينقل عن [الأصبهانية]، وسينقل عن [المدارج]، ولكن نقوله عن ابن القيم هي الأكثر حتى ولو كانت هناك نصوص لشيخ الإسلام في المسألة ولابن القيم يُفضِّل النقل عن ابن القيم، قد يكون هذا بسبب أنه تتلمذ عليه.

وأستبعد ألا يكون قد أخذ عنه؛ لأنه على هذه العقيدة وابن القيم موجود، هذا دمشقي وهذا دمشقي، كلهم في مدينة واحدة، فما أظن أنه سيصبر عن ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ-، ولكنه لما ألَّف هذا الشرح ما استطاع أن يُخلِّد ذكرى شيخه، ولا ذكرى شيخ مشايخه وهو ابن تيمية ولا غيره.

**ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- كما قلت**: هو من هذه الأسرة أسرة الأحناف، وهو حنفي، ومع كونه حنفيًّا له مواقف لا تكون إلا للرجال الأفذاذ، كان -رَحِمَهُ اللهُ- دائم الرد على الأحناف، طبعًا أولًا: لا أحد يستطيع يتهمه بأنه في مذهبه أبدًا، ليس داخلًا على المذهب، قد يكون استغل هذا الوضع فكان دائم الرد على الأحناف بخصوصه في تعصُّبه.

- ألَّف علاء الدين البخاري رسالةً ذكر فيها أنه يجب اتباع هذا المذهب وذكر أدلته.
- طبعًا كما ألَّف غيره، هناك الجويني كما تعرفون له رسالة، فمثل هذه الرسائل كثيرة.

فابن أبي العز ردَّ عليه علاء الدين برسالةٍ أسماها [الاتباع]، يقول في هذه الرسالة: "فَالْوَاجِب على من طلب الْعلم النافع أَن يحفظ كتاب الله ويتدبره، وَكَذَلِكَ من السنَّة مَا تيَسّر لَهُ، ويطلع مِنْهَا ويتروى وَيَأْخُذ مَعَه من اللُّغَة والنحو مَا يصلح بِهِ كَلَامه، ويستعين بِهِ على فهم الْكتاب وَالسنَّة، وَكَلَام السّلف

الصَّالح فِي مَعَانِيهَا، ثمَّ ينظر فِي كَلَام عَامَّة الْعلمَاء الصَّحَابَة، ثمَّ من بعدهمْ مَا تيَسّر لَهُ من ذَلِك من غير تَخْصِيص؛

- فَمَا اجْتَمعُوا عَلَيْهِ لَا يتعداه.
- وَمَا اخْتلفُوا فِيهِ نظر فِي أدلتهم بِغَيْر هوًى وَلَا عصبية.

ثمَّ بعد ذَلِك ﴿من يهد الله فَهُوَ المهتد وَمن يضلل فَلَنْ تَجِد لَهُ وليا مرشدا﴾[الْكَهْف: ١٧]".

ذكر في هذه الرسالة في [رسالة الاتباع] أن تقليد مذهبٍ معين في جميع مسائل الدين لا يجوز وحكى عليه الإجماع، وهذا هو الصحيح، الآن كثيرٌ من الناس يقولون: يجب أن تكون متبعًا لمذهبٍ من المذاهب بأي آية، وبأي حديث، وبأي دليل، حكى الإجماع في هذا.

**وذكر -رَحِمَهُ اللهُ- أسباب التفرَّق، وفصَّل فيها، وركَّز على ثلاثة أسباب، وذكر أن هذه الأسباب هي التي مزقت الأمة، ولا زالت تُمزِّق الأمة؛**

**السبب الأول**: التعصُّب المذهبي، أطال فيه، ليس هناك مانع أن تتمذهب، وأن تحفظ أدلة المذهب لتنطلق من هذا في المذهب، وأيضًا في الفقه تكون قد فهمت المسائل، ثم تقارن هذه بمذهب آخر، ليس هناك مانع في هذا ولكن تتعصب لهذا المذهب! لماذا؟ وهؤلاء أعلام وليسوا أنبياء؛ الإمام أحمد، وشيخه الشافعي، وشيخه مالك ليسوا أنبياء، الإمام أبو حنيفة ليس نبيًّا، هؤلاء جعلوهم أنبياء، لا يجوز أن تتعصب لهم، لماذا تتعصب؟! هذا السبب الأول.

**السبب الثاني الذي غذَّى هذا التعصُّب، السبب الثاني والثالث هذان السببان كانا من أسباب انتشار هذا السبب**: الأوقاف، لا أقول: وزارة الأوقاف، الأوقاف التي كانت توقف على طلاب العلم والمدرسين والأئمة، بعد انتشار التمذهب كانت الأوقاف توقف على مذهب معين، هذه المدرسة مثلًا وقفٌ على أصحاب المذهب الحنفي، وشرط الواقف جعلوه مثل الشرط الذي ورد في الكتاب والسنَّة مثلًا، نعم هو أوقف على طلاب العلم، أوقف مثلًا على الأحناف.

**الشافعي الذي ينتسب إلى هذا المذهب، هذا فيه جانبان:**

**الجانب الأول**: أنه طالب علم.

**الجانب الثاني**: أنه على مذهب آخر.

هذا الجانب ليس له، ذكر العلماء أن كونه من طلَّاب العلم هذا يُجيز له أن يستفيد من هذا الوقف، يُجيز له وليس فيه مخالفة شرط الواقف، نعم فيه مخالفة ظاهرية ولكن أصل الوقف لنشر العلم.

**على كل حال؛** تلك الأوقاف كانت هي مصدر الرزق في الغالب للعلماء، فإذا كنت تبحث عن موطئ قدم فلا بد أن تُدرِّس في هذا المذهب، هذه المدرسة، أو تلك المدرسة، أو تلك... وهي كلها وقف على أصحاب المذهب، طبعًا هذا كان له أثر خطير جدًّا.

**السبب الثالث:** تعيين قضاة لكل مذهب، بل تعيين أئمة في الحرمين وفي المسجد الجامع في دمشق، كل مذهب له إمام، أنا سمعت شيخنا الشيخ عبد المحسن عبَّاد يقول: من حسنات الملك عبد العزيز -رَحِمَهُ اللهُ- أنه ألغى هذا العبث الذي كان في مكة، هو الذي ألغاه، تشوفون الصور القديمة تجدون المقام الحنفي، المقام المالكي، سبحان الله!

**هذه الأسباب التي ذكرها ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ-.**

ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- تعرض للمحن مثلما تعرض له شيخه، وشيخ شيخه، وسبب المحنة كانت... طبعًا المحن التي تعرض لها كثيرة، ولكن وضعه الأسري والمذهبي كان قويًّا جدًّا، ما كانت لأي محنة أن تهز من مكانته، ولكن هذه المحنة التي جاءت كانت تتعلق بأحد المماليك وهم الحكَّام في ذلك الوقت أنشأ قصيدةً في مدح النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وفي هذه القصيدة بعض الأمور التي يجب إنكارها، أنكر على بعض المواضع منها، أنكر عليها ابن أبي العز، ووصل هذا إلى هذا الذي أنشد القصيدة، ثم صدر مرسوم بالتحقيق معه، وحققوا معه وأرغموه على الرجوع، وكتب أنه الآن يعتقد غير ما كتبه في الاستدراكات، كتب هذا.

مع ذلك عقدوا له مجلس آخر، وقالوا في هذا المجلس: هل نكتفي بما كتبه أو لا بد أن يُعذَّب؟ قالوا: لا بد أن يُعذَّب، ثم عقدوا مجلس آخر، ثم مجلس آخر، بعدها سجنوه -رَحِمَهُ اللهُ-، وفصلوه من جميع الوظائف وكان قاضيًا إلى أن توفي سنة سبعمئة واثنين وتسعين -رَحِمَهُ اللهُ-.

ألَّف هذا الشرح، وهذا الشرح لما طُبع لم يكن عليه اسمه، ثم اهتدوا إلى اسمه في طبعة الشيخ أحمد شاكر بالنظر إلى المواضع التي ذكرها في كتابه؛ لأنه ذكر في ثلاث مواضع ذكر ابن كثير، وعن طريقه اهتدوا إلى اسمه، ثم في الطبعة التي كانت بتحقيق تركي، والشيخ شعيب الأرناؤوط -رَحِمَهُ اللهُ- في هذه

الطبعة ذكروا في المقدمة تفاصيل وافية عن الشارح، وترجمته، وعن هذا الشرح، وأيضًا عن محنته، ولكم أن ترجعوا إلى ما كتبوه في المقدمة.

♣ في مقدمة الشرح كل ما استمعناه إلى الآن لا زلنا في المقدمة، في مقدمة الشرح تعرَّض ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- إلى جملةٍ من المسائل، مقدمة ابن أبي العز تصلح أن تكون رسالة صغيرة في منهج أهل السنَّة في العقيدة، أنا أتمنى أن يُفرِدها أحد طلَّاب العلم، ويخدمها خدمة جيدة، ويزيد عليها التفصيل الذي تحتاج إلى تفصيل، هي في مجملها تصلح أن تكون رسالة، وهي مع ذلك مركزة جدًّا، وليس فيها تفصيلٌ زائد.

♣ **ذكر في بدايتها**: أهمية علم أصول الدين؛ لأن الموضوع موضوع العقيدة، موضوع هذه العقيدة، موضوع هذه الرسالة [أصول الدين] وذكر أهميته، وهو في صدد ذِكر أهمية أصول الدين ذكر أصول المعرفة عند المسلمين، طبعًا المعرفة لها أصولها عند الجميع سواءً كانوا مؤمنين، سواءٌ كانوا ملاحدة، سواءً كانوا يهود، نصارى، كل فئة لها طريقتها ومنهجها في المعرفة، ولها أصولها ولها إطارها العام.

♣ **ذكر ابن أبي العز هنا في البداية**: أصول المعرفة نقلًا عن شيخه ابن القيم، أصول المعرفة عند المسلمين ما هي؟ يريد أن يُبيِّن أن أصول المعرفة عند المسلمين مبنيةٌ على التوحيد، مبنيةٌ على هذه المسألة مما يدل على أهميتها القصوى.

نحن لما نأتي إلى المتكلمين سنجد أنهم يقولون: أن أصول الدين هي مهمة عندهم، أما نحن فنخالفهم في أصول الدين، فكان لا بد أن يُبيِّن أهمية أصول الدين، ولكن الطريقة التي بيَّنها بيَّن بها أهمية أصول الدين، هذا لا يمكن أن تجده في كتب المتكلمين.

ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- وفِّق في هذا الترتيب، وإذا كانت مطالب الرسالة كلها تنبني على ثلاثة أمور وهي: أصول المعرفة في الإسلام، كلها تنبني على الأمر الأول وهو الدعوة إلى توحيد الله -عَزَّ وَجَلَّ-، توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، لك أن تعرف من هذا كم هي مهمة عند المسلمين في الإسلام.

♣ ثم ذكر الطريقة التي -لاحظوا هذا التدرُّج- في الطريقة التي بها نُحصِّل المعرفة في الإسلام، نحن قلنا أن أصول المعرفة ثلاثة، كيف نُحصِّلها؟ نُحصِّلها بالكتاب والسنَّة، الكتاب موجود والسنَّة موجودة عند هؤلاء الطوائف، مع ذلك نجد هذا التفرُّق في مذاهبهم، لماذا؟ ذكر -رَحِمَهُ اللهُ- أهمية القرآن، ما هو القرآن؟ ما الذي يُمثِّله في دينك؟ ذكر بعض الأمور التي تتعلق بهذا.

أولئك في الحقيقة لم يعرفوا القرآن، وهذا سيتضِّح لنا وسيتجلَّى لنا من خلال أقوالهم كيف أن القرآن ليس مهمًا عندهم؟ هم يقولون: ليس مهمًا، فذكر كلمات مهمة جدًّا ومركزة في أوصاف القرآن، ما هو القرآن؟ ذكرها من خلال الأسماء التي ذكرها الله -عَزَّ وَجَلَّ- في كتابه للقرآن؛ لأن القرآن الله -عَزَّ وَجَلَّ- ذكر أسماءه في القرآن، وهذه الأسماء هي مثل أسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛

- أعلامٌ باعتبار.
- وأوصافٌ باعتبار.

فيها تلك المعاني التي لا بد أن تعتقدها في القرآن، تلك الأسماء تدل على أوصاف القرآن، وهي في عبارة أخرى هي أوصاف القرآن ذكرها.

♣ **ثم ذكر مسألة -هذه المسألة قد يكون فيها جواب عن سؤال مقدَّر، وقد يكون له ملحَظ آخر لم أعرفه-**: تقسيم الإيمان إلى مجمل ومفصَّل، ذكر هذا بعد ذِكر التفصيل عن القرآن؛ لأنه قد يرِد في الذهن، قد يرِد سؤال: ما دام أن هذا القرآن موجود فيجب على الجميع أن يتعلَّمه كله وإلا لا يكون مهملًا، ويقع في مذهب الخوارج، نعم هذا القرآن كله لتتعلَّمه، ولكن هل عدم تعلُّمه كله بالتفصيل يُخرِج من الإيمان له؟

♣ **ذكر هنا الإيمان ينقسم إلى قسمين:**

- إيمان مجمل وهذا يجب على الجميع ولا أحد يُعذر بجهله.
- وإيمانٌ مفصَّل وهذا حسب ما تتعلمه وحسب ما يُوفقك عليه الله -عَزَّ وَجَلَّ-

.

♣ **بعد هذا مباشرةً**: ذكر أسباب ضلال الفرق، ما دام أن القرآن موجود، والسنَّة موجودة، فلماذا هذا الضلال، ولماذا هذا التفرُّق والتشرذم، لماذا؟ أليس هذا السؤال واردًا؟ ما دام أن القرآن موجود والجميع يؤمنون به، ولا أحد يختلف في كونه هو المصدر الأول، وكذلك السنَّة موجودة ولا أحد يختلف إجمالًا على كونها مصدرًا من المصادر في أقل الأحوال، فلماذا الاختلاف؟ ذكر أسباب الاختلاف، لم يستوعب الأسباب وإنما ذكر أهم الأسباب، وما ذكره من الأسباب هي الأهم.

♣ **بعد هذا التدرُّج**: ذكر أن دين الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يُتلقَّى ولا يُقبَل إلا عن طريق رسله، لماذا؟ لأنه دين الله -عَزَّ وَجَلَّ- وله رسله وهم معروفون، أولئك الرسل أُنزلت عليهم الكتب وهي معروفة

وهي موجودة، كتاب نبينا محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، الكتاب الذي أُنزل عليه موجود، هذا الكتاب وسنَّته هي طريقنا إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- أبدًا، لماذا؟ لأنه ليس دين أرسطو، وليس دين أفلاطون، هو دين الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وبالتالي لا يُقبل إلا عن طريق رسله، **هذا أولًا**.

**ثانيًا**: ما نجد عند رسله هو وصف الله -عَزَّ وَجَلَّ- بما يليق به، يصفونه بتلك المحامد التي هي له سبحانه التي تليق به، وبالتالي لا نأخذ دين الله -عَزَّ وَجَلَّ- إلا من طريق رسله.

♣ ثم ذكر حديثًا مجتزءًا عن الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- لماذا؟ لأن أولئك الأعلام، أولئك الأخيار الذين اختارهم الله -عَزَّ وَجَلَّ- لصحبة نبيِّه هم طبَّقوا كل ما أشار إليه هنا، هم طبَّقوه وأرونا هذا بتطبيقهم المجمل والمفصَّل، فهم قدوتنا في هذا.

قد يقول المتكلم طيب الذي تتحدث عنه أين نجده؟ صحابة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هم أسوتنا في هذا، بعد هذا تطرق إلى أهمية شرحه، لماذا هذا الشرح؟ سؤال، ما دام أن هناك شروح كثيرة وهي موجودة، ولا زال الكتاب يُشرح، ويشرحه الأحناف، فلماذا شرح ابن أبي العز بالذات، لماذا؟

وهو في هذا الصدد بدأ حديثه بالقول بأن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بلَّغ البلاغ المبين، والصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- تلَّقوا عنه ما بلَّغه، ونجد أن العقيدة عندهم واضحة تمامًا، **هذا أولًا**.

**ثانيًا**: بعد عصر الصحابة قام الأئمة بواجب توضيح هذا الدين وتبليغه، وهم كُثُر، مَن الذي تُسميه، ومَن الذي لا تُسميه؟ كُثُر، ولكن يهمنا هنا أن منهم أبو جعفر الطحاوي؛ لأنه يريد أن يمهل لأهمية شحره هو، يقول: ممن قام بهذا الواجب الإمام أبو جعفر الطحاوي.

♣ ثم ذكر سبب تأليفه هو الطحاوي للكتاب، ذكر من أسبابه: ظهور البدع، وذكر أيضًا أسباب ظهورها، سنقرأها في الشرح، لخصها في سببين:

**السبب الأول**: بعد العهد، كلما بعُد العهد كثُرت البدع.

**والسبب الثاني**: كثرة التحريف الذي يُسميه أصحابه التأويل.

♣ ثم ذكر العصمة من البدع؛ هل نحن ضعنا مع ظهور البدع، وضاعت معالم الهدى؟ هل هناك عصمة من هذه؟ نعم، العصمة من هذه البدع بالاعتصام بالكتاب والسنَّة، ذكر هذا.

♣ ثم ذكر أن بعض من أراد أن يرد على المبتدعة وقع في البدع، وهذا الذي ذكره مهم جدًّا للرد على الكلَّابية، وذكر السبب في وقوعهم في البدع؛ ظنُّوا أنهم في ردودهم على المبتدعة مع موافقتهم لهم

في بعض المسائل، ظنوا أنهم يتوسطون بين الفرق، محاولتهم للتوفيق والتلفيق جعلهم من أهل البدع، كيف تتوسط بين السنَّة والبدعة؟ كيف؟! ستضطر أن تأخذ شيئًا من الباطل وتترك شيئًا من الحق، أليس كذلك؟ هذا يكون التوفيق، وهذا الذي حصل.

ردَّ على محاولاتهم للتوفيق، وهدفه أنهم أيضًا انضموا إلى قافلة المبتدعة، لم يأتُوا بشيء، يُريدون أن يردُّوا على المبتدعة، وفي ردهم عليهم رسَّخوا بعض البدع، روَّجوا لها أكثر؛ لأن الناس لما وجدوا هذه البدع في كتب من يرد على المبتدعة ظنوها من السنَّة، وهذا كان خطيرًا جدًّا على مسيرة العقيدة عمومًا.

♣ ثم ذكر أسباب وقوع التقصير عند الطوائف عمومًا، وذكر أن أهم الأسباب هو الجهل.

♣ ثم ذكر شيئًا قد نستغربه، وهو: هذه الدعوة هي خاصة للمغرمين بالبحث، الذين يدَّعون التدقيق في البحوث مثل المتكلمين، دعاهم إلى أن يوجهوا عنايتهم إلى الكتاب والسنَّة، هذه العناية التي أحدهم يقول: جلست إلى الفجر وأنا أفكر في المسألة الفلانية، سبحان الله! طيب ما النتاج؟ ما النتيجة؟ فهو يُخبر عن النتيجة أنه لن يصل إلى شيء، ولن تصل إلى شيء، أمثال هؤلاء يدعوهم ابن أبي العز أن يوجهوا عنايتهم إلى الكتاب والسنَّة، سبحان الله! هذا الجهد لو بُذل في الكتاب والسنَّة لبلغوا إلى... ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[ص:٢٩]؛

- ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ [٤:٠٠:٠١]
- ﴿مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ واضح جدًّا آياته، تدبَّر فيها، تعقَّل فيها.

♣ ثم ذكر يقول: مَن لم يصل إلى الحق ففي أقل الأحوال لا يكون فتنة لغيره، هذا إذن دعوة منه إلى أولئك الذين صاروا فتنة للجميع لأنفسهم ولغيرهم، فإذا عجزت عن معرفة الحق لا تكون سببًا لصد غيرك عن الحق.

♣ ثم بدأ في ذمِّ علم الكلام؛ لأن هذا البلاء هو الوباء الذي عصف بعقول الناس، أقول: بعقول الناس وليس الذي يدخل في هذه البليَّة سبحان الله! يصل إلى نتائج إلى خطيرة جدًّا كما سنجدها أيضًا، ولذلك أطال في هذا، صفحتين من هذا الكتاب وكما قلت: شرحه مركَّز جدًّا، صفحتين تحدَّث عنها في ذمِّ علم الكلام.

♣ ثم ختم هذه المقدمة بذِكر الرد على من يظن أن اللجوء إلى علم الكلام بسبب عدم استيعاب النصوص من الكتاب والسنَّة كل ما هو من أصول الدين، قد يقول قائل: نعم، أنا أؤمن بالكتاب والسنَّة، وهناك مسائل لا توجد في الكتاب والسنَّة، وبالتالي أخذتها من هنا، فما المانع؟

رد عليه، وذكر أن أصول الدين بمسائلها ودلائلها موجودة في الكتاب والسنَّة، وكل من خرج على الكتاب والسنَّة في المسائل والدلائل لم يكن له إلا الوقوع في البدع، والمخازي، والمهالك، وبهذا ختم مقدمته وبدأ في شرح الكتاب.

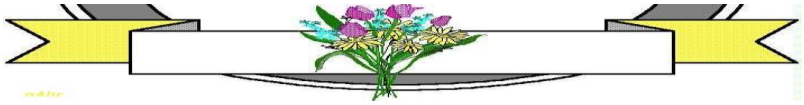

نحمده ونصلي على رسوله الكريم.

**أما بعد...**

يقول الشيخ الإمام ابن أبي العز –رَحِمَهُ اللهُ– في بداية شرحه:

(**الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا**).

**بعد الخطبة بيَّن ابن أبي العز –رَحِمَهُ اللهُ– أهمية علم أصول الدين، ولخصه في أمرٍ واحد:** وهو أن كل علمٍ يُنظَر في معرفة أهميته إلى المعلوم، وإلى الحصيلة، وإلى الخلاصة التي تأخذها من هذا العلم، مثلًا علم الهندسة مثلًا؛ أهميته تعرفها بالنظر إلى نتيجته، ما الذي تُحصِّله به، وكذلك علم الفلك، وكذلك بقية العلوم، أنت لما تنظر إلى المعلوم لهذا العلم ستعرف أهمية هذا العلم.

يقول: (**لَمَّا كَانَ عِلْمُ أُصُولِ الدِّينِ أَشْرَفَ الْعُلُومِ إِذْ**).

**لماذا هو أشرف العلوم؟**

(**إِذْ شَرَفُ الْعِلْمِ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ**)؛ لأن الذي تصل إلى النتيجة به، ولأن الذي تصل به عن طريق هذا العلم هو الله –عَزَّ وَجَلَّ–، فالمعلوم هو الله –عَزَّ وَجَلَّ– بأسمائه وصفاته وأفعاله، وبالأصول التي بها نعرفه، إذن ما دام أن المعلوم بهذا العلم هو أعظم المعلومات، فشرف هذا العلم يُنظَر إليه من هذه الناحية (**إِذْ شَرَفُ الْعِلْمِ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ**).

(**وَهُوَ الْفِقْهُ الْأَكْبَرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى فِقْهِ الْفُرُوعِ، وَلِهَذَا سَمَّى الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ –رَحْمَةُ اللَّهِ– مَا قَالَهُ وَجَمَعَهُ فِي أَوْرَاقٍ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ: "الْفِقْهَ الْأَكْبَرَ"**) وكما أشرت هذا لإقامة الحُجَّة على من ينتسب إلى هذا المذهب، وليس جزمًا من ابن أبي العز بكون هذا الكتاب من مؤلفات الإمام نفسه، وليس من مؤلفاته، وهو قد يكون من مؤلفات أبو مطيع البلخي، وهو ليس ثقةً وليس موثوقًا.

ومواد هذا الكتاب ما ورد في هذا الكتاب [الفقه الأكبر]، و[الفقه الأصغر]، و[الأوسط]، ما ورد في هذا الكتاب بالخصوص في [الفقه الأكبر] أكثره صحيح، ولكن فيه بعض الأمور من المستحيل أن

يكون الإمام أبو حنيفة قالها، وفيه بعض الأمور أصلًا لم تكن مثارة في ذلك الوقت، هي أُثيرت بعد عصره الإمام أبو حنيفة، مما يدل على أن الكتاب ليس له.

**والكتاب شُرِح شروحاتٍ كثيرة، من أحسنها:** شرح الملَّا علي قاري، هذا من القرن الحادي عشر، وهو من الأحناف، هروي من هراة وسكن مكة، له كتبٌ كثيرة منها هذا الشرح، وهو في هذا الشرح متأرجحٌ بين مذهب أهل السنَّة وبين مذهب الماتوريدية، في نقولات جميلة جدًّا وخاصةً في ذمِّ علم الكلام؛ لأن الرجل محدِّث هذا أثَّر فيه، ولكنه كان عمومًا على المذهب الذي كان منتشرًا في ذلك الوقت وخاصةً في مكة؛ لأنها مدرسة الهيثمي، هذه المدرسة ظلَّت توثر في الحجاز عمومًا وفي مكة خصوصًا إلى أن جاءت الدعوة السلفية، فكان لهذا المذهب، مع ذلك هو من أحسن الشروح التي شُرِح بها ذلك الكتاب.

**طبعًا أحسنها:** شروح شيخنا الدكتور خُمَيِّس، هو شرح هذه الكتب واهتم بها؛ لأن رسالته في الدكتوراه تتعلق بعقيدة الإمام أبي حنيفة.

**(وَحَاجَةُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ)** هذا أيضًا أمرٌ به نعرف أهمية هذا، أي علم تنظر إلى أهميته تُحدِّده بحاجتك إليه، قد تكون هناك علوم مهمة ولكن يحتاج إليها بعض الناس وليس كل الناس، أما حاجة العباد إلى هذا العلم الذي يوصلك إلى ذلك المعلوم وهو الله -عَزَّ وَجَلَّ- **(حَاجَةُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ)** وليس هناك عبدٌ يمكن أن يستغني عن هذا العلم.

**أولًا**: حاجة جميع العباد إليه ماسة.

**وثانيًا**: حاجتهم إلى هذا العلم لا تفوقها ولا تزيد عليها أي حاجة.

إذن **(حَاجَةُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ)** والجميع محتاجون إليه.

**(وَضَرُورَتُهُمْ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ)** لماذا يا ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ-، لماذا؟

**يقول: (لِأَنَّهُ لَا حَيَاةَ لِلْقُلُوبِ، وَلَا نَعِيمَ وَلَا طُمَأْنِينَةَ، إِلَّا بِأَنْ تَعْرِفَ رَبَّهَا وَمَعْبُودَهَا وَفَاطِرَهَا، بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ)** هذا الكلام الذي ذكره هنا هو مأخوذٌ من [إغاثة اللهفان]؛

- هناك قريب منه في [إغاثة اللهفان].
- وكلامٌ قريبٌ منه أيضًا في [مفتاح دار السعادة].

وهو ليس مأخوذًا بالنص، إنما هو قريبٌ من النص.

(**لِأَنَّهُ لَا حَيَاةَ لِلْقُلُوبِ، وَلَا نَعِيمَ وَلَا طُمَأْنِينَةَ، إِلَّا بِأَنْ تَعْرِفَ رَبَّهَا**) تلك الحياة التي تضمن السعادة، وتلك الحياة التي يطمئن بها القلب، هذه لا يمكن أن تحصل إلا بمعرفة مَن خلقك، (**إِلَّا بِأَنْ تَعْرِفَ رَبَّهَا وَمَعْبُودَهَا وَفَاطِرَهَا**) هو ربها، وهو مقصودها؛ لأنه هو معبودها، وهو فاطرها، كيف تعرفه؟ تعرفه (**بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ**) أما عند أولئك عند الجهمية وأذنابهم تعرفه بنفي هذه، لا بد أن تعرف كيف تنفي أسماءه، وكيف تنفي صفاته حتى تعرفه منزَّهًا مقدَّسًا كما يقولون، تُقدِّسه وتُنزهه عما أثبته لنفسه عند أولئك الضلَّال، تعرفه (**بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ**) وبعد هذه المعرفة يحصل الاطمئنان للقلوب.

**طبعًا مما يؤيد هذا الذي ذكره، نحن لا نحتاج إلى ما يؤيد، هذا هو ديننا، ولكن نذكره استئناسًا، مما يؤيد هذا الذي ذكره:** أن البلاد التي هي قد وصلت إلى التطور المادي ما نسمعه هكذا، هكذا نسمع وصلت إلى شيء يكاد يكون من الخيال من التطور، نسبة الانتحار فيها أكثر من البلاد، بل نسبة الانتحار بالنظر إلى التطور في البلاد التي التطور فيها أكثر نسبة الانتحار فيها أكثر.

ولكم أن تقرأوا هذه النسب فيما تذكره الدراسات المتخصصة، لماذا؟ مع أن هذا الذي ينتحر لا ينقصه شيء أبدًا، لا ينقصه شيء، ولكن قلبه الذي به حياته خاليًا عما يسيِّره، وبالتالي لا يجد مناصًا من إنهاء حياته بيده، لماذا؟ لأنه فقد السعادة، فالسعادة ليست بالأمور المادية كما يُروِّج لها الملحدون المعاصرون، السعادة تكون بمعرفة ربها ومعبودها.

ذلك المعبود الذي هو المحبوب لذاته وحده، ليس هناك محبوبٌ لذاته إلا الله -عَزَّ وَجَلَّ-، أما كل من نُحبهم في الله -عَزَّ وَجَلَّ- غيره أنبياءه، ورسله، وصحابة الأنبياء، والمؤمنون، والأتقياء، والصالحون، محبتنا لهم لله -عَزَّ وَجَلَّ-، أما المحبوب لذاته هو الله -عَزَّ وَجَلَّ- فقط، (**وَيَكُونَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِمَّا سِوَاهُ، وَيَكُونَ سَعْيُهَا فِيمَا يُقَرِّبُهَا إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ**) هذا يدلُّك ويُوقِفك على أهمية هذا العلم، ما دام أن هذا الذي ذكره يتحقق بهذا العلم فلا علم أهم من هذا العلم.

**ثم بعد أن ذكر هذا يأتي سؤال:** من أين سأُحصِّل هذا العلم؟ من أين يُتلَّقى علم أصول الدين؛ هل من الكتب التي ألَّفها المتكلمون وسموها أصول الدين؟ أصول الدين للبزدوي، وأصول الدين لعبد القاهر البغدادي، وأصول الدين للأعلى، هي هكذا سموها أصول الدين، هل يُتلَّقى هذا العلم من تلك الكتب؟

- هذا العلم الذي يحمل هذه الأهمية التي ذكرها المؤلف من أين نُحصِّله؟ ما هي مصادره؟
- أيضًا هو ذكر أن معرفة الله -عَزَّ وَجَلَّ- التي هي المقصودة من هذا العلم كيف نعرف الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟ كيف نعرفه؟ ما هي مصادر هذه المعرفة؟

من هنا يقول: (**وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ تَسْتَقِلَّ الْعُقُولُ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَإِدْرَاكِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ**) هناك:

- معرفة إجمالية.
- ومعرفة تفصيلية.

**المعرفة الإجمالية** موجودة، مودعة في الفِطَر، الفِطَر تعرف الله -عَزَّ وَجَلَّ-، تعرف خالقها وبارئها وفاطرها إجمالًا، وأنه متصفٌ بصفات الكمال، وأنه مقدَّسٌ ومنزَّهٌ عن التشبيه، لا يُشبه أحدًا، ولا يشبهه أحد، هذا عمومًا، إجمالًا، تعرفه الفِطَر.

**ولكن معرفة ذلك على التفصيل** هذا لا تجده إلا بالوحي، لا يمكن.

(**وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ تَسْتَقِلَّ الْعُقُولُ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ وَإِدْرَاكِهِ عَلَى التَّفْصِيلِ**) أما المعرفة الإجمالية فكما قلنا: هي موجودة في الفِطَر.

**الفِرَق التي ضلَّت في هذا الباب لماذا ضلَّت؟**

لأنها أرادت أن تُحصِّل المعرفة التفصيلية في هذا الباب من غير الكتاب والسنَّة، هذا سبب ضلالها، وكما سيذكر ابن أبي العز في مقدمته هذه عن علم الكلام سيذكر بعض أقوالهم؛ مَن طلب هذا العلم بالتفصيل، من طلب هذه المعرفة التفصيلية من غير الكتاب والسنَّة كيف أنهم وصلوا إلى الحيرة والاضطراب، والتيه الذي لا نهاية له؛

**نِهَـايَـةُ إِقْـدَامِ الْعُقُولِ عِقَـالُ وَغَايَةُ سَـعْيِ الْعَالَمِينَ ضَـلَالُ**

كل هذا لماذا؟ لأنهم طلبوا شيئًا هو أعظم المطالب، طلبوه من غير مصدره، ليس هذا فقط إنما تنَّكروا للمصدر الأصل، ولذلك النتيجة الطبيعية أنهم أضلُّوا وتاهوا.

ما دام أن العقول لا تستقل بمعرفته بالتفصيل؛ (**فَاقْتَضَتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ أَنْ بَعَثَ الرُّسُلَ بِهِ مُعَرِّفِينَ، وَإِلَيْهِ دَاعِينَ، وَلِمَنْ أَجَابَهُمْ مُبَشِّرِينَ، وَلِمَنْ خَالَفَهُمْ مُنْذِرِينَ**) ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾[الأحزاب: ٤٥-٤٦] دعوتك واضحة

مثل السراج المنير، وهؤلاء الرسل إرسالهم فضلٌ من الله -عَزَّ وَجَلَّ-، نعمة، إذا أردت أن تعرف النعم أعظمها إرسال الرسل.

ولذلك الله -عَزَّ وَجَلَّ- لما ذكر النعم في سورة النحل، هذه السورة التي تُسمى "سورة النعم" بدأها بذِكر الوحي، وأنه أعظم النعم سبحان الله! هذه النعمة هي التي يتنَّكر لها المبتدعة عمومًا، ما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته هذا موجود عندك في الوحي في الكتاب والسنَّة؛ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩] القرآن محفوظ، والسنَّة محفوظة، وفيها هذه المعرفة بالتفصيل، ولكنهم يأخذونها من غير مصادرها.

(**وَلِمَنْ أَجَابَهُمْ مُبَشِّرِينَ، وَلِمَنْ خَالَفَهُمْ مُنْذِرِينَ، وَجَعَلَ مِفْتَاحَ دَعْوَتِهِمْ**) من هنا من قوله: (**وَجَعَلَ مِفْتَاحَ دَعْوَتِهِمْ**) إلى قوله: (**وَأَعْرَفُهُمْ بِحَالِ السَّالِكِينَ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ**) إلى هنا تلخيصٌ لكلام ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- في [مدارج السالكين].

هنا يذكر ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- وابن أبي العز يذكرون أصول المعرفة، وأنها ثلاثة:

**أولها**: ما ذكره هنا: (**وَجَعَلَ مِفْتَاحَ دَعْوَتِهِمْ، وَزُبْدَةَ رِسَالَتِهِمْ، مَعْرِفَةَ الْمَعْبُودِ**) هذا هو الأصل الأول؛ ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- ذكر أن الرسل كلهم أُرسلوا بثلاث قواعد:

**القاعدة الأولى**: الدعوة إلى الله، والتعريف به بأسمائه وصفاته وأفعاله.

**والثانية والثالثة**: التي ذكرها هنا (**ثُمَّ يَتْبَعُ ذَلِكَ أَصْلَانِ عَظِيمَانِ**) هذه الثانية والثالثة.

**إذن القاعدة الأولى**: الدعوة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-، نحن نقول: الدعوة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ماذا تعني الدعوة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟ الدعوة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- تبدأ بالتعريف به، أنت تدعو إلى مَن؟

- مثلًا الجهمية تدعو إلى مَن لا يسمع، ولا يعلم، ولا يقدِر، ولا يُريد، ولا يتكلم، تدعو إلى مَن؟
- ومثل المعتزلة تدعو إلى مَن ليس له شأنٌ بأفعالك أبدًا، هو في وادٍ وأنت في وادٍ، تدعو إلى مَن؟

تدعو إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- بتعريفه أولًا، هذا بداية الدعوة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ثم إلى دينه، الدعوة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- اختُصرت واختُزلت أيضًا عند بعض الناس إلى الدعوة إلى دينه أو الدعوة إلى بعض مسائل الدين، حتى الدعوة إلى دينه لا تكون واضحة عند كثيرٍ منهم، الدعوة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- تبدأ

من التوحيد، والتوحيد فيه معرفة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ومعرفة حقوقه به علينا، معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، هكذا تكون الدعوة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

**إذن القاعدة الأولى في أسس المعرفة عند المسلمين، أو في أصول المعرفة:** الدعوة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

يقول: (**وَجَعَلَ مِفْتَاحَ دَعْوَتِهِمْ، وَزُبْدَةَ رِسَالَتِهِمْ، مَعْرِفَةَ الْمَعْبُودِ سُبْحَانَهُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، إِذْ عَلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ**) هذه هي القاعدة الأولى التي ذكرها ابن القيم (**إِذْ عَلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ تُبْنَى مَطَالِبُ الرِّسَالَةِ كُلِّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا**) هذه القاعدة الأولى.

**القاعدة الثانية:** (**ثُمَّ يَتْبَعُ ذَلِكَ أَصْلَانِ عَظِيمَانِ**)؛ لأن ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- صاغ ما ذكره ابن القيم بسياقٍ معين فاحتاج إلى هذا التغيير.

(**ثُمَّ يَتْبَعُ ذَلِكَ**) حسب ما ذكره ابن القيم هنا الإشارة هذه يُمكن أن تُرجعها إلى ما ذكره من أهمية أصول الدين، أيضًا إلى ما ذكره من سبب الحاجة إلى الرسل، لماذا نحتاج إلى الرسل؟ لماذا؟ لأننا نحتاج إلى هذه المعرفة، وهذه المعرفة تتعذَّر حصولها إلا عن طريق الرسل، إذن نحن بحاجة إلى الرسل بعد معرفة ذلك.

أيضًا (**وبعد مَعْرِفَةَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ثُمَّ يَتْبَعُ ذَلِكَ**) الإشارة هذه ترجع إلى هذه الأمور كلها.

(**ثُمَّ يَتْبَعُ ذَلِكَ أَصْلَانِ عَظِيمَانِ**) هذان الأصلان هي مكملة لأصول المعرفة. (**أَحَدُهُمَا: تَعْرِيفُ الطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ**) الآن دعوت إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛

**القاعدة الأولى:** معرفة الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله. **طيب:** كيف تصل إليه؟ عرفته كيف تصل إليه؟ تصل إليه بشريعته التي تتضمن أمره ونهيه، والتي تتضمن بيان محابِّه ومساخطه، ما الذي يرضيه سبحانه، ما الذي يرضى عنه، وما الذي لا يُرضيه، هذه هي شريعته أوامره ونواهيه، بها تصل إليه.

(**وَالثَّانِي**) الذي هو الثالث عند ابن القيم (**تَعْرِيفُ السَّالِكِينَ مَا لَهُمْ بَعْدَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ**) الذي وصل إليه ما الذي له؟ ما الذي يُشجعه أن يتجشَّم هذا السبيل والطريق، ما الذي يُشجِّعه؟

**أولًا الذي يُشجِّعه:** أن هذه هي سعادته في الدنيا والآخرة.

**ثانيًا**: النعيم المقيم الذي ينتظره في تلك الحياة.

وكما قال مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[غافر:٣٩] تلك الحياة التي سبحان الله! ما يمكن أن نتخيل وقتها، لا يمكن أن نتخيل زمانها، مثلًا:

- مليار سنَّة؟ لا هو أكثر.
- مليار ضرب مليار؟ مثلًا أكثر.
- مليارات ضرب مليارات؟ أكثر.

ما تتخيل، ما يمكن؛ لأنها حياة أبدية.

**ما الذي أعددت لتلك الحياة؟** ﴿وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[غافر:٣٩] ما الذي لك بعد الوصول؟ طبعًا ذلك النعيم الذي أُعدِّ لك هناك أيضًا كما في لا يمكن أن تتخيله، كما يقول ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- يقول: "الرسل أُرسلوا بهذه القواعد الثلاثة:

- الدعوة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-.
- بيان الطريق الموصل إليه.
- وما للواصلين من النعيم المقيم هناك، ولغير الواصلين -نسأل الله السلامة- من العذاب الدائم هناك.

﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[الشورى:٧].

ثم ذكر ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- في تتمة كلامه، ذكر المعوقات التي تُعيق المرء من تحقيق هذه القواعد الثلاث؛

**بالنسبة للقاعدة الأولى والأصل الأول يقول**: "قطَّاع الطرق هناك هم الجهمية"، الجهمية حالو بين القلوب وبين معرفة ربها، أنت تريد أن تعرفه بأسمائه وصفاته، ألا تحلُم بأي صفة وبأي اسم، كلها يجب أن تنفيها حتى تكون موحِّدًا عند هذا المخلوق -عند الجهم-، أما أفعاله فمذهبه فيها أيضًا غريب، ليست هناك أفعاله وأفعالك، لا كلها أفعالك التي هذه بما فيها أفعاله هي، إذن الجهمية هم قطَّاع الطرق في القاعدة الأولى.

**القاعدة الثانية أو الأصل الثاني**: ذكر أن قطَّاع الطرق هناك أصحاب الآراء الفاسدة؛ لأن أصحاب الآراء الفاسدة لهم أصول في الفقه، ولهم قواعد مليئة بالتحريفات، وهذه الأصول أثرت في فقههم عمومًا، أصحاب الآراء الفاسدة، والسياسات الباطلة، وأيضًا الأذواق المنحرفة، وما أدراك ما الذوق، التحريف الذي حصل للدين بسبب الأذواق شيء...

وكذلك العوائد المستمرة، أولئك الذين يحتكمون إلى العوائد، يقول: هؤلاء كلهم حالو بين القلوب وبين الوصول إلى نبيها، وما كان عليه هو وأصحابه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، وعابوا من خالفهم في قعودهم، لا يكتفون بانحرافهم وإنما يعيبون أيضًا صاحب السنَّة.

**القاعدة الأخيرة يقول**: قطاع الطرق هناك أصحاب الشهوات المفتونون بها، قعدوا على رأس طريق المعاد، والاستعداد للجنة ولقاء الله سبحانه.

كلامه -رَحِمَهُ اللهُ- في [مدارج السالكين] المجلد الأخير الطبعة الذي طُبعت في أربع مجلدات، الآن طبعة جديدة محققة لم أرجع إليها.

يقول: (**فَأَعْرَفُ النَّاسِ بِاللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَتْبَعُهُمْ لِلطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ، وَأَعْرَفُهُمْ بِحَالِ السَّالِكِينَ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ**) هنا يبيِّن ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- ضرورة الالتزام بالطريق الموصل إليه لضمان معرفة المعبود، وإلا قد تظن أنك تعرفه وأنك من أبعد الناس عن معرفة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لذلك يقول: (**فَأَعْرَفُ النَّاسِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَتْبَعُهُمْ لِلطَّرِيقِ الْمُوَصِّلِ إِلَيْهِ، وَأَعْرَفُهُمْ بِحَالِ السَّالِكِينَ عِنْدَ الْقُدُومِ عَلَيْهِ**).

إذا أردت أن تفحص أدوات المعرفة عندك ما تلجأ إلى الفلاسفة، ولا تلجأ إلى المناطقة، ولا كرامة لهم، الجأ للمصادر هل هي مبنية عليها؟ إذا لم تكن مبنية عليها فلا تتعب، قد تكون سميها ما شئت، ولكنها ليست مما يوصلك إلى المعبود والمقصود أبدًا.

يقول ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- في النونية في هذا المعنى الذي ذكره ابن أبي العز هنا، يقول:

**والعِلْمُ أَقْسَـــامٌ ثلاثٌ مَا لَهـا ... مِن رَابِعٍ والحَقُّ ذُو تِبْيـانِ**
**عِلْمٌ بـأوصـــافِ الإلَـهِ وفِعْلِـهِ ... وكَـذلِـكَ الأَسْـــمَـاءِ لِلرَّحمنِ**
**والأَمْرُ والنهيُ الـذي هُوَ دِيْنُـهُ ... وَجَزَاؤُهُ يومَ المَعَـادِ الثَّـانِي**

هذا في النونية.

إذن هذه الأمور الثلاث هي أصول المعرفة.

طبعًا كلمة المعرفة هي لم تأتِ في الكتاب والسنَّة بهذا المصطلح، وإلا هي وردت في حديث المعاد في بعض الروايات «فَإِنْ هُمْ عَرَفُوا ذَلِكَ» ورد هذا، ولكن هذا المصطلح بهذا المعنى لم يأتِ في الكتاب والسنَّة، هذا مصطلح جديد، وبعض الناس لا يستحقونه بسبب التصاق هذا المصطلح بالصوفية، هذا مصطلحهم في الأصل، العارف عندهم هو الذي ما أدري وصل إلى أي درجة، درجاتهم ما أعرفها، المهم هي درجة عندهم، الواصل العارف هي درجة عندهم.

فلأجل هذا بعض الناس ما يستحبون استعمال هذا المصطلح، هو مصطلحًا ليس مهمًّا بالنسبة لنا، ولكن نحن لما نُعبِّر بمصطلح مع شرح ما الذي نُريده، أصول المعرفة تلك الأصول التي بها نصل إلى المعرفة المقصودة في الشرع هي ثلاث أمور كما ذكرناها، كما ذكرها ابن القيم، وكما ذكرها ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ-.

ولهذا من هنا من قوله: (**وَلِهَذَا**) يُبيِّن ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- أهمية مصادر هذه المعرفة، نحن قلنا: أن مصادر هذه المعرفة هي الكتاب والسنَّة، والكتاب والسنَّة: الكتاب موجود، والسنَّة موجودة، فلماذا الغفلة عن الكتاب والسنَّة؟ لماذا هذا التفرُّق مع وجود الكتاب والسنَّة، لماذا؟

**يُبيِّن ابن أبي العز هنا أن سبب التفرق وسبب الضلال**: عدم معرفة قدر الكتاب والسنَّة، أهمية الكتاب والسنَّة، ماذا يُمثِّل الكتاب بالنسبة لك؟ القرآن ماذا يُمثل بالنسبة لك والسنَّة؟ أي معرفة تقرِّبك إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- من الكتاب والسنَّة، المصدر الوحيد للوصول إلى هذه المعرفة هو الكتاب والسنَّة، ليس هناك مصدرٌ ثالث، ولكن وقع التقصير في معرفة أهمية هذه المصادر، وبالتالي سنرى أن هذه المصادر لا تمثِّل شيئًا عند بعض الناس فيما يتعلق بأسمائه وصفاته، أبدًا ليست هي المصادر عنده.

ذكر هنا شيئًا مما ذكره الله -عَزَّ وَجَلَّ- في كتابه عن أسماء وأوصاف كتابه العظيم، أنا جمعت بعض الأوصاف وبعض الأسماء التي وردت في القرآن عن القرآن وهي كثيرة، ثم وجدت أن هناك كتاب في مجلدين في هذا الموضوع في أسماء القرآن وأوصافه وهي كثيرة، والله لو تقِف مع كل اسم؛

**مثلًا**: من أسمائه أنه عزيز ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[فصلت: ٤١-٤٢] لو تقف مثلًا مع كلمة عزيز، لماذا وصف القرآن بالعزة، والعزة لها ثلاث معاني:

- عَزَّ يعِزُّ.

- عَزَّ يعَزُّ.
- عَزَّ يعُزُّ.

كلها لها معنًى، والعزيز من أسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لماذا وصف الكتاب بالعزة؟

**ثم بيَّن الله -عَزَّ وَجَلَّ- بعد ذلك:** ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾[فصلت: ٤١] من عزته أنه ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت: ٤٢] ستستفيد فوائد كثيرة من هذا، يعني ما ذكره الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن أوصاف وأسماء كتابه فيها بيان أهمية كتابه كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

منها ما ذكره ابن أبي العز هنا، يقول: (**وَلِهَذَا سَمَّى اللَّهُ مَا أَنْزَلَهُ**) ولهذا أي بما أن القرآن هو مصدر هذه المعرفة، لهذا:

- سمَّى الله ما أنزله على رسوله روحًا، الله -عَزَّ وَجَلَّ- سماه روحًا، لتوقف الحياة الحقيقة عليه، لماذا سماه روحًا؟ لأن الحياة الحقيقة التي بها حياة قلبك هذه متوقفةٌ عليه.
- وسماه أيضًا نورًا (**لِتَوَقُّفِ الْهِدَايَةِ عَلَيْهِ**)، الهداية لا تأخذها إلا من هذا الكتاب.

**يقول سبحانه:** ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[غافر:١٥]، ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ الروح هنا وحيه الذي هو في كتبه، ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

**أيضًا يقول سبحانه:** ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الشورى: ٥٢] الله -عَزَّ وَجَلَّ- هنا سماه روحًا وسماه نورًا، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هذه هي هداية الدلالة؛ لأن الهداية تنقسم إلى قسمان:

- هداية التوفيق.
- وهداية الدلالة.

نحن لما نقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦] **هي هداية التوفيق**، وهداية التوفيق هي بيد الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

**أما هداية الدلالة:** فكما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد:٧] كل من يدعو إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- فهو هادٍ.

(﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[الشورى: ٥٢ - ٥٣] **وَلَا رُوحَ إِلَّا فِيمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَلَا نُورَ إِلَّا فِي الِاسْتِضَاءَةِ بِهِ**) وهذا من نور، الله -عَزَّ وَجَلَّ- ذكر مثاله في سورة النور، وأنه واضحٌ جدًّا في مادته وفي قدره، واضح جدًّا، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ﴾[النور:٣٥] هنا بيَّن الله -عَزَّ وَجَلَّ- مثالًا لهذا النور وهو واضحٌ جدًّا، ولذلك الله -عَزَّ وَجَلَّ- سمَّى رسوله سراجًا منير ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[الأحزاب:٤٦].

أيضًا: (**وَهُوَ الشِّفَاءُ، كَمَا قَالَ سبحانه:** ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾[فصلت: ٤٤]) أما الذين لم يؤمنوا كما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾[فصلت:٤٤] هو سبب ضلالهم أكثر، أما المؤمن الذي يؤمن بالله -عَزَّ وَجَلَّ- فهو كما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-:

- ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ ليس هدًى فقط.
- ﴿وَشِفَاءٌ﴾ لجميع الأسقام شفاءٌ لماذا؟ لجميع الأسقام.

(**فَهُوَ وَإِنْ كَانَ هُدًى، وَشِفَاءً مُطْلَقًا، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْمُنْتَفِعُ بِذَلِكَ هُمُ (الْمُؤْمِنِينَ)، خُصُّوا بِالذِّكْرِ**) وإلا هو هدى للجميع، وهذا كما ورد في قوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢] لماذا خُصُّوا بالذِكر؟ لأنهم هم المنتفعون، هم الذين انتفعوا به، أما غيرهم لم ينتفعوا بهذه الدلالة وهذا الإرشاد وهذه الهداية.

هنا في قوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾[فصلت: ٤٤] هنا فيه بيان شرط الاستفادة من القرآن، مَن الذي يستفيد من القرآن؟

- مَن يؤمن به، ويراه هاديًا، ويراه موصلًا لليقين، ويراه مصدرًا لليقين هو الذي سيستفيد منه.
- أما الذي يرى أن القرآن ليس بهذا ليس مصدرًا لليقين وخاصةً فيما يتعلق بأسمائه وصفاته، فلن يجعله مصدرًا له.

تذكرت هنا قول الرازي في مقدمة تفسيره عند قوله سبحانه: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢] هنا ذكر سؤالًا غريبًا، ذكر أن لماذا أطلق الله -عَزَّ وَجَلَّ- وقال: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢] كأنه هدًى لهم في كل شيء، لماذا أطلق؟ ذكر سؤال، أين ذكره؟ في تفسيره عند قوله: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢]، ذكر أنه أطلقه مع أنه يستحيل أن يكون القرآن هدًى في ذاته وأسمائه وصفاته، يستحيل مع ذلك كيف أطلقه وقال: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢]؟ هذا السؤال.

**والجواب**: يقول: يكفيه أن يكون هدًى في تفاصيل الشرائع، يكفيه أن يكون هدًى في بعض ما فيه، وليس في كونه هدًى أن يكون هدًى في كل شيء؛ لأنه يستحيل أن يكون هدًى فيما يتعلق بذاته وصفاته، اقرأوا مرة أخرى قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**﴾[فصلت: ٤٤] هذا ما يراه أصلًا هدًى في هذا الباب فكيف يستضيء به؟! ليس ما يراه فقط، هو يرى أنه لا يجوز أن يكون هدًى في هذا الباب.

ألا تلاحظون هذا الذي وصل إليه هؤلاء من سوء الأدب سبحان الله! مع كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-، حتى ولو كان في قلبك هذا المرض لا تُظهره للناس، ثم ذكر أنه من هنا نأخذ قاعدةً أخرى، هذه القواعد التي ملأوا بها كتبهم في الأصول: "أن المطلق لا يكون عامًّا في كل الأحوال" هذه القاعدة أخذها من هذا، سبحان الله!

إذن يزيد الاهتداء بالقرآن بحسب الإيمان به، هذه خذوها قاعدة: "يزيد الاهتداء بالقرآن بحسب الإيمان به"؛ فمن كان إيمانه بالقرآن إيمانًا كاملًا مثل الصحابة لا يمكن أن يخرج عن الاهتداء بالقرآن، لا يمكن أن يكون له مصدر غير الكتاب والسنَّة، لا يمكن، مستحيل، نحن عندنا أيضًا مستحيل كما هو عند الرازي مستحيل، يستحيل أن يكون مصدره غير الكتاب والسنَّة يستحيل.

هنا سؤال ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في [الحموية]: أنت بعدما سددت هذا الباب، ترمينا في أي وادي، في أي وادٍ تريدنا نهلك؟ لا يجوز أن نهتدي بالقرآن فيما يتعلق بأسمائه وصفاته؛ طيب نهتدي سبحان الله بك وبمثالك؟! نهتدي بمن؟ ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**﴾[فصلت: ٤٤].

ثم ذكر أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- (**أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ**) كما ذكر شيخ الإسلام أن الإنسان له قوتان:

- القوة العلمية.
- والقوة العملية.

القوة العملية تكون صالحةً أو فاسدةً بناءً على القوة العلمية التي عندك؛

- إذا كان علمك صحيحًا سيكون عملك صحيحًا.
- إذا كان علمك فاسدًا مثل هذا الذي سمعنا سيكون عملك فاسدًا.

والله -عَزَّ وَجَلَّ- أرسل رسله ورسوله؛ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾[الفتح:٢٨] كمال كلتا القوتين فيما جاء به الرسول؛

- ﴿الْهُدَى﴾ هو العلم الصحيح، تريد العلم الصحيح؟ الكتاب والسنَّة.
- ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ هو الكتاب والسنَّة.

**إذن كمال تلك القوتين**: القوة العلمية والعملية في الكتاب والسنَّة؛ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[الفتح: ٢٨-٢٩] هنا كما تعرفون الله -عَزَّ وَجَلَّ-:

- ذكر أنه هو المرسِل.
- وذكر المرسَل.
- وذكر رسالته.
- وذكر أن هذه الرسالة ستظهر.
- وذكر أنها ستظهر على يد مَن؟ الصحابة.
- ثم ذكر أوصافهم، لماذا ظهرت الرسالة؟ بسبب: ذكر أوصافهم، الله -عَزَّ وَجَلَّ- أرسل رسوله بتكميل وبإصلاح كلتا القوتين.

(**أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، فَلَا هُدَى إِلَّا فِيمَا جَاءَ بِهِ**) سبحان الله! هكذا بكل بساطة، (**لَا هُدَى إِلَّا فِيمَا جَاءَ بِهِ**) والله أعلم، وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلَّ الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم، اللهم اغفر لشيخنا، ولأشياخه، وللمسلمين، قال الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ عَامَّةَ مَنْ ضَلَّ فِي هَذَا الْبَابِ أَوْ عَجَزَ فِيهِ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، فَإِنَّمَا هُوَ لِتَفْرِيطِهِ فِي اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَتَرْكِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ الْمُوَصِّلِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ. فَلَمَّا أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِ اللَّهِ ضَلُّوا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾[طه: ١٢٣ - ١٢٦].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، أَنْ لَا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ".

وَكَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ» قُلْتُ: فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ، لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسُنُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ، الدَّالَّةِ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى.

وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ دِينًا يَدِينُونَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِدِينِهِ الَّذِي شَرَعَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَقَدْ نَزَّهَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْعِبَادُ، إِلَّا مَا وَصَفَهُ بِهِ الْمُرْسَلُونَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]، فَنَزَّهَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ

الْكَافِرُونَ، ثُمَّ سَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا وَصَفُوهُ بِهِ مِنَ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ، ثُمَّ حَمِدَ نَفْسَهُ عَلَى تَفَرُّدِهِ بِالْأَوْصَافِ الَّتِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا كَمَالَ الْحَمْدِ.

وَمَضَى عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَيْرُ الْقُرُونِ -وَهُمُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ- يُوصِي بِهِ الْأَوَّلُ الْآخِرَ وَيَقْتَدِي فِيهِ اللَّاحِقُ بِالسَّابِقِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِنَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُقْتَدُونَ، وَعَلَى مِنْهَاجِهِ سَالِكُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف: ١٠٨]، فَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ مَعْطُوفًا عَلَى الضَّمِيرِ فِي أَدْعُو؛

- فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَتْبَاعَهُ هُمُ الدُّعَاةُ إِلَى اللَّهِ.
- وَإِنْ كَانَ مَعْطُوفًا عَلَى الضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ فَهُوَ صَرِيحٌ أَنَّ أَتْبَاعَهُ هُمْ أَهْلُ الْبَصِيرَةِ فِيمَا جَاءَ بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ.

وَكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ حَقٌّ.

وَقَدْ بَلَّغَ الرَّسُولُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْبَلَاغَ الْمُبِينَ، وَأَوْضَحَ الْحُجَّةَ لِلْمُسْتَبْصِرِينَ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ خَيْرُ الْقُرُونِ، ثُمَّ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَافْتَرَقُوا، فَأَقَامَ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ يَحْفَظُ عَلَيْهَا أُصُولَ دِينِهَا، كَمَا أَخْبَرَ الصَّادِقُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِقَوْلِهِ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ»).

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد...**

كنا توقفنا عند قول المؤلف قول الشارح -رَحِمَهُ اللهُ-: (**وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يُؤْمِنَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ**) بعد أن بيَّن ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- شيئًا من مكانة القرآن الكريم، بيَّنه بذكر تلك الأوصاف التي ذكرها الله -عَزَّ وَجَلَّ- في كتابه، بعد هذا يُبيِّن ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- أن من أراد الوصول إلى المعبود فعليه أن يؤمن بالرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إجمالًا للجميع، وتفصيلًا حسب تنوع قُدَرِهم.

أيضًا يذكر هنا بعد أن ذكر مكانة القرآن الكريم، وأنه واضح، وأن التدبُّر فيه كفيلٌ لأَن تبلغ إلى الحق، بعد هذا كله قد يظن ظان أن ما ورد في القرآن كله يجب أن تعلمه بالتفصيل حتى يكون إيمانُك صحيحًا، فدفعًا لهذا التوهم بيَّن هنا أن الإيمان ينقسم إلى قسمين:

- إيمانٌ مجمل.
- وإيمانٌ مفصَّل.

وأن مسألة العذر بالجهل مبنيةٌ على هذا التقسيم.

**فالإيمان المجمل**: هذا يجب على الجميع، ولا أحد يُعذر بجهله، الإيمان المجمل بكل ما ورد في الكتاب والسنَّة أن ذلك كله حق، وكذلك الإيمان المجمل بجميع أركان الإيمان، هذا لا أحد يُعذر بجهله.

**أما الإيمان المفصل**: سيذكر المؤلف أنه يتنوع بتنوُّع قُدَر المكلفين، بتنوُّع قُدَرات المكلفين، ولا شك أن هذا التفاوت هو لتفاوتهم في العلم والمنزلة والمكانة، والأهم من ذلك كله يُبيِّن أن الطريق إلى المعبود محصورٌ في اتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

يقول: (**وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يُؤْمِنَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- إِيمَانًا عَامًّا مُجْمَلًا**) هذا يجب على الجميع، فلو جاء مثلًا وقال: لا أستطيع أن أجزم أن كل ما في القرآن والسنَّة يجب اعتقاده، وأنه حقٌّ، وأنه لا يعتريه شكٌّ وريب، لا أستطيع أن أجزم بهذا.

قد يكون هناك نص تُخالفه مثلًا النظريات العلمية الحديثة والابتكارات قد يكون، هذا إيمانه ليس بصحيح، هذا إيمانه في مهبُّ الريح، يجب أن تعتقد أن كل ما في الكتاب، وكل ما في السنَّة الصحيحة حقٌّ لا شك فيه، ولا يمكن أن يأتي عصرٌ من العصور تكون مبتكراته واكتشافاته صدًّا أو حائلًا عن هذا الإيمان، لا يمكن، هذا كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وكلام رسوله وحيًّا منه، وهذه مخلوقاته، فلا يمكن أن تكون هذه الأمور من المشككات في الإيمان، هذا لا أحد يُعذر بجهله.

إذا كان هناك شيءٌ من الشك في هذا الأمر فإيمانه ليس بصحيح، هذا ينبغي أن يُجدد إيمانه، كثيرٌ من الناس الآن تجده يشك في شيءٍ من هذا، الكفار بعد أن بحثوا، وبعد أن نكبُّوا، وبعد أن... وصلوا إلى هذه الحقيقة، طبعًا لهم كلامٌ في الأحاديث، أن القرآن لا يُخالف شيءٌ منه شيئًا مما توصل إليه العلوم الحديثة، هذا يقوله الكفار.

وأحد المسيحيين له كتاب في هذا لأجل هذه المقارنة، اسمه "موريس بوكاي" فرنسي الأصل، هذا المسيحي متعصب وله بحوث كثيرة جدًّا في هذا الباب، وألَّف كتابًا اسمه [التوراة والإنجيل والقرآن في نظر العلم الحديث] أو قريب من هذا، والكتاب مطبوع ومدقَّق، أكد فيه أن هذا القرآن... طبعًا هو فرنسي واطلع على ترجمةٍ للقرآن أحد المترجمين ترجمها، ولكن الترجمة لم تشبع نهمه، وبعد أن كان طبيبًا وبعد أن... بعد هذا كله التحق بالجامعة مرة أخرى حتى يتعلم اللغة العربية، ودرس اللغة أربع سنوات، وتعمق في اللغة.

يقول: بعدما قرأت القرآن، وبدأت أفهم اللغة مباشرةً، الترجمة غير وهذا غير، وله مقولة مشهورة: "أن القرآن أرفع شأنًا من المستوى العلمي الذي عليه العلماء في القرن العشرين"، سبحان الله! كلامٌ غريب، يقول: "دعْ العرب فمستواهم العلمي ليس بجيد، مستوى العلماء في القرن العشرين لم يصل إلى المستوى الذي عليه كتاب محمد، هذا قبل أن يؤمن، وبعد أن آمن أسلم لهذه، وهو أسلم في الأخير.

يقول: ليس هناك شيء في القرآن يُخالف شيئًا من المنجزات العلمية الحديثة أبدًا، أما الأحاديث يقول: نعم، فهناك كثيرٌ من الأحاديث تخالف ما توصلت إليه العلوم الحديثة، والسبب في ذلك: أنه نظر في الأحاديث الموضوعة، والأحاديث المنكرة، والأحاديث الضعيفة حشرها كلها في الأحاديث، والأحاديث الموضوعة فيها من المنكرات ما تضاهي ما تجدونه في الإسرائيليات.

ولأجل هذا السبب يقول هذا في مقدمة كتابه، أما القرآن كلامه عجيب، يأتي مسلم ويشك في هذا! أي إيمانٍ هذا؟! لا بد أن تتيقن هذا كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-، والوحي يشمل القرآن والسنَّة، والسنَّة الصحيحة لا تُخالف شيئًا منه، ولن يأتِ عصر يصل فيه مَن يُسمى نفسه عالمًا إلى شيءٍ مما يُخالف السنَّة، هذا الإيمان المجمل يجب على الجميع.

**(وَلَا رَيْبَ أَنَّ مَعْرِفَةَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ عَلَى التَّفْصِيلِ فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي تَبْلِيغِ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ)** والناس يتفاوتون في هذا، أليس كذلك؟ العلماء في تبليغهم للكتاب والسنَّة لهم مقام ولهم شأن ولغيرهم شأن.

**(وَدَاخِلٌ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَعَقْلِهِ وَفَهْمِهِ)** الناس أيضًا يتفاوتون في هذا، يتفاوتون تفاوتًا عظيمًا جدًّا في تدبُّر القرآن، وفي عقله وفهمه.

وكذلك يدخل فيه: **(عِلْمِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ)**؛

- الحكمة لما تُذكر قرينةً للكتاب فالمراد بها السنَّة.
- والحكمة لما تذكر في سبيل الدعوة ووسائلها فلها معنًى يأتي.

(**وَحِفْظِ الذِّكْرِ**) حفظ القرآن والسنَّة الناس يتفاوتون في هذا، (**وَالدُّعَاءِ إِلَى الْخَيْرِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ**) هذا كله يتفاوت فيه الناس، فلا يجب على الجميع مستوى وصل إليه عالمًا مثلًا من العلماء، لا يجب ولكنه واجبٌ كما قال المؤلف: واجبٌ كفائي يجب أن يكون في الأمة من وصل في هذا إلى ما يُطلق من العلماء، أما أن يكون كلهم هكذا فلا.

وكذلك يدخل فيه: (**الدُّعَاءِ إِلَى سَبِيلِ الرَّبِّ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَّة، وَالْمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**) ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَّة وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥]

﴿ادْعُ﴾ هنا وجوب الدعوة، فالدعوة إلى الله واجبةٌ على الجميع حسب ما أنت عليه، وهذا لا أحد يُستثنى منه، ليس هذا وظيفة العلماء فقط، الدعوة إلى الله واجبة على الجميع حسب ما تعلمته.

﴿ادْعُ﴾ تدعو إلى ماذا؟ ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إذا كنت تدعو فتأكد أن ما تدعو إليه هو سبيل ربك، تدعو بهذه الوسائل:

- بِالْحِكْمَةِ.
- وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَّة.
- والمجادلة بالتي هي أحسن.

**الحكمة**: هي اختيار أمثل السبل للوصول إلى المدعو، ما هي أمثل الوسائل؟ ما هي أمثل السبل؟ اختيارها هذه هي الحكمة هنا.

**أما الموعظة الحسنَّة**: فهي استعمال ما ترقِّق القلوب، المواعظ من الكتاب والسنَّة التي تجد سبيلها إلى القلوب، والعواطف، وتُرقِّق القلوب، هذه هي المواعظ، الموعظة الحسنَّة.

**المجادلة بالتي هي أحسن**: هي بإبراز الأدلة من الكتاب والسنَّة، لا بد أن تركز على الأدلة من الكتاب والسنَّة، وأيضًا تدفع الشُّبه التي قد ترِد على مكانة هذه الأدلة، وترتيب هذه الأدلة، هذا كله يدخل في المجادلة بالتي هي أحسن.

وهذا القيد المجادلة بالتي هي أحسن هي لإخراج المجادلة؛ لأن الجدال غالبًا لا يخلُ من النزاع والتدافع والخصومة، فليس هذا هو المقصود، لا بد أن تهتم بالأدلة الشرعية، تبرز مكانتها، وتدفع الشُّبه التي ترِد عليها، هذه هي المجادلة بالتي هي أحسن.

**(وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى الْكِفَايَةِ مِنْهُمْ)** ولذلك يتفاوت الناس في هذه الأمور كلها، هذه الأمور التي ذكرها المؤلف هنا كل هذه الأمور الناس يتفاوتون فيها، ولا يجب وجوبًا عينيًّا على كل واحد أن يكون على مستوى أعلى من العلماء، لا يجب، ولكن منزلتهم ومكانتهم تختلف باختلاف علمهم؛ ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[فاطر:٢٨].

**(وَأَمَّا مَا يَجِبُ عَلَى أَعْيَانِهِمْ: فَهَذَا يَتَنَوَّعُ بِتَنَوُّعِ قُدَرِهِمْ، وَحَاجَتِهِمْ، وَمَعْرِفَتِهِمْ) حاجتهم:** يُشير المؤلف هنا إلى شيء مهم؛ وهو أن ما أنتَ عليه من العبادة، فهنا يجب عليك وجوبًا عينيًّا أن تتعلم هذه العبادة، شخص مثلًا المال عنده بلغ النصاب يجب عليك أن تعلم هنا، ما وصل المال عندك النصاب ما احتجت إلى هذه الوسائل، فهنا يجب عليك.

**(وَمَعْرِفَتِهِمْ وَمَا أُمِرَ بِهِ أَعْيَانُهُمْ، وَلَا يَجِبُ عَلَى الْعَاجِزِ عَنْ سَمَاعِ بَعْضِ الْعِلْمِ أَوْ عَنْ فَهْمِ دَقِيقِهِ مَا يَجِبُ عَلَى الْقَادِرِ عَلَى ذَلِكَ)** هذا كله لبيان التفاوت.

طيب: بعض الناس يتساءلون ويقولون: أنتَ الآن يا ابن أبا العز أنت بيَّنت أهمية النصوص، وأن فيها كيت وكيت، وأن فيها الكفاية للهداية والوصول إلى اليقين، فهل في النصوص ما يفي بتوضيح هذه الأمور كلها، أو أنت كلامك هو إلقاءٌ على... هل في النصوص ما يفي بجميع ما أُريده؟

يقول: **(وَيَجِبُ عَلَى مَنْ سَمِعَ النُّصُوصَ، وَفَهِمَهَا مِنْ عِلْمِ التَّفْصِيلِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، وَيَجِبُ عَلَى الْمُفْتِي وَالْمُحَدِّثِ وَالْحَاكِمِ مَا لَا يَجِبُ عَلَى مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ عَامَّةَ مَنْ ضَلَّ فِي هَذَا الْبَابِ أَوْ عَجَزَ فِيهِ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، فَإِنَّمَا هُوَ لِتَفْرِيطِهِ فِي اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ)**.

الفقرة الأولى تابعة للفقرة السابقة؛

**الفقرة الأولى**: **(وَيَجِبُ عَلَى مَنْ سَمِعَ)** هذه الفقرة تابعة للمسألة السابقة: التفاوت في المكلَّفين في علمهم وفي مستواهم.

**الفقرة الثانية هي التي مهدت لها**: (**وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ**) علمًا يقينيًّا (**أَنَّ عَامَّةَ مَنْ ضَلَّ فِي هَذَا الْبَابِ أَوْ عَجَزَ فِيهِ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، فَإِنَّمَا هُوَ لِتَفْرِيطِهِ فِي اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ**) نعم، السؤال الذي ذكرته الجواب عليه: نعم، في النصوص ما يفي بهذا الغرض، ما تحتاج إلى غير النصوص أبدًا، فيها ما يوصلك إلى اليقين في هذا الباب، أبدًا ما تحتاج إلى غيرها.

**طيب**: لماذا اختلف الناس؟ إذا كانت النصوص واضحة بهذا الشكل فلماذا اختلف الناس؟ لماذا هذا الخلاف الطويل العريض؟ طبعًا هذا السؤال أجاب عنه المؤلف في فقراتٍ عديدة؛ لأن هذا السؤال فعلًا يرِد، وخاصةً بعدما تُبيِّن أهمية النصوص، وأن فيها كل ما تحتاج إليه فيأتي هذا السؤال؛ لماذا هذا الاختلاف؟

نعم في المختلفين مَن هم زنادقة يريد تشويه الإسلام، اندسُّوا في الإسلام للإفساد من داخله، نحن لا نتحدث عن هؤلاء، ولكن فيهم مَن هو لا نشك في إيمانه، لا نشك في إسلامه، ولا في إيمانه، مع ذلك تجده يختلف في الأصول وفي الفروع، يختلف في مسائل خطيرة تكون إجابته على هذه الأسئلة خطيرة جدًّا، لماذا؟

يقول المؤلف: السبب في هذا: هو التفريط وليس نقصًا وخللًا في النصوص، (**إِنَّمَا هُوَ لِتَفْرِيطِهِ فِي اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَتَرْكِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ الْمُوَصِّلِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ**) هذا انشغل بالنظر إلى ما لا يُوصله إلى اليقين، نعم هو نظر لكنه نظر بطريقةٍ تُبعده عن اليقين، نظر في أمورٍ تُبعده عن اليقين، استعمل في نظره وسائل تُبعده عن اليقين، هذا نظر مع أنه تعب، مسكين تعب كثيرًا.

أحدهم يقول: أستلقي وأُفكِّر في مسألة كذا وكذا إلى الفجر وما أصل إلى اليقين، سبحان الله! كيف تنظر؟ كيف تنظر وما وصلت إلى اليقين في مسألة واحدة إلى الفجر؟!، هذا الوقت لو صرفته في القرآن؛ ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾[ص:٢٩] كثير الخير ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[ص:٢٩] هذا الوقت لو صرفته في القرآن، الخير الذي جاءك كان مضاعفًا.

هذا السبب هذا واضح في واقع الطوائف المنحرفة، بمجرد أن تقرأ صفحة صفحتين بالكثير تتلمس هذا التفريط، التركيز على أمور أخرى والتفريط فيما جاء به الكتاب والسنَّة.

(**وَتَرْكِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ الْمُوَصِّلِ إِلَى مَعْرِفَتِهِ**) النظر والاستدلال عمومًا هذا مصطلح ومعناه: المعرفة العقلية أو الاجتهاد العقلي، النظر والاستدلال، والنظر أنواع أهمها نوعان:

**النوع الأول**: النظر العقلي المحض على طريقة الفلاسفة والمناطقة، ويكون باتباع القواعد المنطقية والفلسفية في التفكير، لهم إطارٌ عام للنظر، كيف تنظر؟ هكذا تنظر، كيف تنظر؟ هناك خطة للنظر تبدأ هكذا، وتتدرج هكذا، وتصل هكذا.

وهذه الخطوات كلها مدروسة عندهم:

- مقدمات ونتائج بها تصل إلى اليقين عندهم.
- ترتيب أمور معلومة للوصول إلى أمورٍ مجهولة.

كلها بطريقتهم الخاصة، هذا النظر كلما تعمقت فيه ابتعدت عن اليقين، **والدليل**: هو أصحابه، أصحاب هذا النظر فيهم من الشكوك والشبهات ما يجلُّ عن الوصف، وهم قد اعترفوا بذلك، وابن أبي العز سيذكر بعض أقوالهم، ما تحتاج أن تنظر فيما كتبوه تقريرًا وتأصيلًا وردًّا، لا اعترافاتهم واضحة في هذا، ويُخبرك عن واقعه.

**النظر الثاني**: هو النظر والاعتبار بالآيات المشاهدة في الكون والنفس، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:٥٣].

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ﴾ هذه الآية عامة وتشمل جميع العصور؛

- فالآيات التي يُشاهدها مثلًا الأعرابي في ذلك الزمن الغابر، عنده من الآيات في الآفاق وفي النفس ما تكفيه.
- الآيات في الآفاق وفي النفس التي هي في هذا العصر تكفي أيضًا في الوصول إلى اليقين.

فكل عصرٍ فيه من الآيات في الآفاق، الآفاق كل ما حولنا، ويشمل كل ما حولنا، وفي النفس في نفسك إذا تفكرت في شيء واحد مما تنطوي عليه نفسك هذا يوصلك إلى اليقين، نحن في أنفسنا من الأنظمة المعقدة التي تمضي بإذن الله إلى أجلها لا نعرفها إلى الآن، الذي اكتُشف إلى الآن شيء بسيط جدًّا مما هو خفيٌّ في ذلك، والذي اكتُشف شيء مهول، كل هذا يكفي أن تصل إلى اليقين.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ هذا النظر مطلوبٌ منا ونحن مكلَّفون به، في الكتب المحرَّفة في التوراة والإنجيل هذا النظر لا يجوز، لماذا لا يجوز؟ لأن فيه ما يخالف هذا النظر، ولذلك النظر عندهم جليّ.

هذا المؤلف الذي تحدثت عنه يذكر قصة في مقدمة كتابه، يقول: كنت أدرس ما أدري في أي مرحلة، أدرس اللاهوت في العقيدة، فمرَّ علينا أن بداية خلق الإنسان هي من أربعة آلاف سنَّة، وفي الجيل تحديد هذا خمسة آلاف وكذا وكذا سنَّة، هو ذكر أربع آلاف، يقول: قلت له: في هذه الأيام أعلنوا عن بعض الحفريات أنهم عثروا على آثار إنسان قبل عشرة آلاف سنَّة، فكيف نجمع بين هذا وهذا؟ كيف نجمع؟

يقول: قال لي الشيخ -شيخه-: أنت الآن تخلط بين أمرين:

- تخلط بين ما جاء في الكتاب المقدَّس.
- وبين هذه الأمور العلمية.

لا تخلط بينهما ولكن إذا تناقض هذان الأمران فالمقدَّم هو ما جاء في الكتاب المقدَّس، ولكن يجوز أنت تدخل في... يقول: هذا ما أقنعني، طبعًا هو ذكر في كتابه كم فيه من الأمور التي تخالف ما ثبت علميًّا.

أما في القرآن فهذا النظر نحن مكلَّفون به، وهذا النظر لن يزيدك إلا إيمانًا ويقينًا، ستجد أن كل ما أمامك... طبعًا لا أتحدث عن النظريات التي هي لا زالت في طور النظريات، لا الشيء الذي ثبت ستجد أنه لا يخالف ما جاء في القرآن إن لم تجد إشارات إلى هذا، ليس هناك شيءٌ يُخالف ما جاء في العلوم الحديثة، ولذلك هذا النظر نحن مكلفون به.

- يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[الغاشية:١٧] أليس هذا فيه أمر؟! ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[الغاشية: ١٩-٢٠].
- ويقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾[يونس:١٠١] هذه الآية ذكرها الله -عَزَّ وَجَلَّ- بعد الأمر بالإيمان، وذكر هنا هذا الأمر؛ لأنه سبيلٌ إلى الإيمان.

**من السبل إلى الإيمان**: النظر في الكون؛ لأنه يوصلك إلى اليقين، لأن هذا الكون يدل على أن هناك مدبرًا وخالقًا خلقه على هذا النظام المحكَم العجيب المتقن، كل ما تشاهده دليلك إلى الخالق،

فلذلك فهذا النظر نحن مكلَّفون به، ونحن مأمورون به، وهذا النظر يُركِّز عليه أهل السنَّة، وليس كما نجده عند المتكلمين من الكذب على أهل السنَّة أنهم يُنكرون النظر.

هم لما يذكرون عن النظر يتهمون أهل السنَّة أنهم لا يُقرِّون بالنظر، وأنهم يُخالفون النظر، وأنهم ليس عندهم نظر، لا نعم عندنا نظر، وعندنا نظر أيضًا نُنكره وهو نظركم الذي لن يوصلكم إلى اليقين، أما النظر الشرعي فهو هذا.

لذلك يقول: (**وَتَرْكِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ**) وهذا كما قلت هي المعرفة العقلية، الاجتهاد العقلي الموصل إلى معرفته، (**فَلَمَّا أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِ اللَّهِ ضَلُّوا، كَمَا قَالَ تَعَالَى**: ﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (٥٣) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى**﴾[طه: ١٢٣ - ١٢٦]).

**يقول ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-: "تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، أَنْ لَا يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يَشْقَى فِي الْآخِرَةِ ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ"**) هذا التفسير في تفسيرهم للآية تفسيرٌ للضلال والشقاء، وتأكيدٌ أيضًا لما ورد في الآية.

(**وَكَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-**) هذا الحديث، وهو حديثٌ كما ترونه طويل، هذا الحديث ضعيف، والثابت فيه من كلام ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وما ورد فيه كله صحيح، هذا الذي تجدونه لا يصح مرفوعًا، ولكنه صحيحٌ من كلام ابن عباس عن بن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

وفي الحديث الذي في أثر ابن مسعود أيضًا حصل خطأ في الصيغة، صيغة الأداء، ولكنه كما قلت: صحيحٌ عن ابن مسعود من قوله، وليس صحيحًا عنه وعن علي بن أبي طالب مرفوعًا، لا يصح، وما ورد فيه كله صحيح.

(«**إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ**» **قُلْتُ: فَمَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:** «**كِتَابُ اللَّهِ**») طبعًا هذا السؤال والجواب مرفوعًا إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- لا يصح، ولكن من هنا: «**كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ، لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ،**

«وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ» إذا تمسكت به لا تزيغ، «وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسُنُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ» صدقه مضمون «وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

**في بدايته:** «كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ» **(فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ)** كل ما ورد في القرآن من القصص ما أحتاج أقول: هي صحيحة، ولكن نقول هذا؛ لأن بعض المفتونين من المنتسبين إلى الإسلام تجد عندهم -سبحان الله- شبهات غريبة.

**أحدهم كتب مقالًا تعقيبًا على مقال، قال:** كل ما في القرآن لا يُمكننا أن نجزم به، مثلًا: قصة موسى يقول: أنا قلَّبت في التاريخ فلم أجد له ذِكرًا إلا في الكتب اليهودية، ولا يمكنني أن أُصدِّق حسب المعطيات التاريخية، والذي كتب المقال اتهمه وقال: أنت تتحدث عن خلفيةٍ دينية، وبالتالي كلامك ليس مسلَّمًا، أما أنا فأنظر في التاريخ نظرة تاريخية بحتة ولم أصل إلى نتيجة.

طبعًا هذا يذكره كثيرون، يقولون: هذا فلان عنده خلفية دينية، طيب أنت خلفيتك ماذا؟ ما عندك خلفية؟ الذي ما عنده خلفية -أعزكم الله- قوسين ونقط، الذي ما عنده خلفية، إذا كنت إنسانًا فلك خلفية، ليس بخلفية، إذا كنت أؤمن بكتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- أُتهم أن عندي خلفية دينية، نعم عندي خلفية دينية وأنا أعتز بهذه الخلفية، وهذه الخلفية هي التي ميَّزت بيني وبينك، ولكن ما هي الخلفية التي عندك؟ ما عندك أي خلفية، فإذن أنت لست إنسانًا، لا بد أن تكون عندك خلفية، ما هي هذه الخلفية؟

من بدايته إلى نهايته يتهمه بأن عنده خلفية دينية، وبالتالي لا يُسلَّم به، سبحان الله! هذا مع أنه منسوبٌ وينتسب إلى الإسلام، ومثل هذا كثير يدَّعي أنه قد تجرَّد وتجده يُقلِّد هذا الغربي وهذا الشرقي بحروفه، وأحيانًا لا يفهم أيضًا ما كتبه مثل المتكلِّمين، العلم والأحكام الذي عنده هذه أقوال للفلاسفة، أقوال لشيوخهم جعلوها معيارًا لليقين، وكما قلت: الحديث ضعيف، والثابت فيه من كلام ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

**(وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ دِينًا يَدِينُونَهُ)** أي يتعبَّدون به **(إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِدِينِهِ الَّذِي شَرَعَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-)** لا زال المؤلف يؤكد أن الطريق إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-

واحد، وهو منحصرٌ في الأنبياء والرسل، ونحن أمة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- الطريق إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- منحصرٌ في اتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

وكما يقول ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ-:

**فلواحدٍ كُنْ واحدًا في واحدٍ أعني سبيل الحق والإيمانِ**

(**فلواحدٍ كُنْ واحدًا**) في إرادتك، لا تقصد فعلًا، (**في واحدٍ**) أي في طريقٍ واحد، عندك مصدرٌ واحد، هذا المصدر الوحيد الذي تصل إلى ذلك الواحد، وكما يقول ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ-:

- توحيد المرسِل.
- وتوحيد المرسَل.

**(وَقَدْ نَزَّهَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْعِبَادُ، إِلَّا مَا وَصَفَهُ بِهِ الْمُرْسَلُونَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]) في هذه السورة ذكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- بعض ما يصفه به عباده، أو بعض ما يصفه به الناس؛

- من ذلك: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[الصافات:١٥٨].
- ومن ذلك: أن الملائكة بنات الله.
- ومن ذلك: أن بعض مخلوقاته أشد من الله -عَزَّ وَجَلَّ- أو مما يخلقه الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

بعد هذا كله قال الله -عَزَّ وَجَلَّ- في نهايات، طبعًا هذه نهاية السورة، قبلها يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[الصافات: ١٥٩-١٦٠] في هذه الآية ردٌّ على جميع الطوائف المنحرفة، والله -عَزَّ وَجَلَّ- منَزَّهٌ عما يصفه به غير المؤمنين وغير المخلصين، هذا الذي أكَّده في نهاية هذه السورة، فما تجدونه من الوصف له في كتب الملل والنِحل، كتب اليهود والنصارى، وغيرهم من البوذية والهندوسية والسيخية، وغيرهم من المجوس، تشمله هذه الآية:

- ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الصافات:١٥٩] الله -عَزَّ وَجَلَّ- يجب أن تُنزِّهه عما يصفه هؤلاء كلهم بدون استثناء.

- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[الصافات:١٦٠] إلا أولئك الذين هم عباده، والذين هم مخلَصون ومخلِصون، الله -عَزَّ وَجَلَّ- أخلَصهم لعبادته، وهم مخلِصون في عبادته.

وصف أولئك هو الذي يُثني عليه الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وكما قال هنا أيضًا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الصافات: ١٨٠] كما قلت لكم: هذه الآية في هذه السورة ذكر فيها الله -عَزَّ وَجَلَّ- بعض ما يصفه به الناس، فأكَّد على هذا المعنى في نهاية السورة؛ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

**أولًا**: كما ذكرت في البداية في هذه الآيات جمعٌ بين التحميد والتسبيح، وهذا كثير في القرآن الجمعُ بين التحميد والتسبيح؛ لأن التسبيح تنزيه، والتنزيه لا يكون إلا بعد إثبات الصفات، فمن ليس له صفات تُنزهه عن ماذا؟ هذا تُنزهه عن ماذا؟! تُنزهه عن الظلم، تُنزهه عن الكذب، تُنزهه عن ماذا؟ هذه الطاولة هذه تُنزهه عن ماذا؟! الذي لا صفة له، بل ليس داخلًا في العالم، وليس خارجًا عن العالم، وليس محايثًا له، وليس مداخلًا له، تُنزهه عن ماذا؟!

فالتنزيه في القرآن مقرونٌ بالتحميد، والتحميد فيه إثبات، أنت تثبت الكمالات التي أثبتها الله -عَزَّ وَجَلَّ- لنفسه وهذا هو الحمد، الحمد هو الثناء على المحمود بذِكر أوصاف كماله وإلا لا يكون حمدًا، الحمد لا بد فيه من ذِكر الصفات، ما هي تلك الصفات التي تثبتها؟ تتقيد بالكتاب والسنَّة، الذي ورد في الكتاب والسنَّة تثبته وهذا هو الحمد، وتُنزهه عما لا يليق به، وهناك تلازم بين التسبيح والتحميد، هذا أولًا.

**ثانيًا**: الله -عَزَّ وَجَلَّ- هنا سلَّم على المرسلين، وأثنى هناك على عباده المؤمنين، ووصفهم بأنهم مخلَصون لماذا؟ لأن وصفهم ليس إلا ما يليق بالله -عَزَّ وَجَلَّ-، لا يصفونه إلا بالكمالات التي تليق به -جلَّ في علاه-.

لذلك (**ثُمَّ سَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ لِسَلَامَةِ مَا وَصَفُوهُ بِهِ مِنَ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ**) مِن هذه ترجع إلى السلامة، (**لِسَلَامَةِ مَا وَصَفُوهُ بِهِ مِنَ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ**) طبعًا هم ما يصفون بالنقائص والعيوب وإنما وصفوه سالمًا من النقائص والعيوب، (**ثُمَّ حَمِدَ نَفْسَهُ عَلَى تَفَرُّدِهِ بِالْأَوْصَافِ الَّتِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا كَمَالَ الْحَمْدِ**) يريد ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- أن يُبيِّن هنا مثالًا واضحًا للاكتفاء بالوحي؛ لأن واقع

المتكلمين وغيرهم يدل على أن الأمة الإسلامية كما يقولون: تسعة وتسعين فاصلة تسعة وتسعين؛ إما أشاعرة أو صوفية، ما يستثنون أحد، فمن الذي على هذا المنهج يا ابن أبي العز، مَن؟

يريد أن يبيِّن أن الاكتفاء بالوحي من الكتاب والسنَّة هذا منهج الصحابة ومن تبعهم إلى يومك هذا، ودعك من ذلك الكذب، وقد ناقشه الشيخ ابن عثيمين في نهاية [القواعد المثلى]، يقولون: أنهم يُمثِلون كيت وكيت ناقشهم هناك.

يقول: **(وَمَضَى عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّسُولُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– خَيْرُ الْقُرُونِ)** هذا تطبيق عملي **(–وَهُمُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ– يُوصِي بِهِ الْأَوَّلُ الْآخِرَ وَيَقْتَدِي فِيهِ اللَّاحِقُ بِالسَّابِقِ)** لماذا؟ لأهميته، هذا الأمر عندهم مهم جدًّا، فلذلك هذا التواصي بينهم، **(وَهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِنَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مُقْتَدُونَ، وَعَلَى مِنْهَاجِهِ سَالِكُونَ، كَمَا قَالَ سبحانه فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾[يوسف: ١٠٨])** إذا أردت أن تنظر إلى سبيل النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– فهي الدعوة، ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ هذه تأكيد لكون هذا واجبًا، وهذا الواجب يتفاوت، ولكنه واجبًا على الجميع.

– ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾[يوسف: ١٠٨] هذه قراءة؛ ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف: ١٠٨] تقف هنا ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف: ١٠٨] هكذا.

– قراءة أخرى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف: ١٠٨] هذا الذي وضحه الشارح هنا؛ إما أن تقف عند قوله: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ أو لا تقف، ويختلف المعنى بالوقف أو بعدم الوقف.

**البصيرة تشمل:**

– العلم بما تدعو إليه.

– والعلم بحال المدعو.

– والعلم بالسبيل الموصل إليه.

البصيرة تشمل الأمور الثلاثة؛ العلم بما تدعو إليه: إذا كنت جاهلًا بشيء لا تدعو إليه، كيف تدعو إلى شيء تجهله؟! البصيرة هذه تشمل كما قلت:

- العلم بما تدعو إليه.
- والعلم بحال المدعو.
- والعلم بالسبيل والطريق الموصل لدعوته.

من هذا الباب قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- لمعاذ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلِ الْكِتَابِ» يُعرِّفهم لهم حتى يكونوا على علمٍ، المدعو إذا كان من أهل الكتاب تستعد له، إذا كان من المجوس أيضًا تستعد له، إذا كان من كيت وكيت تستعد له، لا بد أن تعرف وضعه حتى تكون دعوتك بالسبيل وبالطريقة التي تناسب وضع المدعو، البصيرة كما قلت تشمل هذه الأمور الثلاثة.

نحن الآن نجد كثيرًا من الناس يدعو إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-، حتى الكنائس تدعو إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ- ، والمنحرفون يدعون إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-، والمعتزلة لهم أصلٌ للدعوة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ركن من أركان إيمانهم وأصلٌ من أصولهم الخمسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم يفتخرون بهذا الأصل، وهذا أصل عندنا أيضًا، ولكن عندهم هذا أصل من الأصول الخمسة، ولكن معروفهم قد يكون منكرًا، ومنكرهم قد يكون واجبًا.

**فمثلًا**: أول ما يدعون إليه التوحيد والتوحيد عندهم تعطيل، ويجب أن يدعو المعتزلي إلى هذا التعطيل، يجب عليه، إذن يختلف المعروف والمنكر عندهم وعند أهل السنَّة، ولكن الذي يهمنا هنا والذي أريد أن أشير إليه: هذه الدعوة ولكنها ليست على بصيرة، ليست على بصيرة في الأمر الأول: وهو العلم بما تدعو إليه.

هناك جماعاتٌ الآن خاصة بالدعوة، أليس كذلك؟ ولكن للأسف الشديد عندهم قصور كبير جدًّا في هذا الباب، وحتى تكون دعوتك مبنيةً على الكتاب والسنَّة ونافعةً، وتكون الدعوة إلى سبيل ربك لا بد من هذه الأمور الثلاثة.

يقول: (**فَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ مَعْطُوفًا عَلَى الضَّمِيرِ فِي أَدْعُو؛ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَتْبَاعَهُ هُمُ الدُّعَاةُ إِلَى اللَّهِ**) وهكذا لا تقف (**وَإِنْ كَانَ مَعْطُوفًا عَلَى الضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ**) أدعو إلى الله (أنا) الضمير المنفصل، (**إِنْ كَانَ مَعْطُوفًا عَلَى الضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ فَهُوَ صَرِيحٌ أَنَّ أَتْبَاعَهُ هُمْ أَهْلُ الْبَصِيرَةِ فِيمَا جَاءَ بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَكِلَا الْمَعْنَيَيْنِ حَقٌّ**).

**على المعنى الأول**: لا يكون الوقوف عند قوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لا تقف، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف: ١٠٨] لا تقف.

**على المعنى الثاني**: تقِف هنا؛ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ هنا تقف، ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[يوسف: ١٠٨].

**في المعنى الأول**: معناه يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ- ويأمر نبيه أن يقول: أن سبيله الدعوة إلى الله على بصيرة هو ومَن اتبعه.

**وفي المعنى الثاني**: أن سبيله هو الدعوة، وأنه هو ومن اتبعه هم فقط أهل بصيرة.

حصر البصيرة فيه وفيمن تبعه، معنًى جليل وكلاهما صحيح، كلا المعنيين كما قال المؤلف صحيح.

يقول ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ-: هذا القول ذكره المحقق في الهامش، يقول: "والقولان متلازمان، فلا يكون الرجل من أتباعه من أتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- حقًا حتى يدعو إلى ما دعا إليه، ويكون على بصيرة، والقول الأول وهو قول الفرَّاء أحسن وأقرب إلى الفصاحة والبلاغة" يقصد القول الثاني الذي عندنا، على كل حال هذا بالنظر إلى اختلاف المرجِع والعطف.

من هنا من قوله: **(وَقَدْ بَلَّغَ الرَّسُولُ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ)** من هنا يتدرج المؤلف للوصول إلى أهمية شرحه هو، يعني هذا مدخل لبيان أهمية هذا الشرح الذي ندرسه ونتدارسه، وأن هذا الشرح جاء لسدِّ ثغرةٍ حصلت بسبب البُعد عن الوحي؛

- تستطيع أن تقول: هذه أهمية الكتاب الأصل.
- وتستطيع أن تقول: أهمية الشرح.

ويشمل الأمرين؛ لأنه سيأتي الإشادة بالمتن، وهذه الإشادة تشمل الشرح أيضًا.

**(وَقَدْ بَلَّغَ الرَّسُولُ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ، وَأَوْضَحَ الْحُجَّةَ لِلْمُسْتَبْصِرِينَ)** مَن أولئك المستبصرون؟ أولئك المستبصرون هم الذين يبحثون عن الحق في الكتاب والسنَّة، **(وَأَوْضَحَ الْحُجَّةَ لِلْمُسْتَبْصِرِينَ)** لا يأتي شخص ويقول: هذه الحجة ليست واضحة عندي، هي واضحة نعم، لكنها واضحة للمستبصرين الذين يبحثون عن الحق في الكتاب وفي السنَّة، لماذا يبحثون عن الحق في الكتاب والسنَّة؟ لأنهم يعلمون أن الحق ليس إلا هناك.

**وهذا الذي ذكره لا يختلف فيه نظريًّا أحد**؛ الجميع يقولون: أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بلَّغ البلاغ المبين، الجميع يقولون: نظريًّا أن الحُجَّة واضحة، ولكن من هنا يكون استدراك الجميع، نعم الحجة واضحة ولكن هذا نظريًّا.

**ولكن عمليًّا** جميع الفِرَق بدون استثناء عندها خلل في هذا الذي ذكره المؤلف، لا أحد يؤمن به عمليًّا على التفصيل أبدًا، كل من آمن به بالتفصيل لن تجد عنده بدع، وخاصة بِدَع منهجية يدعو إليها، لن تجد، قد يكون هناك خطأ، يقع في خطأ، هذا لا أحد معصوم منه، ولكن يبتدع بدعةً ويدعو إليها لن تجد هذا عند من يؤمن بهذا بالتفصيل أبدًا.

وكل ما تجده عند الفِرَق من القواعد والأصول التي يتدارسون بها ضد الكتاب والسنَّة، فهذا كله استدراك على بلاغ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، واستدراك على حججه وبيِّناته، وإلا إذا كان ما بلَّغه واضحًا، إذا كان ما بلَّغه كافيًا فما حاجتي إلى القانون الكلي الذي وضعه الرازي، وإلى الوَجْد والكشف الذي يأتي به؟ ما حاجتي إلى هذين؟ هل أحتاج إليهم؟ ما أحتاج إليهم، لماذا وضعه هؤلاء؟ لأن عندهم خلل في هذا، واضح يا مشايخ.

- نظريًّا لا يُخالفون.
- ولكن عمليًّا جميع المبتدعة بدون استثناء على تفاوتٍ بينهم عندهم خلل في هذا.

هذا الكلام لا يمكن أن يقوله بملء فمه إلا أهل السنَّة والجماعة.

**(وَسَلَكَ سَبِيلَهُ خَيْرُ الْقُرُونِ، ثُمَّ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ)** هذا سبب من أسباب التفرُّق، **(اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ)** والهوى يختلف اسمه باختلاف النِحَل؛

- هذا الهوى اسمه عند المتكلمين "عقل"، عقليات، قطعيات.
- هذا الهوى عند الصوفية "وَجْد، وكشف".
- هذا الهوى عند بعضهم "الإمام المعصوم".
- هذا الهوى عند بعضهم "الفلسفة".

وهذه كله صور للهوى، ليست هي قطعيات، وليست هي يقينيات، هذه كله تخرُّصات وضلالات.

(**وَافْتَرَقُوا، فَأَقَامَ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ يَحْفَظُ عَلَيْهَا أُصُولَ دِينِهَا**) طبعًا هذا الافتراق أشار إليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في حديث الافتراق، وحديث الافتراق حديثٌ صحيح رُوي عن أكثر من خمسة عشر صحابيًّا، أو تقريبًا ثمانية عشر صحابيًّا، وصحَّ عن ستةٍ منهم، وصحَّ أو حسُن عن ستةٍ منهم، وبعضهم يعدُّه متواترًا.

**على كل حال**؛ الحديث صحيح، وذكر فيه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-:

- وقوع الافتراق.
- وأسباب الافتراق.
- والعصمة من الافتراق.

هذا كله أنت لما تجمع بين ألفاظ الحديث تجد فيه إخباره عن وقوع الافتراق، وهذا من المعجزات، النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أشار إلى شيءٍ وقع؛ «**سَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الأُمَّةِ**».

أحد من كتب وله كتابات في الفِرَق دكتور عبد الرحمن بدوي، سبحان الله! بعض الأمور تُضحك- يقول: مما يدل على أن هذا الحديث موضوع حديث الافتراق، أنه ليس بإمكان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أن يتنبأ بأمورٍ مستقبلية، ليس بإمكان النبي أن يتنبأ بأمورٍ مستقبلية، سبحان الله! ولذلك هذا الحديث موضوع.

طيب: هذا نبي، أنت لم تُعبِّر أيضًا برسول، قلت: النبي، والنبي من النَبْوَةِ، ومن النُبُوءَةِ، وكلا المعنيين صحيح، فهو يُوحَى إليه، والحديث كما قلت: صحيح، وأحد الإخوة له رسالة علمية في هذا الحديث، وهو في مجلدين مطبوع.

(**فَأَقَامَ اللَّهُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ يَحْفَظُ عَلَيْهَا أُصُولَ دِينِهَا، كَمَا أَخْبَرَ الصَّادِقُ بِقَوْلِهِ**: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ**») سيكونون ظاهرين على الحق، وسيكون هناك من يُخذِّلهم، ويُخالفهم، ويُعاديهم، ولكن هذا كله لن يضرهم، هذا فيه بشارة لمن كان على الحق، لا تأبه بما يُكتَب عنك، ويُلفَّق عليك، وتُتَّهم به؛ لأن كل طائفة تخالف شيئًا من الحق ستتهمك بشيء، كل طائفة، أعداؤك كُثُر، وكما يقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «**لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ**» لا يضرهم شيءٌ من هذا، والله أعلم، وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، إن شاء الله نستمر بعد الصلاة.

* * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد...**

يُبيِّن ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- فيما ستأتي من الفترات أهمية هذا المتن الذي شرحه، فيما سيُعرِّج إلى أهمية شرحه من بين الشروح.

قال -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(وَمِمَّنْ قَامَ بِهَذَا الْحَقِّ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ: الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامَةَ الْأَزْدِيُّ الطَّحَاوِيُّ -تَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ- بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ، فَإِنَّ مَوْلِدَهُ سنَّة تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَوَفَاتُهُ سنَّة إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ.

فَأَخْبَرَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ، وَنَقَلَ عَنِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الْكُوفِيِّ، وَصَاحِبَيْهِ:

- أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحِمْيَرِيِّ الْأَنْصَارِيِّ.
- وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ.

-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- مَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

وَكُلَّمَا بَعُدَ الْعَهْدُ ظَهَرَتِ الْبِدَعُ، وَكَثُرَ التَّحْرِيفُ الَّذِي سَمَّاهُ أَهْلُهُ تَأْوِيلًا لِيُقْبَلَ، وَقَلَّ مَنْ يَهْتَدِي إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلِ؛ إِذْ قَدْ سُمِّيَ صَرْفُ الْكَلَامِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَعْنًى آخَرَ يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ فِي الْجُمْلَةِ تَأْوِيلًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ قَرِينَةٌ تُوجِبُ ذَلِكَ، وَمِنْ هُنَا حَصَلَ الْفَسَادُ، فَإِذَا سَمَّوْهُ تَأْوِيلًا قُبِلَ وَرَاجَ عَلَى مَنْ لَا يَهْتَدِي إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا.

فَاحْتَاجَ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى إِيضَاحِ الْأَدِلَّةِ، وَدَفْعِ الشُّبَهِ الْوَارِدَةِ عَلَيْهَا، وَكَثُرَ الْكَلَامُ وَالشَّغَبُ، وَسَبَبُ ذَلِكَ إِصْغَاؤُهُمْ إِلَى شُبَهِ الْمُبْطِلِينَ، وَخَوْضُهُمْ فِي الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، الَّذِي عَابَهُ السَّلَفُ، وَنَهَوْا عَنِ النَّظَرِ فِيهِ وَالِاشْتِغَالِ بِهِ وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ، امْتِثَالًا لِأَمْرِ رَبِّهِمْ، حَيْثُ قَالَ: ﴿وَإِذَا

رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[الأنعام: ٦٨] فَإِنَّ مَعْنَى الْآيَةِ يَشْمَلُهُمْ.

وَكُلٌّ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالِانْحِرَافِ عَلَى مَرَاتِبَ:

- فَقَدْ يَكُونُ كُفْرًا.
- وَقَدْ يَكُونُ فِسْقًا.
- وَقَدْ يَكُونُ مَعْصِيَةً.
- وَقَدْ يَكُونُ خَطَأً.

فَالْوَاجِبُ اتِّبَاعُ الْمُرْسَلِينَ، وَاتِّبَاعُ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. وَقَدْ خَتَمَهُمُ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَجَعَلَهُ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ، وَجَعَلَ كِتَابَهُ مُهَيْمِنًا عَلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ كُتُبِ السَّمَاءِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَجَعَلَ دَعْوَتَهُ عَامَّةً لِجَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَانْقَطَعَتْ بِهِ حُجَّةُ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ.

وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ بِهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَكْمَلَ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ الدِّينَ خَبَرًا وَأَمْرًا، وَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَةً لَهُ، وَمَعْصِيَتَهُ مَعْصِيَةً لَهُ، وَأَقْسَمَ بِنَفْسِهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوهُ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى غَيْرِهِ، وَأَنَّهُمْ إِذَا دَعَوْا إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ -وَهُوَ الدُّعَاءُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسنَّة رَسُولِهِ- صَدُّوا صُدُودًا، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا أَرَادُوا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا.

وَكَمَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمَةِ وَالْمُتَفَلْسِفَةِ وَغَيْرِهِمْ: إِنَّمَا نُرِيدُ أَنْ نَحُسَّ الْأَشْيَاءَ بِحَقِيقَتِهَا، أَيْ: نُدْرِكَهَا وَنَعْرِفَهَا، وَنُرِيدُ التَّوْفِيقَ بَيْنَ الدَّلَائِلِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا الْعَقْلِيَّاتِ، -وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ: جَهْلِيَّاتٌ- وَبَيْنَ الدَّلَائِلِ النَّقْلِيَّةِ الْمَنْقُولَةِ عَنِ الرَّسُولِ، أَوْ نُرِيدُ التَّوْفِيقَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْفَلْسَفَةِ.

وَكَمَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ، مِنَ الْمُتَنَسِّكَةِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ: إِنَّمَا نُرِيدُ الْأَعْمَالَ بِالْعَمَلِ الْحَسَنِ، وَالتَّوْفِيقَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَبَيْنَ مَا يَدْعُونَهُ مِنَ الْبَاطِلِ، الَّذِي يُسَمُّونَهُ: حَقَائِقَ وَهِيَ جَهْلٌ وَضَلَالٌ.

وَكَمَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَمَلِّكَةِ وَالْمُتَأَمِّرَةِ: إِنَّمَا نُرِيدُ الْإِحْسَانَ بِالسِّيَاسَةِ الْحَسَنَةِ، وَالتَّوْفِيقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الشَّرِيعَةِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَكُلُّ مَنْ طَلَبَ أَنْ يُحَكِّمَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ غَيْرَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَيَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ حَسَنٌ، وَأَنَّ ذَلِكَ جَمْعٌ بَيْنَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَبَيْنَ مَا يُخَالِفُهُ؛ فَلَهُ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ مَا جَاءَ

بِهِ الرَّسُولُ كَافٍ كَامِلٌ، يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ حَقٍّ، وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّقْصِيرُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَعْلَمُوا مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْكَلَامِيَّةِ الِاعْتِقَادِيَّةِ، وَلَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ الْعِبَادِيَّةِ، وَلَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْإِمَارَةِ السِّيَاسِيَّةِ، أَوْ نَسَبُوا إِلَى شَرِيعَةِ الرَّسُولِ، بِظَنِّهِمْ وَتَقْلِيدِهِمْ مَا لَيْسَ مِنْهَا، وَأَخْرَجُوا عَنْهَا كَثِيرًا مِمَّا هُوَ مِنْهَا؛ فَبِسَبَبِ جَهْلِ هَؤُلَاءِ وَضَلَالِهِمْ وَتَفْرِيطِهِمْ، وَبِسَبَبِ عُدْوَانِ أُولَئِكَ وَجَهْلِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ، كَثُرَ النِّفَاقُ، وَدَرَسَ كَثِيرٌ مِنْ عِلْمِ الرِّسَالَةِ.

بَلِ الْبَحْثُ التَّامُّ، وَالنَّظَرُ الْقَوِيُّ، وَالِاجْتِهَادُ الْكَامِلُ، فِيمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِيُعْلَمَ وَيُعْتَقَدَ، وَيُعْمَلَ بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَيَكُونَ قَدْ تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَأَنْ لَا يُهْمَلَ مِنْهُ شَيْءٌ.

وَإِنْ كَانَ الْعَبْدُ عَاجِزًا عَنْ مَعْرِفَةِ بَعْضِ ذَلِكَ، أَوِ الْعَمَلِ بِهِ، فَلَا يَنْهَى عَمَّا عَجَزَ عَنْهُ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، بَلْ حَسْبُهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْهُ اللَّوْمُ لِعَجْزِهِ، لَكِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَفْرَحَ بِقِيَامِ غَيْرِهِ بِهِ، وَيَرْضَى بِذَلِكَ، وَيَوَدَّ أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِهِ، وَأَنْ لَا يُؤْمِنَ بِبَعْضِهِ وَيَتْرُكَ بَعْضَهُ، بَلْ يُؤْمِنُ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، وَأَنْ يُصَانَ عَنْ أَنْ يُدْخِلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، مِنْ رِوَايَةٍ أَوْ رَأْيٍ، أَوْ يَتَّبِعَ مَا لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، اعْتِقَادًا أَوْ عَمَلًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٤٢]).

(الشرح)

يقول الشارح –رَحِمَهُ اللهُ–: (**وَمِمَّنْ قَامَ بِهَذَا الْحَقِّ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ**) هذا الحق هو بيان وتوضيح أصول الدين بما جاء في الكتاب والسنَّة، هذا الحق الذي حصل فيه ما حصل من تفريط الفِرَق ووقوعهم في البِدَع، وما حصل فيه من الخلط واللبس، قام كثيرٌ من الأئمة –أئمة المسلمين– قام بهذا الواجب، ومنهم واجب الدفاع عن الكتاب والسنَّة، وتوضيح مسائل العقيدة.

منهم: (**الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامَةَ الْأَزْدِيُّ الطَّحَاوِيُّ**) ذكرت نُبذة من ترجمته في بداءة الدرس، والطحاوي نسبةً إلى "طحا"، وهذه لا زالت تُسمى بهذا الاسم في الصعيد في مصر، يُسمونها الآن "طحا الأعمدة"، (**–تَغَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ– بَعْدَ الْمِائَتَيْنِ، فَإِنَّ مَوْلِدَهُ سَنَةَ تِسْعٍ وَثَلَاثِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَوَفَاتُهُ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ**).

**يقول: منهم الإمام الطحاوي، ما الذي فعل؟**

(**فَأَخْبَرَ –رَحِمَهُ اللَّهُ– عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ**) لأن الطحاوي في بداية رسالته يقول: (هذه عقيدة أهل السنَّة) أهل السنَّة هم السلف، ثم قيَّد أهل السنَّة ببعض الأئمة سيأتي التعليق على كلامه في بداية المتن. (**عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ**) كما قلت: لأنه عبَّر في بداية عقيدته أن هذه عقيدة أهل السنَّة والجماعة، وأهل السنَّة والجماعة هم على مذهب السلف، وهذه أسماء لمسمًّى واحد وهم أهل السنَّة والجماعة.

(**وَنَقَلَ عَنِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الْكُوفِيِّ، وَصَاحِبَيْهِ: أَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحِمْيَرِيِّ الْأَنْصَارِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ– مَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ**).

هذا التقييد تقييد عقيدة أهل السنَّة بهؤلاء الأعلام هو لهدف، وهو:

- أنه يريد أن يُدافع أولًا عن العقيدة الصحيحة.
- وثانيًا: يريد أن يدافع عن مذهبه.

هذا المذهب الذي ادَّعاه كثيرٌ من المحرفين يرون أنهم على مذهب أبي حنيفة وهم ليسوا على مذهبه، ويريد أن يُبيِّن أن مذهب أبي حنيفة وصاحبيه هو مذهب أهل السنَّة، هكذا يدَّعيه الطحاوي –رَحِمَهُ اللهُ– وهو صادقٌ في دعواه، ولم يُخالف إلا في بعض المسائل، أبرزها: مسألة الإيمان، وهناك مسائل تتعلق بالصفات، وإلا هو في مجمله كما ذكرت على مذهب أهل السنَّة والجماعة.

- أبو حنيفة –رَحِمَهُ اللهُ– توفي سنَّة مئة وخمسين، وهو أول الأئمة الأربعة زمنًا.
- يليه الإمام مالك توفي سنَّة مئة وتسعة وسبعين.
- يليه تلميذه الشافعي توفي سنَّة مئتين وأربعة.
- يليه تلميذه الإمام أحمد توفي سنَّة مئتين وواحد وأربعين.

**هؤلاء الثلاثة هم: مالك، تلميذه الشافعي، تلميذه أحمد** يُمثلون مدرسة واحدة، مدرستهم مدرسة المحدِّثين، مدرسة أهل الحديث، يُمثِّلون هذه المدرسة في الأصول وفي الفروع، ولذلك تجدون أن الخلافات بينهم قليلة جدًّا وخاصةً في الأصول.

**أما الإمام أبو حنيفة** فهو يُمثِّل مدرسة سميت بمدرسة أهل الرأي، ليس لأنه لا يعتمد على الأثر والحديث، ولكن لكثرة اعتمادهم على الرأي الذي يعتبرونه قياسًا واجتهادًا واستنباطًا من النصوص،

ولكن هذا غلب عليهم، وغلب عليهم فقه الافتراضات، لو حصل كيت وكيت فيكون حكمه كيت وكيت، الفقه الافتراضي.

ولذلك المحدِّثون عمومًا كان لهم موقف من هذه المدرسة، مع أن الإمام أبو حنيفة هو على مذهب أهل السنَّة في الاعتقاد، باستثناء قوله في الإيمان، وإلا هو على مذهب أهل السنَّة بل هو من أئمتهم، ولا خلاف بين الأئمة الأربعة في الأصول في الاعتقاد، لا خلاف بينهم.

**أما أبو يوسف** فهو أشهر وأكبر أصحابه وتلاميذه، وعُرِف -رَحِمَهُ اللهُ- بالجمع بين الفقه والحديث، وله كتب بعضها مطبوع؛ منها: كتابه [الخرَاج]، وكان قاضي القضاة -إن صحَّ هذا التعبير- في وقته، وكان يُعيِّن القضاة الذين على مذهبه، وهذا من أسباب انتشار المذهب الحنفي مبكرًا.

**ومن أولئك: ابن أبي عمران** هذا الذي أرسله، طبعًا هو في عصرٍ متأخر، وهذا استمر زمنًا، الذي أرسلوه إلى مصر مع أن مصر كان فيها المذهب لمالك، ومذهب مالك هو المنتشر هناك إلى أن ذهب إليهم تلميذ مالك الإمام الشافعي، والإمام الشافعي هو تلميذ مالك ولكنه مجتهد يُخالفه ويوافقه حسب الأدلة.

صار أيضًا وجود للإمام الشافعي ومذهبه، ولكن الأحناف لم يكن لهم وجود إلا عن طريق هؤلاء الأئمة، ومن طريقه تمذهب الإمام الطحاوي مذهب الإمام أبي حنيفة. أبو يوسف توفي سنَّة مئة وواحد وثمانين على ما أذكر.

**ومحمد بن الحسن الشيباني**: نسيت متى توفي، ومحمد بن الحسن كان تلميذ مالك، درس على الإمام مالك، وكان زميل الشافعي في التتلمذ على مالك مع أنه أكبر منه، الإمام الشافعي أخذ منه أيضًا. والإمام الشافعي هو ذلك الإمام الذي تضلَّع في طريقة المذهبين، ولذلك كان -رَحِمَهُ اللهُ- في مواجهته لغير أهل الحديث لأهل الرأي وغيرهم، كان أقوى شخص في ذلك العصر الإمام الشافعي.

يقول: فأخبر -رَحِمَهُ اللهُ- عما كان عليه السلف، ونقل عن الإمام أبو حنيفة وغيرهم **(مَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ)** يريد أن يقول: أن تقييده لمذهب أهل السنَّة ها هنا هو من باب الإخبار وليس من باب التقييد، وأنه ليس من باب الحصر، ليس معناه أن أهل السنَّة لهم طرق، ولهم فروع، ولهم مذاهب منهم مذهب هؤلاء الثلاثة، لا يريد أن يقول الإمام الطحاوي: أن أهل السنَّة هذه عقيدتهم، ومن أهل السنَّة هؤلاء، وممن عمِل بأهل السنَّة وكان على عقيدة أهل السنَّة هم هؤلاء.

(**مَا كَانُوا يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ**) رجع ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- هنا إلى بيان أسباب ظهور البدع؛ لأنه سيُمهِّد للرد على علم الكلام؛ لأن هذه المقدمة إذا خلَت عن الرد على المتكلمين وعلى علم الكلام فسيكون فيها خلل، علم الكلام هو العلم الذي أفسد في هذا الباب، والمتكلمون هم أبرز المنحرفين في هذا الباب، ولذلك لا بد من الرد على المتكلمين وعلى علمهم بالتنصيص.

لذلك هنا يذكر أسباب ظهور البدع، طبعًا من البدع: تلك البدع التي سيتحدث عنها بدعة المتكلمين، ذكر هنا سببين:

**السبب الأول**: بَعُدَ الْعَهْدُ.

**والسبب الثاني**: كثرة التحريف، أو وجود أصولٍ زعموا أنها لفَهم الكتاب والسنَّة مع أنها للصدِّ عن الكتاب والسنَّة، وهو التحريف الذي سموه تأويلًا.

(**وَكُلَّمَا بَعُدَ الْعَهْدُ ظَهَرَتِ الْبِدَعُ**) إذن من أسباب ظهور البدع: بُعد العهد، (**بَعُدَ الْعَهْدُ**) أي العهد من النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومن الصحابة، (**ظَهَرَتِ الْبِدَعُ، وَكَثُرَ التَّحْرِيفُ الَّذِي سَمَّاهُ أَهْلُهُ تَأْوِيلًا لِيُقْبَلَ**) هو لم يقل: كثُر التأويل الذي هو في حقيقته تحريف مع أن المؤدَّى واحد، ولكن التعبير الذي عبَّر به أكثر تأكيدًا وجزمًا، هذا هو الصحيح، (**وَكَثُرَ التَّحْرِيفُ الَّذِي سَمَّاهُ أَهْلُهُ تَأْوِيلًا لِيُقْبَلَ**) هذا الذي يُسمونه تأويلًا، وهذا الذي ملأوا به كتبهم، وهذا في الحقيقة تحريف، والتحريف:

- منه معنوي.
- ومنه لفظي.

والتحريف الموجود في كتبهم هو التحريف المعنوي مع محاولات بعضهم للتحريف اللفظي أيضًا.

(**كَثُرَ التَّحْرِيفُ الَّذِي سَمَّاهُ أَهْلُهُ تَأْوِيلًا**) لماذا سموه تأويلًا؟ (**لِيُقْبَلَ**)؛ لأن التأويل كما سيذكر في مجمله مصطلح موجود يستعمله العلماء عمومًا "تأويل"، وبما أن هناك تقارُب بين التحريف والتأويل وهذا التقارب ليس بالنظر إلى النتيجة وإنما بالنظر إلى الصرف، لذلك سموه تأويلًا.

(**وَقَلَّ مَنْ يَهْتَدِي إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلِ**) التحريف والتأويل كلاهما يجتمعان في الصرف، صرف المعنى؛

- التحريف فيه صرف المعنى.

- والتأويل فيه صرف المعنى.

**(إِذْ قَدْ سُمِّيَ صَرْفُ الْكَلَامِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَعْنًى آخَرَ يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ فِي الْجُمْلَةِ تَأْوِيلًا)** صَرْفُ الْكَلَامِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَعْنًى آخَرَ يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ هذا سُمِّي تأويلًا، التأويل الصحيح، طبعًا التأويل:

- منه ما هو فاسد.
- ومنه ما هو مقبول.

**التأويل المقبول** هو التفسير، ولا ينبغي أن نسميه تأويلًا الآن؛ لأن هذا مصطلح صار معروفًا، ولكنه عمومًا التأويل:

- منه ما هو صحيح.
- ومنه ما هو باطل وفاسد.
- هناك ظاهر.
- وهناك ما هو ليس بظاهر.

التأويل يكون إذا كان هناك ظاهر وهناك غيره، ولكن يجب أن تصرف إلى غير الظاهر لدليل، واللفظ يحتمل المعنيين، وهذا الصرف إذا كان لدليل فهو تفسير، هذا لا غبار عليه، وهذا يجوز إذا كان لدليل، وإذا كان لقرينةٍ صارفةٍ والقرينة واضحة فهذا تأويلٌ صحيح، وهذا التأويل هو التفسير، والتأويل سيأتي في كلام ابن أبي العز أنه له ثلاثة معاني.

**من المعاني**: التأويل بمعنى التفسير، وهذا تجده في كتب التفسير، مثلًا: في تفسير ابن جرير تأويل قوله تعالى كيت وكيت، التأويل هنا بمعنى التفسير.

ولكن التأويل الذي يكون فيه الصرف دون الاعتماد على دليل هذا تحريف، أو يكون الاعتماد على دليلٍ ضعيف هذا تحريف، والتأويل كما سيأتي في كلام المؤلف له مراتب، ولكنه كله لا يخرج عن هذا؛

- إما لا يكون الاعتماد فيه على دليل.
- أو يكون الاعتماد فيه على دليلٍ ليس بدليلٍ في العقيدة، صاحبه يدَّعي أن هذا دليل وليس بدليل.

إذن (**صَرْفُ الْكَلَامِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَعْنًى آخَرَ يَحْتَمِلُهُ اللَّفْظُ**) هذا سُمِّي تأويلًا، في الحقيقة هذا ليس تأويلًا، إلى هنا هذا لا يكفي لتسميته تأويلًا، لا بد من القيد الآخر الذي يجعله تأويلًا صحيحًا وهو لدليلٍ يقترن به، إذا كان هناك دليل يقترن به فهذا من باب التفسير، بدون هذا الدليل يبقى تحريفًا.

والتأويل ذكر ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- تحدَّث عن التأويل في مقدمة [الصواعق المرسلة]، [الصواعق المرسلة] الكتاب كله في أربع طواغيت:

١. ظنيَّة الأدلة اللفظية.
٢. وعدم حُجيَّة أخبار الآحاد.
٣. والمجاز.
٤. وتقديم العقل على النقل.

هذه أربع طواغيت، سماها "طواغيت"، وقدَّم للكتاب بمقدمة جاءت في مجلد وشيء، هذه المقدمة استغرقت مجلدًا وشيئًا من المجلد الثاني، هذه المقدمة كلها في التأويل، لو جعل الطواغيت خمسة لكان أيضًا سائغًا، وإلا هو أدرى بكتابه.

إذن في المجمل صارت كما طاغوت؟ خمسة، وتحدث عن التأويل حديثًا أنا أحثُّكم على قراءته مهم جدًّا، وهو هذا التأويل الذي كان سببًا في كما يقول ابن القيم لإفساد الدين والدنيا، وسيأتي كلامٌ جميلٌ جدًّا لابن أبي العز في هذا التأويل، في ذمِّ هذا التأويل، لكن التأويل عمومًا مما ركز عليه ابن القيم هنا:

- التأويل يكون للوصول إلى مراد المتكلم عمومًا.
- والتأويل الذي نجده عند المتكلمين هو للوصول إلى مرادهم عبر نصوص الكتاب والسنَّة.

هناك فرقٌ شاسعٌ بين الأمرين، أليس كذلك؟

أنا أتحدث في موضوع قد أخالفك في هذا الموضوع، وأنت لما تتحدث عن هذا الموضوع وتريد أن أكون أيضًا ممن يقول برأيك، تقول: مراده كيت وكيت تريد أن تجعلني أيضًا على مذهبك، فأنت هنا تريد أن تصل إلى مرادك ولا تريد أن تصل إلى مرادي أنا، مراد المتكلِّم حتى ولو كان باطلًا لا بد أن تصل إليه إذا كان يهمك حتى ولو كان باطلًا، هذا المتكلم لا تعبث بمراده.

ومراده الوصول إليه إذا لم يكن مجنونًا، إذا كان يستطيع أن يُعبِّر الوصول إلى مراده يكون سهلًا جدًّا، هناك أمور كثيرة تعينك للوصول إلى مراده، أما إذا كان المقصود هو الوصول إلى مرادك عن طريق ذلك الخائن فهنا المصيبة، هذا الذي نجده في كتب المتكلمين، يريدون الوصول إلى مرادهم عن طريق أقوال الله -عَزَّ وَجَلَّ- وأقوال رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهذا هو علمهم وهذا هو إحكامه الذي تميَّزوا به عن السلف؛

- مذهب السلف أسلم.
- ومذهب الخلَف أحكم وأعلم.

في مثل هذه الترَّهات.

**(وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ قَرِينَةٌ تُوجِبُ ذَلِكَ)** إذا كانت هناك قرينة فهذا التأويل يكون تفسيرًا.

**(وَمِنْ هُنَا حَصَلَ الْفَسَادُ، فَإِذَا سَمَّوْهُ تَأْوِيلًا قُبِلَ وَرَاجَ عَلَى مَنْ لَا يَهْتَدِي إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا)** مَن لا يهتدي إلى الفرق بين التأويل والتحريف قد يصيدونه بتسمية تحريفهم تأويلًا، والآن بعدما شاعت هذه المصطلحات وتبنَّتها بعض التخصصات تزيد هذه البليَّة.

أنت تقرأ في كتب التفسير التأويل، في كتب الأحاديث التأويل، في كتب الأصول التأويل، هذا كله يُرسِّخ في ذهنك شرعية التأويل، هذا كله يُرسِّخ في ذهنك أن التأويل شيءٌ محترَم، وأنه مسلَكٌ سائغ، بعد هذا تستَّر به لتصل إلى أي باطلٍ تريد، تستَّر به، سميه تأويلًا، هذا الذي يشير إليه ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ-.

وابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- في تلك المقدمة بيَّن أنه ليس هناك فرقٌ واضحٌ بين ما يجوز تأويله وبين ما لا يجوز تأويله، ما الذي يؤول وما الذي لا يؤول؟ ولماذا التأويل هنا وليس هنا، لماذا؟ ما هو الضابط الذي تنطلق منه؟ هو ليس عنده فرق، ولذلك كان هذا الباب أوسع بابٍ للإفساد في الدين، أوسع باب وأخطر باب هو التأويل، جميع الفِرَق بما فيهم القرامطة استخدموا هذا الباب، ولجوا من هذا الباب، كما يقول شيخ الإسلام: "السفسطة في العقليات، والقرمطة في السمعيات"؛ لأن آخر باب كسَّروه هم القرامطة.

في التوحيد أوَّلوا، وفي باب المعاد أوَّله الفلاسفة، ما بقي شيء، ما الذي بقي؟ الأمر والنهي جاء القرامطة أوَّلوا فيه أيضًا، قالوا: المراد بالصلوات الخمس: الحسن، والحسين، وعلي، وفاطمة، قالوا: المراد

بالصلوات الخمس هذه، طيب ما الدليل؟ قالوا: الدليل الخبر اليقين، من أين جاءكم هذا الخبر اليقين؟ عن طريق الباب الذي هو الواسطة بيننا وبين الذي في السرداب، طيب ماذا تقول؟ الخبر اليقين، لا يجوز هذا التأويل، طيب: لماذا أوَّلت في المعاد؟

حتى ابن سينا لا يُقرُّ هذا التأويل، ولكنه سيقول لابن سينا: لماذا أوَّلت في المعاد؟ طيب: إذا جاء الرازي وقال: هذا التأويل كفر، هذا الكفر أنا تعلَّمته منك، لماذا أوَّلت هذه النصوص الكثيرة التي في الصفات، لماذا؟ لماذا يجوز عندك ولا يجوز عندي؟ وكما قال هذاك: "باؤُك تجر وباءي لا تجر"، لماذا؟ فالتأويل كما قلت: أوسع باب للمفسدين وللمبطلين، هذا الباب استغله الجميع بدون استثناء، وسيأتي كلام جميل جدًّا لابن أبي العز في إبطال وذم التأويل.

**(فَاحْتَاجَ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى إِيضَاحِ الْأَدِلَّةِ، وَدَفْعِ الشُّبَهِ الْوَارِدَةِ عَلَيْهَا) إِيضَاحِ الْأَدِلَّةِ،** بالنسبة للأدلة، الذي حصل هول الأدلة أيضًا شيء فظيع جدًّا، الأدلة من الكتاب والسنَّة، هذه الأدلة عند المنحرفين لا يُعطونها قيمتها ومنزلتها ومكانتها، فإيضاح الأدلة يكون بأمرين:

**أولًا**: بإبراز مكانتها، يطلع على الأدلة التي هي الأدلة والتي توصلك إلى اليقين هي أدلة الكتاب والسنَّة، لا بد أن تبرز هذا الأمر.

**ثانيًا**: تبيِّن كيف أن هذه الأدلة توصلك إلى اليقين، تأخذ دليلًا دليلًا من الكتاب والسنَّة، من القرآن مثلًا الأدلة التي في القرآن توظِّفها دليلًا دليلًا حتى يتبيَّن للناس أن هذه الأدلة هي الأدلة.

الله -عَزَّ وَجَلَّ- يُسميها آيات؛ لأنها علامات واضحة تهتدي بها، وهي الأدلة التي تستلزم المدلول، أدلة الكتاب والسنَّة تستلزم المدلول، توصلك إلى المدلول يقينًا، إِيضَاحِ الْأَدِلَّةِ يكون بأمرين.

**(وَدَفْعِ الشُّبَهِ الْوَارِدَةِ عَلَيْهَا)** هذا مقامٌ ثالث، هناك شُبَه، وهذه الشبه:

- قد تكون في أصل مكانة الأدلة.
- وقد تكون في ترتيب هذه الأدلة.

أيضًا تدفع هذه الشبه، بعض المتكلمين يقولون: أن أدلة القرآن إقناعية، طبعًا هذا مذهبهم ولكن صرَّح به بعضهم، أدلة القرآن إقناعية؛ لأن الأدلة عندهم خمسة:

- أقواها الأدلة البرهانية.
- ثم بعدها أظن الأدلة الخطابية.

- ثم الأدلة الإقناعية.

الأدلة الإقناعية يكفي فيها أن تقنع الخصم، ويكفي فيها أن يقتنع الخصم، ولا يهمك أن يكون هذا صحيحًا أو لا، إذا استطعت أن تقنع الخصم فهذا الدليل يكفي حتى ولو دلَّست على الخصم، حتى ولو... فذكر بعضهم أن أدلة القرآن إقناعية، هذا ذكره عند قوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢]، وأدلتهم برهانية، لماذا إقناعية؟ لا بد أن تدفع هذه الشُّبه التي تجدها عند هؤلاء.

والشُّبه تكون متفاوتة حسب تفاوت القوم وقربهم وبعدهم من الوحي؛

- الذين يكونون أقرب إلى السنَّة تكون شبههم قوية، أقربهم إلى السنَّة تكون شبههم أقوى.
- وكلما كانوا أبعد عن السنَّة تكون شبههم أضعف وأتفه.

يقول ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- في الشُّبه التي يذكرها المشركون، الله -عَزَّ وَجَلَّ- ردَّ عليهم فيها في نهاية سورة يس، فيما يتعلق بالمعاد، يقول: هذه الشُّبه تليق بعقول المشركين، الشُّبه تدل على مكانة العقول، ما هي هذه العقول؟ فكما قلت: الشُّبه عمومًا إذا كان ممن هم أقرب إلى السنَّة فشبههم تكون قوية وهكذا.

(**وَكَثْرَ الْكَلَامُ وَالشَّغَبُ، وَسَبَبُ ذَلِكَ إِصْغَاؤُهُمْ إِلَى شُبَهِ الْمُبْطِلِينَ**) بدل أن تُفنِّد هذه الشبه، وبدل أن تسيء الظن بهذه الشبه تُصغي إليها! ما الذي سيكون بعدها؟ إذا أصغيت إلى جهة غير مأمونة أصغيت إليها، وأعطيتها، وأسلست لها قيادةً ما الذي ستجني منها؟

(**وَخَوْضُهُمْ فِي الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ الَّذِي عَابَهُ السَّلَفُ، وَنَهَوْا عَنِ النَّظَرِ فِيهِ وَالِاشْتِغَالِ بِهِ، وَالْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ، امْتِثَالًا لِأَمْرِ رَبِّهِمْ، حَيْثُ قَالَ:** ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[الأنعام: ٦٨] **فَإِنَّ مَعْنَى الْآيَةِ يَشْمَلُهُمْ**) طبعًا سيأتي حديثه عن علم الكلام، سيأتي حديثه بعد أصل.

**يقول: (وَكُلٌّ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالِانْحِرَافِ عَلَى مَرَاتِبَ:**

- **فَقَدْ يَكُونُ كُفْرًا.**
- **وَقَدْ يَكُونُ فِسْقًا.**

- **وَقَدْ يَكُونُ مَعْصِيَةً.**
- **وَقَدْ يَكُونُ خَطَأً).**

**متى يكون كفرًا؟**

إذا جمع بين المضادة والاستهزاء وتعمُّد التحريف؛

- شخص وقع في التحريف وهو يظنه تأويلًا هذا معذور، مع أنه وقع في الباطل، مع أنه انتهج نهجًا فاسدًا لم يوصله إلا إلى الانحراف، مع ذلك معذور.
- شخص يتعمد التحريف وهو يُضاد ويستهزئ بالحق هذا كافر، لا يكون هذا إلا من الكفار، وهذا تجده في تأويلات القرامطة ومن يلفُّ لفهم تجده واضحًا.

**يكون معصية أيضًا تؤدي إلى البدعة** إذا كان كما يقولون: بنيَّةٍ حسنَّة، البدعة بنيَّةٍ حسنَّة ولكنه معذور، مثل المتكلمين، المتكلمون في مجمل تأويلاتهم يكون تأويلهم بحجة التنزيه، يريد أن يُقدِّس الله -عَزَّ وَجَلَّ-، يُريد أن يُنزِّه الله -عَزَّ وَجَلَّ-، يُقدِّسه ويُنزِّهه بالاستدراك عليه، وبالرد عليه، وبتعقُّب كلامه بتقديمه وتأخيره، بالزيادة والنقصان فيه، مع ذلك كله ليس كفرًا، لماذا؟ لأن هذا الجاهل نيَّته الوصول إلى البدعة.

**وقد يكون التأويل خطأً ولا يصل حتى إلى درجة البدعة،** متى؟ إذا لم يكن مبنيًّا على أصولٍ بدعية ينتهجها، وهذه الأصول تكون هي المرجع وهي السبب للتأويل، وهو في أصوله على مذهب أهل السنَّة، ولا يتبنَّى قاعدةً من القواعد التي يستند عليها المنحرفون للتأويل، أبدًا ليس عنده هذا الشيء مع ذلك وقع في التأويل، هذا خطأ وصاحبه لا يُعصَم بالبدعة.

**مثلما نجد عند بعض الأئمة، مثلًا:** ابن خزيمة -رَحِمَهُ اللهُ- أوَّل حديث الصورة، وبعض الأئمة مثلًا ابن كثير أوَّل الاستواء المعَد بـ (إلى) أولَّه بالقصد، هل لأنه لا يُثبت الاستواء؟ هو يُثبت الاستواء ولكنه لما عُدِّي بـ (إلى)، والاستواء لما يُعَدُّ بـ (إلى) يأتي في اللغة بمعنى القصد، لذلك ظنَّ أن هذا هو مقصوده وهذا مراده هنا، هذا خطأ ولا تُصنِّف ابن كثير -رَحِمَهُ اللهُ- بسبب هذا لا تُصنِّفه مبتدعًا مثلما تجده عند بعض من يتجنَّى في هذا الباب، لا يُميز بين هذا وهذا.

وأهل السنَّة دائمًا عندهم إنصاف؛ لأنهم لا يريدون إلا تقرير الحق، وما عندهم انتصار للنفس ولبعض المواقف أبدًا، يهمهم الحق، ولأجل هذا يُفرِّقون ويُبيِّنون أن هناك تفاوتًا عظيمًا وكبيرًا في التأويل نفسه.

**(وَكُلٌّ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالِانْحِرَافِ عَلَى مَرَاتِبَ:**

- **فَقَدْ يَكُونُ كُفْرًا.**
- **وَقَدْ يَكُونُ فِسْقًا.**
- **وَقَدْ يَكُونُ مَعْصِيَةً** –يؤدي إلى بِدَع–.
- **وَقَدْ يَكُونُ خَطَأً).**

**(فَالْوَاجِبُ)** ما هي العصمة من البِدَع؟ هنا يُبيِّن العصمة من البِدَع، ما الذي يعصمك من البِدَع؟ التمسُّك بالكتاب والسنَّة، الاعتصام بالكتاب والسنَّة، هذا الذي يعصمك من البدع.

**(فَالْوَاجِبُ اتِّبَاعُ الْمُرْسَلِينَ، وَاتِّبَاعُ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ خَتَمَهُمُ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–؛ فَجَعَلَهُ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ، وَجَعَلَ كِتَابَهُ مُهَيْمِنًا عَلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ كُتُبِ السَّمَاءِ)** مهمينًا فُسِّر هذا بتفسيراتٍ عديدة، ذكرها هنا المحقق نقلًا عن ابن كثير –رَحِمَهُ اللهُ–، يقول في الأخير: "وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم (المهيمن) يتضمن هذا كله؛ فهو أمين، وشاهدٌ، وحاكمٌ على كل كتابٍ قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخَاتَمَها وخَاتِمها، وأشملها وأعظمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، ولهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها، وتكفَّل حفظه بنفسه الكريمة فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر:٩]".

**(جَعَلَهُ مُهَيْمِنًا عَلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ كُتُبِ السَّمَاءِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ)** الذي هو القرآن، **(وَالْحِكْمَةَ)** السنَّة، **(وَجَعَلَ دَعْوَتَهُ عَامَّةً لِجَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، بَاقِيَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَانْقَطَعَتْ بِهِ حُجَّةُ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ)** لوضوح حُجَّته، لوضوح هذه النصوص.

**(وَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ بِهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَكْمَلَ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ الدِّينَ خَبَرًا وَأَمْرًا)**؛ لأن الدين فيه خبر وأمر:

- خبرًا لله –عَزَّ وَجَلَّ– عن أسمائه وصفاته، وعن أفعاله.
- وأمر الذي هو الشرع.

(**وَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَةً لَهُ**) طاعته أي طاعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- طاعةً له، (**وَمَعْصِيَتَهُ مَعْصِيَةً لَهُ**) أي لله -عَزَّ وَجَلَّ-، (**وَأَقْسَمَ بِنَفْسِهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوهُ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**) من هنا إلى نهاية الفقرة لخَّص المؤلف بعض الآيات التي وردت في سورة النساء، من الآية الستين إلى نهاية الآية خمسٍ وستين، يقول: (**وَأَقْسَمَ بِنَفْسِهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوهُ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**) هذا الذي به ختم هذه الآيات: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥].

(**وَأَخْبَرَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى غَيْرِهِ، وَأَنَّهُمْ إِذَا دَعَوْا إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ -وَهُوَ الدُّعَاءُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسنَّة رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صَدُّوا صُدُودًا، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا أَرَادُوا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا**).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾[النساء: ٦٠-٦١].

يصدون:

- يأتي لازمًا.
- ومتعديًا.

يصدون أنفسهم، ويصدون غيرهم.

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾[النساء: ٦٢-٦٣].

قول الله -عَزَّ وَجَلَّ- هنا: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا فيه بيان أن التحاكُم إلى غير الوحي، والنفور من الوحي، هذا دليلٌ على النفاق، يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾.

(**وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا أَرَادُوا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا**) مع نفورهم من الدليل مع ذلك يدَّعون لأنفسهم هذا الكمال، وأنهم ما أرادوا إلا الإحسان والتوفيق؛

- الإحسان إلى الدليل.
- والتوفيق بينه وبين الحق الذي يعتقدون.

**إذن عنده شيئان:**

- حقٌّ ثبت له بدليلٍ آخر.
- ونيَّة حسنَّة يريد أن يُحسن بها إلى هذا الدليل.

حقٌّ ثبت له بمصدرٍ آخر، ونيَّة حسنَّة بها يريد أن يُحسن بها إلى هذا الدليل، يريد أن يقول: أنا ما أُنكر ما جاء في الكتاب والسنَّة، ما أُنكر، بالعكس أنا أريد أن أجعل هذا الدليل مقبولًا عند من يُخالف.

من هنا بيَّن ابن أبي العز بيَّن أمثلة لدعاوي حصول اليقين من مصادر مختلفة، وأمثلة أيضًا عن الاستغناء من الوحي بطرقٍ مختلفة، هذا الذي وجدناه عند المنافقين، يريد أن يقول: أن ما سأذكره لك هو من هذا القبيل، لذلك يقول في الأخير، يقول: (**وَأَنَّ ذَلِكَ جَمْعٌ بَيْنَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَبَيْنَ مَا يُخَالِفُهُ؛ فَلَهُ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ**) يريد أن يشير إلى ما ورد في هذه الآية، وأن هذا دليلٌ على النفاق.

يقول: (**كَمَا يَقُولُهُ**) كما قلت:

- هذا كله أمثلة على الاستغناء عن الوحي بطرق مختلفة.
- وأيضًا أمثلة على دعوى حصول اليقين من مصادر مختلفة.

مع الزعم بأن جميع هذه الفرق يريدون أن يُوفقوا بين الحق الذي ثبت لهم وبين ما في الكتاب والسنَّة، وهذا إحسانٌ منهم إلى الدليل، وأيضًا توفيقٌ منهم بين الحق وبين ما جاء في الكتاب والسنَّة، توفيقٌ منهم بين الشريعة وبين ما يعتقدونه، هذه الأمثلة.

(**كَمَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمَةِ وَالْمُتَفَلْسِفَةِ وَغَيْرِهِمْ: إِنَّمَا نُرِيدُ أَنْ نَحُسَّ الْأَشْيَاءَ بِحَقِيقَتِهَا**) يقولون: ما علينا من الأدلة التي لها خلفياتٌ معينة أبدًا، نحن ننطلق كما يقولون: ننطلق أحرار، لسنا مقيدين بدليل، ولسنا مقيدين بمنهج، منهجنا ينطلق من الصفر ما عندنا خلفيات أبدًا؛ لأن هذه الخلفيات تقيدنا.

(**نَحُسَّ الْأَشْيَاءَ بِحَقِيقَتِهَا**) نريد أن نصل إلى حقائق الأشياء، مثلًا: هذا القلم نريد أن نعرف إلى حقيقتها، ولن نصل إلى ذلك بالاعتماد على أدلةٍ لها مناهجها أبدًا، (**نُدْرِكَهَا وَنَعْرِفَهَا**).

ثم بعد ذلك (**نُرِيدُ التَّوْفِيقَ بَيْنَ الدَّلَائِلِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا الْعَقْلِيَّاتِ، –وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ: جَهْلِيَّاتٌ– وَبَيْنَ الدَّلَائِلِ النَّقْلِيَّةِ الْمَنْقُولَةِ عَنِ الرَّسُولِ، أَوْ نُرِيدُ التَّوْفِيقَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْفَلْسَفَةِ**) يقولون: نحن لن نرفض ما جاء في الكتاب والسنَّة، ولكن نريد أن نحسن إلى ما جاء في الكتاب والسنَّة ببيان أن مدركات ومنجزات العلم والفلسفة ليس بينها وبين ما جاء في الكتاب والسنَّة تعارض، نريد أن نوفِّق.

كما ألَّف ابن رشد الحفيد رسالة يقول: [فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال] أظن هكذا، [فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال]، هذا ألَّفه ابن رشد، والمتفلسفة عمومًا هذا شعارهم التوفيق بين معطيات الفلسفة والأدلة الدينية.

**طيب: كيف يكون التوفيق؟**

وعلى تعبير ابن القيم –رَحِمَهُ اللهُ–: "اذهب إلى سوقهم لتجد الحالة التي عليها أدلة الكتاب والسنَّة"، انظر إلى توفيقهم كيف يكون، ينهشونها يمينًا ويسارًا، وشمالًا وجنوبًا، ما يتركون منها شيء حتى يتم التوفيق، والتوفيق في نهايته يكون لصالح أدلته، هذا من يقوله؟ الفلاسفة وتلاميذهم المتكلِّمة.

المؤلف هنا ذكر المتكلمة والمتفلسفة في بندٍ واحد؛ لأن في الحقيقة المتكلمون امتداد للفلاسفة، ما ظنَّه أو ما زعم فيه المتفلسف أنه يقيني يتلقَّاه هذا المتكلِّم بالقبول ويظنُّه أيضًا يقينيًا، ثم بعد ذلك يتصوروا تعارضًا بين العقل، ما هو العقل؟ كلام أرسطو، كلام أفلاطون، كلام أفلاطون هذا هو العقل عندهم، كلامهم وعقولهم هي تمثل جميع العقول عندهم، يُريد أن يوفِّق بين العقل والنقل.

طبعًا إذا تعارض وتعارك ماذا يكون هنا؟ العقل، جاء هنا أن توفيقنا ليس إلى درجة نُلغي فيها عقولنا، لا هناك حد، أنتم أيها الأدلة الشرعية لكم حد، يكفي ما أعطيناكم من الاعتبار، إذا هناك التعارض لا يُقدَّم، قبل التعارض سنبذل كل ما في وسعنا عن طريق التأويل، وعن طريق جميع الوسائل التي هم يستخدمونها، يقول المؤلف الشارح: هذا يدخل في هذا، ما ذكره الله –عَزَّ وَجَلَّ– في هذه الآيات.

**خلاصة ما وجدناه عند هذا الفريق**: أن هناك حقائق، طبعًا الجميع لهم حقائق، أليس كذلك؟ الجميع ينشُد الحقيقة، الهندوسي ينشد الحقيقة، السيخي ينشد الحقيقة، المجوسي ينشد الحقيقة، الجميع يُنشدون الحقيقة، أليس كذلك؟ ولكن الفرق في المصادر وفي الحقائق نفسها، وهذا الفريق عنده حقائق،

وهذه الحقائق وصل إليها عن طريق مصادر معينة عنده، ثم وجد أن هناك تعارضًا بينها وبينما يجده في الكتاب والسنَّة، فأراد التوفيق، وإلا لماذا التوفيق؟

هناك تعارض، أليس كذلك؟ لماذا هذا التعارض؟ لأنه على زعمه عنده اعتبار للأدلة الشرعية، على زعمه، وإلا هذا الاعتبار سيتبخر بعد قليل، هذا الغشاء الرقيق سيزول بعد قليل، عمومًا عنده اعتبار لهذا، وعنده اعتبار لهذا، ولذلك أنا عندي لن يتعارض دليلٌ شرعيٌّ بدليلٍ.. أبدًا؛ لأن الدليل عندي هو هذا، أليس كذلك؟ إذن هناك أدلة وهناك تعارض لذلك احتاج إلى توفيق، مجرد القول بأن هناك توفيق يدل على أن هناك تعارُك وتعارض.

إذن عندهم حقائق ثبتت بمصادر معينة عندهم، وكثيرٌ منها لا تتوافق مع أدلة التي في الكتاب والسنَّة، وبالتالي احتاجوا إلى التوفيق، هذا سيستمر معنا إلى جميع... هذا المنطلق وهذه السلسلة ستستمر معنا إلى الأخير مع التفاوت في الأدلة، الأدلة التي توصَّل بها إلى الحقائق عند هذا غير الأدلة عن هذا، وغير الأدلة عند هذا، ولكن السلسلة واحدة أن هناك حقائق توصل إليها هذا الفريق عن طريق مصدرٍ ومعين، وحصل بينها وبين ما يجده في الكتاب والسنَّة تعارض، وبالتالي احتاج إلى توفيق، وهذا التوفيق هو إحسانٌ إلى هذه الأدلة.

**(وَكَمَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ، مِنَ الْمُتَنَسِّكَةِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ: إِنَّمَا نُرِيدُ الْأَعْمَالَ بِالْعَمَلِ الْحَسَنِ)** طبعًا هذه الجملة ما فهمتها، فيها خلل، أنا رجعت إلى مصادر ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- أيضًا لم أجد، وجدت نصًّا قريبًا منه نقله الملَّا علي القاري الهروي في شرحه لـ [الفقه الأكبر]، الملَّا علي القاري توفي سنَّة ألف وخمسمئة، هو من هِراة واستوطن مكة، وشرحه من أحسن الشروح لـ [الفقه الأكبر].

[الفقه الأكبر] الذي نُسِب إلى الإمام أبي حنيفة، وذكرت في الدرس السابق أنه لا يثبت أنه للإمام أبي حنيفة، على كل حال له شروح، من أحسنها شرح الملَّا علي القاري؛ ينقل فيه أحيانًا عن شيخ الإسلام، وينقل عن ابن القيم، وهو متأرجح، وفيه أيضًا كثيرٌ من الخير؛ لأن الرجل محدِّث.

نقل نصًّا ما أدري من أين نقل وهو قريب من هذا، يقول فيه: "**وَكَمَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ، مِنَ الْمُتَنَسِّكَةِ: إِنَّمَا نُرِيدُ الإحسان بالجمع بين الإيمان والإيقان**" لاحظوا بين التقابل، (بين الإيمان) نؤمن به؛ لأنه كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وليس لأنه يقين، (**بين الإيمان والإيقان**) الذي حصل له من

مصدر آخر، "**والتوفيق بين الشريعة وبين الطريقة والحقيقة**" انظر الشريعة وفي مقابلها حقيقة، إيمان وفي مقابله... مجرد التقابُل كفيلٌ بترجيح كِفَّة الخرافة هذه، أليس كذلك؟

المهم هنا أن العبارة هنا لا تستقيم، و(**إِنَّمَا نُرِيدُ الْأَعْمَالَ بِالْعَمَلِ الْحَسَنِ**) فيها خلل، وما نقلته عن الهروي يبدو أن مصدر هذاك كمصدر ابن أبي العز، وهو عباراتٌ لم أتوصل إليها، إذا وجدتم شيئًا من هذا نبِّهوني.

(**وَالتَّوْفِيقَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَبَيْنَ مَا يَدْعُونَهُ مِنَ الْبَاطِلِ، الَّذِي يُسَمُّونَهُ: حَقَائِقَ**) هذه الحقائق من أين أخذوها؟ عندهم مصدر وهو الكشف والذوق، ما يحصل له عن طريق الكشف والذوق هو الحقيقة، وهو بحاجة للتوفيق بين الحقيقة وبين الإيمان الذي هذا حاله.

(**وَكَمَا يَقُولُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَمَلِّكَةِ وَالْمُتَأَمِّرَةِ: إِنَّمَا نُرِيدُ الْإِحْسَانَ بِالسِّيَاسَةِ الْحَسَنَّة، وَالتَّوْفِيقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الشَّرِيعَةِ**) حتى لا تُتهم الشريعة بالإلهاء، وحتى لا تُتهم بما تتهم به، لا لا نحن نريد أن نُخفِّف، ونُحسن إلى الشريعة بإضافة، ولكن الشريعة لا تحتاج إلى تلميع، ولا تحتاج إلى حذف، ولا تحتاج إلى... الشريعة هي شريعة، هي كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لا تحتاج إلى إحسان أحد، ولا تحتاج التوفيق والتلفيق.

هذه الأمثلة كلها ما يجمعها أن أولئك الطوائف لهم مصادر. **أولًا**.

**ثانيًا**: تلك المصادر هي المعتبرة في الحقيقة عندهم، أليس كذلك؟

**ثالثًا**: لا يتنكَّرون جملةً الأدلة الشرعية، لا يتنكَّرون لها. بعبارة أخرى: لا يقولون: ما علينا من الأدلة الشرعية، يقولون: نحن نُعطيها اعتبارًا وهي عندنا أدلة نؤمن بها، يدَّعون هذه الدعوى.

**رابعًا**: يحاولون التوفيق بين تلك الأدلة وبين تلك الحقائق التي ثبتت بتلك الأدلة وبين ما جاء في الكتاب والسنَّة، ويُسمون هذا ماذا يُسمونه؟ توفيقًا، الآن يُسمونه وسطية، الآن الوسطية هذه المصطلح الآن يتجاذبها كثيرون منهم الأشاعرة، الأشاعرة الآن يقولون: أن عندهم وسطية، لا مجافاة للعقل مثلما نجده عند أولئك، ولا مجافاة للنقل مثلما نجده عند المعتزلة، لا وسطية، ما الوسطية هذه؟ هو هذا التوفيق الذي وجدناه.

ولذلك كلام ابن أبي العز هنا أن هذا التوفيق جميل جدًّا، يقول: (**وَكُلُّ مَنْ طَلَبَ أَنْ يُحَكِّمَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ غَيْرَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَيَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ حَسَنٌ، وَأَنَّ ذَلِكَ جَمْعٌ بَيْنَ مَا جَاءَ**

**بِهِ الرَّسُولُ وَبَيْنَ مَا يُخَالِفُهُ فَلَهُ نَصِيبٌ مِنْ ذَلِكَ)** من ذلك الذي ورد في تلك الآيات، واضح يا مشايخ؟ الوسطية هي التي تجدها في الكتاب والسنَّة.

نعم الوسطية هي شعار أهل السنَّة كما قال شيخنا الشيخ محسن العبَّاد: "الوسطية هي شعار أهل السنَّة"، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة:١٤٣] هي شعارنا، ولكن الوسطية هذه ليس فيها دخل أبدًا؛ لأن أهل السنَّة هم الوسط، بقية الفِرَق هم على طرفي الطريق، فنحن وسط.

**لماذا نحن وسط؟**

لالتزامنا بالأدلة فنحن وسط، ليس لأن هناك دخلًا لنا، أخذنا هذا وتركنا هذا، أبدًا ليس لك أن.. هذه الوسطية ليس فيها دخل لنا، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب:٣٦] أبدًا، فوسطيتنا هي الكتاب والسنَّة، وأي وسطية يُدَّعى أنها وسطية وفيها تلفيق وتوفيق، فستكون لمصلحة الانحراف والمنحرفين والبِدَع، ولا يمكن أن تكون وسطيةً حقَّة.

**(بَلْ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ كَافٍ كَامِلٌ يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ حَقٍّ)** فلماذا التوفيق ولماذا التلفيق؟ **(وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّقْصِيرُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَعْلَمُوا مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْكَلَامِيَّةِ الِاعْتِقَادِيَّةِ)** ابن أبي العز هنا يتحدث عن الذين وقعوا في البِدَع لأجل التقصير والتفريط، ولا يتحدث عن أولئك الذين بثَّوا البِدَع وهم يريدون الإفساد أصلًا، يجمعون بين فساد العلم وفساد الإرادة.

يقول: **(فَلَمْ يَعْلَمُوا مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ الْكَلَامِيَّةِ الِاعْتِقَادِيَّةِ، وَلَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ الْعِبَادِيَّةِ)** في الأمور التعبُّدية، أحوال العبادات، **(فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ الْعِبَادِيَّةِ)** هنا يشير إلى بِدَع التصوف، **(الْأُمُورِ الْكَلَامِيَّةِ الِاعْتِقَادِيَّةِ)** علم الكلام، **(وَلَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْإِمَارَةِ السِّيَاسِيَّةِ أَوْ نَسَبُوا إِلَى شَرِيعَةِ الرَّسُولِ، بِظَنِّهِمْ وَتَقْلِيدِهِمْ مَا لَيْسَ مِنْهَا، وَأَخْرَجُوا عَنْهَا كَثِيرًا مِمَّا هُوَ مِنْهَا)** ذهابًا منهم إلى ماذا؟ إلى التوفيق والتلفيق للواسطية.

**(فَبِسَبَبِ جَهْلِ هَؤُلَاءِ)** المفرِّطون، وهؤلاء هم المفرِّطون، **(وَضَلَالِهِمْ وَتَفْرِيطِهِمْ، وَبِسَبَبِ عُدْوَانِ أُولَئِكَ)** الذين جمعوا بين فسد العلم وفساد الإرادة، يُريدون أن يُفسدوا، **(وَجَهْلِهِمْ وَنِفَاقِهِمْ، كَثُرَ النِّفَاقُ)**؛ لأن أولئك عرفوا العلم الصحيح، عرفوا الحق، مع ذلك قدَّموا ذلك الحق أو ذلك الذي سموها حقيقةً وحقًّا؛ لأنهم أصلًا عندهم زندقة، وبسبب هذا وهذا: **(كَثُرَ النِّفَاقُ، وَدَرَسَ كَثِيرٌ مِنْ عِلْمِ الرِّسَالَةِ)**.

(**بَلِ الْبَحْثُ التَّامُّ**) هنا ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- له لفتة جميلة جدًّا هنا، هنا يدعو جميع المغرمين بالبحث والنظر، الذين عندهم بحث ونظر، يدعوهم كلهم أن يصبُّوا اهتمامهم في الكتاب والسنَّة، إذا أنت تتعب، وعندك نظر، وعندك اجتهاد لا تضيع هذا، ولا تظن أن هذا سينفعك، هذا سيضلُّك، **والدليل**: أنت مع هذا البحث لم تصل إلى شيء، فيقول: إن كان هناك بحث فيكون في نصوص الكتاب والسنَّة.

يقول: (**بَلِ الْبَحْثُ التَّامُّ، وَالنَّظَرُ الْقَوِيُّ، وَالِاجْتِهَادُ الْكَامِلُ**) ينبغي أن يكون (**فِيمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**) لماذا؟ (**لِيُعْلَمَ**)؛ لأن ما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- ما في الكتاب، وما في السنَّة يحتاج إلى فَهم حتى تعلم مقصود النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، أنت عندك ظواهر الكتاب والسنَّة أكثرها ضلال وتشبيه، لماذا؟ لأنك لم تفهم، لأنك لم تهتم بهذا الباب أصلًا، وبالتالي ما يُخبر به الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن نفسه عندك ضلال وكفر، لماذا؟ لم تعلمه.

(**لِيُعْلَمَ وَيُعْتَقَدَ**) بعدما تعلم علمًا صحيحًا ستعتقده، إذا علِمت أن ما وصف الله -عَزَّ وَجَلَّ- به نفسه ووصف به رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، كلها كمالاتٌ تليق بكماله وجلاله، ستعتقدها، ستؤمن بها، لماذا هذا التأويل والتحريف وهذه الخزعبلات؟ لماذا؟ لأنك لم تعلمها، أنت تظن أنها كلها توهِم تشبيه، وبذلك وضعت هذه الطواغيت للتخلص من هذا.

(**لِيُعْلَمَ وَيُعْتَقَدَ**) ليس هذا فقط (**وَيُعْمَلَ بِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَيَكُونَ قَدْ تُلِيَ**) القرآن (**حَقَّ تِلَاوَتِهِ، وَأَلَّا يُهْمَلَ مِنْهُ شَيْءٌ**) ما جاء في الكتاب والسنَّة ليس شيءٌ منه يليق به الإهمال أبدًا، هو كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- وأنت مكلَّفٌ به.

**بعد هذا يُشير ابن أبي العز أيضًا إلى أمر مهم**: وهو أنك إذا بحثت ولم تصل إلى الحق، أو لم تبحث فحُرِمت عن الحق لا تكون مصيبة على أهل الحق، يكفيك أن تكون معذورًا، أما أنك لم تبحث ولم تصل إلى الحق، ولم تتعلم الحق، مع ذلك تُعادي أهل الحق، فهذا....

يقول: (**وَإِنْ كَانَ الْعَبْدُ عَاجِزًا**) خلاصة هذه الفقرة: أن من عجز عن معرفة الحق فلا يكون مانعًا لغيره، ولا يكون فتنةً لغيره، (**وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ عَاجِزًا عَنْ مَعْرِفَةِ بَعْضِ ذَلِكَ، أَوِ الْعَمَلِ بِهِ، فَلَا يَنْهَى عَمَّا عَجَزَ عَنْهُ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ**) أنتم لو تنظرون إلى حال أهل السنَّة وأهل الحديث في كتب القوم،

وألقابهم عند الإمام ابن أبي حاتم في رسالته المختصرة التي نقلها عن والده وعن أبي زُرعة عقيدة الرازيين، ذكر في الأخير ألقاب أهل السنَّة عند الفِرَق.

أهل السنَّة كل فرقة مبتدعة عندها اسمٌ لهم، وبالتالي أسماؤهم كثيرة لكثرة طوائف المنحرفين، هؤلاء كلهم فيهم التفريط، لم يصلوا إلى الحق، مع ذلك لم يكتفوا بها، إنما عادوا أهل الحق، هذا الذي يشير إليه ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ-.

يقول: (**فَلَا يَنْهَى عَمَّا عَجَزَ عَنْهُ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، بَلْ حَسْبُهُ أَنْ يَسْقُطَ عَنْهُ اللَّوْمُ لِعَجْزِهِ، لَكِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَفْرَحَ بِقِيَامِ غَيْرِهِ بِهِ، وَيَرْضَى بِذَلِكَ، وَيَوَدَّ أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِهِ**) يود أن يكون ذلك العمل الذي قام به فلان أنه لو كان قد قام به، وأن ذلك الذي قام به فلان عملٌ يُشرِّفه، وأنه عملٌ يحتاج إلى الإشادة وليس إلى العداوة.

(**لَكِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَفْرَحَ بِقِيَامِ غَيْرِهِ بِهِ، وَيَرْضَى بِذَلِكَ، وَيَوَدَّ أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِهِ، وَأَلَّا يُؤْمِنَ بِبَعْضِهِ وَيَتْرُكَ بَعْضَهُ، بَلْ يُؤْمِنُ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ، وَأَنْ يُصَانَ عَنْ أَنْ يُدْخِلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ مِنْ رِوَايَةٍ أَوْ رَأْيٍ**) الفقرة كلها فيها توبيخ لأهل الباطل، لم تكتفِ بالوقوع في هذا الباطل حتى تُعذَر، بل رفعت أيضًا شعار العداوة مع أهل الحق، هذا الذي لا يليق بك، فالخطأ هنا خطأ مضاعف.

يقول: (**وَأَنْ يُصَانَ عَنْ أَنْ يُدْخِلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ مِنْ رِوَايَةٍ أَوْ رَأْيٍ**) الروايات المكذوبة المختلقة التي نُسبت إلى شريعة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كثيرة، أليس كذلك؟ لا ترضى بهذا، لا بد أن تميز بين الصحيح وبين ما ليس بصحيح، كما أشرت إلى موقف هذا موريس بوكاي الفرنسي أن الخطأ الذي وقع فيه هذا الرجل وهو خطأٌ في الصميم أن أحاديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- فيها ما يُخالف الحقائق الثابتة، خطير جدًّا، أليس كذلك؟ لماذا وقع فيه؟ مَن الفتنة هنا؟ هذا الذي نسب إلى الشريعة الأحاديث الموضوعة هذا هو الفتنة؛ لأنه نظر في كتبهم.

لذلك يقول: (**وَأَنْ يُصَانَ عَنْ أَنْ يُدْخِلَ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ مِنْ رِوَايَةٍ**) مكذوبةٍ مختلقةٍ منكرةٍ، (**أَوْ رَأْيٍ**) لا يتوافق مع الكتاب والسنَّة، لا هذا من الشريعة، ولا هذا من الشريعة.

(**أَوْ يَتَّبِعَ مَا لَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ اعْتِقَادًا أَوْ عَمَلًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٤٢]**) تلبيس الحق بالباطل هذه طريقة أهل البدع عمومًا، البدع لماذا تروج؟ لأن فيها شيءٌ من الحق، لو لم يكن فيها شيءٌ من الحق ما راجت، الآن الطواف حول

القبور لتعظيم الصالحين، ولذلك نحن كلنا متهمون هنا بأي تهمة؟ أنهم ما يُحبون الصالحين، الذهاب إلى المدينة والسفر إلى المدينة لأجل قبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- الذي لا يُجيزه، هذا هو الحق، هذا لا يُحب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

أحد الأخوة أرسل لي رسالة أظن أمس أو قبل أمس، طبعًا أرسل لي الرسائل قبلها وهو في منطقة ليس فيها أحد من السلفيين، فاستفسرت وقلت: لو تذكر لي قصتك في رسالة، ذكر أنه كان صوفيًا، وأنه قد وصل في مدارجهم إلى أعلى المقامات، وأن من المسلَّمات عندنا اتهام ابن تيمية بأنه لا يُحب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- عمومًا، وكذلك محمد بن عبد الوهاب، وذكر أمورًا شنيعة، وهذه مسلَّمات عندهم.

يقول: ما أدري كيف وقعت لي بعض الكتب وقرأت فيها، شككت في بعض ما يُنسب إليهم، ثم قرأت فوجدت أنها كلها أكاذيب، لماذا تروج هذه أنه لا يُحب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- لماذا؟ لأنه يُنكر السفر إلى هناك لزيارة القبر، مع أن شيخ الإسلام هو الذي ألَّف هذاك الكتاب العظيم الذي لم يؤلَّف مثله إلى الآن [الصارم المسلول على شاتم الرسول]، هذا الكتاب لم يؤلف مثله إلى الآن، ألَّف السبكي الأب ألَّف كتابًا [السيف المسلول على من سبَّ الرسول] ألَّفه بعد كتاب شيخ الإسلام، وهناك تفاوت بين الكتابين، تفاوت مع أنه ألَّفه بعده.

مع ذلك ابن تيمية يُتهم بأنه لا يُحب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وبالتالي تلبيس الحق بالباطل هذه بضاعة أهل البدع التلبيس، ترويج الباطل بشيءٍ من الحق، لذلك يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٤٢].

أيضًا الحق إذا أظهره المبتدِع كثيرٌ من الناس سيتبعونه، الآن أنتم لما تنظرون إلى كتب المتكلمين، وعرض مذهب أهل السنَّة في كتب المتكلمين تستغربون، من النادر أن تجد مذهب أهل السنَّة عُرِض عرضًا واضحًا، خلِّ الردود، رُدَّ عليهم لكن لا تكذب عليهم، نحن لما نعرض آراءهم نعرضها من كتبهم أليس كذلك؟ لا يجوز أن تكذب عليهم، أما هم فعندهم تشويه في عرض مذهب أهل السنَّة عمومًا في غالب المسائل، فيكتموا الحق، ويُلِّبسوا باطله بشيءٍ من الحق، وبذلك يروج باطلة، وهذا الذي نجده في هذه الآيات، وهذا كله لتعليمنا نحن، ليست هذه أخبار تاريخية بحتة ما نستفيد منها، هذا الذي نجده عند المبتدعة، والله أعلم، وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، وصلَّ الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم، قال الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(وَهَذِهِ كَانَتْ طَرِيقَةَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَهِيَ طَرِيقَةُ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُهُمُ السَّلَفُ الْقَدِيمُ مِنَ التَّابِعِينَ الْأَوَّلِينَ، ثُمَّ مَنْ بَعْدَهُمْ؛ وَمِنْ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الدِّينِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ عِنْدَ الْأُمَّةِ الْوَسَطِ بِالْإِمَامَةِ.

فَعَنْ أَبِي يُوسُفَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- أَنَّهُ قَالَ لِبِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ: "الْعِلْمُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْجَهْلُ، وَالْجَهْلُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْعِلْمُ، وَإِذَا صَارَ الرَّجُلُ رَأْسًا فِي الْكَلَامِ قِيلَ: زِنْدِيقٌ، أَوْ رُمِيَ بِالزَّنْدَقَةِ، أَرَادَ بِالْجَهْلِ بِهِ اعْتِقَادَ عَدَمِ صِحَّتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ عِلْمٌ نَافِعٌ، أَوْ أَرَادَ بِهِ الْإِعْرَاضَ عَنْهُ أَوْ تَرْكَ الِالْتِفَاتِ إِلَى اعْتِبَارِهِ. فَإِنَّ ذَلِكَ يَصُونُ عِلْمَ الرَّجُلِ وَعَقْلَهُ، فَيَكُونُ عِلْمًا بِهَذَا الِاعْتِبَارِ". وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ بِالْكَلَامِ تَزَنْدَقَ، وَمَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكِيمْيَاءِ أَفْلَسَ، وَمَنْ طَلَبَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ كَذَبَ".

وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: "حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسنَّة وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ".

وَقَالَ أَيْضًا -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ ... إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفِقْهَ فِي

الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا ... وَمَا سِوَى ذَاكَ وَسْوَاسُ

وَذَكَرَ الْأَصْحَابُ فِي الْفَتَاوَى: أَنَّهُ لَوْ أَوْصَى لِعُلَمَاءِ بَلَدِهِ: لَا يَدْخُلُ الْمُتَكَلِّمُونَ، وَلَوْ أَوْصَى إِنْسَانٌ أَنْ يُوقَفَ مِنْ كُتُبِهِ مَا هُوَ مِنْ كُتُبِ الْعِلْمِ، فَأَفْتَى السَّلَفُ أَنْ يُبَاعَ مَا فِيهَا مِنْ كُتُبِ الْكَلَامِ. ذُكِرَ ذَلِكَ بِمَعْنَاهُ فِي [الْفَتَاوَى الظَّهِيرِيَّةِ].

فَكَيْفَ يُرَامُ الْوُصُولُ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ، بِغَيْرِ اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ؟! وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

أَيُّهَا الْمُغْتَدِي لِيَطْلُبَ عِلْمًا ... كُلُّ عِلْمٍ عَبْدٌ لِعِلْمِ الرَّسُولِ

تَطْلُبُ الْفَرْعَ كَيْ تُصَحِّحَ أَصْلًا كَيْفَ أَغْفَلْتَ عِلْمَ أَصْـــلِ

وَنَبِيُّنَا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُوتِيَ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ، فَبُعِثَ بِالْعُلُومِ الْكُلِّيَّةِ وَالْعُلُومِ الْأَوَّلِيَّةِ وَالْآخِرِيَّةِ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ، وَلَكِنْ كُلَّمَا ابْتَدَعَ شَخْصٌ بِدْعَةً اتَّسَعُوا فِي جَوَابِهَا، فَلِذَلِكَ صَارَ كَلَامُ الْمُتَأَخِّرِينَ كَثِيرًا، قَلِيلَ الْبَرَكَةِ، بِخِلَافِ كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ، فَإِنَّهُ قَلِيلٌ، كَثِيرُ الْبَرَكَةِ، لَا كَمَا يَقُولُهُ ضُلَّالُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَجَهَلَتُهُمْ: إِنَّ طَرِيقَةَ الْقَوْمِ أَسْلَمُ، وَإِنَّ طَرِيقَتَنَا أَحْكَمُ وَأَعْلَمُ.

وَكَمَا يَقُولُهُ مَنْ لَمْ يُقَدِّرْهُمْ قَدْرَهُمْ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْفِقْهِ: إِنَّهُمْ لَمْ يَتَفَرَّغُوا لِاسْتِنْبَاطِهِ، وَضَبْطِ قَوَاعِدِهِ وَأَحْكَامِهِ اشْتِغَالًا مِنْهُمْ بِغَيْرِهِ! وَالْمُتَأَخِّرُونَ تَفَرَّغُوا لِذَلِكَ، فَهُمْ أَفْقَهُ!! فَكُلُّ هَؤُلَاءِ مَحْجُوبُونَ عَنْ مَعْرِفَةِ مَقَادِيرِ السَّلَفِ، وَعُمْقِ عُلُومِهِمْ، وَقِلَّةِ تَكَلُّفِهِمْ، وَكَمَالِ بَصَائِرِهِمْ، وَتَاللَّهِ مَا امْتَازَ عَنْهُمُ الْمُتَأَخِّرُونَ إِلَّا بِالتَّكَلُّفِ وَالِاشْتِغَالِ بِالْأَطْرَافِ الَّتِي كَانَتْ هِمَّةُ الْقَوْمِ مُرَاعَاةَ أُصُولِهَا، وَضَبْطَ قَوَاعِدِهَا، وَشَدَّ مَعَاقِدِهَا، وَهِمَمُهُمْ مُشَمَّرَةٌ إِلَى الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ فَالْمُتَأَخِّرُونَ فِي شَأْنٍ، وَالْقَوْمُ فِي شَأْنٍ آخَرَ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا.

وَقَدْ شَرَحَ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَلَكِنْ رَأَيْتُ بَعْضَ الشَّارِحِينَ قَدْ أَصْغَى إِلَى أَهْلِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، وَاسْتَمَدَّ مِنْهُمْ، وَتَكَلَّمَ بِعِبَارَاتِهِمْ، وَالسَّلَفُ لَمْ يَكْرَهُوا التَّكَلُّمَ بِالْجَوْهَرِ وَالْجِسْمِ وَالْعَرَضِ وَنَحْوِ ذَلِكَ لِمُجَرَّدِ كَوْنِهِ اصْطِلَاحًا جَدِيدًا عَلَى مَعَانٍ صَحِيحَةٍ؛ كَالِاصْطِلَاحِ عَلَى أَلْفَاظٍ لِعُلُومٍ صَحِيحَةٍ، وَلَا كَرِهُوا أَيْضًا الدَّلَالَةَ عَلَى الْحَقِّ وَالْمُحَاجَّةَ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ، بَلْ كَرِهُوهُ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى أُمُورٍ كَاذِبَةٍ مُخَالِفَةٍ لِلْحَقِّ، وَمِنْ ذَلِكَ مُخَالَفَتُهَا لِلْكِتَابِ وَالسنَّة، وَلِهَذَا لَا تَجِدُ عِنْدَ أَهْلِهَا مِنَ الْيَقِينِ وَالْمَعْرِفَةِ مَا عِنْدَ عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَضْلًا عَنْ عُلَمَائِهِمْ.

وَلِاشْتِمَالِ مُقَدِّمَاتِهِمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، كَثُرَ الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ، وَانْتَشَرَ الْقِيلُ وَالْقَالُ، وَتَوَلَّدَ لَهُمْ عَنْهَا مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُخَالِفَةِ لِلشَّرْعِ الصَّحِيحِ وَالْعَقْلِ الصَّرِيحِ مَا يَضِيقُ عَنْهُ الْمَجَالُ، وَسَيَأْتِي لِذَلِكَ زِيَادَةُ بَيَانٍ عِنْدَ قَوْلِهِ: "فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ...".

وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَشْرَحَهَا سَالِكًا طَرِيقَ السَّلَفِ فِي عِبَارَاتِهِمْ، وَأَنْسُجَ عَلَى مِنْوَالِهِمْ، مُتَطَفِّلًا عَلَيْهِمْ، لَعَلِّي أَنْ أُنْظَمَ فِي سِلْكِهِمْ، وَأُدْخَلَ فِي عِدَادِهِمْ، وَأُحْشَرَ فِي زُمْرَتِهِمْ ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾[النساء: ٦٩].

**وَلَمَّا رَأَيْتُ النُّفُوسَ مَائِلَةً إِلَى الِاخْتِصَارِ، آثَرْتُهُ عَلَى التَّطْوِيلِ وَالْإِسْهَابِ. ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود: ٨٨]، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ).**

**(الشرح)**

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد...**

بعد أن ذكر ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- الحثَّ على البحث في الكتاب والسنَّة، وأن التركيز في البحث يكون في نصوص الكتاب والسنَّة، وذكر أيضًا أن الإصغاء إلى أهل البدع لم يكن طريق أهل السنَّة والجماعة.

بعدها قال: **(وَهَذِهِ كَانَتْ طَرِيقَةَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ)** يشير هنا في قوله: **(وَهَذِهِ)** أي أن طريقتهم كانت اتباع نصوص الكتاب والسنَّة، والحذر الشديد من البِدَع وأهلها، ولذلك لم يكونوا يُجادلونهم أيضًا إذا لم تكن هناك ضرورة ماسَّة، أيضًا لم يكونوا يُجالسونهم ويحادثونهم إلا لضرورة. كل هذا:

- ليُحصِّنوا أنفسهم أولًا.
- وحتى لا يكثر سواد المخالفين ثانيًا.
- وحتى لا يحصل الخلط بسبب المواضع التي ليس فيها قصد الوصول إلى الحق.

بسبب هذه الأمور كلها كانوا أبعد الناس عن البدع وأهلها، أما المناظرة التي تتحتم عليك بسبب ظروفٍ معينة فهذه مطلوبة، بل يقول شيخ الإسلام: أن هذا من الواجبات، وأن توضيح الحق قد لا يكون بغير ذلك، فهذا شأنها شأنٌ آخر، نحن نتحدث عن عموم الأحوال، هذا كان سبيلهم، بخلاف أولئك الذين يصدرون عنهم، ويعتمدون عليهم، ويتمحورون حول وصولهم، هذه ليست طريقة أهل السنَّة والجماعة.

**(وَهَذِهِ كَانَتْ طَرِيقَةَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ، وَهِيَ طَرِيقَةُ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُهُمُ السَّلَفُ الْقَدِيمُ مِنَ التَّابِعِينَ الْأَوَّلِينَ، ثُمَّ مَنْ بَعْدَهُمْ؛ وَمِنْ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الدِّينِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ عِنْدَ الْأُمَّةِ الْوَسَطِ بِالْإِمَامَةِ)** يقول: جميع الأئمة هذا موقفهم، والكتب التي ذكرت أقوال الأئمة في هذا

الباب كثيرة، منها كتاب [ذم علم الكلام] لأبي إسماعيل الهروي، ذكر أقوال الأئمة مرتبةً على الطبقات، وحاول أو قارب أن يستوعبها.

ومن ذلك إذن كتاب اللالكائي، كتاب ابن بطة، وكتاب الأصفهاني، وغيرهم من الكتب الكبيرة التي أُلِّفت في عقائد أهل السنَّة والجماعة، ضمَّنوها تأصيلًا لهذا المسلك، وتحذيرًا ممن يُخالف هذا المسلك، وذكروا من أقوال الأئمة ما يكفي لتصور هذا الأمر، وخصوصًا أولئك الذين أشار إليهم هنا (**وَمِنْ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الدِّينِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ عِنْدَ الْأُمَّةِ الْوَسَطِ بِالْإِمَامَةِ**) وهم الأئمة الأربعة وتلاميذهم وشيوخهم، هؤلاء كلهم نصوصهم واضحة جدًّا في التحذير من البدع عمومًا، ومن بدع المتكلمين خصوصًا، هذا من حيث العموم.

ثم ذكر بعض الأقوال التي تناسب هذا المختصر، والتي تناسب أيضًا ما سيشير إليه في بداية المتن أن هذه العقيدة هي على منهج الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، ولذلك بدأ بأقوال الأحناف، وأطال معهم لأنه كما قلنا: من أهم الأهداف لتأليف المتن الدفاع عن مذهب الإمام أبي حنيفة، وقد أكد عليه الشارح بهذه المقدمة الجميلة وبهذه النصوص.

ولذلك بدأ بأبي يوسف، وإلا الأقوال في هذا كثيرة، وهناك أقوال لمن قبل أبي يوسف، أبي يوسف -رَحِمَهُ اللهُ- توفي سنَّة مئة واثنين وثمانين، هناك أقوال لمن قبله الإمام أبو سفيان الثوري توفي قبله، والإمام الأوزاعي، وصبيُّه الإمام مالك، أقوالهم كثيرة.

يقول: (**فَعَنْ أَبِي يُوسُفَ**) هذه الأقوال التي ذكرها هذا كله تفصيلٌ لما أشار إليه هنا (**طَرِيقَةَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ**) ما هي طريقتهم؟ وما هو موقفهم خصوصًا من هذا الوباء والبلاء الذي يُسمى علم الكلام، (**فَعَنْ أَبِي يُوسُفَ**) طبعًا هنا في هذه الفقرة كما قلت سيُركِّز على ذمِّ علم الكلام بخصوصه.

(**أَنَّهُ قَالَ لِبِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ**) بشر المريسي تلميذه، وهو على مذهبه، ومن أشهر تلاميذه في الفقه، وهو من أئمة الأحناف في الفقه، بشر المرِّيسي لما تقرأون في ترجمته في طبقات الأحناف تعرفون مكانته في الفقه، من الأئمة هو بشر المرِّيسي، ولاحظ كيف تباين الخطَّان هنا؛ أين أبو يوسف وأين بشر؟ هذا كله في داخل المذهب، مما يدل على خطورة ما وصلت إليه الأمور.

**الآن المحاولة هذه بين إمامين من أئمة الأحناف:**

- أحدهما يُمثِّل خط أهل السنَّة.

– والثاني يُمثِّل خط أهل البِدَع.

بشر المريسي أشهر المتكلمين على الإطلاق في عصره، بل هو يعتبر الإمام الثاني للجهمية بعد الجهم، ليس هناك من هو أشهر منه، ولذلك ذكر عدد من أئمة أهل السنَّة أن الجهمية، مذهب الجهمية، مقالة الجهمية انتشرت بسبب بشر أكثر من، هي بدأت من الجعد، ولم تشتهر بالنسبة إليه، ثم نشرها جهم، وعُرِفت بالنسبة إليه، والذي تولَّى نشرها أكثر هو بشر، وبشر مكانته كما قلت في الفقه الحنفي مكانة مرموقة، وهذا هو مكمن الخطر، كونه ينتسب إلى ذلك الإمام أبي حنيفة، هذا هو الخطر، وإلا أمثاله من البدع من المبتدعة كُثُر لا كثَّرهم الله، بشر توفي سنَّة مئتين وثمانية عشر.

يقول له: (**الْعِلْمُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْجَهْلُ، وَالْجَهْلُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْعِلْمُ، وَإِذَا صَارَ الرَّجُلُ رَأْسًا فِي الْكَلَامِ قِيلَ: زِنْدِيقٌ، أَوْ رُمِيَ بِالزَّنْدَقَةِ**) كلمات مركزة جدًّا وصريحة، سأُشير في نهاية هذه النصوص إلى تعامل المتكلمين المتأخرين مع نصوص أئمتهم في ذم علم الكلام، إن نسيت ذكِّروني، المتأخرين الذين لا زالوا على منهج هؤلاء، ولا زال أبو يوسف إمامهم، ولا زال الشافعي إمامهم، ولا زال أحمد بن حنبل إمامهم، أين يضعون نصوص هؤلاء الأئمة؟ ولماذا يتبعون علم الكلام مع تحذيرهم الشديد؟ سنشير إلى هذا إن شاء الله في الأخير.

لاحظوا نص: (**الْعِلْمُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْجَهْلُ، وَالْجَهْلُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْعِلْمُ، وَإِذَا صَارَ الرَّجُلُ رَأْسًا فِي الْكَلَامِ قِيلَ: زِنْدِيقٌ**) كأنه يقول لبشر: كلما ازددت علمًا بهذا البلاء تكون قريبًا من الزندقة أكثر إن لم تكن قد وصلت إليها، الإمام الشافعي لما ناظر حفصًا الفرد قال له بالمجلس: "كفرت بالله ربًّا"، حفص الفرد.

(**وَالْجَهْلُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْعِلْمُ، وَإِذَا صَارَ الرَّجُلُ رَأْسًا فِي الْكَلَامِ قِيلَ: زِنْدِيقٌ، أَوْ رُمِيَ بِالزَّنْدَقَةِ**) اتهم بالزندقة، قيل عنه أنه: إما زنديق، أو قريبٌ من الزندقة، سبحان الله! كلمات فعلًا قوية، وممن؟ ليس من الإمام أحمد، لا لا من أبي يوسف –رَحِمَهُ اللهُ–، وأبو يوسف أشهر تلاميذ الإمام أبي حنيفة، وكان مهتمًا أيضًا بالحديث.

الشارح هنا يشرح كلام أبي يوسف: (**أَرَادَ بِالْجَهْلِ بِهِ اعْتِقَادَ عَدَمِ صِحَّتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ عِلْمٌ نَافِعٌ**) كيف يقول: (**الْعِلْمُ بِالْكَلَامِ هُوَ الْجَهْلُ**)؟ لأن العلم بشيءٍ معين لا يكون جهلًا حتى ولو كان هذا

الشيء ما ينفع، ولكن لا يصح أن يُقال: العلم بهذا الشيء جهل، لا أنت أضفت شيئًا إلى علمك، أليس كذلك؟ مع ذلك لماذا يُسمى جهل؟! غريب.

يقول: (**أَرَادَ بِالْجَهْلِ بِهِ اعْتِقَادَ عَدَمِ صِحَّتِهِ**) أنت لماذا تتعلم؟ حتى تستفيد، إذا تعلمت علم الكلام سيضرك، لذلك يقول: (**أَرَادَ بِالْجَهْلِ بِهِ اعْتِقَادَ عَدَمِ صِحَّتِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ عِلْمٌ نَافِعٌ**) إذا اعتقدت أن علم الكلام مضِر، وأنه ليس بصحيح، وأنه في الجملة في أصوله علمٌ باطل، هذا علمٌ نافع.

(**أَوْ أَرَادَ بِهِ الْإِعْرَاضَ عَنْهُ أَوْ تَرْكَ الِالْتِفَاتِ إِلَى اعْتِبَارِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَصُونُ عِلْمَ الرَّجُلِ وَعَقْلَهُ**) حتى ولو تعلمه لضرورةٍ ما فإنه إذا أعرض عنه وتَرْكَ الِالْتِفَاتِ إِلَى اعْتِبَارِهِ، ولم يُعطيه ذلك الاعتبار هذا (**يَصُونُ عِلْمَ الرَّجُلِ وَعَقْلَهُ، فَيَكُونُ عِلْمًا بِهَذَا الِاعْتِبَارِ**)، وكما لاحظنا كلمات قوية جدًّا وصريحة.

(**وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: "مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ بِالْكَلَامِ تَزَنْدَقَ، وَمَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكِيمْيَاءِ أَفْلَسَ، وَمَنْ طَلَبَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ كَذَبَ**") طبعًا هذه المقولة بالذات هذه تكاد تكون من الأمثال السائغة، منسوبةً إلى أبي يوسف نفسه، تحدث فيها عن ثلاثة أمور:

● **الأمر الأول**: (**مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ بِالْكَلَامِ**) العلم الذي هو العلم بالشيء واعتقاد صحته، والوصول إلى المطلوب، والعلم بالمعلوم، تطلبه بماذا؟ (**بِالْكَلَامِ تَزَنْدَقَ**) يشير إلى ما سيأتي من كلام ابن أبي العز إلى أصول هذا العلم، أصول هذا العلم متنافرة جدًّا مع اليقين؛ لأن أول خطوة في هذا العلم يجب عليك أن تشُك، يجب عليك أن تشُك وأن تتخلَّى عن اليقين الذي تتمتَّع به تتخلَّى عنه، لا بد أن تشُك، ولا بد أن تتجرَّد عن هذا الذي عنك ثم تبدأ.

هذا العلم في بدايته وفي نهايته هو خلاف اليقين، لذلك لا تستبعد أن يصل إلى الزندقة، وفي مجمل ما ذكره ابن أبي العز عن علم الكلام سيتضح لنا هذا الشيء، لماذا يُركز الأئمة على هذا؟ علم الكلام والزندقة، لماذا يُذكر هذا مع بعض؟ الزندقة هي الخروج من الإسلام بعد أن يكون عليه، مَن طلب العلم بالكلام تزندق.

**كما قلت: علم الكلام بدايته الشك ونهايته شك؛**

**بالنسبة للبداية**: أصوله، لا بد أن تبدأ بالشك كما ستأتي من الأقوال، فمن الأقوال في ذلك عديدة، كلها تؤدي إلى هذا، مثلًا:

- الذي يقول: أول واجبٍ على المكلَّف هو النظر، لماذا تنظر إن لم تكن شاكًّا؟

- بعضهم يقول: أول واجبٍ على المكلف هو القصد إلى النظر، نفس الشيء، القصد هو بداية النظر.
- وبعضهم صرَّح كما سيأتي: أول واجبٍ على المكلف هو الشك.

فبدايته لا يجتمع مع اليقين، أما ما يقولون: أن هذا الذي يؤديك إلى اليقين الراسخ فهم لم يجدوه، لم يجدوا هذا الطعم هم في حياتهم، طبعًا الأقوال التي سيذكرها أبي العز هذه الأقوال تجعلك ترحم حالهم سبحان الله! مع هذا الاجتهاد، ومع هذا الذي ضيَّعوا أعمارهم مع ذلك وصلوا إلى النتيجة، لماذا؟ لأن هذا العلم ليس العلم الذي يوصلك إلى اليقين، لا أصوله ولا فروعه. **هذه ناحية**.

● **الناحية الثانية**: هذا العلم بعد أن يجردك من اليقين الذي أنت عليه يشكك في مصادر اليقين، ما يتركك هكذا، هبْ أن فلانًا من الناس تنزُّلًا مع هذا المتكلم تخلى عن يقينه وبدأ مشواره مع الشك، طيب هو سيلجأ إلى الأدلة، تلك الأدلة التي توصله إلى اليقين، أليس كذلك؟ أمامه أدلة؛

- منها أدلة أرسطو.
- منها أدلة أفلاطون.
- منها أدلة المتكلمين.
- منها أدلة الكتاب والسنَّة.

هذه الأدلة اشتغل عليها هذا المتكلم وبيَّن أن هذه الأدلة لا توصلك إلى اليقين، رأينا **المرحلة الأولى**.

**والمرحلة الثانية**: التي قد يتدارك نفسه بها، أيضًا سدُّوها عليه، هذه الأدلة لا توصلك إلى اليقين، إذن إلى أين أنت يا مريسي، إلى أين تذهب؟ بدايتك الشك، ومصادر اليقين شككت فيها أيضًا، أين اليقين؟ ولذلك تجدون المقارنة هذه علم الكلام في مقابله أو في طريقه الزندقة يؤدي إلى الزندقة بسبب هذا؛ بدايته الشك أيضًا مصادر اليقين تشكيك فيها، تهوين من شأنها، استخفاف بها، بالتالي أين اليقين؟

**(وَمَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكِيمْيَاءِ أَفْلَسَ)** طبعًا هو يرد هنا على مقولة قديمة راجت على المتكلمين أكثر، مع أنهم أصحاب العقول الجبارة، راجت عليهم هذه المقولة كثيرًا: "أن المعادن الرخيصة بمزاولة

معينة وبمعالجة معينة تتحول إلى معادن ثمينة"، وعلى هذه النظرية تنبني نظرية الجوهر الفرد، نظرية الجوهر الفرد تنبني على أن أصل المعادن كلها واحدة، وأن الذرات كلها متجانسة لا فرق فيها.

وهذا الذي يبدو لنا من الفرق مثلًا بين ذرات الذهب والفضة، والألومنيوم، والألماس، هذه بمعالجة بسيطة ممكن تتحول هذه إلى هذه، وهذه إلى هذه، وكثيرٌ من أصحاب الأموال قد تم أكل أموالهم بهذه، أعطيني مثلًا كذا وكذا من الأموال حتى أحول لك هذه، طيب حولها لنفسك لماذا تُحولها له؟ وممن زاولها الرازي نفسه -رَحِمَهُ اللهُ- هو ممن زاول هذه المحاولة؛ تحويل المعادن الرخيصة إلى معادن ثمينة.

لذلك يقول: **(وَمَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكِيمْيَاءِ أَفْلَسَ)** الذي عنده سيذهب، والذي يؤمِّله لن يأتِ وبالتالي طريقه الإفلاس، طبعًا العلم الحديث أثبت أن الذرات ليست متجانسة، الذرات تختلف، والمتخصصون يعرفون هذا، أحد منكم متخصص في الفيزياء؟ أنا جلست مع الفيزيائيين وحاولت أن أستفيد معهم، وسافرت إلى بعضهم، وجلست معهم لأفهم هذه النظرية؛ لأن إلى الآن علم الكلام الأشعري والماتريدي مبنيٌّ على هذه النظرية -نظرية الجوهر الفرد- مع أنها نظرية باطلة، مع ذلك إلى الآن يُدندنون حولها، ولها تبعات خطيرة جدًّا على الإيمان.

**على كل حال**؛ كلام الإمام أبي يوسف دقيق: **(وَمَنْ طَلَبَ الْمَالَ بِالْكِيمْيَاءِ أَفْلَسَ، وَمَنْ طَلَبَ غَرِيبَ الْحَدِيثِ كَذَبَ)** الذي يريد أن يأتي بحديثٍ لم تتداوله ألسنَّة العلماء المعروفين أين سيذهب؟ هذا الحديث لم يعرفه البخاري، ولم يعرفه شيوخه، ولم يعرفه تلاميذه، ولم يعرفه أقرانه، يريد أن يأتي يصل إلى حديثٍ غريب، هذا سيقع في الكذب، هذا قصده، وإلا الأحاديث الصحيحة، الأحاديث المقبولة، حتمًا تتداولها ألسنة العلماء وأقلامهم ومدوناتهم، الذي يريد أن يُغلب عليهم كلهم سيقع في الكذب.

**(وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسنَّة وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ)** طبعًا كلام الإمام الشافعي في هذا كثير، ولما ناظر حفص الفرد سبحان الله! ذهب إليه ابن يونس من تلاميذه، وذكر له أنه قد اطَّلع عند أهل الكلام على أمور ما كان يظنها، هذا معنى كلامه.

والإمام الشافعي هو ذلك الإمام الذي برز في جميع حقول العلم في الاعتقاد، في الحديث، في الفقه، في أصول الفقه، في المصلح، ليس هناك حقلٌ إلا وهو بارزٌ فيه، مناظراته مع المتكلمين معروفة، وأظنه

اختصرها في هذا؛ المتكلم لا يستاهل إلا هذا الذي ذكره الشافعي حتى يعرِف بضاعته، إذا أجلَّه الناس وكذا سيستمر على ضلاله وسيُضل الناس.

لذلك يقول: (**يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسنَّة وَأَقْبَلَ عَلَى علم الْكَلَامِ**) لاحظ الإقبال على علم الكلام لا يمكن إلا بعد ترك الكتاب والسنَّة، وإلا ما الذي ينقصك حتى تذهب إلى المريسي؟ ما الذي ينقصك؟ ما الذي لم تجده في الكتاب والسنَّة حتى تذهب إلى المريسي؟ (**وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ**).

فخر الدين الرازي -رَحِمَهُ اللهُ- ألَّف كتابًا في ترجمة الشافعي، طُبِع في مجلدين، وذكر فيه نصوص الشافعي، الكتاب مطبوع، ذكر فيه نصوص الشافعي في التحذير من علم الكلام، وبدأ يذكر رأيه فيها؛ لأن نصوص الشافعي واضحة، عمومًا المتكلمون المتأخرون يرون، وهذا ذكره البيهقي وغيره، طبعًا هذا غريب، يرون أن كلام الأئمة في التحذير من علم الكلام يقصدون به المعتزلة وأمثالهم، حتى يستثنوا الكلَّابية والأشاعرة والماتوريدية، هذا عمومًا.

**وكلام الرازي في ذلك في كتابه في ترجمة الإمام الشافعي يقول: "هذه النصوص ننظر فيها من زاويتين:**

- إما أن تكون هذه النصوص صحيحة، ونقول: أن هذه النصوص ثبتت من الإمام الشافعي.
- وإما ألا تكون صحيحة.

**إذا صحَّت هذه النصوص** فهذا يقدح في علم الشافعي، والشافعي كما نعرف القدح في علمه لا يمكن، إمام، والرازي من الشافعية، فما دام أن هذه النصوص صدرت عن الشافعي، والشافعي لا يمكن أن يذُم علم الكلام الذي هو أصل أصول الدين، ولا نستطيع أيضًا أن نقدح في علم الشافعي، يعني ما نستطيع أن نقول: هذا كلام الشافعي وكلام الشافعي لا علَّة به، ما نستطيع نقول، ما نستطيع نقدح في علم الشافعي، وما نستطيع أيضًا أن نقبل هذا الذي يقوله الشافعي؛ لأن علم الكلام هو أصل علم الأصول، فماذا نفعل؟

قال: لا بد أن نؤوِّل، كيف تؤوِّل؟ نقول: يقصد المعتزلة والجهمية، طبعًا الرازي الغريب في أمره أنه صريح هنا، هو صريح في أن هذه النصوص فعلًا هي كالصواعق علينا نحن، هو صريح في هذا، وصريح

أنه هو في تكلُّف شديد في التملُّص منها، صريح في هذا كله، أليس كذلك؟ وبالتالي ما نستطيع نقدح في علم الشافعي لماذا؟ لأن الشافعي إذا كان يجهل أن علم الكلام هو أصل الأصول فليس بعالم، إذا كان يجهل هذا فليس بعالم ولا يحسُن بالشافعي أن يجهل هذا، وبالتالي [٣٦:٣٢] وهكذا مصير هذه النصوص عند هؤلاء المتهورين، سبحان الله!

وتأويل كلام الشافعي من أسهل ما يكون، ما دام يؤولون كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت: ٤١-٤٢] ما دام ملأوه تأويلًا وتحريفًا فكلام الشافعي من أسهل ما يكون.

أيضًا يقول الإمام الشافعي:

**كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ ... إِلَّا الْحَدِيثَ وَإِلَّا الْفِقْهَ فِي**

الفقه في الدين مبنيٌّ على الكتاب والسنَّة.

**الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا ... وَمَا سِوَى ذَاكَ وَسْوَاسُ**

الإمام الشافعي -رَحِمَهُ اللهُ- كما قلت: إمام أيضًا في الحديث، إمام في جميع العلوم الشافعية، ذكر كلام أبي يوسف، وذكر أيضًا كلام الشافعي، ويذكر هنا ويختم بما اشتُهر في أوساط الأحناف، يريد أن يقول: أن هذا الذي قاله أبو يوسف عليه أصحابنا المتأخرون.

(**وَذَكَرَ الْأَصْحَابُ**) يقصد الأحناف، طبعًا هذا يتحدد بالنظر إلى مذهب المتكلم، إذا رأيتم في كتب الحنابلة فالأصحاب هم الحنابلة، والشافعية، وابن أبي العز حنفي، يقصد هنا الأحناف.

(**وَذَكَرَ الْأَصْحَابُ فِي [الْفَتَاوَى]: أَنَّهُ لَوْ أَوْصَى لِعُلَمَاءِ بَلَدِهِ: لَا يَدْخُلُ الْمُتَكَلِّمُونَ**)، (**لَوْ أَوْصَى لِعُلَمَاءِ بَلَدِهِ**) كتب في الوصية أن هذا المال للعلماء، لعلماء هذا البلد، المتكلمون لا يدخلون فيه؛ لأنهم ليسوا علماء، فما الذي عندهم حتى يكونوا علماء؟ هذا مَن قرره؟ المتأخرون.

(**وَلَوْ أَوْصَى إِنْسَانٌ أَنْ يُوقَفَ مِنْ كُتُبِهِ مَا هُوَ مِنْ كُتُبِ الْعِلْمِ**) وصية أخرى: شخص يكتب ويقول: كتبه التي فيها العلم هذه وقفٌ على طلَّاب العلم أو وقفٌ على العلماء، المتكلم لا يدخل في العلماء، وكتب المتكلمين كتب علم الكلام لا تدخل فيها، (**فَأَفْتَى السَّلَفُ أَنْ يُبَاعَ مَا فِيهَا مِنْ كُتُبِ الْكَلَامِ**) لا تدخل في الوصية، لا تكون وقفًا.

(**ذُكِرَ ذَلِكَ بِمَعْنَاهُ فِي [الْفَتَاوَى الظَّهِيرِيَّةِ]**) [الْفَتَاوَى الظَّهِيرِيَّةِ] لظهر الدين البخاري، توفي سنَّة ستمئة وتسعة عشر، وأظنه هو لم أتأكد منه لم أجد فرصة صاحب [المحيط] والله أعلم، إن لم يكن هذاك فهو قريبٌ منه، صاحب [المحيط] أيضًا في القرن السابع.

(**فَكَيْفَ يُرَامُ الْوُصُولُ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ، بِغَيْرِ اتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ؟!**) الذي تجده في علم الكلام ليس هناك شيءٌ من اتباع الرسول، فكيف تصل إلى علم الأصول؟!

**وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:** (**أَيُّهَا الْمُغْتَدِي**) يخرج صباحًا.

**لِـيَـطْـلُـبَ عِـلْـمًـا كُلُّ عِلْمٍ عَبْدٌ لِعِلْمِ الرَّسُـولِ**

(**كُلُّ عِلْمٍ عَبْدٌ لِعِلْمِ الرَّسُولِ**) هذا عكس ما يقرره المتكلمون، وأن علم الكلام رئيس العلوم الشرعية، وأن هذا ذكره الرازي وذكر من قلَّده في هذا، رئيس العلوم الشرعية، أصل العلوم الشرعية بالنسبة لعلم الكلام هكذا يقولون، والصحيح ما ذكره هذا القائل -رَحِمَهُ اللهُ-: (**كُلُّ عِلْمٍ عَبْدٌ لِعِلْمِ الرَّسُولِ**).

(**تَطْلُبُ الْفَرْعَ كَيْ تُصَحِّحَ أَصْلًا**) المفروض يكون العكس، تطلب الأصل كي تصحح الفرع، (**كَيْفَ أَغْفَلْتَ عِلْمَ أَصْلِ الْأُصُولِ**) هو حال المتكلمين كما قلت العكس، يُصححون الأصلين بعلم الكلام، الأصلان:

- التوحيد.
- وأصول الفقه.

يُصححونهما بعلم الكلام، وطبعًا هذه المسألة من المسائل التي تعتبر مسألة إجماعية عندهم، الآن في علم الكلام المعاصر بعد كتب الرازي علم الكلام هو أصل العلم الشرعية وبه توزن جميع العلوم، يذكرون هذا في علم الكلام، ويذكرونها بتأكيدٍ أكثر في أصول الفقه، يؤكدون على هذه.

ثم بدأ أيضًا يُبيِّن أهمية السنَّة، وأن السنَّة فيها غُنية عن هذه الترَّهات، أيضًا بعض الناس يظن أن اللجوء إلى علم الكلام قد يكون بسبب عدم استيعاب النصوص لكل ما هو من أصول الدين، هكذا يظنون، يقول لك: أنا معك أن الأصل الكتاب والسنَّة، ولكن الكتاب والسنَّة نصوص الكتاب والسنَّة لم تستوعب كل ما هو من أصول الدين، فلا بد أن آخذ من أولئك.

يقول الشارح يذكر هنا فصاحة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبلاغته ومقدار وعظمة كلامه، وأن النصوص هذه جامعة مانعة، ولا تحوجك إلى غيرها، يقول: (**نَبِيُّنَا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُوتِيَ فَوَاتِحَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ وَجَوَامِعَهُ**) كل الأوصاف أوصاف الكمال التي تكون في الكلام أوتيها النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ ففيه بيان منزلة كلام النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وسيُعقِّب عليه سيبني عليه منزلة كلام السلف الذين تعلَّموا كلام النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لأن علمهم مبنيٌّ على علمه.

- (**فَبُعِثَ بِالْعُلُومِ الْكُلِّيَّةِ**) العلوم الكلية التي تضبط العلوم الكلية.
- (**وَالْعُلُومِ الْأَوَّلِيَّةِ**) التي تحتاجها لمعرفة بداية نشأة الكون، وأيضًا ما تتعلق بهذه المسائل.
- (**وَالْآخِرِيَّةِ**) العلوم التي تتعلق بالآخرة.

أوائل العلوم وأواخرها كلها تجدها عند النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (**عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ، وَلَكِنْ كُلَّمَا ابْتَدَعَ شَخْصٌ بِدْعَةً اتَّسَعُوا فِي جَوَابِهَا**) ما دام هذا كله موجود في النصوص، نصوص الكتاب والسنَّة فلماذا علم الكلام، ولماذا بقية العلوم؟ يذكر السبب: (**كُلَّمَا ابْتَدَعَ شَخْصٌ بِدْعَةً اتَّسَعُوا فِي جَوَابِهَا**).

طبعًا ما ذكره ابن أبي العز هنا هو يتحدث عن جانب، ولم يتحدث عن جانب، المتكلمون علمهم فيه جانبان:

- جانب تأصيل.
- وجانب رد، وهذا الذي يغلب عليهم.

**مثلًا**: الكلَّابية نشأته مرتبطة بنشأة المعتزلة، والمعتزلة نشأتهم مرتبطة بوجود الفلاسفة، هكذا يزعمون أننا نحن نرد على الفلاسفة، ونحن ندافع عن الإسلام في هذه الأصول، لما جنحوا إلى العقل ولم يُقدّروا قدر النصوص جاء الكلَّابية للرد على المعتزلة، نشأة الكلَّابية من حيث الأصل سبب وجيه، نشأت الكلَّابية للرد على المعتزلة، وأوائل الكلابية في هذا نصوصهم في هذا جميلة، ولكن للأسف أخذهم منه لبعض الأصول هذا الذي جعلهم ينحرفون، وإلا نشأتهم من البداية لسبب وجيه.

**فهم كما قلت: هناك خطان:**

- خط الرد؛ الرد على الفلاسفة، والرد على الجهمية، والرد على المعتزلة، وبالنسبة للمعتزلة الرد على الفلاسفة.
- وخط فيه تأصيل.

الشارح هنا يتحدث عن هذا الخط الذي فيه الرد، الخط الآخر هو لا يكلُّ خطرًا عن هذا لم يتحدث عنه الشارح الذي هو التأصيل، هم لما يردون مثلًا الكلَّابية لما يردون على المعتزلة يردون عليهم منطلقين من أصول، وهذه الأصول هم أصَّلوها وكتبوها في كتبهم، فالأصول فيها انحراف، وردودهم وبناء ردودهم على هذه الأصول فيها انحراف.

إذا افترضنا أن ردودهم على تلك البدع كانت أقوالهم فيها جميلة، هذا الذي يتحدث عنه ابن أبي العز، ابن أبي العز يفترض -رَحِمَهُ اللهُ- أن ردودهم على أولئك كانت ردود في الجملة جيدة، مع ذلك قليلة البركة، هو لا يتحدث عن ردود أهل السنَّة، واضح يا مشايخ؟ لأن ردود أهل السنَّة هي الردود حسب نشأة البِدَع.

**مثلًا**: لن تجد عند المتقدمين ردود على من انحرف في توحيد الألوهية، لن تجد لماذا؟ لأن هذا لن يحصل أصلًا، وبالتالي من العبث أن تبحث في كتب ابن خزيمة، وفي كتب ابن مندة، ومن هم في هذه الطبقة، الرد على من انحرف في توحيد الألوهية؛ لأن هذا حصل متأخرًا، هم ردُّوا على الانحرافات الموجودة عندهم، هم والذين جاءوا بعدهم ردُّوا على الانحرافات التي كانت عنده، ولا زال الأمر متسلسلًا كلما نشأت بدعة أهل السنَّة ردُّوا عليهم وردودهم مباركة.

**المؤلف هنا الشارح يتحدَّث عن أولئك الذين يتكلَّفون في الردود على صحتها، قليلة البركة:**

**(كُلَّمَا ابْتَدَعَ شَخْصٌ بِدْعَةً اتَّسَعُوا فِي جَوَابِهَا، فَلِذَلِكَ صَارَ كَلَامُ الْمُتَأَخِّرِينَ كَثِيرًا، قَلِيلَ الْبَرَكَةِ، بِخِلَافِ كَلَامِ الْمُتَقَدِّمِينَ، فَإِنَّهُ قَلِيلٌ، كَثِيرُ الْبَرَكَةِ)** قليلٌ جامعٌ مانعٌ، الأجوبة موجودة فيها، ولكنه لم يُثرثر مثلما هو عند المتأخرين، فظننت أن عنده نقص، وبدأت تبحث عن هذا في كتب المتأخرين، لا موجود في كلام المتقدمين.

**(لَا كَمَا يَقُولُهُ ضُلَّالُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَجَهَلَتُهُمْ: إِنَّ طَرِيقَةَ الْقَوْمِ أَسْلَمُ، وَإِنَّ طَرِيقَتَنَا أَحْكَمُ وَأَعْلَمُ)** هذه المقولة تحدَّث عنها شيخ الإسلام بشيءٍ من الإسهاب في [الحموية]، والتفصيل الذي ذكره هناك

جميل جدًّا، ومن الصعب أن نذكره هنا. هذه المقولة مبنيةٌ على أن مذهب السلف يختلف عن مذهب الخلف، وهذا الذي يهمنا، في هذه المقولة اعتراف أن هناك طريقتان:

- طريقة للسلف.
- وطريقة للخلف.

وبالتالي من يُطلق هذه المقولة يعترف أنه يخالف السلف جملةً، لذلك لما ذكر هذه المقولة شيخ الإسلام في كتابه [الانتصار لأهل الحديث] هناك علَّق عليها تعليقًا "أفلا عاقلٌ يدري! أفلا كذا، أفلا كذا أن القوم يعترفون أنهم يُخالفون السلف جملةً، مع ذلك يرون أن الحكم معه"، سبحان الله! ما هي قيمة السلف عندك؟ أنت بنفسك تعترف أنهم جملةً يُخالفونك، مع ذلك أنت على صواب، ليس هذا فقط بل أنت الأعلم والأحكم، هذا أغرب.

وبالتالي هذا العلم والإحكام جاءك ليس عن طريق السلف؛ لأن السلف ليسوا على هذا المذهب، من أين جاءك؟ لذلك ذكر شيخ الإسلام هناك مصادر القول، هذا العلم والإحكام الذي جاءك؛ جاءك من الهنود، جاءك من اليونان، جاءك من البوذيين وغيرهم، هذه المصادر ذكرها شيخ الإسلام هناك، من اليهود والنصارى؛ لأنك بنفسك تعترف أن السلف ليسوا على هذا.

وذكر هناك أيضًا أن هذه المقابلة أصلًا خطأ؛ لأن السلامة لا تكون إلا حيث العلم والإحكام، بدون العلم والإحكام لا تكون سلامة، والعلم والإحكام لا يكون إلا حيث السلامة، كيف وزَّعتم السلامة هنا والعلم والإحكام هنا؟ أصلًا لا يستقيم، وشيخ الإسلام تعبيره هناك طبعًا شديد جدًّا، وابن أبي العز هنا لطيف جدًّا معهم يقول: (**ضُلَّالُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَجَهَلَتُهُمْ**)، هناك شيخ الإسلام يُسميهم أغبياء؛ لأن تركيب الكلمة تدل على الغباء، المقابلة بين السلف والخلف، وأيضًا نصيب الخلف مع مخالفتهم للسلف هو من نصيب العلم والإحكام.

**ومضمون المقالة**: أن ما للسلف هذا مجاملةً، مضمون المقالة، وإلا ما دام العلم والإحكام معك فلا يمكن أن تكون السلامة معه، يقول: (**لَا كَمَا يَقُولُهُ ضُلَّالُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَجَهَلَتُهُمْ: إِنَّ طَرِيقَةَ الْقَوْمِ**) يعني السلف (**أَسْلَمُ، وَإِنَّ طَرِيقَتَنَا أَحْكَمُ وَأَعْلَمُ**) هم يقولون: أن نحن وصلنا إلى الإحكام لثلاثة أمور -سبب العلم والإحكام-:

الأمر الأول، بعد الصلاة، وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد...**

كنا نتحدث عن دعوى إحكام المتكلمين، ودعوى اختصاصهم بالعلم، وأنهم يدَّعون هذا لثلاثة أمور:

**الأمر الأول**: أنهم انتبهوا إلى الحق الذي هو النفي، هذا الذي لم ينتبه له السلف، السلف في مجمل عصورهم لم ينتبهوا إلى هذا الحق، ولم يعلموه، وبالتالي ليس عندهم العلم.

**والأمر الثاني**: أنهم لأجل علمهم بالحق وهو النفي تطلَّبوا حلولًا للنصوص التي ظاهرها التشبيه، السلف لما أنهم لم ينتبهوا إلى الحق، وبالتالي لم ينتبهوا إلى الخطورة التي تُشكلها هذه النصوص، وأنها في ظاهرها تفيد التشبيه وهو الكفر، لم ينتبهوا لها.

**والأمر الثالث**: أن الخلف هم الذين أجابوا عن شبهات المثبتين الذين لا زالوا على جهلهم ويُثبتوها.

هذه الأمور الثلاثة هي التي توجب لهم العلم والإحكام، وكل هذه الأمور كل الأمور الثلاثة هي ليست موجبة للعلم والإحكام، من أبعد ما تكون عن العلم والإحكام، هذه الأمور هي التي أبعدتهم، لما اعترفوا أن السلف في مجمل عصورهم ليسوا على هذا المذهب كان عليهم أن ينتبهوا، أين أنت؟ باعترافك أنك تخالف السلف كلهم، باعترافك أين أنت؟ المفروض تنتبه، لا.

ثانيًا: السلف سبحان الله! كما صرَّح بعضهم اغترُّوا، وقع الاغترار يقول الآمدي، وقع الاغترار بهذه النصوص، مَن الذي اغترَّ بهذه النصوص؟ السلف على كلامهم، وهم اغتروا بهذه النصوص الكثيرة، سبحان الله! وأنت انتبهت إلى الحق.

الرازي لما يذكر في كتابه [تأسيس التقديس] يقول: "أنه لا نستبعد أن يكون في الصحيحين أحاديث موضوعة"، لا نتحدث عن الأحاديث الضعيفة، لا نستبعد -يقول- أن يكون في الصحيحين أحاديث موضوعة، ثم ذكر ما الدليل؟ الدليل أنهم ليسوا معصومين.

قبل أيام كانت هناك ندوات عن الإمام البخاري، كنت أقول في نفسي: هؤلاء الذين يُثيرون الشبهات إلى الآن لم يطَّلعوا على تراث الرازي، الذي ذكره الرازي أخطر من هذا بكثير، يقول: حتى أبو هريرة –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– مجمل كلامه أنه لا يبعد أن يكون قد وضع بعض الأحاديث عن النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم–، ليس هذا نصُّ كلامه، مجمل كلامه، كلامه طويل في كتابه –كذا في العلم الإلهي– ما اسمه؟ [المطالب العالية]، كلام طويل عن أبي هريرة –رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– للرازي.

أيضًا ذكر في كتابه [بيان التأسيس] ذكر أن المحدثين ذكروا في جرح الرواة، ذكروا أمورًا يقول: ولا عاقل منهم ذكر أن فلان يُجرَح؛ لأنه جاء بما يُخالف الألوهية، يقول: ولا أحد منهم كان عاقلًا وجرح الرواة في هذا. أنا أقول: مَن الذي انتبه إلى هذه الأخطاء؟ الرازي، وبالتالي عنده العلم والإحكام، أما السلف مساكين لم ينتبهوا إلى هذه الخطورة التي تُشكِّلها هذه النصوص من الكتاب والسنَّة.

أيضًا هناك أمر ركَّز عليه شيخ الإسلام في [الحموية] وبهذا أُنهي حديثي عن هذه المقولة الجائرة، طبعًا هو ذكر في [الحموية] أن هذه المقولة فيها نبذٌ للإسلام وراء الظهر هكذا، لماذا؟ لأنك باعترافك هذا الذي عندك لم يكن عند السلف، طيب الشيء الذي لم تجده عند السلف يكون من الإسلام؟! أنت تعترف بما أنت عليه من الضلال الواضح.

**ركَّز هناك على أمرين:**

**الأمر الأول**: بيان طرفي النزاع، طبعًا نحن لما شرحنا [الحموية] هنا في هذا المسجد وقفنا مع هذه المقولة وقفة طويلة، لذلك لا نخوض فيها أكثر، ركَّز في البداية على إبراز طرفي النزاع، الآن هؤلاء المتكلمون لما يردون على أهل السنَّة ويتهمونهم بما يحلو لهم من التهم، ويُلِّقبونهم بما يحلو لهم من الألقاب الشنيعة وهم أولى بها، لماذا؟ مع أننا نبرز مذهب السلف.

هم لما يقولون: مذهب السلف أسلم، ومذهب الخلف أعلم وأحكم يدَّعون أنكم أنتم أهل السنَّة الحقيقيون المعاصرون أو من قبلهم لستم على مذهب السلف، السلف كلهم حيَّدوه بهذه، أنتم لكم السلامة وانتهينا، اجلسوا في مكانكم، أما هؤلاء التيميون وهؤلاء المبتدعة، هؤلاء المشبِّهة، ما ذنبنا نحن؟ ذنبنا مذهب السلف، وبالتالي صراعكم مع السلف لا تكذبوا، صراعكم مع السلف أنفسهم، وليست الأمور كما تظنون أنكم حيَّدتموه بهذه، لا لا، أنتم:

**أولًا**: اعترفتم أن مذهبكم ليس مذهب السلف.

**ثانيًا**: ما زعمتموه للسلف لا يكفي، بل هو خطأ، بل هو كذب عليهم كما ذكر شيخ الإسلام.

**ثالثًا**: صراعكم مع السلف، الآن لما تردُّون علينا أنتم تردُّون على السلف؛ لأن بضاعتنا هي بضاعة السلف الكتاب والسنَّة، والنصوص، مذهبنا هو مذهب السلف، ما زدنا عليهم بشيء.

(**وَكَمَا يَقُولُهُ مَنْ لَمْ يُقَدِّرْهُمْ قَدْرَهُمْ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْفِقْهِ: إِنَّهُمْ لَمْ يَتَفَرَّغُوا لِاسْتِنْبَاطِهِ، وَضَبْطِ قَوَاعِدِهِ وَأَحْكَامِهِ**) لماذا؟ يُبرِرون (**اشْتِغَالًا مِنْهُمْ بِغَيْرِهِ!**) قالوا: هم كانوا مشغولين بالجهاد فلم يتفرَّغوا، طيب: مَن الذي كان يُفتيهم في نوازلهم، في أحكامهم، يعني انتظروكم؟ نعم كانوا مشغولين مع ذلك كانوا يفتون، مع ذلك عنده الفقه.

(**وَالْمُتَأَخِّرُونَ تَفَرَّغُوا لِذَلِكَ، فَهُمْ أَفْقَهُ!!**) الإشكال هنا أنهم أفقه، نعم الذي تفرَّغ للفقه والذي بذل جهده في ذلك مشكور، سعيه مشكور، ولكن أنت لما تقارن بين المتأخرين وبين المتقدمين، وتهضم حق المتقدمين بأنهم لم يتفرَّغوا، وخاصةً الصحابة والتابعون وأتباعهم لم يتفرغوا، وبالتالي ليسوا أفقه، هذه كلمة جائرة هذه، لذلك كما ذكرت لكم في الدرس الماضي أحدهم قال: "حتى ولو أجمع الصحابة على مسألة خلاف الأئمة الأربعة ألا يُقبَل بها، حتى ولو أجمع الصحابة".

يقول: (**فَكُلُّ هَؤُلَاءِ مَحْجُوبُونَ عَنْ مَعْرِفَةِ مَقَادِيرِ السَّلَفِ، وَعُمْقِ عُلُومِهِمْ**) أنا أقول: كيف سيعرفون قدرهم وهم يرونهم بعيدين عن العلم والإحكام؟ (**وَقِلَّةِ تَكَلُّفِهِمْ، وَكَمَالِ بَصَائِرِهِمْ، وَتَاللَّهِ مَا امْتَازَ عَنْهُمُ الْمُتَأَخِّرُونَ إِلَّا بِالتَّكَلُّفِ**) هذا إذا كان كلامهم صحيحًا مثلما ذكرنا في الخطين؛ إذا كان كلامهم صحيحًا.

(**وَالِاشْتِغَالِ بِالْأَطْرَافِ الَّتِي كَانَتْ هِمَّةُ الْقَوْمِ مُرَاعَاةَ أُصُولِهَا، وَضَبْطَ قَوَاعِدِهَا، وَشَدَّ مَعَاقِدِهَا**) كانت هممهم منصرفة إلى تأصيل الأصول، إذا كان تأصيلك للأصل صحيحًا، إذا كان بناؤك محكمًا فالفروع تكون بناؤها على أصلٍ صحيح وتكون صحيحة، (**وَهِمَمُهُمْ مُشَمَّرَةً إِلَى الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛ فَالْمُتَأَخِّرُونَ فِي شَأْنٍ، وَالْقَوْمُ فِي شَأْنٍ آخَرَ**) القوم هم السلف (**وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**) قدْرًا، وقَدَرًا، كلاهما صحيح.

هنا بيَّن ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- عظمة كلام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ومنزلة كلام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وأن كلامه كلامٌ جامع؛

- وأن كل من كان بكلامه أعلم بكلامه أكثر اشتغالًا فله من ذلك أوفر نصيب.

– وأن كل من كان أبعد عن الاشتغال بكلام الله –عَزَّ وَجَلَّ– وتدبُّر كلامه وكلام رسوله، فنصيبه من العلم أقل.

ثم قال: (**وَقَدْ شَرَحَ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ**) يعني عقيدة الطحاوي (**غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَلَكِنْ رَأَيْتُ بَعْضَ الشَّارِحِينَ قَدْ أَصْغَى إِلَى أَهْلِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، وَاسْتَمَدَّ مِنْهُمْ، وَتَكَلَّمَ بِعِبَارَاتِهِمْ**) طبعًا شروحهم كثيرة، من الشروح المطبوعة: شرح البابرتي، أكمل الدين البابرتي، توفي سنَّة سبعمئة وستة وثمانين، هو معاصر للمؤلف، معاصر له وشحه مطبوع، طُبع قديمًا هنا.

– من البداية جعل الإمام الطحاوي متكلِّمًا لما قال: "وما يعتقدونه من أصول الدين"، كتب البابرتي أن هذا هو علم الكلام، البابرتي معروف له كتاب في الأصول أيضًا مطبوع.

– وممن أيضًا جعل الإمام الطحاوي متكلِّمًا، جعله أشعريًّا أو ماتوريديًّا السبكي، السبكي بعد أن ادَّعى أن أبا الحسن الأشعري لم يرجع عن علم الكلام، وإنما توفي على عقيدة الكلَّابية.

بعدها قارن بين عقيدته وبين عقيدة أهل السنَّة ويُمثلها كتاب الطحاوي، يُبرهن أن عقيدته هي عقيدة أهل السنَّة، فقارن بين أقواله وبين أقوال أهل السنَّة، وذكر أنهم لا يختلفون إلا في نحو عشرين مسألة؛ يعني عشرين مسألة ما تكفي؟! لا يختلفون إلا في نحو عشرين مسألة، هذا يدل على أن هناك خلافًا طويلًا بين هذا وهذا، ليس هناك خلاف إلا في نَهرٍ، إذن الخلاف طويل. والمهم أنه جعل الطحاوي أشعريًّا، والإمام أبا الحسن أيضًا أشعريًّا، مع أنه رجع عن علم الكلام –رَحِمَهُ اللهُ–، تاب عن علم الكلام وألَّف في ذلك كتبًا.

يقول: (**وَاسْتَمَدَّ مِنْهُمْ، وَتَكَلَّمَ بِعِبَارَاتِهِمْ**) أشار هنا وبهذه الإشارة ختم حديثه في المقدمة، أشار هنا إلى اتهام معروف للمتكلمين، هذا الاتهام يتهمون به السلف، ولا زال هذا الاتهام يُلاحقنا، يُلاحق أهل السلف، ويلاحق أهل السنَّة إلى الآن، هذا الاتهام، هذه التهمة أن السلف هم أعداء لكل جديد، وبالتالي لما سمعوا الجوهر والعرَض أشياء جديدة استنكروها؛ لأنها جديدة عليهم، ولم يتعمَّقوا، لا ولم يفهموا أصلًا، هم يقولون: ولم يتعمقوا، ولسان حالهم يقولون: لا لم يفهموا، طبعًا الآن كثير مما يكتب عن أهل السنَّة يتهمهم بأنهم نصيُّون، وأنهم لا يُعملون العقل، وهذه تهمة قديمة حديثة.

سبحان الله! أول ما جئت هنا أهل الكويت وجدت مقالة في المجلات المحترمة، مقالة تدور على هذا: أن السلف نصيُّون، وسبحان الله! الهمم أيضًا تختلف، كنت أريد أكتب الرد عليهم وأن:

**أولًا**: هذا فيه كذب.

**وثانيًا**: نحن نفتخر أننا نصيون، ونفتخر أن كل ما نقوله يتمحور حول النصوص، ولكن فَهم هذه النصوص بماذا؟ وليس بالعقول؟ إعمال العقل لفَهم النصوص والتدبُّر في النصوص، هذا الذي كما ذكر ابن أبي العز فيما سبق، هذا الذي ينفعك، أما أن هناك نصوص مصدر من المصادر، هناك عقل مصدر من المصادر، هذا الذي يُضيِّعك.

يُجيب عن هذه التهمة ابن أبي العز يقول: (**وَالسَّلَفُ لَمْ يَكْرَهُوا التَّكَلُّمَ بِالْجَوْهَرِ وَالْجِسْمِ وَالْعَرَضِ وَنَحْوِ ذَلِكَ لِمُجَرَّدِ كَوْنِهِ اصْطِلَاحًا جَدِيدًا عَلَى مَعَانٍ صَحِيحَةٍ**) ليس كما تزعمون أن المعاني صحيحة، والدلالة على تلك المعاني بهذه الألفاظ الجديدة.

**عندنا أمران:**

- معاني صحيحة، مدلولات صحيحة، دعاوي صحيحة.
- ولكن الدلالة عليها التعبير عنها كان بألفاظٍ جديدة.

تزعمون أن السلف رفضوا هذه المعاني الصحيحة بسبب الجِدَّة في الألفاظ والتعبير، يقول: ليس الأمر هكذا، سبحان الله! السلف عندهم حتى ولو قلنا: دراويش لا أبعد من الدراويش، لا هم يفهمون، المعاني الصحيحة هذه كيف يرفضونها بسبب اللفظ؟!

يقول: (**كَالِاصْطِلَاحِ عَلَى أَلْفَاظٍ لِعُلُومٍ صَحِيحَةٍ**) مثل العلوم: الفقه، وأصول الفقه، والنحو، والصرف، والبلاغة، هناك اصطلاحات، وهذه الاصطلاحات تدل على معاني صحيحة فلا أحد يرفضها، والشرط في الاصطلاح "لا مُشَاحَّة في الاصطلاح"، ولكن بشرط ألا يتصادم مع أصلٍ شرعي، مع دليلٍ شرعي.

يقول: (**كَالِاصْطِلَاحِ عَلَى أَلْفَاظٍ لِعُلُومٍ صَحِيحَةٍ، وَلَا كَرِهُوا أَيْضًا الدَّلَالَةَ عَلَى الْحَقِّ وَالْمُحَاجَّةِ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ**) لم يكرهوه أيضًا، هم يقولون: لا السلف يكرهون هذا، لذلك كلما يذكر الرازي في تفسيره من الأدلة يقول: هذا علم الكلام، هكذا علم الكلام، لما ذكر مناظرة إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَام- جعل إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَام- من أئمة المتكلمين، يقول: هذا علم الكلام، كأن الدفاع عن الحق والمحاجَّة وذِكر الأدلة للدفاع عن الحق كأن هذه هي بضاعة علم الكلام.

يقول: (**وَلَا كَرِهُوا أَيْضًا الدَّلَالَةَ عَلَى الْحَقِّ وَالْمُحَاجَّةِ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ**) وهذه الكتب هي دليل، كل هذه الكتب للرد عليكم وعلى أمثالكم من أهل الباطل، مما يدل على أن السلف لا يكرهون هذا.

(**بَلْ كَرِهُوهُ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى أُمُورٍ كَاذِبَةٍ مُخَالِفَةٍ لِلْحَقِّ**) هذا الذي جعلهم يستنكرون (**عَلَى أُمُورٍ كَاذِبَةٍ مُخَالِفَةٍ لِلْحَقِّ**) سبحان الله! نصوص السلف كلما تقدَّم بك العمر، وكلما قرأت في مواقف المخالفين تفهمها أكثر، قد يكون هناك نص ما فهمته إلا بعد قراءاتٍ طويلة للعمق في كلامهم، سبحان الله! كلام مختصر احتوى كثيرًا من المعاني؛ قد تفهم بعضه، وقد لا تفهم بعضه، وليس كما يظنه هؤلاء.

(**وَمِنْ ذَلِكَ مُخَالَفَتُهَا لِلْكِتَابِ وَالسنَّة، وَلِهَذَا لَا تَجِدُ عِنْدَ أَهْلِهَا مِنَ الْيَقِينِ وَالْمَعْرِفَةِ مَا عِنْدَ عَوَامِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَضْلًا عَنْ عُلَمَائِهِمْ**) هذا أشرت إليه فيما سبق، وأيضًا ستأتي الإشارة إلى هذا أن علم الكلام لا يؤدي إلى اليقين، وأن علماء الكلام هم أهل الشك والحيرة، ستأتي الإشارة إليه أيضًا.

(**وَلِاشْتِمَالِ مُقَدِّمَاتِهِمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، كَثُرَ الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ**) علم الكلام عبارة عن مجموعة ألفاظِ مجملة، إذا أردت أن تنظر رصيد علم الكلام ستجد أن أكثره، أكثر من ثمانين في المئة منه عبارة عن ألفاظ مجملة، والألفاظ المجملة تحتمل حقًا وباطلًا، الألفاظ المجملة عمومًا تورَد بأمور:

**أولًا**: لم ترِد في الكتاب والسنَّة.

**وثانيًا**: تحتمل حقًّا وباطلًا.

- إذا لم تكن تحتمل إلا الباطل لا تُصنِّف من الألفاظ المجملة.
- إذا لم تكن تحتمل إلا الحق لا تُصنَّف من الألفاظ المجملة.
- إذا كانت تحتمل هذا وهذا هذه من الألفاظ المجملة.

**مثل**: ما يذكرونه من التنزيه، مَن يُخالفهم في التنزيه من حيث العموم، التنزيه هو التقديس، والتقديس هو التسبيح، لا أحد يُخالفهم، والذي يُخالفهم في أصل التنزيه هذا يكون كافرًا.

- ولكن ما التقليص هذا وكيف يتحقق؟ في شيء من الحق، وكثيرٌ من الباطل.
- والتوحيد لا أحد يُخالفهم في التوحيد، ولكن ما هو التوحيد؟ هذا الذي سيأتي تعريفه، وهكذا.

وألفاظهم أكثرها كما قلت: مجملة، لماذا هذه الألفاظ المجملة مع أن الكتاب والسنَّة مليئان بالألفاظ الشرعية، كلها ألفاظ شرعية تدل على معانٍ مطلوبة، معانٍ صحيحة، لماذا تلك الألفاظ؟ لأنها هي التي تحقق مقصودهم.

يقول: (**وَلِاشْتِمَالِ مُقَدِّمَاتِهِمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، كَثُرَ الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ، وَانْتَشَرَ الْقِيلُ وَالْقَالُ، وَتَوَلَّدَ لَهُمْ عَنْهَا مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُخَالِفَةِ لِلشَّرْعِ الصَّحِيحِ وَالْعَقْلِ الصَّرِيحِ مَا يَضِيقُ عَنْهُ الْمَجَالُ، وَسَيَأْتِي لِذَلِكَ زِيَادَةُ بَيَانٍ عِنْدَ قَوْلِهِ: "فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ..."**) هذه التكملة، سيأتي في كلامه، (**فَمَنْ رَامَ عِلْمَ مَا حُظِرَ عَنْهُ عِلْمُهُ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِالتَّسْلِيمِ فَهْمُهُ، حَجَبَهُ مَرَامُهُ –أي مقصده– عَنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَصَافِي الْمَعْرِفَةِ، وَصَحِيحِ الْإِيمَانِ**) يقول هناك: سأتحدث عن هذا الموضوع.

**ثم ختم كلامه بالحديث عن شرحه حديث رجلٍ متواضع جدًّا، وهكذا يكون تواضع السلف:**

(**وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَشْرَحَهَا سَالِكًا طَرِيقَ السَّلَفِ فِي عِبَارَاتِهِمْ**) لا أختار من العبارات التي يتحدَّث عنها ويستعملها ويلوكها المخالفون، (**وَأَنْسُجَ عَلَى مِنْوَالِهِمْ، مُتَطَفِّلًا عَلَيْهِمْ**) وهذا كله من التواضع – رَحِمَهُ اللهُ– (**لَعَلِّي أَنْ أُنْظَمَ فِي سِلْكِهِمْ، وَأُدْخَلَ فِي عِدَادِهِمْ، وَأُحْشَرَ فِي زُمْرَتِهِمْ**) ونحن أيضًا نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن نكون من هؤلاء (﴿**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾[النساء: ٦٩]).

(**وَلَمَّا رَأَيْتُ النُّفُوسَ مَائِلَةً إِلَى الِاخْتِصَارِ**) هنا يذكر منهجه، (**وَلَمَّا رَأَيْتُ النُّفُوسَ مَائِلَةً إِلَى الِاخْتِصَارِ، آثَرْتُهُ عَلَى التَّطْوِيلِ وَالْإِسْهَابِ**) يقول: كل هذا ليس تطويلًا، ونحن نظنه تطويل؛ لأن هِمَمنا تختلف (﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[هود: ٨٨]، **وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**).

أحسن الله إليكم، قال –رَحِمَهُ الله تَعَالَى–:

**قَوْلُهُ: (نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ).**

**قال الشارح –رَحِمَهُ الله تَعَالَى–: اعْلَمْ أَنَّ التَّوْحِيدَ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ، وَأَوَّلُ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ، وَأَوَّلُ مَقَامٍ يَقُومُ فِيهِ السَّالِكُ إِلَى اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف: ٥٩]. وَقَالَ هُودٌ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف: ٦٥]. وَقَالَ صَالِحٌ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف: ٧٣]. وَقَالَ شُعَيْبٌ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– لِقَوْمِهِ: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ**

**غَيْرُهُ﴾**[الأعراف: ٨٥]. **وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾**[النحل: ٣٦]. **وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾**[الأنبياء: ٢٥]. **وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ».**

## (الشرح)

هذه بداية المتن؛ متن عقيدة الطحاوي -رَحِمَهُ اللهُ-، هناك جملة لم يذكرها ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- بداية المتن، يقول الطحاوي -رَحِمَهُ اللهُ- في بداية المتن: **(هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السنَّة وَالْجَمَاعَةِ، عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ: أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بْنِ ثَابِتٍ الْكُوفِيِّ، وَأَبِي يُوسُفَ يَعْقُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْصَارِيِّ، وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الشَّيْبَانِيِّ وَمَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ، نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ).**

هذه الجملة أشار إليها فيما سبق، شرحها في مقدمته، وأنا ذكرت هناك لماذا ذكر هذا القيد، وأنه أراد أن يحقق هدفين:

**الهدف الأول**: ذِكر العقيدة الصحيحة.

**الهدف الثاني**: الدفاع عن هؤلاء الأئمة الأعلام؛ الإمام أبو حنيفة، أبو يوسف محمد بن الحسن، أولئك لم يكنوا متَّبعة.

الذين يُنسب إليهم الآن يُنسب إليهم في أحسن الأحوال مذهب الماتوريدية في أحسن الأحوال، إذا لم يكن الشخص ماتوريديًّا في عقيدته، نقشبنديًّا، أو قادريًّا، أو تشتيًّا، أو في سلوكه، وكذا وكذا لا يكون حنفيًّا، لا يُقبَل منك أن تكون حنفيًّا إلا إذا كنت متَّبعًا لهذه السلاسل المختلفة، وما صار يُستغرب الآن أن يقول الرجل، صار عادي جدًّا حنفيٌّ مذهبًا، ماتوريديٌّ عقيدةً، نقشبنديٌّ سلوكًا، سبحان الله!

**وبالجملة الأولى**: **(حنفيٌّ مذهبًا)** يتترَّس، بهذه الجملة يتترَّس، بقية الأمور كلها بِدَع، إذا قيل له: أنت مبتدع، يقول لك: أنت تعادي الإمام أبو حنيفة، هذه الجملة هي التُرس يتترَّسون بها، كلامك فينا؛ لأنك تعادي أبو حنيفة، أنا لا أُعادي أبو حنيفة، ومَن أنا حتى أُعادي أبو حنيفة؟! أنت الذي

تُعادي أبو حنيفة، تشوِّه سمعته، وإلا أين هذه البدعة، أين أبو حنيفة من هذه البِدَع؟ صار هذا عُرْف يذكره المؤلفون في مقدِّماتهم ولا يُستحيا منه، سبحان الله! إذا كنت حنفيًّا كنْ حنفيًّا في عقيدتك أيضًا.

**فالهدف الثاني أيضًا نبيل**: وهو الدفاع عن أولئك الأعلام.

لذلك يقول هنا: (**هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السنَّة**) هذا هو الهدف الأول، **الهدف الأول**: تدوين عقيدة أهل السنَّة بعدما انتشرت كثيرٌ من البدع، فعقيدة أهل السنَّة يقول: دوَّنتها في هذه المدونة المختصرة، وهاكها (**عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ**) هذا التقييد ليس لأن مذهب أهل السنَّة يُمثله فلان وعلَّان، وأن هناك طوائف تمثل مذهب أهل السنَّة، يعني مذهب أهل السنَّة على طريقة فلان، مذهب أهل السنَّة على طريقة فلان، لا لا، هذا التقييد فقط لإبراز هذه الحقيقة: أن أولئك أيضًا أئمة أهل السنَّة، لهذا، وليس هذا التقييد لبيان أن مذهب أهل السنَّة لها طرقٌ كثيرة، لا طريقة واحدة.

هذه المجموعة عند الإمام الطحاوي هي عقيدة أهل السنَّة، وهذا الذي يعتقده، ولكن ما هو موقف العلماء -بقية العلماء-؟ موقفهم أن كلامه صحيحٌ في الجملة، إنما يستثنون أمرين:

**الأمر الأول**: موقفه في الإيمان.

**الأمر الثاني**: استعماله لبعض الألفاظ المجملة.

استعمل بعض الألفاظ المجملة، وهذه الألفاظ المجملة إلى الآن يُطعَن بها أهل السنَّة، قال الطحاوي: "ولا تحويه كذا..." ما وجدت عند الطحاوي إلا هذا؟ هذا الكتاب من بدايته إلى نهايته ما وجدت فيه إلا هذا السطر؟! لا تحويه الجهات الستة، هذا ليس منهج أهل السنَّة، منهج أهل السنَّة في الألفاظ المجملة سيأتي إن شاء الله تفصيله هناك، وإلا عمومًا هذا المتن هو يُمثِّل منهج أهل السنَّة، وعقيدة أهل السنَّة.

**مَن هم أهل السنَّة؟**

لن نُفصِّل في معنى هذا المصطلح ولكن نقول: أهل السنَّة هم الذين يهتمون بالسنَّة، والسنَّة هي موافقة الحق من الكتاب والسنَّة، والسنَّة أيضًا بمعنى آثار النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأحاديثه، كل هذا ملاحظٌ في هذا المصطلح، في هذا اللقب، فأهل السنَّة أولئك الذين يهتمون بالسنَّة روايةً ودرايةً، واستدلالًا واهتمامًا، هم أهل السنَّة، وبالتالي من السهل أن تعرف أهل السنَّة.

**سؤال من أبسط الأسئلة**: الذي يقول: أنا من أهل السنَّة اسأله: ما موقفك من السنَّة؟ تستدل بها في العقائد؟ إذا قال: لا، طيب كيف تكون من أهل السنَّة، كيف صرت من أهل السنَّة؟! ومَن الذي يُخالفك؟ الذي يُخالفك هو الذي تتهمه بأنه مجسِّم هو الذي يُخالفك، هو الذي يدافع عن السنَّة، عدوك هو الذي يُدافع عن السنَّة، كيف صار هو مبتدع وأنت الذي ترى أن السنَّة لا يُستدَل بها في العقائد صرت من أهل السنَّة؟ ولا يغرَّنك تقسيمهم للسنَّة.

طبعًا أقول: تقسيمهم، هناك أيضًا تقسيم لنا ومعناه يختلف عن معناهم؛ إلى:

- متواتر.
- وآحاد.

هم قسَّموا هذا التقسيم لاستبعاد السنَّة جملةً، وإلا ابحث عن الحديث المتواتر عند أولئك، عند المعتزلة لن تجد، والتقسيم لهم، ليس عندهم حديثٌ متواتر أبدًا، وبالتالي المستهدف بهذا التقسيم السنَّة بجملتها.

**أسأل الأشعري مثلًا** الذي يدَّعي أنه هو أهل السنَّة، وأقول له: هذا الذي تدَّعيه والله شرف، أحسنت في هذه الدعوى، ولكن كيف تدَّعيها؟ ما موقفك من السنَّة؟ يقول: السنَّة تنقسم إلى قسمين: آحاد، والآحاد لا يُستدَل به، طيب مَن عدوك؟ عدوه مشبِّه، عدوه مجسِّم، هذا الذي يستدل بالسنَّة، وأهل الشيء هو من يكون أخص الناس بذلك الشيء، أهل هذا المسجد، وأهل البيت هم الذين يكونون أخص الناس بذلك الشيء، أليس كذلك؟

إذن هذا الجدل الذي لا زال، مَن هم أهل السنَّة؟ غريب، مَن يكون أهل السنَّة؟ الذين يهتمون بالسنَّة، ويستدلون بالسنَّة، ويُعظِّمون من شأن السنَّة، ويُقعِّدون ويؤصِّلون الأصول التي تبيِّن عظمة السنَّة هم أهل السنَّة.

إذا كانت المناظرة بين المريسي وبين الشافعي مثلًا وهما متعاصران؛ توفي المريسي بعد الشافعي، الشافعي توفي سنَّة مئتين وأربعة، المريسي يقول: أنا أُمثِّل أهل السنَّة، والشافعي يقول: أنا... طيب أنت الثالث تنظر إليهما، إذا لم تكن ممن فقد البصر والبصيرة في دقيقة ستعرف، هذا يُدافع عن السنَّة، إذن هو يُمثِّل أهل السنَّة، وذاك يُعادي السنَّة وأهل السنَّة، شيء سهل تحديد أهل السنَّة.

ولكنها الأهواء، مع خالفته للسنَّة يريد أن يستأثر بهذا اللقب، وبالتالي لا يصح أن تقبل أهل السنَّة بأهل الحديث، أنت تقرأ مثلًا في أصول الدين للبزدوي تجد كثيرًا عنده قال أهل السنَّة وقال أصحاب الحديث، أنت تقابل هذا بهذا، كيف؟! كيف المقابلة هذه؟!

- قال أهل السنَّة الذين هم الماتوريدية.
- قال أصحاب الحديث.

سبحان الله! إذا لم تكن من أصحاب الحديث، ما هي تلك السنَّة التي أنت من أهلها؟ ما هي؟ أليس غريبًا هذا؟ هذا صار عاديًّا لأجل الخلط في السنَّة، ما هي السنَّة التي تمثلها؟ أنا وجدت لأحد المعتزلة وهو زيدي من القرن الثامن -العَلوي أظن- يقول: نحن أهل السنَّة، معتزلي هو، لماذا؟ لأننا نحن عرفنا حقيقة السنَّة، وأولئك يجهلون ويستدلون بهذه النصوص ويظنونها السنَّة.

إذن تحديد أهل السنَّة سهل، يُحدَّد أهل السنَّة بالنظر إلى موقفه من سنَّة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وبالنظر إلى موافقته للكتاب والسنَّة عمومًا في المنهج، أهل السنَّة والجماعة، وكما قلت: أهل السنَّة، وأصحاب الحديث، وأهل الحديث هذه كلها ألقاب لفئة واحدة، وطائفة واحدة، وهي طائفة أهل السنَّة والجماعة.

وقوله: (**هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السنَّة**) العقيدة هي فعيلة، والعقيدة بمعنى المعقودة، هي فعيلةٌ من العقد، والعقد هو الشد والرد، والعقيدة هي المعقودة، هي الأمور التي تعتقدها وتؤمن بها إيمانًا جازمًا، (**هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السنَّة وَالْجَمَاعَةِ، عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ الْمِلَّةِ: أَبِي حَنِيفَةَ**)؛

- الإمام أبو حنيفة هو أول الأئمة الأربعة زمنًا، ولد سنَّة ثمانين، وتوفي سنَّة مئةٍ وخمسين.
- وفي تلك السنَّة ولد الإمام الشافعي، ولد الإمام الشافعي سنَّة مئة وخمسين، وتوفي سنَّة مئتين وأربعة.
- الإمام مالك توفي سنَّة مئة وتسعة وسبعين.
- الإمام أحمد توفي سنَّة مئتين وواحد وأربعين.

**وفي الترتيب الزمني:**

- الإمام أبو حنيفة.

- ثم الإمام مالك.
- ثم الشافعي.
- ثم أحمد.
- أما الإمام أبو يوسف كما ذكرت توفي سنَّة مئة واثنين وثمانين.
- ومحمد بن الحسن توفي سنَّة مئة وتسعة وثمانين.

(**وَمَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ**) هذا تأكيد، ليس تكرار، تأكيد وإلا هو ذكر (**هَذَا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السنَّة وَالْجَمَاعَةِ**)، (**وَمَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ**) أصول الدين يقصد بهذا المصطلح العقيدة، وهذا المصطلح قديم، علم العقيدة يُسمى علم السنَّة، الكتب التي أُلِّفت باسم السنَّة كلها معناها العقيدة، وأصول الدين هذا المصطلح استعمله أهل السنَّة، واستعمله أيضًا المتكلمون، واستعمالهم له أكثر، واستعمله أهل السنَّة أيضًا، ولكن لما كثُر استعماله عندهم لا تجده كثيرًا عد أهل السنَّة.

(**أُصُولِ الدِّينِ**) هناك كُتِب بهذا...

- أصول الدين كما ذكرت للبزدوي.
- وأصول الدين لعبد القاهر البغدادي في القرن الخامس.
- وأصول الدين أيضًا لأحد الماتوريدية أظن نور الدين.

الكتب التي أُلِّفت باسم أصول الدين كثيرة، وهم يقصدون بأصول الدين تلك الأصول التي يُمهدون بها لدراسة علم العقيدة، في الأصل أصول الدين هي تلك الأصول التي يؤصلونها لدراسة علم العقيدة، تلك الأصول يتحدثون فيها عن المصادر، يُحددون المصادر، ويتحدثون المصادر مثلًا؛ أخبار الآحاد لا يُستدل بها، ويتحدثون للمصادر.

يتحدثون أيضًا في أصول الدين عن منهجهم عمومًا في العقيدة، ويُركزون عل ما يُسمونه التنزيهات؛ لأن مواجهتهم للنصوص طويلة وتحتاج إلى عُدَّة، فهنا يؤصلون في التنزيهات، نحن في هذا العلم نُقدِّس الله -عَزَّ وَجَلَّ-، نسبِّح الله -عَزَّ وَجَلَّ-، نُنزهه، وستأتيك نصوص تتعامل معها بهذه الأصول، هناك يُمهدون تلك الأصول.

في الأغلب أصولهم للدين هي هدمهم للدين في أغلبها، ذكر شيخ الإسلام أن هذا المصطلح مصطلحٌ عظيم (**أُصُولِ الدِّينِ**)، ولكن الأصول التي هم يُبيِّنونها هي ليست من الدين في شيء، وذكر

أيضًا أنهم وضعوا هذا المصطلح ويذمُون الناس ويقولون: هم يُخالفوننا في أصول الدين مع أن ما عندكم في هذا المصطلح ليس من أصول الدين.

(**أُصُولِ الدِّينِ**) هنا في سياق كلام الإمام الطحاوي يقصد بأصول الدين العقيدة، علم العقيدة عمومًا. (**بَيَانِ عَقِيدَةِ أَهْلِ السنَّة، وَمَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ**) كله بمعنى واحد، هنا (**وَمَا يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ**) هنا ذكر البابرتي هذا علم الكلام، إذن هم يعتقدون علم الكلام، من هنا بدأ البابرتي في طبعة الوزارة صفحة ستة وعشرين، يقول: "هذا علم الكلام".

(**وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ، نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ**) هذا سيتكرر من الإمام الطحاوي (**نَقُولُ**)؛ لأن هذه العقيدة كما قال: عقيدة أهل السنَّة، ونقول ونقول ونقول، هذا كله نقلٌ منه للإجماع، والمسائل الإجماعية التي تجدونها في كتب أهل السنَّة من الألفاظ التي تدل على نقل الإجماع مثل هذه الصيغ، هم يستعملون هذه الصيغ لبيان نقل الإجماع.

**بعض الأخوة هنا تلتبس عليه الأمور**: يبحث عن كلمة إجماع، هناك صيغ كثيرة، فنقول: الجمع؛ لأنه يريد أن هذه العقيدة هي عقيدة أهل السنَّة.

**ومما يدل على صحة كلامه**: أن بدايته جميلة، أليس كذلك؟ بدأ بالتوحيد وهذا الذي عليه أهل السنَّة يبدأون بالتوحيد، كما سيؤكد عليه الشارح.

(**نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ**) هنا ثلاثة أمور:

- (**نَقُولُ**) أي بألسنتنا.
- (**مُعْتَقِدِينَ**) بقلوبنا.
- (**بِتَوْفِيقِ اللَّهِ**) هذا الذي نقوله ونعتقده بتوفيق من الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

وقد وفِّق الإمام الطحاوي في هذه البداية، والإمام الطحاوي عمومًا عجيب؛ لأنه هو كما سنعرف سنرى في تركيب الجمل كأنك في علم الأدب.

(**نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ**) هذا الذي نقوله نعتقده وليس هناك شك، ماذا نقول؟ طبعًا في قوله: (**بِتَوْفِيقِ اللَّهِ**) وما سبقه هنا جمع بين الشرع وبين القدر، وهذا الذي يتميز به أهل السنَّة الشرع والقدر. (**بِتَوْفِيقِ اللَّهِ**) وإلا التوفيق بيد الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

(**إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ**) هذه هي الجملة الأولى في هذا المتن (**إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ**). وقف الشارح مع هذه الجملة، من هنا في هذه الطبعة طبعة التركي، الصفحة واحد وعشرين، من هنا إلى ستة وخمسين، هذا كله شرحٌ لهذه الجملة، من واحدٍ وعشرين إلى ستة وخمسين كم صفحة؟ خمسة وثلاثين؛ يعني رسالة، تأتي رسالة صغيرة أو بحث، ولكنها من أجمل الرسائل؛ هذا الذي ذكره في التوحيد كلامٌ جميل جدًّا.

**وأنا أذكر لكم خلاصة ما ذكره في شرح هذه الجملة:**

■ **أولًا**: بدأ بذِكر أهمية التوحيد، ثم ذكر أن التوحيد هو أول واجبٍ على المكلَّف، هذا تتمة الحديث عن أهمية التوحيد، وسيتحدث أيضًا عن أهمية التوحيد في نهايته، هنا بدأ بأهمية التوحيد، ومن أهميته أنه أول واجب، بالنسبة لعلم الكلام أول واجب عندهم ماذا؟ النظر، لماذا؟ لأن أول واجب يُطلق لمعنيين؛ أهم واجب وأول مسألة يجب...

- نحن التوحيد عندنا هو أهم شيء وهو أول شيء.
- وعندهم النظر، ويا ليته كان نظرًا شرعيًا، النظر المبتلَى.

■ أيضًا تحدَّث أن أول واجبٍ على المكلف هو التوحيد، فصَّل في ذلك، ثم ذكر أقسام التوحيد، كلامه في ذِكر أقسام التوحيد في مجمله منقولٌ من كلام شيخ الإسلام في شرح [الأصبهانية]، أيضًا بعض النصوص مأخوذة من كتب ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ-، من [مدارج السالكين] وغيره، ولكنه في أغلبه مأخوذ من شرح [الأصبهانية].

■ بدأ في توحيد الأسماء والصفات، وذكر أن توحيد الأسماء والصفات عند أهل السنَّة كيت وكيت، وعند المخالفين كيت وكيت، ثم ذكر آثار مذهب المخالفين، مذهبهم أدَّى إلى هذه الانحرافات الخطيرة.

■ ثم ذكر توحيد الربوبية، توحيد الربوبية أطال فيه، توحيد الأسماء والصفات لم يُطِل فيه، توحيد الربوبية أطال فيه.

- **أولًا**: ذكر مواقف الناس منه.
- ثم ذكر أشهر من عُرِف بتجاهله.
- ثم ذكر موقف المجوس والنصارى عمومًا.

- ذكر أيضًا دليل المتكلمين لتوحيد الربوبية؛ لأنه أيضًا مهم، دليل للتمانُع وذكر الصحيح فيه.

■ ثم ذكر التوحيد الذي دعت إليه الرسل وهو توحيد الألوهية، التوحيد الذي دعت إليه الرسل هو التوحيد الذي يشمل جميع أنواع التوحيد وهو توحيد الألوهية.

■ ثم ذكر أيضًا حال المشركين وأنهم كانوا في جملتهم يُقرُّون بتوحيد الربوبية.

■ ثم ذكر توحيد الألوهية؛ بدأ بعلاقته بتوحيد الربوبية، وذكر الأدلة العقلية على إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ذكرها هنا: ذكر دليل الفطرة.

■ ثم ذكر أيضًا أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يُدخل في الإسلام.

طبعًا حديثه عن توحيد الربوبية والألوهية ليس مرتبًا، هو متداخل، والسياق الذي مشى عليه هو الذي جعله متداخلًا، وإلا لو كان حديثه عن الربوبية كله في موضع، وحديثه عن الألوهية كله في موضع، كان أيضًا جميلًا، ولكن هذا الربط وهذا السياق الذي يريده قد يكون لا يتحقق.

■ ثم ذكر الأدلة على توحيد الألوهية، ذكرها أيضًا أطال فيها.

■ ثم رجع إل دليل التمانع مرة أخرى.

■ بعد هذا ذكر أن التوحيد له تقسيمٌ آخر، في البداية ذكر تقسيم التوحيد التقسيم الثلاثي المعروف:

- الربوبية.
- والألوهية.
- وتوحيد الأسماء والصفات.

في أواخر حديثه عن التوحيد ذكر أن هناك تقسيمٌ آخر وهو التقسيم الثنائي.

■ بعد هذا التقسيم ذكر أن القرآن كله في التوحيد، وهذا يدخل في بيان أهمية التوحيد، في هذا السياق وهو أيضًا يدخل في بيان أهمية التوحيد ذكر شهادة الله -عَزَّ وَجَلَّ- لنفسه بالتوحيد، وهذ أطال فيه، الله -عَزَّ وَجَلَّ- لما يشهد لنفسه بالتوحيد ماذا يعني؟ كلمة الشهادة أطال معها، ماذا تعني كلمة الشهادة؟ وشهادته لنفسه بالتوحيد ماذا يعني؟ طبعًا أطال هذا هنا؛ لأن المعتزلة يرون أن شهادة الله لنفسه بالتوحيد لا يعني شيئًا، ذكروا هذا.

وهذا الموضوع كما قلت: استغرق من ثلاثة وأربعين إلى ثمانية وأربعين؛ يعني أطال فيه، بل ما بعده أيضًا فيه شيء من هذا الموضوع، وفي هذا السياق بيَّن أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- ما دام أنه شهِد لنفسه بالتوحيد، ومعناه أن شهادته واضحة، إذا كانت الشهادة غامضة لا تعتبر شهادة، ما دام أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: أنه يشهد لنفسه بالتوحيد، معناه أن بيانه لهذا الذي هد به واضح جدًّا وهذا هو الواقع.

■ ختم حديثه عن التوحيد بالتعليق على موقف طائفة وهي طائفة الصوفية الذين يزعمون أن هذا الذي بيَّن أهميته وهو توحيد الألوهية هو توحيد العوام، توحيد الألوهية الذي بيَّن أهميته وفصَّل فيه هم يرون أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وأن المرتبة الأولى هي توحيد الألوهية، وهي مرتبة توحيد العوام، ردَّ عليهم بكلامٍ نقله من كلام الشيخ -هكذا نفترض- ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- في [مدارج السالكين].

**وبهذا يكون حديثه عن التوحيد انتهى.**

**بدأ الشارح هنا ببيان أهمية علم التوحيد:**

**(اعْلَمْ أَنَّ التَّوْحِيدَ أَوَّلُ دَعْوَةِ الرُّسُلِ، وَأَوَّلُ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ، وَأَوَّلُ مَقَامٍ يَقُومُ فِيهِ السَّالِكُ إِلَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-)** طبعًا هذه المصطلحات استعارها المؤلف، والكلام في مجمله منقول من كلام ابن القيم، وابن القيم استعمل هذه الألفاظ، وهذه المصطلحات للصوفية في الأصل، المقام والسالك كلها ألفاظ جيدة، ولكنها صارت مصطلح له، هم يرون أن الناس عندهم ثلاثة أنواع -الصوفية- الناس عندهم ثلاثة أنواع:

- النوع الأول: الذي يكون في البداية مريد.
- ثم السالك.
- ثم الواصل.

والسالك له مقاماتٌ كثيرة، ويذكرون أنه بين العبد وبين الرب ألف مقامٍ من الظلمة، مَن يتجاوزها يصل إلى اليقين والنور، يكون لما ينسلخ من... يُسمونه واصلة، يقولون: هذا وصل إلى... فعلًا يكون قد وصل، فهذه المصطلحات هي مصطلحاتٌ ولكن استعمال ابن القيم هنا -رَحِمَهُ اللهُ- والشارح هو بالنظر إلى المعاني اللغوية.

**(وَأَوَّلُ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ، وَأَوَّلُ مَقَامٍ يَقُومُ فِيهِ السَّالِكُ إِلَى اللَّهِ)** مَن يريد الإسلام هذا فعلًا في طريق يسلك، أول ما يجب عليه التوحيد، ثم ذكر هذه الآيات: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ**

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف: ٥٩] إلى آخر هذه الآيات، كلها فيها تأكيدٌ على شيءٌ واحد وهو أول ما دعوا أقوامهم دعوهم إلى عبادة الله وحده وهذا هو التوحيد.

كلمة التوحيد لم ترِد كثيرًا في النصوص بهذا المصطلح، في الأغلب وردت مفسَّرةً، مثلًا: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي وحِّدوا الله، فهذا فيه أمران:

- توحيد.
- وتفسير التوحيد.

وهذه ميزة. وكذلك:

- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] تفسير التوحيد.

وكلمة التوحيد وردت في النصوص بهذا المصطلح قليلًا، أغلب ما ترِد ترِد مفسَّرةً، والحكمة في ذلك -والله أعلم- أن هذا المصطلح عليه أساس الدين، ولا بد أن يُفسَّر حتى لا يأتي كل واحد يُفسِّره على هواه، مع هذا التفسير حصل فيه من الخلط ما سنجده.

**مما ورد فيه**: حديث جابر الطويل: "فأهلَّ بالتوحيد" مع هذا التفسير حصل فيه ما حصل، وكل طائفة عندهم التوحيد ذلك الانحراف الذي عندهم؛

- توحيد عند المعتزلة.
- توحيد عن الجهمية.
- توحيد عن الصوفية.
- والتوحيد عند غيرهم.

(وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ»)، هذه الأركان الثلاثة:

- شهادة أن لا إله إلا الله.
- وإقامة الصلاة.

- وإيتاء الزكاة.

هي الشعائر التي عُلِّق الأمر بالقتال بها؛ لأنها هي ظاهرة، وإلا بقية الشعائر أيضًا الأركان من يُنكرها يُحارَب.

وهذا الحديث فيه بيان أن جميع الشعائر في هذا الدين مبنيةٌ على ماذا؟ من أين تكون البداية؟ شهادة أن لا إله إلا الله هذا هو الأساس، والله أعلم، وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

**الأسئلة:**

**س/ يقول السائل -سلَّمكم الله-: ما سبب الجزم أن كتاب [الفقه الأكبر] ليس للإمام أبي حنيفة؟**

ج/ ذكروا أمورًا:

- منها: أن بعض المصطلحات التي جاءت في الكتاب لم تكن متداولةً أصلًا في عصر الإمام أبي حنيفة، الإمام أبو حنيفة توفي سنَّة مئة وخمسين، هذه مصطلحات حصلت بعده، وورودها فيه يدل على أن الكتاب ليس الأول.
- ثانيًا: أن الراوي ضعيف، أبو مطيع البلخي.

* * *

**س/ يقول السائل: أحسن الله إليكم، هل معنى ليس هناك محبوب لذاته إلا الله أن هذه محبة العبادة؟**

ج/ نعم هي محبة العبادة.

**تتمة السؤال: أما المحبة الطبيعية فجائزة لذات غيره؟**

نعم المحبة الطبيعية نحن هنا لا نتحدث عنها أصلًا، نحن نتحدث عن المحبة محبة العبادة، المحبوب لذاته هو الله -عَزَّ وَجَلَّ-، كل ما أُمرنا بمحبته هو لأجله، النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأنه رسول، والملائكة لأنهم رسله، وهكذا.

* * *

**س/ يقول أحسن الله إليكم ما الفرق بين التوفيق والتلفيق بين الأدلة عند المبتدعة؟**

**التوفيق**: هو محاولة إظهار أن هذا لا يُخالف هذا.

**التلفيق**: قريب منه والله أعلم.

لا يظهر لي أن في هذا السياق أن هناك فرق بينهما، والله أعلم.

* * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، اللهم اغفر لشيخنا ولأشياخه وللمسلمين، قال الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(وَلِهَذَا كَانَ الصَّحِيحُ أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ: شَهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَا النَّظَرُ، وَلَا الْقَصْدُ إِلَى النَّظَرِ، وَلَا الشَّكُّ، كَمَا هِيَ أَقْوَالٌ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، بَلْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ الْعَبْدُ الشَّهَادَتَانِ، وَمُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ قَبْلَ الْبُلُوغِ لَمْ يُؤْمَرْ بِتَجْدِيدِ ذَلِكَ عَقِيبَ بُلُوغِهِ، بَلْ يُؤْمَرُ بِالطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ أَوْ مَيَّزَ عِنْدَ مَنْ يَرَى ذَلِكَ.

وَلَمْ يُوجِبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى وَلِيِّهِ أَنْ يُخَاطِبَهُ حِينَئِذٍ بِتَجْدِيدِ الشَّهَادَتَيْنِ، وَإِنْ كَانَ الْإِقْرَارُ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَاجِبًا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَوُجُوبُهُ يَسْبِقُ وُجُوبَ الصَّلَاةِ، لَكِنْ هُوَ أَدَّى هَذَا الْوَاجِبَ قَبْلَ ذَلِكَ.

وَهُنَا مَسَائِلُ تَكَلَّمَ فِيهَا الْفُقَهَاءُ: فَمَنْ صَلَّى وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِالشَّهَادَتَيْنِ، أَوْ أَتَى بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِمَا، هَلْ يَصِيرُ مُسْلِمًا أَمْ لَا؟ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَصِيرُ مُسْلِمًا بِكُلِّ مَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِسْلَامِ. فَالتَّوْحِيدُ أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَآخِرُ مَا يَخْرُجُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ». فَهُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ وَآخِرُ وَاجِبٍ.

فَالتَّوْحِيدُ أَوَّلُ الْأَمْرِ وَآخِرُهُ، أَعْنِي: تَوْحِيدَ الْإِلَهِيَّةِ، فَإِنَّ التَّوْحِيدَ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: الْكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ.

وَالثَّانِي: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَبَيَانُ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.

وَالثَّالِثُ: تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ، وَهُوَ اسْتِحْقَاقُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

أَمَّا الْأَوَّلُ: فَإِنَّ نُفَاةَ الصِّفَاتِ أَدْخَلُوا نَفْيَ الصِّفَاتِ فِي مُسَمَّى التَّوْحِيدِ، كَالْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ وَمَنْ وَافَقَهُ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: إِثْبَاتُ

الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ تَعَدُّدَ الْوَاجِبِ، وَهَذَا الْقَوْلُ مَعْلُومُ الْفَسَادِ بِالضَّرُورَةِ، فَإِنَّ إِثْبَاتَ ذَاتٍ مُجَرَّدَةٍ عَنْ جَمِيعِ الصِّفَاتِ لَا يُتَصَوَّرُ لَهَا وُجُودٌ فِي الْخَارِجِ، وَإِنَّمَا الذِّهْنُ قَدْ يَفْرِضُ الْمُحَالَ وَيَتَخَيَّلُهُ وَهَذَا غَايَةُ التَّعْطِيلِ.

وَهَذَا الْقَوْلُ قَدْ أَفْضَى بِقَوْمٍ إِلَى الْقَوْلِ بِالْحُلُولِ أَوِ الِاتِّحَادِ، وَهُوَ أَقْبَحُ مِنْ كُفْرِ النَّصَارَى، فَإِنَّ النَّصَارَى خَصُّوهُ بِالْمَسِيحِ، وَهَؤُلَاءِ عَمُّوا جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَمِنْ فُرُوعِ هَذَا التَّوْحِيدِ: أَنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ كَامِلُو الْإِيمَانِ، عَارِفُونَ بِاللَّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

وَمِنْ فُرُوعِهِ: أَنَّ عُبَّادَ الْأَصْنَامِ عَلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا عَبَدُوا اللَّهَ لَا غَيْرَهُ.

وَمِنْ فُرُوعِهِ: أَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ بَيْنَ الْأُمِّ وَالْأُخْتِ وَالْأَجْنَبِيَّةِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْخَمْرِ، وَالزِّنَا وَالنِّكَاحِ، وَالْكُلُّ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، لَا بَلْ هُوَ الْعَيْنُ الْوَاحِدَةُ.

وَمِنْ فُرُوعِهِ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ ضَيَّقُوا عَلَى النَّاسِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَأَمَّا الثَّانِي: وَهُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، كَالْإِقْرَارِ بِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَالَمِ صَانِعَانِ مُتَكَافِئَانِ فِي الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، وَهَذَا التَّوْحِيدُ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَهُوَ الْغَايَةُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ وَالْكَلَامِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ. وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى نَقِيضِهِ طَائِفَةٌ مَعْرُوفَةٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، بَلِ الْقُلُوبُ مَفْطُورَةٌ عَلَى الْإِقْرَارِ بِهِ أَعْظَمَ مِنْ كَوْنِهَا مَفْطُورَةً عَلَى الْإِقْرَارِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، كَمَا قَالَتِ الرُّسُلُ فِيمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[إبراهيم: ١٠].

## (الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد...**

لا زال الشارح ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- يُبيِّن أهمية التوحيد، وقد ذكر من أهميته أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أمر به جميع الأنبياء والرسل، وأنهم كلهم بدأوا به في دعوتهم لأممهم، وذكر في ذلك آياتٍ عديدة، وذكر أيضًا حديث ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيره؛ «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ».

ولم يذكر لم يتوسع المؤلف في ذِكر الأدلة في ذلك، هذا الحديث كنا قرأناه في الدرس الماضي، ووجه الاستدلال به واضح، ما دام أن العصمة قد عُلِّقت عصمة الدم والمال، هذه العصمة عُلِّقت على إفراد الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالعبادة، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» العصمة عُلِّقت بإفراد الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالعبادة.

وهذه العصمة هي ثبوت الإسلام في الظاهر، ولم يُعلِّق هذا بالعصمة إلا لأن إفراد الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالتوحيد بالعبادة هو أول واجبٍ على المكلَّف، وهناك حديث أصرح من هذا لم يذكره ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- وهو حديث معاذ، حديث معاذ لما أرسله إلى اليمن قال له النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كما في الصحيحين: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ» وهذا فيه شرحٌ للرواية الأخرى، في رواية أخرى: «فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» معناه إفراده بالعبادة.

الحافظ بن حجر -رَحِمَهُ اللهُ- ذكر الألفاظ هذه أن هذه الألفاظ أكثرها في الصحيحين، وبعضها مما انفرد به البخاري، وجمع هذه الألفاظ، وذكر أن هذه الألفاظ بعضها تفسِّر بعضًا، الحافظ بن حجر.

فقوله هنا: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ» هذا فيه تفسير لشهادة أن لا إله إلا الله.

- «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ -في نفس الرواية- فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ» إلى آخر الحديث، هذا أخرجه الشيخان.
- «فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» هذا في الصحيحين.
- وفي لفظٍ للبخاري: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ».

هي ثلاثة ألفاظ:

- «إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ».
- «إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».
- «عِبَادَةُ اللهِ».

كل لفظٍ يُفسِّر اللفظ الآخر، وفي الرواية الأولى التي ذكرتها: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ» هذه اللفظة تعلَّق بها الجويني، قال: "هذا يدل على أن أول ما يجب على المكلَّف النظر؛ لأن هذه المعرفة لا تتم إلا بالنظر كما سنذكر في أدلتهم لوجوب النظر، من أدلتهم لوجوب

النظر –الكلام–: أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وهذا النظر سبيلٌ إلى المعرفة، «فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ» اللفظ الذي قبلها: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ» في نفس الرواية لا يلتفتُ إليها، إنما تمسك باللفظ الذي بعدها.

كلامه هذا لم أجده في كتبه نقله الحافظ بن حجر وردَّ عليه، ردَّ عليه ردًّا جميل، وبيَّن أن هذه الروايات ليس فيها أي ممسَك للمتكلمين فيما يزعمونه من كون النظر أول واجبٍ على المكلف، وردود الحافظ بن حجر على المتكلمين في هذه المسألة جميلة جدًّا، وهذا مما يؤكد أنه ليس أشعري؛ لأن هذه القضية أول واجبٍ على المكلَّف، هذه هي صلب علم الكلام، أساس علم الكلام، والحافظ بن حجر ردَّ عليهم في هذا ردود جميلة، وذكر أن علم الكلام علم اليونان، الحافظ بن حجر يقول: "لم يكتفوا بجعله يجوز النظر فيه، بل جعلوه واجبًا على المسلمين" واستغرب من صنيعهم، هذا مما يدل على أنه ليس أشعري، إنما هو من المتأثرين بهم في بعض مسائلهم، في بعض عقائدهم، في بعض أمورهم.

متى يكون الرجل أشعري؟ لما يكون منطلقًا من أصولهم؛

- ومن أصولهم: تقديم العقل على النقل.
- ومن أصولهم: أن أول واجبٍ على المكلف هو النظر.

هو يُخالفهم فيها كلها، يُخالفهم في أصولهم الكبار، وردوده عليهم واضحة جدًّا، ورسالة الأخ الدكتور محمد إسحاق كندو أحد زملائنا في الجامعة الإسلامية رسالة جميلة، جمع فيها عقيدة الحافظ بن حجر من خلال [فتح الباري]، وهي مطبوعة في ثلاث مجلدات، وفي الخاتمة أجمل مباحث الكتاب؛ ما هي المسائل التي خالف فيها الحافظ بن حجر، مذهب أهل السنَّة، وما هي المسائل التي وافق فيها مذهب أهل السنَّة.

يقول المؤلف الشارح: **(وَلِهَذَا كَانَ الصَّحِيحُ أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ شِهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)** هذه المسألة هي المسألة الثاني وهي الفقرة الثانية في حديثه عن التوحيد.

**المسألة الأولى**: بيان أهمية التوحيد.

**المسألة الثانية**: بيان أن التوحيد هو أول واجبٍ على المكلف.

وكما ذكرت سابقًا أن هذه المسألة تابعة للمسألة الأولى، هي تندرج ضمن بيان أهمية التوحيد.

(**الصَّحِيحُ أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ شِهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَيْسَ النَّظَرُ، وَلَيْسَ الْقَصْدُ إِلَى النَّظَرِ، وَلَيْسَ الشَّكُّ، كَمَا هِيَ أَقْوَالٌ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ**) هذا الذي قرره ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- هذا هو مذهب أهل السنَّة، وهذه من المسائل الإجماعية عند أهل السنَّة، أجمعوا ولم يُخالف أحد منهم (**أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ شِهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**)، ولكن كيف يكون تطبيق هذا الواجب؟ سيأتي الكلام عليه.

- إن لم يكن نطق إلى البلوغ يجب عليه أن ينطق.
- وإن نطق به وسبق أن جاء ببعض خصائص الإسلام فلا يجب عليه أن يُعيد الشهادة حين البلوغ.

هذا مذهب أهل السنَّة، الإمام البخاري -رَحِمَهُ اللهُ- في كتاب [التوحيد]، بدأ الكتاب كتاب [التوحيد] بحديث معاذ بن جبل -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-؛ «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ**»، هذا بيانًا منه أن هذا هو التوحيد؛ يعني هو حقق هنا بهذا هدفين:

**الهدف الأول**: أن أول واجب هو التوحيد.

**والثاني**: ما هي التوحيد؟ إفراده بالعبادة.

لأن الناس يختلفون في تفسير التوحيد، فجاء بهذه الروايات التي فيها بيان التوحيد وهو إفراده بالعبادة.

ثم ذكر بعده حديث فضل سورة الإخلاص ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[الإخلاص:١] وأن هذه السورة تعدل ثلث القرآن.

- ذكر الرواية الأولى الحديث الأول ذكره لبيان أهمية توحيد العبادة وهو الألوهية.
- وهذه الرواية ذكرها لبيان أهمية توحيد الأسماء والصفات.

**وسورة الإخلاص:**

- فيها توحيد الأسماء والصفات.
- وفيها توحيد الربوبية.

﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾[الإخلاص: ١-٢] هو المرجع لجميع الخلائق في حوائجهم، يصمَدون إليه، ويرجعون إليه، ويلجأون إليه في حوائجهم وهذه هي الربوبية، الله -عَزَّ وَجَلَّ- واحدٌ في ألوهيته، وواحدٌ في ربوبيته، وواحدٌ في أسمائه وصفاته، وهذا هو منهج أهل السنَّة.

أما مذهب المتكلمين في هذه المسألة فذكر الباجوري أو أحد الشرَّاح للباجوري، الباجوري ذكره: أن الأقوال في أول واجب على المكلف ليست هذه الثلاثة حتى تستريح، لا اثنا عشر قولًا، أول واجب على المكلف، هذا المكلف المسكين لما يفتح عينه على الإسلام، ويريد أن يبدأ مشواره في الإسلام، أول ما سيتصادم معه ما الذي يجب عليه في البداية؟ وليست القضية سهلة أن هناك أول واجب تؤديه تستمر، لا اثنا عشر قول تنظر فيها.

**من أشهر هذه الأقوال: هذه الأقوال الثلاثة:**

■ **قول جمهورهم**: أن أول واجب هو النظر، هذا قول جمهور المتكلمين، وسنذكر أدلتهم، لهم أدلة كثيرة أبرزها أربع أدلة نشير إليه، النظر هذا مذهب جمهور المتكلمين من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتوريدية.

■ **وذهب بعضهم** إلى أن أول واجب هو القصد إلى النظر، أشهر من قال به الباقلَّاني وهو من الطبقة الأولى من طبقات الأشعرية، والرازي وهو من الطبقة الأخيرة من طبقات الأشاعرة وهم ثلاث طبقات:

- الطبقة الأولى: الكلَّابية.
- ثم الاعتزالية يُمثلها الجويني.
- ثم الفلسفية يُمثلها الرازي.

أشهر من يقول بهذا القول: هذان القطبان كما يقولون: الباقلَّاني والرازي، هم يقولون: أن النظر نعم هو الواجب، ولكن كيف تنظر؟ لا بد أن تقصد وتريد القصد إلى النظر هو الإرادة حتى يتحقق لك.

- ولقائلٍ أن يأتِ ويأتي بقول آخر: أن أول واجبٍ هو القصد إلى القصد إلى النظر؛ لأن هذا لا يتم إلا بهذا.
- ولثالثٍ أن يُلحِق.
- سبحان الله! القول الأخير: هو مذهب أبو هاشم المعتزلي، هو صرَّح به ولكن كما ذكر شيخ الإسلام هذا يلزمهم كلهم.

**من الفروق الجوهرية بين النظر عند أهل السنَّة وبين النظر عند المتكلمين:**

- أن النظر عند المتكلمين قبل الإيمان.
- والنظر عند أهل السنَّة مع الإيمان؛ لأن النظر يزيد الإيمان.

وهذا الفرق حتى الشخص الذي لم يُسلِم الله -عَزَّ وَجَلَّ- أمره بالنظر؛ ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[يونس:١٠١] وهذه الآية ذكرها بعد الأمر بالإيمان؛ لأن المقصود هو الإيمان، والله -عَزَّ وَجَلَّ- أمره بهذا المقصود يصل إليه عن طريق آياته، عن طريق الوحي، عن طريق الأدلة، هو المقصود، النظر عندهم مقصودٌ لذاته.

فالشك كما يقول شيخ الإسلام: هذا يلزمهم كلهم، لماذا؟ لأن نظرك أصلًا هو لا يتماشى مع الإيمان، وبعضهم صرَّح بهذا، **مثلًا** الآمدي صرَّح بهذا وردَّ على أبي هاشم، ردَّ عليه أن الشك هذا يستلزم إنكار المعرفة، وهذا ليس في يدك أن تُنكر وجود الخالق وأنت تعتقد وجوده وهذا لا يمكنك، ثم تناقض ووقع فيما ردَّ به على أبي هاشم، مثلما يكون منهم.

أبو هاشم في الحقيقة منسجم مع نفسه، وإلا هذه الأقوال كلها تأمرك بالشك، النظر والقصد إلى النظر هي كلها شك، وإلا إذا لم تكن شاكًّا ففيما النظر، ولماذا النظر وهو النظر الكلامي.

أيضًا إذا لم تكن تدعو إلى الشك فلماذا تتهم مَن آمن معتمدًا على الوحي، لماذا تتهمه بالتقليد؟ هذا الإيمان الذي يأتي بدون الأدلة الكلامية هم يُسمونه تقليدًا، وهذا الإيمان مختلفٌ فيه هل يُعتبر أم لا؟ أقل ما فيه أنه مختلفٌ فيه؛

- بعضهم قالوا: لا يُعتبر وهذا منقولٌ عن أبي الحسن الأشعري -رَحِمَهُ اللهُ- نفسه.
- وبعضهم قالوا: هو يُقبَل على ما فيه.

إذن مذهبهم يدعو إلى الشك، وكما قلت: بعضهم يُصرِّحون بهذا، يقولون: الشك واجب، لماذا؟ بهذا الشك تستطيع أن تفحص أدوات المعرفة، ولكنه لما يدعوك إلى الشك يُجرِّدك من أعظم قيمةٍ هي فيك وهي الإيمان، يُجرِّدك منها.

وكما ذكر الشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللهُ- تعليقًا على كلام المؤلف هنا، قال: "قد يكون الشك هذا سبيلًا إلى ما هو أخبث منه" وهذا يدل عليه واقعهم، وذكر نموذجًا الشيخ يقول: مصطفى محمود لَّف كتابًا اسمه [الطريق من الشك إلى اليقين] وحسب كلام الشيخ -أنا لم أقرأ في ترجمته- أن الرجل يقول: بالحلول والاتحاد مصطفى محمود، هو من المعاصرين، ومن معاصري طه حسين، ويذكر هذا مصطفى

محمود أن هذا الكتاب عبارة عن جهد ثلاثين سنَّة، وأنه ألَّفه بعد النظر في الأدلة، وبعد قلب الأدلة، وبعد فحص الأدلة، وبعد كذا، وبعد كذا، ما الذي وصل إليه؟ الحلول والاتحاد، وهو يدَّعي أنه وصل إليها بالأدلة.

هناك أيضًا من سبقه في هذا هو الغزالي -رَحِمَهُ اللهُ-، الغزالي هو إمام الشُّكَّاك كما يقولون، وقد وقع في الشك كما ذكر بنفسه، وقع فيه وبقي فيه حوالي ستة أشهر، ثم يقول: خرج منه بفضل نداءٍ سمعه قد يكون إلهامًا، ووصل إلى برِّ اليقين، ما هو ذلك اليقين؟ التصوف.

وأنا أقول: حال هذين أحسن بكثير ممن وقع في الإلحاد، كثيرٌ من الشكَّاك أخرجهم علم الكلام من الإيمان، وأوصلهم إلى الإلحاد الصريح، إنكار وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ لأنه ما يدري، لو كان الإيمان مطلوبًا أنت مؤمن، فلماذا تأمرني بالانسلاخ من هذا الإيمان، لماذا؟ إذا كان مقصودًا قد وصلت إليه، وتتهمني بأني مقلِّد، أعطني وسائل تقوِّي هذا الإيمان لا أن أخرج من هذا الإيمان.

طيب: أنت والعلَّاف والنظَّام فحصتم الأدوات، أليس كذلك؟ فحصتموها ووصلتم إلى النتيجة، أعطونا النتيجة الخلاصة، لماذا كل واحد منا يُجرِّب؟! لماذا؟! هذا طريقٌ من طرق الشيطان، والشيطان أساليبه كثيرة، وتجربته وإلا سبحان الله! كيف تدعو إلى الشك، المؤمن تدعوه إلى الشك؟ ليس هذا فقط، المؤمن عندك متهم!

أحد المعجبين بهم وهو الدكتور سليمان الدنيا له كلام غريب في هذا، على كل حال؛ قد يطول بنا، أنا نقلته في رسالتي، يقول سليمان دنيا، له كتاب في مجلدين: [محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين] والكتاب فيه شرح لـ [لعقيدة العضدية]، أو كتاب مختصر للإيجي، يذكر فيه أن من اعتبار الإسلام للعقل أنه أوجب الشك، وأن مَن مات وهو في طريقه إلى الإيمان ولم يصل إلى الإيمان، فهو أقرب إلى رحمة الله -عَزَّ وَجَلَّ- ممن آمن بدون هذه الأدلة، كلامه طويل، يقول: هو أقرب إلى رحمة الله -عَزَّ وَجَلَّ- ممن آمن مقلِّدًا.

**طيب**: لك أن تتساءل هذا لم يلتفت إلى القرآن، ولم يلتفت إلى السنَّة، وبدأ يُجرِّب بنفسه فهو أقرب إلى رحمة الله، طيب من وصل إلى الإيمان، أين رحمة الله من هذا المؤمن إن كان عندك عقل؟! إذا كانت رحمة الله قد وسعت وشملت هذا الكفار الذي أنت تقول: لم يصل إلى الإيمان، ولكنه في طريقه وهو

يلعب، فكيف بالمؤمن -سبحان الله- هذا الذي وصل إلى الإيمان؟! تضيق عنه رحمة الله -عَزَّ وَجَلَّ- ، ولا تسعه، ولا تشمله!

طبعًا هو صريح في هذا أن الشك واجب، وكما قلت: حتى الذي لم يصل إليه هو عنده أقرب إلى رحمة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ويقول فيه أيضًا ويتحدَّى المخالفين الذين يتهمون المسلمين بعدم اعتبار العقل، وبعدم الاعتداد به، يقول: أيُّ اعتبارٍ للعقل فوق هذا؟! الإسلام يوجب هذا، وغير الإسلام قد يراه طريقًا من الطرق أما الإسلام يوجب هذا، هذا كله وهو يتحدث بلسان المسلمين.

هذه كلها أقوال المتكلمين كما يقول المؤلف هنا: (**كَمَا هِيَ أَقْوَالٌ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ**) هذا الشؤم، هذا العلم الذي يُسمى علم الكلام هو كما قلت: شؤمًا على المسلمين ولا زال شؤمًا، الآن لما تنظر إلى أسباب الإلحاد تجد أن بعض من ذكر أسباب الإلحاد ذكر أن قول جهم من أسباب الإلحاد، وهذا سنشير إليه لما يشير المؤلف إلى فروع توحيد الجهمية.

**من أسباب الإلحاد الآن**: الجهل الذي سببه المتكلمون، والقواعد التي ينطلق منها من يؤمن بهذا العلم، إضافةً إلى الشبه الجديدة، النتيجة: الخروج من الإسلام، ثم بعد ذلك يتلقَّفهم الاشتراكي، يتلقَّفهم الشيوعي، يتلقَّفهم هذا الذي يُسمى نفسه بالدين الطبيعي، في أي وادٍ هلك، كلها تجتمع في التشكيك في الإسلام، وفي الخروج في الإسلام، هذه كلها أدوات للخروج من الإسلام، وإلا لماذا ترى أن المؤمن اعتمادًا على الوحي هو مقلِّد.

**بالنسبة لأدلتهم على وجوب النظر، أشهرها كما قلت أربع أدلة:**

**الدليل الأول**: أن النظر مقدَّمة للمعرفة الواجبة، وبما أن المعرفة واجبة، والطريق إليها النظر، وما لا يتم الواجب إلا به فالنظر واجب، هذا الدليل الأول، وهذا الدليل باطل، لماذا؟ لأنه مبنيٌّ على كون معرفة الله -عَزَّ وَجَلَّ- نظرية، والخلاف معروف بين أهل السنَّة وبين المتكلمين في معرفة الله -عَزَّ وَجَلَّ- هل هي نظرية أو فطرية، والصحيح أن معرفة الله -عَزَّ وَجَلَّ- فطرية وليست نظرية.

ولذلك الرسل لما جاءوا إلى أممهم اعتمدوا على أهل الفطرة، وانطلقوا منها إلى توحيد الألوهية، قالوا: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[إبراهيم: ١٠] أنتم لا تشكون في كونه فاطر السموات والأرض، والاستفهام هنا إنكاري، أنتم لا تشكون، فالصحيح أن معرفة الله -عَزَّ وَجَلَّ- فطرية، وهذا الدليل مبنيٌّ على أن معرفة الله -عَزَّ وَجَلَّ- نظرية، هم من جنايتهم على العقيدة أنهم جعلوا معرفة الله -عَزَّ

وَجَلَّ- نظرية وغيَّبوا الفطرة، ثم النظر الذي به يصلون إلى معرفة الله -عَزَّ وَجَلَّ- هو النظر في دليل بدعي، الوسائل بدعية، وسلسلة من الباطل.

**الدليل الثاني**: النصوص الشرعية، النصوص الشرعية أشار إليها الإيجي في كتابه [المواقف]، أشار إلى الاستدلال بها، وأشار أيضًا إلى أن الاستدلال بها أو أن دلالتها هنا ليست يقينية وإنما هي ظنيَّة، وطبعًا هذه الجزئية ليست خاصة بالنظر، الأدلة السمعية عندهم ظنية عمومًا، من هذا المنطلق قال: أن هذا الدليل ظني، والأدلة كثيرة:

- ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[يونس:١٠١].
- ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[الغاشية:١٧].

والأدلة كثيرة، ولكنه أشار إلى أن هذا الدليل في مجمله ظني، وأن الاعتماد على الدليل الذي بعده، قلَّده في ذلك أيضًا تلميذه التفتازاني -رَحِمَهُ اللهُ- وذكر هذه الأدلة، ذكر هذه الأدلة في طريق للمناقشة، وهو يُناقض قال: إذا أردنا الاكتفاء بإثبات المسألة ولو بدليلٍ ظني فمن الأدلة: الأدلة السمعية، ذكرها على استحياء كأن هذا الدليل يُستحيا من ذكره، وأغنانا عن الرد عليه، ما دام أنت ترى أن إفادة هذا الدليل لمطلوبك ظني فلا نتعب معه.

ونحن نقول: أن النظر واجب، ونحن مأمورون بالنظر، وقد أشرت إلى هذا فيما سبق، وذكرت بعض الأدلة، ولكن نقول: أن الفرق بين النظر الكلامي والنظر الشرعي:

- أن النظر الكلامي يكون قبل الإيمان.
- والنظر الشرعي يكون بعد الإيمان.
- النظر الشرعي يكون في الأدلة الشرعية.
- والنظر الكلامي يكون في الأدلة البدعية.

وبالتالي هذه وسيلة للإخراج من الإيمان، وتلك وسيلة لتثبيت الإيمان وتقوية الإيمان، وبالتالي هذه النصوص لا تفيدكم؛ لأنكم في وادٍ وهذا النظر في وادٍ.

**الدليل الثالث**: قالوا: الإجماع، ذكروا كلهم بدون استثناء قالوا: الأمة أجمعت على وجوب المعرفة، وبالتالي ما دام أن المعرفة واجبة ولا طريق إليها إلا بالنظر، فالنظر واجب وهو أول واجبٍ على المكلف بإجماع الأمة.

**وهذا الدليل أيضًا غريب، وممن ردَّ عليهم في هذا رد جميل وكلامه ماتع:**

- أبو المظفَّر السمعاني -رَحِمَهُ اللهُ-، وذكر في كلامه أن أحدًا من الأئمة لم يذكر هذا فكيف بالإجماع؟ أنت ائتني بنقل لأحد الأئمة، كلام لأحد الأئمة، دعك من الإجماع، لم يُنقل هذا من أحدٍ من الأئمة فكيف تدَّعي الإجماع؟! هذا أولًا.
- ثانيًا: ذكر السمعاني أن الإجماع منعقدٌ على خلاف ما تقول، إجماع أهل السنَّة منعقدٌ على أن أول واجبٍ على المكلف هو شهادة أن لا إله إلا الله، كما ذكرت أن هذه المسألة إجماعية.

من الجميل ما يُشير إليه شيخ الإسلام أنه يهتم بإجماعات المتكلمين، وأنا جمعت بعضها في رسالتي، وذكرت أن المتكلم لما يدَّعي الإجماع هنا حط عليها خطوط كثيرة؛ لأن اتفاق هؤلاء المتكلمين اتفاقهم على شيء هذا يدل على أن الأمر فيه إنَّه، إذا ادَّعوا الإجماع ففيه.. وفعلًا أنتم لما تنظرون إلى إجماعاتهم إذا دَّعوا الإجماع فستكون المسألة مستغربة أكثر، وهذا منها.

**الدليل الأخير**: ذكروا أن في النظر منجاةٌ عن التقليد، وأن التقليد يجب أن تخرج منه، والذي يُخرجك من التقليد هو النظر، طبعًا هذه المسألة أيضًا طويلة قد تأتي معنا.

التقليد كنت كتبت بحث قديمًا باسم، عنوان البحث وهو منشور [التقليد بين التقديس المتمذهبين وتشويه المتكلمين] ما هو التقليد؟ نقلت عدد من تعريفاتهم في التقليد وكلا ليست بشيء، لا يُعطيك التعريف الذي تضح منه معالم هذا المصطلح، التقليد الذي نعنيه هنا هو الإيمان اعتمادًا على الكتاب والسنَّة، هذا هو التقليد، هذا طبعًا متفق عليه بيننا وبينهم، ما الذي نعني بالتقليد هنا؟ هو الإيمان اعتمادًا على الوحي، هذ هو التقليد، وهذا التقليد يجب أن تخرج منه بالنظر، أو بالقصد إلى النظر، أو بالشك فيه، وهذا دليل؛ لأن هذا يُخرجك من ورطة التقليد، والتقليد هنا واجب؛ لأنه اتباع الكتاب والسنَّة.

وأيضًا من جميل كلام الحافظ بن حجر هنا في [الفتح] الرد عليهم في التقليد، يقول: "التقليد هو اتباع كلام من ليس كلامه حُجَّة" وهذا التعريف في الجملة متفقٌ عليه في الجملة بعبارات متقاربة، أن تتبِّع وتُقلِّد كلام من ليس كلامه حجة هذا هو التقليد، المقلِّد الذي تتهمه بالتقليد هنا هو اتبع هنا كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- وكلام رسوله، فكيف تسميه مقلِّدًا، لا يجوز أن تسميه مقلِّدًا، مَن المقلِّد؟ المقلِّد

أنت وأمثالك، وهذا أيضًا ذكره الحافظ بن حجر أن تقليد المتكلمين من أسوء أنواع التقليد، تجده يُقلِّد أعيانًا دون أن يفهم كلامه أن يُقلِّدهم، وهذا كثير.

لذلك أظن اللالكائي في مقدمة كتابه ذكر أن كلام النظَّام والعلَّام وغيرها، هذا كله عندكم معرفة ويقين، وكلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- عندكم ظنٌّ وتخمين، كلام قريب من هذا، هو الخلل أين؟ الخلل في تحديد الأدلة، فعلًا أنا عندهم مقلِّد، لماذا؟ لأن الدليل الذي هو يرتضيه لم أتبعه ولن أتبعه، لن أتبعه إن كنت على السنَّة، ونسأل الله أن نكون على السنَّة ونموت على السنَّة، ونسأل الله أن يعصمنا من هذه الفتن، سبحان الله! ما الفتن هذه؟ كلها باسم العقيدة، يجب عليك أن تشُك وأنت في العقيدة؟! سبحان الله! بدايتُك يجب عليك أن تشك؟! لماذا؟ لأن الغزالي شك، دعه يشُك، سبحان الله!

**إذن التقليد هذا الذي يردُّون عليه، هذا اتباعٌ واجب ولا عليك من اصطلاحاتهم، وهذه أبرز أدلتهم على إيجاب النظر:**

**أولًا**: لأنه لا يتم الواجب إلا به هو سبيلٌ إلى المعرفة.

**ثانيًا**: النصوص، وكما ذكرت ذكروها على استحياء.

**ثالثًا**: الإجماع، والإجماع قائمٌ وحاصلٌ على خلاف هذا الذي يدَّعونه.

**ورابعًا**: لأنه مناجاةٌ عن التقليد، والتقليد هنا هو الواجب، هذا تشبيه المتكلمين للتقليد، وتقديس المتمذهبين للتقليد أنه يجب عليك أن تقلِّد إمامًا معينًا في جميع أمور دينك حتى ولو... هنا يُقدِّس.

**والغريب أن هؤلاء المتكلمين هم أحدهم:**

- لما يتحدث في أصول الفقه وفي الفقه هنا يكون مقلِّدًا ويُقدِّسه.
- لما يكون هو نفسه في علم الكلام هنا ينقلب.
- لما يكون التقليد واجبًا هنا يتفلَّت منه.
- ولما يكون التقليد منكرًا هنا هذا سبحان الله من الخذلان، والله المستعان.

(**كَمَا هِيَ أَقْوَالٌ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، بَلْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ**) هذا هو الإجماع (**عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ الْعَبْدُ الشَّهَادَتَانِ، وَمُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ قَبْلَ الْبُلُوغِ لَمْ يُؤْمَرْ بِتَجْدِيدِ ذَلِكَ عَقِيبَ بُلُوغِهِ، بَلْ يُؤْمَرُ**) بلوازمها (**بِالطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ أَوْ مَيَّزَ عِنْدَ مَنْ يَرَى ذَلِكَ، وَلَمْ**

**يُوجِبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى وَلِيِّهِ أَنْ يُخَاطِبَهُ حِينَئِذٍ بِتَجْدِيدِ الشَّهَادَتَيْنِ)** فكيف بالشك وبالقصد أو بالنظر؟

**(وَإِنْ كَانَ الْإِقْرَارُ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَاجِبًا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَوُجُوبُهُ يَسْبِقُ وُجُوبَ الصَّلَاةِ، لَكِنْ هُوَ أَدَّى هَذَا الْوَاجِبَ قَبْلَ ذَلِكَ)**. هذا مذهب أهل السنَّة والجماعة، إذن التوحيد هو أول واجب؛

- ومعنى كونه أول واجب: أنه أهم واجب، هذا المعنى الأول.
- والمعنى الثاني: أنه أول ما ندعو إليه كل مكلَّف.

هو أهم واجب، وأول ما يجب على المكلف.

**كما قلت**: هذه الأمور عمومًا تتعلق بنظرتهم إلى الأدلة، وهم قد وصلوا إلى هذا الهوس بحُجَّة فحص أدوات النظر، لما تستغني عن كلام -عَزَّ وَجَلَّ- وعن كلام رسوله، وتُخضعه لفحصك هكذا تكون النتيجة، تُخضعه لفحصك؛ ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[سبأ:٦] أهل العلم لا يفحصون الكتاب والسنَّة، لماذا تفحص الكتاب والسنَّة؟ هذا الذي يجب عليك، يجب عليك أن تتلقَّى هذا بالقبول؛ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب:٣٦] لا يجوز أن تشك في هذا فكيف بالفحص؟! وهذه هي النتائج.

**(وَهُنَا مَسَائِلُ تَكَلَّمَ فِيهَا الْفُقَهَاءُ: فَمَنْ صَلَّى وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِالشَّهَادَتَيْنِ، أَوْ أَتَى بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِمَا، هَلْ يَصِيرُ مُسْلِمًا أَمْ لَا؟ وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَصِيرُ مُسْلِمًا بِكُلِّ مَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِسْلَامِ)**.

**أولًا**: يجب النطق بالشهادتين على القادر، ما يتعلق بالصلاة؛ لأنه في الصلاة سينطق بالشهادتين حتى ولو لم يكن نطق بالشهادتين، في الصلاة سينطق بالشهادتين، وغيرها من خصائص الإسلام، مثلًا: الصيام، إذا كان يصوم ليس لك أنت تأتي وتقول: هل تلفَّظت بالشهادتين؟ يكون قد تلفَّظ بالشهادتين وبنى عليها، هذا معناه، وإلا بالنسبة للقادر يجب عليه أن ينطق بالشهادتين، والإيمان لا يتم إلا بالنطق بالشهادتين.

**وكما تعرفون الإيمان هو ثلاثي، لا بد من ثلاثة أمور:**

- الاعتقاد بالجنان.

- والنطق باللسان.
- والعمل بالأركان.

النطق لا بد منه حتى ولو كان مؤمنًا باعتقاده، وحتى ولو كان يعمل ما عمِل إذا كان قادرًا ولم ينطق بالشهادتين فليس مؤمنًا، لكن هذه المسائل التي يأتي بخصائص الإسلام لا بد أن يكون قد نطق بالشهادتين؛ لأنها تبني عليها. هبْ وافترض أنك صادفت إنسانًا وقال لك: أنا ما نطقت إلى الآن بالشهادتين، لا بد أن ينطق بالشهادتين، لا بد حتى يكتمل إيمانه.

(**فَالتَّوْحِيدُ أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَآخِرُ مَا يَخْرُجُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا**) أي أول ما يجب عليك، وآخر ما ينبغي أن تكون عليه، (**كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**») ونسأل الله أن نكون منهم، (**وَهُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ وَآخِرُ وَاجِبٍ**).

هنا في هذه الفقرة تحدث الشارح -رَحِمَهُ اللهُ- عن مسألة أول واجب، وما هو أول واجب؟ عرَفنا أن أول واجب هو التوحيد؛ إفراد الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالعبادة، والنطق بالشهادتين.

ثم دخل ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- في بيان تقسيم أو أقسام التوحيد، بعد أن بيَّن أهمية التوحيد، ومن أهميته: أنه أول واجبٍ على المكلف، الآن يُبيِّن أقسام التوحيد، وسيذكر في الأخير لما يرد على الصوفية سيذكر هناك تقسيمًا آخر، وهنا ذكر التقسيم الثلاثي، وهناك سيذكر التقسيم الثنائي.

(**فَالتَّوْحِيدُ أَوَّلُ الْأَمْرِ وَآخِرُهُ، أَعْنِي: تَوْحِيدَ الْإِلَهِيَّةِ**) من هنا مأخوذ من شرح [الأصبهانية]، من قوله: (**فَإِنَّ التَّوْحِيدَ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَ أَنْوَاعٍ**) من هنا تقريبًا إلى آخر ما ذكره عن التوحيد أو عن أقسام التوحيد مأخوذٌ بتصرفٍ كبيرٍ جدًّا حسب ما يليق بشرحه، وكلام شيخ الإسلام عن توحيد الأسماء والصفات طويل، وكذلك كلامه عن توحيد الربوبية طويل جدًّا، وذكر فيه أمور معقدة حاول ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- أن يختصر بعضها هنا بطريقته الخاصة، وكما قلت: كلام شيخ الإسلام طويل.

(**فَإِنَّ التَّوْحِيدَ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَ أَنْوَاعٍ**:

- **أَحَدُهَا: الْكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ**) أي توحيد الأسماء والصفات.
- (**وَالثَّانِي: تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، وَبَيَانُ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**.
- **وَالثَّالِثُ: تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ، وَهُوَ اسْتِحْقَاقُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**).

هذه أقسام التوحيد.

(**أَمَّا الْأَوَّلُ**) الآن بيَّن أقسام التوحيد، والآن دخل في بيان تعريف وحقيقة هذه الأقسام، ما هو توحيد الأسماء والصفات؟ والأهم من هذا ما الذي تحول إليه عند المخالفين، نرى أن التركيز عليه أكثر:

- توحيد الأسماء والصفات عند المخالفين ما هو؟
- توحيد الربوبية عند المخالفين ما هو؟
- توحيد الألوهية عند المخالفين ما هو؟

(**أَمَّا الْأَوَّلُ: فَإِنَّ نُفَاةَ الصِّفَاتِ أَدْخَلُوا**) مَن هم نفاة الصفات؟ جميع المتكلمين بدون استثناء من الجهمية إلى الأشاعرة والماتوريدية، كلهم نُفاة الصفات مع أن الكلَّابية والأشاعرة والماتوريدية يُسمون أيضًا الصفاتية، إذا قيل: الصفاتية فهم المقصودون، أيضًا يدخل معهم أهل السنَّة؛ لأنهم كلهم يُثبتون الصفات، ولكن نُفاة الصفات أيضًا كلهم ينفون بعض الصفات؛

- بعضهم ينفون جميع الصفات مثل الجهمية والمعتزلة.
- وبعضهم ينفون بعض الصفات مثل الكلَّابية والأشاعرة والماتوريدية.

(**فَإِنَّ نُفَاةَ الصِّفَاتِ**) كما قلت: يدخل فيه الجميع؛ لأن هذا المبدأ يتفق فيه الجميع، هذا المبدأ الذي ذكره شيخ الإسلام، (**أَدْخَلُوا نَفْيَ الصِّفَاتِ فِي مُسَمَّى التَّوْحِيدِ**) التوحيد لا يتحقق إلا بنفي الصفات، مسمَّى التوحيد، حقيقة التوحيد، وكما يقولون: ماهية التوحيد لا تتحقق إلا بنفي جميع الصفات أو بعض الصفات (**كَالْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ وَمَنْ وَافَقَهُ**) عندهم لا يتحقق إلا بنفي جميع الصفات، والبقية لا يتحقق عندهم إلا بنفي بعض الصفات أو أكثر الصفات.

(**فَإِنَّهُمْ قَالُوا: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ تَعَدُّدَ الْوَاجِبِ**) مَن قال هذا؟ كما قلت: يشترك فيه الجميع، إلى هنا الحُجَّة واحدة، هذا قول الجهمية، وهذا قول المعتزلة، وهذا قول البقية، فالفرق في كمية هذه الصفات التي تُنفى، لا بد من نفي شيءٍ من الصفات، لماذا؟ حتى تكون موحِّدًا، غريب هذا، حتى تكون موحِّدًا لا بد أن تنفي جملة الصفات، جميع الصفات أو بعضها، لماذا؟ لأن إثبات الصفات يستلزم تعدُّد الواجب، هذا الدليل في أصله وهذا الدليل تأصيله وتفصيله تجدونه عند المعتزلة ولكن المبدأ عند الجميع.

**يقولون: الصفات ما تُثبتها:**

- إما أن تثبتها قديمة.
- وإما أن تثبتها حادثة.

**إذا أثبتها وهي حادثة** هذا يستلزم حلول الحوادث بذاته سبحانه وهذا كفر.

**وإذا أثبتها قديمة** وقعت في الشرك؛ لأن التوحيد هو إثبات قديمٍ واحد.

هذا الدليل بهذا الشكل، بهذا التركيب هو دليل المعتزلة والجهمية، ولكن المبدأ يتفق معهم فيه أيضًا حتى الأشاعرة والماتوريدية؛ لأنهم يقولون: أن إثبات الصفات التي لم يُثبتوها يخدِش في التوحيد، ويقولون أيضًا: أن التقليل من الإثبات أقرب إلى تحقيق التوحيد، ألا ترى أنهم يحومون حول التقليل من الإثبات هذا أقرب إلى تحقيق التوحيد، إذن المبدأ واحد ولكن التطبيق يختلفون فيه.

(**وَهَذَا الْقَوْلُ مَعْلُومُ الْفَسَادِ بِالضَّرُورَةِ**) ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- ما أراد أن يدخل في التفاصيل؛ لأن هذا الكلام فعلًا منا يقول: (**مَعْلُومُ الْفَسَادِ بِالضَّرُورَةِ**).

**مما يدل على فساده بالضرورة**: (**أَنَّ إِثْبَاتَ ذَاتٍ مُجَرَّدَةٍ عَنْ جَمِيعِ الصِّفَاتِ لَا يُتَصَوَّرُ لَهَا وُجُودٌ فِي الْخَارِجِ**) أنت الآن تثبت وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ- ولا تنفي وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟ أنت لما تكون مع الجهمي ستكون متحيِّرًا في موقفه هو، أنت الآن تثبت ولا تنفي؟ ما تدري، في الظاهر يقول: أُثبت وجوده، طيب: تُثبت وجوده كيف تثبت وجوده؟ ميِّز بينه وبين غيره، والتمييز كيف يكون؟ بالصفات، لا يمكنه ولا يجوز عنده أن يُميِّز، إذن ما أثبتت شيء، لو أثبتت شيئًا لميزته عن غيره، لميزته عن مخلوقاته.

(**إِثْبَاتَ ذَاتٍ مُجَرَّدَةٍ عَنْ جَمِيعِ الصِّفَاتِ لَا يُتَصَوَّرُ لَهَا وُجُودٌ فِي الْخَارِجِ، وَإِنَّمَا الذِّهْنُ قَدْ يَفْرِضُ الْمُحَالَ وَيَتَخَيَّلُهُ وَهَذَا غَايَةُ التَّعْطِيلِ**) هذا غاية التعطيل، غاية التعطيل ما تدَّعي أنك تُثبته، أنت الآن تريد أن تثبت شيء، وهذا الشيء الذي تُثبته هو الخالق، تُثبته ثم تقول: لا يوصف بأي صفة! هذا غاية التعطيل، تعطيل ماذا؟ تعطيل هذا الذي تدَّعيه.

إذا أردت أن تُعطِّله كلما نفيت من صفاته كنت أقرب إلى التعطيل، هذا هو الصحيح، وليس كما تقولون: أنه أقرب إلى تحقيق التوحيد، كلما نفيت من صفاته فأنت أقرب إلى... كلما عطَّلت أكثر فأنت أقرب إلى التعطيل وأقرب إلى نفيه، فإذا نفيت جميع الصفات فأنت صريح في نفيه.

نبدأ في هذه الفقرة إن شاء الله بعد الصلاة أم بعد الأذان؟ بعد الصلاة إن شاء الله، وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد...**

لا زلنا نتحدث في موضوع أقسام التوحيد، وكما ذكرنا ذكر ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- نقلًا عن شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ- أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

**والقسم الأول الذي بدأ به:** هو توحيد الأسماء والصفات، وذكر فيه مذهب المتكلمين، وهو أن من تمام وتحقيق التوحيد نفي الصفات؛

- إما نفيها كلها.
- أو نفي بعضها.

**وذكر دليله:** أن إثبات الصفات كلها أو بعضها يستلزم تعدُّد الواجب، والتوحيد هو إثبات قديمٍ واحد، هذا تعريف التوحيد عند المعتزلة، وتعريف التوحيد يكون بالنظر إلى أخص أوصاف الإله، ما هي تلك الصفات التي هي أخصُّ أوصاف الله -عَزَّ وَجَلَّ- حتى يكون تحقيقها توحيدًا؟ المعتزلة قالوا: أخصُّ أوصافه القِدَم، فإثبات كونه قديمًا أو إثبات قِدَمه فقط هذا هو التوحيد، ولذلك فهم يستشكلون إثبات الصفات؛ لأن إثباتها سيستلزم تعدُّدها القدماء، هو يكون قديمًا، وهذه تكون قديمة، وبالتالي هذا يستلزم الشرك.

وكما قال ابن أبي العز: هذا القول معلوم الفساد بالضرورة؛ لأن الصفات ليست ذوات مستقلة حتى يستلزمها الشرك، هذه الصفات كلها هي صفات ذاتٍ واحدة وهي ذات الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وهي قائمة بالله -عَزَّ وَجَلَّ-، والصفة لا تكون قائمةً بنفسها أصلًا، هذا هو الفرق بين الصفة والاسم، الصفة دائمًا تكون قائمةً بغيرها، ولا يكون لها قيامٌ بنفسها، ومهما تعددت ومهما كثُرت فتعدُّدها وكثرتها يدل على كثرة محامد المتَّصف بها، كما هو الحال في الذات الإلهية.

بعد أن ذكر هذا بهذا الاختصار، ذكر ابن أبي العز هنا بعض الأمور التي يؤدي إليها توحيد الجهمية، وهذا الذي ذكره هنا حاول أن يُلخصه من الكلام الطويل الذي لشيخ الإسلام في شرح [الأصبهانية]، وأنا رجعت إلى الأصل وحاولت أن أُلخص الفكرة أولًا حتى ندخل في هذا الذي ذكره ابن أبي العز.

**(وَمِنْ فُرُوعِ هَذَا التَّوْحِيدِ)** يقصد ابن أبي العز أن توحيد الجهمية يؤدي إلى هذا، ليس معناه أن جميع الجهمية يقولون بهذا أبدًا، بعض الجهمية يقولون بهذا صراحةً، وبعضهم يلزمهم هذا، جميعهم يلزمهم هذا الذي ذكره ابن أبي العز هنا، ومن فروعه، ومن فروعه، هو يريد أن يبيِّن هنا أن هذا التوحيد بهذا الشكل يؤدي إلى هذه الفضائح، **والدليل**: أن كثيرًا ممن وقع في هذه الأمور كان منطلقه هذا التوحيد، هذا دليل، وليس معناه أن جميع الجهمية يقولون بهذا، وأن توحيد الجهمية جميع من يقولون به يقولون بهذه الأمور التي ذكرها هنا ابن أبي العز، ليس هذا المعنى.

ذكر شيخ الإسلام لما تحدَّث عن هذا التوحيد أن من يزعم أن توحيد الله -عَزَّ وَجَلَّ- لا يتحقق إلا بالنفي، وأن نفي الصفات شرطٌ في تحقيق التوحيد، هذا يدفع الناس إلى الإلحاد، فمن ينظر في كلامهم وخاصةً مَن لم يكن عارفًا بمذهبهم، وأن مذهبهم باطل، مَن ينظر في كلامهم وهو يعتقد صحته...

**أنا أُلخِّص كلام شيخ الإسلام، ركِّز معي:**

مَن ينظر في كلامهم وهو يعتقد صحته، ويرى في كلامهم أن ما أبطله الشارع، وأن ما ردَّ عليه الله -عَزَّ وَجَلَّ- في كتابه من التعطيل، يجد أنه يجب عليه، يلتبس عليه توحيد المرسلين مع توحيد الجهمية، يجد أن كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ- يُبطل هذا الإلحاد، ويُبطل هذا التعطيل، ويذم فرعون وغيره لأجل هذا التعطيل؛ لأن التعطيل درجات:

- منها: تعطيل وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ومنها: تعطيل صفاته.

يجد أن هذا الذي ذمَّ به فرعون يجد أنه يجب عليه يكون موحِّدًا، وهذا يوقعه في التناقض، والرجل جاهل، فيبقى متحيِّرًا بين أمرين:

- إما أن يترك العبادة والتألُّه ويقع في الشهوات.
- وإما أن يبقى متألِّهًا ويُغلِّب جانب التألُّه والعبادة فيقع في الشرك.

**لما يقع في الشرك؛**

- قد يقع في الشرك ويعبد بعض الخلوقات باعتقاد الحلول والاتحاد فيها أو بدون هذا الاعتقاد.
- أو يقع في الحلول والاتحاد العام، الاتحاد والحلول بين الخالق والمخلوق.

هذه النتائج من أين؟ هذه الموارد وهذه المهالك السبب فيها ماذا؟ السبب فيها توحيد الجهمية؛ لأن الجهمي يرى أن توحيده لا يتحقق إلا بما ذمَّه به الله -عَزَّ وَجَلَّ- في كتابه، فهذا الجاهل يكون متأرجحًا بين أمرين.

لما يصل إلى الحلول والاتحاد، فهذه كل هذا الذي ستجدونه هذه فروعها وهذه نتائجها، **(وَمِنْ فُرُوعِهِ)** أي من نتائجه؛

- إما أن يكون الاتحاد والحلول جزئي، مثلًا: كما تجده عند النصارى أن الإله حلَّ في مخلوقٍ معين، أو اتحد بمخلوقٍ معين.
- أو يكون عامًا كما هو مذهب الحلولية والاتحادية أن هناك اتحادًا بين الخالق والمخلوق عمومًا، وأن التوحيد هو نفي الإثنينية.

فما دام أنك تعتقد أن هناك إلهً ومألوهًا، وأن هناك خالقًا ومخلوقًا، وأن هناك عابدًا ومعبودًا فأنت مشرك، فهذا مفهومهم للتوحيد، وهذه حقيقة التوحيد عندهم. فهمنا هذا من أين جاءهم؟ ولأجل هذا كما سنرى أن فرعون كامل الإيمان، وهذا ذكره صراحةً ابن عربي في كتابه [الفصوص].

**(وَهَذَا الْقَوْلُ قَدْ أَفْضَى بِقَوْمٍ إِلَى الْقَوْلِ بِالْحُلُولِ أَوِ الِاتِّحَادِ)** هذا قديمًا، أما الآن نزيد شيئًا وهو الإلحاد، أحد الدكاترة له كتاب [الفيزياء ووجود الخالق]، هذا الكتاب جميل ولذلك أذكره كثيرًا، ذكر فيه أن نظرية التوحيد عند الجهمية قنطرة إلى الإلحاد، لماذا؟ لأنك لما تعبد ذلك الإله الذي لا يتصف بشيء، لماذا تعبده؟ نحن نعبد الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ لأنه أولًا: يعلم ما في ضمائرنا وعند الجهمي لا يعلم، لا يتصف بالعلم، يسمع، ويقدر، ويقبل، ويرحم، عنده ليس شيء من هذا، طيب إذن تعبد مَن؟!

يذكر هذا الدكتور جعفر إدريس أن نظرية التوحيد عند الجهمية قنطرة إلى الإلحاد، وذكر أن له مثالًا أيضًا في فلاسفة الغرب وهو ديكارت، يقول: "ديكارت مذهبه قريب من مذهب جهم"؛ لأن ديكارت يرى أن هذا العالم خلقه الله -عَزَّ وَجَلَّ- فهو مؤمن، ولكن يرى أنه خلقه بقوانين منظمة دقيقة جدًّا بعد خلقه لها لا تحتاج إليه، وبالتالي الكون كان محتاجًا إليه والآن ليس بحاجة إليه؛ لأن ما اكتشفه من

القوانين المنظمة الدقيقة جدًّا، وأنه لا انخرام فيها، ولا اختلال فيها، يقول: أن الكون ليس بحاجة إلى الإله.

هذه كلها تمهد للإلحاد، إذا كان الكون ليس بحاجة إليه فلماذا يُعبَد؟ نحن نعبده لأن حاجتنا إليه حاجة ذاتية كما يقول شيخ الإسلام، والمتكلمون يختلفون أيضًا في نوع حاجتنا أو حاجة المخلوق للخالق، فهو محتاجٌ إليه لحدوثه، أو محتاجٌ إليه لإمكانه؟ ذكر شيء الإسلام أنه محتاجٌ إليه لحدوثه ولإمكانه، وليس هذا فقط محتاجٌ إليه؛ لأن الحاجة فيه لازمة، وإذا كانت الحاجة لازمة لا تحتاج إلى العلة، افتقاره وحاجته ضرورية، لست بحاجة إلى العلة، علَّة الحاجة هل هي الافتقار أو هي الإنكار؟ مختلفون في هذا.

فهذا القول الآن طبعًا هو قديمًا من الأسباب التي كانت توقع في الحلول والاتحاد كما سيذكر المؤلف، وأيضًا ذكر شيخ الإسلام أنه أفضى ببعض الناس إلى الزندقة، وبعضهم أفضى بهم إلى الفلسفة، دفعهم إلى الفلسفة؛ لأن التناقض الذي في هذا القول، وخاصة في بداية الخلق، خلق الكون، واتصاف الله –عَزَّ وَجَلَّ– بصفة الخلق، هذا جعلهم يُلحدون، أو جعلهم ينحازون إلى الفلسفة، فهذا القول فتنة، والآن هذا القول من أدوات الملحدين.

**(وَهُوَ أَقْبَحُ مِنْ كُفْرِ النَّصَارَى)** وهو، ما هو القول الذي يُشير إليه؟ الحلول والاتحاد العام، **(أَقْبَحُ مِنْ كُفْرِ النَّصَارَى، فَإِنَّ النَّصَارَى خَصُّوهُ بِالْمَسِيحِ، وَهَؤُلَاءِ عَمُّوا جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ)**.

**أنا قلت ونقلت كلام شيخ الإسلام ولخصت كلامه:** أن المتألِّه هذا الذي يبقى متألِّهًا ولا زال جاهلًا ومتأرجحًا بين كلام الله –عَزَّ وَجَلَّ– وكلام الجهم، يرى كلام الله –عَزَّ وَجَلَّ– ويرى أن التوحيد لا يتحقق إلا بالإثبات، وهنا يرى أن التوحيد لا يتحقق إلا بالنفي، فيبقى في هذه الحيرة، مع ذلك يبقى متألِّهًا فيكون متألِّهًا ومتعبِّدًا مع الشرك، وهذا الشرك قد يصل فيه إلى الحلول والاتحاد الجزئي، يعبد سببًا من الأسباب، ومخلوقًا من المخلوقات ويعتقد أن الله –عَزَّ وَجَلَّ– حلَّ فيه، أو يصل إلى الحلول والاتحاد العام وهو الذي يتحدث عنه ابن أبي العز هنا، **(وَهُوَ)** الحلول والاتحاد العام **(أَقْبَحُ مِنْ كُفْرِ النَّصَارَى، فَإِنَّ النَّصَارَى خَصُّوهُ بِالْمَسِيحِ، وَهَؤُلَاءِ عَمُّوا جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ)**.

(**وَمِنْ فُرُوعِ هَذَا التَّوْحِيدِ**) يقول الشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللهُ- في تعليقه على [الطحاوية] يقول: "الأحسن أن يُقال: ومن فروع مذهب جهمٍ في التوحيد"، وكما قلت: معنى (**وَمِنْ فُرُوعِ هَذَا التَّوْحِيدِ**) من نتائج هذا التوحيد، مما يؤدي إليه هذا التوحيد، وليس معناه أن الجهمية كلهم يعتقدون هذا.

(**أَنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ كَامِلُو الْإِيمَانِ**) وهذا قد صرَّح به بعضهم، وهو شيخهم الكبريت الأحمر، وهو ابن عربي، صرَّح به في [الفصوص]، وعقد فيه فصلًا وعقد محاكمة بين فرعون وبين موسى، والذي يقرأ هذه المحاكمة من السهل سيصل إلى هذه النتيجة أن موسى -عَلَيْهِ السَّلَام- كان إنكاره على فرعون مبنيًّا على عدم فهمٍ لحقيقة التوحيد؛ لأن فرعون لما يقول: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾[النازعات:٢٤] هو ووصل إلى حقيقة مرحلة المشاهدة، ومن دون هذه المرحلة يُنكر على من وصل إلى هذه المرحلة، ويرى أنه من أهل الجنة، طبعًا هذا تلبيس، ما دام إلهً يحتاج إلى جنة؟!

**وذكر أيضًا** أن العذاب الذي يكون ينتظر فرعون هذا من العذوبة، يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا**﴾[غافر: ٤٥-٤٦] هذه العذوبة، ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[غافر:٤٦] لم يقل فرعون، إنما ذكر آل فرعون، لماذا؟ هم أيضًا أخطأوا؛ لأنهم خصُّوه بالألوهية ولا يجوز هذا، لماذا تخصون فرعون؟ فرعون عرَف الحقيقة فادَّعى الألوهية، ولأي واحدٍ منكم أن يدَّعي الألوهية، أبدًا لماذا تخصونه؟ وبالتالي هم إن كانت نار تحرق فهم أهلٌ لها وليس فرعون. سبحان الله! أيُّ زندقةٌ هذه؟! مع هذا يبقى ماذا؟ يظل عند كثيرٍ من الناس هو الكبريت الأحمر.

هناك كلام جميل لابد عقيل الحنبلي -رَحِمَهُ اللهُ- يُقارن بين المتكلمين والمتصوفة، يقول: "المتكلمون أحسن بكثير من المتصوفة" وفعلًا، أنت لما تكون مع المتكلمين ثم تنتقل إلى الصوفية تنساهم، ولما تنتقل عن الصوفية تنسى الصوفية أيضًا، فهم مراحل سبحان الله! الذي يرى أن فرعون مؤمن كامل الإيمان، ماذا يبقى من أقسام وأنواع الزندقة، ما الذي يبقى؟

(**وَمِنْ فُرُوعِهِ: أَنَّ عُبَّادَ الْأَصْنَامِ عَلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا عَبَدُوا اللَّهَ لَا غَيْرَهُ**) لماذا؟ لأن الوجود كله واحد، (**وَمِنْ فُرُوعِهِ: أَنَّهُ لَا فَرْقَ فِي التَّحْرِيمِ وَالتَّحْلِيلِ بَيْنَ الْأُمِّ وَالْأُخْتِ وَالْأَجْنَبِيَّةِ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْخَمْرِ، وَالزِّنَا وَالنِّكَاحِ، وَالْكُلُّ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، لَا بَلْ هُوَ الْعَيْنُ الْوَاحِدَةُ**) بما أن التوحيد هو نفي الإثنينية، فأنت لما تتصور أن هناك كذا وكذا عابد ومعبود، وأن هناك حلال وحرام،

هذا كله من توابع هذا التصور الخاطئ للتوحيد عندهم، لا زلت تؤمن بالإثنينية فلست موحِّدًا، سبحان الله!

(**وَمِنْ فُرُوعِهِ: أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ ضَيَّقُوا عَلَى النَّاسِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**) ضيَّقوا على الناس:

**أولًا**: فرَّقوا بين الإله والمألوه، والأمر أوسع.

**ثانيًا**: عيَّنوا معبودًا واحدًا، مألوهًا واحدًا، إلهًا واحدًا، هذا تضييق على الناس. الأمر أوسع، وهذا فيه تكليف بما لا يُطاق، لماذا تُحدِّد معبودًا واحدًا؟ أصلًا لماذا تفرِّق؟

**أيضًا ضيَّقوا على الناس**: بما جاءوا بالحلال والحرام، كل هذه توابع، وهذا كله تضييق على الناس.

أيضًا هذا التضييق إذا أخذناه في سياق آخر، في سياق مذهب جهم لوحده دون الوصول إلى الإلحاد ضيَّقوا على الناس؛ لأنهم طُلِب منهم الأنبياء والرسل طلبوا من أممهم أن يفهموا التوحيد والتنزيه من هذه النصوص التي كلها تدل على التشبيه، أليس هذا تضييقًا؟ تضييق وأي تضييق، عشرات النصوص في هذا الباب وكلها تدل على التشبيه والمطلوب أن تفهم التنزيه، كيف هذا؟ هذا تضييقٌ، لذلك قالوا أحدهم أظنه التلمساني قيل له: هذا شرك، قال: القرآن كله الشرك والتوحيد كلامنا.

**لماذا وضعت مثل هذا الكلام الذي يروج على المسلمين؟**

لأن هناك مقدمات كما هو أصول الدين عند المتكلمين، هناك أيضًا أصول الدين عندهم، فبعد أن يؤمن المسكين بهذه الأصول لا يستغرب مثل هذه، وإلا الذي يقول: القرآن كله شرك وكلامي كله التوحيد، أي توحيد تريد؟ إذا كنت تريد توحيد الخالق والخلَّاق، توحيد المألوه وتوحيد الله -عَزَّ وَجَلَّ- ، فهذا الكتاب هو الذي ينطق بهذا التوحيد، أما إذا كنت تتحدث عن توحيد آخر فشأنك يختلف، دينك يختلف، ملَّتُك تختلف.

كل هذه ذكرها ابن أبي العز لبيان شناعة هذا التوحيد، والله العظيم ما ذكره لا يكفي لشناعة هذا، ويكفيه فسادًا أن فيه مضادَّة تامة للتوحيد الذي يجب أن تعتقده؛

- إذا كان الرجل على مذهب جهم فمضادَّة كاملة.
- إذا كان كلَّابيًّا فهناك مضادَّة وهي كبيرة جدًّا.

التوحيد لا يتحقق إلا بنفي كثيرٍ من الصفات، سبحان الله! إذن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أثبتها لماذا؟ لماذا أثبتها؟ أثبتها لأن إثباتها هو التوحيد، وكما ذكرت مرارًا أن التوحيد هو إثبات الصفات مع التنزيه، ولذلك جمع الله -عَزَّ وَجَلَّ- بين التحميد والتسبيح في آياتٍ كثيرة.

**(وَأَمَّا الثَّانِي: وَهُوَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ؛ كَالْإِقْرَارِ بِأَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَالَمِ صَانِعَانِ مُتَكَافِئَانِ فِي الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ)** هذا تعريف مختصر لتوحيد الربوبية، **(وَهَذَا التَّوْحِيدُ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ)** هذا الذي ذكره في التعريف هذا كله حق لا ريب فيه، **(وَهُوَ الْغَايَةُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ وَالْكَلَامِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ)** الآن بدأ يرد على المتكلمين، من قوله: **(وَهُوَ الْغَايَةُ)** من هنا بدأ يرد على المتكلمين مثلما ردَّ هناك **(أَمَّا الْأَوَّلُ: فَإِنَّ نُفَاةَ الصِّفَاتِ أَدْخَلُوا نَفْيَ الصِّفَاتِ)** ردَّ عليهم، هنا أيضًا يرد عليهم.

القول بأن توحيد الربوبية هو الغاية العظمى وهو توحيد المرسلين هذا خطأ، وهذا مبنيٌّ على انحرافٍ في فهم التوحيد، ما هو التوحيد؟ التوحيد عند المتكلمين عمومًا هو توحيد الربوبية، ولذلك هم يهتمون بإثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ لأن همهم هو مناكفة الفلاسفة، والرد على الفلاسفة، وكأن الأنبياء والرسل كلهم أُرسلوا لأجل منازعة الفلاسفة، مَن الفلاسفة هؤلاء؟ شرذمة قليلة ومنبوذة في أوساط المسلمين، ليس لهم ذلك أبدًا، هم الذي وطَّأوا أقدامهم وجعل لهم موطأ قدم في أوساط المسلمين، المتكلمون، الفلاسفة المفروض لا يُذكرون لا وفاقًا ولا خلافًا، وليس لهم ذلك الأثر أبدًا.

ولذلك جعلوا إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ- هو توحيد المرسلين، إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وإثبات ربوبيته، وهذا كما قلت: خطأ في فَهم حقيقة التوحيد، والصحيح أن التوحيد هذا قسمٌ من أقسام التوحيد، وتوحيد المرسلين درجة بعدها.

وكما يقول المؤلف: **(وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى نَقِيضِهِ طَائِفَةٌ مَعْرُوفَةٌ مِنْ بَنِي آدَمَ)** وبالتالي هل تتصور أن الأنبياء والرسل أُرسلوا بشيءٍ لم يُخالفهم فيه أحد؟ ليس هذا الذي حصل، مشركو قريش كانوا يُثبتون توحيد الربوبية، لذلك تجدون أن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يركز على هذه القضية في فهم التوحيد وفي فهم الشرك.

**ما هو شرك المشركين؟**

في [كشف الشبهات] ركز على هذا في البداية تركيزًا؛ لأن فهم الشُّبه، وفَهم حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك مبنيٌّ على هذا، ماذا كان شرك المشركين؟ كيف كان شركهم؟ قد يكون فلان من الناس عنده ذلك الشرك الذي كان عند مشركي قريش، مع ذلك يظن أنه لا زال مسلمًا، طيب أنت في أحسن الأحوال مثلهم.

قال: المشركون كلهم يُقرِّون به؛ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ﴾[الزخرف:٨٧] والآيات في هذا كثيرة، وفيها بيان أن المشركين كانوا يُقرِّون بتوحيد الربوبية من حيث الجملة، وبالتالي جعلوا هذا التوحيد هو توحيد المرسلين إلغاءٌ للمرحلة التي بعدها وهي توحيد العبادة وهذا الذي حصل.

**أين توحيد الألوهية في كتب المتكلمين؟**

لن تجدوها إلا عرَضًا، أحيانًا لما يُفسِّرون واجب الوجود تجدون يُفسرُّون وجوب الوجود بالألوهية، والألوهية يُفسرونها بوجوب الوجود، ويُرجعون الألوهية إلى الربوبية، وأحيانًا يذكروها لما يذكرون العبادات أنه لا يجوز أن يُعبَد غير الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ولكن أن يذكرون كقسم من أقسام التوحيد، لن تجدوا هذا في كتب المتكلمين.

**والتوحيد عندهم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:**

- توحيده في ذاته.
- توحيده في صفاته.
- وتوحيده في أفعاله.

**توحيده في ذاته**: أنه كما يقولون: ليس فيه متبرئٌ عن الكم المتصل والكم المنفصل؛

- الكم المتصل لا يقبل التجزئة والتجزؤ.
- والكم المنفصل ليس مثله إلهٌ آخر.

**توحيده في أفعاله**: كما ذكر شيخ الإسلام في [التدمرية] هذا أحسن أنواع التوحيد عندهم، وأن أفعال الربوبية لا يُشاركه فيها أحد، توحيده في أفعاله.

**توحيده في صفاته**: هذا الذي رأيناه، رأينا توحيد الألوهية، ليس هذا فقط أوائل المتكلمين كالباقلَّاني وغيره مع أنهم لم يذكروا هذا القسم إلا أنهم لم يكن عندهم شركٌ في الألوهية، ولكنهم لما أغفلوا هذا

النوع فتحوا الباب وتركوه مفتوحًا لمن بعضهم أمثال الهيثمي، وأمثال الكوثري وغيرهم لما جاءوا بدأوا يُحابون من يُنادي إلى توحيد الألوهية.

كثير منهم لما ردُّوا على شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب قالوا: عنده التثليث مثلما عند النصارى تثليث، التوحيد كيف تجعله ثلاث؟ طيب هو عندكم أيضًا ثلاثة، هو عندكم أيضًا، نسيتم هذا التقسيم؟ ما صرتهم نصارى هو صار نصارى؟! هو منقسم عندكم أيضًا إلى ثلاثة أقسام، إذن جعلوه هو الغاية العظة وهذا خطأ وليس بصحيح.

**(وَهَذَا التَّوْحِيدُ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَهُوَ الْغَايَةُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ وَالْكَلَامِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ)** عمومًا يشتركون في هذا الصوفية والمتكلمين، ولكن لما تنظر تذهب إلى التفاصيل تجد أن الصوفية أسوأ من المتكلمين؛ لأن الصوفية يرون أن توحيد الربوبية من معانيه أنه لا فاعل إلا الله، وأن الإنسان ليس له فعلٌ حقيقةً، وهذا المذهب في الحقيقة مذهب جهم منه أخذه الصوفية، ولكن الصوفية الآن مذهبهم مركَّب هذا وهذا، المتكلم قد تجد فيه هذا وقد لا تجد فيه هذا.

- مثلًا: المعتزلي، المتكلم معتزلي يُخالفهم؛ لأنه ليس جبريًّا، قدريًّا.
- أما الصوفية لا، كل الصوفية، الصوفية جهمية القدر، وتوحيد الربوبية عندهم مبنيٌّ على هذا.

فمذهبهم أسوأ من مذهب المتكلمين عمومًا، وكلهم يشتركون في هذا أن الغاية العظمى من إرسال الرسل هو توحيد الربوبية.

**(وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى نَقِيضِهِ طَائِفَةٌ مَعْرُوفَةٌ مِنْ بَنِي آدَمَ)** هذه الفقرة أطال فيها الشارح لبيان أن مما يدل على فساد كلامكم وفساد مذهبكم أن الغاية العظمى من إرسال الرسل هو توحيد الربوبية، مما يدل على فساد كلامكم أن هذا القول أصلًا لم يذهب إليه طائفة معروفة من بني آدم، فهل أُرسل الرسل بهذا التوحيد والأمم معهم أصلًا؟ لا أحد منهم قالوا لهم، طيب تدعوننا إلى ماذا؟ نحن وإياكم على مذهب واحد، مَن؟

بينما إنكارهم على الرسل في توحيد الألوهية معروف، ماذا يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ- في سورة ص؟ ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص:٤-٥] ما الذي استنكروه؟ ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ﴾[ص:٥] الآلهة كثُر اختصرهم في

معنى ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾[ص:٥-٦] هذا هو هذا، هذا يريد أن يُفسد وهذا مفسِد، مَن الذي يُخالفكم؟ قصد الشارح هنا: مَن الذي يُخالفكم هنا؟

(**وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى نَقِيضِهِ طَائِفَةٌ**) ليست هناك طائفة تتبنَّى نقيض هذا التوحيد. قد يُعترَض على هذا ويُقال: ترى فرعون قال بهذا، والنصارى لما يقولون بالتثليث، كلامهم يُخالف هذا التوحيد، وكذلك الثنوية لما يقولون: بإلهين يُخالف هذا، كيف تقول يا ابن أبي العز: أنه (**لَمْ يَذْهَبْ إِلَى نَقِيضِهِ طَائِفَةٌ مَعْرُوفَةٌ مِنْ بَنِي آدَمَ**؟) كيف تقول هذا؟ لذلك ذكر هذه، هذا كله ذكرت هو تلخيصٌ من كلام شيخ الإسلام.

**أولًا**: قوله: (**وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى نَقِيضِهِ طَائِفَةٌ مَعْرُوفَةٌ مِنْ بَنِي آدَمَ**) قد يُعترض عليه الآن، ابن أبي العز متى توفي؟ سنَّة سبعمئة واثنين وتسعين ولا واحد وتسعين؟ اثنين وتسعين، ولا ثلاثة؟ اثنين وتسعين، فالآن الشيوعية الآن تتبنَّى هذا وخاصةً أيام دولتهم، أيام الشيوعية قبل انهيار الجماهير السوفيتية، هذا دينهم، وهم يقولون: الدين أفيون الشعوب، ودينهم مبنيٌّ على إنكار وجود الإله، ولكن في الحقيقة هم –الشيوعية– يُنكرون وجود الخالق، ويُنكرون وجود الإله؛ لأنهم فرُّوا من ذلك الإله الذي تتبنَّاه الكنائس، ذلك الإله الذي تتبنَّاه الكنائس الكل يفرّون منه هناك في الغرب، وهو سبب الإلحاد؛ لأن ذلك الإله يمنعهم من أي تقدُّم، وذلك الإله يُكرِههم على الخرافات، وذلك الإله شيء غريب.

**أولًا**: ذلك الإله مع أن عيسى هو ابن الله ومع ذلك صُلِب، طيب ابن الله وصُلِب؟!

**وثانيًا**: هو واحد من ثلاثة، كيف صار إله واحد وهو واحد من ثلاثة؟ كما سيأتي في الحديث عن الأقاليم.

شيء غريب، فالهروب من هذا الإله سمة واضحة في أوروبا، ومن أبرز أسباب الإلحاد في أوروبا هو هذا الإله الذي تتحدَّث عنه الكنسية، فلما جاء الشيعيون كارمرقس وإنجليز وغيرهم جاءوا بنظريات الاجتماع، ونظريات في التاريخ، ونظريات في الخلق والكون وركَّبوها وجاءوا بالشيوعية، وقالوا: الإله ليس هو الخالق، طيب ما هو الخالق؟ قالوا الطبيعة، الطبيعة هي... أنت غيَّرت الاسم، شأنك مثل الفلاسفة أفلاطون وأرسطو ما كانوا يُنكرون وجود الخالق، ولكنهم الخالق عندهم باسم العلَّة الأولى، باسم المبدأ الأول، ولذلك هم يُحشرون ضمن الفلاسفة المؤلِّهة، أليس كذلك؟

الفلاسفة ينقسمون إلى قسمين:

- طبيعيين.
- ومؤلِّهة.

وهؤلاء منهم؛ لأنهم يرجعون خلق العالم إلى شيء، وهكذا هؤلاء الشيوعيون، يُرجعون خلق العالم إلى الطبيعة، ما هي الطبيعة؟ يقولون: هذه الساعة خلقتها الطبيعة، طيب ما هي الطبيعة؟ الطبيعة هي الذات، طيب هي الذات مَن خلقها؟

**تفسير آخر**: الطبيعة هي الصفات، طيب الصفات لا تخلق الذات، الطبيعة بمعنى الذات، والطبيعة بمعنى الصفات القول بأنها هي الخالق، أنت الآن أرجعت سؤالي إلى البداية، أنا أسألك عن خلق هذا مَن الذي خلقه؟ الطبيعة، ما هي الطبيعة؟ الذات، هي هي الذات مَن خلقها؟ هو ما يريد أن يقول: أن الإله الذي تدعو إليه الكنيسة هو الخالق، لا، ولكنه يُريد أن يُغيِّر الاسم، وهذا الذي حصل، ولذلك هذا المذهب مذهب الشيوعية لم يستمر إلا سبعين سنَّة وبالحديث والنار، الآن في مركز الشيوعية في موسكو يستحيون من هذا، دعك من المتأثرين بهم في بلادنا وبلاد المسلمين فهؤلاء شأنهم قريب، هناك يستحيون من هذا المذهب، عار أنه يتبنَّى هذا المذهب.

إذن فعلًا كما يقول ابن أبي العز: هذا الوضع مستمر، ليست هناك طائفة معروفة من بني آدم تذهب إلى نقيض هذا التوحيد وتُثبت أن الخالق لهذا الكون أنه لا خالق لهذا الكون، وأن هذا الكون قد خُلِق من عدم، ليس هناك طائفة من بني آدم تتبنَّى هذا.

**(بَلِ الْقُلُوبُ مَفْطُورَةٌ عَلَى الْإِقْرَارِ بِهِ أَعْظَمَ مِنْ كَوْنِهَا مَفْطُورَةً عَلَى الْإِقْرَارِ بِغَيْرِهِ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ)**

يقول: الإقرار بالخالق شيء ضروري وشيء فطري، وهذا الذي نحن بفطرية المعرفة، فطرية المعرفة أي فطرية معرفة الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

هناك كتيب لأحد مشايخنا الشيخ أحمد سعد أظن [فطرية المعرفة]، طيب رسالة علمية مطبوعة [فطرية المعرفة]، المعرفة أي معرفة الله -عَزَّ وَجَلَّ- هذه فطرية، ولكن قد تفسُد هذه المعرفة وتحتاج إلى الأدلة، ولكنها في الأصل فطرية، ومن أدلة كونها فطرية يشترك فيها المسلمون والكفار، يشترك فيها المسلمون والمشركون كلهم، والذين لا يؤمنون بالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أيضًا يشتركون مع المسلمين، هذا يدل على أن هذه المعرفة فطرية.

(كَمَا قَالَتِ الرُّسُلُ -عَلَيْهِم السَّلَام- فِيمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[إبراهيم: ١٠]) أي ليس هناك شك، هذا الاستفهام استنكاري، أنتم تعترفون أنه ليس هناك شك، وهذه الآية من أدلة فطرية المعرفة، والله أعلم وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، اللهم اغفر لشيخنا ولأشياخه وللمسلمين، قال الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(وَأَشْهَرُ مَنْ عُرِفَ تَجَاهُلُهُ وَتَظَاهُرُهُ بِإِنْكَارِ الصَّانِعِ فِرْعَوْنُ، وَقَدْ كَانَ مُسْتَيْقِنًا بِهِ فِي الْبَاطِنِ، كَمَا قَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾[الإسراء: ١٠٢]. وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُ وَعَنْ قَوْمِهِ. ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾[النمل: ١٤]. وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء: ٢٣]؟ عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ لَهُ تَجَاهُلَ الْعَارِفِ، قَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الشعراء: ٢٤ - ٢٨].

وَقَدْ زَعَمَ طَائِفَةٌ أَنَّ فِرْعَوْنَ سَأَلَ مُوسَى مُسْتَفْهِمًا عَنِ الْمَاهِيَّةِ، وَأَنَّ الْمَسْؤُولَ عَنْهُ لَمَّا لَمْ تَكُنْ لَهُ مَاهِيَّةٌ، عَجَزَ مُوسَى عَنِ الْجَوَابِ وَهَذَا غَلَطٌ. وَإِنَّمَا هَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ وَجَحْدٍ، كَمَا دَلَّ سَائِرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى أَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ جَاحِدًا لِلَّهِ، نَافِيًا لَهُ، لَمْ يَكُنْ مُثْبِتًا لَهُ طَالِبًا لِلْعِلْمِ بِمَاهِيَّتِهِ. فَلِهَذَا بَيَّنَ لَهُمْ مُوسَى أَنَّهُ مَعْرُوفٌ، وَأَنَّ آيَاتِهِ وَدَلَائِلَ رُبُوبِيَّتِهِ أَظْهَرُ وَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ عَنْهُ بِمَا هُوَ؟ بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ أَعْرَفُ وَأَظْهَرُ وَأَبْيَنُ مِنْ أَنْ يُجْهَلَ، بَلْ مَعْرِفَتُهُ مُسْتَقِرَّةٌ فِي الْفِطَرِ أَعْظَمَ مِنْ مَعْرِفَةِ كُلِّ مَعْرُوفٍ.

وَلَمْ يُعْرَفْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الطَّوَائِفِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْعَالَمَ لَهُ صَانِعَانِ مُتَمَاثِلَانِ فِي الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، فَإِنَّ الثَّنَوِيَّةَ مِنَ الْمَجُوسِ، وَالْمَانَوِيَّةَ الْقَائِلِينَ بِالْأَصْلَيْنِ: النُّورِ وَالظُّلْمَةِ، وَأَنَّ الْعَالَمَ صَدَرَ عَنْهُمَا: مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ النُّورَ خَيْرٌ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَهُوَ الْإِلَهُ الْمَحْمُودُ، وَأَنَّ الظُّلْمَةَ شِرِّيرَةٌ مَذْمُومَةٌ، وَهُمْ مُتَنَازِعُونَ فِي الظُّلْمَةِ، هَلْ هِيَ قَدِيمَةٌ أَوْ مُحْدَثَةٌ؟ فَلَمْ يُثْبِتُوا رَبَّيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ.

وَأَمَّا النَّصَارَى الْقَائِلُونَ بِالتَّثْلِيثِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يُثْبِتُوا لِلْعَالَمِ ثَلَاثَةَ أَرْبَابٍ يَنْفَصِلُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، بَلْ هُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ صَانِعَ الْعَالَمِ وَاحِدٌ، وَيَقُولُونَ: بِاسْمِ الْأَبِ وَالِابْنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ إِلَهٌ وَاحِدٌ.

وَقَوْلُهُمْ فِي التَّثْلِيثِ مُتَنَاقِضٌ فِي نَفْسِهِ، وَقَوْلُهُمْ فِي الْحُلُولِ أَفْسَدُ مِنْهُ، وَلِهَذَا كَانُوا مُضْطَرِبِينَ فِي فَهْمِهِ، وَفِي التَّعْبِيرِ عَنْهُ، لَا يَكَادُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يُعَبِّرُ عَنْهُ بِمَعْنًى مَعْقُولٍ، وَلَا يَكَادُ اثْنَانِ يَتَّفِقَانِ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: هُوَ وَاحِدٌ بِالذَّاتِ، ثَلَاثَةٌ بِالْأُقْنُومِ! وَالْأَقَانِيمُ يُفَسِّرُونَهَا: تَارَةً بِالْخَوَاصِّ، وَتَارَةً بِالصِّفَاتِ، وَتَارَةً بِالْأَشْخَاصِ.

وَقَدْ فَطَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى فَسَادِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بَعْدَ التَّصَوُّرِ التَّامِّ، وَفِي الْجُمْلَةِ فَهُمْ لَا يَقُولُونَ بِإِثْبَاتِ خَالِقَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّهُ لَيْسَ فِي الطَّوَائِفِ مَنْ يُثْبِتُ لِلْعَالَمِ صَانِعَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ وَالْفَلْسَفَةِ تَعِبُوا فِي إِثْبَاتِ هَذَا الْمَطْلُوبِ وَتَقْرِيرِهِ. وَمِنْهُمْ مَنِ اعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنْ تَقْرِيرِ هَذَا بِالْعَقْلِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ يُتَلَقَّى مِنَ السَّمْعِ.

وَالْمَشْهُورُ عِنْدَ أَهْلِ النَّظَرِ إِثْبَاتُهُ بِدَلِيلِ التَّمَانُعِ، وَهُوَ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ صَانِعَانِ فَعِنْدَ اخْتِلَافِهِمَا مِثْلَ أَنْ يُرِيدَ أَحَدُهُمَا تَحْرِيكَ جِسْمٍ وَآخَرُ تَسْكِينَهُ، أَوْ يُرِيدُ أَحَدُهُمَا إِحْيَاءَهُ وَالْآخَرُ إِمَاتَتَهُ: فَإِمَّا أَنْ يَحْصُلَ مُرَادُهُمَا، أَوْ مُرَادُ أَحَدِهِمَا، أَوْ لَا يَحْصُلُ مُرَادُ وَاحِدٍ مِنْهُمَا. وَالْأَوَّلُ مُمْتَنِعٌ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ الْجَمْعَ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ، وَالثَّالِثُ مُمْتَنِعٌ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ خُلُوُّ الْجِسْمِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ، وَهُوَ مُمْتَنِعٌ، وَيَسْتَلْزِمُ أَيْضًا عَجْزَ كُلٍّ مِنْهُمَا، وَالْعَاجِزُ لَا يَكُونُ إِلَهًا، وَإِذَا حَصَلَ مُرَادُ أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ، كَانَ هَذَا هُوَ الْإِلَهَ الْقَادِرَ، وَالْآخَرُ عَاجِزًا لَا يَصْلُحُ لِلْإِلَهِيَّةِ، وَتَمَامُ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ مَعْرُوفٌ فِي مَوْضِعِهِ).

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد...**

كنا في موضوع تفسير التوحيد، وذكر المؤلف الشارح -رَحِمَهُ اللهُ- أن التوحيد الذي هو توحيد الربوبية لم يذهب إلى نقيضه طائفةٌ معروفةٌ من بني آدم.

وقبل أن نذكر هذا أُشير إلى جزئية تتعلق بالدرس الماضي، في الدرس الماضي ذكرت أن ما ذكره ابن أبي العز هنا -رَحِمَهُ اللهُ- من قوله: (**وَمِنْ فُرُوعِ هَذَا التَّوْحِيدِ: أَنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ كَامِلُو الْإِيمَانِ، عَارِفُونَ بِاللَّهِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَمِنْ فُرُوعِهِ: أَنَّ عُبَّادَ الْأَصْنَامِ**) إلى آخره، أنا ذكرت أن هذا تلخيصٌ

منه لما ذكره شيخ الإسلام في شرح [الأصبهانية]، ولكن وجدت أن هذا التلخيص سُبِق إليه ابن أبي العز، وأن هذا الذي ذكره هو نقلٌ من ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ-، والنقل يكاد يكون حرفيًّا، وقد ذكره ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- في كتابه [طريق الهجرتين] في المجلد الثالث أظن، ولكن السياق يختلف.

ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- ذكر معنى التوحيد عند الحلولية والاتحادية كما ذكره ابن أبي العز هنا في الأخير: (وهذا القول قد أفضى بقومٍ إلى الحلول والاتحاد)، ابن أبي العز هنا ذكره في سياق التفصيل وشرح توحيد الجهمية، وأن توحيد الجهمية والذي يتحقق بالنفي، وأن كل إثباتٍ هو يخدش في توحيد الجهمية، هذا التوحيد قد يؤدي إلى هذا، هذا قصده.

ولكن ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- ذكر هذا الكلام بعد أن ذكر معنى التوحيد عند الحلولية والاتحادية، ثم ذكر: (**وَمِنْ فُرُوعِ هَذَا التَّوْحِيدِ، وَمِنْ فُرُوعِ هَذَا التَّوْحِيدِ**) فهذه الجملة هناك أوضح، في كلام ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- أوضح؛ لأنه جاءت بعد السياق الذي سيقت لأجلها مباشرةً، فهي هناك أوضح، وهي هنا أيضًا واضحة حسب التفسير الذي ذكرته سابقًا، وكان هذا تلخيصًا لما ذكره شيخ الإسلام في شرح [الأصبهانية]، أردت أن أُنبِّه إلى تكميل الذي ذكرته وأنه منقولٌ من كتاب ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ-.

يقول -ولا زال الحديث عن توحيد الربوبية- يقول: (**وَأَشْهَرُ مَنْ عُرِفَ تَجَاهُلُهُ وَتَظَاهُرُهُ بِإِنْكَارِ الصَّانِعِ فِرْعَوْنُ**) أولًا: ابن أبي العز كما سبق (**وَهَذَا التَّوْحِيدُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى نَقِيضِهِ طَائِفَةٌ مَعْرُوفَةٌ**) هذه هي الدعوى التي يشرحها في كل ما سيأتي، كل ما سيأتي فيه تفصيلٌ وتأكيدٌ لهذا الذي ذكره؛ لأن ما ذكره عن فرعون، ثم ما ذكره عن الثنوية والمنوية، ثم ما ذكره عن النصارى.

هذا كله فيه جوابٌ عن استشكال قد يرِد على كلام ابن أبي العز، أنت تقول: أنه (**لَمْ يَذْهَبْ إِلَى نَقِيضِهِ طَائِفَةٌ مَعْرُوفَةٌ مِنْ بَنِي آدَمَ**) وقد ذهب إليه فرعون وهو من هو، وقد ذهب إلى الثنوية، وقد ذهب إليه المنوية، ولا زالوا يذهبون إليه النصارى، قد يأتي هذا الاستشكال، والمؤلف يريد أن يشرح هذا كما شرحه قبله شيخ الإسلام، وهذا الكلام أيضًا مأخذٌ بتصرف من كلام شيخ الإسلام، وكلام تلميذه أيضًا ابن القيم؛ **فأول من ذكر عنه**: هو موقف فرعون، كيف تقول: أنه (**لَمْ يَذْهَبْ إِلَى نَقِيضِهِ طَائِفَةٌ مَعْرُوفَةٌ مِنْ بَنِي آدَمَ**) وفرعون كلامه معروف؟!

يقول: (**وَأَشْهَرُ مَنْ عُرِفَ تَجَاهُلُهُ وَتَظَاهُرُهُ بِإِنْكَارِ الصَّانِعِ فِرْعَوْنُ**) طبعًا هذا الإطلاق سيكثُر من ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- الصانع، الصانع، وهذا يُطلقه من باب الإخبار وليس من باب التسمية، وليس من باب كونه اسمًا لله -عَزَّ وَجَلَّ-، مع ذلك كان الأولى أن تُذكر الأسماء التي وردت لله -عَزَّ وَجَلَّ-، وفي التقيُّد بما ذكره ابن أبي العز وغيره أحسن. على كل حال؛ نبهت على هذا لأن هذا يتكرر عنده.

(**وَتَظَاهُرُهُ بِإِنْكَارِ الصَّانِعِ**)؛ لأن الصانع لم يأتِ اسمًا لله -عَزَّ وَجَلَّ-، أشهر من عُرِف بالتجاهل والتظاهر بالإنكار هنا فرعون، ولكنه (**قَدْ كَانَ مُسْتَيْقِنًا بِهِ فِي الْبَاطِنِ**) طيب لماذا أنكر؟ من باب الخذلان، الخذلان هو السبب في إنكاره مثل خذلان اليهود، اليهود يعرفون أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- سيظهر، وبعدما ظهر هم عرَفوا ومع ذلك بعد استيقانهم أنكروا خذلانًا، وكذلك إنكار كفار قريش لنبوَّته وهو بين أظهرهم وآياته تترا خذلانًا منهم الذين بقوا، وكذلك كثيرٌ من الكفار الآن إنكارهم لنبوة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وكذلك إنكارهم لوجود الله -عَزَّ وَجَلَّ- هذا من باب الخذلان، وليس من باب نقصٍ في الأدلة، هذا من باب الخذلان.

وإذا (**كَانَ مُسْتَيْقِنًا بِهِ فِي الْبَاطِنِ**) إنما كان إنكاره من هذا الباب (**مَا قَالَ لَهُ مُوسَى**: ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ**﴾[الإسراء: ١٠٢]) في قرائتين:

- ﴿**لَقَدْ عَلِمْتُ**﴾.
- ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ**﴾.

فيها نسبة العلم واليقين من موسى -عَلَيْهِ السَّلَام- إلى فرعون، ونحن نصدِّق موسى -عَلَيْهِ السَّلَام- على هذه النسبة؛ ﴿**لَقَدْ عَلِمْتَ**﴾ فهو ينسب إليه أنه مستيقنٌ وأنه متيقنٌ من هذا الذي يذكره؛ ﴿**مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ**﴾[الإسراء: ١٠٢] أي أدلةً تدل على وجوده، وأدلةً تدل على قدرته، وعلى صفاته، وهذا دليلٌ على أن فرعون كان مستيقنًا في قلبه.

وكذلك قوله سبحانه (**عَنْهُ وَعَنْ قَوْمِهِ**: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**﴾[النمل: ١٤]) لماذا جحدوا؟ ﴿**ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾[النمل: ١٤] جحدوها بغيًا، (**وَلِهَذَا قَالَ**: ﴿**وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[الشعراء: ٢٣]؟) هذه الآيات التي في سورة الشعراء، قال له: ﴿**وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[الشعراء: ٢٣]، قال له على وجه الإنكار، وقال له على وجه التجاهل وكأنه لا يعرف، وكأنه فعلًا يجهله.

(قَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[الشعراء:٢٤]) ذكر شيخ الإسلام أن معنى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[الشعراء:٢٤] أي إن كان لكم يقينٌ بأي شيء؛ لأنه لم يذكر هنا الموقَن به،﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ بماذا؟ لم يذكر، فمعنى كلامه سبحانه: أنكم؛

- إذا كنتم تتيقنون بأي شيء فيقينكم بالرب لا بد أن يكون أظهر وأجلى.
- أما إذا كنتم في أدواتكم للمعرفة ما وصلتم إلى أن تتيقنوا بأي شيء فأنتم معذرون.

فهذه تجرُّد عن الإنسانية؛ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ﴾[الشعراء:٢٥] فماذا عساه أن يقول؟ هل يُقال: الحجة بالحُجَّة؟ طبعًا كما سيذكر المؤلف المتكلمون جزاهم الله خيرًا جعلوه أيضًا قويًا في الحجة، وهذا من إحسانهم للظن بفرعون، لكن هذا كله؛ لأنه ليس عنده حُجَّة أبدًا، ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ﴾[الشعراء:٢٥] طيب هم استمعوا، ماذا تُضيف هنا؟ ﴿أَلا تَسْتَمِعُونَ﴾[الشعراء:٢٥].

- ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾[الشعراء:٢٦] حُجة أخرى.
- ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[الشعراء:٢٧] للتأكيد، ليس عنده أي عقل.
- ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الشعراء:٢٨] إن كان عندكم شيء من العقل.

ذكر بعض المفسرين من المتكلمين أن الجملة الأخيرة فيها تخشينٌ للقول واستفزازٌ لفرعون، ولذلك انتقل إلى التهديد بعده، وهذا التخشين هو أنت لو تفكر أكثر؛ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ فيها أكثر، أنت لما تتعمق فيها إذا كنت في مرسفة الإنسان الذي له شيءٌ من العقل، وله شيءٌ من الفَهم، يتيقن ببعض الأمور، إذا كنت في هذا المستوى فلا بد أن يكون هذا يقينك بهذا أظهر، فهذا التخشين إن كان هناك تخشين فهناك أظهر، ولكن هذا كله ليس له وجهٌ هنا في التفسير.

(وَقَدْ زَعَمَ طَائِفَةٌ أَنَّ فِرْعَوْنَ سَأَلَ مُوسَى مُسْتَفْهِمًا عَنِ الْمَاهِيَّةِ، وَأَنَّ الْمَسْؤُولَ عَنْهُ) وهو الله – عَزَّ وَجَلَّ– (لَمَّا لَمْ تَكُنْ لَهُ مَاهِيَّةٌ، عَجَزَ مُوسَى عَنِ الْجَوَابِ) هذا ذكره كثيرٌ من المفسرين؛ منهم

الرازي والذين تأخروا عنه كثرهم قلَّدوه في هذا، وما أدري من الذي بدأ؟ ما أدري، هذا يحتاج إلى تتبُّع من أول من قال، طبعًا هذا الكلام هذا كلام شيخ الإسلام موجود في [الفتاوى].

يقول هؤلاء -ومنهم كما قلت الرازي-، يقولون: فرعون كان دقيقًا في السؤال، ودقيقًا في التعبير، ودقيقًا في طرح السؤال يقول: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء: ٢٣] استعمل كلمة (ما) ولم يستعمل كلمة (مَن)؛

- و(ما) تأتي للاستفهام عن حقيقة الشيء وماهيته.
- و(مَن) تأتي لبيان تخصيصه بأوصافه التي يتميز بها.

فسؤال فرعون في وادٍ، وجواب موسى في وادٍ، لاحظوا كيف أنهم جعلوه، لذلك هذا الرد من شيخ الإسلام، أصلًا ما فهمتم السؤال هنا، هو لما دعاه وأخبره أنه رسول رب العالمين، قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء: ٢٣] هو يريد أن يُنكر وليس موقنًا به ومستفهمًا للحقيقة، لا هو يريد ينكر، هذا إنكارٌ منه، وتمادٍ منه في الجهل، والمتكلمون قالوا: السؤال هنا عن الحقيقة، وبما أن حقيقة ذات الله -عَزَّ وَجَلَّ- يتعذَّر بيانها، ويستحيل بيانها، انتقل إلى ما يُمكن وهو بيان أوصافه وخصائصه.

**بعبارة أخرى**: لم يستطع أن يُجيب على سؤال فرعون، فلذلك فرعون يقول: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾[الشعراء:٢٥] أين سؤاله وأين جوابه؟ لاحظوا كيف سؤال فرعون قوي الجانب؟ ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾[الشعراء:٢٦] كرر نفس الخطأ، ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[الشعراء:٢٧] ما عنده قواعد للجدال، أنا أسأله عن شيء وهو يُجيب عن شيء، هذا الجواب الذي يُكرره موسى هذا لو كان السؤال بـ (مَنْ) والسؤال هنا بـ (مَا).

**(وَهَذَا غَلَطٌ، وَإِنَّمَا هَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ وَجَحْدٍ، كَمَا دَلَّ سَائِرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى أَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ جَاحِدًا لِلَّهِ، نَافِيًا لَهُ، لَمْ يَكُنْ مُثْبِتًا لَهُ طَالِبًا لِلْعِلْمِ بِمَاهِيَّتِهِ)** طبعًا النظر في السياق هو سباق، هذا إن كان موجودًا عندهم فهذا قليل، والنظر في السياق والسباق، والنظر أيضًا إلى حال فرعون يوضح هذا الأمر.

ولذلك ذكر السبكي -رَحِمَهُ اللهُ- نقل كلامه ابن كثير -رَحِمَهُ اللهُ-، نقل أن (مَا) هنا بمعنى (مَن)، وفرعون لم يكن متعمقًا في علم المنطق حتى تجعل منه هذا المناظر، وكلام ابن كثير أن هذا الذي ذكره السلف قاطبة أن السؤال هنا سؤال استنكار وجحد، ونبي الله موسى أجابه بالجواب المفحِم الذي

ينبغي أن يكون، كيف تُنكر والأدلة في نفسك، وفيما حولك، وفي الآفاق كلها تدحض ما تنكره، كيف تنكر هذا؟! ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[الشعراء:٢٤].

**ذكر الرازي في التدرُّج هذا يقول:**

**أولًا**: هو يُقِر أن السؤال بـ (ما)، والجواب لم يحصل لتعذُّره، هذا أولًا.

**ثانيًا** يقول: موسى -عَلَيْهِ السَّلَام- لما قال: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[الشعراء:٢٤] تعقَّب عليه فرعون قال: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ﴾[الشعراء:٢٥] هذا الجواب ما أقنعه، لم يكن مقنعًا، فلذلك عدل موسى -عَلَيْهِ السَّلَام- إل درجة أخرى؛ لأن فرعون كما يذكر الرازي:

- قد يكون ممن يرى أن تلك الكواكب العلوية هي أزلية، وأنها مدبِّرة، وأنها تُدبِّر في العالم السفلي، قد يكون من أولئك.
- وقد يكون ممن يرى أن العالم أزلي.

فلذلك انتقل إلى قوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾[الشعراء:٢٦]؛ لأنه إن كان عنده ذرة من العقل لا يستطيع أن يقول: أنا أزلي، لا يستطيع.

ثم لما ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[الشعراء:٢٧] لاحظ أنه لم يقتنع مرة أخرى فانتقل إلى الحجة التي ذكرها إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَام- وهي الاستدلال بالحركة على الحدود، يقول: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[الشعراء:٢٤] هذا العالم كله متحرك، الحركة تدل على الحدوث، ولا بد له من محدِث، هذا الانتقال لو كان الأساس صحيحً قد تكون فيه وجاهة، ولكن هذا الانتقال مع جعل فرعون أيضًا على شيءٍ من وصول المناظرة والمحاجة كله خطأ في خطأ، والله أعلم.

**(فَلِهَذَا بَيَّنَ لَهُمْ مُوسَى أَنَّهُ مَعْرُوفٌ، وَأَنَّ آيَاتِهِ وَدَلَائِلَ رُبُوبِيَّتِهِ أَظْهَرُ وَأَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ عَنْهُ بِمَا هُوَ؟)** كيف تسأل عنه بما هو والأدلة حولك تُحيط بك؛ في نفسك، وفي الآفاق، وفيما حولك.

**(بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ أَعْرَفُ وَأَظْهَرُ وَأَبْيَنُ مِنْ أَنْ يُجْهَلَ، بَلْ مَعْرِفَتُهُ مُسْتَقِرَّةٌ فِي الْفِطَرِ أَعْظَمَ مِنْ مَعْرِفَةِ كُلِّ مَعْرُوفٍ)** كما قال:

- ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[الشعراء:٢٤].

- ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الشعراء:٢٨].

إن كانت عندكم شيء من أدوات المعرفة، وإن كان عندكم يقينٌ بأي شيء فهذا أظهر وأجلى وأوضح.

قال بعد ذلك تأكيدًا لما بدأ به: (**وَلَمْ يُعْرَفْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الطَّوَائِفِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْعَالَمَ لَهُ صَانِعَانِ مُتَمَاثِلَانِ فِي الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ**) نفس الموضوع أنه لم يذهب إلى نقيضه أحدٌ من بني آدم، وذكرنا عن الشيوعيين فيما سبق، وأن الشيوعيين هم غيَروا العبارة، بدل أن يقولوا: أن هذا العالم هو الخالق وهو الإله، بدل هذا قالوا: الطبيعة، وإلا لا يُنكرون، هم يُنكرون وجود إلهٍ معروفٍ لدى الكنسية هناك، ويُسندون وجود هذه المخلوقات إلى شيء، فهذا هو الذي هم يُسمونه التعليل، فهم غيَّروا الاسم، وإلا هم أيضًا لا يُنكرون.

يقول وهو لا زال يُجيب على التساؤل: (**فَإِنَّ الثَّنَوِيَّةَ مِنَ الْمَجُوسِ، وَالْمَانَوِيَّةَ**) كلهم من المجوس؛

- الثَّنَوِيَّةَ مِنَ الْمَجُوسِ.
- وَالْمَانَوِيَّةَ مِنَ الْمَجُوسِ.

وكلهم يقولون (**بِالْأَصْلَيْنِ: النُّورِ وَالظُّلْمَةِ، وَأَنَّ الْعَالَمَ صَدَرَ عَنْهُمَا**) إلى هنا هذا قولهم: العالم صدر عن الأصلين النور والظلمة، وهذا في ظاهره يُناقض ما ذكره ابن أبي العز، ويؤكد أن هناك من يخالف ما تقوله في الربوبية.

يقول: هؤلاء (**مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ النُّورَ خَيْرٌ مِنَ الظُّلْمَةِ**) يعني عندهم ثلاث فروق بين النور والظلمة مما يؤكد أنهما ليس متماثلين في الصفات والأفعال، بينهما ثلاث فروق:

- الفرق الأول: النُّورَ خَيْرٌ مِنَ الظُّلْمَةِ، ما صارا متماثلين.
- (**وَهُوَ الْإِلَهُ الْمَحْمُودُ، وَأَنَّ الظُّلْمَةَ شِرِّيرَةٌ مَذْمُومَةٌ**) هذا الفرق الثاني.

(**وَهُمْ مُتَنَازِعُونَ فِي الظُّلْمَةِ، هَلْ هِيَ قَدِيمَةٌ أَوْ مُحْدَثَةٌ؟**) أما النور فهم متفقون على أنه قديم؛

- بالنسبة للنور متفقون على أنه قديم.
- والنور عندهم خيرٌ من الظلمة فرق ثاني.
- فرق ثالث: أن الظلمة شريرة مذمومة، ولذلك يسبون إليها كل الشرور.

إذن لم يقولوا: بصناعيين متماثلين في الصفات والأفعال.

بقي النصارى، يقول في الأخير: (**فَلَمْ يُثْبِتُوا رَبَّيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ**) طبعًا كل هذا التطويل لبيان أن ما عليه المتكلمون من التطويل في هذا الموضوع هو تطويلٌ بلا طائل، مَن الذي يُخالفكم في الأصل حتى تعتبروا هذا الموضوع؟ توحيد الربوبية تعتبرونه هو زبدة رسالة المرسلين، مَن الذي يُخالفهم؟ مَن الذي كان يُخالفهم؟ المرسلين.

(**وَأَمَّا النَّصَارَى الْقَائِلُونَ بِالتَّثْلِيثِ، فَإِنَّهَمْ لَمْ يُثْبِتُوا لِلْعَالَمِ ثَلَاثَةَ أَرْبَابٍ يَنْفَصِلُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ**) ما يتعلق بموقف النصارى قد لا فهم كثيرًا منه، ونحن معذورون في هذا؛ لأنهم هم أيضًا ما يفهمون، هذا الذي سنقرأه شيء لا يُفهَم، ولكنهم يقولون هذا ويعتقدونه عنادًا، وإلا هذا شيء يُخالف العقل من البداية.

أحد ملوك الهند كما يُحكى عنه كان يقرأ في أديان العالم يُقارنها؛ لأن دين الهنود شيء أيضًا غريب، فلعله كان يبحث عنه، فلما وصل إلى مذهب النصارى قال: "هذا المذهب سُبَّةٌ على جبين الإنسان"، زعم أنه أغرب أيضًا من دون الهنود، فعلًا شيء متناقض، ولاحظوا الآن.

أولًا: (**لَمْ يُثْبِتُوا لِلْعَالَمِ ثَلَاثَةَ أَرْبَابٍ يَنْفَصِلُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ**) هذا غير مفهوم، لماذا؟ لأن حديثهم عن كل واحدٍ من هذه الثلاثة، حديثهم عن كل واحدٍ منهم يوحي بانفصاله وباستقلاله، مع ذلك يؤكدون أن هذه الثلاثة واحد، ولكن لما يتحدثون عن كل واحد فهذا يوحي باستقلاله وبانفصاله.

(**بَلْ هُمْ مُتَّفِقُونَ**) نظريًّا (**عَلَى أَنَّ صَانِعَ الْعَالَمِ وَاحِدٌ، وَيَقُولُونَ: بِاسْمِ الْأَبِ وَالِابْنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ إِلَهٌ وَاحِدٌ**) هكذا، نحن لما نقول: بسم الله الرحمن الرحيم، ونبدأ أعمالنا بهذه البداية المباركة: بسم الله الرحمن الرحيم، الله -عَزَّ وَجَلَّ- يُذكِّرنا برحمته واتصافه بالرحمة وبالرحمة الواصلة، هنا هم يبدأون بهذا: (**بِاسْمِ الْأَبِ وَالِابْنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ إِلَهٌ وَاحِدٌ**) باسم هذه العناصر الثلاثة، طيب لو اكتفوا بهذا كان أوضح ولكنهم يقولون: (**إِلَهٌ وَاحِدٌ**) مع هذا، ثلاثة مع ذلك واحد!

(**وَقَوْلُهُمْ فِي التَّثْلِيثِ مُتَنَاقِضٌ**) هو قصد شيخ الإسلام وقصد ابن أبي العز هنا: أنهم في دعواهم لا يُناقضون الربوبية، وانظر كيف أنهم يُحاولون في هذا الصدد حتى لا يُنسب إليهم الشرك مع أنهم مشركون من هنا إلى هنا، مشركون مع ذلك شوف محاولتهم.

(**وَقَوْلُهُمْ فِي التَّثْلِيثِ مُتَنَاقِضٌ فِي نَفْسِهِ، وَقَوْلُهُمْ فِي الْحُلُولِ أَفْسَدُ مِنْهُ، وَلِهَذَا كَانُوا مُضْطَرِبِينَ فِي فَهْمِهِ، وَفِي التَّعْبِيرِ عَنْهُ، لَا يَكَادُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يُعَبِّرُ عَنْهُ بِمَعْنًى مَعْقُولٍ**) هنا وفي التعبير عنه هنا،

طبعًا هذا الكلام لشيخ الإسلام في شرح [الأصبهانية]، هنا له تفصيل أكثر، بذلك التفصيل سنعرف ما سيذكره فيما بعد (**وَالْأَقَانِيمُ يُفَسِّرُونَهَا: تَارَةً بِالْخَوَاصِّ، وَتَارَةً بِالصِّفَاتِ، وَتَارَةً بِالْأَشْخَاصِ**) ما يتعلق بالصفات والأشخاص واضح، وما يتعلق بالخواص أنا قرأت كلام شيخ الإسلام مرة مرتين أو أكثر ما فهمته، وهو في الطبعة المحققة في صفحة مئة وثمانية عشر لكم أن تقرأوه لعلكم تلخصونه.

(**لَا يَكَادُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يُعَبِّرُ عَنْهُ بِمَعْنًى مَعْقُولٍ، وَلَا يَكَادُ اثْنَانِ يَتَّفِقَانِ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ**) ذكر الشيخ رحمة الله الهندي صاحب المناظرات المعروفة في كتابه [إظهار الحق] ذكر أن أحد القساوسة الذي كان يُدعَى من الكنيسة مباشرةً، كثُر أتباعه، وزاره أحد القساوسة من روما، فذكر له هذه الأعداد الهائلة الذين تنصَّلوا بجهده، فسأل تلامذته الكِبَار، سألهم، سأل ثلاثة منهم عما فهموه؛

**الأول قال**: أنا فهمت أن الأستاذ علَّمنا أن الآلهة ثلاثة، وأن واحدًا منهم نزل وبقي اثنان فوق، قال: أنتَ ما فهمت شيء.

**قال الثاني**: الأستاذ علمنا أن الآلهة ثلاثة، وأن أحدهم –وهو روح القدس– قد انتهى دوره، وهو مثل الطائر انتهى دوره، وأن الثاني قد صُلِب، والثالث بقي هو الذي يدبر أمورنا، قال: أنتَ أيضًا ما فهمت شيء.

**قال الثالث**: الأستاذ علمنا أن الآلهة ثلاثة، وأن أحدهم قد صُلِب هذا اتفاقًا، الابن صُلِب يقولون: هو صلبه الأب تكفيرًا عن خطايا بني آدم، لماذا صلبه؟ لماذا يصلب ابنه؟ المفروض يصلب بني آدم أو يصلب الشيطان الذي كان هو السبب، لماذا صلب ابنه؟ المهم ...

الإله مركب من هذه الثلاثة كما هو، صُلِب أحدهم بما أن الثلاثة صلب منهم بعضه فصُلِب كله، بما أنه منهم جزء من الثلاثة صُلِب فمات كله، قال: أنت شرُّ الثلاثة، ما الذي عندك؟ ما عندي شيء، أعطينا الذي عندك؟ ما عندي شيء، فلذلك سبحان الله! لن تجدوا نصرانيًّا معتقدًا عاقلًا ومنسجمًا مع عقله أبدًا، تقليد فقط، وكيف أكون على هذا الدين الذي عليه المسلمون؟ كيف، على ما أنا عليه أنا أفضل منه.

(**فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: هُوَ وَاحِدٌ بِالذَّاتِ، ثَلَاثَةٌ بِالْأُقْنُومِ!**) طبعًا شيخ الإسلام هنا أيضًا فصَّل في قضية الأقانيم في [الجواب الصحيح]، ولكن من الصعب أن تفهم، (**هُوَ وَاحِدٌ بِالذَّاتِ**) الجميع يقولون: هو

واحدٌ بالذات، وهو أيضًا ثلاثة، كيف؟ هنا الإشكال كيف ثلاثة؟ (**ثَلَاثَةٌ بِالْأُقْنُومِ**) إذا قلت له: أنت مشرك، يقول: أنت لا، هو واحد، طيب أنت تقول بآلهةٍ ثلاثة، لا الثلاثة هؤلاء أقانيم.

**طيب ما هي الأقنايم؟**

(**وَالْأَقَانِيمُ يُفَسِّرُونَهَا تَارَةً بِالْخَوَاصِّ، وَتَارَةً بِالصِّفَاتِ**) طبعًا إذا كان تأثيرها بالصفات لماذا هذا الإله المسكين وصفتموه بثلاث صفات فقط؟ إلهكم له ثلاث صفات فقط بس؟! (**وَتَارَةً بِالْأَشْخَاصِ**) وهذا قليل؛ لأن الأقنوم إذا فُسِّر بالأشخاص يكون أقرب إلى تعديد وتعدُّد الذات، واضح؟ وبالتالي ما فهمنا شيء، يهمنا أن كل هذه المحاضرة لبيان أننا نؤمن بربٍّ واحد، أنتم تقولون ثلاثة؟ هذا الذي نختلف لماذا ثلاثة؟ المهم هنا عند ابن أبي العز دعواه نظريًّا.

(**وَقَدْ فَطَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ**) طبعًا الأناجيل التي طُبِعت الآن المطبوعة الآن في أوروبا كلها باسم "الكتاب المقدس"، أكثر من سبعين إنجيل، وفيها من الاختلاف في نسب عيسى الشيء الكثير، مع أنهم يرونه إلهًا، كثير منهم ذكروا أنه عيسى بن يوسف النجار، ذكر نسبه هكذا.

(**وَقَدْ فَطَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى فَسَادِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بَعْدَ التَّصَوُّرِ التَّامِّ**) هذه الأقوال تحتاج منك أن تتصورها، إذا تصورتها هذا يكفي لبيان بطلانها. (**وَفِي الْجُمْلَةِ فَهُمْ لَا يَقُولُونَ بِإِثْبَاتِ خَالِقَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ**) هذا هو المقصود؛ (**لَا يَقُولُونَ بِإِثْبَاتِ خَالِقَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ**) وبالتالي على مَن تردُّون أنتم أيها المتكلمون؟

(**وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّهُ لَيْسَ فِي الطَّوَائِفِ مَنْ يُثْبِتُ لِلْعَالَمِ صَانِعَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ، مَعَ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ وَالْفَلْسَفَةِ تَعِبُوا فِي إِثْبَاتِ هَذَا الْمَطْلُوبِ وَتَقْرِيرِهِ**) هذا هو علم الكلام، علم الكلام عبارة عن محاولة إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ- على ما فيه من المخالفات التي سنشير إليها، إذن أهم شيء عندهم إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-؛ لأن علم الكلام عبارة عن مناظرة مع الفلاسفة، قال الفلاسفة كذا، ونحن قلنا: كذا، كأن الأنبياء والرسل كلهم أُرسلوا لمناورة ومناكفة الفلاسفة، مَن هؤلاء الفلاسفة؟ مَن هم؟

(**وَمِنْهُمْ مَنِ اعْتَرَفَ**) مع هذا كله (**مِنْهُمْ مَنِ اعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنْ تَقْرِيرِ هَذَا بِالْعَقْلِ**) لماذا؟ لأن هذا المتكلم لما يذكر الأدلة العقلية شيخه الفيلسوف يقول: هذا الدليل يُعترض عليه بكذا وكذا، فيأتي

بدليل آخر شيخه يرد عليه، يأتي بدليل آخر شيخه يرد عليه، فوصل إلى هذه النتيجة: (**اعْتَرَفَ بِالْعَجْزِ عَنْ تَقْرِيرِ هَذَا بِالْعَقْلِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ يُتَلَقَّى مِنَ السَّمْعِ**).

هذا الذي أشار إليه ابن أبي العز قاله نصًّا أبو هاشم المعتزلي، وهذا نسبه الآمدي إلى حُذَّاق الفلاسفة، الآمدي نسب هذا إلى حُذَّاق الفلاسفة؛ لأن الآمدي أيضًا ممن يقول بهذا، ممن يقول: أن الأدلة العقلية على إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ- كلها فيها ما فيها، وأنه ليس هناك دليلٌ عقليٌّ سليمٌ عن المناقضات، وبالتالي هذه المسألة المسلَّمة نأخذها مسلمةً من السمع، وإلا الأدلة العقلية لا تنهض بهذا المطلوب، هذا قاله أبو هاشم، وكلام أبي هاشم نقله أبو المعين النسفي في [تبصرة الأدلة] المجلد الأول الصفحة خمسة وثمانين، طبعة المعهد الفرنسي، نقله ثم ناقشه مناقشة جميلة أبو المعين النسفي، طبعًا

- الآمدي نقله إلى حُذَّاق المعتزلة.
- والجويني نسبه إلى متأخري المعتزلة.

هذا كله يدل على أن فئةً لا بأس بها تذهب إلى هذا الرأي، وأن الأدلة العقلية ليس فيها ما يكفي لإثبات وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لاحظتم؟

الجويني نقل كلامًا جميلًا جدًّا عن الباقلَّاني ردًّا على هؤلاء، كلامٌ فعلًا جميل، يقول الباقلَّاني: "وإنما العجب من أقوام يستقصون عقولًا -يعني يتتبعون- تستدل في الرؤية وخلق الأعمال، وأبواب الهدى والضلال بالأدلة السمعية، ويزعمون أن مدارك العقائد العقول، ثم مع دعواهم أن مدارك العقائد العقول، الأصل في العقائد العقول، ثم يُكبِّهم الله لمناخرهم، ويُركسهم على رؤوسهم حتى يعترفوا بأن التوحيد لا يثبت عقلًا، ولولا ورود السمع لجوَّزنا إثبات آلهة" هذا ذكره الجويني في [الشامل] صفحة مئتين وثلاثة، [الشامل] للجويني. على كل حال؛ هذا الذي ذكره أبو هاشم كما قلت ناقشه أبو المعين، وله تكملة في الفقرة التي بعدها.

(**وَالْمَشْهُورُ عِنْدَ أَهْلِ النَّظَرِ إِثْبَاتُهُ بِدَلِيلِ التَّمَانُعِ**) هذا الدليل هو الدليل الوحيد الذي هو الدليل العقلي المأخوذ من السمع، أو الدليل العقلي الذي له دليلٌ من السمع، الدليل الوحيد عند المتكلمين لإثبات الوحدانية.

- هذا ذكره بعضهم قالوا: هذا أقوى الأدلة.

- بعضهم قالوا كما ذكر الرازي قال: هذه أدلة كثيرة وأقواها دليل التمانع.
- وبعضهم قالوا: هذا هو الدليل الوحيد.

**على كل حال**؛ الذي ينظر إلى كتبهم يرى أن هذا الدليل هو الدليل الوحيد، الدليل الوحيد لإثبات الوحدانية، لإثبات التوحيد، الدليل الوحيد الذي ينسبونه إلى السمع، الذي يستدلون له من السمع هذا الدليل الوحيد، ذكر أحدهم أنه قرأ أكثر من سبعين كتابًا فوجد فيها هذا الدليل، هذا كله لبيان أهمية هذا الدليل، هو الدليل الوحيد السمعي.

**ثانيًا**: هذا الدليل كدليل عقلي دليل جميل، التمانُع الذي يذكرونه في الربوبية دليل عقلي قوي، ولا خاف في هذا، هذا التفصيل الذي يذكره هنا ابن أبي العز نقلًا عنهم جميل، ولكن الخطأ نسبة هذا الدليل والاستدلال له من قوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢] هذا خطأ، ربط هذا الدليل الذي هو التمانع في الربوبية، ربطه بتلك الآية هذا خطأ؛ لأن التمانع في تلك الآية في الألوهية وليس في الربوبية.

**ثالثًا**: هذا الدليل على أهميته ضعَّفه أيضًا بعض المتكلمين وعلى رأسهم هذا أبو هاشم المعتزلي، أبو هاشم المعتزلي لما ذكر أن الأدلة العقلية كلها لا تنهض بإثبات هذا المطلوب، ذكر قبله استعرض الأدلة العقلية ومنها دليل التمانع وضعَّفه ووهَّنه، وبالتالي وصل إلى هذه النتيجة أن الأدلة العقلية كلها ضعيفة، والاعتماد هنا على السمع.

وممن قاربه في بعض كتبه الغزالي، الغزالي في بعض الكتب يعتمد هذا الدليل، وفي بعض الكتب ذكر أنه حُجة إقناعية ليس حُجة قطعية، وبعد الغزالي هناك ماتريدي معاصر له أو بعده بقليل السمرقندي صاحب [صحائف الإلهية] له كتاب بهذه الحُجة [الصحائف الإلهية]، أيضًا ذكر أن هذا الدليل ضعيف.

جاء بعده الآمدي ذكر أيضًا أن هذا الدليل ضعيف، قال: "كونه ضعيفًا هذا هو الصحيح كما ذهب إليه حُذَّاق المعتزلة"، وقلَّده كلهم التفتازاني -رَحِمَهُ اللهُ- وذكر أن هذا الدليل إقناعي، وأن هذا التلازم الذي ذكره الله -عَزَّ وَجَلَّ- هنا تلازمٌ عاديٌّ، وليس تلازمٌ عقليٌّ مضطرب؛ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢] التأكيد هنا ﴿لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢] هذا التأكيد يكون في هذا الدليل، وهذا الدليل حُجة إقناعية، والحجة الإقناعية والبرهان الإقناعي هو الذي يُكتفى فيه بإسقاط الخصم،

أنت تناظر الخصم، تقرره بالحُجة هو يذكر حجة وأنت تذكر حجة، إذا سكت يكفي، إذا جئت بدليل دلَّست عليه ولعبت عليه وسكت يكفي. وهذه هي الحجة الإقناعية.

وبسبب هذه المسألة كفَّره أحد المتكلمين ألَّف كتابًا الكرماني ألَّف كتابًا في الرد على التفتازاني وأنا لم أطَّلع عليها، بحثت عليها لم أجد، واستند إلى كلام أبي المعين النسفي في أبي هاشم المعتزلي، استند في تكفيره للتفتازاني على تكفير أبي المعين لأبي هاشم المعتزلي، أبو هاشم كفَّره أبو المعين لتغريفه وتوهينه لهذا الدليل، وأنت أيضًا مثله.

**على كل حال**؛ كل هذه المعمعة دليل واحد، وهذا الدليل في أقل الأحوال اختُلف فيه، فما مصير التوحيد، سبحان الله! دليل واحد وهو أيضًا اختُلف فيه؛

- بعضهم ذهب إلى توهينه وتضعيفه.
- وبعضهم اعتمدوه وهم الأكثر.

فما مصير التوحيد؟

(**وَهُوَ: أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ صَانِعَانِ**) هذا الشرح للتمانُع في الربوبية (**لَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ صَانِعَانِ، فَعِنْدَ اخْتِلَافِهِمَا**) هنا يقول التفتازاني: قد لا يختلفان، ويقول أيضًا الآمدي: قد لا يختلفان، وشيخ الإسلام نقل كلام الآمدي، نقل كلامه في شرح [الأصبهانية] ونسفه، وشرح فيه هذا الدليل بطولٍ غريب، ما أدري كم من الصور ذكرها شيخ الإسلام لهذا الدليل في شرح [الأصبهانية]، أنا ما حصرتها، قرأتها مرارًا وفهمت بعضها ولم أفهم بعضها، ولكنها في مجملها تدل على عبقرية هذا الرجل.

كيف أنت تأتي إلى هذا الدليل الوحيد الذي عندك وتُضعفه وتُسيء في فهمه، شيخ الإسلام ذكر أن الآمدي أساء في فهمه في الأساس، لم يفهم هذا الدليل، وهو دليلٌ قويٌّ في الربوبية، التمانع في الربوبية، ولكن الخطأ هنا في ربط هذا الدليل وكونه مدلول تلك الآية، لا ولكن الدليل صحيح.

(**فَعِنْدَ اخْتِلَافِهِمَا**) وهذا الاختلاف ذكر شيخ الإسلام أن هذا إذا تصورت أنهما ربَّان فهذا الاختلاف حتميٌّ، الله -عَزَّ وَجَلَّ- ذكر اسمين كريمين وقارنهما في كثيرٍ من المواضع:

- ﴿**الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾[ص:٦٥] في آخر الصافات وبداية الزمر.

- ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[غافر:١٦] ذكر هذين الاسمين مقترنين؛ لأن كونه واحدًا لأنه قهار، ولو تُرك الأمر لرغبة الكبار والملوك لادَّعى كثيرٌ منهم ولكن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يُرغمهم، فهو واحدٌ قهار.

(**فَعِنْدَ اخْتِلَافِهِمَا**) وهذا الاختلاف حتمي حتى يبقى الإله الأقوى وهو الإله في الأخير.

(**مِثْلَ أَنْ يُرِيدَ أَحَدُهُمَا تَحْرِيكَ جِسْمٍ وَآخَرُ تَسْكِينَهُ، أَوْ يُرِيدُ أَحَدُهُمَا إِحْيَاءَهُ وَالْآخَرُ إِمَاتَتَهُ**) هذا مثال.

- (**فَإِمَّا أَنْ يَحْصُلَ مُرَادُهُمَا**) هذه الصورة الأولى.
- (**أَوْ مُرَادُ أَحَدِهِمَا**) الصورة الثانية.
- (**أَوْ لَا يَحْصُلُ مُرَادُ وَاحِدٍ مِنْهُمَا**) هذه الصورة الثالثة.

(**وَالْأَوَّلُ مُمْتَنِعٌ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ الْجَمْعَ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ**) والضدان لا يجتمعان ولقد قد يرتفعان، لا يجتمعان؛ لأن هنا أحدهما يريد تحريك جسمٍ والآخر تسكينه وهذان ضدان، فيستحيل أن يحصل مراد كليهما، مستحيل أن يكون متحركًا ساكنًا في آنٍ واحد، هذه الصورة الأولى.

(**وَالثَّالِثُ مُمْتَنِعٌ**) الثالث: لَا يَحْصُلُ مُرَادُ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ممتنع (**لِأَنَّهُ يَلْزَمُ خُلُوُّ الْجِسْمِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ**) هذا أيضًا ممتنع، جسمٌ ولا يتحرك ولا يسكن؟ هو جسم، هذا ممتنع، إذا طبقته على الجسم فهذا يكون من قبيل النقيضين، ارتفاعهما أيضًا مستحيل، لا يكون جسم، لا يكون متحرك، ولا يكون ساكن، ما الذي بقي؟

(**وَيَسْتَلْزِمُ أَيْضًا عَجْزَ كُلٍّ مِنْهُمَا**) هذا ألا يحصل مراد أحدهما، هذا يحصل، هذا معناه كلاهما عاجزان، لا هذا استطاع أن يُنفِّذ إرادته ولا هذا استطاع أن يُنفِّذ مشيئته، فكلاهما عاجزان (**وَالْعَاجِزُ لَا يَكُونُ إِلَهًا**).

**بقيت الصورة الثانية**: أو مراد أحدهما (**وَإِذَا حَصَلَ مُرَادُ أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ، كَانَ هَذَا هُوَ الْإِلَهَ الْقَادِرَ، وَالْآخَرُ عَاجِزًا لَا يَصْلُحُ لِلْإِلَهِيَّةِ، وَتَمَامُ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ مَعْرُوفٌ فِي مَوْضِعِهِ**) طبعًا سيُعيده ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- تقريبًا في آخر هذه الفقرة، هناك سيُبيِّن أن هذا الدليل صحيح، ولكنه ليس مدلول هذه الآية، هنا أيضًا يشير إشارة ولكن سيُفصِّل هناك أكثر.

إذن هذا الدليل على هذا الشرح وهذا التفصيل دليلٌ قوي وجميل، وزعم الآمدي وغيرهم أنهما قد يتفقان ذكر شيخ الإسلام أن هذا الاتفاق يدل أيضًا على العجز، وإلا لماذا تتنازل فتتفِّق، لماذا؟ ما الذي أجبرك على الاتفاق، أي هناك شيء أرغمك على الاتفاق، هذا يدل أيضًا على...

أما أنهما يتفقان بملء إرادتهما هذا مستحيل، وخاصةً فيمن تفترضه إلهًا، تنفُذ مشيئته وإرادته هذا مستحيل، ومستحيل أيضًا ألا يختلفا حتى ولو كان الأمر من الناحية العقلية يحتمل، كان يجب أن نحترم كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ونقول: ما دام أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أكد فنحن نؤكد، أليس كذلك؟ أما أن تأتي وتُناقش الله -عَزَّ وَجَلَّ- فيما أكده ﴿لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢] اللام هذا للتأكيد، وأنت تقول: الفساد لا يلزم؟ سبحان الله! أيُّ إيمانٍ وأيُّ احترامٍ لكلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟! ثم تقول: هنا ما ذكره هذا ليس عقليًّا وإنما من باب العادة، هذا كله...

ثم قال: (**وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ يَزْعُمُونَ أَنَّ دَلِيلَ التَّمَانُعِ هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾**[الأنبياء: ٢٢]؛ **لِاعْتِقَادِهِمْ**) طبعًا كما قلت: هذا سيُفصَّل فيه في نهاية الفقرة أكثر، وهنا ذكره لينطلق منه لهذا الذي... (**لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي قَرَّرُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ الَّذِي بَيَّنَهُ الْقُرْآنُ**) لماذا حصل هذا الخلط عند المتكلمين؟ لماذا زعموا وظنُّوا أن التمانُع المذكور في هذه الآية في آية الأنبياء ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء: ٢٢] لماذا ظنُّوا أن التمانع المذكور هنا هو في الربوبية وليس في الألوهية؟ لماذا؟

يقول: (**لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي قَرَّرُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ الَّذِي بَيَّنَهُ الْقُرْآنُ، وَدَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ**) تعرفون عندهم خلط بين الأمرين، يجعلون الألوهية هي الربوبية، ويعتقدون ويؤكدون كلهم أن الربوبية هي الغاية العظمى من إرسال الرسل، ما دام أن الربوبية هي الغاية العظمى من إرسال الرسل، فهي المرادة هنا، مع أن المذكور هنا آلهة؛ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ﴾[الأنبياء: ٢٢] والإله معناه يختلف عن الرب لغةً وشرعًا، وهم عندهم الإله بمعنى القادر على الاختراع وهو معنى الرب، فيقول المؤلف هنا: هم خلطوا بين الأمرين، جعلوا الألوهية بمعنى الربوبية، وظنُّوا أن توحيد الربوبية هو الغاية العظمى لإرسال الرسل، فوقعوا في هذا الخطأ.

(**وَدَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلِ التَّوْحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَنَزَلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ الْمُتَضَمِّنُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ**) الغاية العظمى من إرسال

الرسل وإنزال الكتب هو توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية أشمل؛ لأنه يتضمن توحيد... وتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، نُكمِّل إن شاء الله بعد الصلاة، وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، قال -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ يَزْعُمُونَ أَنَّ دَلِيلَ التَّمَانُعِ هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء: ٢٢]؛ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي قَرَّرُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ الَّذِي بَيَّنَهُ الْقُرْآنُ، وَدَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلِ التَّوْحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَنَزَلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ الْمُتَضَمِّنُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[المؤمنون: ٨٤ - ٨٥]. وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ.

وَلَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ فِي الْأَصْنَامِ أَنَّهَا مُشَارِكَةٌ لِلَّهِ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ، بَلْ كَانَ حَالُهُمْ فِيهَا كَحَالِ أَمْثَالِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي الْأُمَمِ مِنَ الْهِنْدِ وَالتُّرْكِ وَالْبَرْبَرِ وَغَيْرِهِمْ؛ تَارَةً يَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ تَمَاثِيلُ قَوْمٍ صَالِحِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَيَتَّخِذُونَهُمْ شُفَعَاءَ، وَيَتَوَسَّلُونَ بِهِمْ إِلَى اللَّهِ، وَهَذَا كَانَ أَصْلَ شِرْكِ الْعَرَبِ، قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ قَوْمِ نُوحٍ: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ، وَقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهَا، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، وَغَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ، أَنَّ هَذِهِ أَسْمَاءُ قَوْمٍ صَالِحِينَ فِي قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ، فَعَبَدُوهُمْ وَأَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ بِعَيْنِهَا صَارَتْ إِلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ، ذَكَرَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَبِيلَةً قَبِيلَةً.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ أَمَرَنِي أَنْ لَا أَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتُهُ، وَلَا تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتُهُ».

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا، قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-: "وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ، وَلَكِنْ كَرِهَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا".

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ "أَنَّهُ ذُكِرَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ كَنِيسَةٌ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَذُكِرَ لَهُ مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرَ فِيهَا، فَقَالَ: «إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ التَّصَاوِيرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ» .

وَمِنْ أَسْبَابِ الشِّرْكِ: عِبَادَةُ الْكَوَاكِبِ، وَاتِّخَاذُ الْأَصْنَامِ بِحَسَبِ مَا يُظَنُّ أَنَّهُ مُنَاسِبٌ لِلْكَوَاكِبِ مِنْ طِبَاعِهَا. وَشِرْكُ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَانَ -فِيمَا يُقَالُ- مِنْ هَذَا الْبَابِ. وَكَذَلِكَ الشِّرْكُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ، وَاتِّخَاذُ الْأَصْنَامِ لَهُمْ.

وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مُقِرِّينَ بِالصَّانِعِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَالَمِ صَانِعَانِ، وَلَكِنِ اتَّخَذُوا هَؤُلَاءِ شُفَعَاءَ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر: ٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس: ١٨].

وَكَذَلِكَ كَانَ حَالُ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ، كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ صَالِحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- عَنِ التِّسْعَةِ رَهْطٍ الَّذِينَ تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ، أَيْ: تَحَالَفُوا بِاللَّهِ، ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾[النمل:٤٩]. فَهَؤُلَاءِ الْمُفْسِدُونَ الْمُشْرِكُونَ تَحَالَفُوا بِاللَّهِ عِنْدَ قَتْلِ نَبِيِّهِمْ وَأَهْلِهِ، وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ إِيمَانَ الْمُشْرِكِينَ).

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، لا زلنا مع ما ذكره ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- أن هذه الآية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء: ٢٢] هذه الآية فيها تمانُع في الألوهية وليس في الربوبية، وأن سبب خطأ

المتكلمين في جعل هذا التمانع في هذه الآية تمانعًا في الربوبية، سبب ذلك: اعتقادهم أن الربوبية والألوهية بمعنى واحد، وأن توحيد المرسلين الغاية من إرسالهم وإنزال الكتب هو توحيد الربوبية.

يقول: هذا الذي يعتقدونه خطأ **(وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلِ التَّوْحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَنَزَلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ الْمُتَضَمِّنُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)** وهذا الذي ذكره أكَّده ببيان حال المشركين، وهذا الموضوع كما تعرفون ركَّز عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ- في عددٍ من كتبه؛ منها: بداية كتابه العظيم [كشف الشبهات] فصَّل فيه في هذا الموضوع أن كثيرًا من الشبهات تندفع بمجرد العلم بحال المشركين، أولئك المشركون ماذا كان شركهم؛ يعني بيان هذا الأمر فيه بين التوحيد؛ ماذا كان شركهم؟ وكيف كانوا يعتقدون في الربوبية وفي الألوهية، ماذا كان اعتقادهم؟ حاله معرفة حالهم هذا يُزيح كثيرًا من الشبه، ولذلك ركَّز عليه الشيخ محمد في عددٍ من رسائله؛ منها: [القواعد الأربعة]، ومنها [كشف الشبهات]، وكتب أخرى، ورسائل أخرى.

يقول: **(فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ)** هذا واقع، وهذا الواقع تدل عليه كثيرٌ من الآيات في القرآن، **(وَأَنَّ خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ، كَمَا أَخْبَرَ سبحانه عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾**[لقمان: ٢٥] هذا الإخبار منهم وبهذا التأكيد **﴿لَيَقُولُنَّ﴾** هذا كله للتأكيد، هذا الأمر ليس عندهم فيه أي شك، نظرية الخلق وأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- هو الخالق، وهو المدبر، ما يشكون في هذا.

(**﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾**[المؤمنون: ٨٤ - ٨٥]) هذا كله لإلزامهم بما يستلزمه من توحيد الألوهية، الله -عَزَّ وَجَلَّ- يُلزمهم أن يكونوا أيضًا موحدين له في ألوهيته، وأنهم يعتقدون توحيده في ربوبيته من حيث الجملة، يلزمهم أن يُوحدوا هذا الخالق الذي يعتقدون أنه هو الخالق الوحيد.

**(وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ)** سبحان الله! هذه المسألة على وضوحها وجلائها تجدها خفيةً على المتكلمين وغيرهم من المبتدعة، تجدهم يُنازعون فيها، مع أن هذا الأمر الله -عَزَّ وَجَلَّ- وضَّحه في عددٍ من الآيات.

يقول: (**وَلَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ فِي الْأَصْنَامِ أَنَّهَا مُشَارِكَةٌ لِلَّهِ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ**) ما كانوا يعتقدون (**بَلْ كَانَ حَالُهُمْ فِيهَا كَحَالِ أَمْثَالِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي الْأُمَمِ مِنَ الْهِنْدِ وَالتُّرْكِ وَالْبَرْبَرِ وَغَيْرِهِمْ**) حالهم كان مثل حالهم في ماذا؟

(**تَارَةً يَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ تَمَاثِيلُ قَوْمٍ صَالِحِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَيَتَّخِذُونَهُمْ شُفَعَاءَ، وَيَتَوَسَّلُونَ بِهِمْ إِلَى اللَّهِ، وَهَذَا كَانَ أَصْلَ شِرْكِ الْعَرَبِ**) هذا الذي كان عندهم أكثر، كانوا يرون أن هذه الآلهة وليس الأرباب، الرب عندهم واحد، هذه الآلهة يعتقدون أنها تماثيل قومٍ، هي تماثيل، وتكون على صور أولئك؛ لأنها تدل عليهم، تشير إليهم، تُذكِّرهم به.

(**تَمَاثِيلُ قَوْمٍ صَالِحِينَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَيَتَّخِذُونَهُمْ شُفَعَاءَ، وَيَتَوَسَّلُونَ بِهِمْ إِلَى اللَّهِ**) هذا التمثال الذي أمامه لا يعتقد فيه شيء، ولكنه يعتقد أن هذا التمثال صورة للولي فلان، وروح ذلك الولي تحلُّ في هذا التمثال، وبالتالي أستفيد منه كما أنني أمام ذلك الولي، وإلا هو يعتقد أن هذا الذي أمامه حجر، خشب، ولا يعتقد فيه أنه يُدبر أبدًا، ولكنه يعتقد أن روح ذلك الولي قد حلَّت في هذا، لماذا؟ لأنه أرضاه بهذا التمثال، وبما أنه أرضاه بهذا التمثال فروحه تحلُّ فيه، وهذه الروح هي التي تُدبِّر؛ فالقضية كلها أن هذه الوسائط هي وسائط يتوسلون بهم إلى الله.

(**وَهَذَا كَانَ أَصْلَ شِرْكِ الْعَرَبِ، قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ قَوْمِ نُوحٍ**: ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ**﴾[نوح: ٢٣]) لا تتركوها مثلما قاله مشركو العرب؛ ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ**﴾[ص:٥-٦] نفس الشيء ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ**﴾[نوح: ٢٣] تمسكوا بها، وبالذات ﴿**وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾[نوح:٢٣] بالذات هؤلاء المذكورين لا تتركوها، ولا تغترُّوا بما يدعوكم إليه نوح -عَلَيْهِ السَّلَام-.

(**وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ، وَقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهَا، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، وَغَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ، أَنَّ هَذِهِ أَسْمَاءُ قَوْمٍ صَالِحِينَ فِي قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ**) بوحيٍّ من الشيطان.

(**ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ**)؛ لأن الشيطان قال لهم: هؤلاء سيذكرونكم بالعبادة التي كانوا هم عليها، صوروهم في تماثيل واصلبوها، (**ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ، فَعَبَدُوهُمْ**) بعد انصرام ذلك الجن الذي نحت هذه التماثيل لغرضٍ معين، بعد انصرامه جاء جيل آخر وقالوا: ما نُصبَت إلا لأن فيها شيء فعبدوها.

(**وَأَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ بِعَيْنِهَا صَارَتْ إِلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ، ذَكَرَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَبِيلَةً قَبِيلَةً**) هذه الرواية التي ذكرها ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ذكر المخرِّج هنا أن هذا السند فيه انقطاع، هذا ذكره الإمام البخاري في صحيحه، ولو أحد منكم يُطلِّع سند البخاري؛ لأن هنا حدَّثنا إبراهيم، أخبرنا هشام، عن ابن جريج، وقال عطاء عن ابن عباس، أنا أُريد الصيغة هذه (وقال عطاء) عليه عقد، وهذا السند فيه انقطاع؛ لأن عطاء المذكور هو الخراساني ولم يلقَ ابن عباس إلى آخره.

على كل حال؛ هذه الرواية عن ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- ثابتة، ولم أنظر في التخريج بالتفصيل الذي أمامنا أن هذا السند فيه انقطاع، ننظر في الصيغة التي استعملها الإمام البخاري، وكلام الحافظ في هذا السند.

**على كل حال**؛ هذا الذي ذكره ابن عباس ثابتٌ عنه، لذلك يقول ابن أبي العز هنا: (**وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، وَكُتُبِ التَّفْسِيرِ، وَقَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ**) أكدها بهذه الأمور كلها، (**وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ**) إذن الخلاصة هنا أن هؤلاء لم يكونوا أربابًا، ما كانوا يعتقدون أنهم أرباب، وإنما كانوا يعتقدونها آلهةً، ومعنى الآلهة أنها تستحق العبادة فقط، الآلهة عندهم ليست هي الأرباب التي تُدبِّر، الآلهة عندهم هي التي تستحق العبادة، هي تستحق العبادة حتى يُردوهم وحتى يشفعوا عند الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لذلك يقولون: ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ**﴾[ص:٥] وهم المعبدون ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا**﴾[ص:٥]، أما الرب عندهم فواحد، وهؤلاء كلهم عندهم آلهة وليسوا أرباب.

(**وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ أَمَرَنِي أَنْ لَا أَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتُهُ، وَلَا تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتُهُ**") الحديث أخرجه مسلم.

هناك كتاب لأحد مشايخنا وهو الشيخ ربيع -حفظه الله-: [منهج الأنبياء في الدعوة فيه الحكمة والعقل] هكذا العنوان، [منهج الأنبياء في الدعوة فيه الحكمة والعقل] أظن، واستعرض فيه جهود الأنبياء للدعوة إلى توحيد الألوهية، ولما جاء إلى إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَام- رتبها ترتيبًا رائعًا، ولما جاء إلى

النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أيضًا رتبها ترتيبًا بديعًا، وعلَّق على هذا الحديث قال: "هذا الذي كان يُزعجه ويُؤرِّقه، يقول: كثيرٌ من الدُعاة الآن يعتبره شيئًا عبث أن تُفكِّر في إزالة هذه المظاهر، مظاهر الشرك، عنده شيء صعب جدًّا، وإلا أنت فكِّر فيه "**أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟ أَمَرَنِي أَنْ لَا أَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتُهُ، وَلَا تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتُهُ**"؛ لأن هذه كلها مظاهر الشرك وهي فتن، وخاصةً إذا كانت مزخرفة، الجاهل يظن أن فيها شيء فيقع فيما وقع فيه غيره.

(**وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ**) هذا في مرض موته، والحديث الذي ذكره: «**إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» هذا قبل موته بخمس، كان يبعث لإزالة هذه المظاهر، أيضًا قبل موته بخمس أكَّد عليه، وأكَّد عليه أيضًا وهو في حالة الاحتضار.

(**أَنَّهُ قَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ**: «**لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى**» في رواية أخرى في حالة الاحتضار لم يذكرها المؤلف: («**لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» **يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا**) طبعًا هذه الرواية جمع فيها بين اليهود والنصارى، فلذلك قابله بالجمع «**اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ**» مع أن النصارى نبيهم واحد، ولكن الرواية التي بعدها وهي في النصارى: «**إِنَّ أُولَئِكَ**» هكذا مضبوط عندك؟

**القارئ**: السند يا شيخ؛ قال الإمام البخاري -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: حدَّثنا إبراهيم بن موسى، قال: أخبرنا هشام عن ابن جريج، وقال عطاء عن ابن عباس.

**الشيخ**: ماذا يقول الحافظ؟

**طالب**: أقول: اختلف في عطاء هل هو ابن رباح أو الخراساني، والظاهر الخراساني.

**الشيخ**: هكذا يقول الحافظ؟

**طالب**: هذا كذا عندي.

**الشيخ**: لا هو هذا الذي ذكروه هنا أنه هو الخراساني وهو لم يلقَ ابن عباس، هذا ذكروه هنا في التخريج، أنا أُريد ماذا يقول الحافظ بن حجر.

- في الحديث الذي بعده: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ**»؛ لأنه فقط في النصارى، أما هناك جمع اليهود والنصارى.
- أيضًا الذي بعده: «**إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ**».

«لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى» اللعن هو:

- إما إخبار النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بأنهم ملعونون.
- وإما دعاءٌ منه عليهم.

إذا كان يدعو عليهم، أو إذا كان يُخبر كلاهما فيه هذا الخطر.

«اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» مع أنهم احترموا الأنبياء، لم يكن منهم إلا احترامهم؛ لأنهم ذهبوا إلى قبورهم وصلُّوا عندهم مع ذلك هم ملعونون. (**يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا، قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-** : **"وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ، وَلَكِنْ كَرِهَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا.**

**وَفِي الصَّحِيحَيْنِ "أَنَّهُ ذُكِرَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ كَنِيسَةٌ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَذُكِرَ لَهُ مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرَ فِيهَا، فَقَالَ**: «إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ التَّصَاوِيرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ») الآن عندنا عند كثيرٍ من الناس هؤلاء هم الأولياء، وهم الأصفياء، وهم الأتقياء، هؤلاء الذين يطوفون حول القبور.

(**وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ**: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»)؛ لأنها وسائل إلى الشرك، أو وسائل في أقل الأحوال إلى البِدَع.

ماذا يقول الحافظ؟

(**وَمِنْ أَسْبَابِ الشِّرْكِ**) طبعًا هو الآن ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- لما ذكر هنا (**وَلَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ فِي الْأَصْنَامِ أَنَّهَا مُشَارِكَةٌ لِلَّهِ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ، بَلْ كَانَ حَالُهُمْ فِيهَا كَحَالِ أَمْثَالِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي الْأُمَمِ؛ تَارَةً يَعْتَقِدُونَ**) ذكر صورة هناك، وذكر أن مشركي العرب كانوا على هذه الصورة أكثرهم. ذكر هنا أيضًا صورة أخرى من صور شركهم.

**طالب**: قال -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

قوله: (عن ابن عباس) قيل هذا منقطع؛ لأن عطاء المذكور هو الخراساني ولم يلقَ ابن عباس، فقد أخرج عبد الرزاق هذا الحديث في تفسيره عن ابن جريج فقال: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس.

وقال أبو مسعود: ثبت هذا الحديث في تفسير ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس، وابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء الخراساني وإنما أخذه من ابنه عثمان بن عطاء فنظر فيه.

وذكر صالح بن أحمد بن حنبل في [العلل] عن علي بن المديني قال: سألت يحيى القطان عن حديث ابن جريج عن عطاء الخراساني فقال: ضعيف.

فقلت: إنه يقول أخبرنا.

قال: لا شيء، إنما هو كتاب دفعه إليه انتهى.

وكان ابن جريج يستجيز إطلاق أخبرنا في المناولة والمكاتبة.

وقال الإسماعيلي: أخبرت عن علي بن المديني أنه ذكر عن "تفسير ابن جريج" كلامًا معناه أنه كان يقول عن عطاء الخراساني عن ابن عباس، فطال على الوراق أن يكتب الخراساني كل حديث فتركه فرواه من روى على أنه عطاء بن أبي رباح انتهى.

**الشيخ**: كلام الحافظ ما أدري كيف؟

**طالب**: له تكملة.

**الشيخ**: ما هي؟

**طالب**: وأشار بهذا إلى القصة التي ذكرها صالح بن أحمد عن علي بن المديني ونبه عليها أبو على الجيَّاني في [تقييد المهمل] قال ابن المديني: سمعت هشام بن يوسف يقول قال لي ابن جريج: سألت عطاء عن التفسير من البقرة وآل عمران ثم قال: اعفني من هذا.

قال: قال هشام فكان بعد إذا قال: قال عطاء عن ابن عباس، قال: عطاء الخراساني.

قال هشام: فكتبنا ثم مللنا، يعني كتبنا الخراساني.

قال ابن المديني: وإنما بيَّنت هذا؛ لأن محمد بن ثور كان يجعلها -يعني في روايته عن ابن جريج- عن عطاء عن ابن عباس فيُظَن أنه عطاء بن أبي رباح.

**الشيخ**: على كل حال؛ لا زال الأمر يحتاج إلى... لأن الإمام البخاري ذكره واعتمده ماذا رأيه؟ يُنظَر في التخريج أكثر.

ذكر صورة أخرى من صور شركهم، يقول: (**وَمِنْ أَسْبَابِ الشِّرْكِ: عِبَادَةُ الْكَوَاكِبِ**) الصورة الأولى ذكرها هناك، هذه صورة أخرى (**عِبَادَةُ الْكَوَاكِبِ، وَاتِّخَاذُ الْأَصْنَامِ بِحَسَبِ مَا يُظَنُّ أَنَّهُ مُنَاسِبٌ لِلْكَوَاكِبِ مِنْ طِبَاعِهَا**) كثيرٌ من الناس شركهم يرجع إلى الاعتقاد في الكواكب؛ لأنهم يرون أن ما ينزل

من السماء وراءه تلك الكواكب الكبيرة، تلك الكواكب العلوية هي السبب فيما ينزل من الخير من المطر وغيره، والرزق، فيعبدوها جهل.

**كيف يعبدونها؟**

يجعلون لها تماثيل، ويجعلونها على صور تلك الكواكب مثل ما يجعلونه من الصور المناسبة للبروج: الأسد، والثور، وغيرها، طبعًا هذا موجود بكثرة في عصرنا الحاضر، على هذا يُحددون الحظوظ، حظُّك كيت وكيت؛ لأن برجك كيت وكيت، ينبغي أن تتزوج هذه؛ لأن برجك وبرجها كذا، ولا تتزوج لأنه كيت وكيت، كثير جدًّا للأسف، سبحان الله!

يقولون: هذا الكوكب ما الذي يرضيه؟ ما هو اللون الذي يُرضيه؟ وما هو الشكل الذي يرضيه؟ حسب اللون وحسب الشكل يبنون الهياكل لإرضاء تلك الكواكب، طبعًا هذا الذي ذكرته أختصره من كلام الرازي، هذا الذي ذكره في الرسالة التي ذكر فيها أنه ألَّف كتابه [السر المكتوم في مخاطبة النجوم]، وهذا الكتاب غير موجود.

تعرفون الخلاف الطويل العريض حوله هل هو للرازي أو لا؟ ولكن ذكر في كتابٍ من أواخر كتبه وهو [المطالب العالية] ألَّفه قبل موته بخمسٍ أو ست سنوات، ذكر فيه أنه ألَّف كتابًا في هذا الموضوع وهذه خلاصتها، والكتاب موجود، وذكر فيه كيف أن السحر يؤثر، مما يجعله يؤثر أن تراعي أشكال تلك الكواكب، وأن تتقرَّب إليها بالدماء حتى يؤثر السحر، هكذا هم يعتقدون، بحسب ما يُظَن أنه مناسبٌ للكواكب من طِباعها، ما الذي يريده ذلك الكوكب؟ ما أدراه هذا الكوكب يرضى أو ما يرضى، المهم يجتهد في ذلك.

سبحان الله! أمر المشركين غريب، يقع في شركه في أمور، ويُهلِك نفسه في إرضاء هذا الخيال، مع ذلك ما يدري هل رضي أو لا؟ والله -عَزَّ وَجَلَّ- أنزل لك هذه الكتب وبيَّن لك أنه يرضيه هذا ويُغضبه هذا يتركه، المهم هذه صورة من صور الشرك.

يقول ابن أبي العز وأصل الكلام لشيخ الإسلام: (**وَشِرْكُ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَانَ -فِيمَا يُقَالُ- مِنْ هَذَا الْبَابِ**) طبعًا هو شيخ الإسلام من حرَّان، وإبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَام- من حرَّان، فنقله له ووزنه في عالم، (**وَكَذَلِكَ الشِّرْكُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ، وَاتِّخَاذُ الْأَصْنَامِ لَهُمْ**) وهذا كثير، (**الشِّرْكُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ**) وهذا كثير.

المهم هنا أن: (**هَؤُلَاءِ كَانُوا مُقِرِّينَ بِالصَّانِعِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَالَمِ صَانِعَانِ، وَلَكِنِ اتَّخَذُوا هَؤُلَاءِ شُفَعَاءَ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ:** ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾[الزمر: ٣]) هذا اللفظ يرد كثيرًا في القرآن ﴿أَوْلِيَاءُ﴾ هو الولي، الله -عَزَّ وَجَلَّ- حصر هذا في نفسه، الولي هو المناصر، والولي هو الذي يُحبك ويحب عن تُحبه، معانيه كثيرة.

﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾، أولئك الأولياء ينصرونهم، لماذا؟ قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ يعني أطلقوا على فعلهم أنه عبادة، والمشركون المعاصرون يقولون: لا ليست هذه عبادة، الطواف حول القبور لا يُطلق عليه عبادة؛ لأن العبادة لا بد أن يكون فيها اعتقاد تأثير ذلك الذي تطوف به حتى في التعريف، ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر: ٣] هم وسائط، هم وسائلنا للتقرُّب إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

(**وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[يونس: ١٨]) الله -عَزَّ وَجَلَّ- ينفي كون شفيعٍ له، وأنتم وجدتم هذا الذي نفاه الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وجدتم؟ هذا المعنى.

**والمعنى الآخر**: الشفيع لماذا يكون؟ لماذا الشفاعة عند...؟ لأن هذا الذي تشفع عنده ما يدري، تُخبره عن حال هذا الذي تشفع له وتقول له: أن هذا يستغل هذا، أليس كذلك؟ طيب: ما الذي خفي على الله -عَزَّ وَجَلَّ- حتى تُخبره؟ ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[يونس: ١٨] ما الذي خفي عليه حتى تُخبره؟ لأن الشفاعة تكون لإخبار هذا الذي تشفع عنده لإخباره عن حال هذا الذي تشفع له أنه ما يدري عن شيء، أليس كذلك؟ كلا المعنيين صحيح.

(﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس: ١٨]، **وَكَذَلِكَ كَانَ حَالُ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ، كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ صَالِحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- عَنِ التِّسْعَةِ رَهْطٍ**) هذا نموذج، ذكره كنموذج، لم يُرِد أن يُفصِّل في حالهم أكثر، فصَّل في حال كفار قريش؛ لأن هذا مهم جدًّا، ثم أجمل على هذا.

ذكر كنموذج (**فِي قِصَّةِ صَالِحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- عَنِ التِّسْعَةِ رَهْطٍ الَّذِينَ تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ، أَيْ: تَحَالَفُوا بِاللَّهِ**) إذن هم حتى على هذا الإجرام تقاسموا بالله، هذا يدل على أنهم يُثبتون وجوده، وأنهم يعتقدون وجوده، (﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾[النمل: ٤٩]. **فَهَؤُلَاءِ الْمُفْسِدُونَ الْمُشْرِكُونَ تَحَالَفُوا -بِمَنْ؟- بِاللَّهِ**

**عِنْدَ قَتْلِ نَبِيِّهِمْ وَأَهْلِهِ، وَهَذَا يُبَيِّنُ أَنَّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ إِيمَانَ الْمُشْرِكِينَ)** والله أعلم وصلَّ الله وسلَّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

**طالب:** يقول: وهذا مما استُعظِمَ على البخاري أن يخفى عليه، لكن الذي قوي عندي أن هذا الحديث.

**الشيخ:** أن يخفى عليه أن الخراساني أو ابن أبي ....

**طالب:** لكن الذي قوي عندي أن هذا الحديث بخصوصه عند ابن جريج عن عطاء الخراساني وعن عطاء ابن أبي رباح جميعًا؛ ولا يلزم من امتناع عطاء بن أبي رباح من التحديث بالتفسير ألا يحدث بهذا الحديث في بابٍ آخر من الأبواب أو في المذاكرة، وإلا فكيف يخفي على البخاري ذلك مع تشدُّده ما شرط الاتصال واعتماده غالبًا في [العلل] على علي بن المديني شيخه، وهو الذي نبَّه على هذه القصة، ومما يؤيد ذلك: أنه لم يكثر من تخريج هذه النسخة، وإنما ذكر بهذا الإسناد موضعين: هذا وآخر في النكاح، ولو كان خفي عليه لاستكثر من إخراجها؛ لأن ظاهرها أنها على شرطه.

لكن الإشكال في آخر كلامه: **(وإنما ذكر بهذا الإسناد موضعين: هذا وآخر في النكاح، ولو كان خفي عليه لاستكثر من إخراجها؛ لأن ظاهرها أنها على شرطه)**.

**الشيخ:** نعم؛ لأن ظاهرها أنها على شرطه، عطاء عن ابن عباس، والأشهر في هذا من تلاميذ عطاء بن أبي رباح، وعطاء الخراساني أيضًا من التابعين، عدم إكثاره لهذا عطاء هكذا مجمل عن ابن عباس يدل على أنه لم يثبت عنده إلا هذا الذي ذكره، وإلا لاستكثر منه؛ لأن ظاهره أنه على شرطه وليس هو على شرطه.

**أنا هذا الذي كنت أبحث عنه: ما هو رأي الحافظ بن حجر في هذا الموطن؟** لأن البخاري ما دام هو يجزم هنا بهذا السند، بعيد جدًّا أن يكون خفي عليه، وخاصةً هو من الملازمين لعلي بن المديني، وعلي بن المديني لازمه الإمام البخاري، وكلمته معروفة "ما استصغرت نفسي إلا عند علي بن المديني" أو كلامٌ من هذا، وعلي بن المديني إمام، وإمامته في العلل أظهر، وهذا الذي يتميز به عن قرينه الإمام أحمد، الإمام أحمد إمام وإمامته في فقه الحديث وفي العقيدة أظهر، وعلي بن المدينة إمامته في الرجال وفي العلل أظهر، فكلام علي بن المديني بعيد جدًّا أن يخفى على البخاري.

**طالب:** بعدما صاغ القصة التي ذكرها ابن المديني في التضعيف، رواية الخراساني، قال ابن حجر بعدها: أن هذا ما خرجه عبد الرزاق وغيره، بعدها سقط كلام قال: وهذا مما يُستعظم أن يخفى عليه.

**الشيخ:** الله أعلم.

**الأسئلة:**

**س/ أحسن الله إليكم، يقول السائل: لماذا لا يُقال: أن الآية ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾[الأنبياء: ٢٢] تصلح دليلًا للتمانُع كون الألوهية تتضمن الربوبية؟**

ج/ هذا موضوع آخر أن تركز على الألوهية، والألوهية تتضمن الربوبية هذا موضوع آخر، ولكن أن تعكس؛ إذا جعلته في الربوبية أخرجت الألوهية، أخرجته؛ لأنه يستلزمه، توحيد الربوبية يستلزم ولكنه خارج، أما الألوهية -إذا جعلتها في الألوهية- أدخلت الربوبية أيضًا معها، ولكنها في الأساس في الألوهية.

وأظن سيذكر ابن أبي العز في الموضع الذي أشرت إليه أن التمانُع في الربوبية في صورة المؤمنون ﴿وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[المؤمنون:٩١] هذه الآية التمانُع في الربوبية فيها أظهر، مع ذلك المتكلمون لا يذكرون هذا، يُركزون على هذا، مع أن اللفظ هنا: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ﴾[الأنبياء: ٢٢].

* * *

**س/ يقول أحسن الله إليكم: ما صحَّة هذا القول المنسوب لعمر بن الخطاب: "لو عُرِضت الأقدار على الإنسان لاختار القدر الذي اختاره ربه له".**

ج/ الله أعلم.

* * *

**س/ أحسن الله إليكم يقول السائل: ما هي أخص أوصاف الإله عند أهل السنَّة؟**

ج/ أخص أوصاف الإله جميع الأوصاف التي يختص بها الله -عَزَّ وَجَلَّ- وهي كثيرة، أما كونه هو المعبود، وكونه هو المستحق للأسماء والصفات كلها، كونه رب العالمين، كلها، لكن الإشكال في المخالفين؛

- أخص أوصافه عند المتكلمين: عموم الربوبية.
- وعند المعتزلة: القِدَم.

وهكذا.

* * *

**س/ أحسن الله إليكم، يقول: هل ممكن نجد في كلام المتكلمين كلامًا يُفيدنا في توحيد الربوبية، كونهم يجعلونه الغاية؟**

ج/ هذا المفترض، كان المفترض أن تكون جهودهم الآن مع وجود موجة الإلحاد أن يكون كلامهم مفيدًا، ولكن للأسف الشديد كلامهم يُسهِم في إذكار هذه الموجة، وكلامهم خطير، ولا ينبغي أن يتكرر مع كثرة الشبهات الآن، عديم الفائدة كلامهم.

* * *

**بسم الله الرحمن الرحيم**

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم اغفر لشيخنا ولأشياخه وللمسلمين.

**قال الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي –رَحِمَه الله تَعَالَى–:**

(فَعُلِمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الْمَطْلُوبَ هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ، الَّذِي يَتَضَمَّنُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم:٣٠] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[الروم:٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[إبراهيم:١٠]، وَقَالَ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»، وَلَا يُقَالُ: إِنَّ مَعْنَاهُ يُولَدُ سَاذِجًا لَا يَعْرِفُ تَوْحِيدًا وَلَا شِرْكًا، كَمَا قَالَهُ بَعْضُهُمْ لِمَا تَلُونَا، وَلِقَوْلِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ...» الْحَدِيثَ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، حَيْثُ قَالَ: «يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، وَيُمَجِّسَانِهِ» وَلَمْ يَقُلْ: (وَيُسْلِمَانِهِ). وَفِي رِوَايَةٍ: «يُولَدُ عَلَى الْمِلَّةِ» وَفِي أُخْرَى: «عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ».

وَهَذَا الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– هُوَ الَّذِي تَشْهَدُ الْأَدِلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ بِصِدْقِهِ، مِنْهَا: أَنْ يُقَالَ: لَا رَيْبَ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الِاعْتِقَادَاتِ وَالْإِرَادَاتِ مَا يَكُونُ حَقًّا، وَتَارَةً مَا يَكُونُ بَاطِلًا، وَهُوَ حَسَّاسٌ مُتَحَرِّكٌ بِالْإِرَادَةِ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَحَدِهِمَا، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُرَجِّحٍ لِأَحَدِهِمَا.

وَنَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا عُرِضَ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يُصَدِّقَ وَيَنْتَفِعَ، وَأَنْ يُكَذِّبَ وَيَتَضَرَّرَ، مَالَ بِفِطْرَتِهِ إِلَى أَنْ يُصَدِّقَ وَيَنْتَفِعَ، وَحِينَئِذٍ فَالِاعْتِرَافُ بِوُجُودِ الصَّانِعِ وَالْإِيمَانُ بِهِ هُوَ الْحَقُّ أَوْ نَقِيضُهُ، وَالثَّانِي فَاسِدٌ قَطْعًا، فَتَعَيَّنَ الْأَوَّلُ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ فِي الْفِطْرَةِ مَا يَقْتَضِي مَعْرِفَةَ الصَّانِعِ وَالْإِيمَانَ بِهِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي فِطْرَتِهِ مَحَبَّتُهُ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ أَوْ لَا، وَالثَّانِي فَاسِدٌ قَطْعًا، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ فِي فِطْرَتِهِ مَحَبَّةُ مَا يَنْفَعُهُ، وَمِنْهَا: أَنَّهُ مَفْطُورٌ عَلَى جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ بِحَسَبِهِ.

وَحِينَئِذٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِطْرَةُ كُلِّ وَاحِدٍ مُسْتَقِلَّةً بِتَحْصِيلِ ذَلِكَ، بَلْ يَحْتَاجُ إِلَى سَبَبٍ مُعِينٍ لِلْفِطْرَةِ، كَالتَّعْلِيمِ وَنَحْوِهِ، فَإِذَا وُجِدَ الشَّرْطُ، وَانْتَفَى الْمَانِعُ، اسْتَجَابَتْ لِمَا فِيهَا مِنَ الْمُقْتَضِي لِذَلِكَ.

وَمِنْهَا: أَنْ يُقَالَ: مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ قَابِلَةٌ لِلْعِلْمِ وَإِرَادَةِ الْحَقِّ، وَمُجَرَّدُ التَّعْلِيمِ وَالتَّحْضِيضِ لَا يُوجِبُ الْعِلْمَ وَالْإِرَادَةَ، لَوْلَا أَنَّ فِي النَّفْسِ قُوَّةً تَقْبَلُ ذَلِكَ، وَإِلَّا فَلَوْ عُلِّمَ الْجَمَادُ وَالْبَهَائِمُ وَحُضِّضَا لَمْ يَقْبَلَا.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ حُصُولَ إِقْرَارِهَا بِالصَّانِعِ مُمْكِنٌ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ مُنْفَصِلٍ مِنْ خَارِجٍ، وَتَكُونُ الذَّاتُ كَافِيَةً فِي ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ الْمُقْتَضِي قَائِمًا فِي النَّفْسِ وَقُدِّرَ عَدَمُ الْمَعَارِضِ، فَالْمُقْتَضِي السَّالِمُ عَنِ الْمَعَارِضِ يُوجِبُ مُقْتَضَاهُ، فَعُلِمَ أَنَّ الْفِطْرَةَ السَّلِيمَةَ إِذَا لَمْ يَحْصُلْ لَهَا مَنْ يُفْسِدُهَا، كَانَتْ مُقِرَّةً بِالصَّانِعِ عَابِدَةً لَهُ.

وَمِنْهَا: أَنْ يُقَالَ: أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَحْصُلِ الْمُفْسِدُ الْخَارِجُ، وَلَا الْمُصْلِحُ الْخَارِجُ، كَانَتِ الْفِطْرَةُ مُقْتَضِيَةً لِلصَّلَاحِ؛ لِأَنَّ الْمُقْتَضِي فِيهَا لِلْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ قَائِمٌ، وَالْمَانِعَ مُنْتَفٍ.

وَيُحْكَى عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ أَرَادُوا الْبَحْثَ مَعَهُ فِي تَقْرِيرِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَخْبِرُونِي قَبْلَ أَنْ نَتَكَلَّمَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَنْ سَفِينَةٍ فِي دِجْلَةَ، تَذْهَبُ، فَتَمْتَلِئُ مِنَ الطَّعَامِ وَالْمَتَاعِ وَغَيْرِهِ بِنَفْسِهَا، وَتَعُودُ بِنَفْسِهَا، فَتُرْسِي بِنَفْسِهَا، وَتَتَفَرَّغُ وَتَرْجِعُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُدَبِّرَهَا أَحَدٌ؟ فَقَالُوا: هَذَا مُحَالٌ لَا يُمْكِنُ أَبَدًا! فَقَالَ لَهُمْ: إِذَا كَانَ هَذَا مُحَالًا

**فِي سَفِينَةٍ، فَكَيْفَ فِي هَذَا الْعَالَمِ كُلِّهِ عُلْوِهِ وَسُفْلِهِ؟! وَتُحْكَى هَذِهِ الْحِكَايَةُ أَيْضًا عَنْ غَيْرِ أَبِي حَنِيفَةَ أَيْضًا.**

**فَلَوْ أَقَرَّ رَجُلٌ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، الَّذِي يُقِرُّ بِهِ هَؤُلَاءِ النُّظَّارُ، وَيَفْنَى فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، وَيَجْعَلُونَهُ غَايَةَ السَّالِكِينَ، كَمَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ [مَنَازِلِ السَّائِرِينَ] وَغَيْرُهُ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ وَيَتَبَرَّأْ مِنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ كَانَ مُشْرِكًا مِنْ جِنْسِ أَمْثَالِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).**

**(الشرح)**

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمده ونصلي على رسوله الكريم.

**أما بعد:-**

لا زال المؤلف الشارح يتحدث عن التوحيد، ولا زال يركز على أن توحيد المرسلين، وأن الغاية من إرسال الرسل، وإنزال الكتب هو توحيد الألوهية، وأن الرسل قد انطلقوا من إقرار أممهم بتوحيد الربوبية، انطلقوا من ذلك، وبنوا على هذه المعرفة التي كانت مستقرةً في فِطَر الأمم التي جاؤوا إليهم انطلقوا منها إلى دعوتهم بما يستلزمه هذا الإقرار، وهو أن يُفْرَد الله -عَزَّ وَجَل-، وأن يُوحَّدَ بالألوهية؛ بالعبادة، وبالمحبة.

يقول: **(فَعُلِمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الْمَطْلُوبَ هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ)**.

ولا زال المؤلف يرد على المتكلمين وعلى الصوفية، ذكرهم سابقًا، وسيذكرهم لاحقًا؛ لأنهم يرون أن الغاية العظمى من إرسال الرسل هو تقرير توحيد الربوبية، هكذا يرون، وهم يتفقون في هذا الإجمال، مع أنهم سيختلفون في التفصيل الذي ينتهي إليه كل فريقٍ منهم، فتقرير الصوفية لهذا المبدأ بشكل، وتقرير المتكلمين بشكلٍ آخر.

وإن كان المتكلمون والمتصوفة قد حصل بينهم تلاقح من القديم، وقد يوجد في بعض العصور من هو متكلمٌ ومتصوف، وهذا كثير، ليس في بعض العصور، في أكثر العصور، مع أن اتجاه كل منهما يختلف عن اتجاه الآخر، فالصوفية يزدرون ويستخفون بالعقل، وكلما ابتعد أحدهم عن العقل كان قد تلقى أكثر، والمتكلمون كما تعرفون يكادون يؤلهون العقل، مع ذلك تجد كثيرًا منهم صوفيًّا متكلمًا في آنٍ واحد.

(**فَعُلِمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الْمَطْلُوبَ**)؛ أي التوحيد الذي أرسل به الرسل، ونزلت به الكتب (**هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ الَّذِي يَتَضَمَّنُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ**) فمن كان موحدًا توحيد الألوهية وتوحيد العبادة، فهو موحدٌ قطعًا توحيد الربوبية، ولا عكس؛ لأن من كان موحدًا توحيد الربوبية لا يلزم في الواقع أن يكون موحدًا أيضًا في ألوهية الله -عَزَّ وَجَل-، يلزمه، هذا الإقرار يستلزم، وهذا الإقرار يُلزِمه أن يكون موحدًا في ألوهيته إذن، ولكن في الواقع قد يكون، وقد لا يكون.

(**قَالَ سبحانه:** ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم:٣٠]، **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾[الروم:٣٦]).

المؤلف هنا يقرر أن المعرفة؛ معرفة الله -عَزَّ وَجَل- هي فطرية وليست نظرية، ونحن تحدثنا عن هذه المسألة فيما سبق، ولكن المؤلف هنا يركِّز على هذه المسألة.

**من الأدلة على أن توحيد الرسل، وتوحيد المرسلين هو توحيد الألوهية وليس توحيد الربوبية:**

أن المعرفة بربوبية الله -عَزَّ وَجَل- بوجوده، وبكونه ربًّا رازقًا مدبرًا، المعرفة بهذه الأمور هي مركوزة في فِطَرِ بني آدم أصلًا.

**فهل جاء الرسل لتأكيد هذه المعلومة كما يقول المعتزلة: جاؤوا للتأكيد بس، ليس لهم دور فيه، لم يأتوا بجديد كما يقول المعتزلة، هل هذا هو الواقع، أو أنهم جاؤوا لإقرار أمرٍ هو وراء هذا الإقرار؟**

على قول المتكلمين: جاؤوا واشتركوا معهم في الإقرار بربوبية الله -عَزَّ وَجَل-، ولا غير، خاصةً إذا علمنا أن توحيد الربوبية قد غاب عن تقسيمهم للتوحيد، وهو مغيَّبٌ عمدًا عند المتأخرين، ومغيبٌ خطأً وتقصيرًا عند المتقدمين، إذا علمنا هذا يكون فعلًا جميع الرسل جاؤوا بتوحيد الربوبية، ولا دخل لهم في توحيد الألوهية أبدًا.

إذن الأصل الذي جاء به الرسل هو مغيَّبٌ في هذه الكتب التي يُزعَمُ أنها كتب العقيدة، وهي كتب المتكلمين، **أهم ما في هذا الدين:**

- إما أن يُتجاهل وهذا في أحسن الأحوال.

- وإما أن يغيّب عَمَدًا كما هو عند المتأخرين، وخاصةً من جاء بعد شيخ الإسلام، وبالأخص من جاء بعد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، فهؤلاء محاربتهم لأهل التوحيد في هذا الباب، في باب توحيد الألوهية.

وسبحان الله! هذه المحاربة، وهذا العنوان هو عنوان المشركين ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾[ص:٥] هذا شعار المشركين، وهذا شعار هؤلاء الذين يحاربون دعوة الحق، دعوة التوحيد على تفاوتٍ بينهم.

إذن المؤلف هنا يريد أن يبيِّن أن معرفة الله -عَزَّ وَجَل- فطرية عمومًا.

**وهذه المعرفة لها درجتان:**

- الدرجة الأولى: معرفة ربوبيته.
- والدرجة الثانية: معرفة ألوهيته.

بما أن الربوبية تتعلق بحاجات الإنسان، فهي ظاهرة.

أما ألوهيته فهي أيضًا مركوزة في فِطَر بني آدم، ولكنهم قد لا يتنبهون إليها؛ ولذلك لما تأتي الرسالة تكون مكملة لما في فطرهم، فتجتمع الفطرة والرسالة، وكذلك العقل السليم على تقرير هذا الأصل العظيم، فلا هناك شبهات، ولا هناك شكوك، ولا هناك مدافعة، إنما توحيدٌ لله -عَزَّ وَجَل- بكل انشراح صدر.

ومن كان عنده خلل في استسلامه للشريعة، وفي سلامة فطرته، وفي سلامة عقله، فسيران مع النصوص حسب ما عنده من هذا المرض، ولما تجتمع الفطرة مع الشرع مع العقل السليم يجد الإنسان انشراحًا عجيبًا، ويستغرب ممن يستشكل ما ورد في هذه النصوص، يستغرب لماذا هذا الإشكال؟! لماذا هذا الثِّقَل الذي يستشعره فلان؟ ولماذا هذا الاشمئزاز الذي يستشعره فلان أمام هذه النصوص، أو بعض هذه النصوص؟ والبليَّة تكون في هذه الأمور الثلاثة أو في بعضها، الفطرة، الشريعة الشرع، والعقل السليم.

المؤلف هنا الشارح ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- يقرر أن معرفة الله -عَزَّ وَجَل- فطرية، وكما قلت: لها درجتان:

- معرفته بربوبيته.
- ومعرفته بألوهيته.

وبما أن ربوبيته هي متعلقة بحاجاته، فالإنسان يريد أن يستشفي، ويسترزق، ويطلب من الله -عَزَّ وَجَل- ما يحتاج إليه، وهذه كلها متعلقات الربوبية؛ ولذلك هذه تكون أجلى وأوضح.

هذا كله ينبني عليه أن تكون تلك الذات العليَّة مقدسة، وأن يكون الله -عَزَّ وَجَل- الذي تسأله تستغيث به هو أحب إليك، وهو الذي توحده بعبادته، كما ذكر المؤلف هنا، الشارح هنا في الأدلة العقلية.

هذا قد يكون غير واضح عند كثيرٍ من الناس، وخاصةً بعد تلك الشبهات التي انتشرت في كثيرٍ منهم، وإلا هذه فطرية، وهذه فطرية، هذه أوضح، وهذه قد تكون غير واضحة؛ إلا أن الشرع لما يأتي يكون منبهًا، ومذكرًا، ومقويًّا، ومشجعًا لهذه الفطرة التي هي مستودعَةٌ في نفس الإنسان.

يقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾[الروم:٣٠]، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾) معنى هذا أخلص في قصدِك، إقامة الوجه للدين هو إخلاص القصد، وبذل الوسع لدين الله -عَزَّ وَجَل-، كأنك لا تريد إلا هذا ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾[الروم:٣٠]، وهذا يستلزم أيضًا محبته، وعبادته ﴿حَنِيفًا﴾؛ أي مائلًا عن كل ما يعوقه، ومقبلًا عليه فقط، وأقم وجهك للدين حنيفًا، معرضًا عما سواه.

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم:٣٠] هذا موضع الشاهد، هذه منصوبة ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم:٣٠] هذه منصوبة، والنصب هنا بسبب فعلٍ هو مضمرٌ لزومًا، وكأنه قيل: فطر الله الناسَ على إقامة الوجه للدين حنيفًا فطرةً، وهذا مصدر، وهو منصوب على إضمار فعلٍ يُضمَر وجوبًا، وله نظائر.

**مثلًا:** ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[النساء:٢٤]، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾[الفتح:٢٣]؛ أي أن الله -عَزَّ وَجَل- سن هذه السنن سنةً، كتب الله عليكم كتابةً.

وهذا فيه أيضًا أمر ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾[الروم:٣٠]؛ أي الزموا هذه الفطرة؛ لأن الله -عَزَّ وَجَل- نسبها إلى نفسه، أضاف إلى نفسه إضافة مدحٍ، لا إضافة ذم، وهذا ينفعنا أيضًا في تحديد ما للفطرة؛ لأن الفطرة.

**ما هي الفطرة؟**

هناك أقوال، هناك أقوال لأهل السنة أنفسهم قبل أن ننتقل إلى غيرهم:

- بعضهم قالوا كما سيشير المؤلف هنا: (**وَلَا يُقَالُ: إِنَّ مَعْنَاهُ يُولَدُ سَاذِجًا لَا يَعْرِفُ تَوْحِيدًا وَلَا شِرْكًا**).

- وبعضهم قالوا: الفطرة هي الخِلقة الأولى التي لا تحمل شيئًا كأنها لوحة جديدة تكتب فيها ما تريد، وهي بهذا المعنى خلوها عن الخير والشر.

**والله -عَزَّ وَجَلَّ- هنا أضاف الفطرة إلى نفسه ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾[الروم:٣٠]، وهذا يستلزم المدح، وهذه الإضافة إضافة مدح، لماذا مدحها الله؟**

لأنها خيرٌ وليس فيها شر، ولا تدعو إلا إلى الخير.

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم:٣٠]؛ أي فطر الناس لها، خلق الناس لها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦] والعبادة مبنيةٌ على الربوبية.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[الروم:٣٠] جمهور المفسرين من أهل السنة على أن: مانع ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[الروم:٣٠]؛ أي لا تبديل لدين الله. ذكره ابن جرير وغيره؛ أي لا يصلح ذلك، ولا ينبغي أن يُفعل، لا ينبغي أن يُغَير دين الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ومعناه: أنك تلتزم فطرة الله -عَزَّ وَجَلَّ- كما في بداية الآية ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾[الروم:٣٠]، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[الروم:٣٠].

بعضهم قالوا: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[الروم:٣٠] معناه لا تبديل لأحوال العباد من إيمانٍ إلى كفرٍ، أو من كفرٍ إلى إيمان، وهذا خطأ؛ لأن هذا موجود، قد يكون الإنسان كافرًا ويؤمن، وقد يكون مؤمنًا ويكفر، ليس هذا معناه، هو نفيٌ بمعنى النهي.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم:٣٠] في هذه الآية قرر الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن فطرته التي فطر الناس عليها هي تستلزم دينه سبحانه، وكما قلت: الأقوال في معنى الفطرة كثيرة أرجحها وأصحها: أن الفطرة هي الإسلام، أن الفطرة معناها الإسلام، وهذا تفسير السلف عمومًا، حتى الذين خالفوا في معنى الفطرة من أهل السنة وعلى رأسهم الإمام ابن عبد البر -رَحِمَهُ اللهُ- نقل عن المخالفين أنهم يقول: أن هذا هو قول السلف، وهذا القول هو صحيح أن الفطرة هي الإسلام ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم:٣٠].

إذن الله -عَزَّ وَجَلَّ- فطر الناس على الإسلام، هذا يشرحه الحديث الذي بعده «كُل مَوْلُود».

وقال تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[إبراهيم:١٠] هذا الاستفهام هو استفهام إنكاري؛ أي أنكم تعترفون أنه لا شك فيه، وأنه هو الذي فطر السماوات والأرض عندكم، لا شك عندكم في ذلك.

**إذن المشركون الذين لا يعترفون بنبوة الأنبياء كيف جاءهم هذا العلم؟**

لأنهم مفطورون على هذا، هم أصلًا لا يقبلون بما جاء به الأنبياء والرسل، ومع ذلك هم يقولون: بأن الله -عَزَّ وَجَل- هو رب السماوات والأرض، من أين جاءهم هذا العلم؟

لأنهم مفطورون على هذا؛ ولذلك هذا دليل على أن معرفة الله -عَزَّ وَجَل- هي فطرية في الأصل، هذا هو الصحيح.

ولكن الفطرة قد تفسد بسبب بعض الملوثات إذا فسدت —كما ذكر شيخ الإسلام- ينفعها النظر في آيات الله -عَزَّ وَجَل-، وفي آياته في نفسه، وفي الآفاق، والنظر فيها تنفعه إذا فسدت الفطرة، أما إذا كان على الفطرة، فهذه الآيات تنفعه في زيادة الإيمان، وهذا هو الأصل.

**(وقال النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-:** «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ») كل مولود ليس هناك استثناء حتى أولاد المشركين، هذا عام، ولكن الحديث هنا ليس الموضوع هنا، ليس الموضوع معاملتهم في الدنيا، هل يعتبر مسلمًا فيكون له حكم المسلمين، أو يعتبر كافرًا فيكون له حكم الكفار؟ ليس هذا هو الموضوع هنا، مع أن الفقهاء دخلوا في هذا الموضوع هنا في هذا الحديث، هذا الحديث يبيِّن على ماذا يولد المولود، ولا يستثني «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» وكما قلنا: الفطرة هي الإسلام.

«فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ» نسب التهويد، والتنصير، والتمجيس «يُمَجِّسَانِهِ»؛ أي يجعلانه مجوسيًّا، نَسَبَ هذا الإضلال نسبه إلى الأبوين؛ لأن الجميع لهم أبوان، وهذا من باب التغليب، وليس من باب الحصر أن الأبوين هما يهودانه فقط، وينصِّرانه فقط، ويمجسانه فقط؛ لأن هذا العامل موجود عند الجميع، فهذا من باب التغليب، وإلا هناك مؤثرات أخرى إذن لها هذا الدور كالمعلم، والمربي، ووسائل أخرى كلها لها هذا الدور.

**(**«فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»، **وَلَا يُقَالُ: إِنَّ مَعْنَاهُ يُولَدُ سَاذِجًا لَا يَعْرِفُ تَوْحِيدًا وَلَا شِرْكًا، كَمَا قَالَهُ بَعْضُهُمْ)** طبعًا هذا قول القدرية عمومًا والمعتزلة، وهذا قول الإمام ابن عبد البر -رَحِمَهُ الله- من أهل السنة.

الإمام ابن عبد البر -رَحِمَهُ الله- من أكثر من تحدث عن هذه المسألة، شرح هذا الحديث شرحًا مفصلًا جدًّا في المجلد الثامن عشر من [التمهيد]، وذكر أقوال العلماء، وذكر أدلتهم، ومعارضاتهم، وأجوبتهم ذكرها، وكاد أن يستوعبها.

وممن أطال أيضًا في هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ الله- المجلد الثامن من [درء التعارض] كله في هذا المسألة، المجلد كله في هذه المسألة (فطرية معرفة الله -عَزَّ وَجَل-)، ناقش المتكلمين مناقشة تفصيلية جدًّا، وذكر أن الراجح في معنى الفطرة أن الفطرة هي الإسلام، وذكر الأقوال الأخرى، وذكر أيضًا قول ابن عبد البر، بل حكاية ابن عبد البر للأقوال أيضًا ذكره.

شيخ الإسلام نسب إليه أنه يقول: بأن الفطرة هي الإسلام، وسبحان الله! أنا بحثت عن الكتاب اليوم، عندي الكتاب [درء التعارض] هذا المجلد ما رأيت، بحثت عنه وبحثت؛ لأن نسبة هذا القول لابن عبد البر لا يصح، ابن عبد البر لا يقول بهذا.

وحكى عنه الحافظ ابن حجر أيضًا: أنه يقول بهذا، ولكن لما رجعت إلى [التمهيد] وجدت أن العبارة التي نقلها الحافظ ابن حجر تختلف عن عبارة ابن عبد البر، وابن عبد البر كما قلت: فصَّل في هذه المسألة، واختار هذا القول الذي يشير إليه شيخ الإسلام، مع أن شيخ الإسلام يشير إلى أنه يقول بأن الفطرة معناها الإسلام، وهذا غير صحيح.

وحتى أتأكد من الكتاب كما قلت لكم: ما وجدت، فلكم أن تتأكدوا من هذه المعلومة؛ لأن هناك له رسالة في الفطرة في هذه الرسالة يَنْسِب هذا القول: (أن الفطرة هي الإسلام) ينسبها إلى ابن عبد البر، أما في الدرء، فما وقفت هل ينسب إليه هذا القول أو لا؟

على كل حال، هذا قول القدرية، ولهم كما تعرفون لهم سبب في هذا القول، القدرية: يرون أن المعرفة التي يثاب عليها الإنسان، والمعرفة التي يترتب عليها شيء شرعًا، هذه المعرفة ليست مقدرة له أبدًا، هذه المعرفة من كسبه هو، وبالتالي لا يستقيم أن تقول: أنه وُلِد على الإسلام، مع أن بعضهم تناقض في هذه المسألة قال: قد يقال: أنه وُلِد على الإسلام، أما أن يقال: أنه وُلِد ساذجًا، هذا لا يستقيم، بعضهم تناقض في هذه المسألة، ولكن مذهبهم عمومًا أن المعرفة، هذه المعرفة النظرية هذا المذهب أصلًا لهم، ومنهم أخذ الكلابية، ومنهم أخذ الأشاعرة.

ذكر السمناني وهو حنفي أشعري، وهو وحيد في هذا؛ لأن الأحناف ماتُريدية، وهذا الوحيد الذي وُجِد أنه حنفي ومع ذلك أشعري.

ذكر السمناني: أن هذه المسألة من المسائل التي بقيت في أبي الحسن الأشعري من مذهب الاعتزال لما كان معتزليًّا بقيت فيه هذه المسألة.

لأن المعتزلة لما قالوا فلهم سبب، أما الأشاعرة فهم أقرب إلى –كما تعرفون– أقرب إلى الجهمية في الجبر، فلا يستقيم، أو ليس له وجه، أما أولئك فهناك خلفية عقدية تجعلهم يقولون بهذا؛ لأن المعرفة التي يترتب عليها الثواب، هذه المعرفة عندهم كسبية للإنسان، وليست مقدرةً له، وليست مقدورةً أصلًا عندهم لله –عَزَّ وَجَلَ–، هم يرون أن أفعال الإنسان ليست مقدورةً لله –عَزَّ وَجَلَ–، كما أن أفعال الله –عَزَّ وَجَلَ– ليست مقدورةً للإنسان، هكذا يرون، وهم واضحون في ذاتهم معروفون، عندهم شرك في هذا الباب.

**على كل حال، المعتزلة مذهبهم**: أن المعرفة كسبية نظرية، وأن الفطرة هي خلقته خاليًا من الخير، أو من عوامل الخير والشر.

**(وَلَا يُقَالُ: إِنَّ مَعْنَاهُ يُولَدُ سَاذِجًا لَا يَعْرِفُ تَوْحِيدًا وَلَا شِرْكًا، كَمَا قَالَهُ بَعْضُهُمْ: لِمَا تَلُونَا)** طبعًا أصل هذا الكلام لشيخ الإسلام، هو منقول عن شيخ الإسلام **(لِمَا تَلُونَا)** يريد الآية المتقدمة كما ذكر المحقق هنا: يريد أن الآية المتقدمة تدل على أن الفطرة هي الإسلام، وهذا التفسير هو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل، فقد أجمعوا في تأويل قول الله –عَزَّ وَجَلَ–: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم:٣٠] فقالوا: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ﴾ دين الله الإسلام، واحتجوا بقول أبي هريرة في الحديث المتقدم تكملة الحديث، يقول أبو هريرة: **(اقرأوا إن شئتم)**؛ يعني بعد هذا الحديث «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»، يقول في الأخير: **(اقرأوا إن شئتم** ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[الروم:٣٠])، وهذا قول السلف.

إذن هذه الفطرة هي فطرةٌ محمودةٌ، وهي تستلزم وتشجع على الخير، وليس معناها خلو النفس عن دواعي الخير والشر.

**(لِمَا تَلُونَا)**؛ أي الآية المتقدمة تدل على ما قلنا، **(وَلِقَوْلِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–)** أيضًا قوله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– **(فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ»)** الْحَدِيثَ أخرجه الإمام مسلم.

«خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ» إذن الحديث صريح على أن الإنسان يولد حنيفًا، يولد على الفطرة «فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ»، فالإضلال يكون بسببٍ خارجي.

يقول: (**وَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ**) في قوله: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»، (**وَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، حَيْثُ قَالَ**: «يُهَوِّدَانِهِ، أو يُنَصِّرَانِهِ، أو يُمَجِّسَانِهِ» **وَلَمْ يَقُلْ: وَيُسْلِمَانِهِ**) **لماذا؟**

لأن هذا هو الأصل، هو على الإسلام، هو مولودٌ على الإسلام؛ فلذلك (**لَمْ يَقُلْ: وَيُسْلِمَانِهِ**) **وَفِي رِوَايَةٍ**: «يُولَدُ عَلَى الْمِلَّةِ») كلتا الروايتين عند الإمام مسلم «يُولَدُ عَلَى الْمِلَّةِ» وهذه رواية صريحة، وأصرح من هذه ما بعدها «يُولَدُ عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ»، وهذا أصرح –ها– ليس هناك أي إشكال في أن هذا الحديث فيه تفسير، فيه ذكر الفطرة، وفيه تفسير الفطرة، وأنها هي الإسلام.

(**وَهَذَا الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– هُوَ الَّذِي تَشْهَدُ الْأَدِلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ بِصِدْقِهِ**)

الأدلة العقلية هذه التي ذُكِرت هنا هي مأخوذة من كلام شيخ الإسلام في [الدرء]، وذكر هناك ثمانية أدلة، وكل هذه الأدلة وهي عقلية بحتة تدل على أن –ركزوا معي– تدل على أن الفطرة لها دورٌ في الخير:

- إما في ترجيحه.
- وإما في تقويته.
- وإما في البقاء عليه.

وإلا إذا لم يكن هناك شيءٌ مستقرٌّ في النفس، لا يمكن أن يكون هناك شيء مرجح، أو مقوِّي، أو يُبقي على الأصل أبدًا، وهناك شيء مستقر في النفس له دور، وهذا الدور قد ينتهي وينتفي إذا وُجِدت هناك موانع، أما مع عدم الموانع إذا تأرجح الأمر بين أمرين متساويين يأتي هناك مرجِّح من النفس، وهذا دليل على وجود شيءٍ مستقر في النفس، وإلا إذا احتاج الأمر إلى ترجيح، ما الذي جاء ورجح جانب الخير، ما هو؟ على قولهم: أنه ساذج ليس فيه موانع الخير والشر، ما الذي رجح هنا؟ هذا جانب، هذا ملخص الوجه الأول.

الفطرة انضم إليها التعليم، فهذا التعليم بهذا التعليم وصل الإنسان إلى مرحلة لا يصل إليه بمجرد التعليم، بل هناك شيء يعاضده، ويقويه، ما الذي يقويه؟ هناك شيء مستقر في النفس جاء هذا التعليم منسجمًا معه فتقوى، هذا التعليم كان بإمكانه أن يصل إلى هنا، لكن هذا الذي حصل أوصله إلى هنا، ما الذي أوصله إلى هنا؟ لأنه تعاضد مع شيءٍ آخر موجود في النفس.

إنسان نشأ في بيئةٍ خالية —نفترض هكذا- نشأ في بيئةٍ خاليةٍ عن أسباب الخير والشر، مثلًا نشأ في بر ليس عنده أحد، وبالتالي ليس هناك ما يدفعه إلى الشر، وليس هناك ما يدفعه إلى الخير، هذا الإنسان حتمًا سيقر بوجود الله -عَزَّ وَجَل-، وبربوبيته، ما الذي دله على هذا؟ وسيبحث عما يقربه وير ضي هذا الرب، هذا البحث إجمالًا ليس تفصيلًا؛ لأن التفصيل تأتي به الشرائع، من أين أخذ هذا؟ وبالنظر إلى الكون سيرى أن هذا الكون لا يمكن أن يكون قد نشأ صدفةً، أو قد نشأ عن لا شيء.

**هذا الإنسان الذي لم يعلمه أحد لم يتوفر له لا معلم الخير، ولا معلم الشر، من أين جاء هذا؟**

لأنه بقي على الأصل، الفطرة موجودة، الفطرة هي الإسلام وهي موجودة، فبقي على الأصل لم يأتِ ملوِّث فلوثه، ولم يأتِ معلم للخير أيضًا حتى نقول: أن هذا التأثير كان لهذا المعلم، لا لا، بقي على الأصل.

الفطرة كما قلنا: هي الإسلام، وهي نستطيع أيضًا أن نعبر عنها بغريزةٍ ضعيفة، الغرائز في الإنسان تكون قوية وتتفاوت، ولكن هذه الفطرة هي نداءٌ من نفس الإنسان، وشيءٌ في داخل الإنسان يشجعه دائمًا على الخير إذا لم يلوثها، وتمنعه عن الشر أيضًا إذا لم يلوثها، والفطرة من نِعَم الله -عَزَّ وَجَل- الكبيرة.

وكما ذكر المعلمي -رَحِمَهُ الله- له كلامٌ جميلٌ جدًّا في كتابه [القائد إلى تصحيح العقائد] وهو المجلد الثاني من [التنكيل] [التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل]، المجلد الثاني [القائد إلى تصحيح العقائد] ذكر فيه: أن المصادر في العقيدة أربعة: مصدران سلفيان، ومصدران خلفيان، أما المصدران السلفيان الفطرة والشرع.

وللأسف تجد عند المتكلمين المصدر الثالث وهو النظر، وسماه النظر المتعمق فيه، أو النظر الكلامي، هذا المصدر الثالث، وتجد عند فئة أخرى وهي فئة المتصوفة الذوق، أو ما يسمونه من الكشف، أو الوجد.

تجد هذه الفِرَق قد تجاوزوا هذين المصدرين الفطرة أفسدوها، والشرع لم يستسلموا له، وبالتالي انشغلوا بهاذين المصدرين، وهذان المصدران خاصةً إذا نُصِب بينها وبين المصادر الأصيلة معركة، هذه مصائب، وبالتالي لا يصلون إلا إذا شاء الله -عَزَّ وَجَل- هدايةً لأحدهم، وإلا سيبقون في هذا الوحل.

والفطرة هذا الداعي كما قلت: ليس قويًّا حتى يبقى الإنسان مكلفًا، لو كان قويًّا مثل الغرائز لبطلت فائدة التكليف، الإنسان على ما فيه مكلف، مع ذلك من رحمة الله -عَزَّ وَجَل- أن جعل في نفسه فطرةً دائمًا تدعوه إلى الخير دائمًا بشرط ألا يلوثها ولا يفسدها، دائمًا تدعو إلى الخير.

فإذا سمع الإنسان الباقي على فطرته كلمةً جميلة كأنه هو قالها، إذا دُعِي إلى خير كأنه هو الذي دعا لها، عكس من أفسد فطرته مثل كثيرٍ من الناس يكون قد ذهب إلى الشرق والغرب، وأفسد فطرته، ويدعو إلى كل رذيلة وفساد، ويناكفُ كل إصلاح.

فالفطرة هي كما قلت: من أعظم نِعَم الله -عَزَّ وَجَل-، ونحن في هذا العصر كثيرٌ من الناس يلوثونها، ويصرفون فيها النِّعم نِعَم الله -عَزَّ وَجَل-؛ المال الذي أعطاه الله -عَزَّ وَجَل- يصرفه ويذهب بهذا المال إلى الغرب والشرق، ويلوث هذه الفطرة، ويرجع مصيبةً على نفسه، وعلى ملته، وعلى بلده.

فالذي يسافر إلى تلك البلاد بدون سبب، بدون حاجة ترى فيه تلويث للفطرة -نسأل الله أن يقينا من شر الفتن-.

هذا الذي قلت لو قلت: هو تلخيص لهذه الأوجه: أن هناك شيء يرجِّح إذا احتاج إلى ترجيح يقوي ويبقي على الأصل، وهذا كله يدل على أن هناك شيئًا في نفس الإنسان له دور في هذه الأمور، وهي كل (٤١:٤٦) على الخير.

**ففي الوجه الأول مثلًا:** في الوجه الأول نرى أن الإنسان بين أمرين، الإنسان أولًا كما ورد في حديثٍ ضعيف هو «حَارِث وَهَمَّام» وهذا الحديث يمشيه شيخ الإسلام، ولعله لا يكون صحيحًا، ومعناه صحيح، الإنسان لا يخلو من الإرادة، وبإرادته سيتجه، إما إلى الخير، وإما إلى الشر، وبعد اتجاهه، وبعد إرادته، وبعد أن يبحث عمَّن يعبده، أو عمن يؤلهه، أو عمن يراه خالقًا لهذا الكون نجد أنه دائمًا بشرط خلو هذه الفطرة عن الملوثات دائمًا يرجح أن هذا الكون له خالق، **لماذا يرجح هذا؟** لأن الله -عَزَّ وَجَل- أنعم عليه بهذه الفطرة.

فإذا كان بين أمرين: إنكار الخالق، والإقرار بوجود الخالق، سيرجح الإقرار بوجود الخالق، إن كان بين أمرين إنكار الربوبية، والإقرار بالربوبية سيرجح هذا الجانب، المهم هنا:

**ما الذي يجعله يرجح؟ هذه هي النقطة، ما هو الشيء الذي جعله يرجِّح، ما الذي جاء هنا وجعله يرجح؟**

**– الدليل الأول: فيه صورتان:**

الصورة الأولى تتعلق بالربوبية، وكما قلت: الفطرة تتضمن أمرين: الإقرار بربوبيته، والإقرار بألوهيته.

والفقرة الأخيرة (**وبعد ذلك: إِمَّا أَنْ تَكُونَ مَحَبَّتُهُ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ أَوْ لَا، وَالثَّانِي فَاسِدٌ قَطْعًا، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ فِي فِطْرَتِهِ مَحَبَّةُ مَا يَنْفَعُهُ**) هذا ما يتعلق بألوهيته.

نجد في هذا الدليل أن الإنسان بين أمرين، وبين أمرين لا مرجح خارجيًّا هنا، لم يأتِ أحد وجعله يرجح، مع ذلك رجَّح، **لماذا رجح؟ وما الذي جعله يرجِّح؟**

فطرته.

إذن هذا يدل على كما يقول ابن أبي العز: (**فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ فِي الْفِطْرَةِ مَا يَقْتَضِي مَعْرِفَةَ الصَّانِعِ وَالْإِيمَانَ بِهِ**) هذا الوجه الأول.

**الوجه الثاني**: (**وَمِنْهَا: أَنَّهُ مَفْطُورٌ عَلَى جَلْبِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ بِحَسَبِهِ**) كل إنسان لا يريد لنفسه مضرة، حتى المشرك، وحتى الكافر لا أحد يريد لنفسه ضررًا، إن كان هناك إنسان يريد لنفسه ضررًا، فهذا عنده خلل في عقله، فالإنسان مفطور على جلب المنافع، ودفع المضار.

كما في الوجه الأول، الوجه الأول مبنيٌّ على أن الإنسان حساس متحركٌ بالإرادة، هذا الوجه مبنيٌّ على أن الإنسان مفطورٌ على جلب المنافع، ودفع المضار، وحينئذٍ العبارة فيها شيء من الركاكة هنا (**وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِطْرَةُ كُلِّ وَاحِدٍ مُسْتَقِلَّةً بِتَحْصِيلِ ذَلِكَ**).

**النفع الذي يريده هل الفطرة تستقل بحصول ذلك النفع؟**

لا، (**بَلْ يَحْتَاجُ إِلَى سَبَبٍ مُعِينٍ لِلْفِطْرَةِ، كَالتَّعْلِيمِ وَنَحْوِهِ، فَإِذَا وُجِدَ الشَّرْطُ، وَانْتَفَى الْمَانِعُ**) المانع هو الذي يلوث الفطرة (**اسْتَجَابَتْ لِمَا فِيهَا مِنَ الْمُقْتَضِي لِذَلِكَ**).

**خلاصة هذا الوجه:** أن وجود الفطرة هنا قوَّى هذا الجانب، الفطرة انضم إليها التعليم والتعلم فوصلت إلى حدٍّ لم يكن لها أن تصل، أو لم يكن للنفس أن تصل لو كانت بدون هذه الفطرة، فانضمام التعليم إلى الفطرة قوى هذا الجانب.

(**اسْتَجَابَتْ لِمَا فِيهَا مِنَ الْمُقْتَضِي لِذَلِكَ**)؛ أي وتقوت وزادت.

(**وَمِنْهَا: أَنْ يُقَالَ: مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ قَابِلَةٍ لِلْعِلْمِ وَإِرَادَةِ الْحَقِّ، وَمُجَرَّدُ التَّعْلِيمِ وَالتَّحْضِيضِ لَا يُوجِبُ الْعِلْمَ وَالْإِرَادَةَ، لَوْلَا أَنَّ فِي النَّفْسِ قُوَّةً تَقْبَلُ ذَلِكَ**).

أنت الآن كما ذكر الشيخ ابن جبرين -رَحِمَهُ الله- في شرح هذا الكتاب: لما تأتي إلى ولدك وتأمره بالدراسة، تأمره بالصلاة، تأمره بالخير، قد يستجيب، وقد لا يستجيب، ولكن لما تُبيِّن له أن العلم ترى هو سبيلٌ إلى رفع الجهل عن نفسك، وسبيلٌ إلى أن تعرف كيف تعبد ربك، وبالعلم تعبد ربك، وعليه بناء جميع العبادات، تجعل في داخل نفسه قوةً تدفعه.

(**أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ قَابِلَةٍ لِلْعِلْمِ وَإِرَادَةِ الْحَقِّ، وَمُجَرَّدُ التَّعْلِيمِ وَالتَّحْضِيضِ**) تحضُّه، تأمره (**لَا يُوجِبُ الْعِلْمَ وَالْإِرَادَةَ، لَوْلَا أَنَّ فِي النَّفْسِ قُوَّةً تَقْبَلُ ذَلِكَ**) تجعله يطمئن من نفسه أن هذا الطريق لا بد منه، تقنعه، (**وَإِلَّا فَلَوْ عُلِّمَ الْجَمَادُ وَالْبَهَائِمُ وَحُضِّضَا لَمْ يَقْبَلَا**)؛ لأن ليس هناك قابلية قوة تقبل ذلك.

(**وَمَعْلُومٌ أَنَّ حُصُولَ إِقْرَارِهَا بِالصَّانِعِ مُمْكِنٌ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ مُنْفَصِلٍ مِنْ خَارِجٍ، وَتَكُونُ الذَّاتُ كَافِيَةً فِي ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ الْمُقْتَضِي قَائِمًا فِي النَّفْسِ وَقُدِّرَ عَدَمُ الْمَعَارِضِ، فَالْمُقْتَضِي السَّالِمُ عَنِ الْمَعَارِضِ يُوجِبُ مُقْتَضَاهُ، فَعُلِمَ أَنَّ الْفِطْرَةَ السَّلِيمَةَ إِذَا لَمْ يَحْصُلْ لَهَا مَنْ يُفْسِدُهَا، كَانَتْ مُقِرَّةً بِالصَّانِعِ عَابِدَةً لَهُ**).

**خلاصة هذا الوجه:** أن وجود الفطرة مثل ذلك الدافع الذي يدفع إلى الخير، وإلا فمجرد الأمر، ومجرد التحضيض لا ينفع.

إذا رأيت أن فلانًا من الناس عنده رغبة في الخير، وعنده إقدامٌ على الخير، فاعلم أن هناك قوة داخلية تدفعه إلى هذا، ترجِّح هذا، وهذا هو خلاصة هذه الفطرة التي هي في النفس.

مثَّلها بذلك الدافع الذي تجعله في نفس الطالب مثلًا، أو في نفس الابن مثلًا، تقنعه، ثم يندفع إلى فعل هذا الخير، وإلا كما تعرفون الذي لم يقتنع بما تدعو إليه سينساق إلى أوامرك إلى أن تلاحقه، بعد ذلك لن يستجيب.

* * *

**بسم الله الرحمن الرحيم**

نحمده ونصلي على رسوله الكريم.

**أما بعد:-**

لا زلنا في الأدلة التي ذكرها ابن أبي العز -رَحِمَه الله- نقلًا عن شيخ الإسلام -رَحِمَه الله- في كتابه [درء تعارض العقل والنقل].

الوجه الأخير الذي ذكره، هذا الوجه فيه أن دور الفطرة هو الإبقاء على الأصل إذا لم يحصل ما يدعوه، أو يمنعه، أو يؤثر عليه في الخير أو في الشر، فدور الفطرة هو الإبقاء على الأصل.

يقول: (**وَمِنْهَا: أَنْ يُقَالَ: أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَحْصُلِ الْمُفْسِدُ الْخَارِجُ، وَلَا الْمُصْلِحُ الْخَارِجُ، كَانَتِ الْفِطْرَةُ مُقْتَضِيَةً لِلصَّلَاحِ؛ لِأَنَّ الْمُقْتَضِي فِيهَا لِلْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ قَائِمٌ، وَالْمَانِعَ مُنْتَفٍ**).

في هذا الوجه، وكما قلنا: رجل مثلًا نشأ في بيئةٍ لا يعرف مثلًا لغتهم، لا يعرفون لغته، أو نشأ في بر ليس عنده أحد، نشأ في مكان لا يؤثر عليه أحد، فهنا نجد أن المانع منتفي، والمقتضي لإقراره بربوبية الله -عَزَّ وَجَل- قائم، وبالتالي هذا الذي سيكون.

**ما الذي جعله يُقِر بربوبية الله -عَزَّ وَجَل-؟ ما الذي جعله؟**

الذي جعله هو الفطرة التي أودعها الله -عَزَّ وَجَل- في نفسه، ونفسه مفطورةٌ على الإقرار بربوبية الله -عَزَّ وَجَل-.

■ **وكما قلنا: هذه الوجوه كلها خلاصتها أن وجود الفطرة:**

- إما مرجحة.
- وإما مقوية.

- وإما مبقية على الأصل.

وكل الوجوه تدل على أن الفطرة لها دورٌ في دفعه إلى الخير، أو في إبقائه على الخير، أو في تقويته على الخير.

وكلها تدل على أن هناك شيءٌ في النفس الإنسانية تدعوه إلى الخير، وهذا الذي يعبر عنه بالفطرة، وكما قلنا: الفطرة هي ليست مثل الغرائز قوية، ولكنها مودعةً في نفس الإنسان موجودة؛ ولذلك تقوي الخير مع انضمامها إلى غيرها، وتبقيه على الأصل، وترجِّح الخير إذا حصل هناك تعارض بين الخير والشر.

■ **ومن أبرز الشُّبَه المخالفين في هذا الباب، أو من أبرز الأدلة التي استدلوا بها على أن الفطرة هي خلو النفس الإنسانية من دواعي الخير، ومن دواعي الشر:**

- قول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾[النحل:٧٨]، والله -عَزَّ وَجَل- هنا يبين أنه أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيء، وهذا ليس بينه وبين قلة الفطرة تعارض؛ لأننا نحن لما نقول: أن الفطرة هي الإسلام، لا نزعم أن الولد يُولد وهو يعلم تفاصيل الشرائع، أو إجمال الشرائع، أبدًا، نحن نقول: أن هناك قوةً أودعها الله -عَزَّ وَجَل- في نفسه، هذه القوة تدعوه إلى الخير.

وزعم أحد الكوثرين المعاصرين، وممن يكثر من الكذب وهو السقَّام(٦:٥) زعم أن هذه الآية تنسف ما ذكره كل من يزعم أن هناك فطرة، وأن ليس هناك تعارض بين الأمرين، وشيخ الإسلام بنفسه ذكر هذه الآية، وذكر: أن قولنا بوجود الفطرة، وقولنا بهذه النصوص ليس معناه أن المولود يولد وهو عالم، أبدًا، ما قال بهذا أحد، وهذه الآية لم تخفى على أهل السنة حينما قرروا هذا نزولًا عند النصوص التي وردت في هذا الباب.

وهناك رسالة علمية عن الفطرة اسمها [الفطرة حقيقتها، وموقف المخالفين منها] رسالة جيدة في هذا الموضوع.

**ثم ذكر المؤلف هذه القصة:** (**وَيُحْكَى**) بهذه العبارة هو خرج عن العهدة (**وَيُحْكَى**)؛ يعني هذه القصة ثبتت، ما ثبتت، ما ندري، إلا أنها كما قال المؤلف: حُكِيَت.

**وهناك من استبعد هذه القصة، وسبب استبعاده:**

- أن الإمام أبو حنيفة -رَحِمَهُ الله- هو في زمن متقدم وُلِد سنة ثمانين، وتوفي سنة مئةٍ وخمسين، هذا أولًا.

- ثانيًا: هو من أعظم أئمة الإسلام.

- ثالثًا: هو في مركز من مراكز الإسلام.

مع كل هذه الأمور يأتي الملحد ويناظر، لا، يذهب إلى أحد الأئمة، وأبرز الأئمة ويختار أيضًا هذه المدينة؛ يعني وجود هذا بعيد؛ فلذلك استبعدوا هذه.

**وأنا في رأيي:** هذا الاستبعاد ليس بشيء؛ لأن الزنادقة كانوا موجودين، والزنادقة الذين يدعون إلى الفلسفة كانوا موجودين، لم يكن أحد يكرههم على الإسلام أبدًا، فلا أستبعد من النواحي العقلية، ولكن هذه القصة حتى ولو لم تثبت عن الإمام أبي حنيفة، هذه القصة هي رسالة لكل ملحد، كل ملحد يواجَه بهذه القصة، بما ورد بهذه القصة.

(**أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ أَرَادُوا الْبَحْثَ مَعَهُ فِي تَقْرِيرِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ**) طبعًا هذا ليس بدقيق (**أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ**)؛ لأن أهل الكلام عمومًا مسلمون، جهميتهم، ومعتزلتهم، هم كلهم مسلمون، هؤلاء زنادقة الذين ناظروه في هذه المسألة.

(**أَرَادُوا الْبَحْثَ مَعَهُ فِي تَقْرِيرِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَخْبِرُونِي قَبْلَ أَنْ نَتَكَلَّمَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ**) وجود الله -عَزَّ وَجَل-، هل نقول بوجوده، أو لا نقول بوجوده؟ وربوبيته هل نقر بها أو لا؟ قبل أن نتكلم في هذه المسألة أخبروني عن هذا الأمر، أخبروني (**عَنْ سَفِينَةٍ فِي دِجْلَةَ**) النهر المعروف (**تَذْهَبُ بنفسها، فَتَمْتَلِئُ مِنَ الطَّعَامِ وَالْمَتَاعِ وَغَيْرِهِ بِنَفْسِهَا، وَتَعُودُ بِنَفْسِهَا، فَتُرْسِي بِنَفْسِهَا، وَتُفَرِّغُ وتَتَفَرَّغُ وَتَرْجِعُ بِنَفْسِهَا، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُدَبِّرَهَا أَحَدٌ؟**).

ما رأيكم في هذا الذي رأيته أو حُكِيَ لي: أن هناك سفينة كيت وكيت ما رأيكم سفينة غريبة هذه؟ فهل تعترفون بهذه السفينة التي أُخْبِرْتُ عنها؟ يقولون: هناك سفينة موجودة بهذا الوصف، ما رأيكم؟

(**فَقَالُوا: هَذَا مُحَالٌ لَا يُمْكِنُ أَبَدًا! فَقَالَ لَهُمْ: إِذَا كَانَ هَذَا مُحَالًا فِي سَفِينَةٍ**) في سفينةٍ في نهر دجلة من أصغر الأنهار، وليس بحرًا.

(**فَكَيْفَ فِي هَذَا الْعَالَمِ كُلِّهِ عُلْوِهِ وَسُفْلِهِ؟**) ما رأيكم أن هذا العالم كله بأجرامه الكبيرة والصغيرة، وبكواكبه، هذا العالم كله ما رأيكم فيه؛ هكذا يجري مصادفةً، هكذا يجري دون أن يدبره أحد، هكذا، ما رأيكم فيه؟ طبعًا ما الذي سيقولونه؟

في القصة، في نهاية القصة أنهم تابوا، وأنهم لم يناظروه.

وكما قلت: هذه الرسالة لكل ملحد، هذا الملحد لو تأخذه على غِرَّة، وتذكر له مثل هذه الأمور ستنطق فطرته باستنكار هذا الأمر، ولكن هذا الملحد من جهله، أو تجاهله قد يزعم أن هذا الكون هو بقوانينه ونواميسه هو أزلي، وأنه كيت، وأنه كيت.

(**وَتُحْكَى هَذِهِ الْحِكَايَةُ عَنْ غَيْرِ أَبِي حَنِيفَةَ أَيْضًا**).

(**فَلَوْ أَقَرَّ رَجُلٌ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، الَّذِي يُقِرُّ بِهِ هَؤُلَاءِ النُّظَّارُ، وَيَفْنَى فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ**) يقر به المتكلمون، ويفنى فيه المتصوفة؛ لأن هذا التوحيد لا يحصل عندهم إلا بالوصول إلى مرحلة الفناء، وفي مرحلة الفناء لا تشاهد شيئًا غير الله -عَزَّ وَجَل-، هذه يسمونها درجة المشاهدة؛ يغيب -ماذا يقولون؟- يغيبُ عن مشهوده عن شهوده، لا يشاهد شيئًا، طبعًا هذه درجة في الجنون لا درجة بعدها.

ولذلك يقولون: أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي (١٢:٤٥)، فكل من تصور أن هناك شيئًا غير الله -عَزَّ وَجَل-، وأن هناك عابدًا ومعبودًا، وأن هناك خالقًا ومخلوقًا، فليس موحدًا. هكذا يقولون.

(**وَيَفْنَى فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، وَيَجْعَلُونَهُ غَايَةَ السَّالِكِينَ**) السالك عندهم لما يسلك، ولما يصل يصل إلى هذه الدرجة.

(**كَمَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ [مَنَازِلِ السَّائِرِينَ] وَغَيْرُهُ**).

طبعًا هذا الرجل هو من أحسن المتصوفة، وهذا كلامه، حتى أن شيخ الإسلام يلقبه بشيخ الإسلام، قال شيخ الإسلام، وقال شيخ الإسلام؛ لأن موقفه في توحيد الأسماء والصفات جميل، ردوده على المتكلمين جميلة جدًّا، ولكن موقفه في التوحيد هكذا، وسيأتي كلامه في تفسير التوحيد.

**(وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ)** آمن بتوحيد الربوبية، وآمن بوجد الله -عَزَّ وَجَل-، وأقرَّ بوجوده، وأقرَّ بربوبيته، وأقرَّ بأنه هو الذي يرزقه ويدبر أمره، ومع ذلك كله لم يعبد الله وحده، ولم يتبرأ من عبادة ما سواه كان مشركًا من جنس أمثاله من المشركين، لم يكن أمثل من أبي جهلٍ، وأبي لهب، وغيرهم، سيكون مثلهم، وبالتالي هذا الذي يجعلونه غاية ..، وغاية مقصدهم وقصدهم لا يكفي في الدخول في الإسلام.

**أحسن الله إليكم.**

**قال -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:**

**(وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ تَقْرِيرِ هَذَا التَّوْحِيدِ وَبَيَانِهِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ لَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يُقَرِّرُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ أَلَا يُعْبَدَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَجْعَلُ الْأَوَّلَ دَلِيلًا عَلَى الثَّانِي، إِذْ كَانُوا يُسَلِّمُونَ الْأَوَّلَ، وَيُنَازِعُونَ فِي الثَّانِي، فَيُبَيِّنُ لَهُمْ سُبْحَانَهُ أَنَّكُمْ إِذَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَأْتِي الْعِبَادَ بِمَا يَنْفَعُهُمْ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ مَا يَضُرُّهُمْ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَلِمَ تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَتَجْعَلُونَ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَى؟ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)﴾[النمل:٥٩ -٦٠] الْآيَاتِ.**

**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ كُلِّ آيَةٍ: ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾[النمل: ٦٠] أَيْ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ فَعَلَ هَذَا؟ وَهَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ، يَتَضَمَّنُ نَفْيَ ذَلِكَ، وَهُمْ كَانُوا مُقِرِّينَ بِأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ غَيْرُ اللَّهِ، فَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى اسْتِفْهَامَ: هَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ؟ كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُهُمْ؛ لِأَنَّ هَذَا الْمَعْنَى لَا يُنَاسِبُ سِيَاقَ الْكَلَامِ.**

وَالْقَوْمُ كَانُوا يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى كَمَا قَالَ تَعَالَى. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾[الأنعام:١٩]، وَكَانُوا يَقُولُونَ: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص:٥]، لَكِنَّهُمْ مَا كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ إِلَهًا جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرِينِ حَاجِزًا، بَلْ هُمْ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ فَعَلَ هَذَا، وَهَكَذَا سَائِرُ الْآيَاتِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٢١]، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾[الأنعام: ٤٦] وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

(الشرح)

يقول المؤلف بعد أن ذكر أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي، يقول: (**وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ تَقْرِيرِ هَذَا التَّوْحِيدِ وَبَيَانِهِ**).

الذين شرحوا هذا الشرح كلهم يقولون: أن الضمير هنا يرجع إلى الربوبية، (**وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ تَقْرِيرِ هَذَا التَّوْحِيدِ**) الشيخ ابن جبرين -رَحِمَهُ الله- وغيره يقولون: بأن الضمير يرجع إلى ماذا؟ إلى توحيد الربوبية (**وَبَيَانِهِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ لَهُ**) وهذا له وجه، ولكن يبدو لي أن هذا الضمير يرجع إلى الألوهية.

فيما سبق في قوله: (**فَعُلِمَ أَنَّ التَّوْحِيد المَطْلُوب هُوَ تَوْحِيد الإِلَهِية**)، أيضًا في الذي قبله هو تركيز المؤلف هنا، تركيز الشارح هنا على توحيد الألوهية ببيان أن الذين يقولون: أن توحيد المرسلين هو توحيد الربوبية، هذا خطأ، ففي ذكر للربوبية، وفي ذكر للألوهية، حتى هنا (**وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ تَقْرِيرِ هَذَا التَّوْحِيدِ وَبَيَانِهِ وَضَرْبِ الأَمْثَالِ لَهُ**).

بعد هذا يصلح أن يكون الضمير راجع إلى الألوهية، ويصلح أيضًا أن يكون الضمير راجع إلى الربوبية، يصلح هذه الأمور، ولكن كونه راجعًا إلى توحيد الألوهية أنسب؛ لأن هذا الذي سبق (**فَعُلِمَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الْمَطْلُوبَ هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ**).

أيضًا هذا الشرح الذي سيأتي صحيح أنه في توحيد الربوبية، ولكنه لبيان أن توحيد الربوبية ذِكْرُه وأدلة توحيد الربوبية ذِكْرها في القرآن للاستدلال بها على توحيد الألوهية، فيبدو لي والله أعلم أن الضمير يرجع إلى توحيد الألوهية، والله أعلم.

**(وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ تَقْرِيرِ هَذَا التَّوْحِيدِ وَبَيَانِهِ، وضَرْب الأمثال له) لماذا أرجِّح هذا؟**

لأن توحيد الربوبية لما يذكر في القرآن في الغالب، كما هو هنا في الغالب يذكر للاستدلال به على الألوهية، توحيد الربوبية لما يُذْكَر يُذْكَر للاستدلال به على، وهذا كما قلنا: هذا هو الذي أرسل به الرسل، وهذا الذي نزلت به الكتب وهو توحيد الألوهية.

الأدلة التي وردت في توحيد الربوبية، والتي كانت للربوبية فقط هي قليلة جدًّا في القرآن، منها قوله سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[الطور:٣٥] هذا هنا، هذا الدليل سيق لتوحيد الربوبية، ولإقرار توحيد الربوبية، ولم يذكر هنا توحيد الألوهية، وهذا قليل في القرآن؛ لذلك يبدو لي أن الضمير هنا يرجع إلى توحيد الألوهية.

**(وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ تَقْرِيرِ هَذَا التَّوْحِيدِ وَبَيَانِهِ، وضَرْب الأَمْثَال لَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ يُقَرِّرُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ أَلَا يُعْبَدَ إِلَّا اللَّهُ).**

إذن هذا الدليل يذكر ويساق للوصول إلى إفراد الله -عَزَّ وَجَل- في ألوهيته، وتوحيده في عبوديته.

**(فَيَجْعَلُ الْأَوَّلَ دَلِيلًا عَلَى الثَّانِي).**

**الأول**: هو توحيد الألوهية يجعله دليلًا على، هذه هي العلاقة بين النوعين من أنواع التوحيد، نحن نقول: العلاقة بين هذين النوعين من أنواع التوحيد: أن توحيد الربوبية يستلزم الألوهية، وأن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية.

**(فَيَجْعَلُ الْأَوَّلَ دَلِيلًا عَلَى الثَّانِي)** كيف؟

(إِذْ كَانُوا يُسَلِّمُونَ الْأَوَّلَ، وَيُنَازِعُونَ فِي الثَّانِي، فَيُبَيِّنُ لَهُمْ سُبْحَانَهُ أَنَّكُمْ إِذَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَأْتِي الْعِبَادَ بِمَا يَنْفَعُهُمْ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ مَا يَضُرُّهُمْ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَلِمَ تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ؟).

إقراركم بتوحيد الربوبية، وإقراركم بمتعلقات الربوبية، وإيمانكم بها ينبغي أن يكون أساسًا للوصول إلى توحيد إلى الألوهية، ولإفراد الله -عَزَّ وَجَل- في ربوبيته، بما أنكم تعتقدون هذا، هذا يلزمكم أن تكونوا مفردين وموحدين في ألوهية الله -عَزَّ وَجَل-.

(فَلِمَ تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ، وَتَجْعَلُونَ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَى؟)؛ أي معبودين آخرين، ما دام ربكم واحد فينبغي أن يكون، يلزم أن يكون إلهكم أيضًا واحدًا ربكم وإلهكم؛ أي معبودكم.

(كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠)﴾[النمل:٥٩ -٦٠]).

هذه خمس آيات خُتِمَت بقوله ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾[النمل: ٦٠] في سورة النمل، خمس آيات خُتِمَت بهذا.

(يَقُولُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَل- فِي آخِرِ كُلِّ آيَةٍ: ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾[النمل: ٦٠]؛ أَيْ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ فَعَلَ هَذَا؟).

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾[النمل:٦٠] كل هذه الأفعال هل هناك إلهٌ مع الله -عَزَّ وَجَل- فعل هذا، كان شريكًا معه في هذه الأمور؟

المؤلف هنا الآن يركز على معنى هذه الآية (أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ فَعَلَ هَذَا؟) بعض الناس قالوا ﴿أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾[النمل: ٦٠] هنا استفهام: هل هناك إلهٌ مع الله؟ قالوا: هذا هو المراد من الآية.

المؤلف يقول: لا، السؤال هنا عن الربوبية (أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ فَعَلَ هَذَا؟) هل هناك ما هو شريكٌ مع الله -عَزَّ وَجَل- في تدبير هذه الأمور، في فعل هذه الأمور، في تصريف هذه الأمور؟

والجواب معروف: (**اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ**) أنكم بأنفسكم تعترفون أنه ليس هناك إلهٌ مع الله فعل هذا، وبالتالي يلزمكم أن تفردوه وتوحدوه في ألوهيته، وفي عبوديته.

يقول: (**وَهَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ، يَتَضَمَّنُ نَفْيَ ذَلِكَ، وَهُمْ كَانُوا مُقِرِّينَ**)؛ يعني هذا الكلام كله لبيان أن معنى الآية (**أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ فَعَلَ هَذَا؟**) هذا الذي يشرحه الآن.

(**وَهَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ، يَتَضَمَّنُ نَفْيَ ذَلِكَ**)؛ أي أنكم توافقوننا على أنه ليس هناك إلهٌ مع الله فعل هذا.

(**وَهُمْ كَانُوا مُقِرِّينَ بِأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ غَيْرُ اللَّهِ، فَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى اسْتِفْهَامَ: هَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ؟ كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُهُمْ**).

**التركيز على السياق والسباق، هذا الذي يتميز به أهل السنة، لماذا؟**

لأنهم يريدون أن يفهموا كلام الله -عَزَّ وَجَل-، أما غيرهم فلا يهتمون بهذا الأمر؛ لأنهم يريدون أن يسوِّقوا مرادهم عبر كلام الله -عَزَّ وَجَل-، **وفرق بين الأمرين:**

- تأويلهم هو تسويقٌ لمرادهم عبر كلام الله -عَزَّ وَجَل-.

- أما أهل السنة فيهمهم أن يفهموا كلام الله -عَزَّ وَجَل-.

وبالتالي تنظر إلى السياق والسباق والقرائن حتى تفهم كلام المتكلم، وكلام الله -عَزَّ وَجَل-.

(**وَلَيْسَ الْمَعْنَى اسْتِفْهَامَ: هَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ؟ كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُهُمْ؛ لِأَنَّ هَذَا الْمَعْنَى لَا يُنَاسِبُ سِيَاقَ الْكَلَامِ، وَالْقَوْمُ كَانُوا يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى**).

﴿**أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**﴾[النمل: ٦٠] على هذا المعنى سيقولون: نعم، ولا يكون استفهام إنكار.

(**وَالْقَوْمُ كَانُوا يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى**)؛ أي معبودين آخرين (**كَمَا قَالَ تَعَالَى**: ﴿**أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ**﴾[**الأنعام:١٩**]) أنتم تشهدون، ﴿**قُلْ لَا أَشْهَدُ**﴾[الأنعام:١٩].

أيضًا (**وَكَانُوا يَقُولُونَ**: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص:٥]) الآلهة المعبودون كثر هل جعلهم واحدًا؟ إذن هم كانوا يقولون بتعدد الآلهة، ولكنهم لم يكونوا يقولون بتعدد الأرباب، الرب عندهم واحد.

(**لَكِنَّهُمْ مَا كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ إِلَهًا جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا، وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ، وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرِينِ حَاجِزًا**) كما في هذه الآيات ما كانوا يقولون بهذا، جميع متعلقات الربوبية كانوا يجعلونها لله -عَزَّ وَجَلَّ-، (**بَلْ هُمْ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ فَعَلَ هَذَا، وَهَكَذَا سَائِرُ الْآيَاتِ**).

**إذن معنى الآية: لماذا تعبدون غير الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟ هل هناك يشركه ويشاركه في فعل هذه الأمور، وفي خلقها، أو في تدبيرها؟**

الجواب: أنه عندكم لا، معروف ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[إبراهيم:١٠] ما دام هذا جوابكم يجب عليكم، ويلزمكم أن توحدوه أيضًا في ألوهيته. هذا هو المراد في هذه الآيات.

(**وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[البقرة:٢١]) هذا أمر، ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[البقرة:٢١] هذا أمر، ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[البقرة:٢١] لم يقل: اعبدوا الله، ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[البقرة:٢١] هذا فيه ذكرٌ للحكم ودليل الحكم ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[البقرة:٢١]، اعبدوه؛ لأنه هو ربكم.

(**ومن ربوبيته** ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة:٢١]، **وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ**: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ﴾[الأنعام: ٤٦]) **ماذا جوابهم؟**

ليس هناك من يأتيهم به، وهذه عقيدتهم، وبالتالي يجب عليهم أن يفردوه في ألوهيته.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

■ أنا رجعت إلى [درء التعارض] وهنا شيخ الإسلام نقل كلام الإمام ابن عبد البر، ونقله ليس فيه نسبة القول له، وإنما نقل كلامه، والله أعلم.

## الأسئلة

**س/ أحسن الله إليكم، يقول السائل: أرجو توضيح معنى كلام المصنف في قوله: (ولَمْ يَكُنْ مُثْبِتًا لَهُ طَالِبًا لِلْعِلْمِ بِمَاهِيَّتِهِ) في أثناء رده على الطائفة التي زعمت: أن فرعون سأل موسى مستفهمًا عن الماهية؟**

ج/ فرعون لما قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:٢٣]، ذكر شيخ الإسلام: أن فرعون لم يكن مثبتًا لوجود الله -عَزَّ وَجَل-، وطالبًا لماهيته؛ لأن من يطلب ماهيته وحقيقته، وحقيقة صفاته، وحقيقة أفعاله يكون مثبتًا له، وفرعون أصلًا منكرٌ لوجوده، فكيف يطلب منه أن يبين له حقيقة أفعاله وأوصافه، أو حقيقته؟! ليس الأمر هكذا.

إذن هو منكر، ولم يكن طالبًا لحقيقته، كما هو قول المتكلمين الذين ذكرتهم، قالوا: فرعون سأل عن ماهيته، وبما أن هذا يصعب الجواب عليه؛ لذلك عدل موسى -عليه السلام- عن الجواب، وأجاب بما يليق بمن، ولم يجب ما يليق بالسؤال.

طبعًا ذكر الزمخشري: أن الجواب هنا -طبعًا كلامه هنا جميل، وفيه رد على غيره من المتكلمين- يقول: هكذا السؤال، وهكذا الجواب، وموسى -عليه السلام- لم يعدل عما سُئِل عنه، يقول: هذا وارد في اللغة، إذا جاء الرد عليهم من إمامهم فلعلهم، نعم، هكذا قال الزمخشري، وأيد كلامه أبو البركات النسفي في [مدارك التأويل].

**س/ أحسن الله إليكم، يقول السائل: عند النصارى ما الفرق بين قول: (أب) بالهمز، وبين (آب) بالمد؟**

ج/ هم يقولون: (آب) هكذا يقولون، ما أدري ليش هيك، الـ(أب) هذا خطأ، هم يقولون الـ(آب).

* * *

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، صلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

**قال الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-:**

(وَاذَا كَانَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، الَّذِي يَجْعَلُهُ هَؤُلَاءِ النُّظَّارُ، وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الصُّوفِيَّةِ هُوَ الْغَايَةَ فِي التَّوْحِيدِ، دَاخِلًا فِي التَّوْحِيدِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-، وَنَزَلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، فَلْيُعْلَمْ أَنَّ دَلَائِلَهُ مُتَعَدِّدَةٌ، كَدَلَائِلِ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ، وَدَلَائِلِ صِدْقِ الرَّسُولِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ كُلَّمَا كَانَ النَّاسُ إِلَيْهِ أَحْوَجَ كَانَتْ أَدِلَّتُهُ أَظْهَرُ، رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ بِخَلْقِهِ.

وَالْقُرْآنُ قَدْ ضَرَبَ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِيهِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ، وَهِيَ الْمَقَايِيسُ الْعَقْلِيَّةُ الْمُفِيدَةُ لِلْمَطَالِبِ الدِّينِيَّةِ، لَكِنَّ الْقُرْآنَ يُبَيِّنُ الْحَقَّ فِي الْحُكْمِ وَالدَّلِيلِ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؟ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ مَعْلُومَةً ضَرُورِيَّةً مُتَّفَقًا عَلَيْهَا، واسْتُدِلَّ بِهَا، وَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى الِاسْتِدْلَالِ عَلَيْهَا.

وَالطَّرِيقَةُ الفصيحَةُ فِي الْبَيَانِ أَنْ تُحْذَفَ، وَهِيَ طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ، بِخِلَافِ مَا يَدَّعِيهِ الْجُهَّالُ، الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ فِيهِ طَرِيقَةٌ بُرْهَانِيَّةٌ، بِخِلَافِ مَا قَدْ يَشْتَبِهُ وَيَقَعُ فِيهِ نِزَاعٌ، فَإِنَّهُ يُبَيِّنُهُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ.

وَلَمَّا كَانَ الشِّرْكُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ مَعْلُومَ الِامْتِنَاعِ عِنْدَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، بِاعْتِبَارِ إِثْبَاتِ خَالِقَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ فِي الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، وَإِنَّمَا ذَهَبَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَنَّ ثَمَّ خَالِقًا خَلَقَ بَعْضَ الْعَالَمِ، كَمَا يَقُولُهُ الثَّنَوِيَّةُ فِي الظُّلْمَةِ، وَكَمَا يَقُولُهُ الْقَدَرِيَّةُ فِي أَفْعَالِ الْحَيَوَانِ، وَكَمَا يَقُولُهُ الْفَلَاسِفَةُ الدَّهْرِيَّةُ فِي حَرَكَةِ الْأَفْلَاكِ أَوْ حَرَكَاتِ النُّفُوسِ، أَوِ الْأَجْسَامِ الطَّبِيعِيَّةِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يُثْبِتُونَ أُمُورًا مُحْدَثَةً بِدُونِ إِحْدَاثِ اللَّهِ إِيَّاهَا، فَهُمْ مُشْرِكُونَ فِي بَعْضِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَكَثِيرٌ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ قَدْ يَظُنُّ فِي آلِهَتِهِ شَيْئًا مِنْ نَفْعٍ أَوْ ضُرٍّ، بِدُونِ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ.

فَلَمَّا كَانَ هَذَا الشِّرْكُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ مَوْجُودًا فِي النَّاسِ، بَيَّنَ الْقُرْآنُ بُطْلَانَهُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[المؤمنون:٩١]، فَتَأَمَّلْ هَذَا الْبُرْهَانَ الْبَاهِرَ، بِهَذَا اللَّفْظِ الْوَجِيزِ الظَّاهِرِ.

فَإِنَّ الْإِلَهَ الْحَقَّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِقًا فَاعِلًا، يُوصِلُ إِلَى عَابِدِهِ النَّفْعَ، وَيَدْفَعُ عَنْهُ الضُّرَّ، فَلَوْ كَانَ مَعَهُ سُبْحَانَهُ إِلَهٌ آخَرُ يُشْرِكُهُ فِي مُلْكِهِ، لَكَانَ لَهُ خَلْقٌ وَفِعْلٌ، وَحِينَئِذٍ فَلَا يَرْضَى تِلْكَ الشَّرِكَةَ، بَلْ إِنْ قَدَرَ عَلَى قَهْرِ ذَلِكَ الشَّرِيكِ وَتَفَرُّدِهِ بِالْمُلْكِ وَالْإِلَهِيَّةِ دُونَهُ فَعَلَ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ

انْفَرَدَ بِخَلْقِهِ وَذَهَبَ بِذَلِكَ الْخَلْقِ، كَمَا يَنْفَرِدُ مُلُوكُ الدُّنْيَا بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِمَمَالِكِهِ، إِذَا لَمْ يَقْدِرُ الْمُنْفَرِدُ مِنْهُمْ عَلَى قَهْرِ الْآخَرِ وَالْعُلُوِّ عَلَيْهِ.

فَلَا بُدَّ مِنْ أَحَدِ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ: إِمَّا أَنْ يَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِخَلْقِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَعْلُوَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا تَحْتَ قَهْرِ مَلِكٍ وَاحِدٍ يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَا يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ، بَلْ يَكُونُ وَحْدَهُ هُوَ الْإِلَهُ، وَهُمُ الْعَبِيدُ الْمَرْبُوبُونَ الْمَقْهُورُونَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ.

وَانْتِظَامُ أَمْرِ الْعَالَمِ كُلِّهِ وَإِحْكَامِ أَمْرِهِ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ مُدَبِّرَهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَمَلِكٌ وَاحِدٌ، وَرَبٌّ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ لِلْخَلْقِ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ لَهُمْ سِوَاهُ.

كَمَا قَدْ دَلَّ دَلِيلُ التَّمَانُعِ عَلَى أَنَّ خَالِقَ الْعَالَمِ وَاحِدٌ، لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا إِلَهَ سِوَاهُ، فَذَلِكَ تَمَانُعٌ فِي الْفِعْلِ وَالْإِيجَادِ، وَهَذَا تَمَانُعٌ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِلَهِيَّةِ، فَكَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَالَمِ رَبَّانِ خَالِقَانِ مُتَكَافِئَانِ، كَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ إِلَهَانِ مَعْبُودَانِ.

فَالْعِلْمُ بِأَنَّ وُجُودَ الْعَالَمِ عَنْ صَانِعَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ مُمْتَنِعٌ لِذَاتِهِ، مُسْتَقِرٌّ فِي الْفِطَرِ مَعْلُومٌ بِصَرِيحِ الْعَقْلِ بُطْلَانُهُ، فَكَذَا تَبْطُلُ إِلَهِيَّةُ الاثْنَيْنِ.

فَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مُوَافِقَةٌ لِمَا ثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ فِي الْفِطَرِ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، دَالَّةٌ مُثْبِتَةٌ مُلْزِمَةٌ لِتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ).

## (الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:-**

بعد أن ذكر ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- أن توحيد الربوبية والأدلة عليه كثيرةٌ جدًّا، وأشار أيضًا إلى مثله فيما يتعلق بتوحيد الألوهية، رجع هنا ليبين ويؤكد الموضوع الثاني، وأن توحيد الألوهية الأدلة عليه كثيرةٌ جدًّا، وهذا كله بناءً على إرجاع الضمير في قوله: (**فَلْيُعْلَمْ أَنَّ دَلَائِلَهُ مُتَعَدِّدَةٌ**) الضمير هنا يرجع

إلى توحيد الألوهية، وهذا الذي يدل عليه السياق والسباق، مع أن عددًا من شراح الكتاب أرجعوه إلى توحيد الربوبية، والسياق (٣٨:٦).

**فهذا من ابن أبي العز تأكيد على أن توحيد الألوهية الأدلة عليه كثيرةٌ جدًّا، لماذا؟**

لأن توحيد الربوبية من أدلته، توحيد الربوبية وما ورد في هذا التوحيد، هذا ضمن أدلة توحيد الألوهية، إضافةً إلى أدلةٍ أخرى وردت في الكتاب والسنة.

يقول: (**وَإِذَا كَانَ تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ الَّذِي يَجْعَلُهُ هَؤُلَاءِ النُّظَّارُ، وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الصُّوفِيَّةِ هُوَ الْغَايَةَ فِي التَّوْحِيدِ، دَاخِلًا فِي التَّوْحِيدِ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-، وَنَزَلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، فَلْيُعْلَمْ أَنَّ دَلَائِلَهُ**) الضمير يرجع إلى توحيد الألوهية (**مُتَعَدِّدَةٌ**) هذا كلام مأخوذ من الأصفهانية، ويكاد يكون بنصه.

يقول ابن أبي العز: أن انحراف المتكلمين في هذا الباب ليس لنقصٍ في الأدلة، ولغموضٍ في الأدلة، لا، الأدلة على توحيد الألوهية كثيرةٌ جدًّا، وليس كما يزعمه المتكلمون الذين يرون أن الأدلة على توحيد الربوبية قليلة، فكيف بالألوهية؟

**لماذا دلائله متعددة؟**

يذكر العلة: (**فَإِنَّ الْعِلْمَ كُلَّمَا كَانَ النَّاسُ إِلَيْهِ أَحْوَجَ كَانَتْ أَدِلَّتُهُ أَظْهَرَ، هذا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ بِخَلْقِهِ**)؛ لأن الجميع خُلقوا لعبادة الله -عَزَّ وَجَل- ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[الذاريات:٥٦]، فإذا كانت دلائله غامضة لا يتوصل إليها إلا الواحد بعد الواحد، فما حال الجماهير؟ كما يقولون، الذين لم يتعمقوا في علومه أين يذهبون؟ فمن رحمة الله -عَزَّ وَجَل- جعل أدلته كثيرةً وواضحةً وبيِّنة.

يقول المؤلف هنا: (**كَدَلَائِلِ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ وَدَلَائِلِ صِدْقِ الرَّسُولِ**) يريد أن يقول: أن أدلة إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَل-، وأن أدلة توحيد الربوبية هذه ضمن أدلة توحيد الألوهية، أيضًا جميع الأدلة التي تدل على صدق الرسول تدل أيضًا على توحيد الألوهية ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[النحل:٣٦]، ما دام أن هؤلاء عندكم صادقون، وليسوا كاذبين ومكذَّبين، ما

دام الأمر هكذا، وكلهم دعوا إلى توحيد الألوهية، فإذن نفس الأدلة التي تدل على صدق الرسول والرسل، أيضًا تدل على توحيد الألوهية، أيضًا أدلة توحيد الربوبية تدل على توحيد الألوهية.

كما سيأتي في كلام المؤلف، وسبق أيضًا في كلام المؤلف أن العلاقة بين التوحيدين علاقة تضمن واستلزام، فما دام أن الله -عَزَّ وَجَل- هو واحد في ربوبيته، فيلزمكم ويلزم الجميع أن يكون هو واحدًا في ألوهيته، وهذه الأدلة كلها ضمن أدلة توحيد الألوهية، فالأدلة كثيرة.

هذا الذي أقره المؤلف عليه أهل السُّنَّة والجماعة قاطبةً، يرون أن الأدلة في أنواع التوحيد كلها ظاهرة وبيِّنة.

قارن هذا الموقف بموقف المتكلمين، إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَل- عندهم الأدلة عليه، عندهم دليلٌ واحد وهو دليل مسكين، وهو دليل (١١:٢٠) دليل واحد إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَل- دليل واحد، إثبات وحدانيته دليل واحد دليل التمانع، إثبات صدق الرسل دليل واحد فقط وهو المعجزة، وإذا انضم إلى هذا كله تعقيداتهم في تركيب هذه الأدلة، دليل حدوث الأجسام، وكذلك دليل المعجزة معناه أن أكثر الخلق محرومون عن الأدلة في الربوبية، وفي إثبات صدق الرسول؛ لأن ترتيب أدلتهم، ترتيبهم للمقدمات في إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَل- عبر دليل حدوث الأجسام معقدة جدًّا، وهي عند المتأخرين سبع كما ذكرها البيجوري، وذكر: أن من أتقن هذه المقدمات السبق سيدخل الجنة من أبوابها السبع.

والجماهير منهم على أن مقدمات هذا الدليل أربع، وزادوا مقدمة خامسة لتعميم هذا الدليل، كلها أمور معقدة جدًّا، وأمور مختلفٌ فيها بينهم قبل غيرهم.

- **والخلاصة:** أن الأدلة على إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَل-، وعلى ربوبيته، وعلى قدرته، وعلى تدبيره أدلة شحيحة، دليلٌ واحد، دليل، وهذا الدليل هو الذي يتمركزون حوله، وكذلك دلائل صدق الرسل، الأدلة الكثيرة جدًّا اختصروها في دليلٍ واحد، وهو دليل المعجزة.

إذن قَارِن بين هذا، وبين هذا، بين موقف المتكلمين، وبين موقف أهل السنة.

- **ومن نتائج هذا التباين بين الموقفين:**

وضوح مسائل التوحيد بين أهل السنة، ما أوضحها سبحان الله! بدءًا من توحيد الربوبية، ومرورًا بتوحيد الألوهية، وانتهاءً بتوحيد الأسماء والصفات، ما أوضحها! واضحة جدًّا في مسائلها، واضحة جدًّا في مضامينها، واضحة جدًّا في أدلتها.

وما أغمضها عند المتكلمين! حتى الحق الذي يثبتونه يكون عبر أدلةٍ معقدة وطويلة قد يصل إليها البعض، ولا يصل إليها الأكثر، هذا كله بسبب تنكرهم لأدلة الكتاب والسُّنَّة، وانشغالهم بغير الكتاب والسُّنَّة، واعتمادهم على علم الكلام، وإذا كان هذا حالهم في أقسام التوحيد، والتوحيد كما قلت: بأقسامه الثلاثة من أوضح الأمور، إذا كان هذا حالهم هنا، فكيف ببقية المسائل؟!

(**فَإِنَّ الْعِلْمَ كُلَّمَا كَانَ النَّاسُ إِلَيْهِ أَحْوَجَ كَانَتْ أَدِلَّتُهُ أَظْهَرُ، رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ بِخَلْقِهِ**) أيضًا قَارِن هذا بنا يذكره المتكلمون خصوصًا في توحيد الأسماء والصفات، يذكرون أن الأدلة عمومًا فيها تشبيه، أنا لا أتحدث عن المعتزلة وعن الجهمية، أنا أتحدث عن الأشاعرة والماتريدية يرون أن الأدلة عمومًا فيها ظاهرها فيه تشبيه، وأن التنزيه الحق لم تأتِ به أدلةٌ واضحة إلا الإشارات الخفية التي قد يتنبه إليها (١٦:٥) – استغفر الله–، إشاراتٌ خفية جدًّا قد يتنبه إليها.

**ومن هذا الذي سيتنبه؟**

من المقطوع أن أحدًا من مدرسة محمد –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– لن يتنبه إليها، لم يدرسوا هذه العلوم، وهذا كله يخالف التوحيد ودلائله، لن يتنبهوا، لن يتنبه إلى ذلك إلا شرذمة ابن سينا وأتباعه وتلاميذه وشيوخه، أليس كذلك؟

وذكر: أن من هذه الأدلة الغامضة التي تشير إلى التنزيه الحق ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[الإخلاص:١]، يقول: هذا يدل على أن الصفات هذه لا بد أن تعطِّلها حتى تثبت الله –عَزَّ وَجَل– واحدًا، هذا دليل على التوحيد، وليس دليل على التعطيل.

يقول المؤلف بعد هذا الشارح: (**وَالْقُرْآنُ قَدْ ضَرَبَ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِيهِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**) كما لاحظنا أن ابن أبي العز –رَحِمَهُ الله– في أكثر من مناسبة يذكرنا بعظمة القرآن الكريم، وبعظمة أدلة القرآن الكريم، وبعظمة كلام الله –عَزَّ وَجَل–؛ لأن هذا الموضوع ترسيخه وتأصيله هذا الذي يذهِب هذه الوسواس وشياطين هذه الوساوس؛ أن تعرف لكلام الله –عَزَّ وَجَل– مكانته وعظمته؛ لذلك يقول هنا: (**وَالْقُرْآنُ**

**قَدْ ضَرَبَ اللَّهُ لِلنَّاسِ فِيهِ)**؛ أي في التوحيد **(مِنْ كُلِّ مَثَلٍ)** يشير إلى الأدلة الواردة في القرآن في توحيد الألوهية.

وهذا الذي ذَكَرَهُ ذَكَرَه الله -عَزَّ وَجَل- في أكثر من آية، يقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[الإسراء:٨٩].

**ما هو هذا المثل؟**

هو الذي يشير إليه الشارح بقوله: **(وَهِيَ الْمَقَايِيسُ الْعَقْلِيَّةُ الْمُفِيدَةُ لِلْمَطَالِبِ الدِّينِيَّةِ)** هذا المثل هو هذه المقاييس، وهذه المقاييس أنا ذكرت مرارًا: هذه أدلة القرآن، والمقاييس التي وردت في القرآن في المطالب الدينية من التوحيد، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالنبوات والرسل، هذه الأدلة وقع فيها تقصيرٌ كبيرٌ جدًّا من قِبَل المتكلمين؛ لأن المتكلمين يرون أن أدلة القرآن أصلًا ليست برهانية كما سنشير، وبالتالي اعتناؤهم بها ضئيل.

الدليل الذي يعتنون به وذكره أكثرهم إن لم يكن كلهم دليل الكمال، وأخطأوا فيه أيضًا كما أشرنا وسنشير.

يقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾[الإسراء:٨٩]، ويقول: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[الزمر:٢٧] ينظرون في هذه الأدلة، ويتدبرون فيها، ويقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر:٢١] يتذكرون ويتفكرون، ويقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٣].

ولذلك ذكر ابن القيم أو شيخ الإسلام: أن أحد السلف إذا لم يفهم مدلول مثل واردٍ في القرآن كان يبكي. ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٣].

ومن أكثر من اهتم بالأمثلة والمقاييس العقلية الواردة في القرآن شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ الله-، وكاد تلميذه أن يزيد عليه في هذا الباب ابن القيم -رَحِمَهُ الله-، ولكم أن تقرأوا كتابه العظيم [الكَلِم

الطيب] كتاب شيخ الإسلام [الكَلِم الطيب]، وما ذكره في شرح المثل النوري والمائي الذي ورد في سورة (البقرة)، وبعض الأمثلة التي شرحها، سبحان الله!

وهناك بعض الإخوة قال: ابن القيم له كتاب مستقل في هذا، وبعض الإخوة لهم جهود في جمع هذه الأمثلة، وشرحها من كلام الشيخين، وهي كتب مفيدة، أنت تستفيد من خلالها أدلة القرآن، الأدلة التي وردت في القرآن، وكذلك في السنة.

(**وَهِيَ الْمَقَايِيسُ الْعَقْلِيَّةُ الْمُفِيدَةُ لِلْمَطَالِبِ الدِّينِيَّةِ**) إذن هي مقاييس، والمقاييس جمع قياس، والقياس: هو تقدير شيء بشيء، أنت تقيس طول هذا بالنظر إلى شيء، تقدير شيءٍ بشيء، هذا لغةً.

**واصطلاحًا**: القياس ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وكلها موجودة في القرآن في المطالب العقَدية، وليس فيما يتعلق بالله -عَزَّ وَجَل-، ما يتعلق بالله -عَزَّ وَجَل- لا يجوز أن يستخدم منها إلا قياس الأولى، أما بالنسبة للمطالب العقدية الأخرى، فجميع الأقيسة موجودة في القرآن.

- **القسم الأول**: هو قياس التمثيل، وهذا سيأتي ذكره في كلام المؤلف، وسنشرحه هناك إن شاء الله، قياس التمثيل، وهذا قياس الفقهاء.
- **قياس الشمول**: وهو قياس المناطقة.
- **قياس الأولى**: هذا الذي يسمى في القرآن المثل الأعلى.

وهذه الأقيسة كثيرة جدًّا في القرآن، هذه الأقيسة التي وردت في اليوم الآخر فقط أفردت برسالة طُبعت الآن، طبعت في المجلد الكبير، والأقيسة التي وردت في الإيمان عمومًا أيضًا أظن أُفْرِدت برسالة.

يقول: (**وَهِيَ الْمَقَايِيسُ الْعَقْلِيَّةُ الْمُفِيدَةُ لِلْمَطَالِبِ الدِّينِيَّةِ**) **وكيف نفهمها؟ هل نفهمها حسب المقاييس التي نجدها في المنطق؟**

من هذه المقاييس ما ذكره الله -عَزَّ وَجَل- في سورة (الرعد) ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا**﴾[الرعد:١٧] شبَّه الله -عَزَّ وَجَل- ما ينزله من الوحي شبهه بالماء

الذي ينزله من السماء، وشبَّه القلوب بالأودية، فهناك قلبٌ واسع يسع علمًا واسعًا، وهناك قلبٌ ليس بذاك لا يسعه إلا علمًا قليلًا، وهذا المثل أيضًا شرحه شيخ الإسلام وتلميذه أيضًا، والأمثلة كثيرة جدًّا.

**كيف تعرف المثل والممثَّل له، والممثَّل به؟ هل تعرفه حسب المقاييس المنطقية؟**

لا، إذا عرفت أن تعرفها بهذه القوالب المنطقية، فقد ضعت.

هناك رسالة للغزالي اسمها [القسطاس المستقيم] رسالة صغيرة، وهي في الأشكال الخمسة المنطقية، معروفة الأشكال الخمسة في المنطق معروفة، وذكر أن هذه الأشكال الخمسة هي التي أشير إليها في [القسطاس المستقيم] وهي موجودة في القرآن، سبحان الله!

**أنت لما تُشبِّه شيئًا بشيء لماذا تشبهه؟**

لبيان عظمته، ومقارنته بذلك.

**مثلًا تقول: فلانٌ أسد، لماذا تشبهه بالأسد؟**

لأن كونه شجاعًا، وكونه كذا وكذا مسلَّم به، فإذا كان هذا الشخص الذي تشبهه به مقاربًا له في هذا الوصف، فهذا فيه كمال، إذن المستقر في ذهنك أن هذا الكمال هو في المشبه به أوضح وأظهر، فتشبهه به، أليس كذلك؟

**لما تُشَبِّه القرآن بتلك المقاييس التي وردت في المنطق، أول ما يظهر لك ماذا؟**

تعظيم ذلك العلم الذي هو الجهل، تعظيم تلك المقاييس والقوالب التي وضعها رجلٌ ملحد لم يهتدي في حياته إلى اليوم، أنت الآن تبرز عظمة القرآن، أو سبحان الله! ما الذي؟ طبعًا في ظنه أن وجود هذه المقاييس في القرآن هذا يدل على عظمته في ظنه، وليس الأمر هكذا، بل لو كان القرآن مثله لكان فيه من النقص، وما عاذ الله أن يكون كلام الله -عَزَّ وَجَل- مثله.

يقول المؤلف هنا: (**لَكِنَّ الْقُرْآنَ يُبَيِّنُ الْحَقَّ فِي الْحُكْمِ وَالدَّلِيلِ**) هذه ميزة المقاييس القرآنية، الحكم حقٌّ محض، والدليل حقٌّ محض، والدليل الذي هنا يُوصِل حتمًا إلى المدلول، (**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ؟**).

أيضًا من طريقة القرآن (**وَمَا كَانَ مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ مَعْلُومَةً ضَرُورِيَّةً مُتَّفَقًا عَلَيْهَا، اسْتُدِلَّ بِهَا**) **ولم يستدل لها** (**اسْتُدِلَّ بِهَا**) هنا من المقدمات ما تكون ضرورية، ما دام هي ضرورية ومعترفٌ بها بيني وبينك استدل بها لإلزامك، ما أجعلها ترتيبًا معينًا، مُقَدِّمَةً معينةً لا بد منها في الوصول إلى النتيجة، لا، القرآن ليس هكذا؛ ولذلك كان القرآن معجزًا.

إعجاز القرآن في بلاغته، فصاحته، في معانيه، في ترتيبه، وكما قلت سابقًا: إعجاز القرآن يبدأ من الحرف، ثم الكَلِمَة، ثم الجملة، ثم السياق؛ لو أخذت حرفًا من الحروف التي (حروف المعاني) التي استُخْدِمَت في جملة ووضعت بدلها حرفًا آخر لن يكن مثل ما كان في القرآن أبدًا، لو أخذت كلمةً وَرَدَت في جملة وضعت بدلها كلمة أخرى مستحيل يكون مثل، وكذلك في الجملة، وكذلك في السياق، بلاغة القرآن، وإعجاز القرآن، لو كان على نمط القياس المنطقي لم يكن بهذا الشكل، القياس المنطقي، والقياس الأرسطي علم مجهول (١٥: ٣٠).

يقول: (**اسْتُدِلَّ بِهَا وَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى الِاسْتِدْلَالِ عَلَيْهَا، وَالطَّرِيقَةُ الفصيحَةُ فِي الْبَيَانِ أَنْ تُحْذَفَ**) تلك المقدمات التي هي ضرورية ومتفقٌ بينك وبين الخَصم، ولا أحد يختلف فيها (**الطَّرِيقَةُ الفصيحَةُ فِي الْبَيَانِ أَنْ تُحْذَفَ**) (**الطَّرِيقَةُ الفصيحَةُ فِي الْبَيَانِ**) عمومًا (**أَنْ تُحْذَفَ**) فكيف بكلام الله -عَزَّ وَجَل-؟!

(**وَهِيَ طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ، بِخِلَافِ مَا يَدَّعِيهِ الْجُهَّالُ، الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ فِيهِ طَرِيقَةٌ بُرْهَانِيَّةٌ**).

**يرون أن القرآن ليس فيه طريقة برهانية، لماذا؟**

لأن الطرق البرهانية يتوصل إليها عبر نتائج مرتبة ترتيبًا منطقيًّا، وبما أن هذا الترتيب غير موجود في القرآن، فأدلته ليست برهانية، سبحان الله!

**أنا سأقرأ عليكم نصًّا لأحد فحول المتكلمين:**

- أولًا: لنعرف حالهم مع أدلة القرآن.
- وثانيًا: حتى تحمد الله -عَزَّ وَجَل- على تعظيمك لكلام الله -عَزَّ وَجَل-.

وهذا الذي نقرأ كلامه ليس رجلًا عاديًّا، هذا الشيخ تلميذ الجويني، وأحد أئمة المتكلمين في عصره، الإمام الوحيد في عصره وهو أبو حامد الغزالي توفي سنة ٥٠٥هـ.

يقول الغزالي في كتابه [إلجام العوام عن علم الكلام] سبحان الله!

بعض الإخوة يظنون أن هذا الكتاب فيه رجوع للغزالي عن علم الكلام، هكذا يقولون –أليس كذلك يا شيخ عبد الوهاب؟– أنا قرأت هذا الكتاب –سبحان الله!– من أخطر الكتب في علم الكلام.

وهو إذا قلت: لم يُنسَج على منواله قبله وبعده إلا بعض المتهوكين في هذا العصر، كلامنا طبعًا في حدود اطِّلاعي، لم يذهب إلى ما ذهب إليه أحدٌ من المتكلمين، لم أطَّلِع، تعرفون أنا مطَّلع بكتبهم لم أجد أحدًا ذهب إلى ما ذهب إليه، مقولتهم معروفة، **{مذهب السلف أسلمُ ومذهب الخلف أعلم وأحكم}**، إذن هناك مذهب للسلف، ومذهب للخلف.

الغزالي يدَّعي في هذا الكتاب: أن ما نحن عليه هو مذهب السلف. طبعًا على مذهبه بعض المتهوكين من المعاصرين الذين ما يدرون كيف يردُّون على أهل السنة، ما يدري، كحاطب ليل يستغيث بكل حاطب الليل.

يقول الغزالي هنا: طبعًا إلجام العوام عن علم الكلام] علم الكلام فيه تلك الأدلة التي تخرج بها من التقليد، ويكون إيمانك إيمان مبنيًّا على الدليل عندهم.

**يقول**: {فإن قال قائل: العامي إذا مُنِع من البحث والنظر لم يعرف الدليل} في الأصل هو الآن الدليل في علم الكلام، {ومن لم يعرف الدليل كان جاهلًا بالمدلول، وقد أمر الله تعالى كافة عباده بمعرفته؛ أي بالإيمان به، والتصديق بوجوده أولًا، وبتقديسه عن سمات الحوادث ومشابهته غيره ثانيًا، وبوحدانيته ثالثًا، وبصفاته رابعًا، وهذه الأمور ليست ضرورية، هي تحتاج إلى نظر، فهي إذن مطلوبة، وكل علم مطلوب، فلا سبيل إلى اقتناصه ولا تحصيله إلا بشبكة الأدلة والنظر في الأدلة، والتفطن بوجه دلالة هذا المطلوب، وكيفية إنتاجها، وذلك لا يتم إلا بمعرفة شروط البراهين، وكيفية ترتيب المقدمات واستنتاج النتائج}، كما ذكرت يعني رضي الله عن الصحابة كلهم محرومون عن هذا، ونحن معهم.

{وينجرُّ شيئًا فشيئًا إلى تمام علم البحث واستيفاء علم الكلام إلى آخر النظر في المعقولات، وكذلك يجب على العامي أن يصدق الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في كل ما جاء به، ومعرفة حقيقة المعجزة وشروطها، إلى آخر النظر في النبوات، وهو لُب علم الكلام}.

طيب، إذا كنت تمنع العوام عن علم الكلام، فقد منعتهم النظر في الأدلة عمومًا.

ثم أجاب، أجاب عن هذا السؤال، وهذا الجواب هو الذي نتحدث عنه، وهذا الجواب الذي ذكره هنا المسألة الأولى التي ذكرتها هو انفرد بها: أن مذهب السلف هو مذهب الخلف، والعكس، ولكن هذا الجواب الذي ذكره، هذا جواب المتكلمين عمومًا.

**يقول:** {قلنا: الواجب على الخلق الإيمان بهذه الأمور، والإيمان عبارةٌ عن تصديقٍ جازمٍ لا تردد فيه، ولا يشغل صاحبه بإمكان وقوع الخطأ فيه، وهذا التصديق الجازم يحصل على ست مراتب}.

**على كم مرتبة؟**

ست مراتب.

مجمل كلامه هو لبيان أن القرآن عيَّن (٣٧:٣٣) فيه بعض الأدلة، ولكن انظر أين وضع أدلة القرآن.

**ست مراتب:**

- الأولى: {وهي أقصاها ما يحصل بالبرهان المستقصي المستوفي شروطه، المحرر أصوله ومقدماته درجةً درجةً، وكلمةً كلمةً}. أين هذا؟ في كتب المنطق، وكتب الفلسفة، أليس كذلك؟ إذن العالم الذي لا يعلم هذه الأمور مسكين، ولو بلغ درجة الاجتهاد لا يوثق به بعلمه. طبعًا هذا ذكره الغزالي في مقدمة كتابه [المستصفى].

{حتى لا يبقى مجال احتمالٍ، وتمكن التباسٍ، وذلك هو الغاية القصوى، وربما يتفق ذلك في كل عصرٍ لواحدٍ أو اثنين} -حتى لا تحلموا بهذه الدرجة- {ممن ينتهي إلى تلك الرتبة، وقد يخلو العصر عنه، ولو كانت النجاة مقصورة على مثل تلك المعرفة لقلت النجاة وقلَّ الناجون}.

من الغريب أن ابن رشد الذي رد على الغزالي، ذكر أن الغزالي نفسه لم يبلغ إلى هذه الدرجة، وسبب ذلك كما يقول ابن رشد: {أنه لم ينظر إلا في كتب ابن سينا، فلحقه القصور في الحكمة من هذه الجهة}، هناك من أخرجه أيضًا.

**طبعًا [إلجام العوام عن علم الكلام]، من هم العوام؟**

فيهم المحدثون، والمتكلمون أيضًا فيهم، حتى المتكلمون، فلا تظن أن العوام عنده؛ لأن عنده الناس هم خواص وعوام، والخواص هم الذين وصلوا إلى هذه الدرجة.

- **الثانية:** {أن يحصل بالأدلة الوهمية الكلامية المبنية على أمور مسلمةٍ مصدقٍ بها}.

**لماذا صَدِّقَ بها؟ هل هي مبنية على الأدلة؟**

{لاشتهارها بين أكابر العلماء، وشناعة إنكارها، ونفرة النفوس عن إبداء المراء فيها، وهذا الجنس أيضًا يفيد في بعض الأمور، وفي حق بعض الناس تصديقًا جازمًا، بحيث لا يشعر صاحبه بإمكان خلافه أصلًا} لا يشعر مع أن فيه.

- **الثالثة:** {أن يحصل التصديق بالأدلة الخطابية؛ أعني القدرة التي جرت العادة باستعمالها في المحاورات والمخاطبات الجارية في العادات، وذلك يفيد في حق الأكثرين تصديقًا ببادئ الرأي، وسابق الفهم}.

يعني لما يسمعون هذه الأدلة، وما فيها من (٤٠:٥٢) والبلاء ينخدعون بها –نعوذ بالله–.

{إن لم يكون الباطن مشحونًا بالتعصب} طبعًا هذه الجملة لا معنى لها، ما دام أن الدليل هو ضعيف، فما دخلك في تعصبه أو في غير تعصبه؟!

يقول: {إن لك يكن الباطل مشحونًا بالتعصب وبرسوخ اعتقاد على خلاف مقتضى الدليل، ولم يكن المستمع مشغوفًا بتكلف المماراة والتشكك، ومبتهجًا بتحقيق المجادلين في العقائد، وأكثر أدلة القرآن من هذا الجنس} –نعوذ بالله–.

المرتبة الأولى، الثانية، لا، الثالثة: {أن يحصل التصديق بالأدلة الخطابية؛ أي أعني القدرة التي جرت العادة باستعمالها في المحاورات والمخاطبات الجارية في العادات}.

الأدلة الخطابية خلاصتها: أن القوة فيها، مكمن القوة فيها خطاب الشخص إذا استطاع أن يقنعك بخطابه، بفصاحته، ببلاغته يكفي، ما تنظر إلى مادة الدليل هل هي صحيحة أم لا، لا.

كلامه طويل.

ذكر هنا أيضًا: {أن من هذه الأدلة دليل التمانع}، سبحان الله! لا إله إلا الله.

أحد الأشاعرة وهو محمد المعتصم بالله البغدادي هو الذي حقق [إلجام العوام] وله تعقبات غريبة جدًّا، وهو أشعري متعصب تعقَّب الغزالي، هذا الأشعري تعقب الغزالي.

**يقول:** {العجب من الغزالي الإمام الكبير أنه يعتبر أكثر أدلة القرآن من النوع الثالث، وهو غير مسلَّمٍ له:

- أولًا: لأنه تطبيقٌ لقواعد المنطق الأرسطي على نصوص القرآن.
- ثانيًا: لا يجوز أن يجعل أكثر الأدلة القرآنية دون البرهان في التصديق الجازم، وهذا مستفاد من قول الغزالي: قبل عصر الأولى وهي أقصاها.
- ثالثًا: الأدلة الخطابية كما هو معلومٌ من كتب الغزالي، وخصوصًا [المعيار] ظنية، وهذا يعني أن أدلة القرآن ظنية، بينما الأدلة العقلية الفلسفية القائمة على البرهان قاطعة.
- رابعًا: كيف يجوز للغزالي وهو يعرض لـ[إلجام العوام عن علم الكلام] أن يتعرض لهذه المسألة المنطقية الفلسفية؟!}.

طبعًا هذا رد فيه ما هو صحيح، وفيه ما هو قابل للمناقشة.

هذه مكانة أدلة القرآن عند المتكلمين، وذكرت لكم سابقًا أن ممن وهن دليل التمانع هو التفتازاني -رَحِمَهُ الله-، وكتب عليه أحد المتكلمين المتأخرين كتابًا كفَّره بسبب هذا التهوين والتوهين كفَّره، واستدل بكلام أبي معين النسفي في رده على أبي هاشم المعتزلي -ذكرناه سابقًا- استدل بكلامه، وذكر أن هذا الكلام ينطبق على التفتازاني أيضًا.

جاء واحد بعده وهو الكرماني رد على من رد على التفتازاني، وألف كتابًا، هذا الكتاب لم أطَّلِع عليه، حتى الأول لم أطَّلع عليه، هذا نقل عنه ابن الهمام في كتابه [المسايرة]، أو نقله ابن أبي شريف،

المهم هو موجود في [المسامرة على المسايرة] [المسامرة] لابن أبي شريف، شرح لـ[المسايرة] لابن الهمام، والكتاب مبنيٌّ على [قواعد العقائد] للغزالي مختصر؛ لذلك سماه [المسايرة]، يسايره، و[المسامرة] شرحه ذكر فيه بعض الفقرات التي وردت في كتاب الكرماني في الرد على من رد على التفتازاني.

الكرماني دافع عن التفتازاني بكلام الغزالي هذا، **يقول:** {كيف تكفِّر شخصًا يبيِّن عظمة الأدلة القرآنية مثل ما بيَّنها حجة الإسلام؟! كيف تكفره؟!} سبحان الله! هكذا يدافع.

يقول: (**بِخِلَافِ مَا يَدَّعِيهِ الْجُهَّالُ، الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ فِيهِ طَرِيقَةٌ بُرْهَانِيَّةٌ**) طبعًا من سياق كلام الغزالي: أن عدم كون أدلة القرآن برهانية واضح في أمورٍ كثيرة منها الترتيب الذي ذكر أن هناك ترتيبًا معين للجمل والكلمات، وهذا الترتيب لن يجده في القرآن.

ولذلك رد عليه أيضًا السيوطي ردًّا جميلًا، وذكر أن سبب انحرافه في هذا الباب –طبعًا هو لم يسميه– سبب انحرافه في هذا الباب أنه قارن القرآن ونظر فيه حسب الأصول الأرسطية المنطقية.

يقول: بخلاف ما قد يشتبه ويقع في نزاع.

**المقدمات تنقسم إلى قسمين:**

– مقدمات متفقٌ عليها بينك وبين الخصم، لا تحتاج أن تركبها، تضمنها في الحجة، في مقدمات الحجة.

– والقسم الثاني: المقدمة التي تحتاج إلى دليل، وهذه تذكرها حتمًا.

– وهناك قسم ثالث، وهو أن بعض المقدمات قد يكون فيها اشتباه ونزاع، نعم هي واضحة عندك، وقد تكون واضحة عند الخصم أيضًا، ولكن فيها نزاع، وفيها شيء من الاشتباه، هذه المقدمات أيضًا تُضَمِّنُهَا الدليل، لا تقول: أنا أقتصر على المقدمات التي تحتاج إلى دليل وأغْفِل هذا، لا، حتى هذا اذكره، (**فَإِنَّهُ يُبَيِّنُهُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ**) (**فإنه**) القرآن، هكذا هنا عندنا في شرح ابن أبي العز، طبعًا الكلام مأخوذ من [شرح الأصبهانية]، هناك (فإنه يُنبَّه ويُدَل عليه) وهذا أحسن؛ لأن الأول إخبار عن القرآن، والثاني إفهام للطريقة؛ طريقة تركيب المقدمات.

على كل حال، قد يكون ابن أبي العز غيَّره إلى هذه العبارة، وقد يكون خلل في النسخ، نحن المفروض تكون عندنا نسخ متعارف بين المطبوع والمخطوط.

يقول: (**وَلَمَّا كَانَ الشِّرْكُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ مَعْلُومَ الِامْتِنَاعِ عِنْدَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، بِاعْتِبَارِ إِثْبَاتِ خَالِقَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ فِي الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ**).

المؤلف هنا رجع إلى الربوبية، ويجيب على سؤال وهو: **إذا كنتم ترون أن توحيد الربوبية والعلم بإثبات وجود الله –عَزَّ وَجَل– فطريٌّ، هذا العلم مركوزٌ في فطر بني آدم، فلماذا هذه الأدلة الكثيرة في القرآن لإثبات ربوبية الله –عَزَّ وَجَل–، لإثبات وجوده، ولإثبات علمه وقدرته، لماذا؟**

أليس هذا السؤال (٣٦:٣٩)؟

يجيب على هذا بذكر أمرٍ قد نغفل عنه لما نتحدث عن إيمان المشركين وتوحيد المشركين، وهذا أثاره كثيرٌ ممن رد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقبله كثيرٌ ممن رد على شيخ الإسلام.

نحن لما نقول: أن المشركين عندهم توحيد الربوبية، لا بد أن نقيد هذه الجملة بقولنا بـ(الجملة)، عندهم توحيد الربوبية (في الجملة) **لماذا؟**

لأن عندهم خلل في الربوبية، وهذا الخلل هو الذي سبب خللهم وانحرافهم في الألوهية، وهذا كان سببًا في انحرافهم في الربوبية.

ولما نقول: أن المشركين كانوا مؤمنين وموحدين توحيد الربوبية، لا بد أن نقيد هذا نقول: (في الجملة) هذا الذي يبينه ابن أبي العز هنا.

(**وَلَمَّا كَانَ الشِّرْكُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ مَعْلُومَ الِامْتِنَاعِ عِنْدَ النَّاسِ كُلِّهِمْ، بِاعْتِبَارِ خَالِقَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ فِي الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ**) طبعًا هذا شرحه فيما سبق، يقول: إذا كان الأمر هكذا.

(**وَإِنَّمَا ذَهَبَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَنَّ ثَمَّ خَالِقًا خَلَقَ بَعْضَ الْعَالَمِ، كَمَا يَقُولُهُ الثَّنَوِيَّةُ فِي الظُّلْمَةِ**).

يقول: نحن مع ذلك التقرير الذي أكدنا فيه أن الشرك في الربوبية (**بِاعْتِبَارِ إِثْبَاتِ خَالِقَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ فِي الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ**) هذا لم يوجد، وبالتالي نقول للمتكلمين: على من تردون؟ تركيزهم على هذا

التوحيد لماذا؟ نقول: هذا غير موجود، ولكن مع ذلك نثبت أن هناك انحرافًا جزئيًّا في توحيد الربوبية في بعض الناس، في بعض الملل، منهم مشركو قريش.

**مثلًا**: الثنوية عندهم انحراف في هذا الباب؛ لأنهم يقولون: أن النور والظلمة، وأن بعض المفعولات وبعض المخلوقات، أكثر المخلوقات للنور، وبعض المخلوقات وهو الشر ولواحقه للظلمة.

**(وَكَمَا يَقُولُهُ الْقَدَرِيَّةُ فِي أَفْعَالِ الْحَيَوَانِ)** المراد بالحيوان هنا الحي، القدرية هم المعتزلة يرون أن أفعال الإنسان هي مخلوقةٌ له، هذا مذهب من؟ مذهب المعتزلة، وبالتالي عندهم شرك؛ ولذلك هم يسمُّون مجوس هذه الأمة.

**(وَكَمَا يَقُولُهُ الْفَلَاسِفَةُ الدَّهْرِيَّةُ فِي حَرَكَةِ الْأَفْلَاكِ، أَوْ حَرَكَاتِ النُّفُوسِ، أَوِ الْأَجْسَامِ الطَّبِيعِيَّةِ)** عندهم أيضًا هذا الشرك يرون أن الأفلاك حركة الأفلاك، أو حركات النفوس، أو حركات الأجسام الطبيعية يرون أن حركاتها ليست من إحداث وخلق الله -عَزَّ وَجَل-، مع أنهم يُرجعُون خلق العالم كله إجمالًا يرجعونه إلى المبدأ الأول، ولكنهم لما يأتون إلى العالم العلوي والسفلي يُرجعون إحداث بعض المخلوقات إلى غير الله -عَزَّ وَجَل-، وهذا شرك في الربوبية.

**(فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يُثْبِتُونَ أُمُورًا مُحْدَثَةً)**؛ أي مخلوقةً **(يُثْبِتُونَ أُمُورًا مُحْدَثَةً بِدُونِ إِحْدَاثِ اللَّهِ إِيَّاهَا)**؛ أي بعض المخلوقات لا يشملها خلق الله -عَزَّ وَجَل-، ليس هو الذي خلقها **(فَهُمْ مُشْرِكُونَ فِي بَعْضِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَكَثِيرٌ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ قَدْ يَظُنُّ فِي آلِهَتِهِ شَيْئًا مِنْ نَفْعٍ أَوْ ضُرٍّ، بِدُونِ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ)** مشركو العرب لما يستغيثون بتلك الأصنام، ويتعوذوا بتلك الأحجار والأشجار، قد يرون أن الله -عَزَّ وَجَل- أقدرهم على بعض النفع، وبعض الضُّر، وهذا الذي أقدرهم عليه بإمكانهم أن يُحدثوه دون أن يكون من خلق الله -عَزَّ وَجَل-، هذا شرك جزئي؛ فلذلك لا بد أن نقيد هذه الجملة لما نقول: عندهم توحيد، كانوا مقرِّين بتوحيد الربوبية نقول: (في الجملة).

طيب، ما دام أن هناك انحرافًا جزئيًّا في توحيد الربوبية أيضًا **(وَلَمَّا كَانَ هَذَا الشِّرْكُ فِي الرُّبُوبِيَّةِ مَوْجُودًا فِي النَّاسِ)** هذا الشرك بهذا الشكل، هذا الشرك بهذا التفصيل موجودًا في الناس **(بَيَّنَ الْقُرْآنُ بُطْلَانَهُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ **[المؤمنون:٩١])** وهذه الآية في سورة (المؤمنون)، والآية الأخرى التي

فيها التمانع في الألوهية هي في سورة (الأنبياء) ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢] تلك الآية التمانع فيها في الألوهية، وهذه الآية التمانع فيها في الربوبية، ومع هذا، مع أن هذه الآية صريحة في التمانع في الربوبية.

وهذا الذي سيشرحه ابن أبي العز التمانع في هذه الآية باتفاق المفسرين سلفهم وخلفهم التمانع في هذه الآية هو في الربوبية، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ﴾[المؤمنون:٩١]؛ أي كل ربٍّ ﴿بِمَا خَلَقَ﴾[المؤمنون:٩١]، التمانع هنا في الربوبية، والتمانع هناك على قول كثيرٍ من السلف في الألوهية.

مع ذلك كله، مع هذا الوضوح تجد المتكلمين لما يتحدثون عن برهان التمانع يأتون إلى آية سورة (الأنبياء) ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢].

وهناك آية أوضح وفيها التمانع في الربوبية، إما لا يذكرون إلا تلك الآية، ويغفلون هذه الآية، أو يذكرون تلك الآية لبيان التمانع في الربوبية، ويجعلون هذه الآية مؤيدةً ومفصلةً لها.

* * *

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:-**

ذكرنا أن هذه الآية التي ذكرها ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- هذه الآية فيها تمانعٌ في الربوبية، وعلى هذا الأساس شرح ابن أبي العز، واتفقت كلمة السلف والخلف على كون هذه الآية في التمانع في الربوبية، ومع ذلك كان المتكلمين لما يأتون إلى برهان التمانع يذهبون إلى آية سورة (الأنبياء)، ولا يعرِّجون على هذه الآية ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢].

والمفروض أن يبدؤوا بهذه الآية، بل ويقتصروا عليها؛ لأن التمانع في الربوبية في هذه الآية، أما تلك الآية فهي في التمانع في الألوهية كما سيأتي شرح ابن أبي العز للتمانع فيها، التمانع فيها في سورة (الأنبياء)، في آية الأنبياء في الألوهية، والتمانع هنا في سورة (المؤمنون) في آية المؤمنون في الربوبية.

يقول ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله-: (**فَتَأَمَّلْ هَذَا الْبُرْهَانَ**) طبعًا من هنا إلى قوله في الصفحة الثانية (**كَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ إِلَهَانِ مَعْبُودَانِ**) من هنا إلى هناك (٢:١٨)، مأخوذ [الصواعق المرسلة] (المجلد الثاني الأصلي)، هذا مأخوذ من كلام ابن القيم هناك.

يقول: (**فَتَأَمَّلْ هَذَا الْبُرْهَانَ الْبَاهِرَ، بِهَذَا اللَّفْظِ الْوَجِيزِ الظَّاهِرِ**) جمع بين أمرين:

- برهان واضح جدًّا جليٌّ، وليس هناك أوضح منه.
- واللفظ وجيزٌ ومختصر.

هذا من خصائص أدلة القرآن، أما أدلة أولئك، كلامٌ طويل، وقد تصل إلى نتيجة، وقد لا تصل إلى نتيجة، إن حصَّلت فائدة فكلامٌ طويل، وفائدة ضئيلة جدًّا.

الآن يشرح، يشرح التمانع هنا.

■ **ذكر هنا ثلاثة أمور في شرحه للتمانع في هذه الآية ثلاثة أمور:**

- الأمر الأول: ما دام أن هناك آلهة يفترض أن هناك آلهة، وهم أرباب، والرب أبهر صفاته الخلق والقدرة، والعلو على كل شيء، أبهر صفات الرب الخلق والقدرة والعلو على كل شيء، ما دام أنه خالق فله مخلوقات ومصنوعات، ما دام له مصنوعات، وطبعًا نحن افترضنا —نعوذ بالله- آلهة، فذلك الإله أيضًا له مصنوعات ومخلوقات، فهذا الإله الذي له مصنوعات ومخلوقات هذا لن يرضى بمشاركة غيره معه في مخلوقاته، حتى مخلوقاتُ الثاني يستطيع، قدرته شاملة؛ لأنه افترضته إلهًا، وافترضته ربًّا، هناك مخلوقات له، وهناك مخلوقات أخرى، فقدرته شاملة لمخلوقاته، ومخلوقات غيره، حاله مع أولئك لن يرضى أن يشاركه أحد، وبالتالي سيحاول أن يقهر الشريك ما استطاع في أقل الأحوال سينفرد بما خلقه هو.

**وهل هذا هو الحاصل في الكون، جزء منه خلقه هذا بقوانين محددة، وجزء منه خلقه فلان بقوانين محددة؟**

لا، كما يقول المؤلف: (**انْتِظَامُ أَمْرِ الْعَالَمِ كُلِّهِ وَإِحْكَامِ أَمْرِهِ**) دليل على أنه لم يحصل هذا، ما دام أنه لم يحصل، فكلها من خلق خالقٍ واحد، لو وُجِد له شركاء في الخلق لحصل هذا الذي أشار إليه الله

-عَزَّ وَجَل-: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا﴾[المؤمنون:٩١] لو كان معه إله ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾[المؤمنون:٩١]، طبعًا ﴿بِمَا خَلَقَ﴾[المؤمنون:٩١] هذا يدل على أن الألوهية هنا بمعنى الربوبية، **لماذا؟** سيشرح ﴿وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[المؤمنون:٩١].

يقول: (**فَإِنَّ الْإِلَهَ الْحَقَّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِقًا فَاعِلًا**).

إذا لم يكن خالقًا، وإذا لم يكن فاعلًا وصانعًا، فلماذا عُبِدَ يعني أصلًا؟! شو الفرق بينه وبين المخلوقين الآخرين؟! ما دام هو إله افترضته إلهًا فعنده خلق، وعنده قدرة، عنده أيضًا قدرة على إيصال النفع لعابديه، ودفع الضر عن عابديه، (**فَإِنَّ الْإِلَهَ الْحَقَّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِقًا فَاعِلًا**)؛ لأنك افترضته إلهًا، فلا بد أن يكون خالقًا.

طيب، (**لَوْ كَانَ مَعَهُ سُبْحَانَهُ إِلَهٌ آخَرُ يُشْرِكُهُ فِي مُلْكِهِ، لَكَانَ لَهُ خَلْقٌ وَفِعْلٌ**) أنت افترضت -نعوذ بالله- أن هناك إلهٌ يشركه في ملكه، كيف يشركه في ملكه؟! لأن له مخلوقات، وله مصنوعات، وإلا كيف يشركه في الملك؟! افترضت هكذا، ما دام أن له مخلوقات، (**فَلَا يَرْضَى تِلْكَ الشَّرِكَةَ، بَلْ إِنْ قَدَرَ عَلَى قَهْرِ ذَلِكَ الشَّرِيكِ وَتَفَرُّدِهِ بِالْمُلْكِ وَالْإِلَهِيَّةِ دُونَهُ فَعَلَ**) هذه الخطوة الأولى، سيحاول أن يقهره حتى ينفرد بالملك.

أنا ذكرت في الدرس الماضي: أن الله -عَزَّ وَجَل- ذكر اسميه الكريمين (الواحد والقهار)، ذكرهما متقارنتين في أكثر من سورة، في سورة الزمر، وقبلها وبعدها ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[غافر:١٦]، هذان الاسمان الكريمان.

طبعًا، كما ذكر الشيخ ابن عثيمين في [القواعد المثلى]: الأسماء الحسنى هي حسنى؛ لأنها بلغت في الحسن غايتها.

**والحسن فيها من وجهين:**

- للكمال الموجود فيها.

- ولاقترانها باسمٍ آخر؛ لما يُقْرَن اسم باسم يكون كمالٌ إضافي، كما تحدون في اقتران العلل بالحكمة، والعز بالحكمة، والقهر هنا بالوحدانية، فالله -عَزَّ وَجَل- هو الواحد القهار، هو واحد؛ لأنه يقهر جميع

المخلوقات، لو لم يكن هناك قهر، أولئك الطواغيت والعصاة (٩:٤٨) كانوا يرضون؟ كانوا يدَّعون الألوهية، فرعون يدعي الألوهية، ولكن الله -عَزَّ وَجَل- أرغم أنفه وَغَرَقَهُ.

فاقتران هذين الاسمين يدل على أن الله -عَزَّ وَجَل- هو الواحد؛ لأنه قهر جميع المخلوقات، هكذا حالُ هذين الشريكين المفترضين، لا أحد يرضى أن يشركه فيه، فكان من الطبيعي أن يسعى إلى قهره. هذه الخطوة الأولى.

(**وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ انْفَرَدَ بِخَلْقِهِ**) هذه الخطوة الثانية (**وَذَهَبَ بِذَلِكَ الْخَلْقِ**)؛ لأن له مخلوقات، لا يرضى أن يشركه فيها غيره، في أقل الأحوال كان ينفرد بما خلقه، وسيميزها عن خلق غيره (**كَمَا يَنْفَرِدُ مُلُوكُ الدُّنْيَا بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِمَمَالِكِهِ، إِذَا لَمْ يَقْدِرُ الْمُنْفَرِدُ مِنْهُمْ عَلَى قَهْرِ الْآخَرِ وَالْعُلُوِّ عَلَيْهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَحَدِ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ**) بعد هذا الافتراض (**لَا بُدَّ مِنْ أَحَدِ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ**).

- الأمر الأول: (**إِمَّا أَنْ يَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِخَلْقِهِ وَسُلْطَانِهِ**).

وإذا كان الأمر هكذا، سيكون العالم فيه قوانين مختلفة، أليس كذلك؟ لأن كل إلهٍ له نمطه في الخلق، وله نمطه في التقدير، أليس كذلك؟

- (**وَإِمَّا أَنْ يَعْلُوَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ**)؛ يعلو بعضهم على بعض وتستمر المغالبة.
- (**وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا تَحْتَ قَهْرِ مَلِكٍ وَاحِدٍ يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَا يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ، بَلْ يَكُونُ وَحْدَهُ هُوَ الْإِلَهُ، وَهُمُ الْعَبِيدُ الْمَرْبُوبُونَ الْمَقْهُورُونَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ**).

هذه كم صورة؟ ثلاث.

■ **الآن ننظر ما هو الواقع من هذه الصور الثلاثة؟**

(**وَانْتِظَامُ أَمْرِ الْعَالَمِ كُلِّهِ وَإِحْكَامِ أَمْرِهِ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ مُدَبِّرَهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ**).

طبعًا الآن هناك مقولة معروفة عند الفيزيائيين: **{من الذرة إلى المجرة القوانين واحدة}**، من الذرة إلى المجرة.

الذرة هذه هي التي لا تُرَى بالعين المجردة إلا إذا كُبِّرت بلايين، أو -ما أدري- عشرة بلايين مرة لا تُرى بالعين المجردة إلا إذا كُبِّرت مثلًا بأظن بعشرة بلايين مرة الذرة، والتي هي لها أجزاء أيضًا ثلاث

أجزاء معروفة عندكم: (إلكترون، ونيترون، وبروتون) هذه أجزاء الذرة، ولها نواة، هذه كم صارت؟ (أربعة) مع هذا كله يرون أن أكثرها فضاء، هذا الصِّغَر مع ذلك أكثره فضاء.

يقولون هؤلاء المتخصصون، يقولون: أن قوانين العالم من الذرة إلى المجرة واحدة؛ ولذلك بعض الفيزيائيين، أو بعض العلماء المعاصرين لما رأوا هذه الدقة المتناهية التي لا تنخرم. طبعًا هم ما يعرفون عن معجزات، وما يعرفون، كفار هم. ذهب بعضهم إلى أن نعم الخالق هو الذي خلق هذا العالم، ولكنه بعد خَلْقِهِ خَلَقَهُ بشكلٍ لا يحتاج إليه، فالعالم لا يحتاج إلى الخالق بعد خلقه، هذا مذهب ديكارت، وهو فيلسوف معروف نبيّهم الآن يعني الغربيين يؤمنون به أكثر من الأنبياء

ديكارت يرى أن الإيمان أن يؤمن بالله -عَزَّ وَجَل- وهو الخالق، وهو المدبر، هو الخالق، ولكنه بعد خلقه العالم ليس العالم بحاجة إليه أبدًا؛ لأن قوانين العالم من دقتها أنها لا تنخرم، وليست بحاجة إلى تدبير أحد. طبعًا هذا جهله، ما يدري عن هذا التدبير فعل الله -عَزَّ وَجَل-، ولكنه إذا شاء خرمها، وها هي المعجزات.

المعجزات عبارة عن خرق هذه السنن الكونية، الله -عَزَّ وَجَل- يخرقها، والله -عَزَّ وَجَل- يخرمها كما يريد، هذه القوانين الكونية خرقها هي المعجزات، فكثير منهم أسلموا، ولكن للأسف الشديد لا يصلون إلى الإسلام الصحيح بسبب عوامل كثيرة منها هؤلاء المجرمون المتكلمون الذين يمثِّلون الإسلام، وكذلك كثيرٌ من الفرق التي تدَّعي الإسلام، وليس لها من الإسلام إلا ما تهواه.

**المهم هنا:** أن انتظام أمر العالم كله يدل على أن خالقه واحد.

يقول: (**مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ مُدَبِّرَهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَمَلِكٌ وَاحِدٌ، وَرَبٌّ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ لِلْخَلْقِ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ لَهُمْ سِوَاهُ، كَمَا قَدْ دَلَّ دَلِيلُ التَّمَانُعِ**) دليل التمانع في الربوبية؛ لأن هناك -لاحظوا- هناك تمانع في الربوبية في هذه الآية، وتمانع في الألوهية في الآية التي ستأتي في سورة الأنبياء.

(**كَمَا قَدْ دَلَّ دَلِيلُ التَّمَانُعِ عَلَى أَنَّ خَالِقَ الْعَالَمِ وَاحِدٌ، لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا إِلَهَ سِوَاهُ، فَذَاكَ**) الإشارة إلى ماذا؟ ما بيَّنه فوق التمانع في الربوبية (**فَذَاكَ تَمَانُعٌ فِي الْفِعْلِ وَالْإِيجَادِ، وَهَذَا**) إشارة إلى هذا السطر الأخير (**فَلَا إِلَهَ سِوَاهُ**)، (**وهذا**)؛ أي ما ذكره في هذا السطر لقوله (**لَا إِلَهَ سِوَاهُ**) (**وَهَذَا تَمَانُعٌ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِلَهِيَّةِ**).

**إذن هناك تمانعان:**

- تمانع في الألوهية، وهذا مدلول آية سورة (الأنبياء).

- وتمانعٌ في الربوبية ومدلول آية سورة (المؤمنون).

**(فَكَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَالَمِ رَبَّانِ خَالِقَانِ مُتَكَافِئَانِ، كَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ إِلَهَانِ مَعْبُودَانِ).**

الإله هو المعبود، والمعبودات عندهم كثيرة، أما الرب فهم معترفون على أنه ليس هناك إلا ربٌّ واحد، أليس كذلك؟

**(فَكَمَا أنه يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَالَمِ رَبَّانِ خَالِقَانِ مُتَكَافِئَانِ، كَذَلِكَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ إِلَهَانِ مَعْبُودَانِ).**

ما يجوز أن تعبد غير الله -عَزَّ وَجَل- الذي تعترف أنه هو الذي خلقك، ويرزقك، ويدبر أمورك.

**(فَالْعِلْمُ بِأَنَّ وُجُودَ الْعَالَمِ عَنْ صَانِعَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ مُمْتَنِعٌ لِذَاتِهِ، مُسْتَقِرٌّ فِي الْفِطَرِ، مَعْلُومٌ بِصَرِيحِ الْعَقْلِ بُطْلَانُهُ، فَكَذَا تَبْطُلُ إِلَهِيَّةُ اثْنَيْنِ).**

طبعًا هنا في هذه الآية مع أن التمانع في الربوبية، ولكن كما قلنا: أن توحيد الربوبية مستلزمٌ لتوحيد الألوهية؛ لذلك يقول: **(فَكَذَا تَبْطُلُ إِلَهِيَّةُ اثْنَيْنِ، فَالْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مُوَافِقَةٌ لِمَا ثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ فِي الْفِطَرِ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، دَالَّةٌ مُثْبِتَةٌ مُلْزِمَةٌ لِتَوْحِيدِ الْإِلَهِيَّةِ).**

وكما قلنا: هذه الآية فيها تمانع في الربوبية، وهذا دليلٌ صحيحٌ واضح.

**التمانع في الربوبية الذي يذكره المتكلمون دليلٌ صحيحٌ، ولكن أين الخلل؟**

الخلل في جعلهم مدلول قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢] الخلل هنا:

- أولًا: هو الدليل الوحيد.

- ثانيًا: جعلهم مدلول هذه الآية. هذا الذي فيه الخلل، وإلا فالدليل صحيح.

* * *

**بسم الله الرحمن الرحيم**

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم اغفر لشيخنا ولأشياخه وللمسلمين.

**قال الإمام ابن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي –رَحِمَهُ الله تَعَالَى–:**

(وَقَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢]، وَقَدْ ظَنَّ طَوَائِفُ أَنَّ هَذَا دَلِيلُ التَّمَانُعِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَهُوَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ صَانِعَانِ. . .الْخَ، وَغَفَلُوا عَنْ مَضْمُونِ الْآيَةِ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ غَيْرُهُ، وَلَمْ يَقُلْ: أَرْبَابٌ. وَأَيْضًا فَإِنَّ هَذَا إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ وُجُودِهِمَا، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِيهِمَا وَهُمَا مَوْجُودَتَانِ آلِهَةٌ سِوَاهُ لَفَسَدَتَا، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ قَالَ: لَفَسَدَتَا، وَهَذَا فَسَادٌ بَعْدَ الْوُجُودِ، وَلَمْ يَقُلْ: لَمْ يُوجَدَا.

وَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِيهِمَا آلِهَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ، بَلْ لَا يَكُونُ الْإِلَهُ إِلَّا واحدًا، وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْإِلَهُ الْوَاحِدُ إِلَّا اللَّهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–، وَأَنَّ فَسَادَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ الْآلِهَةِ فِيهِمَا مُتَعَدِّدَةً، وَمِنْ كَوْنِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ غَيْرَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَا صَلَاحَ لَهُمَا إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ الْإِلَهُ فِيهِمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا غَيْرَهُ، فَلَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ إِلَهَانِ مَعْبُودَانِ لَفَسَدَ نِظَامُهُ كُلُّهُ، فَإِنَّ قِيَامَهُ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَدْلِ، وَبِهِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَأَظْلَمُ الظُّلْمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ الشِّرْكُ، وَأَعْدَلُ الْعَدْلِ التَّوْحِيدُ.

وَتَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ مُتَضَمِّنٌ لِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ دُونَ الْعَكْسِ، فَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ يَكُونُ عَاجِزًا، وَالْعَاجِزُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[الأعراف:١٩١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ١٧]، وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[الإسراء: ٤٢].

وَفِيهَا لِلْمُتَأَخِّرِينَ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: لَاتَّخَذُوا سَبِيلًا إِلَى مُغَالَبَتِهِ، وَالثَّانِي وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمَنْقُولُ عَنِ السَّلَفِ، كَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ لَمْ يَذْكُرْ غَيْرَهُ: لَاتَّخَذُوا سَبِيلًا بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الإنسان:٢٩]، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ:

﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾[الإسراء:٤٢] وَهُمْ لَمْ يَقُولُوا: أَنَّ الْعَالَمَ لَهُ صَانِعَانِ، بَلْ جَعَلُوا مَعَهُ آلِهَةً اتَّخَذُوهُمْ شُفَعَاءَ، وَقَالُوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر: ٣] بِخِلَافِ الْآيَةِ الْأُولَى).

(الشرح)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

**أما بعد:-**

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

**ثم أما بعد:-**

بيَّن الشارح ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- فيما سبق أن قوله سبحانه في سورة (المؤمنون): ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[المؤمنون:٩١] بيَّن أن هذه الآية فيها تمانعٌ في الربوبية، وشرحه شرحًا جميلًا كما سبق.

يقول هنا: (**وَقَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ**)؛ أي في التمانع، هناك تمانع، وهنا أيضًا تمانع، ولكن التمانع هناك في الربوبية، والتمانع هنا في الألوهية، هذا الذي سيبينه، القرب هنا في التمانع فقط.

(**قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾**[الأنبياء:٢٢]**) معنى هذه الآية قريبٌ من معنى تلك الآية في التمانع (**وَقَدْ ظَنَّ طَوَائِفُ أَنَّ هَذَا دَلِيلُ التَّمَانُعِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ**)، والذي تقدم ذكره هو التمانع في الربوبية.

وظن هؤلاء أن هذه الآية فيها أيضًا دليل التمانع في الربوبية، وذكرت سابقًا أن هذا رأي المتكلمين قاطبةً، ورأي جمهور المفسرين، وفيهم بعض أئمة السلف أيضًا ذهبوا إلى هذا كابن كثير وغيره، ذكروا أن التمانع في هذه الآية هو في الربوبية، ولكن المتكلمين مطبقون على أن التمانع في هذه الآية هو في

الربوبية، وليس في الألوهية، وأن قوله: (﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ﴾[الأنبياء:٢٢]) الآية هنا هم الأرباب، وأنه مثل ما سبق في قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾[المؤمنون:٩١]؛ لأن الإله هنا بمعنى الرب.

يقول: (**وَقَدْ ظَنَّ طَوَائِفُ أَنَّ هَذَا دَلِيلُ التَّمَانُعِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَهُوَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ صَانِعَانِ. . .الْخَ**) ما ذكره فيما سبق (**وَغَفَلُوا عَنْ مَضْمُونِ الْآيَةِ**) مضمون الآية واضحٌ:

- أولًا: من السياق والسباق كله في الألوهية.

- وثانيًا: معنى الآية ومدلولها واضحٌ في أن التمانع هنا في الألوهية وليس في الربوبية.

وقد ذكر هنا ابن أبي العز ذكر ثلاثة وجوه، هذه الوجوه الثلاثة تدل على أن التمانع في الألوهية، وليس في الربوبية.

أولًا: (**فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ**) هذا الوجه الأول: (**فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ غَيْرُهُ، وَلَمْ يَقُلْ: أَرْبَابٌ**) وهنا استعمل كلمة الآلهة، ولم يستعمل كلمة الأرباب.

**والأصل في كلمة الرب**: أنها ترجع إلى الربوبية من الخلق، والرزق، والتدبير وغيرها، **والإله**: ترجع إلى كونه معبودًا، وما يتبعه، وهذا هو الأصل، ولكن قد يأتي هذا بمعنى هذا، وهذه بمعنى هذا، وتدل عليه قرائن تكون في نفس السياق.

هنا ما دام (**لَمْ يَقُلْ: أَرْبَابٌ**) وإنما قال: (**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ**) إذن الموضوع موضوع الألوهية، موضوع العبادة، وأن التمانع في الألوهية وليس في الربوبية. هذا الوجه الأول.

هذا الوجه الثاني: (**وَأَيْضًا فَإِنَّ هَذَا إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ وُجُودِهِمَا، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ فِيهِمَا وَهُمَا مَوْجُودَتَانِ آلِهَةٌ سِوَاهُ لَفَسَدَتَا**).

هذا الافتراض هو بعد وجود السماوات والأرض، بينما دليل التمانع في الربوبية يفترض عدم وجودهما؛ لأنه كما سبق أحدهما يريد هذا، والثاني يريد ما يضاده، فلا يكون موجودًا، الذي يُراد خلقه لا يُخلَق أصلًا، **لماذا؟** للتمانع في الإرادتين؛ هذا يريد أن يخلقه، والثاني لا يريد أن يخلقه، يريد أن يضاده في كل ما يريده، وبالتالي المراد لا يكون، وهذا التمانع في هذه الآية هو مفترضٌ بعد وجود السماوات والأرض، (وأيضًا) هذا الوجه الثاني.

■ **الخلاصة**: أن التمانع لو كان في الربوبية ما كانت السماوات والأرض توجد أصلا وتُخلق أصلًا ما دام هي موجودة، فالتمانع هنا ليس في الربوبية.

**(وَأَيْضًا فَإِنَّهُ قَالَ: لَفَسَدَتَا، وَهَذَا فَسَادٌ بَعْدَ الْوُجُودِ، وَلَمْ يَقُلْ: لَمْ يُوجَدَا).**

الفساد في لغة الفلاسفة: هو عدم الوجود، والمتكلمون هنا يستعملونه بنفس المعنى، هنا كتاب لأرسطو اسمه [الكون والفساد]، الكون هو الوجود، والفساد هو عدم الوجود، هذا مصطلح معروف عند الفلاسفة **(لَفَسَدَتَا)**؛ أي لم يوجدا هكذا، وهما موجودتان.

سبق أن ذكرت أن المتكلمين عمومًا يذكرون هذه الآية في التمانع في الربوبية مع أنت هناك آية أخرى هي في التمانع في الربوبية لا يذكرونها، أو يذكرون هذه، ثم يعرجون عليها.

**– الحديث هنا في هذه الآية الخلاف هنا يدور حول أمور عديدة منها**: معنى الفساد، إذا عرفنا معنى الفساد سيتحدد لنا الموضوع.

**الفساد هنا في هذه الآية هل هو عدم الوجود أو لا؟ وهل هو مادي أو لا؟**

اختلفوا في ذلك على أربعة أقوال في معنى الفساد في هذه الآية:

- القول الأول: ﴿**لَفَسَدَتَا**﴾[الأنبياء:٢٢]؛ أي لفسد أهل السماوات والأرض. هذا القول ذكره ابن جرير في تفسيره.
- القول الثاني: أن الفساد هنا فسادٌ معنويٌّ ناشئٌ عن عبادة غير الله –عَزَّ وَجَل–. وهذا موقف شيخ الإسلام، وموقف لتلميذه ابن القيم، وهذا الذي يؤكده ابن أبي العز هنا: أن الفساد هنا ليس مؤديًا، وليس الأمر كما تقولون: ﴿**لَفَسَدَتَا**﴾[الأنبياء:٢٢]؛ أي لخرجتا عن النظام المعهود، أو لم يوجدا، ليس هذا، الفساد هنا معنوي، وهذا الفساد المعنوي يرجع إلى عبادة غير الله –عَزَّ وَجَل–؛ لأن الله –عَزَّ وَجَل– هو المحبوب لذاته، وهو المألوه لذاته، وعبادته وإفراده بالعبادة هي التي تصلح القلوب، وبها صلاح الإنسان، وإذا فقد هذه النعمة فليس له إلا الفساد، وهذا الفساد المعنوي أبلغ من الفساد المادي، الموت أحسن من هذا الفساد. هذا قول شيخ الإسلام، وقول تلميذه ابن القيم، وقول ابن أبي العز هنا.

- القول الثالث: أن الفساد هنا معناه اختلال نظام العالم كله وخرابه ﴿لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢]؛ أي لاختل هذا النظام، وهذا النظام المحكم لاختل وفسد، وخرج عن النظام المعهود، والسنن الكونية المعهودة، هذه كلها اختلت. هذا قول الجمهور، وممن ذهب إليه أيضًا كما قلت: أئمة السلف منهم ابن كثير وغيره، وهم عدد الذين ذهبوا إلى أن الفساد هنا مادي، وأن المراد بالفساد هنا هو اختلال النظام المعهود، اختلاله وخروجه عن النظام ﴿لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢].
- القول الرابع: المراد بالفساد هنا عدم تكون السماوات والأرض من الأساس، وهذا ذكره بعض المتكلمين من المتقدمين التفتازاني ذكر قولين، هذا أحد القولين، ومن المتأخرين البيجوري اقتصر على هذا القول، وهذا الذي ينصب الرد عليه كلام ابن أبي العز هنا الرد في كلامه منصبٌّ على هذا القول، وهو القول الأخير.

أيضًا القول الثالث لا ينسجم أيضًا مع ما ذهب إليه شيخ الإسلام وابن أبي العز، وبالتالي القولان الثالث والرابع هذان القولان عند الشارح ضعيفان، وأضعفهما القول الأخير.

القول الأخير هو أضعف الأقوال، وهو مؤدى ومدلول التمانع في الربوبية، مع القول بالتمانع في الربوبية يكون القول الثالث ضعيفًا مع ذلك هو قول الجمهور، مع أن مؤدى دليل التمانع إذا كان التمانع هنا في الربوبية، فالقول المنسجم معه هو القول الأخير، وهو أضعف الأقوال، هذا مما يدل على ضعف هذا القول(١٤:١٧)، وأن الفساد ماديٌّ، وسواءٌ قلنا: هو اختلال النظام، وسواءٌ قلنا: هو عدم الوجود، فهذان القولان لا ينسجمان مع القول بأن التمانع هنا في هذه الآية في الألوهية.

■ **والصحيح في هذه الأقوال والله أعلم**: أن الاختلاف هنا مرجعه وسببه هو تحديد التمانع، إذا كان التمانع في الربوبية، وقد سبق أن ذكرنا أن التمانع في الربوبية دليلٌ صحيح، ولكنه ليس مدلول هذه الآية، إنما هو مدلول تلك الآية، وهو دليلٌ صحيح:

- إذا كان التمانع في الربوبية، فالقول بأن الفساد ماديٌّ لا غبار عليه.
- وإذا قلنا: أن التمانع في الألوهية فلا يصح القول بأن الفساد ماديٌّ، إنما هو معنوي.

والقول الأول الذي هو قول ابن جرير ليس هناك فرق بينه وبين قول شيخ الإسلام؛ لأن ابن جرير ذكر: أن سبب هذا الفساد هو عدم التعبد لله -عَزَّ وَجَل-، وعدم إفراده بالعبادة، وبالتالي القولان متحدان، القولان يعتبران قولًا واحدًا، والقولان الأخيران كما قلت: متقاربان، القولان الأولان متقاربان.

ومن ذهب إلى أن التمانع في الربوبية، وأصحاب القول الثالث والرابع كلهم يذهبون إلى هذا أن التمانع في الربوبية من ذهب إليه رأى أن الفساد هو مادي، ومن ذهب إلى أن التمانع في الألوهية رأى أن الفساد معنويٌّ وليس ماديًّا.

**مما يدل على صحة هذا الذي ذكرته، أن السبب هنا هو تحديد التمانع هل هو في الربوبية أو في الألوهية؟**

أن شيخ الإسلام وهو أشهر من يقول: بأن الفساد ماديٌّ هنا، ومعنويٌّ هنا يرى أن دليل التمانع صحيح، وأن دليل التمانع في الربوبية صحيح، وأن على التمانع في الربوبية أيضًا يلزم فساد.

**ما هو الفساد؟**

هو الفساد المادي، وهذا الفساد المادي هو عدم تكون أي مخلوق؛ لأن هذا التمانع يجعل الإرادتين تتضادان وتتمانعان، وبالتالي هذا والمفترض أنه لا يجعله يخلق، وهذا لا يجعله يخلق.

وعلى القول: بأن هذا حصل بعد الوجود كانا متفقين ثم حصل بينهما، فهذا أضعف الأقوال؛ لأن احتمال التوافق بين الربَّيْن، هذا الاحتمال الذي يذكره بعض المتكلمين هذا من أضعف الأقوال، وهذا الذي جعل بعضهم يذهب إلى كون دليل التمانع في الربوبية ظنيًّا، وقد سبق أن ذكرته.

ذهب بعضهم إلى أن التمانع في الربوبية وهو مدلول هذه الآية كما يزعمون هو ظني، قالوا: لأن الأغلب أنهما سيتمانعان، وسيتضادان، ولكن يحتمل أنهما سيتفقان. هذا ذكره الآمدي وغيره، وقد رد عليهم شيخ الإسلام ردود طويلة؛ لأن الاتفاق فيمن تفترض أنه إله دليل الضعف، **لماذا يتفق؟** لأنه يتنازل، **لماذا يتنازل؟** لأنه يُرغَم الآن، وإلا سينفذ إرادته.

ولذلك ذكرنا أن الله -عَزَّ وَجَل- يقرن بين هذه الاسمين (الواحد القهار) الوحدانية تستلزم القهر؛ ولذلك هو واحد.

هذه الأقوال في معنى الفساد.

وهناك وجه آخر أيضًا ذكره شيخ الإسلام لترجيح كون التمانع هنا في الألوهية وليس في الربوبية، يقول شيخ الإسلام: أن الله -عَزَّ وَجَل- لم يقل: إلهَان ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ﴾[الأنبياء:٢٢] ولم يقل: إلهان؛ لأن التمانع المفترض في الإلهين وليس في الآلهة، لو كان هناك إلهٌ مثله لحصل التمانع، وهنا لو كان ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ﴾[الأنبياء:٢٢] فالمقدَّر هنا آلهة غير الإله المعلوم أنه إله.

بالنسبة لألوهية الله -عَزَّ وَجَل-، وكون ألوهيته حقًّا لا أحد يختلف فيه حتى المشركون، المشركون لا يختلفون في كونه إلهًا حقًّا، أليس كذلك؟ لا أحد يختلف في هذا، إنما الاختلاف هل هناك من هو مألوهٌ ومعبود تُصْرف له بعض أنواع العبادة لإرضائه ليكون وسيطًا بينه وبين الله -عَزَّ وَجَل-؟ النزاع هنا.

أما كون الإله وهو الله -عَزَّ وَجَل-، كون ألوهيته حق، هذه لا أحد يختلف، وبالتالي المشركون كانوا يعبدونه كما تعرفون كانوا يعبدون الله -عَزَّ وَجَل-، يصلُّون، ويحجون.

نزاعهم كان في اتخاذ غيره إلهًا مع كونهم، مع اعترافهم أنه مملوكٌ له (تملكه وما ملك) هكذا كانوا يقولون في تلبيتهم، فهذا يدل أيضًا على أن التمانع هنا في الألوهية وليس في الربوبية.

وكلام شيخ الإسلام في هذه الآية، أو في هذه المسألة طويل، وهو في المجلد التاسع في [درء التعارض].

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢] وسبق أن ذكرت التقدير الذي يكمِّل معنى هذه الآية ﴿لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢]؛ أي وما فسدتا، إذن ليس هناك آلهة إلا الله.

وسبق أن ذكر ابن أبي العز: أن طريقة القرآن الاقتصار على ما هو ضروري، وعدم الإطناب بذكر ما ليس ضروريًّا، وأيضًا الاستدلال بالمتفق عليه لإثبات المختلف فيه، سبق أن ذكرنا هنا.

يقول: (**وَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِيهِمَا آلِهَةٌ مُتَعَدِّدَةٌ، بَلْ لَا يَكُونُ الْإِلَهُ إِلَّا واحدًا**) إذن دلت الآية (**عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْإِلَهُ الْوَاحِدُ إِلَّا اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-**) الآية تدل على أن الإله واحدٌ، وهو الله -عَزَّ وَجَل-.

**(وَأَنَّ فَسَادَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ الْآلِهَةِ فِيهِمَا مُتَعَدِّدَةً، وَمِنْ كَوْنِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ غَيْرَ اللَّهِ).**

■ **يقول: الفساد سيحصل من أمرين، مضمون الآية أن الفساد سيحصل من أمرين:**

- الأمر الأول تعدد الآلهة.

- والأمر الثاني: كون الإله غير الله -عَزَّ وَجَل-.

يقول:

- **(وَأَنَّ فَسَادَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ الْآلِهَةِ فِيهِمَا مُتَعَدِّدَةً)** هذا الأمر الأول.

- **(وَمِنْ كَوْنِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ غَيْرَ اللَّهِ)** هذا الأمر الثاني.

**(وَأَنَّهُ لَا صَلَاحَ لَهُمَا)** للسماوات والأرض، ولأهلهما **(إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ الْإِلَهُ فِيهِمَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا غَيْرَهُ، فَلَوْ كَانَ لِلْعَالَمِ إِلَهَانِ مَعْبُودَانِ لَفَسَدَ نِظَامُهُ كُلُّهُ)** هذا الفساد كما قلت ليس ماديًّا، وإنما هو معنوي، **لماذا؟**

**(فَإِنَّ قِيَامَهُ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَدْلِ، وَبِهِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَأَظْلَمُ الظُّلْمِ عَلَى الْإِطْلَاقِ الشِّرْكُ، وَأَعْدَلُ الْعَدْلِ التَّوْحِيدُ).**

إذا كانت هناك آلهة تستحق الألوهية والعبودية غير الله -عَزَّ وَجَل-، أو إذا كان فلان من الناس يعتقد أنه يجوز أن يعبد غير الله -عَزَّ وَجَل-، فهذا فسادٌ، **لماذا؟** لأنه ضيع أعدل العدل وهو التوحيد، إذا ضيع التوحيد فما الذي يبقى له؟! وهذا في الحقيقة موتٌ له ولقلبه **(وَأَعْدَلُ الْعَدْلِ التَّوْحِيدُ)**.

ثم قال: **(وَتَوْحِيدُ الْأُلوهِيَّةِ مُتَضَمِّنٌ لِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ دُونَ الْعَكْسِ، فَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ يَكُونُ عَاجِزًا).**

هذا سبق أن ذكر ابن أبي العز العلاقة بين نوعي التوحيد الألوهية والربوبية، وأن الربوبية تستلزم الألوهية، وأن الألوهية تتضمن الربوبية. هذا الذي يذكره هنا: **(وَتَوْحِيدُ الْأُلوهِيَّةِ مُتَضَمِّنٌ لِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ)**؛ لأن توحيد الألوهية معناه: أن هذا الشخص يعبد الله -عَزَّ وَجَل- ويُفرِدُه بالعبادة، ولا يشرك

معه أحد أبدًا، ما دام أنه يفرده بالعبادة، هذا معناه أنه موحدٌ في توحيد الأسماء والصفات، وموحدٌ أيضًا في الربوبية، هو يرى ويعتقد أن الخالق هو الله -عَزَّ وَجَل-، وأن المدبر هو الله -عَزَّ وَجَل-، وأن مَن يرزقه هو الله -عَزَّ وَجَل-، وأن مَن يتصف بصفات الكمال ولا يشاركه فيها أحد هو الله -عَزَّ وَجَل-، هذا كله يدل على كونه موحدًا توحيد الألوهية.

إذن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وأيضًا توحيد الأسماء الصفات؛ ولذلك (لا إله إلا الله) هذه الكلمة تشمل الحمد والتسبيح والتكبير (لا إله إلا الله).

(**فَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ يَكُونُ عَاجِزًا، وَالْعَاجِزُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا**) وبالتالي لا يصلح أن يكون معبودًا.

(**قال سبحانه:** ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[الأعراف:١٩١]) يشركونهم مع الله -عَزَّ وَجَل- مع أنهم لا يستطيعون أن يخلقوا؟! هذا استنكار.

(**وَقَالَ سبحانه:** ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾[النحل: ١٧]) تعبدون من يخلق ومن لا يخلق ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[النحل: ٧].

(**وَكَذَا**)؛ أي قريبٌ من معنى هذه الآية (**وَكَذَا**)؛ أي قريب من معناها أيضًا ما ورد في هذه الآية: (﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[الإسراء: ٤٢]) المعنى هنا في هذه الآية قريبٌ من معنى تلك الآية وهي: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢].

والقرب هنا في كون الآلهة هنا بمعنى المعبودين، وهناك بمعنى المعبودين، وليس القرب هنا في التمانع، هناك قلنا: (**وَقَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ**) قلنا: في التمانع، ولكن التمانع في آية المؤمنون في الربوبية، وهنا في آية الأنبياء في الألوهية.

وهنا (**وَكَذَا**)؛ أي قريب منها في كون الآلهة بمعنى المعبودين، ولكن في هذه الآية ليس هناك تمانع على ما يرجّح ابن أبي العز، وبعض المفسرين يرجّح أيضًا أن هذه الآية فيها تمانع كما سيذكر المؤلف.

(**وَكَذَا**)؛ أي قريبٌ من معنى تلك الآية أيضًا: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[الإسراء:٤٢].

(**وَفِيهَا لِلْمُتَأَخِّرِينَ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: لَاتَّخَذُوا سَبِيلًا إِلَى مُغَالَبَتِهِ**) وهذا ذهب إليه بعض المفسرين، ومن متأخرين من أئمة السلف، من أئمة أهل السنة والجماعة الذين رجَّحوا هذا القول، وهو الشيخ الشنقيطي.

(**وَالثَّانِي وَهُوَ الصَّحِيحُ الْمَنْقُولُ عَنِ السَّلَفِ، كَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِ، وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَلَمْ يَذْكُرْ غَيْرَهُ**) وكذلك اقتصر عليه ابن كثير، ذكر هذا القول واقتصر عليه (**لَاتَّخَذُوا سَبِيلًا بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ**) وهذا الذي ذكره أيضًا شيخ الإسلام، وذكره ابن القيم، وهو الذي رجحه ابن أبي العز.

والكلام هنا هو أصلًا مأخوذ من ابن القيم، هذا الكلام كله مأخوذ من القيم.

(**لَاتَّخَذُوا سَبِيلًا بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ**).

■ **ثم ذكر هنا سبب ترجيح هذا المعنى:**

- أولًا: (﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[الإسراء:٤٢]). **هل هناك فرق بين هذه الآية وقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾[النساء:٣٤]؟**

هناك فرق؛ هناك مغالبة، وهنا ليس مغالبة، إنما التقرب إليه التعبد والتزلف إليه، هذا إذن ذكره شيخ الإسلام: لو كانت الآية فيها معنى المغالبة لكان (إذًا لابتغوا على ذي العرش سبيلًا) أليس هذا هو الأنسب لهذا المعنى؟ ﴿إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[الإسراء:٤٢] هذا يدل على أن الآية ليس فيها مغالبة.

- من وجوه الترجيح يقول المؤلف: (**لَاتَّخَذُوا سَبِيلًا بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى**: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الإنسان:٢٩]) **هل معناه المغالبة؟**

لا.

- وأيضًا (**وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ**) هذا وجه آخر، وهنا ذكر شاهدًا لهذا المعنى، وهنا يذكر وجهًا من وجوه الترجيح: (**وذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ**: ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾[الإسراء:٤٢]) **وهم ماذا يقولون؛ المشركون؟ هل يقولون أن آلهتهم تمانع الله -عَزَّ وَجَل-، وتغالبه في ربوبيته؟**

أبدًا، هم يقولون: أن آلهتهم هم مملوكون لله -عَزَّ وَجَل- ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾[الإسراء:٤٢].

(**وَهُمْ لَمْ يَقُولُوا: أَنَّ الْعَالَمَ لَهُ صَانِعَانِ، بَلْ جَعَلُوا مَعَهُ آلِهَةً اتَّخَذُوهُمْ شُفَعَاءَ**)، ولم يقولوا: إن آلهتهم تمانعه وتغالبه، لم يقولوا هذا.

وبالتالي على قولهم ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾[الإسراء:٤٢] على قولهم: اتخاذهم للسبيل لله -عَزَّ وَجَل- هو تقربهم إليه، والمعنى يقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾[الإسراء:٤٢] طبعًا (**لَوْ**) هنا للامتناع، لا يوجدون، لو كانوا موجودين آلهة وهم مملوكون لله -عَزَّ وَجَل- كانوا تقربوا إلى الله -عَزَّ وَجَل- وعبدوه، وخضعوا له، وذلُّوا له، فما الذي يليق بكم؟ هل يليق بكم أن تعبدوهم وهم يعبدون الله -عَزَّ وَجَل-، أو تتجهون بالعبادة إلى الذي يعبده أيضًا آلهتكم؟ هذا هو المقصود، الأولى بكم أن تعبدوه، ولا تعبدوا هؤلاء الذين تعترفون بأنهم مملوكون لله -عَزَّ وَجَل-.

(**بَلْ جَعَلُوا مَعَهُ آلِهَةً اتَّخَذُوهُمْ شُفَعَاءَ، وَقَالُوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾**[الزمر:٣] **بِخِلَافِ الْآيَةِ الْأُولَى**).

**ما هي الآية الأولى؟**

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾[المؤمنون:٩١] فإنها في المغالبة في الإيجاد والربوبية، وليست هذه الآية من قبيل تلك الآية.

**وكما قلت**: هذا الذي اقتصر عليه كما ذكر المؤلف: اقتصر عليه ابن جرير وابن كثير، وهذا قول السلف، ومن أشهر من خالفهم في هذا الشيخ الشنقيطي يقول: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ﴾[الإسراء:٤٢] ما دام افترض فيهم أنهم آلهة، فلا يليق بهم أن يتخذوا إلى ذي العرش سبيلًا بالتقرب إليه، لا، ما دام افتُرِض فيهم أنهم آلهة، فسيتخذون سبيلهم بالمغالبة. هذا كلامه، ولكن الكلام الذي ذكره المؤلف هو أرجح، وواضح أنه أرجح، والمرجحات كثيرة كما رأينا.

أحسن الله إليكم.

**قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-**: (**ثُمَّ التَّوْحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ اللَّهِ وَنَزَلَتْ بِهِ كُتُبُهُ نَوْعَانِ: تَوْحِيدٌ فِي الْإِثْبَاتِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَتَوْحِيدٌ فِي الطَّلَبِ وَالْقَصْدِ، فَالْأَوَّلُ: هُوَ إِثْبَاتُ حَقِيقَةِ ذَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى**

وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَسْمَائِهِ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَكَمَا أَخْبَرَ رَسُولُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَقَدْ أَفْصَحَ الْقُرْآنُ عَنْ هَذَا النَّوْعِ كُلَّ الْإِفْصَاحِ، كَمَا فِي أَوَّلِ (الْحَدِيدِ) وَ(طه) وَآخِرِ (الْحَشْرِ) وَأَوَّلِ ﴿الم (١) تَنزِيلُ (٢)﴾[السجدة:١-٢] السَّجْدَةِ، وَأَوَّلِ (آلِ عِمْرَانَ) وَسُورَةِ (الْإِخْلَاصِ) بِكَمَالِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَالثَّانِي: وَهُوَ تَوْحِيدُ الطَّلَبِ وَالْقَصْدِ، مِثْلَ مَا تَضَمَّنَتْهُ سُورَةُ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[الكافرون:١]، وَقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[آل عمران: ٦٤]، وَأَوَّلُ سُورَةِ ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ وَآخِرُهَا، وَأَوَّلُ سُورَةِ (يُونُسَ) وَأَوْسَطُهَا وَآخِرُهَا، وَأَوَّلُ سُورَةِ (الْأَعْرَافِ) وَآخِرُهَا، وَجُمْلَةُ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ).

وَغَالِبُ سُوَرِ الْقُرْآنِ مُتَضَمِّنَةٌ لِنَوْعَيِ التَّوْحِيدِ، بَلْ كُلُّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ إِمَّا خَبَرٌ عَنِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وأفعاله، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ، وَإِمَّا دَعْوَةٌ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلْعُ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْإِرَادِيُّ الطَّلَبِيُّ، وَإِمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَإِلْزَامٌ بِطَاعَتِهِ، فَذَلِكَ مِنْ حُقُوقِ التَّوْحِيدِ وَمُكَمِّلَاتِهِ، وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ إِكْرَامِهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ جَزَاءُ تَوْحِيدِهِ، وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ، وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ فِي الْعُقْبَى مِنَ الْعَذَابِ، فَهُوَ جَزَاءُ مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ.

فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيدِ وَحُقُوقِهِ وَجَزَائِهِ، وَفِي شَأْنِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ وَجَزَائِهِمْ. فَ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢] تَوْحِيدٌ، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة:٣] تَوْحِيدٌ، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٤] تَوْحِيدٌ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة:٥] تَوْحِيدٌ، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفاتحة:٦] تَوْحِيدٌ مُتَضَمِّنٌ لِسُؤَالِ الْهِدَايَةِ إِلَى طَرِيقِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٧]، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة:٧] الَّذِينَ فَارَقُوا التَّوْحِيدَ.

وَكَذَلِكَ شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا التَّوْحِيدِ، وَشَهِدَتْ لَهُ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَأَنْبِيَاؤُهُ وَرُسُلُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (١٩)﴾ [آل عمران:١٨-١٩]).

(الشرح)

في ختام حديث ابن أبي العز عن التوحيد، ولا زال يشرح قول الإمام الطحاوي -رَحِمَه الله-: **{نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: أن الله واحد لا شريك له}** إلى الآن لا زال يشرح هذه الجملة.

في ختام شرحه لهذه الجملة نقل كلامًا طويلًا، وبه ختم حديثه عن التوحيد، كلامًا طويلًا للإمام ابن القيم -رَحِمَه الله-، وكلام ابن القيم في غالبه مأخوذٌ من كلام شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، ولكن بعض التفاصيل لم ترد في كلام شيخ الإسلام، وإنما ذكرها ابن القيم -رَحِمَه الله- في كتابه [مدارج السالكين].

في كتابه [مدارج السالكين] ذكر ما ذكره الهروي في [التوحيد]، طبعًا هذا شرح في [منازل السائرين] للهروي، هذا الكتاب [مدارج السالكين]، والهروي ذكر التوحيد في آخر المنازل، مع أن التوحيد هو أول [منازل السالكين] كما سبق في كلام ابن القيم -رَحِمَه الله- في كلام ابن أبي العز.

ولما ذكر الهروي التوحيد شرحه: أولًا عرَّفه، ثم ذكر أقسامه:

- توحيد العامة.
- وتوحيد الخاصة.
- وتوحيد خاصة الخاصة.

ذكر ثلاثة أقسام، وذكر توحيد المرسلين من توحيد العامة، وتوحيدهم، توحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة وشرحها.

ابن القيم -رَحِمَه الله- شرح كلامه، وابن القيم في هذا الكتاب يُغَلِّب حسن الظن ما وجد إلى ذلك سبيلًا، ودائمًا يذكره بأنه شيخ الإسلام، إن كان قصده كيت وكيت، فلي وإلا.

لما جاء إلى هنا شرح كلامه، ثم رد عليه رد مفصِّل، وذكر كلامًا طويلًا عن التوحيد يصلح أن يكون رسالة في معنى التوحيد توحيد المرسلين، والأدلة على التوحيد الأدلة العقلية والنقلية، ليس هذا فقط.

**مصطلح التوحيد ماذا يقصد به مختلف الطوائف؟**

ذكر: وقد تقسَّمت طوائف التوحيد وسمى كل طائفةٍ باطلهم توحيدًا.

ثم ذكر توحيد الفلاسفة، وتوحيد الاتحادية، وتوحيد الجهمية، وتوحيد القدرية، وتوحيد الجبرية، وتوحيد صاحب المنازل الصوفية.

بعدها قال: **(وأما التَّوْحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ اللَّهِ وَنَزَلَتْ بِهِ كُتُبُهُ)** فوضع ذلك كله **(وهو نَوْعَانِ: تَوْحِيدٌ فِي الْإِثْبَاتِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَتَوْحِيدٌ فِي الطَّلَبِ وَالْقَصْدِ)**.

هنا في المطلب وأظنه خطأ الذي عندنا صحيح **(وَتَوْحِيدٌ فِي الطَّلَبِ وَالْقَصْدِ)**.

إذن السياق الذي ورد فيه كلام ابن القيم الذي نقله ابن أبي العز هنا، **(ثم التَّوْحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ اللَّهِ وَنَزَلَتْ بِهِ كُتُبُهُ)** السياق الذي ورد فيه هذا النص في [مدارج السالكين] يختلف عن السياق الذي هنا، والاختلاف يرجع إلى طريقة شرح ابن أبي العز هنا.

ابن أبي العز شرح توحيد الربوبية، وشرح أيضًا توحيد الألوهية، شرحها هنا، وذكر أن توحيد المرسلين هو توحيد الألوهية.

**مع هذا هل يصح أن يقال هنا: (ثم التَّوْحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ اللَّهِ وَنَزَلَتْ بِهِ كُتُبُهُ نوعان)؟**

والنوعان فيهما توحيد الربوبية، وذكر فيما سبق أن التوحيد الذي نزلت به الكتب، وأُرْسِلَت به الرسل هو توحيد الألوهية، وهنا يذكر أنه توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات.

السياق يختلف؛ ولذلك قد يقال: أن بدايته هكذا ما كان ينبغي، قد يقال، ولكن نتلمس العذر لابن أبي العز:

– لأنه بنى على هذا ما سيأتي، وما سيأتي مبنيٌّ على هذا؛ لأن ما سيأتي كلام ابن القيم، وهذا كلام ابن القيم، وابن القيم بنى ما سيأتي على هذا، وبالتالي كان من المناسب أن يذكر هذا كله كما ذكره ابن القيم. هذا أولًا.

- ثانيًا: توحيد الربوبية لما تتحدث مع المتكلمين الأمر يختلف عما هو عند الفلاسفة والصوفية، توحيد الربوبية عند المتكلمين على ما فيه هم واضحين جدًّا في نظرية الخلق، وأن الله -عَزَّ وَجَل- هو الخالق، وأنه هو المدبر، وأنه هو الرازق، هذا المعنى يضيع لما تذهب إلى الفلاسفة، ولما تذهب إلى الصوفية.

وبالتالي بعد ذكر أقسام التوحيد عند الناس كما ذكره ابن القيم يليق أيضًا أن تذكر هذا التفصيل الذي ذكره عن توحيد الربوبية، ولكن الإشكال أن السياق عند ابن القيم يختلف عن السياق عند ابن أبي العز.

أنا أشرت إلى هذا حتى لا يُسْتَشكل من كلامه مع ما بدأ به هنا، وهذا منقول عن ابن القيم في [مدارج السالكين]، وابن القيم ذكر هذا بعد ذكر التوحيد عند الطوائف وهم ستة، ومنهم الفلاسفة، ومنهم الصوفية، والتوحيد عندهم حتى توحيد الربوبية عندهم قد ضيعوه، وبالتالي لما جاء أراد أن يبيِّن توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات مثل ما هو عند أهل السنة والجماعة.

- وعذر ابن أبي العز أنه ذكر هذا هنا؛ لأن ما بعده سيكون مبنيًّا عليه. هذا أولًا.

- ثانيًا: أن هذا التقسيم لم يَرِد فيما سبق، هذا تقسيم ثنائي، وما سبق تقسيم ثلاثي، وكلا التقسيمين معروفان عند أهل السنة والجماعة، وكِلَا التقسمين لهما زوايا مختلفة:

- بالنظر إلى الله -عَزَّ وَجَل- التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام.

- وبالنظر إلى فعلك أنت؛ ما يجب عليك هذا التقسيم ثنائي.

وفي التقسيم الثنائي يكون توحيد الألوهية والربوبية قسمًا واحدًا، وتوحيد الألوهية قسمًا واحدًا.

يقول: (**ثُمَّ التَّوْحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ اللَّهِ، وَنَزَلَتْ بِهِ كُتُبُهُ نَوْعَانِ: تَوْحِيدٌ فِي الْإِثْبَاتِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَتَوْحِيدٌ فِي الطَّلَبِ وَالْقَصْدِ**).

**(تَوْحِيدٌ فِي الْإِثْبَاتِ) إثبات ماذا؟**

إثبات صفاته وأسمائه، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات.

(**وَالْمَعْرِفَةِ**) معرفة الله -عَزَّ وَجَل- بأفعاله، وهذا توحيد الربوبية، وهذا كله قسم مستقل (**تَوْحِيد فِي الْإِثْبَاتِ وَالْمَعْرِفَةِ**)، (**وَتَوْحِيدٌ فِي الطَّلَبِ وَالْقَصْدِ**) وهذا قسم.

(**فَالْأَوَّلُ: هُوَ إِثْبَاتُ حَقِيقَةِ ذَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَسْمَائِهِ**).

وذكر ابن القيم وزاد وقال: (**وعلوّه وفوق سماواته على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ، وَكَمَا أَخْبَرَ رَسُولُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَدْ أَفْصَحَ الْقُرْآنُ عَنْ هَذَا النَّوْعِ كُلَّ الْإِفْصَاحِ**).

وسبق في كلام ابن أبي العز أن هذا القسم في الغالب يذكر في القرآن للاستدلال به على توحيد الألوهية، ولكنه ذكره في القرآن كثير، وهو كما قلنا: في الغالب يذكر للاستدلال به على إلزامهم بالألوهية، وبالعبودية، وبإفراد الله -عَزَّ وَجَل- بعبادته.

(**وَقَدْ أَفْصَحَ الْقُرْآنُ عَنْ هَذَا النَّوْعِ كُلَّ الْإِفْصَاحِ، كَمَا فِي أَوَّلِ (الْحَدِيدِ)**).

هذه المواضع التي أشار إليها شيخ الإسلام، طبعًا هذا الكلام لشيخ الإسلام، ثم أخذه تلميذه ابن القيم، ونحن الآن أمام كتاب ابن أبي العز، هذا الكلام الذي ذكره، هذه الأمثلة التي ذكرها هي بعض الأمثلة، ليست هي كل الأمثلة، هي بعضها.

**فمثلًا**: في أول سورة (الحديد) يقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[الحديد:١] هذا كله توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

- ﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ**﴾[الحديد:١] تقديس لله -عَزَّ وَجَل- ﴿**وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[الحديد:١].

- ﴿**لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[الحديد:٢] توحيد الربوبية. ﴿**يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[الحديد:٢].

- ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ (٤)**﴾[الحديد:٣-٤].

- الآية التي بعدها ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)﴾[الحديد:٥-٦] وهكذا، هذا كله في توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

(**وَآخِرِ سورة (الْحَشْرِ)**) وقد وردت فيها الأسماء في موطن واحد ما لم يَرِد في القرآن في أي مكان آخر، ذكر آخر سورة (الحشر)، مع أن بدايتها أيضًا فيها توحيد الأسماء والصفات، وفيها توحيد الربوبية.

(**وَأَوَّلِ** ﴿الم (١) تَنزِيلُ (٢)﴾[السجدة:١-٢] **السَّجْدَةِ**) وكذلك (**أَوَّلِ سورة (آلِ عِمْرَانَ)، وَسُورَةِ (الْإِخْلَاصِ) بِكَمَالِهَا**)؛ لأن سورة (الإخلاص) كما ورد في الأثر هو (**نسب الرحمن**) جميع السورة في توحيد المعرفة والإثبات، فيها ذِكْر الوحدانية لله -عَزَّ وَجَل-، وذِكر أسمائه وصفاته التي ترجع إلى الكمال والجلال والربوبية، (**وَغَيْرِ ذَلِكَ**) هذه بعض الأمثلة.

(**وَالثَّانِي: وَهُوَ تَوْحِيدُ الطَّلَبِ وَالْقَصْدِ**).

طبعًا الأول سُمِّي توحيد الإثبات والمعرفة، وهو التوحيد العلمي الخبري؛ لأن هذا النوع وهو توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية في غالبه يتعلق بالعلم والاعتقاد والخبر، وليس فيه طلب، وليس فيه طلب من الله -عَزَّ وَجَل-، وقصدٌ من المكلف، إنما هو كله يرجع إلى الاعتقاد، والخبر، والعلم.

(**وَالثَّانِي: وَهُوَ تَوْحِيدُ الطَّلَبِ وَالْقَصْدِ مِثْلَ مَا تَضَمَّنَتْهُ سُورَةُ** ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ **[الكافرون:١]**).

هذه السورة هي الوحيدة التي ورد فيها هذا الخطاب ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[الكافرون:١]، لم يرد في القرآن في أي مكانٍ آخر ﴿يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[الكافرون:١] هكذا.

**لماذا هذا الخطاب بهذا الشكل هنا؟**

لأن القضية فيها الموضوع يحتاج لها؛ لأن هؤلاء الكافرون يدَّعون أنهم مؤمنون، ويدَّعون أنهم موحدون، ويدَّعون أن عندهم عبادة، أن عندهم وسائل كثيرة تقربهم إلى الله -عَزَّ وَجَل-، وأن جِدال محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- معهم إنما هو لإغوائهم عن طريق آلهتهم، عن طريق آبائهم، هكذا؛

فلذلك ورد هذا صريحًا ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[الكافرون:١]، وأن عبادتهم ليست عبادة، وأن عبادتكم ليست هي العبادة المطلوبة، وبالتالي فالنهاية ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون:٦] دينكم يختلف عن الدين الذي جئت به.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم.

كنا نتحدث عن النوع الثاني من أنواع التوحيد على التقسيم الثنائي، وكنا عند قول المؤلف: (**مِثْلَ مَا تَضَمَّنَتْهُ سُورَةُ ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾** [الكافرون: ١]).

فذكرنا أنَّ الخطاب الذي انفردت به هذه السورة هو لبيان أنَّ ما يدعونه من العبادة ليس معتدًّا به شرعًا، وإنما هو شركٌ، ولذلك في نهاية السورة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦].

(**وَ ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾** [آل عمران: ٦٤]): هذا أيضًا فيه إفراد الله -عزَّ وجل- بالعبادة.

(**وَأَوَّلُ سُورَةٍ (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) وَآخِرُهَا، وَأَوَّلُ سُورَةٍ (يُونُسَ) وَأَوْسَطُهَا وَآخِرُهَا، وَأَوَّلُ سُورَةِ (الْأَعْرَافِ) وَآخِرُهَا، وَجُمْلَةُ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ)**):

هذه كلها أمثلة لو نقف معها كلها سيطول الـ، كلها أمثلة لورود توحيد العبادة، أو للتركيز عليه في بعض السور، ومن السور التي لم يرد ذكرها هنا سورة الزمر، سورة الزمر هي من أسمائها سورة الإخلاص، بدأت بإفراد الله -عزَّ وجَل- بالعبادة، وتكرر هذا في هذه السورة.

**يقول المؤلف هنا: (وَجُمْلَةُ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ)):**

سورة الأنعام من السور المكيَّة، وهي أول سورةٍ مكيَّةٍ بعد سورة الفاتحة؛ لأنَّ سورة الفاتحة فيها خِلاف، هل هي مكيَّة؟ أو بعضها مكيَّة وبعضها مَدنية؟ وأول سورةٍ متفقٌ عليها أنها مكيَّةٌ كلُّها هي سورة الأنعام.

بل ورد في بعض الآثار أنَّها نزلت جملةً واحدة، مع أنَّها سورةٌ طويلة، هي تأتي بعد الأعراف في الدور في السور المكيَّة، وهذه السورة مع سورة الأعراف كلُّها في بيان العقيدة، وفي بيان منزلة الوحي، وفي بيان موضوع الرسالة.

والسورة كلها لم يَرد فيها خطاب المؤمنين بـ : "**يا أيها الذين آمنوا**" مثلًا، هذا لم يرد في السورة كلِّها، ولم يرد فيها أيضًا أي خطابٍ لأهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ لأنَّ هذا كله كان في المدينة، وليس في السورة حديثٌ عن النفاق والمنافقين؛ لأنَّ هذا كله كان في المدينة، وليس في السورة أيضًا حديثٌ عن القتال والجهاد وعقابه؛ لأنَّ هذا كله كان أيضًا بعد ذهابهم إلى المدينة.

وليس فيها عمومًا تفاصيل العبادات والمعاملات والجنايات، هذا كلُّه لا يوجد في هذه السورة، إنما فيها موضوع التوحيد والبعث والوحي، وهذه الموضوعات الثلاث وردت في بداية السورة إجمالًا، وفي جميع السورة تفصيلًا، السورة بدأت بقول الله -عزَّ وجَل-: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ [الأنعام:١]، هذه من السور الخمس التي ابتدأت بذكر الحمد لله -عزَّ وجَلَّ- سورة الفاتحة، وهذه السورة، وسورة فاطر، وسبأ، وسورة الكهف.

﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾ [الأنعام:١]:

- ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾: هذه الكلمة فيها إثبات توحيد الأسماء والصفات، والإثبات عند أهل السُنَّة هو مجمل ومفصل، والأصل الإثبات المفصل، وفيها أيضًا إثبات مجمل، والحمد هو إثباتٌ مجمل، ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ فيها إثبات جميع الأسماء والصفات لله -عزَّ وجلَّ-.
- ﴿**الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام:١]: هذا التوحيد، في هذه الآية.
- ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ**﴾ [الأنعام:٢]، هذا فيه ما يتعلق بالبعث.
- ﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ**﴾[الأنعام:٣]: يعني هو معبودٌ في السماوات والأرض.
- ﴿**يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**﴾ [الأنعام:٣]: أيضًا توحيد.
- ﴿**وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ**﴾ [الأنعام:٤]: هذا في الوحي والرسالة.

لذلك يقول شيخ الإسلام، طبعًا هذا كلامه: (**وَجُمْلَةُ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ)**): كلها.

تأتي بعدها سورة الأعراف، وهي في بيان حال الأممِ مع رسله وأنبيائه، ولذلك أغلبها في القصص، قصة موسى -عَلَيْهِ السَّلَام- التي وردت في هذه السورة أطول من سورة يوسف كلَّها، قصة موسى -عَلَيْهِ السَّلَام- فقط التي وردت في سورة الأعراف أطول من سورة يوسف كلها.

**(وَغَالِبُ سُوَرِ الْقُرْآنِ مُتَضَمِّنَةٌ لِنَوْعَيِ التَّوْحِيدِ، بَلْ كُلُّ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ مُتَضَمِّنَةٌ لِنَوْعَيِ التَّوْحِيدِ)**:

بل كل سورةٍ في القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، نوعا التوحيد هنا يشملان جميع أنواع التوحيد على التقسيم الثلاثي، نوعي التوحيد أي توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية.

**(فَإِنَّ الْقُرْآنَ)**: هذا كله كلام هذا الذي نقله كله كلام ابن القيم -رَحِمهُ الله-، ولكنه حدث منه ولخَّصه، وذكر ما يليق بهذا الشرح.

**(فَإِنَّ الْقُرْآنَ إِمَّا)**: هنا تفصيل لكون القرآن كلِّه في التوحيد، القرآن كلُّه في التوحيد، جميع سور القرآن كلُّها في التوحيد.

**(فَإِنَّ الْقُرْآنَ إِمَّا خَبَرٌ عَنِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وأفعاله (غير موجودة بالمتن)، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبَرِيُّ)**:

كل ما ورد من الخبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، هذا كله يندرج تحت قسم التوحيد العلمي؛ لأنَّه يتعلق بالعلم والاعتقاد، والخبري لأنَّه يتعلق بالخبر، والخبر يقابل بالتصديق.

**(وَإِمَّا دَعْوَةٌ إِلَى عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَلْعُ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، فَهُوَ التَّوْحِيدُ الْإِرَادِيُّ)**:

لا بد أن تكون هذه إرادتك، تريد الله -عزَّ وجَلَّ- وحده.

**(الطَّلَبِيُّ)**: هذا الذي طُلِب منك، وهذا الذي تطلبه من الجهتين.

**(وَإِمَّا أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَإِلْزَامٌ بِطَاعَتِهِ، فَذَلِكَ مِنْ حُقُوقِ التَّوْحِيدِ وَمُكَمِّلَاتِهِ)**: وذكر ابن القيم، وذكر أيضًا شيخ الإسلام، وذكر أيضًا الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في عددٍ من الكتب، أنَّ هذا أيضًا من التوحيد، الأمر والنهي والإلزام بالطاعة، هذا التوحيد هذا توحيد الألوهية، فهو إما أن يكون من حقوق التوحيد ومكملاته، أو هو من صلب التوحيد، كما ذكره ابن القيم وكذلك شيخ الإسلام، هو من صلب التوحيد؛ لأنَّ الأمر والنهي والإلزام بالطاعة، بماذا يكون الأمر؟ كل ما أُمرنا به القيام به

عبادة، ولذلك يقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة:٥].

جميع الأوامر والنواهي اختصرها في هذا الأمر، لماذا؟ لأنَّها كلها توحيد، كل ما يقربك لله -عزَّ وجلَّ- القيام به عبادة وهو توحيد، فهو من حقوق التوحيد ومكملاته، أو هو من صلب التوحيد.

**(وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ إِكْرَامِهِ لِأَهْلِ تَوْحِيدِهِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَهُوَ جَزَاءُ تَوْحِيدِهِ)**:

فمثلًا ما ورد في قصة يوسف، وما ورد في قصة موسى، وما ورد في قصة إبراهيم وغيره، هذا كله خبرٌ عن إكرام الله -عزَّ وجلَّ- لأهل توحيده، هذا الكريم ابن الكريم ابن الكريم الذي يُباع في السوق كأرخص سلعة، كيف كان مصيره؟ وكيف آل أمره إلى ذلك الإكرام؟ فهو خبرٌ عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا من الإكرام والإعزاز والنصر والتأييد، وما يكرمهم به في الآخرة، وهذا جزاء التوحيد، عندك موسى -عليه السلام- ومقابله فرعون، كيف أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- أخزى هذا، وعذبه وجعله عِبرة، مع ما كان له، وكيف أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- أعزَّ ونصر نبيَّه موسى مع ما لابس من ميلاده وما بعده، في الظاهر ليس عنده أحد، فهذا كله جزاء التوحيد.

**(وَإِمَّا خَبَرٌ عَنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَمَا فَعَلَ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّكَالِ)**: أمثال فرعون وغيره.

**(وَمَا يَحِلُّ بِهِمْ فِي الْعُقْبَى مِنَ الْعَذَابِ)**: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[غافر:٤٦].

**(فَهُوَ جَزَاءُ مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ التَّوْحِيدِ، فَالْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيدِ وَحُقُوقِهِ وَجَزَائِهِ، وَفِي شَأْنِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ وَجَزَائِهِمْ)**:

هذا حديثٌ إجماليٌ عن مضمون القرآن، وحديثٌ من أجمل ما يكون -سبحان الله-، كيف يكون فَهمُ السَّلف للقرآن وما ورد في القرآن، ومضامين القرآن، ومقاصد القرآن؟ هكذا يكون، سبحان الله.

أما المنحرفون فكل واحد ينظر للقرآن من الزاوية التي تهمهُ، فتجد مثلًا الرازي يستخرج من كثيرٍ مما ورد في القرآن يستخرج منها فضائل المتكلمين، مثلًا ما وردَ في سورة الأنعام، من محاجَّةِ إبراهيم -عليه

السَّلام- لقومه، هذا للتقرير وهذا فيه التعليم للمناظرة وكيف تكون، هذا كله جعله فضيلةً للمتكلمين، يقول هذه الآيات تدل على فضل المتكلمين.

ثُم ذكر ابن القيم مثالًا لِما أجمله، وهذا المثال هو سورة الفاتحة، ذكرها كمثال لِما أجمله، يقول: (فَـ ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة: ٢] **تَوْحِيدٌ**): هذه الآية فيها أنواع التوحيد الثلاثة:

- ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾: أي جميع صفات الكمال على كمالها وتمامها لله -عزَّ وجلَّ-، وهذا كما قلت هذا إثباتٌ مجمل، وسبحان الله نفيٌ مجمل، نفي جميع النقائص والمعايب عن الله -عزَّ وجلَّ-، نفيٌ مجمل، لذلك شيخ الإسلام لما ذكر هذا الموضوع في [التدمرية]، ذكر الآيات التي ورد فيها التسبيح، ذكرها كمثال على النفي المجمل، والأصل في النفي هو الإجمال، والأصل في الإثبات هو التفصيل، فـ ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ فيها إثبات جميع الأسماء والصفات لله -عزَّ وجلَّ-، وهذا توحيد الأسماء والصفات.

- ﴿**لِلَّهِ**﴾: هذه الكلمة فيها توحيد الألوهية، هذه الأسماء والصفات كلها بكمالها وجلالها هي له، لماذا؟ لأنَّه هو الذي يستحقها، وبالتالي هو المعبود، وليس هناك معبودٌ غيره.

- ﴿**رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾: هذا فيها توحيد الربوبية، والله -عزَّ وجلَّ- كلما ذكر حمده لنفسه ذكر بعض ما يحمد لأجلها، الله -عزَّ وجلَّ- يُحمد لصفاته وأسمائه ويحمد أيضًا لِنعمه؛ لأنَّ جميع النِعَم منه سبحان.

وهذه الآية تشبه قوله -عزَّ وجلَّ- في سورة مريم: ﴿**رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [مريم:٦٥]، ذكر الشيخ ابن عثيمين -رَحِمهُ الله- في شرحه للواسطية، أنَّ هذه الآية فيها أنواع التوحيد الثلاثة، واشتمال هذه الآية لأنواع التوحيد الثلاثة أوضح.

﴿**رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾: هذا إيش؟

﴿**فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ**﴾: واصطبر ما قال واصبر، واصطبر؛ لأنَّ العبادة تحتاج إلى مزيد صبر وملازمة الصبر في كل وقت، ﴿**وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ**﴾.

﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ هذا توحيد الأسماء والصفات في آية واحدة، الله -عزَّ وجلَّ- جمع بين هذه الأقسام الثلاثة.

وأيضًا في هذه الآية ذِكر هذه الأنواع ليس ذكرًا مجردًا كما نجده في كتب المتكلمين، حتى لو ذكروا الأقسام ذكروها بترتيبٍ لا تستفيد من الترتيب نفسه، ﴿**رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**﴾ ما دام أنه هو رب السماوات وما بينهما؛ فاعبده، لاحظ الترتيب كيف نستفيد منه، فاعبده، إذًا كونه ربًا دليلٌ على أنَّه هو المعبود، أيضًا: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ دليل، ما بعده دليل وما قبله دليل، كله دليل على إفراده بالألوهية.

(﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ [الفاتحة: ٣] **تَوْحِيدٌ**): أيضًا توحيد الأسماء والصفات.

(﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة: ٤] **تَوْحِيدٌ**): توحيد الربوبية.

(﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥] **تَوْحِيدٌ**): توحيد الألوهية.

(﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الفاتحة: ٦] **تَوْحِيدٌ مُتَضَمِّنٌ لِسُؤَالِ الْهِدَايَةِ إِلَى طَرِيقِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، الَّذِينَ أَنْعَمْ عَلَيْهِمْ، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾** [الفاتحة: ٧] **هؤلاء الَّذِينَ فَارَقُوا التَّوْحِيدَ**): ذكر الشيخ ابن عثيمين -رَحِمهُ الله- في تعليقه على الطحاوية، قال: "**لو قال: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ الذين قاموا بالتوحيد، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الَّذِينَ فَارَقُوا التَّوْحِيدَ) لكان أولى**"، **بل ذكر: "أنَّ هذا الذي يجب عليه"**.

فعلًا استدراك جميل، أليس كذلك؟ "﴿**الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هؤلاء الذين قاموا بالتوحيد،﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الَّذِينَ فَارَقُوا التَّوْحِيدَ**"، على كل حال هذا مثال، مثال لتضمن سور القرآن لنوعي التوحيد، أو لأنواع التوحيد الثلاثة.

**********

**متن:**

**أحسن الله إليكم قال -رَحِمهُ الله تعالى-: (وَكَذَلِكَ شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا التَّوْحِيدِ، وَشَهِدَتْ لَهُ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَأَنْبِيَاؤُهُ وَرُسُلُهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾** [آل عمران: ١٨-١٩]. **فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ إِثْبَاتَ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ، وَالرَّدَّ عَلَى جَمِيعِ طَوَائِفِ الضَّلَالِ، فَتَضَمَّنَتْ أَجَلَّ شَهَادَةٍ وَأَعْظَمَهَا وَأَعْدَلَهَا وَأَصْدَقَهَا، مِنْ أَجَلِّ شَاهِدٍ، بِأَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ. وَعِبَارَاتُ السَّلَفِ فِي (شَهِدَ)- تَدُورُ عَلَى الْحُكْمِ، وَالْقَضَاءِ، وَالْإِعْلَامِ، وَالْبَيَانِ،**

وَالْإِخْبَارِ. وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ كُلُّهَا حَقٌّ لَا تَنَافِي بَيْنَهَا: فَإِنَّ الشَّهَادَةَ تَتَضَمَّنُ كَلَامَ الشَّاهِدِ وَخَبَرَهُ، وَتَتَضَمَّنُ إِعْلَامَهُ وَإِخْبَارَهُ وَبَيَانَهُ. فَلَهَا أَرْبَعُ مَرَاتِبَ:

- فَأَوَّلُ مَرَاتِبِهَا: عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَاعْتِقَادٌ لِصِحَّةِ الْمَشْهُودِ بِهِ وَثُبُوتِهِ.
- وَثَانِيهَا: تَكَلُّمُهُ بِذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُعْلِمْ بِهِ غَيْرَهُ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِهَا مَعَ نَفْسِهِ وَيَذْكُرُهَا وَيَنْطِقُ بِهَا أَوْ يَكْتُبُهَا.
- وَثَالِثُهَا: أَنْ يُعْلِمَ غَيْرَهُ بها بِمَا يَشْهَدُ بِهِ وَيُخْبِرُهُ بِهِ وَيُبَيِّنُهُ لَهُ.
- وَرَابِعُهَا: أَنْ يُلْزِمَهُ بِمَضْمُونِهَا وَيَأْمُرَهُ بِهِ.

فَشَهَادَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِنَفْسِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَالْقِيَامِ بِالْقِسْطِ، تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ: عَلِمَهُ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ، وَتَكَلُّمَهُ بِهِ، وَإِعْلَامَهُ، وَإِخْبَارَهُ لِخَلْقِهِ بِهِ، وَأَمْرَهُمْ وَإِلْزَامَهُمْ بِهِ.

فَأَمَّا مَرْتَبَةُ الْعِلْمِ: فَإِنَّ الشَّهَادَةَ تَضَمَّنَتْهَا ضَرُورَةً، وَإِلَّا كَانَ الشَّاهِدُ شَاهِدًا بِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ»، وَأَشَارَ إِلَى الشَّمْسِ.

وَأَمَّا مَرْتَبَةُ التَّكَلُّمِ وَالْخَبَرِ: فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:١٩]. فَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ شَهَادَةً، وَإِنْ لَمْ يَتَلَفَّظُوا بِلَفْظِ الشَّهَادَةِ، وَلَمْ يُؤَدُّوهَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ.

وَأَمَّا مَرْتَبَةُ الْإِعْلَامِ وَالْإِخْبَارِ فَنَوْعَانِ: إِعْلَامٌ بِالْقَوْلِ، وَإِعْلَامٌ بِالْفِعْلِ. وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ مُعْلِمٍ لِغَيْرِهِ بِأَمْرٍ: تَارَةً يُعْلِمُهُ بِهِ بِقَوْلِهِ، وَتَارَةً بِفِعْلِهِ. وَلِهَذَا كَانَ مَنْ جَعَلَ دَارَهُ مَسْجِدًا وَفَتَحَ بَابَهَا، وَأَفْرَزَهَا بِطَرِيقِهَا وَأَذِنَ لِلنَّاسِ بِالدُّخُولِ وَالصَّلَاةِ فِيهَا: مُعْلِمًا أَنَّهَا وَقْفٌ، وَإِنْ لَمْ يَتَلَفَّظْ بِهِ. وَكَذَلِكَ مَنْ وُجِدَ مُتَقَرِّبًا إِلَى غَيْرِهِ بِأَنْوَاعِ الْمَسَارِّ، يَكُونُ مُعْلِمًا لَهُ وَلِغَيْرِهِ أَنَّهُ يُحِبُّهُ، وَإِنْ لَمْ يَتَلَفَّظْ بِقَوْلِهِ، وَكَذَلِكَ بِالْعَكْسِ.

وَكَذَلِكَ شَهَادَةُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيَانُهُ وَإِعْلَامُهُ، يَكُونُ بِقَوْلِهِ تَارَةً، وَبِفِعْلِهِ أُخْرَى. فَالْقَوْلُ مَا أَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ. وَأَمَّا بَيَانُهُ وَإِعْلَامُهُ بِفِعْلِهِ، فَكَمَا قَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: شَهِدَ اللَّهُ بِتَدْبِيرِهِ الْعَجِيبِ وَأُمُورِهِ الْمُحْكَمَةِ عِنْدَ خَلْقِهِ: أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وَقَالَ آخَرُ:

**وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ**

**وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّهَادَةَ تَكُونُ بِالْفِعْلِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾** [التوبة: ١٧]. **فَهَذِهِ شَهَادَةٌ مِنْهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِمَا يَفْعَلُونَهُ.**

**وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَشْهَدُ بِمَا جَعَلَ آيَاتِهِ الْمَخْلُوقَةَ دَالَّةً عَلَيْهِ، وَدَلَالَتُهَا إِنَّمَا هِيَ بِخَلْقِهِ وَجَعْلِهِ.**

**********

## الشرح

نعم، من هنا من قوله: (**وَكَذَلِكَ شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا التَّوْحِيدِ**)، طبعًا في المدارج (**وَلِذَلِكَ شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا التَّوْحِيدِ**).

من هنا ما ذكره ابن أبي العز هو لِبيان أهمية التوحيد، وذكر أهمية التوحيد في البداية، بداية الشرح، وهو ما يذكره من زاوية أخرى، من أهميته أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- قد شهد به، فهو كما ذكره أعظم أجلُّ شهادةٍ بأجلِّ مشهودٍ به، من أعظم شاهدٍ، أعظم شاهد هو الله -عزَّ وجلَّ-.

(**وأَجَلُّ مَشْهُودٍ بِهِ**): هو التوحيد، فشهادة الله -عزَّ وجلَّ- بالتوحيد هذا يدل على أهميته، هذا أولًا.

ثانيًا: الموضوع الذي يركز عليه هنا ابن أبي العز، هو طبعًا هذا الكلام لابن القيم -رَحِمهُ الله- أنَّ ما شهد به الله -عزَّ وجلَّ- من التوحيد هو واضح جدًّا، وليس الأمر كما يقول المتكلمون، أنَّ هناك غموضًا في توحيد الأسماء والصفات، وكذلك في توحيد الربوبية، وكذلك في توحيد الألوهية، وكذلك في توحيد الربوبية، في توحيد الربوبية عندهم دليلٌ يتيم، فالتوحيد بأنواعه الثلاثة بما أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- شهد به، فمقتضى شهادتِه أنَّ شهادتهُ واضحة، الله -عزَّ وجلَّ- أخبر بها وكررها في كتابه، وأدلتها كثيرة ومبثوثة ومكررة، وإلا فما معنى شهادة الله؟

وفي هذا الصدد سيذكر معنى شهد ما معنى شهد؟ هذا الذي ذكره هنا في معنى شهد يدل على أنَّ شهادة الله -عزَّ وجلَّ- هي أولًا: قائمة بالتوحيد، وثانيًا: هي واضحة وإلا لو كانت عندنا قضية وشهد بها فلان في بيته ونحن ما ندري عنها، هل نستفيد منها؟ ما نستفيد منها، شهد بها في بيته وما

أخبر أحدًا عنها، ولم يُعلم أحدًا عنها، ما نستفيد منها، فشهادة الله -عزَّ وجلَّ- وهو أعظم شاهد بهذا الموضوع وهو أجلُّ مشهودٍ به، مقتضاه أنَّ هذه الشهادة واضحة، كيف أنها واضحة؟ يُبين هنا.

(**وَكَذَلِكَ شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا التَّوْحِيدِ، وَشَهِدَتْ لَهُ بِهِ مَلَائِكَتُهُ وَأَنْبِيَاؤُهُ وَرُسُلُهُ**): وكذلك العلماء الذين هم ورثة الأنبياء.

(**قال سبحانه:** ﴿**شَهِدَ اللَّهُ**﴾): الله -عزَّ وجلَّ- شهد، طبعًا هذه الشهادة ذكر القاضي عبد الجبار في مقدمة كتابه [متشابه القرآن] ذكر في مقدمته أنَّ هذه الشهادة يعني ليس لها تلك القيمة -معنى كلامه- التي لأدلته، لماذا؟ لأنَّ شهادته تندرج ضمن الأدلة السمعية، شهادته أين وردت؟ هي وردت في كتب ابن سينا حتي يكون لها ذلك الـ ... ؟ وردت في كتاب الله -عزَّ وجلَّ-، وكتاب الله -عزَّ وجلَّ- مكانته عندهم ودلالة الآيات عندهم معروفة، وبالتالي قيمتها قيمة نفس الـ .

كتابه متشابه القرآن كله يذكر آية آية، جميع الآيات التي تخالف الأصول الخمسة للمعتزلة يحسبها من المتشابهات ويحاكمها على هذا الأساس.

**هنا:** ﴿**شَهِدَ اللَّهُ**﴾: الله -عزَّ وجلَّ- شهد بهذا الموضوع، إذًا الله -عزَّ وجلَّ- يشهد بهذا الموضوع، إذًا الموضوع خطير، ما هو؟ ﴿**أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ**﴾ ابن القيم -رَحِمهُ الله- ذكر في كتابه [مفتاح دار السعادة] ذكر فصلًا طويلًا، ذكر فيه فضل العلم، وفضل العلماء، وبدأ بهذا الفضل، أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- استشهده على هذه الشهادة، قرَّن شهادتهم بشهادته، وشهادة ملائكته، هذا يدل على فضل العلماء، أول دليل ذكره في فضل العلماء والأدلة التي ذكرها كثيرة، وهذا الجزء أفرده السفاريني في كتابه [القول العلي] وذكره ابن القيم وأفرده ثُم شرحه.

**أول دليل لفضل العلماء هذه الآية:** ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ**﴾ إذًا إن كنت تريد أن تكون من أهل العلم فكرر شهادتك بالتوحيد؛ لأنَّ الشهادة أيضًا تقتضي التكرار، لك درس في السنة مثلًا في التوحيد ما يكفي، الذي تعلمته وفهمته جيدًا لا بد أن تبلغه حتى تكون من أهل العلم؛ لأنَّ الله -عزَّ وجلَّ- مدحهم بهذا، أنهم يشهدون بالتوحيد، وشهادتهم بالتوحيد أعظم شهادة يقومون بها، وأعظم دورٍ يقومون به، وهذا يحتاج إلى تكرار.

﴿**وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**﴾ **فيه معنيان، ذكرهما شيخ الإسلام:**

**المعنى الأول**: أنه حالٌ الشاهد، الله -عزَّ وجلَّ- شهد قائمًا بالقسط، الله -عزَّ وجلَّ- ذكر هنا أنه هو الذي انفرد بالألوهية، وذكر أيضًا أنه يشهد بالقسط، والقسط هو العدل، والعدل هو إعطاء كل ذي حقٍ حقه، وعدم الظلم، هذا فيه إثبات أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- يفعل جميع أفعاله، وأفعاله كلها حسب الحكمة، وأفعاله كلها معللةٌ بالحكمة، لذلك يقول: ﴿**لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ أفعاله كلها هي حسب حكمه -سبحانه- في أفعاله.

﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾: **يقول ابن أبي العز**: (**فَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ إِثْبَاتَ حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ**): ما هي حقيقة التوحيد؟ إفراده بالألوهية، وإفراده بالعبودية.

(**وَالرَّدَّ عَلَى جَمِيعِ طَوَائِفِ الضَّلَالِ، فَتَضَمَّنَتْ أَجَلَّ شَهَادَةٍ وَأَعْظَمَهَا وَأَعْدَلَهَا وَأَصْدَقَهَا**): فعلًا هي شهادة الله -عزَّ وجلَّ-، إذًا هي أجلُّ شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها.

(**مِنْ أَجَلِّ شَاهِدٍ**): وهو الله -عزَّ وجلَّ-، (**بِأَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ**): وهو التوحيد.

هنا: (**وَالرَّدَّ عَلَى جَمِيعِ طَوَائِفِ الضَّلَالِ**): هذا أفرده ابن القيم -رَحِمهُ الله- بفصل في هذا السياق، في [مدارج السالكين]، وهو فصلٌ جميل، كيف أنَّ أهل السُنَّة انفردوا بهذه المزيِّة وبهذه الخصيصة، أنَّهم يشهدون لله -عزَّ وجلَّ- بما شهد به لنفسه في أسمائه وصفاته، وأحكامه وأفعاله، وقضاءه وقدره، كيف أنَّهم ينفردون بهذا دون جميع الطوائف؟ بدون استثناء، ليست هناك طائفة غير أهل السُنَّة يشهدون لله -عزَّ وجلَّ- بما شهد به لنفسه بما ورد في هذه الآية وفي غير هذه الآية، كلهم عندهم نقصٌ في الشهادة بحسب بُعدهم وانحرافهم، جميعهم، وذكر أمثلة.

(**وَعِبَارَاتُ السَّلَفِ فِي** (**شَهِدَ**)- **تَدُورُ عَلَى الْحُكْمِ، وَالْقَضَاءِ، وَالْإِعْلَامِ، وَالْبَيَانِ، وَالْإِخْبَارِ**): حكم وقضاء وعلى الأمر والإعلام والبيان، وهذا إظهار الشهادة، والإخبار.

(**وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ كُلُّهَا حَقٌّ لَا تَنَافِي بَيْنَهَا**): فمن قال أنَّ شهد معناه حَكَم أو قَضى أو أعلَم أو بيَّن أو أخبَر لا تنافي بين هذه الأخبار، لماذا؟ لأنَّ الجميع ذكر بعض معاني الشهادة، وليس من ذكَر مثلًا أنَّ شهد معناها حكَم ليس في كلامه أنَّه يُبعد بقية المعاني لا، هو ذكر بعض المعاني، هذا ذكر بعض المعاني، وهذا ذكر بعض المعاني، وهذا ذكر بعض المعاني.

وكلها تتكامل في بيان المعنى المطلوب، وهذا كثير في عبارات السلف، تفسيراتهم، وهذا ذكره شيخ الإسلام في مقدمة تفسيره، هم يفسرون، هذا يفسر ببعض ما يتحمله السياق أو اللفظ، وهذا يفسر ببعض ما يتحمله وهكذا، لا يكون بينها تضاد، يكون الاختلاف اختلاف التنوع.

(**فَإِنَّ الشَّهَادَةَ تَتَضَمَّنُ كَلَامَ الشَّاهِدِ وَخَبَرَهُ**): ما دام هو شهد؛ إذًا تكلم وأخبر.

(**وَتَتَضَمَّنُ إِعْلَامَهُ وَإِخْبَارَهُ وَبَيَانَهُ. فَلَهَا أَرْبَعُ مَرَاتِبَ**): وهذه المراتب التي ذكرها هنا رائعة جدًّا، كلُّها تدل على أنَّ شهادة الله -عزَّ وجلَّ- بالتوحيد وبحقيقته وبتفسيره واضح جدًّا في الكتاب والسُنَّة.

(**فَأَوَّلُ مَرَاتِبِهَا: عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَاعْتِقَادٌ لِصِحَّةِ الْمَشْهُودِ بِهِ وَثُبُوتِهِ**): طبعًا هو سيشرح جميعها.

(**وَثَانِيهَا: تَكَلُّمُهُ بِذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُعْلِمْ بِهِ غَيْرَهُ**): هذه مرحلة من مراحل الشهادة أنه يتكلم بذلك.

(**بَلْ يَتَكَلَّمُ بِهَا مَعَ نَفْسِهِ وَيَذْكُرُهَا وَيَنْطِقُ بِهَا أَوْ يَكْتُبُهَا**): هذه مرحلة.

(**وَثَالِثُهَا: أَنْ يُعْلِمَ غَيْرَهُ بها بِمَا يَشْهَدُ بِهِ وَيُخْبِرُهُ بِهِ وَيُبَيِّنُهُ لَهُ**): وإلا لا تكون شهادة.

(**وَرَابِعُهَا: أَنْ يُلْزِمَهُ بِمَضْمُونِهَا وَيَأْمُرَهُ بِهِ**): هذه هنا شهادة الله -عزَّ وجلَّ-، فلذلك الرابع هنا كما سيذكر المؤلف، الرابع ليس من مستلزمات الشهادة ولكنها هنا موجودة لِما سيذكر.

(**فَشَهَادَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِنَفْسِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ**): الوحدانية هي الصِفة الله -عزَّ وجلَّ-، التوحيد هو وصْف، الوحدانية هي صِفة الله -عزَّ وجلَّ-.

(**فَشَهَادَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِنَفْسِهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْقِيَامِ بِالْقِسْطِ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ: عَلِمَهُ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ، وَتَكَلُّمَهُ بِهِ، وَإِعْلَامَهُ، وَإِخْبَارَهُ لِخَلْقِهِ بِهِ، وَأَمْرَهُمْ وَإِلْزَامَهُمْ بِهِ**): هذا إجمالًا، الآن يفصل.

(**فَأَمَّا مَرْتَبَةُ الْعِلْمِ**): المرتبة الأولى.

(**فَإِنَّ الشَّهَادَةَ تَضَمَّنَتْهَا ضَرُورَةً، وَإِلَّا كَانَ الشَّاهِدُ شَاهِدًا بِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ**):

أنت لَما تشهد تشهد بماذا؟ تشهد بما جهلت به؟ إذًا ليست شهادة، ما دمت تشهد فإنَّك تشهد بما شهدته وما علمته وما تيقنت من صحته يقول سبحانه:

(﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ»): طبعًا الحديث فيه كلام، الراجح أنَّه على كلام الذهبي، أنَّه واهم لا يصح.

(وَأَشَارَ إِلَى الشَّمْسِ): إذًا الشهادة لا تكون شهادةً إلا إذا كان الشاهد عالِمًا بما يشهد به، هذه المرتبة الأولى، مرتبة الشهادة.

(وَأَمَّا مَرْتَبَةُ التَّكَلُّمِ وَالْخَبَرِ فَقَالَ سُبحانه: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾): جعلوهم ماذا؟ ﴿إِنَاثًا﴾ هذا المفعول الثاني ﴿إِنَاثًا﴾

(﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:١٩] فَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ شَهَادَةً، وَإِنْ لَمْ يَتَلَفَّظُوا بِلَفْظِ الشَّهَادَةِ، وَلَمْ يُؤَدُّوهَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ): بما أنَّهم قالوا هذا بما أنَّهم تكلموا به وأخبروا به بأي عبارة اعتبر شهادةً، إذًا الشهادة تطلق على التكلم والخبر، طبعًا بعدها كلامٌ طويل لشيخ الإسلام وكذلك لابن القيم لم يذكره المؤلف هنا، ذكر فيه شواهد لإطلاق الشهادة على الإخبار والإقرار.

(وَأَمَّا مَرْتَبَةُ الْإِعْلَامِ وَالْإِخْبَارِ): هنا أولًا العلم، ثانيًا: التكلم والخبر، ثالثًا: الإعلام والإخبار، فرق بين الخبر والإخبار، فرق بين التكلم والإعلام، التكلم كما سبق هناك (تَكَلُّمُهُ بِذَلِكَ، وَإِنْ لَمْ يُعْلِمْ بِهِ غَيْرَهُ) أما الإعلام والإخبار فيخبر غيره بما يعلمه، وبما يعتقِده.

(مَرْتَبَةُ الْإِعْلَامِ وَالْإِخْبَارِ فَنَوْعَانِ: فَنَوْعَانِ: إِعْلَامٌ بِالْقَوْلِ، وَإِعْلَامٌ بِالْفِعْلِ): طبعًا هذا التفصيل لبيان الإعلام بالفعل؛ لأنَّ الإعلام عمومًا يقصد به الإعلام بالقول، الإعلام بالقول ما يحتاج إلى تفصيل، الإعلام بالفعل هو الذي يحتاج إلى تفصيل، ولأجله ذكر هذا التفصيل.

(وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ مُعْلِمٍ لِغَيْرِهِ بِأَمْرٍ: تَارَةً يُعْلِمُهُ بِهِ بِقَوْلِهِ، وَتَارَةً بِفِعْلِهِ): ذكر أمثلة للإعلام بالفعل.

(وَلِهَذَا كَانَ مَنْ جَعَلَ دَارَهُ مَسْجِدًا وَفَتَحَ بَابَهَا، وَأَفْرَزَهَا بِطَرِيقِهَا): وحَّدها يعني ميَّزها بطريقها.

(وَأَذِنَ لِلنَّاسِ بِالدُّخُولِ وَالصَّلَاةِ فِيهَا: كَانَ مُعْلِمًا أَنَّهَا وَقْفٌ، وَإِنْ لَمْ يَتَلَفَّظْ بِهِ): وهذا إعلامٌ بالفعل، لا يحتاج أن يتلفظ أو لا يتوقف الأمر في الإعلام هنا أن يكتب أنَّ هذا وقف، ما دام أنه فعل هذه المراحل كلها، هذا يدل على أنَّ هذا وقفٌ ويريد واقفه أن يكون للصلاة.

(وَكَذَلِكَ مَنْ وُجِدَ مُتَقَرِّبًا إِلَى غَيْرِهِ بِأَنْوَاعِ الْمَسَارِّ): الأمور التي تسره، يتقرب إليه بأنواع المسار.

(يَكُونُ مُعْلِمًا لَهُ وَلِغَيْرِهِ أَنَّهُ يُحِبُّهُ): هل يقدم له الهدايا ليغضب؟ لا، هو يخبره ويخبر غيره أنَّه يحبه.

(**وَإِنْ لَمْ يَتَلَفَّظْ بِقَوْلِهِ، وَكَذَلِكَ بِالْعَكْسِ**): من كان يؤذي فُلانًا ويتكلم عنه، هذا ليس دليلًا على حبه له، ولا يحتاج أن يقول أنَّه يبغضه، فعله هذا يدل على أنَّه يريد أن يخبر هذا وغيره أنه يبغضه، وهذا كله إعلامٌ بماذا؟ إعلامٌ بالفعل، تفصيل هذا المقصود فيه الإعلام بالفعل، أما الإعلام بالقول ما يحتاج إلى تفصيل، (**وَكَذَلِكَ**): جاء إلى المقصود.

(**شَهَادَةُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيَانُهُ وَإِعْلَامُهُ، يَكُونُ بِقَوْلِهِ تَارَةً، وَبِفِعْلِهِ أُخْرَى. فَالْقَوْلُ مَا أَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ**): كتبه كلُّها، ما أنزله على رسله كلُّها إعلامٌ بالقول، القرآن من أوله إلى آخره إعلامٌ بالقول، الله -عزَّ وجلَّ- يخبر فيه عن محابِه وعن مساخطه، وأما يكون مطلوبًا منَّا، وأما ننهى عنه، كله إعلامٌ من بدايته إلى نهايته، وكذلك جميع الكتب، هذا إعلامٌ بالقول.

(**وَأَمَّا بَيَانُهُ وَإِعْلَامُهُ بِفِعْلِهِ**): فكما يقول ابن القيم فهو ما تضمنه خبره تعالى عن الأدلة الدالة على وحدانيته التي تُعلم دلالتها بالعقل والفطرة وهي كثيرة، جميع الأدلة التي ذكرها الله -عزَّ وجلَّ- هي سمعيةٌ باعتبار، وفعليةٌ وعقليةٌ باعتبار، ما فيها من الأدلة كلها تدل على إعلامٍ بالفعل، وهي سمعيةٌ باعتبار؛ لأنَّ الدلة هذه وردت في القرآن، لذلك الأدلة التي وردت في القرآن هي سمعية وعقلية، وسمعية وفعلية، الله -عزَّ وجلَّ- يخبرنا بفعله أنَّه واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله وأسمائه، وجميع مقتضيات التوحيد، هذا إخبارٌ بالفعل.

**هنا أيضًا كلامٌ طويل لابن القيم تركه ابن أبي العز، ولخصه بقوله: (فَكَمَا قَالَ ابْنُ كَيْسَانَ)**: ابن كيسان من اللغويين المتأخرين وتوفي سنة مائتين وتسعة وتسعين، يقول:

(**شَهِدَ اللَّهُ بِتَدْبِيرِهِ الْعَجِيبِ وَأُمُورِهِ الْمُحْكَمَةِ عِنْدَ خَلْقِهِ: أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**): جميع ما في هذا الكون من المخلوقات كلُّها شهادةٌ منه تدل على خالقها، كلها إخبارٌ بالفعل، ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ [فصلت:٥٣]، كلها إخبارٌ منه وإعلامٌ منه بفعله؛ لأنَّها كلها تدل عليه؛ لذلك ذكر هذا البيت واستشهد به:

(**وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ**).

(**وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّهَادَةَ تَكُونُ بِالْفِعْلِ، قَوْلُهُ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾** [التوبة: ١٧])

يقول: (**فَهَذِهِ شَهَادَةٌ مِنْهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِمَا يَفْعَلُونَهُ**): شاهدين على أنفسهم بالكفر، يقول الله -عزَّ وجلَّ- في سورة العاديات: ﴿**وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ**﴾ [العاديات:٧]، ﴿**لَشَهِيدٌ**﴾: إما بأقواله، وهذا ينطبق على من يذكرون نِعم الله -عزَّ وجلَّ- ويتلفظون به، وإما بفعله وهذا ذكره المفسرون، هو شهيدٌ بأفعاله المتكررة على نفسه، والشهادة هنا ﴿**أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ**﴾ [التوبة:١٧] ليس معناها أنهم شهدوا على أنفسهم بالكفر، بل هم يدعون الإيمان، وهم يدعون أنَّ هذه المساجد لله -عزَّ وجلَّ-، ولكن فعلهم يدل على أنهم يشهدون على أنفسهم بالكفر، فهذه شهادةٌ منهم على أنفسهم بما يفعلونه.

(**وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَشْهَدُ بِمَا جَعَلَ آيَاتِهِ الْمَخْلُوقَةَ دَالَّةً عَلَيْهِ، وَدَلَالَتُهَا إِنَّمَا هِيَ بِخَلْقِهِ وَجَعْلِهِ**): هو الذي خلقها، وهو الذي جعلها أدلةً عليه وعلى توحيده.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

في المرتبة الأخيرة في شيء ما وبذلك نتوقف هنا.

**********

## أسئلة

**سؤال: يقول السائل: أحسن الله إليكم هل قولنا عن طائفة متكلمون أو أهل كلام، نقصد بهم مجموعة من الطوائف كالأشاعرة والمعتزلة؟ ومن أيضًا؟**

**الإجابة:** بالنسبة لطائفة المتكلمين هم في الأصل هم الجهمية والمعتزلة، ولما نقول نحن ونجمل ونقول: المتكلمون فيكون شاملًا لهم كلهم، من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتردية كلهم متكلمون، وهم يفتخرون بأنهم متكلمون، يعني هذا لا يعتبرونه عيبًا، هم كلهم متكلمون.

**سؤال: يقول السائل: أحسن الله إليكم، ما الرد على هذه الشبهة: أنَّ المتكلمين ليس عندهم ما يضاد توحيد الألوهية، فهذا يعني أنهم مُقرون به، وقائل هذا الكلام يريد أن يعتذر لهم في عدم بيانهم لهذا التوحيد.**

**الإجابة:** بالنسبة لأوائل المتكلمين فعلًا وخاصةً الكُلابية، أنا أتحدث عن الكُلابية (٠٩:٤٩) أوائلهم لم يكن فيهم شك في الألوهية، ولكنهم أخطأوا في إخراج توحيد العبادة، أخطأوا في إخراجه

عن مسمى التوحيد، وجعلوا التوحيد جعلوه محصورًا على توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وله أسباب منها إرجائهم في الإمام عمل لهم موقف، فلما حصل هذا الانحراف جاء المتأخرون فوجدوا الباب مفتوحًا فولجوه، المتأخرون من الأشاعرة والماتردية، هم أشاعرة وهم ماتردية ومع ذلك عندهم انحراف في توحيد الألوهية، لماذا؟ من أسبابه أنَّ ما ذكره أوائلهم لا يمانعه، ليس فيه شرك في الألوهية ولكن لا يمانعه، وما ذكروه من الأقوال المبثوثة هنا وهناك في تقرير توحيد الألوهية، وبعض كلامهم الجميل، إنما ذكروه في مناسباتٍ أخرى لا تمت بصلة إلى التوحيد نفسه.

فالاعتذار عنهم إن كان من باب أنَّ أوائلهم خطأهم أقل من خطأ المتأخرين صحيح، أما من يعتذر عنهم ويقول أنهم ما أخطأوا المتقدمون ما أخطأوا، ولكن لما تُعرِّف التوحيد وتخرج أهم ما في التوحيد تخرجه وتذكر فيه بعض معاني التوحيد إذا لم يكن هذا خطأً فما هو؟

**سؤال: يقول السائل أحسن الله إليكم ما وجهكم من الأدلة على صدق الرسل يتضمنها الأدلة على توحيد الألوهية؟**

**الشيخ**: كيف؟

**يقول ما وجه كون الأدلة على صدق الرسل يتضمنها الأدلة على توحيد الألوهية؟**

**الإجابة**: هذا سبق في كلام ابن أبي العز لما ذكر أنَّ الأدلة على توحيد الألوهية كثيرة، منها أدلة إثبات الصانع، على تعبيره؛ لأنَّ كما قلنا توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية يسترسل توحيد الألوهية، إذًا جميع الأدلة التي وردت في توحيد الربوبية هي أدلةٌ من ناحية أخرى لتوحيد الألوهية من هذه النوعية.

**أما أدلة صدق الرسل على توحيد الألوهية**: ما دام هؤلاء الرسل عندك، فما دام تثبت أنهم رسل عندك، كلهم دعوا توحيد الألوهية، ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل:٣٦] إذن تصديقك لهم يدل على أنَّ في تصديقك لهم، أو صدقهم، أو ما جاءوا به كله يدلُ على توحيد الألوهية من هذا الدرب.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم اغفر لشيخنا ولأشياخه وللمسلمين.

**قال الإمام/ علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي –رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:**

(وَأَمَّا مَرْتَبَةُ الْأَمْرِ بِذَلِكَ وَالْإِلْزَامِ بِهِ، وإِنْ كَانَ مُجَرَّدَ الشَّهَادَةِ لَا يَسْتَلْزِمُهُ، لَكِنَّ الشَّهَادَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَدُلُّ عَلَيْهِ وَتَتَضَمَّنُهُ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ شَهِدَ بِهِ شَهَادَةَ مَنْ حَكَمَ بِهِ، وَقَضَى وَأَمَرَ وَأَلْزَمَ عِبَادَهُ بِهِ؛ كَمَا قَالَ –تَعَالَى–: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣]، وَقَالَ –تَعَالَى–: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[النحل:٥١]، وَقَالَ –تَعَالَى–: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾[التوبة:٣١]، وَقَالَ –تَعَالَى–: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[الإسراء:٢٢]، وَقَالَ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[القصص:٨٨]، وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ شَاهِدٌ بِذَلِكَ.

وَوَجْهُ اسْتِلْزَامِ شَهَادَتِهِ سُبْحَانَهُ لِذَلِكَ: أَنَّهُ إِذَا شَهِدَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَدْ أَخْبَرَ وَبَيَّنَ وَأَعْلَمَ وَحَكَمَ وَقَضَى أَنَّ مَا سِوَاهُ لَيْسَ بِإِلَه، وَأَنَّ إِلَهِيَّةَ مَا سِوَاهُ بَاطِلَة، فَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَاه. كَمَا لَا تَصْلُحُ الْإِلَهِيَّةُ لِغَيْرِهِ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ الْأَمْرَ بِاتِّخَاذِهِ وَحْدَهُ إِلَهًا، وَالنَّهْيَ عَنِ اتِّخَاذِ غَيْرِهِ مَعَهُ إِلَهًا، وَهَذَا يَفْهَمُهُ الْمُخَاطَبُ مِنْ هَذَا النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ، كَمَا إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَسْتَفْتِي رَجُلًا أَوْ يَسْتَشْهِدُهُ أَوْ يَسْتَطِبُّهُ وَهُوَ لَيْسَ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَيَدَعُ مَنْ هُوَ أَهْلٌ لَهُ، فَتَقُولُ: هَذَا لَيْسَ بِمُفْتٍ وَلَا شَاهِدٍ وَلَا طَبِيبٍ، الْمُفْتِي فُلَان، وَالشَّاهِدُ فُلَان، وَالطَّبِيبُ فُلَان، فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنْهُ وَنَهْي.

وَأَيْضًا فَالْآيَةُ دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُ وَحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ، فَإِذَا أَخْبَرَ أَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ تَضَمَّنَ هَذَا الْإِخْبَارُ أَمْرَ الْعِبَادِ وَإِلْزَامَهُمْ بِأَدَاءِ مَا يَسْتَحِقُّه الرَّبُّ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، وَأَنَّ الْقِيَامَ بِذَلِكَ هُوَ خَالِصُ حَقِّهِ عَلَيْهِمْ.

وَأَيْضًا فَلَفْظُ الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ يُسْتَعْمَلُ فِي الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ، وَيُقَالُ لِلْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ: قَضِيَّةٌ، وَحُكْمٌ، وَقَدْ حُكِمَ فِيهَا بِكَذَا، قَالَ –تَعَالَى–: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات:١٥١-١٥٤]. فَجَعَلَ هَذَا الْإِخْبَارَ الْمُجَرَّدَ مِنْهُمْ حُكْمًا، وَقَالَ –تَعَالَى–: ﴿أَفَنَجْعَلُ

الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[القلم:٣٥-٣٦]، لَكِنَّ هَذَا حُكْمٌ لَا إِلْزَامَ مَعَهُ، وَالْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مُتَضَمِّنٌ لِلْإِلْزَامِ.

وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ مُجَرَّدَ شَهَادَةٍ لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنَ الْعِلْمِ بِهَا وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا، وَلَمْ تَقُمْ عَلَيْهِمْ بِهَا الْحُجَّةُ، بَلْ قَدْ تَضَمَّنَتِ الْبَيَانَ لِلْعِبَادِ وَدَلَالَتَهُمْ وَتَعْرِيفَهُمْ بِمَا شَهِدَ بِهِ، كَمَا أَنَّ الشَّاهِدَ مِنَ الْعِبَادِ إِذَا كَانَتْ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ وَلَمْ يُبَيِّنْهَا بَلْ كَتَمَهَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا أَحَد، وَلَمْ تَقُمْ بِهَا حُجَّة. وَإِذَا كَانَ لَا يُنْتَفَعُ بِهَا إِلَّا بِبَيَانِهَا، فَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ بَيَّنَهَا غَايَةَ الْبَيَانِ بِطُرُقٍ ثَلَاثَة: السَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْعَقْلِ).

**********

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

## الشرح

لا زال الشارح ينقل كلام الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- في كتابه [المدارج]، [مدارج السالكين]، ينقل ما كتبه تفسيرًا لقول الله -عزَّ وجلّ-: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[آل عمران:١٨-١٩]، ومما بيَّنه في تفسير هذه الآية، التفصيل الجيد والرائع حول كلمة: ﴿شَهِدَ﴾، وما معنى شهادة الله -عزَّ وجلّ-، له بإفراده بالألوهية، ما معناه؟ وكيف نعلمه؟ وهل شهادته واضحة جليَّة وبإمكاننا أن نعلم بها؟ أو شهادته ظلت خفيةً، بل هي مناقضةٌ للحق كما يزعمه الجهمية وأفراقهم.

**ما معنى شهادة الله -عزَّ وجلّ- لنفسه بإفراده بالألوهية؟**

هذا التفصيل الذي ذكره الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ-، كثيرٌ من كلامه ورد عند شيخه ابن تيمية، وبعضه بهذا التفصيل لم أطلع عليه حتى في كتب شيخه، تفصيلٌ رائعٌ جدًّا في تفسير هذه الآية. ولا زلنا مع مراتب الشهادة، (شهادة الله -عزَّ وجلّ-، وهنا يتحدث عن شهادة الله -عزَّ وجلّ-.

**وإلَّا عموم الشهادة مراتبها ثلاثة سبقت:**

١. العلم والمعرفة والاعتقاد.

٢. والتكلم بما يشهد به.

٣. والإعلام.

هذه المراتب الثلاثة، وهذه لابد منها في الشهادة.

المرتبة الأخيرة التي يتحدث عنها في درسنا اليوم، هذه المرتبة كما يقول المؤلف:

**(وَأَمَّا مَرْتَبَةُ الْأَمْرِ بِذَلِكَ وَالْإِلْزَامِ بِهِ، وإِنْ كَانَ مُجَرَّدَ الشَّهَادَةِ لَا يَسْتَلْزِمُهُ)**: هذه المرتبة ليست ملازمةً للشهادة في كل الأحوال، ولكن بما أنَّ الشهادة هنا من الله -عزَّ وجلّ-، فهذه المرتبة هي مُكمِّلة للمراتب الثلاثة السابقة، ولابد من هذه المرتبة هنا؛ لكونه شهادةً معينةً بأمرٍ معين من شاهدٍ معين، وإلَّا الشهادة عمومًا لا تستلزم الإلزام والأمر.

لأنك لما تشهد عند القاضي هل معناه أنك تأمره؟ لا، ليس معناه أنك تأمره. أنت تشهد، وذاك يشهد، وذاك يشهد له أن يأخذ بشهادتك أو بشهادة غيرك، فالشهادة عمومًا لا يستلزم الأمر والإلزام، ولكن كما يقول المؤلف: **(لَكِنَّ الشَّهَادَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَدُلُّ عَلَيْهِ وَتَتَضَمَّنُهُ)**.

في قوله: **(وإِنْ مُجَرَّدَ)**، هنا: **(وإِنْ كَانَ)**، كلمة **(كَانَ)** موجودة في [المدارج] ولا يستقيم إلَّا بها.

**(وإِنْ كَانَ مُجَرَّدَ الشَّهَادَةِ لَا يَسْتَلْزِمُهُ)**: يعني المرتبة الأخيرة هذه، هذه المرتبة ليست ملازمةً للشهادة عمومًا.

**(لَكِنَّ الشَّهَادَةَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ)**، وهي شهادة الله -عزَّ وجلّ-، **(تَدُلُّ عَلَيْهِ)**؛ أي على الأمر والإلزام، **(وَتَتَضَمَّنُهُ)** وتتضمن الأمر والإلزام. **كيف؟** هذا الذي بيّنه ابن أبي العز هنا.

يقول: **(فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ شَهِدَ بِهِ)**: من الشاهد هنا؟ هو الله -عزَّ وجلّ-، أولًا.

**(شَهِدَ بِهِ شَهَادَةَ مَنْ حَكَمَ بِهِ، وَقَضَى وَأَمَرَ وَأَلْزَمَ عِبَادَهُ بِهِ)**: شهادته هنا: **(شَهَادَةَ مَنْ حَكَمَ بِهِ، وَقَضَى وَأَمَرَ وَأَلْزَمَ عِبَادَهُ بِهِ)**، إذًا الشهادة هنا تستلزم الأمر والإلزام.

**(كما قال -سبحانه-: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣])**: ﴿قَضَى﴾: أي حكم وأمر، قضى هنا بمعنى: حَكم وأمر ووصى.

**وقال -سبحانه-**: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[النحل:٥١]: ﴿قَالَ﴾: وما معنى قوله؟ حكم به وأمر به، معنى القول عمومًا ما يستلزم الأمر والإلزام.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾[التوبة:٣١]: هذا يُفسر الآيات الأخرى.

**وقال –سبحانه–:** ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[الإسراء:٢٢]: هذا أيضًا تفسيرٌ للآية السابقة.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [القصص:٨٨]، **وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ شَاهِدٌ بِذَلِكَ**): أي شاهدٌ بأن شهادته وقوله وحكمه، هو متضمنٌ للأمر به، والحكم به، والإلزام به.

(**وَوَجْهُ اسْتِلْزَامِ شَهَادَتِهِ سُبْحَانَهُ لِذَلِكَ: أَنَّهُ إِذَا شَهِدَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**): الله –عزَّ وجلّ– يشهد أنه (**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**)، الله –عزَّ وجلّ– (**شَهِدَ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**)، إذا شهد بهذا (**فَقَدْ أَخْبَرَ وَبَيَّنَ وَأَعْلَمَ وَحَكَمَ وَقَضَى**) كل المراتب السابقة. بماذا (**أَخْبَرَ وَبَيَّنَ وَأَعْلَمَ وَحَكَمَ وَقَضَى**)؟

(**أَنَّ مَا سِوَاهُ لَيْسَ بِإِلَه، وَأَنَّ إِلَهِيَّةَ مَا سِوَاهُ بَاطِلَة**)، وبالتالي (**فَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ سِوَاه. كَمَا لَا تَصْلُحُ الْإِلَهِيَّةُ لِغَيْرِهِ**)، وهذا كله (**يَسْتَلْزِمُ الْأَمْرَ بِاتِّخَاذِهِ وَحْدَهُ إِلَه**). **هل شهد بهذا حتى نعلم شهادته ثم بعد ذلك يكون الأمر لنا، نقبلها أو لا نقبلها؟**

لا، بل شهد بذلك، وأخبرنا بذلك، ليُلزمنا بذلك، وليؤمرنا بذلك.

(**وذَلك يَسْتَلْزِمُ الْأَمْرَ بِاتِّخَاذِهِ وَحْدَهُ إِلَه، وَالنَّهْيَ عَنِ اتِّخَاذِ غَيْرِهِ مَعَهُ إِلَهًا**): ثم بيَّن، هذا الذي ذكره بيَّنه بمثالٍ واضح:

يقول: (**هَذَا يَفْهَمُهُ الْمُخَاطَبُ مِنْ هَذَا النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ**): نفى إلهية غيره، وأثبت تفرده بالإلهية وشهد بذلك، وفي ضمن ذلك أمرٌ بذلك، ونهيٌ عن اتخاذ غيره إلهًا.

**يقول: مثلًا مثال:** (**كَمَا إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَسْتَفْتِي رَجُلًا**): (**يَسْتَفْتِي رَجُلًا**) وهو ليس أهلًا للفتوى، (**يَسْتَشْهِدُهُ أَوْ يَسْتَطِبُّه**): يظنه طبيبًا، ويسأله عن أدوية المرض، (**وَهُوَ لَيْسَ أَهْلًا لِذَلِكَ، وَيَدَعُ مَنْ هُوَ أَهْلٌ لَهُ، فَتَقُول** –تقول له–: **هَذَا لَيْسَ بِمُفْتٍ وَلَا شَاهِدٍ وَلَا طَبِيبٍ، الْمُفْتِي فُلَان، وَالشَّاهِدُ فُلَان، وَالطَّبِيبُ فُلَان**): ما معنى هذا؟ أترك هذا واذهب إلى هذا.

(**فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنْهُ وَنَهْي**): (**أَمْرٌ**) بالذهاب إلى المفتي، والشاهد، والطبيب الذي هو أَهلٌ لذلك، (**وَنَهْي**) عن استفتاء هذا، أو استشهاد هذا، أو استطباب هذا، ففيه في إخبارك هنا مع أن الصيغة صيغة إخبار، في شهادتك هنا أمرٌ ونهيٌ.

(**فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنْهُ**): هو في [المدارج]: (**أَمْرٌ مِنْهُ**)، والأنسب (منكَ)؛ لأنَّ هنا يقول: (**كَمَا إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا**)، ثم قلت: (**فَتَقُولُ: هَذَا لَيْسَ بِمُفْتٍ وَلَا**)، فإن هذا (أمرٌ منكَ ونهيٌ، أما ما هنا هو

مناسب لما في [الفتاوى] فتاوى شيخ الإسلام، يقول فيه: "كما إذا استفتى شخصٌ شخصًا، فقال له قائل..." إلى آخره. فهذا (**أَمْرٌ مِنْهُ وَنَهْيٌ**).

**المهم**: أن هذا القول المجرد، وهذا (**هَذَا لَيْسَ بِمُفْتٍ الْمُفْتِي فُلَانٌ**)؛ معناه: أنك تأمره بأمرٍ معين، وتنهاه عن أمرٍ معين، وهكذا شهادة الله -عزَّ وجلّ- بتفرده بالألوهية، وهذه الشهادة فيها أمرٌ وإلزام، وهي المرتبة الأخير من مراتب الشهادة.

(**وَأَيْضًا فَالْآيَةُ دَلَّتْ عَلَى أَنَّهُ وَحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ**): في بعض النسخ (فالأدلة)، وفي أغلب النسخ (**فَالْآيَةُ**).

لا زال يتحدث عن قول الله -عزَّ وجلّ-: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[آل عمران:١٨] هذه الآية دلَّت على أنه وحده المستحق للعبادة؛ لأنَّ فيها نفيٌ وإثبات، ففيه قصرٌ لاستحقاق الألوهية على نفسه المقدسة.

(**فَإِذَا أَخْبَرَ أَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ؛ تَضَمَّنَ هَذَا الْإِخْبَارُ أَمْرَ الْعِبَادِ وَإِلْزَامَهُمْ بِأَدَاءِ مَا يَسْتَحِقُّه الرَّبُّ تعالى عَلَيْهِمْ**): الله -عزَّ وجلّ- لما بيَّن أن هذا حقه، ولا يستحقه غيره. **فما معناه؟** أن هذا الحق يكون لله -عزَّ وجلّ-، ولا يُشرك معه غيره في هذا الحق الذي بيّنه الله -عزَّ وجلّ-، وأنَّه له فقط.

(**وَأَنَّ الْقِيَامَ بِذَلِكَ هُوَ خَالِصُ حَقِّهِ عَلَيْهِمْ**): هذا كله بيانٌ لهذه المرتبة الأخيرة، وأن شهادة الله -عزَّ وجلّ- تتضمن أيضًا الأمر والإلزام، وهي المرتبة الأخيرة من مراتب الشهادة.

لا زال يوضح هذا: (**وَأَيْضًا فَلَفْظُ الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ**): هنا في قول الله -عزَّ وجلّ-: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ**﴾ [الإسراء:٢٣]، ﴿**وَقَالَ اللَّهُ**﴾ [النحل:٥١]، ﴿**قَضَى رَبُّكَ**﴾ أي: وصَّى وأمر وحكم.

(**فَلَفْظُ الْحُكْمِ وَالْقَضَاءِ يُسْتَعْمَلُ فِي الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ، وَيُقَالُ لِلْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ: قَضِيَّةٌ، وَحُكْمٌ، وَقَدْ حُكِمَ فِيهَا بِكَذَا**): أي لماذا يقال فيها؟ لأنَّ فيها حكمٌ، وهذا الحكم يَلزَم من يُوجَّه إليه.

(**يقول الله -عزَّ وجلّ-**: ﴿**أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ**﴾[الصافات:١٥١-١٥٣]:

هنا في الأصل همزتان (أأصطفى)، ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[الصافات:١٥٤]، هنا: ﴿أَلا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ﴾[الصافات:١٥١-١٥٢] هذا إخبار منهم، هذا الإخبار جعله الله -عزَّ وجلّ-؛ (**جَعَلَ هَذَا الْإِخْبَارَ الْمُجَرَّدَ مِنْهُمْ حُكْمًا**) في قولهم: ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾[الصافات:١٥٢] هذا إخبار منهم، هذا الإخبار عبَّر عنه الله -عزَّ وجلّ- عبَّر عنه بالحكم، وأنَّه حُكمٌ منهم: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[الصافات:١٥٤].

**ويقول -سبحانه-**: (﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم:٣٥-٣٦]، **وَلَكِنَّ هَذَا حُكْمٌ لَا إِلْزَامَ مَعَهُ، وَالْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مُتَضَمِّنٌ لِلْإِلْزَامِ**): لماذا "**مُتَضَمِّنٌ لِلْإِلْزَامِ**"؟

**للأمور التي بيّنها**: بالنظر إلى من قضى، وبالنظر إلى صيغة القضاء، وبالنظر إلى موضوع القضاء، هذا كلُّه يدل على أن الله -عزَّ وجلّ- يُريد بهذه الشهادة، وبهذا القضاء، وبهذا الحكم يُريد بذلك كلِّه إلزام عباده بمدلول ومضمون هذه الشهادة.

بعد هذا كلامًا طويل لابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- لم ينقله المؤلف؛ لأنَّه ينقل منه ما يُناسب ويتناسب مع شرحه، ثُمَّ بعض الصفحات نقل منه هذا الذي (**وَلَوْ كَانَ**) هذا بعد حذفه لصفحات، وهذا الذي نقله من هنا: (**وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ**) أيضًا حوره بما يتناسب مع شرحه، ولا زال مع موضوع الشهادة، وأنَّ هذه الشهادة فيها إلزام، وفيها جميع المراتب السابقة.

(**وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ مُجَرَّدَ شَهَادَةٍ لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنَ الْعِلْمِ بِهَا** (هنا نقطتين): **لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا**): الواو هذه خطأ، وهذه لا توجد في [المدارج]، ووجودها يُفسِد ويجعل الخلل في المعنى.

(**وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ مُجَرَّدَ شَهَادَةٍ لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنَ الْعِلْمِ بِهَا: لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا، وَلَمْ تَقُمْ عَلَيْهِمْ بِهَا الْحُجَّةُ**): لو كانت شهادة الله عزَّ وجلّ، والله -عزَّ وجلّ- يُخبرنا بأنه شهد بكيت وكيت، وهذه الشهادة لا ندري عنها، إذًا ما فائدة هذه الشهادة؟ فائدة الشهادة أن نعلم بها، ونستفيد منها، وننتفع بها، وتقوم الحُجَّة بها علينا، هذه فائدتها.

(**وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ مُجَرَّدَ شَهَادَةٍ لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنَ الْعِلْمِ بِهَا**): حسب ما يذكره الجهمية وفروقهم: أنَّ شهادة الله -عزَّ وجلّ- بأنه: لا إله إلَّا هو، وشهادته بأسمائه وصفاته، وهذه الشهادة عندهم غير معلومة، في أحسن الأحوال غير معلومة، وإلَّا (فالشهادة الحق) كما سيأتي في كلام ابن القيم،

فالشهادة الحق وما عندهم من التعطيل؛ لأنَّ الحق هو فيما عندهم من التعطيل، أما شهادة الله -عزَّ وجلّ- بأسمائه وصفاته، وبتفرده بالألوهية، فهذه في أحسن الأحوال الجهل بها أحسن عندهم؛ وإلَّا في الحقيقة وهذه الشهادة تُضاد الحق الذي يجب علينا عندهم، تُضاد وتناقض.

**(وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ مُجَرَّدَ شَهَادَةٍ لَمْ يَتَمَكَّنُوا مِنَ الْعِلْمِ بِهَا)** في أحسن الأحوال **(لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا، وَلَمْ تَقُمْ عَلَيْهِمْ بِهَا الْحُجَّةُ، بَلْ تَضَمَّنَتِ الْبَيَانَ لِلْعِبَادِ وَدَلَالَتَهُمْ وَتَعْرِيفَهُمْ بِمَا شَهِدَ بِهِ)**: كيف عرَّفهم بهذه الشهادة؟ سيأتي في كلامه، عرَّفهم بهذه الشهادة بطرقٍ ثلاثة، سيأتي.

**(وَدَلَالَتَهُمْ وَتَعْرِيفَهُمْ بِمَا شَهِدَ بِهِ، كَمَا أَنَّ الشَّاهِدَ مِنَ الْعِبَادِ إِذَا كَانَتْ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ وَلَمْ يُبَيِّنْهَا بَلْ كَتَمَهَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا أَحَد، وَلَمْ تَقُمْ بِهَا حُجَّة)**:

شخص يقول أنا من الشهود، عندي شهادة في هذه القضية، ما هي هذه الشهادة؟ ما أُدلي بها فبماذا استفدنا من شهادتك؟ ما علمنا شهادتك؟ لن نستفيد منها إلَّا بعد أن تُدلي بها، إلَّا بعد أن تُخبرنا عنها، بعد ما تخبر بشهادتك ستكون الحُجَّة على من تلزمه.

فمن **(عِنْدَهُ شَهَادَةٌ وَلَمْ يُبَيِّنْهَا بَلْ كَتَمَهَا)** هذه الشهادة وجودها كعدمها؛ لأنَّه ما أظهرها، -ومعاذ الله- شهادة الله -عزَّ وجلّ- ليس مثل هذه الشهادة، بل شهادته هي شهادة: أمرٍ وإلزام وحكمٍ، وبما أنها كذلك، فالله -عزَّ وجلّ- بيَّنها، ولم يجعل فيها غموضًا، ووضّحها وجلَّاها. كيف بيَّنها؟ هذا الذي يُبيِّنه المؤلف هنا.

**********

## المتن

**أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:**

**(وَإِذَا كَانَ لَا يُنْتَفَعُ بِهَا إِلَّا بِبَيَانِهَا، فَهُوَ -سُبْحَانَهُ- قَدْ بَيَّنَهَا غَايَةَ الْبَيَانِ بِطُرُقٍ ثَلَاثَةٍ: السَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْعَقْلِ.**

**أَمَّا السَّمْعُ: فَبِسَمْعِ آيَاتِهِ الْمَتْلُوَّةِ الْمُبَيِّنَةِ لِمَا عَرَّفَنَا إِيَّاهُ مِنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ كُلِّهَا -الْوَحْدَانِيَّةِ وَغَيْرِهَا- غَايَةَ الْبَيَانِ، لَا كَمَا يَزْعُمُهُ الْجَهْمِيَّةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَمُعَطِّلَةِ بَعْضِ الصِّفَاتِ مِنْ دَعْوَى احْتِمَالَاتٍ تُوقِعُ فِي الْحَيْرَةِ، تُنَافِي الْبَيَانَ الَّذِي وَصَفَ اللَّهُ بِهِ كِتَابَهُ الْعَزِيزَ وَرَسُولَهُ الْكَرِيمَ.**

كَمَا قَالَ -تَعَالَى-: ﴿حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف:١-٢]، قَالَ -تَعَالَى-: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف:١]، قَالَ -تَعَالَى-: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر:١]. وقولِهِ -تَعَالَى-: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨]، وقولِهِ -تَعَالَى-: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة:٩٢]، وقوله -تَعَالَى-: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل:٤٤].

وَكَذَلِكَ السُّنَّةُ تَأْتِي مُبَيِّنَةً أَوْ مُقَرِّرَةً لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَلَمْ يُحْوِجْنَا رَبُّنَا -سبحانهُ وتعَالَى- إِلَى رَأْيِ فُلَان، وَلَا إِلَى ذَوْقِ فُلَان وَوَجْدِهِ فِي أُصُولِ دِينِنَا.

وَلِهَذَا نَجِدُ مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ مُخْتَلِفِينَ مُضْطَرِبِينَ، بَلْ قَدْ قَالَ -تَعَالَى-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، فَلَا يَحْتَاجُ فِي تَكْمِيلِهِ إِلَى أَمْرٍ خَارِجٍ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِيمَا يَأْتِي مِنْ كَلَامِهِ بِقَوْلِهِ: لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا، فَإِنَّهُ مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ -عزَّ وجلّ- وَلِرَسُولِهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَأَمَّا آيَاتُهُ الْعِيَانِيَّةُ الْخَلْقِيَّةُ: فَالنَّظَرُ فِيهَا وَالِاسْتِدْلَالُ بِهَا يَدُلُّ عَلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ آيَاتُهُ الْقَوْلِيَّةُ السَّمْعِيَّةُ، وَالْعَقْلُ يَجْمَعُ بَيْنَ هَذِهِ وَهَذِهِ، فَيَجْزِمُ بِصِحَّةِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، فَتَتَّفِقُ شَهَادَةُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ.

فَهُوَ سُبْحَانَهُ لِكَمَالِ عَدْلِهِ وَرَحْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ وَحِكْمَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ لِلْعُذْرِ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا وَمَعَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، قَالَ -تَعَالَى-: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥].

وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ [النحل:٤٣-٤٤].

وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾[آل عمران:١٨٣].

وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران:١٨٤].

وَقَالَ -تَعَالَى-: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾[الشورى:١٧].

حَتَّى إِنَّ مِنْ أَخْفَى آيَاتِ الرُّسُلِ آيَاتُ هُودٍ، حَتَّى قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾[هود:٥٣]، وَمَعَ هَذَا فَبَيِّنَتُهُ مِنْ أَوْضَحِ الْبَيِّنَاتِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِتَدَبُّرِهَا، وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٤) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[هود:٥٤-٥٦].

فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ: أَنَّ رَجُلًا وَاحِدًا يُخَاطِبُ أُمَّةً عَظِيمَةً بِهَذَا الْخِطَابِ، غَيْرَ جَزِعٍ، وَلَا فَزِعٍ، وَلَا خَوَّارٍ، بَلْ هُوَ وَاثِقٌ بِمَا قَالَهُ، جَازِمٌ بِهِ، فَأَشْهَدَ اللَّهَ أَوَّلًا عَلَى بَرَاءَتِهِ مِنْ دِينِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ إِشْهَادَ وَاثِقٍ بِهِ، مُعْتَمِدٍ عَلَيْهِ، مُعْلِمٍ لِقَوْمِهِ أَنَّهُ وَلِيُّهُ وَنَاصِرُهُ وَغَيْرُ مُسَلِّطٍ لَهُمْ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَشْهَدَهُمْ إِشْهَادَ مُجَاهِرٍ لَهُمْ بِالْمُخَالَفَةِ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ دِينِهِمْ، وَآلِهَتِهِمُ الَّتِي يُوَالُونَ عَلَيْهَا، وَيُعَادُونَ عَلَيْهَا، وَيَبْذُلُونَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي نُصْرَتِهِمْ لَهَا، ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِالِاسْتِهَانَةِ بِهِمْ وَاحْتِقَارِهِمْ وَازْدِرَائِهِمْ، وَلَوْ يَجْتَمِعُونَ كُلُّهُمْ عَلَى كَيْدِهِ وَشِفَاءِ غَيْظِهِمْ مِنْهُ، ثُمَّ يُعَاجِلُونَهُ وَلَا يُمْهِلُونَهُ.

ثُمَّ قَرَّرَ دَعْوَتَهُمْ أَحْسَنَ تَقْرِيرٍ، وَبَيَّنَ أَنَّ رَبَّهُ -تَعَالَى- وَرَبَّهُمُ الَّذِي نَوَاصِيهِمْ بِيَدِهِ هُوَ وَلِيُّهُ وَوَكِيلُهُ الْقَائِمُ بِنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ، وَأَنَّهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَلَا يَخْذُلُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَأَقَرَّ بِهِ، وَلَا يُشْمِتُ بِهِ أَعْدَاءَهُ، فَأَيُّ آيَةٍ وَبُرْهَانٍ أَحْسَنُ مِنْ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- وَبَرَاهِينِهِمْ وَأَدِلَّتِهِمْ؟ وَهِيَ شَهَادَةٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَهُمْ، بَيَّنَهَا لِعِبَادِهِ غَايَةَ الْبَيَانِ).

**********

## الشرح

بيّن هنا في هذه الفقرة أن شهادة الله -عزَّ وجلّ-، هي واضحة، وقد بيَّنها الله -عزَّ وجلّ- بطرقٍ كثيرة، سبق في معنى الشهادة، أن الشهادة لابد فيها من البيان والإعلام، وسبق أيضًا أن البيّان قد حصل من الله -عزَّ وجلّ-. **وهذا البيان كيف حصل؟**

**حصل بطرقٍ كثيرة:**

لو كان حصل بطريقٍ واحدة؛ لحُرِّم منها من حُرم تلك الوسيلة؛ لأنَّ طرق المعرفة كثيرة، مثلًا مصادر المعرفة (المعرفة الحسية) كثيرة، **منها**: الحواس الخمس، فمن فقد حاسةً منها فقد جانبًا من العلم حتى في المحسوسات.

ولو كان بيّانه عن طريق مصدرٍ واحد لحُرم منه من حُرِم تلك الحاسة، **مثلًا**: لو كان بيانه عن طريق الأدلة السميعة التي يستفيد منها مَن عنده آلة السمع، وقوة إدراك المسموعات فقط، لحُرِمَ منها البقية، لو كان بيانه بطريق السمع فقط لحُرم منها البقية، لو كان بيانه بجميع الطرق إلَّا طريق السمع؛ لحُرم منها الذي حُرم هذه الآلة. واضح؟

يعني مصادر المعرفة كثيرة لو اقتصر البيان على مصدرٍ واحد أو مصدرين أو ثلاثة، ولم يعُم جميع المصادر؛ لحُرِمَ منه بعض الناس، والله -عزَّ وجلّ- من لطفه وكرمه ورحمته، جعل هذا البيان بجميع الطرق؛ حتى يستفيد منه الجميع وحتى لا يُحرم منه أحد.

**مصادر المعرفة العامة هي ثلاثة: (السَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْعَقْلِ)**، وإلَّا مصادر المعرفة الحسية هي جميع الحواس عمومًا أشملها هي: **(السَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْعَقْلِ)**.

يقول الشيخ هنا: **(وَإِذَا كَانَ لَا يُنْتَفَعُ بِهَا إِلَّا بِبَيَانِهَا)**: تقرر أن الشهادة لا يُنتفع بها إلَّا بالبيان، **(فَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ بَيَّنَهَا غَايَةَ الْبَيَانِ، بِطُرُقٍ ثَلَاثَةٍ)**، هذه الطرق الثلاث تشمل جميع المصادر، الطرق الثلاث: **(السَّمْعِ، وَالْبَصَرِ، وَالْعَقْلِ)** وهذه كما قلت: هذه مصادر المعرفة.

يقول الله -عزَّ وجلّ-: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[النحل:٧٨]، ويقول -سبحانه-: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[الإسراء:٣٦].

ورد السمع في القرآن أكثر من مائة مرة، وورد مقرونًا بالبصر ثمانٍ وثلاثين مرة، السمع مقرون بالبصر، وفي جميع المواضع التي تتحدث عن خِلقة الإنسان، وعن هذه القوى: (قوة إدراك المسموعات، وقوة إدراك المبصرات) قدَّم الله -عزَّ وجلّ- السمع على البصر، ولكن لما تحدث عن الأُذن آلة السمع، والبصر آلة الرؤية، قدّم العكس.

طبعًا العلماء لماذا قدّم السمع على البصر، مع أن المعلومات التي يُحصّلها الإنسان عن طريق البصر أكثر، يعني سبعون في المائة من المعلومات، أو من المدركات ستكون عن طريق البصر، وكما يقولون:

اثنا عشرة في المائة منها فقط عن طريق آلة السمع، أي مع ذلك لماذا قُدِّم السمع على البصر في جميع الآيات التي تتحدث عن خَلقِ وخِلقة الإنسان؟

**يقولون:**

**أولًا**: تكون السمع قبل البصر، وهذا قد تأكد بالعلم الحديث، تكَوُّن السمع قبل البصر.

السمع في الجنين يكتمل بآلاته وطرقه في الشهر الخامس، السمع عنده في الشهر الخامس يكون مثل سمع البالغ، يكونُ ناضجًا تمامًا كما يكون عند البالغ، بينما يبدأ في التكون، بالنسبة للبصر يبدأ في التكون في الشهر الرابع، ويكتمل لما يصل إلى العاشر من عمره بعد ولادته، يتطور ويتكامل وينضج، ويصل نضوجه لَما يصل إلى العاشر من عمره هذا في الغالب، ولذلك المولود لما يولد، لا يُفرِّق بين النور والظلام، ويكون بالنسبة لسمعه يكون في الشهر الخامس، يقولون: حتى هو يسمع صوت ما يكون في بطن أمه يسمعه. قد يكون هذا سبب.

**وسبب آخر**: أن المعلومات التي تأتينا عن طريق السمع هي أقل ولكنها أرسخ، وهذا معلوم؛ ولذلك في التعليم مصدرنا اعتمادٌ على السمع أكثر من اعتمادٍ على البصر، وهذا معلوم بوسائل التعليم.

قد تكون هذه الأسباب والله أعلم. يعني هذا بعض ما يمكن أن يُقال، أما بالنسبة للواقع فبما أن العين هي في الوقع هي في الأول، ثم لعلَّ هذه هي الحِكمة في تقديم العين على الأذن في الذِكر، أما بالنسبة للقوى كقوة السمع إدراك المسموعات، وقوة البصر إدراك المبصرات، فكما قلت: هذا هو الترتيب في القرآن.

**لماذا ورود السمع والبصر بهذا العدد؟**

لأنَّها وسائل المعرفة، هي وسائل المعرفة ركزوا في قوله -تعالى-: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ**﴾، جعل لكم؛ للعلم، ﴿**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ**﴾[النحل:٧٨].

بالنسبة (**للأفئدة**) طبعًا هناك فرق بسيط بين الفؤاد والقلب، هكذا يقولون ولا استحضر ما الفرق، ولكن الذي ورَد مقرونًا بالسمع والبصر هو الفؤاد، والفؤاد هو مركز عملية التعقل.

كما تعرفون هناك خلاف في مركز العقل، **أين العقل؟** خلاف بين الفلاسفة، وخلاف بين أصحاب العلوم العام وخلاف لا زال الخلاف، وأحد المتخصصين ألَّف رسالة نال بها جائزة الملك فيصل، وذكر أنَّه ليس هناك شيء اسمه العقل، وإنما هناك وظائف التعقل، التدبر، التفهم هذه وظائف تقوم بها مجموعةٌ من الحواس، أما أنَّ هناك شيءٌ اسمه عقل وهو شيءٌ مستقل، وعلى كل حال هذا ذكرته عرضًا.

**أين العقل ومركزه؟**

بالنظر إلى الأدلة الشرعية واضح أنَّ مركزه هو **الفؤاد**، وإليه الإشارة في هذه الآيات: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ**﴾[الإسراء:٣٦] ليس المراد به الأحوال التي تحس بها بالفؤاد (بالقلب) فقط، وإنما المراد به الاستدلال العقلي الذي يكون مبنّيًا على ما تُحصلّه بالحواس. إذًا هناك سمع وبصر وحواس أخرى، هذه الحواس تُحصلُّ بها العلم.

يأتي دور **العقل** يقارن بينها ويخرج بنتيجة.

- **مثلًا**: تريد أن تعرف كيف الجبل؟ رأيت جبلًا بشكل معين هنا، وجبلًا بشكل معين هناك، وجبلًا بشكل معين هنا، ثم يجرد العقل بين كُل هذا الذي شاهدته، فيخرج بنتيجة: أن الجبل يتميز بأنه يكون شائقًا، وأنه يكونُ كيت. هذه المعرفة من أين حصلت لك؟ بالحس، والعلوم التي تحصل لك بالحس إذا لم يكن هناك مانع، فالعلم يحصل بها اضطراريًا وضروريًا، إذا لم يكن هناك خلل في أدوات الحس.
- **فمثلًا**: إذا كان أمامك شيء، فإما أن تُبصره أو لا تبصره، متى لا تبصره؟ وإلَّا ستبصره. لا يمكن أنك تفتح العين ولا تبصره. يمكن؟ لا يمكن.
- وكذلك إذا أردت أن تجرب أن النار حارة ولَّا لا، جرِّب ستشعر بحرارته. أليس كذلك

إذًا العلوم التي تحصل لنا بطريق هذه الحواس هي كما يقولون: هي ضرورية، وأحسن الأحوال في الاستدلال العقلي أن يصل إليها أو أن يقترب إليها، إلى العلوم الضرورية التي تحصل لنا بالحواس.

هذه كلها أدوات المعرفة عمومًا، هناك أداةٌ وراء هذا كلها فيما يتعلق بالمعرفة الدينية، وهو الوحي هذا الذي يُفرط فيه المتكلمون وغير المتكلمين. لما يأتون إلى أدوات المعرفة تجدهم يركزون على ذكر هذه الأدوات وفوائدها ومراتبها وفحصها، وقال فلان: أن الحس هذه لا تعطيك اليقين، وقال فلان:

أن فيها نسبة من الشك وبالتالي لا أتيقن به، وقال فلان، وقال فلان. كلها تدور حول المعرفة التي تحصل لك أو تُحصلّها عن طريق الحواس.

هناك شيءٌ وراء هذه كلها، تلك التي أشار إليها الطحاوي -رحمه الله-، والذي نقل بعض كلامه الشارح هنا، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلِم في دينه إلَّا من سلَّمَ لله -عزَّ وجلّ- ولرسوله.

إذًا البراهين كثيرة، ولكن هناك برهانٌ، وهو البرهان فيما يتعلق بالأمور الدينية، وبدون الاستسلام لهذا البرهان لن تكون لك نجاةٌ في هذا الوقت.

الآن هذه الطرق التي ذكرها ابن القيم، ونقلها ابن أبي العز هنا، هذه الطرق لما تُركز فيها تجد أنها تشمل مصادر المعرفة كلها بما فيها الوحي، ما يتعلق بالوحي ضَمَّنه في الجملة الأولى: (**أَمَّا السَّمْع**).

وهنا في قوله: (**أَمَّا السَّمْع**)، هنا يتحدث عن السمع كقوة مدركة -إدراك المسموعات-، ويتحدث أيضًا عمَّا تُحصلها بهذا القوة وهي سماعك للآيات المتلوة، والآيات المتلوة هي الوحي، واضح؟ إذًا اللي في الدرجة الأولى هنا: (**أَمَّا السَّمْع**)، يتحدث عن السمع كقوة مُدركة، ويتحدث أيضًا عن النصوص، إطلاق السمع على النصوص هذا كثير، وخاصةً عند أهل المتكلمين، مع أن أهل السُنَّة أيضًا يستعملون هذا، يقولون: (السمع والعقل) يجعلون هذا مقابل هذا؛ لأن الأدلة السمعية والأدلة العقلية؛ لأن الأدلة السمعية هي كلها وحي، ونقلت إلينا بالسماع، والكتاب والسُنَّة كله.

(**أَمَّا السَّمْع**) كما قلت لك: هذا يشتمل على هذا وهذا.

(**أَمَّا السَّمْع: فَبِسَمْعِ آيَاتِهِ الْمَتْلُوَّةِ**) هنا قوة اسمها قوة السمع، هذه بها تستفيد سماع آيات الله -عزَّ وجلّ- (**الْمَتْلُوَّةِ**).

و(**الْمَتْلُوَّةِ**) **هذه كما يقول ابن القيم**: هي الأدلة القولية المتضمنة؛ لإثبات صفات كماله، ونعوت جلاله، وعلوه على عرشه، وتكلّمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده تكلُّمًا وتكليمًا، حقيقةً لا مجازًا، هذه كلها تحصلها بالسمع، أيضًا بالبصر ولكن هنا أدرجها هنا.

(**الْمَتْلُوَّة الْمُبَيِّنَةِ**) تُبين ماذا؟

(**الْمُبَيِّنَةِ لِمَا عَرَّفَنَا إِيَّاهُ مِنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ كُلِّهَا**): الله -عزَّ وجلّ- تعرف علينا بمخلوقاته وآياته، وتعرف علينا أيضًا بأسمائه وصفاته. و(**عَرَّفَنَا إِيَّاهُ**)، و(**عَرَّفَنَا**) أيضًا أسمائه وصفاته، وهذه، يعني أسمائه وصفاته هي كلها صفات الكمال والجلال.

من (**الْوَحْدَانِيَّةِ وَغَيْرِهَا**)، هذه تسمعها بوضوح (**غَايَةَ الْبَيَانِ، لَا كَمَا يَزْعُمُهُ الْجَهْمِيَّةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَمُعَطِّلَةِ بَعْضِ الصِّفَاتِ مِنْ دَعْوَى احْتِمَالَاتٍ تُوقِعُ فِي الْحَيْرَةِ**):

طبعًا هنا كلامٌ طويل حذفه ابن أبي العز، وهو كلام جميل جدًا سنقرأه من [المدارج].

**يقول**: أنت لما تقرأ الآيات المسموعة و(**الْمَتْلُوَّة**)، ستجد فيها شهادة الله -عزَّ وجلّ- بأسمائه وصفاته، وبكمالاته -وهي معاني أسمائه وصفاته-، تجدها واضحة بغاية الوضوح، وليس الأمر كما يقوله الجهمية: أن هذه الصفات، وهذه النصوص توقع فيها (**احْتِمَالَات تُوقِعُ فِي الْحَيْرَةِ**) ليس الأمر كما يقولون.

**هُم يرون، أنَّ مثلًا كما يقولون في "صفة الاستواء"**: الاستواء في اللغة يأتي على مثلًا سبعة عشر معنى كما يقولون، طيب ما هو المعنى الذي تأخذه؟ ولماذا تأخذ هذا وتترك هذا؟ لماذا يعني؟ وهذه النصوص أوقعتك في الحيرة، ولولا الجهم والمريسي والعلَّاف والنظَّام لبقيت في الحَيْرة، ولكنهم سيأتون وسينقذونك من الحَيرة، أن المراد من هذه المعاني الكثيرة هو هذا المعنى؛ حتى تطمئن إلى شهادة هذا الخبيث، وليس الأمر هكذا، شهادة الله -عزَّ وجلّ- بما يريده واضحة جدًا غاية الوضوح وليس كما يقول هذا.

**يقول**: هذا الذي يدّعون أنها (**تُوقِعُ فِي الْحَيْرَةِ**)، وهذا (**يُنَافِي الْبَيَانَ الَّذِي وَصَفَ اللَّهُ بِهِ كِتَابَهُ الْعَزِيزَ وَرَسُولَهُ الْكَرِيمَ**)، يقول -سبحانه-: ﴿حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الزخرف:١-٢]. **هو "مبينٌ" لماذا؟**

لأنَّه واضحٌ في نفسه، وفيه بيانٌ واضحٌ لما يتضمنه من المعاني:

- ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[يوسف:١].
- ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر:١].
- ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨].
- ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة:٩٢].

- ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤].

هذه النصوص وغيرها كلها تدل على أن الكتاب والسُنَّة، فيها البيان الذي يكفي للعلم بشهادة الله -عزَّ وجلّ-، وبكل ما يريده الله -عزَّ وجلّ- في التوحيد وغيره.

كما قلت: هنا كلام جميل لابن القيم في النفس الفقرة، يقول -ركزوا معي هذا كلامٌ جميل- يقول: (**وَفِي هَذَا إِبْطَالٌ لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يُرِدْ مِنْ عِبَادِهِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَاتُهُ السَّمْعِيَّةُ مِنْ إِثْبَاتِ مَعَانِيهَا وَحَقَائِقِهَا الَّتِي وُضِعَتْ لَهَا أَلْفَاظُهَا**).

نصوص الصفات كثيرة جدًا، وهي في مُجملِّها إما تؤول أو تفوض، أو تُمشَّى بعضها، والبقية تؤول أو تفوض.

يقول: فيه إبطالٌ لهذه الدعوة، (**فَإِنَّ هَذَا ضِدُّ الْبَيَانِ وَالْإِعْلَامِ، وَيَعُودُ عَلَى مَقْصُودِ الشَّهَادَةِ بِالْإِبْطَالِ وَالْكِتْمَانِ**).

لو كان الأمر كما تقولون، فهو: (**يَعُودُ عَلَى مَقْصُودِ الشَّهَادَةِ بِالْإِبْطَالِ وَالْكِتْمَانِ، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ مَنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ مِنْ أَظْلَمِ الظَّالِمِينَ**).

ثُم يقول: (**فَكَيْفَ يُظَنُّ بِاللَّهِ -سُبْحَانَهُ- أَنَّهُ كَتَمَ الشَهَادَةَ الْحَقِّ الَّتِي تشْهَدُ بِهَا الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَالْمُعَطِّلَةُ**). هم يشهدون بماذا؟

نستكمل بعد الصلاة إن شاء الله.

والله أعلم، وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد...**

كنا نتحدث عن موقف الجهمية من هذه الشهادة.

**يقول ابن القيم –رَحِمَهُ الله–**: {فكيف يُظن بالله سبحانه أنه كتم الشهادة الحق التي تشهد بها الجهمية والمعتزلة والمعطلة، ولا يشهد بها عن نفسه، ثم يشهد لنفسه بما يضادها ويناقضها، ولا يجاملها بوجهٍ ما سبحانك هذا بهتانٌ عظيم}.

**ماذا يقول الجهمية والمعتزلة والمعطلة عمومًا؟**

هم يزعمون أن الحق في كلامهم، وبما أن الحق في كلامهم فإن كل ما ورد بخلاف ما يقولون لا يكون حقًّا، وبالتالي ننظر إلى شهادة الله –عَزَّ وَجَل– بتفرده بالألوهية، وبأسمائه وبصفاته بالتفصيل، ننظر إلى هذا من هذه الزاوية ماذا يكون؟

كله ضد الحق الذي يشهد به الجهم وجماعته؛ لأنَّ الحق هو عندهم الذي اكتشفه الجهم المرِّيسي وغيره.

وهذا الذي يقوله المرِّيسي وغيره لا يوجد في الكتاب والسنة، **وبالتالي يقول ابن القيم –رَحِمَهُ الله–**: {كيف يظن بالله أنه كتم الشهادة الحق التي تشهد بها الجهمية والمعتزلة والمعطلة، ولا يشهد بها لنفسه، ثم يشهد لنفسه بما يضادها ويناقضها؟!} دائمًا يأتي بما يناقضهم كما يقولون: آيات التشبيه، وأحاديث التشبيه، هكذا يقولون.

للأسف حتى في الفهرسة المعجم المفهرس لمعاني القرآن الكريم مجلدين من أحسن الفهارس التي أُلفت في فهرسة المعاني تستفيد منه في الخطب وغيرها، كتاب جميل، حتى لما يذكرون صفات الله – عَزَّ وَجَل– من آيات التشبيه اليد، من آيات التشبيه، حتى في الفهرسة، حتى المفهرسون لم يسلموا من هذا المرض، وإلا المفهرس ليس بحاجة إلى هذا، أليس كذلك؟ وإلا أنت تفهرس، تُفهرس ما جاء في القرآن، أو أنت تعلمنا ماذا رأي فلان فيما جاء في الكتاب في القرآن؟!

**المهم**: شهادة الله –عَزَّ وَجَل–، وما ورد في الكتاب كله ضد ما تشهد به الجهمية.

**يقول:** {سبحانك هذا بهتانٌ عظيم، فإن الله سبحانه شهد لنفسه بأنه استوى على العرش، وبأنه القاهر فوق عباده، وبأن ملائكته يخافونه من فوقهم، وأن الملائكة تعرج إليه بالأمر، وتنزل من عنده به، وأن العمل الصالح يصعد إليه، وأنه يأتي، ويجيء، ويتكلم، ويرضى، ويغضب، ويحب، ويبغض، وينادي، ويفرح، ويضحك، ويعجب، وأنه يسمع ويبصر، وأنه يراه المؤمنون بأبصارهم يوم لقائه إلى غير ذلك مما شهد به لنفسه، وشهد له به رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-} كل هذا ضد ما تشهد به الجهمية ومن لفَّ لفهم.

{وشهدت له الجهمية بضد ذلك وقالوا: شهادتنا أعدل وأصح من شهادة النصوص، فإن النصوص تضمنت كتمان الحق، وإظهار خلافه} هكذا هذا بلسان حالهم، وليس بلسان قائلهم، ولكن في بعض ما قالوه بلسان قائلهم من سوء الأدب مع النصوص تتحير فيه.

{فشهادة الرب تعالى تكذب هؤلاء أشد التكذيب، وتتضمن أن الذي شهد به بيَّنه وأوضحه، وأظهره حتى جعله في أعلى مراتب الظهور والبيان، وأنه لو كان الحق ما تقوله المعطلة والجهمية لم يكن العباد قد انتفعوا بما شهد به سبحانه، وإن الحق الذي في نفس الأمر عندهم لم يشهد به لنفسه، والذي شهد به لنفسه وأظهره وأوضحه، فليس بحقٍّ عندهم، ولا يجوز أن يستفاد منه الحق واليقين}.

**إذن الخلاصة:** أنَّ ما يدعيه الجهمية ليس قدحًا في شهادة الله -عَزَّ وَجَل- فقط، وإنما تكذيبٌ لشهادته، ومضادةٌ لشهادته، والزعم بأن ما هو الحق في نفسه هو غير هذا الذي شهد به الله -عَزَّ وَجَل- لنفسه.

**لاحظوا:** كيف تعظيم السلف للقرآن وللنصوص، وكيف يستنبطون منها هذه المعاني الجميلة، لا زلنا مع آية واحدة.

طبعًا (﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران:١٩]) هذه الفقرة أيضًا تحدث عنها ابن القيم، ولكن ابن أبي العز لم يأخذ ما يتعلق بهذه الجملة، إذن لا زلنا مع آية واحدة، وما نقله ابن القيم هنا بما يتعلق بهذه الآية، إذ ما نقله ابن أبي العز ما تركه أكثر مما نقله. هذا كله في هذه الآية الواحدة.

لذلك بعدما انتهى من كلامه حول هذه الآية، قال ابن القيم -رَحِمَهُ الله- ما معنى كلامه: لا تستطل ما ذكرته حول هذه الآية، فإنه أهم من كلام صاحب [المنازل]؛ لأن الكتاب في شرح [منازل السائرين]، يقول: هذا أهم من شرح كلامه.

(**وَكَذَلِكَ السُّنَّةُ تَأْتِي مُبَيِّنَةً أَوْ مُقَرِّرَةً لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ**) مبينةً لما ورد فيه، أو مقررةً لما جاء فيه، مبيِّنة لما كان مجملًا، مقررة لما كان واضحًا (**لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، لَمْ يُحْوِجْنَا رَبُّنَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- إِلَى رَأْيِ فُلَانٍ**) كما هو عند المتكلمين، علم الكلام عبارة عن رأي فلان، قال العلَّاف، قال النَّظَّام، قال فلان، قال أبو علي الجبائي، وقال أبو هاشم، وقال ابنه، وقال أبوه، وكل هذا.

(**وَلَا إِلَى ذَوْقِ فُلَانٍ وَوَجْدِهِ**) هذا أخطر من ذلك، هذا أخطر من سوق الرأي؛ فلذلك لما تكون مع المتكلمين، ثم تذهب إلى أصحاب الذوق تنسى المتكلمين تنساهم بكل ما عندهم، أصحاب الذوق سبحان الله! لهم دينهم، وكلها تخالف الحق الذي جاء به الكتاب والسنة.

(**لَمْ يُحْوِجْنَا -رَبُّنَا سُبْحَانَهُ- وَتَعَالَى إِلَى رَأْيِ فُلَانٍ، وَلَا إِلَى ذَوْقِ فُلَانٍ وَوَجْدِهِ فِي أُصُولِ دِينِنَا**) لا في أصول ديننا، ولا في فروع ديننا، لسنا بحاجة إلى هذه كلها.

طبعًا هذا تحديد مصدر التلقي، وأن مصادر التلقي هي الكتاب والسنة.

**وقلت لكم: مصادر المعرفة عمومًا:**

- السمع.
- والبصر.
- والعقل.

**ومصادر المعرفة عمومًا مع ما يتعلق بالدين ثلاثة:**

- الحس.
- والعقل.
- والوحي.

العقل اعتماده -كما قلت-: على المحسوسات، والضرورات، أما الوحي، فله شأنٌ آخر.

هذا الذي بيَّنه هنا ابن أبي العز –طبعًا هذا لم يأتِ في كلام ابن القيم– من هنا من قوله: (**لَا كَمَا يَزْعُمُهُ الْجَهْمِيَّةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَمُعَطِّلَةِ بَعْضِ الصِّفَاتِ مِنْ دَعْوَى احْتِمَالَاتٍ**) من هنا إلى قوله: (**وَأَمَّا آيَاتُهُ الْعِيَانِيَّةُ الْخَلْقِيَّةُ**) إلى هنا هذا كلام ابن أبي العز.

هذا الذي ذكره هنا فصَّل فيه شيخ الإسلام في كتبٍ كثيرة من أهمها كتابه [جواب الاعتراضات المصرية]، و[جواب الاعتراضات المصرية] أظن تحدثت عنه في درس سابق نسيت في أي درس، المقطع الذي طُبِع كله يتعلق بصفحة واحدة من كتابه [المعترض] صفحة واحدة، المقطع المطبوع يتعلق بصفحة واحدة.

ومما ذكره المعترض: {أن الأحاديث كلها أخبار آحاد}، وبالتالي تفيد ماذا؟ تفيد الظن، وبهذا يفتكون من الأحاديث جملةً وتفصيلًا.

**ورد عليهم من ثلاثة أوجه:**

– **الوجه الأول**: أن هذه الأحاديث هي بيانٌ لما في القرآن، هذا الذي تسلطونه على الأحاديث لا يمكنكم أن تسلطوه على القرآن، أليس كذلك؟ لا يمكنكم أن تقولوا: أن القرآن، أو بعض آياته كله، وبعض آياته من أخبار الآحاد، ولكنكم، طبعًا هم سلطوا هناك كما تقولون مِعولًا آخر، وهو ظنية الأدلة السمعية دلالةً، ولكن ثبوتًا لا يسلطون على القرآن، يرون أن القرآن كله متواتر.

بما أن القرآن كله متواتر المعاني التي وردت في الأحاديث هي نفسها التي وردت في القرآن، فما ذنب هذه الأحاديث؟

لاحظوا هنا: (**وَكَذَلِكَ السُّنَّةُ تَأْتِي مُبَيِّنَةً أَوْ مُقَرِّرَةً لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ**) والقرآن عندكم ثبوتًا قطعي، أما دلالةً ظني.

على مذهب متأخري المتكلمين وخاصةً بعد الرازي الذي جاء بهذه البدعة؛ ظنية الأدلة السمعية جملةً دلالةً؛ كلها دلالةً ظنية، ولا يمكن أن تكون قطعيةً إلا إذا تجاوزت عشر عقبات، وذكر بنفسه أنه يستحيل أن تتوفر هذه الشروط العشرة، وبالتالي الأدلة السمعية كلها ظنية.

**يقول شيخ الإسلام**: {ما دام الأحاديث هي مبيِّنة ومقررة لما جاء في الكتاب، فما ذنبها ههنا؟! إذن قدحكم هنا على الأحاديث ينسحب على القرآن}. هذا وجه.

– **ووجه آخر**: أن الأحاديث التي ترون أنها أخبار آحاد ليس الأمر هكذا.

**ما هو معيار كون الحديث من الآحاد، أو من المتواتر عندكم؟**

المعيار الذي عندكم خطأ، هم جعلوا العدد هو المعيار، الطلب فيه، ليس هذا هو المعيار، بل المعيار هو حصول العلم، وحصول العلم له أسبابٌ كثيرة منها العدد، وليس العدد هو السبيل الوحيد لحصول العلم، وبالتالي كثيرٌ من هذه الأحاديث متواترة، **ولكن متواترة عند من؟** عند المتخصصين، وليس عند المتكلمين.

**المهم**: هذه الأحاديث التي تسلطون عليها هذا الطاغوت، هذه الأحاديث ليس فيها جديد، فيها بيان ما جاء في القرآن في أغلبها.

إذن (**السُّنَّةُ تَأْتِي مُبَيِّنَةً أَوْ مُقَرِّرَةً لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ**) وبالتالي توافق ما جاء في الكتاب، مع ما جاء في السنة.

**(وَلِهَذَا نَجِدُ مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ مُخْتَلِفِينَ مُضْطَرِبِينَ) لماذا؟**

لأن أدلتهم فيها ما يجعلهم مختلفين، مضطربين، متحيرين، (١٢:١٦) المتكلمون دليلهم العقلي، أليس هذا الدليل هو الذي عند الجهم؟ أليس هذا هو الذي عند المعتزلة؟ أليس هذا هو الذي عند الأشاعرة؟ طيب لماذا الاختلاف هذا؟ لما الأشاعرة يكفِّرون المعتزلة، بعضهم يكفرون؟ والمعتزلة يردون على الجهمية: لماذا؟ دليلكم واحد، ولماذا هذا الاضطراب والتعاند، والتضاد فيما بينكم؟ لماذا مع أن الدليل واحد؟ لأن العقول متفاوتة.

الصوفية، هل الأذواق واحدة؟ هذا ذوقه يختلف، وهذا ذوقه يختلف، ذوق من هو الذي يكون معيارًا لجميع الأحكام؟

إذن اختلافهم واضطرابهم بالنظر إلى اختلاف واضطراب وعدم استقامة أدلتهم التي يعتمدون عليها.

**(بَلْ يقول سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، فَلَا يَحْتَاجُ فِي تَكْمِيلِهِ إِلَى أَمْرٍ خَارِجٍ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّحَاوِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ– فِيمَا يَأْتِي مِنْ كَلَامِهِ بِقَوْلِهِ: لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا).**

(**لَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ**) يشير إلى الجمل التي ورد عندها –شوف الجمل التي سبقت هذا، هو تقريبًا في أظن جمل تتعلق بالخبر– في بدايات الكتاب.

(**وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا، فَإِنَّهُ**) هذا هو الشاهد، وهذا هو المهم (فإنَّهُ **مَا سَلِمَ فِي دِينِهِ إِلَّا مَنْ سَلَّمَ لِلَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، وَلِرَسُولِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–**) يشير الإمام الطحاوي هنا إلى أمرٍ مهم جدًّا وهو: أن الأدلة كثيرة، والبراهين عديدة، ولكن البرهان الذي يعتمد عليه في هذا الباب هو البرهان الديني، والدليل الديني، وهو الوحي، وهو الذي يعتمد عليه، وإذا لم تُسلِّم لله –عَزَّ وَجَل–، ولرسوله، وإذا لم تستسلم للوحي لا يسلم لك دينك.

طبعًا الإمام الطحاوي –رَحِمَهُ الله– أطال فيما يتعلق في مصادر التلقي، أطال في هذا الباب وأحسن في هذا، كما ستأتي الجمل التي تتعلق بهذا.

الإمام الطحاوي هنا يبين أن برهان الوحي هو البرهان القطعي، يقول الله –عَزَّ وَجَل–: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (١٧٥)**﴾[النساء:١٧٤-١٧٥].

**والآخرون لم يذكرهم الله –عَزَّ وَجَل–، الذين لم يؤمنوا به، ولم يعتصموا به ما هو مصيرهم؟**

مصيرهم ضد هذا الذي ذكره الله –عَزَّ وَجَل–.

**ولاحظ هنا**: يقول الله –عَزَّ وَجَل–: ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ**﴾[النساء:١٧٤] لا تشكُّوا في هذا، ﴿**بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾[النساء:١٧٤] ترى هذا القرآن هو البرهان، ما في هذا القرآن من الأدلة هي البراهين، وهي القطعيات.

في قوله: ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾[النساء:١٧٤] يقول الشيخ ابن سعدي يقول: هذا فيه بيان عظمة هذا الدليل، إذا كانت الأدلة من وجوه عظمتها النظر إلى من جاء بهذا الدليل.

الناس لما يقال لهم: أن هذا مما جاء به أرسطو، كثير منهم يفقد صوابه كأنه نبيٌّ يتكلم، مما قاله أرسطو: {أن مَن فَقَدَ حسًّا، فَقَدْ فَقَدَ عِلْمًا} كلامه صحيح، ولكنه كلامٌ لا يتميز به، الناس كلهم يعرفون هذا، {مَن فَقَدَ حسًّا، فَقَدَ علمًا}، مثلًا: من فَقَدَ حاسة الذوق مثلًا فقدَ هذا العلم الذي يأتيه، **لما يتحدثون عن مصادر المعرفة يشيدون بهذه المقولة، لماذا؟**

لأنه يؤمن بأرسطو أكثر من إيمانه بالنبي محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، والله -عَزَّ وَجَل- بيَّن هنا أن هذا البرهان ممن؟ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾[النساء:١٧٤] هذا كله فيه بيانٌ لأهمية هذا البرهان، ومكانة هذا البرهان.

إلى هنا بيَّن بيان الله -عَزَّ وَجَل- لشهادته بالسمع، وقلنا: أنه يشمل المسموعات، السمع بمعنى إدراك المسموعات، ويشمل أيضًا الأدلة السمعية.

**(وَأَمَّا آيَاتُهُ الْعِيَانِيَّةُ الْخَلْقِيَّةُ: فَالنَّظَرُ فِيهَا)** أو فبالنظر فيها **(وَالِاسْتِدْلَالُ بِهَا يَدُلُّ عَلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ آيَاتُهُ الْقَوْلِيَّةُ السَّمْعِيَّةُ)** الآيات السمعية، والتي تجدها، الآيات السمعية آيات القرآن، وأيضًا ما ورد في الأدلة من السنة، هذا الذي تسمعها فيها ذكر أن الله -عَزَّ وَجَل- قدير، وأنه متصف بالإرادة، وبالقدرة، وبالعلم، وبالسمع، والبصر، والحكمة، وغيرها.

**طيب، لما تنظر وتستفيد من النظر، ما الذي يقول لك: العيان والنظر؟**

كلما تنظر إلى شيء يدل على أن ما سمعته صحيح، جميع الآيات التي وردت في علمه سبحانه، وفي حكمته وإحكامه وقدرته كلها صحيحة، **يدل عليها ماذا؟** نظرك وعيانك، كل ما سمعته في الكتاب والسنة يصدقه العيان والنظر، والبصر.

**(وَأَمَّا آيَاتُهُ الْعِيَانِيَّةُ الْخَلْقِيَّةُ)**؛ أي الآيات التي هي مخلوقات الله -عَزَّ وَجَل- **(فَالنَّظَرُ فِيهَا، وَالِاسْتِدْلَالُ بِهَا يَدُلُّ عَلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ آيَاتُهُ الْقَوْلِيَّةُ السَّمْعِيَّةُ)**.

لذلك يقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[ص:٢٧]، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران:١٩١].

إذن الله -عَزَّ وَجَل- لم يخلق مخلوقاته باطلًا، خلقها بحكمة، وخلقها دالةً على قدرته وعلمه، وعلى أوصافه التي تجدها في الأدلة السمعية، إذن هذه الأدلة المسموعة، الآيات المتلوة، وهذا ما تنظر إليه، وتراه مصدقًا له.

**بقي الدليل الأخير وهو العقل: (وَالْعَقْلُ يَجْمَعُ بَيْنَ هَذِهِ وَهَذِهِ)** قرأ في القرآن هذه الآيات التي تدل على أوصاف الله -عَزَّ وَجَل- وصفاته، وصفات كماله وجلاله، ووجد أن كل ما يراه يصدق ما قرأه يجمع بين هذه الأدلة السمعية، وهذه عيانه وبصره ونظره، **(فَيَجْزِمُ بِصِحَّةِ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ،**

**فَتَتَّفِقُ شَهَادَةُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ)** كلها تتفق وتتآزر وتتعاضد لإبراز شهادة الله -عَزَّ وَجَل-، ولبيان شهادة الله -عَزَّ وَجَل-، ولتوضيح شهادة الله -عَزَّ وَجَل-.

إذن الله -عَزَّ وَجَل- بيَّن شهادته وأوضحها بهذه الوسائل كلها.

**نحن قلنا: أن مصادر المعرفة عمومًا ثلاثة:**

- **الحس**: ويشمل كل ما تحصله بحواسك.
- **والعقل**: الذي ينظر إلى العلوم التي يحصلها بالحواس، وينظر فيها ويجردها، ثم يصل إلى المعرفة.
- **والوحي**.

إذن هذه الشهادة هذه أوضحها الله -عَزَّ وَجَل- بالأدلة كلها.

**إذن كما يقول ابن القيم**: {الرسل تخبر عنه بكلامه الذي تكلم به، وهي آياته القولية، ويستدلون على ذلك بمخلوقاته التي تشهد على صحة ذلك، وهي آياته العيانية، والعقل يجمع بين هذا وهذا، ويجزم بصحة ما جاءت به الرسل -عليهم السلام-}.

يقول: **(فَهُوَ سُبْحَانُهُ لِكَمَالِ عَدْلِهِ، وَرَحْمَتِهِ، وَإِحْسَانِهِ، وَحِكْمَتِهِ)** هذه كلها أوصاف، صفات الله -عَزَّ وَجَل- **(وَمَحَبَّتِهِ لِلْعُذْرِ)** كما ورد في الحديث، **(وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ، لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا وَمَعَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ)** تأييد الله -عَزَّ وَجَل- وتصديقه للرسل بالأدلة التي تكفي، وبالأدلة التي تليق بكل مَن في عصره، هذا كله أيضًا تأييدٌ لكون شهادة الله -عَزَّ وَجَل- واضحة وجلية؛ لأن هؤلاء الرسل هم الذين جاؤوا بالوحي، وعن طريقهم نتلقى الوحي.

يقول: **(لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا وَمَعَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ)** آيةٌ أو آيات **(تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، يقول الله -عَزَّ وَجَل-**: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ **[الحديد:٢٥]**)، ﴿الْمِيزَانَ﴾ هو العدل في الأقوال والأعمال.

(﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ **[الحديد:٢٥]**) الله -عَزَّ وَجَل- أمرهم بالقسط، وهم لما يقومون بالقسط يقومون به تعبدًا لله -عَزَّ وَجَل- أولًا، ولإصلاح حالهم ثانيًا؛ لأن إصلاح حالهم لا يستقيم إلا بالقسط؛ ولذلك في الآية التي لا زال يتحدث عنها ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[آل عمران:١٨]، الله -عَزَّ وَجَل- وصف نفسه بتفرده بالألوهية، ووصف نفسه أيضًا بالقيام بالقسط وهو العدل.

(﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[الحديد:٢٥]) كما قلت: قيامهم بالقسط تعبدًا أولًا، ولإصلاح حالهم ثانيًا.

**الشاهد هنا:** ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[الحديد:٢٥]) وهي الأدلة والبراهين التي تبين صدقهم فيما يقولون، وفيما يدعون إليه.

(**ويقول سبحانه:** ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ (٤٤)﴾[النحل:٤٣-٤٤]) إذا لم يكن عندكم علمٌ بالبينات والأدلة الواضحة، والبراهين القطعية، إذن اسألوا أهل العلم.

(﴿وَالزُّبُرِ﴾[النحل:٤٤])، ﴿وَالزُّبُرِ﴾ هي الكتب المزبورة المنزلة من السماء.

(**وقال سبحانه:** ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[آل عمران:١٨٣]) هذا ردٌّ على اليهود، ﴿جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾[آل عمران:١٨٣] الذي طلبتم منهم جاؤوا به، ومع ذلك قتلتموهم، إذن لستم صادقين.

**الشاهد هنا:** ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾[آل عمران:١٨٣].

أيضا: (**وقال سبحانه:** ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾[آل عمران:١٨٤]، **ويقول سبحانه:** ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾[الشورى:١٧])؛ أي وأنزل الميزان.

(**حَتَّى إِنَّ مِنْ أَخْفَى آيَاتِ الرُّسُلِ آيَاتُ هُودٍ**) إلى هنا يتحدث ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- يتحدث عن آيات وأدلة صدق الرسل، وأن الرسل كلهم أرسلهم الله -عَزَّ وَجَل- ومعهم تلك الأدلة والبراهين التي تدل على صدقهم بيانًا يقطع العذر، وليس بيانًا خفيًّا؛ لأن البيان إذا كان خفيًّا لا يقطع العذر؛ لفلان من الناس أن يعتذر ويقول: هذا البيان لا يكفي، وبالتالي جميع الأنبياء والرسل جاؤوا بما يقطع العذر، بالبيان الذي جاؤوا به يقطع العذر.

**ثم ذكر هنا مثالًا لبيِّنة أحد الرسل الكرام:** ذكره لبيان أن ما عُدَّ من الآيات الخفية هو أيضًا واضحٌ جدًّا، قد يُظن أن آية هذا النبي خفية قد يظن، وبيَّنَّا أن هذه الآية وهذا الدليل، وهذا البرهان من أوضح ما يكون، ذكره كمثال.

أما آيات غيره من الأنبياء، والتي ذكرها الله -عَزَّ وَجَل-، والتي لم يذكرها فيه من الوضوح والبيان والجلاء ما هو معروف، آيات نبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كثيرةٌ جدًّا.

الإمام البيهقي -رَحِمَهُ الله- ألف كتابًا في [دلائل النبوة] ذكر فيها المعجزات، وذكر فيها الكرامات، وهو مطبوع في ست مجلدات [دلائل النبوة].

والإمام البخاري -رَحِمَهُ الله- بوَّب في صحيحه لعنوان الباب -نسيت عنوان الباب- هو باب، ولكنه يشبه كتابًا؛ لأن الأحاديث التي ذكرها أكثر من أربعين حديثًا ذكر فيها المعجزات، وذكر فيها أيضًا الكرامات؛ لأن الكرامات في الحقيقة هي أدلة على صدق هذا النبي الذي كان اتباعه سببًا لهذه الكرامات.

**(حَتَّى إِنَّ مِنْ أَخْفَى آيَاتِ الرُّسُلِ آيَاتُ هُودٍ، حَتَّى قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾[هود:٥٣])** هكذا يدَّعون.

**(وَمَعَ هَذَا فَبَيِّنَتُهُ مِنْ أَوْضَحِ الْبَيِّنَاتِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِتَدَبُّرِهَا، وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ)** لاحظوا هذه الآيات التي ذكرها هنا هي التي سيتمركز، يتمحور حولها كلامه فيما بعد.

- **(يقول: ﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ﴾[هود:٥٤])** أولًا: **(﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا﴾**[هود:٥٤]) بماذا؟

أولًا: **(﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[هود:٥٤])** كلكم شركككم هذا أنا بريءٌ منه، هذا أولًا.

**(﴿مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ (٥٥)﴾[هود:٥٤ - ٥٥])**.

- ثانيًا: **(﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾[هود:٥٥])** تحدي.

- ثالثًا: **(﴿لَا تُنْظِرُونَ﴾**[هود:٥٥]) ليكن كيدكم لي عاجلًا.

- رابعًا: **(﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾[هود:٥٦])** يتصرف فيها كما يريد.

**(﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[هود:٥٦]، فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ: أَنَّ رَجُلًا)** طبعًا كل ما ذكره هنا عن هود يصدق على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، بل وعلى الأنبياء كلهم.

**(أن رَجُلًا وَاحِدًا يُخَاطِبُ أُمَّةً عَظِيمَةً بِهَذَا الْخِطَابِ)** هود وفي مقابله كلهم.

**(غَيْرَ جَزِعٍ وَلَا فَزِعٍ وَلَا خَوَّارٍ، بَلْ هُوَ وَاثِقٌ بِمَا قَالَهُ، جَازِمٌ بِهِ، فَأَشْهَدَ اللَّهَ أَوَّلًا عَلَى بَرَاءَتِهِ مِنْ دِينِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ، إِشْهَادَ وَاثِقٍ بِهِ)**؛ أي بالله -عَزَّ وَجَل- **(مُعْتَمِدٍ عَلَيْهِ، مُعْلِمٍ)**؛ أي مخبرٍ

(لِقَوْمِهِ أَنَّهُ وَلِيُّهُ وَنَاصِرُهُ) متأكد من هذا، جازمٌ بهذا (وَغَيْرُ مُسَلِّطٍ لَهُمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَشْهَدَهُمْ إِشْهَادَ مُجَاهِرٍ لَهُمْ بِالْمُخَالَفَةِ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ دِينِهِمْ وَآلِهَتِهِمُ الَّتِي يُوَالُونَ عَلَيْهَا وَيُعَادُونَ عَلَيْهَا).

يقول: ﴿أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ (٥٥)﴾[هود:٥٤-٥٥].

(وَيَبْذُلُونَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي نُصْرَتِهِمْ لَهَا) هو يدري أن مخالفتهم له هي في أعنف صورها، وأنهم كلهم يخالفونه، وأن كلامه هذا يستفزهم كلهم.

(وَيَبْذُلُونَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي نُصْرَتِهِمْ لَهَا، ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ بِالِاسْتِهَانَةِ بِهِمْ، وَاحْتِقَارِهِمْ) في نُصْرَتِهِمْ لَهَا، يقول: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ (٥٦)﴾[هود:٥٥-٥٦].

(وَاحْتِقَارِهِمْ وَازْدِرَائِهِمْ، وَلَوْ يَجْتَمِعُونَ) طبعًا هو هكذا هنا، وفي [المدارج] كما في الهامش، (وأنهم لو) هذا هو الصح (وأنهم لَوْ يَجْتَمِعُونَ كُلُّهُمْ عَلَى كَيْدِهِ وَشِفَاءِ غَيْظِهِمْ مِنْهُ، ثُمَّ يُعَاجِلُونَهُ وَلَا يُمْهِلُونَهُ) هنا أيضًا تكملة نقلها المحقق في الهامش مهمة: (وفي ضمن ذلك أنهم أضعف وأعجز وأقل من ذلك، وأنهم لو رمتموه لانقلبتم بغيظكم مكبوتين مخذولين) هذا كله وهو رجل واحد.

(ثُمَّ قَرَّرَ دَعْوَتَهُمْ أَحْسَنَ تَقْرِيرٍ، وَبَيَّنَ أَنَّ رَبَّهُ تَعَالَى وَرَبَّهُمْ هو الَّذِي نَوَاصِيهِمْ بِيَدِهِ، وهُوَ وَلِيُّهُ وَوَكِيلُهُ الْقَائِمُ بِنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ، وَأَنَّهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَلَا يَخْذُلُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَأَقَرَّ بِهِ، وَلَا يُشْمِتُ بِهِ أَعْدَاءَهُ، فَأَيُّ آيَةٍ وَبُرْهَانٍ أَحْسَنُ مِنْ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- وَبَرَاهِينِهِمْ وَأَدِلَّتِهِمْ؟) عمومًا (وَهِيَ شَهَادَةٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَهُمْ، بَيَّنَهَا لِعِبَادِهِ غَايَةَ الْبَيَانِ).

طبعًا هذا البيان الذي ذكره ابن أبي العز هو لبيان أن تصديق الله -عَزَّ وَجَلَّ- لأنبيائه ورسله، والأدلة التي عندهم، والأدلة التي تدل على صدقهم فيما يدعون إليه، وفيما يقولون أدلة واضحة جدًّا. وهذا كله يؤيد أن شهادة الله -عَزَّ وَجَلَّ- واضحة، ليست غامضة، وليست خافية.

**ثم ذكر هنا دليلًا آخر**: وهذا الدليل كما سيقول وسيعلق عليه المؤلف الشارح هذا الدليل لا يسلكه إلا الخواص الذين يتدبرون في أسماء الله وصفاته؛ ولذلك مثل هذه الأدلة لن تجدوها في كتب المتكلمين: الاستدلال بأسمائه وصفاته الاستدلال بها على أفعاله، وأن جميع ما في أسمائه وصفاته، وأن المعاني التي تتضمنها أسماءه وصفاته نستدل بها في أفعاله، ونعرف بها كيف أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أفعاله تدل على حكمة، وأنها لا تخرج عما تتضمنه أسماؤه وصفاته.

**********

## المتن

أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْمُؤْمِنُ وَهُوَ فِي أَحَدِ التَّفْسِيرَيْنِ: الْمُصَدِّقُ الَّذِي يُصَدِّقُ الصَّادِقِينَ بِمَا يُقِيمُ لَهُمْ مِنْ شَوَاهِدِ صِدْقِهِمْ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُرِيَ الْعِبَادَ مِنَ الْآيَاتِ الْأُفُقِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ مَا يُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ الْوَحْيَ الَّذِي بَلَّغَتْهُ رُسُلُهُ حَقٌّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[فصلت:٥٣]؛ أَيِ الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ هُوَ الْمُتَقَدِّمُ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾[فصلت:٥٢]، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:٥٣]، فَشَهِدَ سُبْحَانَهُ لِرَسُولِهِ بِقَوْلِهِ: إِنَّ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ، وَوَعَدَ أَنْ يُرِيَ الْعِبَادَ مِنْ آيَاتِهِ الْفِعْلِيَّةِ الْخَلْقِيَّةِ مَا يَشْهَدُ بِذَلِكَ أَيْضًا. ثُمَّ ذَكَرَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَأَجَلُّ، وَهُوَ شَهَادَتُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ الشَّهِيدَ الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ، بَلْ هُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُشَاهِدٌ لَهُ، عَلِيمٌ بِتَفَاصِيلِهِ.

وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالْأَوَّلُ اسْتِدْلَالٌ بِقَوْلِهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَاسْتِدْلَالٌ بِالْآيَاتِ الْأُفُقِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ اسْتِدْلَالٌ بِأَفْعَالِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ).

**********

## الشرح

من هنا إلى قوله: (**وَإِذَا عُرِفَ أَنَّ تَوْحِيدَ الْإِلَهِيَّةِ**) في الصفحة التي بعد القابلة من هنا إلى هناك الاستدلال بأسمائه، أو ببعض أسمائه وصفاته على كون شهادته واضحة.

وكيف أن الاستدلال بأسمائه وصفاته يستفيد منه المؤمن رسوخًا في الإيمان، وعلمًا أيضًا بأفعال الله -عَزَّ وَجَل-؟ وكيف يكون إيمانه أيضًا راسخًا في أفعال الله -عَزَّ وَجَل-؟ وكيف يكون إيمانه أيضًا صحيحًا فيما يتعلق بأفعال الله -عَزَّ وَجَل-؟

أنت لما تنظر إلى أفعال الله -عَزَّ وَجَل-، وإلى أسمائه وصفاته وتقابل بينها تعلم هذا بهذا، وهذا بهذا.

**المهم**: أن أسماءه وصفاته، وصفاته هي المعاني التي تتضمنها أسماؤه هي التي على ضوئها تنظر إلى أفعال الله -عَزَّ وَجَل-، ومن أفعاله هنا، ومن أقواله وأفعاله شهادته، وأن شهادته واضحة.

**(وَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى الْمُؤْمِنُ وَهُوَ فِي أَحَدِ التَّفْسِيرَيْنِ: الْمُصَدِّقُ الَّذِي يُصَدِّقُ الصَّادِقِينَ بِمَا يُقِيمُ لَهُمْ مِنْ شَوَاهِدِ صِدْقِهِمْ).**

طبعًا التفسير الثاني: المؤمن هو الذي أَمِنَ خلقُهُ من ظلمه، أو أَمَّن خلقه من ظلمه، أو أَمِنَ خلقُهُ من أنه يظلمه، هذا المؤمن. والتفسير الثاني هو الذي يتركز عليه كلامه هنا.

**(الْمُصَدِّقُ الَّذِي يُصَدِّقُ الصَّادِقِينَ بِمَا يُقِيمُ لَهُمْ مِنْ شَوَاهِدِ صِدْقِهِمْ)** المؤمن هو **(الَّذِي يُصَدِّقُ الصَّادِقِينَ). كيف يصدقهم؟**

بالأدلة التي تدل على صدقهم.

**(فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُرِيَ الْعِبَادَ مِنَ الْآيَاتِ الْأُفُقِيَّةِ)** التي هي الأدلة التي هي حولك، **الأُفُق**: هو كل ما هو حولك.

**(وَالنَّفْسِيَّةِ)** من الأدلة التي تتعلق بنفسك.

**(مَا يُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ الْوَحْيَ الَّذِي بَلَّغَتْهُ رُسُلُهُ حَقٌّ، يقول سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾[فصلت:٥٣])**

الآيات هي الأدلة التي تدل على صدق نبوة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وأيضًا تدل على صدق القرآن.

**(﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾[فصلت:٥٣])**؛ أي فيما حولهم **(﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾[فصلت:٥٣])** (أَنَّهُ)؛ أي القرآن **(﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[فصلت:٥٣]؛ أَيِ الْقُرْآنَ)** هذا الذي ذكره شيخ الإسلام.

**(فَإِنَّهُ هُوَ الْمُتَقَدِّمُ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[فصلت:٥٢]) ما هو المراد هنا؟**

القرآن.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[فصلت:٥٢] بعدها مباشرةً ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾[فصلت:٥٣] وهو القرآن.

طبعًا ذكر شيخ الإسلام أن بعضهم قالوا: ﴿أَنَّهُ﴾[فصلت:٥٣] يرجع إلى الله -عَزَّ وَجَل-، ثم عطَّل هذا التفسير بوجوه.

**المهم**: هنا الضمير يرجع إلى القرآن ﴿أَنَّهُ﴾[فصلت:٥٣]، طبعًا هذا الإبطال بالنظر إلى السياق هنا.

يقول: (**ثُمَّ قَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت:٥٣]**) وبعدها مباشرةً (**فَشَهِدَ سُبْحَانَهُ لِرَسُولِهِ بِقَوْلِهِ: إِنَّ مَا جَاءَ بِهِ حَقٌّ، وَوَعَدَ أَنْ يُرِيَ الْعِبَادَ ﴿سَنُرِيهِمْ﴾**[فصلت:٥٣]؛ أي العباد.

(**وَوَعَدَ أَنْ يُرِيَ الْعِبَادَ مِنْ آيَاتِهِ الْفِعْلِيَّةِ**)؛ أي التي هي من أفعاله (**الْخَلْقِيَّةِ**)؛ أي ما هو من مخلوقاته (**مَا يَشْهَدُ بِذَلِكَ أَيْضًا. ثُمَّ ذَكَرَ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَأَجَلُّ، وَهُوَ شَهَادَتُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**).

**﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[فصلت:٥٣].

**﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[فصلت:٥٣] هذه الشهادة وهي شهادة الله -عَزَّ وَجَل- ألا تكفي هذه الشهادة وهي من الله -عَزَّ وَجَل- **﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[فصلت:٥٣]؟!

(**فَإِنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ الشَّهِيدَ**) استدل باسمه المؤمن، وهنا يستدل باسمه (**الشَّهيد**)، والشهيد: هو (**الَّذِي لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ، بَلْ هُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُشَاهِدٌ لَهُ، عَلِيمٌ بِتَفَاصِيلِهِ**).

إذن اسمه المؤمن يدل على أنه سيصدق رسله بالأدلة التي تكفي لبيان صدقهم، واسمه الشهيد أيضًا يدل على أنه سيشهد لهم بصدقهم بالأدلة التي تكفي.

(**وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ**)؛ أي في قوله: **﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾**[فصلت:٥٣]، (**اسْتِدْلَالٌ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالْأَوَّلُ**) الذي في قوله: **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾**[آل عمران:١٨] (**اسْتِدْلَالٌ بِقَوْلِهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَالاسْتِدْلَالُ**) نحن عندنا (واستدلالٌ) وهذا خطأ، في [المدارج]: (**وَالاسْتِدْلَالٌ بِالْآيَاتِ الْأُفُقِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ اسْتِدْلَالٌ بِأَفْعَالِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ**)؛ لأن نفسك وما فيها كلها مخلوقات لله -عَزَّ وَجَل-، ومن أفعال الله -عَزَّ وَجَل-.

وكذلك (**الاسْتِدْلَالُ بِالْآيَاتِ الْأُفُقِيَّةِ**) كله (**اسْتِدْلَالٌ بِأَفْعَالِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ**).

ثم يذكر المؤلف أهمية هذه الطريقة التي هي فعلًا غير معهودة في استدلال المتكلمين وغيرهم، يبيِّنها ويبيِّن أهميتها أيضًا في قوله: (**فَإِنْ قُلْتَ**).

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم اغفر لشيخنا ولأشياخه وللمسلمين.

## المتن

**قال الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي –رَحِمَهُ اللهُ–:**

(وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَالْأَوَّلُ اسْتِدْلَالٌ بِقَوْلِهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَالاسْتِدْلَالُ بِالْآيَاتِ الْأُفُقِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ اسْتِدْلَالٌ بِأَفْعَالِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يُسْتَدَلُّ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَإِنَّ الِاسْتِدْلَالَ بِذَلِكَ لَا يُعْهَدُ فِي الِاصْطِلَاحِ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْدَعَ فِي الْفِطَرِ الَّتِي لَمْ تَتَنَجَّسْ بِالْجُحُودِ وَالتَّعْطِيلِ، وَلَا بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ، أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْكَامِلُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَنَّهُ الْمَوْصُوفُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رُسُلُهُ، وَمَا خَفِيَ عَنِ الْخَلْقِ مِنْ كَمَالِهِ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ مِمَّا عَرَفُوهُ مِنْهُ.

وَمِنْ كَمَالِهِ الْمُقَدَّسِ شَهَادَتُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَاطِّلَاعُهُ عَلَيْهِ، بِحَيْثُ لَا يَغِيبُ عَنْهُ ذَرَّةٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا. وَمَنْ هَذَا شَأْنُهُ كَيْفَ يَلِيقُ بِالْعِبَادِ أَنْ يُشْرِكُوا بِهِ، وَأَنْ يَعْبُدُوا غَيْرَهُ وَيَجْعَلُوا مَعَهُ إِلَهًا آخَرَ؟ وَكَيْفَ يَلِيقُ بِكَمَالِهِ أَنْ يُقِرَّ مَنْ يَكْذِبُ عَلَيْهِ أَعْظَمَ الْكَذِبِ، وَيُخْبِرَ عَنْهُ بِخِلَافِ مَا الْأَمْرُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَنْصُرَهُ عَلَى ذَلِكَ وَيُؤَيِّدَهُ وَيُعْلِيَ شَأْنَهُ، وَيُجِيبَ دَعْوَتَهُ وَيُهْلِكَ عَدُوَّهُ، وَيُظْهِرَ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ مَا يَعْجِزُ عَنْ مِثْلِهِ قُوَى الْبَشَرِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كَاذِبٌ عَلَيْهِ مُفْتَرٍ؟ ! وَمَعْلُومٌ أَنَّ شَهَادَتَهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَقُدْرَتَهُ وَحِكْمَتَهُ وَعِزَّتَهُ وَكَمَالَهُ الْمُقَدَّسَ يَأْبَى ذَلِكَ. وَمَنْ جَوَّزَ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ.

وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ، وَهِيَ طَرِيقُ الْخَوَاصِّ، يَسْتَدِلُّونَ بِاللَّهِ عَلَى أَفْعَالِهِ وَمَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ وَلَا يَفْعَلُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ – ٤٧] وَسَيَأْتِي لِذَلِكَ زِيَادَةُ بَيَانٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَيُسْتَدَلُّ أَيْضًا بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَعَلَى بُطْلَانِ الشِّرْكِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]. وَأَضْعَافُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ.

وَهَذِهِ الطَّرِيقُ قَلِيلٌ سَالِكُهَا، لَا يَهْتَدِي إِلَيْهَا إِلَّا الْخَوَاصُّ. وَطَرِيقَةُ الْجُمْهُورِ الِاسْتِدْلَالُ بِالْآيَاتِ الْمُشَاهَدَةِ، لِأَنَّهَا أَسْهَلُ تَنَاوُلًا وَأَوْسَعُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُفَضِّلُ بَعْضَ خَلْقِهِ عَلَى بَعْضٍ، فَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ قَدِ اجْتَمَعَ فِيهِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ وَالْمَدْلُولُ عَلَيْهِ، وَالشَّاهِدُ وَالْمَشْهُودُ لَهُ. قَالَ تَعَالَى لِمَنْ طَلَبَ آيَةً تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]

**********

## الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

ذكر ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- فيما أخذناه سابقًا استدلاله باسمه -سُبحانه- {**المؤمن**}، واسمه {**الشهيد**}، استدل بهاذين الاسمين الكريمين أنَّ الله -عزَّ وجلّ- قد شهِد بتوحيده، وشهادته بتوحيده يتضمن أربعة أمور، ثُم ذكر تأييدًا لذلك أيضًا أنَّ من أسمائه -سُبحانه- **المؤمن** وهو الذي يصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم.

ذكر هذا كله، ثُم ذكر تساؤلًا، وهذا التساؤل هو جواب سؤالٍ مقدر هذا الذي ذكره هنا، هذا الذي ذكره هنا جواب سؤالٍ مقدر عن استدلاله بالاسمين الكريمين.

- يقول: (**الاسْتِدْلَالُ بِالْآيَاتِ الْأُفُقِيَّةِ**) عرفناها.
- (**الاسْتِدْلَالُ بِالْآيَاتِ النَّفْسِيَّةِ**) عرفناها.
- (**الاسْتِدْلَالُ بِأَفْعَالِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ**) عرفناها.

أنت الآن أضفت استدلالًا جديدًا، دليلًا جديدًا وهو: (**الاسْتِدْلَالُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ**) عليه، تستدل بأسمائه لإثبات كمالاته، تقول بما أنَّ اسمه كيت وكيت وبالتالي لا يليق به إلَّا كيت وكيت، يقول هذا استدلالٌ غير معهود.

(**فَإِنَّ الِاسْتِدْلَالَ بِذَلِكَ لَا يُعْهَدُ فِي الِاصْطِلَاحِ**) ما عرفنا أحدًا يستدل بأسمائه وصفاته على المطالب التي يدَّعيها هو، يدَّعي أنَّ الله -عزَّ وجل- لا يليق به إلَّا كيت وكيت، ثُم يستدل بأسمائه على هذا المطلوب، هذا الاستدلال غير معهود. عرفنا السؤال؟

ثُم أجاب بهذا الجواب الذي هو ملخصٌ جدًّا مما ذكره ابن القيم -رَحِمَهُ الله- في [المدارج]، ما ذكره ابن القيم -رَحِمَهُ الله- في [المدارج] طويل.

يقول: (**فَالْجَوَابُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْدَعَ فِي الْفِطْرِ، أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْكَامِلُ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَنَّهُ الْمَوْصُوفُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رُسُلُهُ**):

(**أَوْدَعَ فِي الْفِطْرِ**): الإيمان بأنَّ الله -عزَّ وجلَّ- كاملٌ في أسمائه وصفاته هذا عمومًا إجمالًا، ما دام أنَّه هو الخالق وهو الرازق، فهو الكامل في أسمائه وصفاته، هذا إجمالًا، وأودع فيها أيضًا أنَّ ما وصف به نفسه في كتابه، وما وصَفَه به رسوله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ- أيضًا هو المتصف بتلك الكمالات، أودع في الفِطر أيضًا هذا الأمر، أنَّه موصوفٌ بالكمالات إجمالًا وأنَّ كل ما وُصف به في الكتاب والسُنَّة فتلك الأوصاف هي كمالاتٌ تليق بكمال الله -عزَّ وجلَّ- وجلاله، الفِطر كلها الله -عزَّ وجل- جعلها مفطورةً بهذا، الفِطر على هذا، على هذا الإيمان.

(**وَمَا خَفِيَ عَنِ الْخَلْقِ مِنْ كَمَالِهِ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ مِمَّا عَرَفُوهُ**): ما عرفه الخلق هذا شيءٌ قليلٌ مما هم لم يعرفوه، قد يقول قائل: أنت تدَّعي أنَّ الفِطر كيت وكيت.

طيب الجهمي يقول مثلًا: فِطرتي لا تقول ذلك، ولا تظهر ذلك، فذكر هذا القيد: (**الْفِطْرِ الَّتِي لَمْ تَتَنَجَّسْ بِالْجُحُودِ وَالتَّعْطِيلِ وَلَا بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ**):

هذا القيد ذكره لإخراج هؤلاء الذين فِطرهم قد تلوثت، ووصلت في تلوثها حدًّا بعيدًا تستنكر وتستعظم أن تُثبَت لله -عزَّ وجل- الكمالات، أن تُثبِت له تلك الكمالات التي تليق به تستعظمه هذه الفطر، وصلت في جحودها وتنقلها وتلوثها حدًّا لا يُتصور، الله -عزَّ وجل- يثبت لنفسه تلك

الكمالات، وهذه الفطر تستكبرها، وهذه الفطر لا تتقبلها، إذًا في أقل الأحوال هي فِطر قد تلوثت وتنجست، بالجحود والتعطيل، أو بالتشبيه والتمثيل.

الفِطر التي تتلوث بالجحود والتعطيل هي ستستنكر هذه، لماذا؟ لأنَّها عندها تعطيل، لا تثبت أصلًا، أما الفِطر التي تلوثت بالتشبيه والتمثيل، فتلك لا تؤمن بكمالاتٍ تليق بالله -عزَّ وجل-، هي تظن أنها تُثبت لله -عزَّ وجل-، هي تظن أنها تؤمن بكل ما ورد في الكتاب والسُنَّة، لكن بما أنَّها تثبتها كما يليق بالمخلوق إذًا لا يمكن أن تثبت تلك الكمالات التي تليق بالله -عزَّ وجل-، هي محرومةٌ أيضًا من إثبات الكمالات لله -عزَّ وجل- كما تليق بكماله وجلاله، هذه لا تثبت أيضًا.

وتلك أثبتت ولكن أثبتت كمالاتٍ تليق بالمخلوق، ما الذي أثبتَّه؟ أنت جعلت الخالق مثل المخلوق، جعلت أوصاف الخالق مثل أوصاف المخلوق، فما أثبته لا يليق بالله -عزَّ وجل-، إذًا كل هذه الفِطر التي تلوثت بالجحود والتعطيل، أو بالتشبيه والتمثيل هذه الفِطر لا تستغرب أنَّها ستستنكر هذا، أما بقية الفطر التي لم يصبها هذا الداء، أو ذاك الداء، فكلها تؤمن بأنَّ الله -عزَّ وجل- موصوفٌ بالكمال عمومًا، وخاصةً تلك الكمالات التي أثبتها لنفسه في كتابه، وأثبتها له رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ- في سُنَّته.

هذا تمهيد للجواب، ثُم جاء إلى الجواب الذي يتعلق بهذه النقطة: **(وَمِنْ كَمَالِهِ الْمُقَدَّسِ شَهَادَتُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَاطِّلَاعُهُ عَلَيْهِ)**: وهذا من كماله أنَّ الله -عزَّ وجل- شهيدٌ على كل شيء، أنَّ الله -عزَّ وجل- مطلعٌ على كل شيء.

**(بِحَيْثُ لَا يَغِيبُ عَنْهُ ذَرَّةٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا)**: بل الله -عزَّ وجل- يقول: ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:٣]، كانوا يقولون الذرة هي أصغر الأشياء.

فما معنى هذا؟ ﴿وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ﴾؟ يعني ما هو الأصغر مِن الذرة؟ هكذا كانوا يقولون، الآن العلم الحديث يقول: أنَّ الذرة تتكون من ثلاثة أمور، وهذه الأمور تتكون من أمور، قالوا هناك أشياء أصغر من الذرة، هذا يدل على أنَّ كلام الله -عزَّ وجل- قد تفهمه وقد لا تفهمه، لكن ما دام أنَّ الله -عزَّ وجل- أخبر أنَّ هناك شيءٌ أصغر من الذرة لا بد أن تؤمن به، لا تظن أنَّ

الأمور التي تظن أنَّها العلمية والحقائق القطعيات، لا تظن أنَّها فعلًا كذلك، إذا خالف شيءٌ منها نصًا واضحًا من نصوص الكتاب والسُنَّة فشُك كثيرًا في تلك التي يُزعم أنها قطعيات أو أمور علمية.

إذًا **أولًا**: الله -عزَّ وجل- لا يغيب عنه شيء، شهيدٌ على كل شيء، (**وَمَنْ هَذَا شَأْنُهُ كَيْفَ يَلِيقُ بِالْعِبَادِ أَنْ يُشْرِكُوا بِهِ وَأَنْ يَعْبُدُوا غَيْرَهُ وَيَجْعَلُوا مَعَهُ إِلَهًا آخَرَ؟**) هذا أولًا.

**ثانيًا**: (**وَكَيْفَ يَلِيقُ بِكَمَالِهِ أَنْ يُقِرَّ مَنْ يَكْذِبُ عَلَيْهِ أَعْظَمَ الْكَذِبِ، وَيُخْبِرَ عَنْهُ بِخِلَافِ مَا الْأَمْرُ عَلَيْهِ**): دائمًا يكذب عليه يوميًا يكذب عليه، أولًا كذب عليه أنَّه مرسلٌ من عنده، ثُم يكذب عليه يوميًا أنَّه أُوحي إليه كيت وكيت، هكذا يكذب عليه، أعوذ بالله.

(**ثُمَّ يَنْصُرَهُ عَلَى ذَلِكَ وَيُؤَيِّدَهُ وَيُعْلِيَ مِنْ شَأْنَهُ وَيُجِيبَ دَعْوَتَهُ وَيُهْلِكَ عَدُوَّهُ، وَيُظْهِرَ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ مَا يَعْجِزُ عَنْ مَثَلِهِ قُوَى الْبَشَرِ -مجتمعةً-، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ كَاذِبٌ عَلَيْهِ مُفْتَرٍ؟**): هذا لا يليق بكمال الله -عزَّ وجل- ما يليق.

ذكر ابن القيم -رَحِمَهُ الله- أنه اجتمع ببعض النصارى، وقال لهم: أنتم تقدحون في علم الله -عزَّ وجل- وقدرته وحكمته، تقدحون، هذا دينكم، دينكم مبنيٌ على هذا، قالوا كيف؟ قال لهم: أنتم تعرفون كيف أنَّ دين محمد -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ- قد انتشر، والله -عزَّ وجل- نصر هذا النبي، ونصر أصحابه، ونصر أهل دينه، ولا زال ينصرهم، وأنتم تزعمون أنَّه كذاب، فهل يليق بعلم الله -عزَّ وجل- وحكمته وقدرته أن يكون الذي يكذب عليه هو المنتصر إلى الآن؟ يليق هذا؟ ما الذي سيجيبون به؟

وهكذا، إذًا هذا الكمال الذي يتصف به الله -عزَّ وجل- يأبى -وحكمته أيضًا- تأبى أن يكون كذابٌ ينتصر بهذا الطريق، كذاب يكذب عليه، ثُم ينتصر وتنتشر دعوته بهذا الشكل.

(**وَمَعْلُومٌ أَنَّ شَهَادَتَهُ سُبْحَانَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَقُدْرَتَهُ وَحِكْمَتَهُ وَعِزَّتَهُ وَكَمَالَهُ الْمُقَدَّسَ يَأْبَى ذَلِكَ. وَمَنْ جَوَّزَ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ أَبْعَدِ النَّاسِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ**).

ثُم قال: (**وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ**)- طبعًا خلاصة ما ذكره أنَّ من كان اسمه **المؤمن** هل يليق به أن يصدق الكاذب؟ لا يليق، من كان اسمه **الشَّهيد** هل يليق به أن يشهد ويطلع على الكذابين يكذبون عليه ويقرهم عليه؟ لا يليق، هذه خلاصة ما ذكره هنا.

(**وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ وَهِيَ طَرِيقُ الْخَوَاصِّ**): أولئك الخواص هم الذين يهتمون بالنصوص عمومًا، ويهتمون بالتدبر في أسمائه وخواصه خصوصًا، أولئك الخواص.

(**يَسْتَدِلُّونَ بِاللَّهِ عَلَى أَفْعَالِهِ وَمَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ وَلَا يَفْعَلُهُ**): يستدلون بالله وأسمائه وصفاته، يستدلون بها على ما يليق به أن يفعله ولا يفعله، هذا في الكمالات، قد يظن شخص أنَّ كمال الله -عزَّ وجلَّ- هو أسمائه وصفاته كان مقتضاها أن يحصل كيت وكيت، قد يظن شخص، وقد يظن أنَّ العدل وأن ما يليق بكمال الله -عزَّ وجلَّ- الأليَّق به وبكماله أن يكون كيت وكيت، هذا يكون خطأً في التحديد، ولكن لا بد أن نؤمن أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- وأنَّ أسمائه وصفاته هي التي هي منطلق أفعاله، الله -عزَّ وجلَّ- يجعلها منطلقًا لأفعاله، وأن أفعاله لا تخرج عن حكمه، وأنَّ أفعاله لا تخرج أيضًا عن مقتضيات أسمائه وصفاته، هذا لا بد أن تؤمن به.

إذًا جميع صفاته وأسمائه تدلُّ على ما يليق به من الكمال والجلال، ويستدل بكل اسمٍ وصفةٍ كما ذكر الشيخ ابن عثيمين: يستدل بكل اسمٍ وصفةٍ على الكمال الخاص بهذا الاسم، وبالمجموع على الكمالات التي يتصف بها، والكمالات التي تستنتجها من اقتران اسمٍ باسمٍ، ومن الأسماء كلها.

يقول: (**قَالَ سُبْحانه**: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[الحاقة: ٤٤ - ٤٦]): ﴿الْوَتِينَ﴾: هو عرقٌ متصلٌ بالقلب، فإذا قُطع ... ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦ - ٤٧])، يقول ابن القيم -رَحِمهُ الله-: تكملةً لهذا، يقول: "أفلا تراه -سبحانه- يخبر أنَّ كماله وحكمته وقدرته تأبى أن يقر من تقول عليه بعض الأقاويل، لا لا بد أن يجعله عبرةً لعباده"، هذا في [المدارج].

ثُم قال: (**وَيُسْتَدَلُّ**): طبعًا سياق كلام ابن القيم -رَحِمهُ الله- (**يَستدل**) لأنَّه ذكر أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- يستدل، ويستدل ويستدل كلامه الطويل، ولكن بما أنَّ هذا الكلام (٢١:٥٣) وجعله في سياقٍ خاص ابن أبي العز، ونحن نمشي على هذا السياق ونقول: (**وَيُسْتَدَلُّ**)؛ لأنَّه لم يسبق ما يُعطف عليه.

(**وَيُسْتَدَلُّ أَيْضًا بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَعَلَى بُطْلَانِ الشِّرْكِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى**: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: ٢٣]): ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هذا هو التوحيد، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، هذا فيه بيان توحيده، وبيان بطلان الشرك.

ثُم استدل -سبحانه- على هذا بأسمائه قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]: كل هذه الأسماء ذكرها للاستدلال بها على ما ذكره من توحيده وبطلان الشرك، وهذه طريقة القرآن.

(وَهَذِهِ الطَّرِيقُ قَلِيلٌ سَالِكُهَا، لَا يَهْتَدِي إِلَيْهَا إِلَّا الْخَوَاصُّ): يقول ابن القيم أيضًا هنا: طبعًا ذكر أنَّ هؤلاء الخواص هم الذين يتدبرون مواضع أسمائه وصفاته، ومواضع ورودها في القرآن، ثُم قال: "هو سبحانه يذكر علمه عند شهادته وعظمته، وقدرته ومُلكه عند مجازاته، وحكمته عند خلقه وأمره، ورحمته عند ذكر إرساله رسله، وحِلمه عند ذكر ذنوب عباده، وسمعه وعلمه عند ذكر دعائهم، وعزَّته وعلمه عند قضائه وقدره"، وكلامه طويل.

إذًا هذه الأسماء لَمَّا تُذكر لا بد أن تتدبر في هذا الموضع، لماذا ذُكر هذا الاسم هنا؟ لماذا خُتمت هذه الآية بهذا الاسم؟ ستجد أنَّ هناك ارتباطًا وثيقًا بل استدلالًا بهذا الاسم على ما ذُكر قبله من الآية.

(وَطَرِيقَةُ الْجُمْهُورِ الِاسْتِدْلَالُ بِالْآيَاتِ الْمُشَاهَدَةِ): الجمهور العوام.

(لِأَنَّهَا أَسْهَلُ تَنَاوُلًا وَأَوْسَعُ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يُفَضِّلُ بَعْضَ خَلْقِهِ عَلَى بَعْضٍ): فمن فضَّله بالعلم وبالتدبر في القرآن وفي أسمائه وصفاته يستدل بأسمائه وصفاته على أفعاله، ويزن أفعاله حسب مقتضيات أسمائه وصفاته.

(فَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ قَدِ اجْتَمَعَ فِيهِ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ فِي غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ وَالْمَدْلُولُ عَلَيْهِ): الله -عزَّ وجلَّ- ذكر في القرآن ما يدل على صدق ما في القرآن، القرآن هو الدليل، وهذا الدليل يدل ويوصل إلى صدق القرآن نفسه، فهو الدليل والمدلول عليه.

(وَالشَّاهِدُ): هو يشهد بصدقه، وهو الذي شهد له.

(يقول -سبحانه لِمَنْ طَلَبَ آيَةً تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ): المراد بالآية هنا ما يسميه المتكلمون المعجزة، الآيات كما تعرفون تأتي بالآيات المتلوَّة، وتأتي بالآيات التي هي الأدلة، الآيات العيانية: (﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]) وقالوا قبلها الآية: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ

﴿يَكْفِهِمْ﴾ [العنكبوت:٥٠-٥١]، طبعًا الآيات هنا كما قلت هي الآيات التي بمعنى المعجزة، وإلَّا هذه الآيات التي في القرآن، فهم يقصدون تلك الآيات.

(﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[العنكبوت: ٥١]): الله -عزَّ وجلَّ- هنا يذكر هذه النعمة العظيمة، التي قد يغفل عنها الكثيرون كَون القرآن أمامنا ونحن نتلوه، هذه نعمة عظيمة، هذه النعمة يعرفها من قد يحرمها، أحيانًا الواحد يُحرم ما يكون عنده مصحف، ولا يصل إلى المصحف، وهناك يعرف كيف أنَّ هذه النعمة هي أعظم النعم، كَون القرآن موجودًا عندك هذه النعمة عظيمة، ولا بد أن تستغل هذه النعمة، ونحن الآن الحمد لله عندنا من الوسائل حتى ولو لم يكن عندك المصحف عندنا من الوسائل كثيرة ما تُيسِّر قراءة القرآن، ولكن الأمر يحتاج إلى همة فيما يتعلق بالقرآن.

- (﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾[العنكبوت: ٥١]): يعني كونه يُتلى عليهم، الله -عزَّ وجلَّ- يمتنُّ على عباده بهذه المنة، القرآن يُتلى عليكم، هذه نعمة عظيمة.
- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً﴾[العنكبوت: ٥١]: كل ما تتوقعه من الرحمة وأسبابها موجودٌ في القرآن.
- ﴿وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[العنكبوت: ٥١]: ولكن مَن الذي يؤمن؟ ومَن الذي يوقن؟ ومَن الذي يتأكد من كون هذه النعمة عظيمة؟

**********

## المتن

**أحسن الله إليكم، قال -رَحِمهُ الله تَعالى-:**

(وَإِذَا عُرِفَ أَنَّ تَوْحِيدَ الْإِلَهِيَّةِ هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَأُنْزِلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، كَمَا تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ الْإِشَارَةُ - فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى قَوْلِ مَنْ قَسَّمَ التَّوْحِيدَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ، وَجَعَلَ هَذَا النَّوْعَ تَوْحِيدَ الْعَامَّةِ، وَالنَّوْعَ الثَّانِيَ تَوْحِيدَ الْخَاصَّةِ، وَهُوَ الَّذِي يَثْبُتُ بِالْحَقَائِقِ، وَالنَّوْعَ الثَّالِثَ تَوْحِيدٌ قَائِمٌ بِالْقِدَمِ، وَهُوَ تَوْحِيدُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ، فَإِنَّ أَكْمَلَ النَّاسِ تَوْحِيدًا الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ

عَلَيْهِمْ، وَالْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ أَكْمَلُ فِي ذَلِكَ، وَأُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ أَكْمَلُهُمْ تَوْحِيدًا، وَهُمْ: نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَكْمَلُهُمْ تَوْحِيدًا الْخَلِيلَانِ: مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَسَلَامُهُ، فَإِنَّهُمَا قَامَا مِنَ التَّوْحِيدِ بِمَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُمَا عِلْمًا، وَمَعْرِفَةً، وَحَالًا، وَدَعْوَةً لِلْخَلْقِ وَجِهَادًا، فَلَا تَوْحِيدَ أَكْمَلُ مِنَ الَّذِي قَامَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَدَعَوْا إِلَيْهِ، وَجَاهَدُوا الْأُمَمَ عَلَيْهِ. وَلِهَذَا أَمَرَ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ فِيهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى، بَعْدَ ذِكْرِ مُنَاظَرَةِ إِبْرَاهِيمَ قَوْمَهُ فِي بُطْلَانِ الشِّرْكِ، وَصِحَّةِ التَّوْحِيدِ وَذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ: - ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ [الأنعام: ٩٠] فَلَا أَكْمَلَ مِنْ تَوْحِيدِ مَنْ أُمِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ إِذَا أَصْبَحُوا أَنْ يَقُولُوا: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»، فَمِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: التَّوْحِيدُ، وَدِينُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا. وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ: هِيَ شَهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَفِطْرَةُ الْإِسْلَامِ: هِيَ مَا فَطَرَ عَلَيْهِ عِبَادَهُ مِنْ مَحَبَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالِاسْتِسْلَامُ لَهُ عُبُودِيَّةً وَذُلًّا وَانْقِيادًا وَإِنَابَةً.

فَهَذَا تَوْحِيدُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ، الَّذِي مَنْ رَغِبَ عَنْهُ فَهُوَ مِنْ أَسَفَهِ السُّفَهَاءِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣١].

وَكُلُّ مَنْ لَهُ حِسٌّ سَلِيمٌ وَعَقْلٌ يُمَيِّزُ بِهِ، يَحْتَاجُ فِي الِاسْتِدْلَالِ إِلَى أَوْضَاعِ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالْجَدَلِ وَاصْطِلَاحِهِمْ وَطُرُقِهِمْ الْبَتَّةَ، بَلْ رُبَّمَا يَقَعُ بِسَبَبِهَا فِي شُكُوكٍ وَشُبَهٍ يَحْصُلُ لَهُ بِهَا الْحَيْرَةُ وَالضَّلَالُ وَالرِّيبَةُ، فَإِنَّ التَّوْحِيدَ إِنَّمَا يَنْفَعُ إِذَا سَلِمَ قَلْبُ صَاحِبِهِ مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي لَا يُفْلِحُ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِهِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّوْعَ الثَّانِيَ وَالثَّالِثَ مِنَ التَّوْحِيدِ الَّذِي ادَّعَوْا أَنَّهُ تَوْحِيدُ الْخَاصَّةِ وَخَاصَّةِ الْخَاصَّةِ، يَنْتَهِي إِلَى الْفَنَاءِ الَّذِي يُشَمِّرُ إِلَيْهِ غَالِبُ الصُّوفِيَّةِ، وَهُوَ دَرْبٌ خَطِرٌ، يُفْضِي إِلَى الِاتِّحَادِ. انْظُرْ إِلَى مَا أَنْشَدَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْأَنْصَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَيْثُ يَقُولُ:

مَا وَحَّدَ الْوَاحِدَ مِنْ وَاحِدٍ ... إِذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جَاحِدُ

تَوْحِيدُ مَنْ يَنْطِقُ عَنْ نَعْتِهِ ... عَارِيَّةٌ أَبْطَلَهَا الْوَاحِدُ

تَوْحِيدُهُ إِيَّاهُ تَوْحِيدُهُ ... وَنَعْتُ مَنْ يَنْعَتُهُ لَاحِدُ

وَإِنْ كَانَ قَائِلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يُرِدْ [بِهِ] الِاتِّحَادَ، لَكِنْ ذَكَرَ لَفْظًا مُجْمَلًا مُحْتَمَلًا جَذَبَهُ بِهِ الِاتِّحَادِيُّ إِلَيْهِ، وَأَقْسَمَ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِ إِنَّهُ مَعَهُ، وَلَوْ سَلَكَ الْأَلْفَاظَ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي لَا إِجْمَالَ فِيهَا كَانَ أَحَقَّ، مَعَ أَنَّ الْمَعْنَى الَّذِي حَامَ حَوْلَهُ لَوْ كَانَ مَطْلُوبًا مِنَّا لَنَبَّهَ الشَّارِعُ عَلَيْهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ وَبَيَّنَهُ، فَإِنَّ عَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ، فَأَيْنَ قَالَ الرَّسُولُ: هَذَا تَوْحِيدُ الْعَامَّةِ، وَهَذَا تَوْحِيدُ الْخَاصَّةِ، وَهَذَا تَوْحِيدُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ؟ أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى؟ أَوْ أَشَارَ إِلَيْهِ، هَذِهِ النُّقُولُ وَالْعُقُولُ حَاضِرَةٌ فَهَذَا كَلَامُ اللَّهِ الْمُنَزَّلُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ سُنَّةُ الرَّسُولِ، وَهَذَا كَلَامُ خَيْرِ الْقُرُونِ بَعْدَ الرَّسُولِ، وَسَادَاتِ الْعَارِفِينَ مِنَ الْأَئِمَّةِ، هَلْ جَاءَ ذِكْرُ الْفَنَاءِ فِيهَا، وَهَذَا التَّقْسِيمُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ؟ وَإِنَّمَا حَصَلَ هَذَا مِنْ زِيَادَةِ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ، الْمُشْبِهِ لِغُلُوِّ الْخَوَارِجِ، بَلْ لِغُلُوِّ النَّصَارَى فِي دِينِهِمْ. وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ وَنَهَى عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]. ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُشَدِّدُوا فَيُشَدِّدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارَاتِ، رَهْبَانِيَّةٌ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ).

**********

## الشرح

ختم ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- حديثه عن التوحيد، بالحديث عن توحيد الصوفية، نحن إلى الآن مع أول جملةٍ في هذا المتن الصغير، وهو قوله -رَحِمَهُ اللهُ- في صفحة يقول: (**نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ**).

لا زلنا مع هذه الجملة، وهي الفقرة هي آخر الفقرات في بيان التوحيد، إلى هنا أكثر ما ذكره هو تقريرٌ للتوحيد الصحيح بأقسامه وبتعريفه وبأدلته، ثُم الرد على المتكلمين في تعريفهم للتوحيد، وفي ذكره، وفي أقسامهم له، تقسيمهم له، وفي الاستدلال عليه، يعني أكثر ما ذُكر إلى هنا يتعلق بالمتكلمين إذا خرجنا عن التأصيل، يعني أولًا تأصيل وتعريف واستدلال للتوحيد، ثُم الرد على هذه الفرقة، وهي فرقة المتكلمون.

ثُم استحسن ابن أبي العز -رَحِمهُ الله- أنْ يختم الحديث بالإشارة إلى انحرافٍ آخر في التوحيد، وهو انحراف الصوفية، ومما شجعه على هذا الخَتم أنَّ الكلام في مجمله هو لابن القيم -رَحِمهُ الله- في [المدارج]، وبما أنَّ التوحيد هو آخر مقامٍ ذكره الهروي، ولذلك شرحه ابن القيم -رَحِمهُ الله- في [المدارج]، وكلامه عن التوحيد في [المدارج] يصلح أن يكون الإشارة في تعريفه وفي أهميته وفي انحراف الفرق عمومًا، حتى غير الصوفية.

ثُم جاء يشرح ما ذكره الهروي جملةً جملةً، وما ذكره ابن أبي العز هنا خلاصة ما ذكره ابن القيم هناك؛ لأنَّ كلام ابن القيم هناك طويل، أولًا شرح كلامه جملةً جملةً، ونقده أيضًا فقرةً فقرةً، ثُم نقده نقدًا إجماليًا، وكلامه من أجمل ما يكون.

يقول: **(وَإِذَا عُرِفَ أَنَّ تَوْحِيدَ الْإِلَهِيَّةِ هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَأُنْزِلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، كَمَا تَقَدَّمَتْ الْإِشَارَةُ إلَيْهِ – فَلَا يُلْتَفَتُ إلَى قَوْلِ مَنْ قَسَّمَ التَّوْحِيدَ إلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ، وَجَعَلَ هَذَا النَّوْعَ تَوْحِيدَ الْعَامَّةِ)**:

نحن عندنا التوحيد في تقسيمه الثلاثي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وجميع هذه الأنواع توحيد العامة، والخاصة، وخاصة الخاصة، ليس هناك توحيدٌ خاصًا بفئةٍ معينة أبدًا، على الجميع أن يعتقد هذا التوحيد بأقسامه، وبأدلته واضح؟

ولكن الصوفية عندهم طبقات، فهناك مريد ثُم سالك ثُم واصل، وكل مرحلة لها واجباتها، ولها مستلزماتها، فالمريد يجب عليه أن يلتزم بالشريعة، والسالك في مجمله أيضًا يجب عليه، ولكن السالك في نهاية مرحلته قد يلتفت يمينًا وشمالًا؛ لأنَّه سيتعود على الخروج عن الشريعة، لأنَّ هناك مرحلة أخرى هذه المرحلة هي مرحلة الواصلين، من وصل إلى هذه المرحلة لا يلتفت إلى. ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى**

﴿يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]، يقولون: اليقين هو الوصول إلى المكاشفة، فكل مرحلة لها واجباتها عندهم.

**والتوحيد عندهم ثلاثة أقسام:**

- **توحيد الألوهية**: وهو توحيدُ العامة، والعامة هم جمهور المسلمين.
- **ثُم توحيد الربوبية.**
- **ثُم توحيد الفَناء**: وهو توحيد الواصلين، توحيد خاصة الخاصة.

توحيد العامة، وتوحيد الخاصة، وتوحيد خاصة الخاصة.

توحيد المرسلين جعلوه أول درجة، توحيد العامة وهو توحيد الألوهية، يقول: (**فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى قَوْلِ مَنْ قَسَّمَ التَّوْحِيدَ إِلَى ثَلَاثَةِ أقسام، وَجَعَلَ هَذَا النَّوْعَ تَوْحِيدَ الْعَامَّةِ**): الذي هو توحيد الألوهية، (**وَالنَّوْعَ الثَّانِيَ تَوْحِيدَ الْخَاصَّةِ**): النوع الثاني توحيد الخاصة، وهو توحيد الربوبية، (**وَهُوَ الَّذِي يَثْبُتُ بِالْحَقَائِقِ**)، (**وَالنَّوْعَ الثَّالِثَ تَوْحِيدٌ قَائِمٌ بِالْقِدَمِ**): وهو توحيد خاصة الخاصة.

(**الَّذِي يَثْبُتُ بِالْحَقَائِقِ**): يقصدون التوحيد الأول الذي هو توحيد الألوهية، يثبت ويصح بالشواهد وهي الأدلة، هكذا قالوا: بما أنه يثبت بالأدلة ويصح بالشواهد فهذا يدل على كماله وشرفه، أليس كذلك؟ لأنَّ عليه أدلة، وكَون هذا التوحيد عليه أدلة واضحة يفهمها الجميع هذا عيب بنسبة لهم، هذا التوحيد يشترك مع كل أحد، ليس فيه تمييز هذا الذي ليس فيه تمييز وتميُّز له، وبالتالي هذا التوحيد ليس درجةً يصح بالشواهد والأدلة.

ونحن نقول ما دام أنَّ هذا التوحيد عليه أدلة وشواهد هذا يدل على كماله وشرفه، لأنَّه عليه أدلة ونادت عليه الشواهد وأوضحته الآيات والبراهين، وما عداها فنحن في حلٍ منها؛ لأنَّها دعاوى مجردة لا تدل عليها الأدلة، هذا التوحيد الأول الذي هو توحيد الألوهية.

نكمل إن شاء الله بعد الصلاة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

ذكرنا أنَّ القسم الأول من أقسام التوحيد عندهم توحيد العامة، والمراد بالعامة عندهم من لم يدخل في التصوُّف، والخاصة: عوام الصوفيَّة، واضح؟ وخاصة الخاصة الواصلون منهم، إذًا هناك طوائف ثلاثة وكل طائفة لها توحيدٌ يخصهم ويناسبهم، العوام الذين لم يدخلوا في التصوف هم كلهم عوام، من محدثين ومفسرين كلهم.

الذين دخلوا التصوف وهم في بدايته فهم الخاصة يتميزون، والذين وصلوا منهم فهم خاصة الخاصة، بالنسبة للعامة توحيد العبودية عليهم ما على غيرهم، عليهم أن يلتزموا بالشريعة؛ لأنَّ الشريعة هي توحيد العبودية.

وبالنسبة للخاصة الذين دخلوا في التصوف فلهم توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية كما قالوا يثبت بالحقائق، ما هي الحقائق؟ هي المكاشفات، والمشاهدات والمعاينة، والاتصال والانفصال، والقبض والبسط، إلى آخر مصطلحاتهم الغريبة، فمن وصل إلى هذه المقامات، طبعًا هذا يعتبر في بداية الطريق، فالتوحيد الذي يناسبه هو توحيد الربوبية، والحقائق كما قلت هي المكاشفة والمشاهدة والمعاينة والاتصال والانفصال، والقبض والبسط.

(**وَالنَّوْعَ الثَّالِثَ تَوْحِيدٌ قَائِمٌ بِالْقِدَمِ، وَهُوَ تَوْحِيدُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ**): وهذا النوع لا يمكن الإفصاح عنه، حتى لا تطالبه بتعريف هذا النوع، لا يمكن الإفصاح عنه، ونحن نعرف أنَّ وراء ما أفصحت عنه الرسل ليس هناك إلا الشطح والوساوس والهلوسة، هذا توحيدهم، وهو توحيد خاصة الخاصة.

يقول ابن أبي العز: (**فَإِذَا عُرِفَ أَنَّ تَوْحِيدَ الْإِلَهِيَّةِ هُوَ التَّوْحِيدُ الَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ الرُّسُلُ، فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى قَوْلِ مَنْ قَسَّمَ**) لماذا؟ (**فَإِنَّ أَكْمَلَ النَّاسِ تَوْحِيدًا**): فيه ردٌ على هذا التقسيم وعلى أصحابه.

أولًا هذا التقسيم جعل توحيد الرسل جعله توحيد العامة، وهذا منسجم مع تقسيمهم لعلوم الدين إلى شريعةٍ وحقيقة، من كان من العوام ولم يدخل دين التصوف فعليه أن يعتقد ما يعتقده العامة، ومن دخل وبدأ يعاين المصايب يدخل في توحيد الربوبية، وفي توحيد الربوبية ليس له أن يعترض، توحيد الربوبية خلاصته عندهم معاينة ومكاشفة الحقائق، وأنَّ الله -عزَّ وجل- لا يفعل إلا ما يُحبه فكل ما يفعله الله -عزَّ وجل- وكل ما حصل في هذا الكون محبوبٌ لله -عزَّ وجل-، فلا تفرق بين كافرٍ ومؤمنٍ وملحدٍ أبدًا، هذا التفريق هذا من عدم مشاهدة الحقيقة.

وهؤلاء جمعوا في دينهم بين الجبر الخالص، الجبر الخالص، وخلاصته أنَّ أعمال أفعال الإنسان ليست له إنما تُنسب إليه مجازًا، وأنَّ أفعال الإنسان هي لله -عزَّ وجل- حقيقةً، وأنَّ ليس هناك فرق بين أفعاله الاضطرارية وأفعاله الاختيارية، ليس هناك فرق، فهو كالريش في مهب الريح، الصوفية هؤلاء، في القدر هم هكذا هم جهمية غُلاة في القدر، وبالتالي على هذا المنوال يرون توحيد الربوبية وأنه ليس هناك فرقٌ بين محبوبٍ وغير محبوب، وأنك تنظر إلى كل المخلوقات وكل ما حصل في الدنيا على أنَّه محبوبٌ لله -عزَّ وجل-. أما توحيد خاصة الخاصة فهذا توحيد الملحدين، الذي خرج عن الإسلام، وإلَّا لا يجتمع هذا مع الإسلام بتاتًا.

يقول: هذا كله خطأ لماذا؟ **(فَإِنَّ أَكْمَلَ النَّاسِ تَوْحِيدًا الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَالْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ)**: عمومًا الأنبياء، أكمل الناس توحيدًا، **(وَالْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ أَكْمَلُ فِي ذَلِكَ، وَأُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ أَكْمَلُهُمْ تَوْحِيدًا، وَهُمْ: نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ)**: هؤلاء الخمسة، **(صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ)** ذكروا مع بعض في موضعين على ما أذكر في القرآن الكريم: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الشورى:١٣]، أيضًا في سورة الأحزاب في بداية سورة الأحزاب، نعم هؤلاء هم أولوا العزم.

إذًا الأنبياء أكمل الناس توحيدًا، والمرسلون منهم أكمل من ذلك، وأولوا العزم منهم أكملهم، وأكمل هؤلاء الخمسة في التوحيد **(وَأَكْمَلُهُمْ تَوْحِيدًا الْخَلِيلَانِ: مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَسَلَامُهُ، فَإِنَّهُمَا قَامَا مِنَ التَّوْحِيدِ بِمَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُمَا عِلْمًا، وَمَعْرِفَةً، وَحَالًا)**: الحال هو الذي أنت عليه، والحال تكون نتيجة العمل.

**(عِلْمًا، وَمَعْرِفَةً، وَحَالًا، وَدَعْوَةً لِلْخَلْقِ وَجِهَادًا)**: يعني هم أكمل الناس توحيدًا علمًا ومعرفةً وحالًا عملًا به، ودعوةً للخلق وجهادًا.

**(فَلَا تَوْحِيدَ أَكْمَلُ مِنَ الَّذِي قَامَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَدَعَوْا إِلَيْهِ، وَجَاهَدُوا الْأُمَمَ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا أَمَرَ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ فِيهِ. كَمَا قَالَ سبحانه بَعْدَ ذِكْرِ مُنَاظَرَةِ إِبْرَاهِيمَ قَوْمَهُ فِي بُطْلَانِ الشِّرْكِ، وَصِحَّةِ التَّوْحِيدِ وَذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ قال:** ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ **[الأنعام: ٩٠] فَلَا أَكْمَلَ مِنْ تَوْحِيدِ مَنْ أُمِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ**

**يَقْتَدِيَ بِهِمْ)**: أما هذا التوحيد الذي جئتم به أبد ما يكون عن التوحيد، وخاصةً كلما تدرجوا وكلما ترقوا ابتعدوا عن التوحيد.

**(وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ إِذَا أَصْبَحُوا أَنْ يَقُولُوا: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَدِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» فَمِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: التَّوْحِيدُ، وَدِينُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَاعْتِقَادًا. وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ: هِيَ شَهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَفِطْرَةُ الْإِسْلَامِ: هِيَ مَا فَطَرَ عَلَيْهِ عِبَادَهُ مِنْ مَحَبَّتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالِاسْتِسْلَامُ لَهُ عُبُودِيَّةً وَذُلًّا وَانْقِيادًا وَإِنَابَةً فَهَذَا تَوْحِيدُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ، الَّذِي مَنْ رَغِبَ عَنْهُ فَهُوَ مِنْ أَسَفَهِ السُّفَهَاءِ)**: هو من أسفه السفهاء هذا أخذه من هذه الآية.

طبعًا بالنسبة للمصطلحات هذه: [عوام- وخواص- وخاصة الخاصة]، هذه المصطلحات هي مثل المصطلحات الأخرى أهل الباطل يصطلحون لأنفسهم يبحثون عن مصطلحات تُلمِع باطلهم وأنهم أُختصوا بشيء؛ لأنَّ هذا الصوفي الذي لا يصلي ولا يزكي، وحالته من النجاسة والتلوث لَما يقال: لماذا أنت...؟ أنت على طريقة الجمهور، وأنا على طريقة الخاصة.

والغريب أنَّ أهل الباطل عمومًا يسمون أنفسهم بما يميزهم في الحق، وبما يدل على أنَّ هناك عمقًا في دينهم، بعض الفرق يسمون أنفسهم مؤمنين وغيرهم، وهؤلاء يسمون أنفسهم خواص، وغيرهم عوام، وأيضًا هناك من يسمي عمومًا جمهور ومن كان على ملته فهو خاصة، مثلما ألَّف الغزالي: [إلجام العوام عن علم الكلام] هذا مبنيٌ على هذا التفريق.

وهذا التفريق موجود عند أكثر الطوائف، إن لم يكن عند جميع الطوائف، المعتزلة مثلًا المعتزلة يسمون أنفسهم الموحِدة، وأصحاب العدل، أصحاب التوحيد، إذا قال المعتزلي الموحد فهو المقصود، الأشاعرة يسون أنفسهم الْمُنزِّهة، بعد أن يعبث بهذه النصوص كيفما أراد يبقى هو منزهًا، ومن كان منزهًا في في الحقيقة هو من العوام، في أحسن الأحوال هو من العوام.

وهكذا حرب المصطلحات عند الطوائف، أنت لو تتعمق في هذه المصطلحات تجد أنَّ كل مصطلح عندهم يدل على أنَّ هذه الفرقة لا تستنكر ما هم عليه؛ لأنَّ عندهم تميزًا في ناحية من النواحي، وألَّا هذا الصوفي هو خاص، والمسلمون عمومًا بما فيهم الأنبياء والرسل عوام.

يقول: (**فَهَذَا تَوْحِيدُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ، الَّذِي مَنْ رَغِبَ عَنْهُ فَهُوَ مِنْ أَسَفَهِ السُّفَهَاءِ. يقول سبحانه:** ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ [البقرة: ١٣٠ – ١٣١]): هذا لبيان أنَّ استسلامه كان فورًا: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

(**وَكُلُّ مَنْ لَهُ حِسٌّ سَلِيمٌ**): طبعًا هنا في هذه الفقرة أدرج ابن أبي العز المتكلمين في هذه الفقرة، وإلَّا الفقرة عمومًا عن الصوفية، في هذه الفقرة أدرج المتكلمين لماذا؟ لأنَّ المنبع واحد، المنهج واحد، وهو التنكل للكتاب والسُنَّة، مجتمعون على هذا، ثُم بعد ذلك هذا قد هلك في هذا الوادي، وذاك قد هلك في ذلك الوادي، وطواغيتهم تختلف ولكنهم اتفقوا على التنكل لأدلة الكتاب والسُنَّة، فهذا عنده ذوقٌ ووجد، وذاك عنده عقلٌ وفلسفة، وهكذا.

(**وَكُلُّ مَنْ لَهُ حِسٌّ سَلِيمٌ، وَعَقْلٌ يُمَيِّزُ بِهِ، لا يَحْتَاجُ فِي الِاسْتِدْلَالِ إِلَى أَوْضَاعِ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالْجَدَلِ**) ولا إلى أوضاع الصوفية وغيرهم.

(**وَاصْطِلَاحِهِمْ وَطُرُقِهِمْ الْبَتَّةَ، بَلْ رُبَّمَا يَقَعُ بِسَبَبِهَا فِي شُكُوكٍ وَشُبَهٍ يَحْصُلُ لَهُ بِهَا الْحَيْرَةُ وَالضَّلَالُ وَالرِّيبَةُ، فَإِنَّ التَّوْحِيدَ إِنَّمَا يَنْفَعُ إِذَا سَلِمَ قَلْبُ صَاحِبِهِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَهَذَا هُوَ الْقَلْبُ السَّلِيمُ الَّذِي لَا يُفْلِحُ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِهِ**): طبعًا هذه الفقرة كما قلت أدرج فيها المتكلمين لبيان أنَّ كلهم منهجهم واحد، متكلمةٍ وصوفيةٍ وفلاسفةٍ وغيرهم.

ثُم قال: (**وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّوْعَ الثَّانِيَ**): الذي هو توحيد الخاصة، وهو توحيد الربوبية على التفصيل الذي ذكرته، توحيد الربوبية مع الجبر في القدر.

(**وَالثَّالِثَ**): توحيد خاصة الخاصة، (**مِنَ التَّوْحِيدِ الَّذِي ادَّعَوْا أَنَّهُ تَوْحِيدُ الْخَاصَّةِ وَخَاصَّةِ الْخَاصَّةِ، يَنْتَهِي إِلَى الْفَنَاءِ**): ألا تلاحظون أنَّ توحيد الربوبية بالتفسير الذي ذكرته وهو توحيد الربوبية عندهم هو الطريق إلى الفناء؟ في توحيد الربوبية يلحظ أنَّ ليس هناك شيءٌ حلال وشيءٌ حرام لماذا؟ لأنَّها كلها من الله –عزَّ وجلَّ– كل ما حصل فبإرادته، وإرادته تستلزم محبته، هذا القدر هو طريقٌ إلى هذه الدرجة التي يسميها الفناء، ودرجة الفناء هذه مأخوذة من البوذية، وهي معروفة عندهم، وإلى الآن يذكرونها اسمها النرفانا، البوذية هي ديانة أخلاقية بحتة، هم في ديانتهم لهم خمسة أصول، ومن خلال الأصول الخمسة يحاولون أن يصلوا إلى درجة النرفانا، والنرفانا هي الفناء.

هناك دراسات عميقة جدًّا الآن الحمد لله متوفرة، في تأثر الصوفية من الديانات الهندية الهندوسية والسيخية والبوذية، ودعك من الديانات الأخرى النصرانية وغيرها، وهذه الدرجة درجة الفناء أول من اشتهر بها هو أبو يزيد البسطامي.

أبو يزيد البسطامي توفي سنة مائتين وواحد وستين تقريبًا، في السنة التي تُوفي فيها الإمام مسلم أو قبله بسنة أو بعده بسنة أظن مائتين واحد وستين، وهذا الرجل شطحاته تستحي منها الشطحات، ذهب إليه شخص، وهو مرسل من ذي النون، ذهب إليه وقال له أبي يزيد: "تبحث عن من؟ قال: أنا أبحث عن أبي يزيد، قال: يا بني أنا أبحث عن أبي يزيد منذ أربعين سنة ما رأيته" بالله عليك هذا إمام الموحدين! وكان يقول: "ما في الجبة إلَّا الله" هذه المقولة معروفة عنه وعن الحلاج، "ما في الجبة إلَّا الله".

وذكر أيضًا في سياق كلامٍ طويل: "أنَّ القرآن كله شرك، وما عندنا هو التوحيد" إلحاد، تفنن في الإلحاد، ليس إلحاد فقط تفنن في الإلحاد، مع ذلك يأتي كثيرٌ من المتأخرين مثل الهيثمي وغيرهم ويذكرون للأسف الشديد في كتب الفقه يذكرون دفاعًا عن هؤلاء، ويقولون أنَّ أولئك لهم أوضاعهم الخاصة، والمفروض نحسن الظن فيهم، والمفروض نعرف أنهم على أوضاع، إيش الأوضاع؟ الشيطان أيضًا على أوضاعٍ خاصة، تحسن الظن فيه؟! أوضاعه معروفة، وهذا أوضاعه معروفة أبو يزيد البسطامي، سبحان الله.

(**يَنْتَهِي إِلَى الْفَنَاءِ الَّذِي يُشَمِّرُ إِلَيْهِ غَالِبُ الصُّوفِيَّةِ**): هذا مقصودهم، أنَّ يصل إلى الفناء.

(**وَهُوَ دَرْبٌ خَطِرٌ، يُفْضِي إِلَى الِاتِّحَادِ. انْظُرْ**) طبعًا ذكر هذا كمثال، ما أنشده شيخ الإسلام ذكره كمثال، (**إِلَى مَا أَنْشَدَه شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْأَنْصَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ حَيْثُ يَقُولُ**).

أنت إذا بحثت في الصوفية عن رجلًا قريبًا من السُنَّة قد لا تجد أحسن من شيخ الإسلام أبي إسماعيل الأنصاري، فعلًا رجل له مشاهد وله جهود في الرد على أهل البدع، وهو صاحب [ذم الكلام]، وله كتاب لم يطبع إلى الآن اسمه [الفاروق]، أنا رأيته باللغة الفارسية ما أدري هل ألفه بالفارسية وعُرِب، أو ألفه بالعربية وتُرجم، ما أدري، اطلعت عليه، وهو لم يُطبع إلى الآن، والكتاب يثني عليه شيخ الإسلام، يكفيه أنَّ شيخ الإسلام يسميه شيخ الإسلام، شيخ الإسلام غالبًا يذكره

بشيخ الإسلام، وكذلك ابن القيم، هذا له كتاب [منازل السائرين] شرحه ابن القيم -رَحِمهُ الله- في [مدارج السالكين] يقول هناك: هذا أبو إسماعيل الأنصاري يقول:

**مَا وَحَّدَ الْوَاحِدَ مِنْ وَاحِدٍ ... إِذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جَاحِدُ**

يقول: (**الْوَاحِدَ**): وهو الله -عزَّ وجلَّ- ما وحده أحد، (**مَا وَحَّدَ الْوَاحِدَ مِنْ وَاحِدٍ**) أي لم يوحده أحد، لماذا؟ (**إِذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جَاحِدُ**)، إذا أدت أن توحد الله -عزَّ وجلَّ- فأنت جاحد، وبالتالي لا يمكن أن يوحده أحد، تجحد ماذا؟ فأنت جاحد، تجحد ماذا؟ ما الذي جحدته؟ أنت تجحد الإطلاق؛ لأنَّك تصفه بصفات فتحصره في هذه الصفات والأوصاف، وتنعته بنعوت وتحصره في هذه النعوت، وحصره تحتها جحدٌ لإطلاقه الذي هو عليه، يعني توحيد المرسلين كله فيه ذكر الأوصاف، وبالتالي ذكر الأوصاف له تقييدٌ له، وجحدٌ للإطلاق الذي هو عليه.

لماذا يريد أن يكون هكذا مطلقًا بشرط الإطلاق؟ حتى يصفو له إلحاده الذي يسميه اتحاد والحلول، هو يمهد لـ ، طبعًا ما يتعلق بأبو إسماعيل الأنصاري هل هو من الاتحادية والحلول؟ سيأتي كلام ابن أبي العز، قد لا يكون هو من الاتحادية والحلولية، ولكن انظر إلى كلامه، كلامه صريح في الحلول والاتحاد، ولكن هل هو يقصد هذا؟ ما أدري.

(**إِذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جَاحِدُ**): يجحد ماذا؟ يجحد كونه مطلقًا بشرط الإطلاق، إذًا ذكر الأوصاف تقييدٌ له عن هذا الإطلاق، إذًا لا تحاول أن تذكر توحيده، وأن تذكر أوصافه وصفاته ونعوته.

(**تَوْحِيدُ مَنْ يَنْطِقُ عَنْ نَعْتِهِ**): شخص يريد أن يكون موحدًا وذكر الأوصاف، الأسماء والصفات التي وردت في الكتاب والسُنَّة، ويريد أن ينعته بها ويصفه بها، يقول: توحيد هذا الشخص: (**عَارِيَّةٌ أَبْطَلَهَا الْوَاحِدُ**) هذا التوحيد لا يقبله الله، الواحد أبطلها، طبعًا إذا كانت لغة المتكلمين معقدة وغامضة، فلغة الصوفية أعقد، وغامضة لأنَّ دينهم مبني على الغموض.

انظر إلى الدرجة الأخيرة عندهم درجة توحيد خاصة الخاصة، يقول هذه الدرجة لا يمكن أن يعبر عنها أحد، بالتالي هذه الجملة أنا قرأت تفسيرها في [المدارج] ما فهمتها، قرأت تفسيرها عند شيخ الإسلام لأنَّ شيخ الإيمان علَّق على هذه الأبيات في المجلد الخامس من [منهاج السُنَّة]، علَّق عليها تعليقات مفصلة، قرأت كلامه وفهمت ماذا يقصد، هو يقول أنَّ الشخص هذا الذي ينطق بالتوحيد له اعتباران، وهاذان الاعتباران يتحددان بالنظر إلى درجته، فإذا كان في درجةٍ يلحظ فيها نفسه

وشهوده بعبارة أخرى -لا زال عاقلًا- إذا كان في هذه الدرجة، فوصفه لله -عزَّ وجلَّ- بهذه الأوصاف كله جحد ولا يمكن أن يكون توحيدًا، هذا اعتبار.

اعتبار آخر: أن يكون قد وصل إلى درجة الفناء وخرج عن عقله، ولا يلحظ نفسه، هو لما يتكلم لا يشاهد نفسه بمعنى إذا سألته ماذا قلت؟ ما يدري؛ لأنَّه كما يقولون غاب عن شهوده بمشهوده، وصل إلى درجة الفناء، إذا كان في هذه الدرجة فالناطق هنا للتوحيد هو الله -عزَّ وجلَّ- على لسان هذا اللي، أليس هو الذي ينطق هنا؟ والناطق هنا من؟ هو الله -عزَّ وجلَّ-، هو الذي يوحد نفسه، وهو الذي يتكلم وهو الذي يتصرف، وهو الذي يتكلم على لسان هذا الولي، بهذا الاعتبار كلامه صحيح.

أما باعتبار أنَّ هناك موحِد وموَحد، لا يمكن أن يكون موحِدًا، لماذا؟ لأنَّ هذا الذي تدعيه ليس لك، هذه عارية وهذه العارية لا يقبلها الواحد، هذه وظيفة الواحد أنت تدعيها لنفسك، واضح؟

(**تَوْحِيـدُهُ إِيَّاهُ تَوْحِيدُهُ**): توحيده إياه هذا مبتدأ، توحيده الثاني هذا خبر، توحيده إياه هو التوحيد الصحيح. توحيده إياه هذا مبتدأ، وتوحيده الثاني هذا خبر، توحيده لنفسه هو التوحيد الصحيح.

(**وَنَعْتُ مَنْ يَنْعَتُهُ لَاحِدُ**): أي إلحاد، من ينعته ويصفه بأوصاف حتى ولو كانت في الكتاب والسُنَّة فهذا ملحد.

لاحظ كيف أنَّ من كان ينطلق من الكتاب والسُنَّة، ويصف الله -عزَّ وجلَّ- بما وصف به نفسه عند هذا الـ ملحد، شفت الإلحاد؟ الإلحاد عند هذا الصوفي أن تصفه بأي صفة وأن تنعته بأي نعت، نعت وصفة إذًا هذا إلحادٌ، والإلحاد هو الميل عن الصواب، لماذا؟ كما قلت لأنَّ النعت تقييدٌ وتخصيصٌ لمن لا يتقيد ولا يتخصص، لماذا تخصصه؟ لماذا تقول أنَّ هناك موحِد وأن هناك موَحَد؟ لماذا؟ هذا كله اثنينية، التوحيد عندهم نفي الاثنينية، لا يكون هناك أحد موحِدًا إلا إذا نفى الاثنينية.

يقول ابن أبي العز: (**وَإِنْ كَانَ قَائِلُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يُرِدْ [بِهِ] الِاتِّحَادَ**): لازلنا نحسن الظن به، وإحسان الظن به له أيضًا ... سبحان الله سبحان الله، هذا الدين دين الصوفية أول ما يصيب عقل الإنسان، وإلا أين أبو إسماعيل الهروي من هذه؟

(**لَكِنْ ذَكَرَ لَفْظًا مُجْمَلًا مُحْتَمَلًا جَذَبَهُ بِهِ الِاتِّحَادِيُّ إِلَيْهِ**): هذه الأبيات الصوفية قالوا أنَّ جميع العارفين قد تلقوها بالقبول، وقالوا أنهم بالغوا باستحسانها، وقالوا أنها ترجمة مذهب أهل التحقيق، سبحان الله.

إذن هذا مذهب الاتحادي وهو يرون أنَّ أبا إسماعيل من أئمتهم وأنا أعذرهم لأنه يعبر عنهم، (**وَأَقْسَمَ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِ إِنَّهُ**) أي أبا إسماعيل (**مَعَهُ وَلَوْ سَلَكَ الْأَلْفَاظَ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي لَا إِجْمَالَ فِيهَا كَانَ أَحَقَّ، مَعَ أَنَّ الْمَعْنَى الَّذِي حَامَ حَوْلَهُ لَوْ كَانَ مَطْلُوبًا مِنَّا لَنَبَّهَ الشَّارِعُ عَلَيْهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ وَبَيَّنَهُ، فَإِنَّ عَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغَ الْمُبِينَ، فَأَيْنَ قَالَ الرَّسُولُ: هَذَا تَوْحِيدُ الْعَامَّةِ، وَهَذَا تَوْحِيدُ الْخَاصَّةِ، وَهَذَا تَوْحِيدُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ؟ أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى؟ أَوْ أَشَارَ إِلَيْهِ؟**): أين؟

طبعًا في المدارج هكذا: (**فهَذِهِ الْعُقُولُ حَاضِرَةٌ وهَذَا كَلَامُ اللَّهِ**)، نحن في طبيعتنا عكس، وهذا أليق، (**فهَذِهِ النُّقُولُ وَالْعُقُولُ حَاضِرَةٌ وهَذَا كَلَامُ اللَّهِ**): هذه العقول هي عقول حاضرة، وهذا كلام الله المنزل على رسوله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ- وهذه سُنَّته.

(**وَهَذَا كَلَامُ خَيْرِ الْقُرُونِ بَعْدَ الرَّسُلِ، وَسَادَاتِ الْعَارِفِينَ مِنَ الْأَئِمَّةِ، هَلْ جَاءَ ذِكْرُ الْفَنَاءِ فِيهَا**)؟ هذه الغاية التي يُشمِر إليها خاصة الخاصة في النهاية يصيروا بوذيين، هل ورد هذا في كلام الله -عزَّ وجلَّ- في كلام رسوله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمْ-، في كلام سادات العارفين الصحابة ومن بعدهم؟

(**وَهَلْ جَاءَ هَذَا التَّقْسِيمُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ؟ وَإِنَّمَا حَصَلَ هَذَا مِنْ زِيَادَةِ الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ، الْمُشْبِهِ لِغُلُوِّ الْخَوَارِجِ، بَلْ لِغُلُوِّ النَّصَارَى فِي دِينِهِمْ**): هذا حصل في الصوفية الذين تدرجوا من درجة الزهد واستدرجهم الشيطان إلى شيءٍ من الغلو، أما هؤلاء الاتحادية والحلولية ليسوا من المسلمين، يعني إشكالهم ليس الغلو، إشكالهم هو إلحادهم، ولكن الصوفية الذين لا زالوا يحومون حول التوحيد وخطأهم لأجل هذه الأمور، ولم يخرج عن التوحيد نعم، السبب في حصول ما حصل معهم الغلو.

(**الْمُشْبِهِ لِغُلُوِّ الْخَوَارِجِ، بَلْ لِغُلُوِّ النَّصَارَى فِي دِينِهِمْ**): عندهم غلو فيما تعلق بعبادات القلوب، وفيما يتعلق بعباداتهم شيء غريب، مثلًا في التوكل المتوكل على الله -عزَّ وجلَّ- الذي يتوكل على الله -عزَّ وجلَّ- ويَلحظ أنه متوكل توكله باطل، هذه علة في التوكل، كأنك تمتن على الله -عزَّ وجلَّ- بما في قلبك يقولوا هذه علة في التوكل، سبحان الله.

حتى ولو توكلت ما تستطيع، يقولون لا تقول أنك متوكل، نعم الذي يمتن على الله -عزَّ وجلَّ- بتوكله هذا شيء، ولكن الذي يأتي بهذه العبادة وهي عبادة عظيمة جدًّا وهي التوكل على الله -عزَّ وجلَّ- ، والتوكل على الله ال يكون إلا ببذل الأسباب.

يقولون: الاعتماد على الأسباب -طبعًا هذا عندهم شرك- حتى الذي لم يعتمد على الأسباب وعنده التوكل، ويلحظ هذا التوكل ويظن أنه ....، يقولون علل التوكل ثلاثة منها هذا غلو سبحان الله.

(وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ وَنَهَى عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]): ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾)؛ لأنَّ الغلو هو مجاوزة الحد المشروع في الأمر المشروع، هذا هو الغلو، مجاوزة الحد المشروع في الأمر المشروع؛ لأنَّه في الدين يأتي بهذا الغلو.

(﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُشَدِّدُوا فَيُشَدِّدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَدَّدُوا فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارَاتِ، رَهْبَانِيَّةٌ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ») أخرجه أَبُو دَاوُدَ والحديث لا يقل عن درجة الحسن.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلَّ الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم، اللهم اغفر لشيخنا ولأشياخه وللمسلمين، قال الإمام علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

(المتن)

قَوْلُهُ: (وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ).

قال الشارح –رَحِمَهُ الله–: اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ. وَلَكِنْ لَفْظُ التَّشْبِيهِ قَدْ صَارَ وَلَكِنْ لَفْظُ التَّشْبِيهِ قَدْ صَارَ فِي كَلَامِ النَّاسِ لَفْظًا مُجْمَلًا يُرَادُ بِهِ الْمَعْنَى الصَّحِيحُ، وَهُوَ مَا نَفَاهُ الْقُرْآنُ وَدَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ، مِنْ أَنَّ خَصَائِصَ الرَّبِّ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَا يُمَاثِلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]، رَدٌّ عَلَى الْمُمَثِّلَةِ الْمُشَبِّهَةِ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، رَدٌّ عَلَى النُّفَاةِ الْمُعَطِّلَةِ، فَمَنْ جَعَلَ صِفَاتِ الْخَالِقِ مِثْلَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، فَهُوَ الْمُشَبِّهُ الْمُبْطِلُ الْمَذْمُومُ، وَمَنْ جَعَلَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ مِثْلَ صِفَاتِ الْخَالِقِ، فَهُوَ نَظِيرُ النَّصَارَى فِي كُفْرِهِمْ.

وَيُرَادُ بِهِ أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ لِلَّهِ شَيْءٌ مِنَ الصِّفَاتِ، فَلَا يُقَالُ: لَهُ قُدْرَةٌ، وَلَا عِلْمٌ، وَلَا حَيَاةٌ، لِأَنَّ الْعَبْدَ مَوْصُوفٌ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، وَلَازِمُ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّهُ لَا يُقَالُ لَهُ: حَيٌّ، عَلِيمٌ، قَدِيرٌ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ يُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَكَذَا كَلَامُهُ وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَإِرَادَتُهُ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَهُمْ يُوَافِقُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّهُ مَوْجُودٌ، عَلِيمٌ قَدِيرٌ، حَيٌّ، وَالْمَخْلُوقُ يُقَالُ لَهُ: مَوْجُودٌ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ، وَلَا يُقَالُ: هَذَا تَشْبِيهٌ يَجِبُ نَفْيُهُ، وَهَذَا مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَصَرِيحُ الْعَقْلِ، وَلَا يُخَالِفُ فِيهِ عَاقِلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمَّى نَفْسَهُ بِأَسْمَاءَ، وَسَمَّى بَعْضَ عِبَادِهِ بِهَا، وَكَذَلِكَ سَمَّى صِفَاتِهِ بِأَسْمَاءَ، وَسَمَّى بِبَعْضِهَا صِفَاتِ خَلْقِهِ، وَلَيْسَ الْمُسَمَّى كَالْمُسَمَّى فَسَمَّى نَفْسَهُ: حَيًّا، عَلِيمًا، قَدِيرًا، رَؤُوفًا، رَحِيمًا، عَزِيزًا، حَكِيمًا، سَمِيعًا، بَصِيرًا، مَلِكًا، مُؤْمِنًا، جَبَّارًا، مُتَكَبِّرًا. وَقَدْ سَمَّى بَعْضَ عِبَادِهِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ فَقَالَ: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾[الأنعام:٩٥]، وقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[الذاريات: ٢٨]، وقال: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[الصافات:١٠١]، وقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨]، وقال:﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[الإنسان:٢]، وقال: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾[يوسف:٥١]، وقال: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾[الكهف:٧٩]، وقال: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا﴾[السجدة:١٨]، وقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[غافر:٣٥].

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يُمَاثِلُ الْحَيُّ الْحَيَّ، وَلَا الْعَلِيمُ الْعَلِيمَ، وَلَا الْعَزِيزُ الْعَزِيزَ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَسْمَاءِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾[البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾[النساء:١٦٦]،

وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾[فاطر:١١]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وَعَنْ جَابِرٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُنَا السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي» –أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ– فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنَّ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي –أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ– فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ» قَالَ: «وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَفِي حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ الَّذِي رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ، عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ».

فَقَدْ سَمَّى اللَّهُ وَرَسُولُهُ صِفَاتِ اللَّهِ عِلْمًا وَقُدْرَةً وَقُوَّةً، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾[الروم:٥٤]، ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾[يوسف:٦٨]، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ الْعِلْمُ كَالْعِلْمِ، وَلَا الْقُوَّةُ كَالْقُوَّةِ، وَنَظَائِرُ هَذَا كَثِيرَةٌ. وَهَذَا لَازِمٌ لِجَمِيعِ الْعُقَلَاءِ.

(الشرح)

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:-**

يقول الإمام الطحاوي -رَحِمَهُ الله- بعد أن بيَّن توحيد الله -عَزَّ وَجَل-، يقول: **(وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ)** وهذه الكلمة شرحها ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- شرحًا طويلًا، هي من الكلمات التي أفاض في شرحها، مع أن ما يتعلق بالتشبيه لم يذكره كله هنا؛ لأنه سيأتي قول الإمام الطحاوي -رَحِمَهُ الله- في صفحة أربعٍ وثمانين (ولا يشبه الأنام)، وفي نسخة: (ولا يشبهه الأنام) سنبين هناك أن الكلمة هذه الجملة فيها بعضهم ضبطها (ولا يشبه الأنام) ومشى عليه ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله-، وبعضهم ضبطها بقوله: (ولا يشبهه الأنام)، وهذا أنسب؛

**لأن التشبيه ينقسم إلى قسمين:**

- تشبيه المخلوق بالخالق.
- وتشبيه الخالق بالمخلوق.

حديث ابن أبي العز كله منصبٌّ هنا على النقطة الثانية تشبيه الخالق بالمخلوق، وهناك لو قلنا: (ولا يشبهه الأنام) تكتمل المنظومة؛ أي الله -عَزَّ وَجَل- لا يَشبَه أحدًا من مخلوقاته، كما أن أحدًا من مخلوقاته لا يشبهونه.

وكما تعرفون التشبيه الذي يركز عليه المتكلمون، أنا أقول: المتكلمون؛ لأن كلامهم يدور حول كلمة التشبيه، وإلا الذي يركز عليه هم أهل السنة الذين يركزون عليه تركيزًا صحيحًا، هم أهل السنة، وهم الذين ينفون التشبيه الذي يجب نفيه، أما غيرهم، فيترسون(٨:٥٥) بنفي التشبيه لنفي ما ورد في الكتاب والسنة من أسماء الله -عَزَّ وَجَل- وصفاته، فنفيهم للتشبيه هذه يتخذونها جُنَّة؛ ولذلك كلامهم في نفي التشبيه مضطرب متناقض يقرر أحدهم هنا شيئًا، وهناك شيئًا لما يأتي إلى مواجهة أهل السنة الجميع يتفقون ويقولون: أولئك مشبهة، ولكن الحرب بينهم ضروس بين المتكلمين أنفسهِم، بين

الجهمية، وبين المعتزلة، وبين الماتريدية، والأشاعرة، حتى بين الماتريدية والأشاعرة بينهم خلاف طويل وعريض في حقيقة التشبيه، وفي حقيقة المثلية، ولكنهم لما يأتون إلى مواجهة أهل السنة كلهم يتحدون؛ لأن هذه الجبهة يجب أن يتحدوا في مواجهتها وينسون جميع الخلافات التي هي بينهم في قضية التشبيه.

وأرجع وأقول: تركيزهم على نفي التشبيه لله -عَزَّ وَجَل- بمخلوقاته، أما تشبيه المخلوقات بالله -عَزَّ وَجَل- في بعض خصائصه، أو في بعض صفاته، أو في بعض حقوقه هذا الجانب يُهمله المتكلمون كليًّا أو جزئيًّا، أوائلهم أهملوه جزئيًّا، وأواخرهم أهملوه كليًّا، بل يشجعون على هذا التشبيه.

وهناك تقاربٌ بينهم وبين الصوفية الذين هم أصحاب هذا التشبيه، تشبيه المخلوق بالخالق، وهناك تقارب بين المدرستين في هذا الباب، وهم يقولون بهذا التشبيه، أو يشجعون على هذا التشبيه، وحديثهم في هذا الجانب تشبيه المخلوق بالخالق قليل، وهذا القليل أيضًا ليس متمحضًا بالحق، فيه ما فيه من الخلط.

إذن الموضوع هنا تشبيه الخالق بمخلوقاته، هذا الذي يقصده الإمام الطحاوي هنا، وكذلك في الفقرة القادمة.

**(وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ)** بعد أن بيَّن أن الله -عَزَّ وَجَل- هو واحدٌ في ألوهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، هذا كله أخذناه من قوله (واحد)، وإلا تفصيله قد اختلف فيه حتى شراح أهل السنة: **هل الإمام الطحاوي ذكر في تعريفه للتوحيد أقسام التوحيد الثلاثة؟**

أنت لما تجمع كلامه كله نعم ذكر، ولكن ليس بالتفصيل الذي يورده أهل السنة، كلامه في ذلك هو متناثر، كلام الإمام الطحاوي في ذلك.

**(وَلَا شَيْءَ مِثْلُهُ)**، **(وَلَا شَيْءَ)** هذا فيه تعميم، ليس هناك شيءٌ مثل الله -عَزَّ وَجَل-، واستعماله هنا لكلمة المثلية استعمالٌ موفق؛ لأن هذا الذي ورد نفيه في القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

الله -عَزَّ وَجَل- في سورة الشورى ذكر كثيرًا من صفاته، وذكر كثيرًا من أسمائه، وذكر كثيرًا من أفعاله، ثم ذكر أن الله سبحانه خلق الإنسان، وخلق له ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ

﴿أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى:١١]
هذا ورد بعد إيراد كثيرٍ من الأسماء والصفات، والأفعال، وبعضها ذكرت في الآية نفسها قبلها وبعدها.

وعلى ضوء السياق والسباق لا بد أن نفهم هذه الآية، وهذه طريقة أهل السنة، والذي تم نفيه هنا نفي المثلية؛ ولذلك أهل السنة عمومًا وخاصةً بعد ما حصل من التضارب والتناقض في قضية التشبيه يحرصون على التقيد بألفاظ الكتاب والسنة، ويحرصون على نفي المثلية، أما التشبيه فلمَّا ينفونه ينفونه مصحوبًا بالتفصيل، وأن التشبيه الذي ننفيه ذلك التشبيه الذي يرجع إلى الخصائص، ولا يرجع إلى القدر المشترك؛ لأن كما بيَّن ابن أبي العز هنا هذا الموضوع حصل فيه خلط، ولا زال يحصل فيه من الخلط ما الله به عليم، إذن استعمال هذا عند الإمام الطحاوي كان استعمالًا موفقًا.

في شرحه ركز ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- أولًا لم يكمل سطرين في شرح هذه، قال: (**اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ**) لم يكمل سطرين.

بعدها بيَّن ما يتعلق بالتشبيه، **لماذا دخل مباشرةً في توضيح ما يتعلق بالتشبيه مع أن المستعمل في المتن نفي المثلية؟**

لأن أهل السنة أيضًا ينفون التشبيه، كما أن المتكلمين ينفون التمثيل والتشبيه، مع أن هناك فرقًا بين التشبيه والتمثيل —سنشير إلى هذا الفرق- مع ذلك أهل السنة ينفون التشبيه، والمتكلمون ينفون التمثيل، ليس هناك فرقٌ بيننا وبينهم في هذه النقطة، ولكن نفي أهل السنة للتشبيه على هذا التفصيل الذي سيأتي، كما أن نفي المتكلمين للتشبيه إذن على هذا التفصيل الذي سيأتي، وهم في صدد نفي التشبيه ينفون كثيرًا من الأسماء والصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة؛ فلأجل هذا أن هذين اللفظين ورد استعمالهما ونفيهما عند أهل السنة والجماعة، وكذلك عند المتكلمين دخل مباشرةً فيما يتعلق بالتشبيه.

(**وَلَكِنْ لَفْظُ التَّشْبِيهِ قَدْ صَارَ فِي كَلَامِ النَّاسِ لَفْظًا مُجْمَلًا**) هنا في هذه الفقرة بيَّن ابن أبي العز ما الذي حصل في لفظ التشبيه؟ وهل كل من ينفي التشبيه على نمطٍ واحد، وقصدهم واحد، ومرادهم واحد؟ لا، نفي أهل السنة للتشبيه يختلف عن نفي المتكلمين للتشبيه، بل هذا الخلاف موجود عند المتكلمين كما سنشير؛ لأن مستوى الفرار من التشبيه يختلفون فيه، ويتفاوتون فيه.

طبعًا هذا الكلام من قوله: (**وَلَكِنْ لَفْظُ التَّشْبِيهِ**) من هنا إلى صفحة ثلاثة وستين منقول عن [منهاج السنة] الكلام لشيخ الإسلام. هذا الذي بيَّنه ابن أبي العز هنا مهم جدًّا حتى نعرف كيف أن المتكلمين يتلاعبون بالنصوص بحجة نفي التشبيه.

إذا أردتم أن تعرفوا علم الكلام، وخلاصة علم الكلام، والمباحث المحورية في علم الكلام، فهو عبارة عن التشبيه، أو ما يسمونه التنزيه، هم يسمون أنفسهم منزهة، ويسمون أهل السنة مشبهة، فالجهمية يسمون أنفسهم منزهة، ويسمون المعتزلة مشبهة، المعتزلة يسمون أنفسهم منزهة، ويسمون الأشاعرة مشبهة، والمعتزلة لا يعترضون على الجهمية؛ لأنهم متفقون معهم في الأصل، فيحترمونهم، أما الأشاعرة فيسمونهم ماذا؟ مشبهة، والأشاعرة يستأسدون ويسمون أهل السنة مشبهة، ويسمون أنفسهم منزهة، كثير منهم، وهذه عقيدة المنزهة، وهذه عقيدة المشبهة، كأن أهل السنة عندهم كلهم مشبهة وهم منزهة، وهم يدرون أنهم يشتركون مع أهل السنة في هذا اللقب عند من هو أبعد غورًا في التعطيل.

يقول: (**وَلَكِنْ لَفْظُ التَّشْبِيهِ قَدْ صَارَ فِي كَلَامِ النَّاسِ لَفْظًا مُجْمَلًا يُرَادُ بِهِ الْمَعْنَى الصَّحِيحُ**) ما ذكره تحت هذه الفقرة هذا تعريف التشبيه الذي ينفيه أهل السنة، وهذا الذي يهمنا في الأصل، المفروض نكتفي به، ولكن ما حصل من الخلط، هذا الذي سيجعلنا نفصِّل أكثر، وإلا هذا الذي يهمنا.

(**يُرَادُ بِهِ الْمَعْنَى الصَّحِيحُ، وَهُوَ مَا نَفَاهُ الْقُرْآنُ وَدَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ، مِنْ أَنَّ خَصَائِصَ الرَّبِّ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَا يُمَاثِلُهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ**) السطر الأول من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات. هذا هو تعريف التشبيه الذي ينفيه أهل السنة. احفظوا هذا السطر:

**التشبيه الذي ينفيه أهل السنة يرجع إلى ماذا؟**

إلى الخصائص، فما يختص به الله -عَزَّ وَجَل- لا يشاركه فيه أحد، ما يختص به في أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وحقوقه لا يشاركه فيه أحد، هذا هو التشبيه الذي ينفيه أهل السنة، وهذا هو التشبيه الذي نفاه القرآن أيضًا في قوله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[الشورى:١١]؛ أي ليس هناك من يماثله في خصائصه.

**أما المتكلمون**: فيرجع نفي التشبيه عندهم إلى ماذا؟ إلى القدر المشترك. هذا الذي سيركز عليه ابن أبي العز، لا بد أن نميز ونفرق بين الأمرين:

- نفي التشبيه الذي يرجع إلى القدر المشترك، هذا هو التعطيل.

- نفي التشبيه الذي يرجع إلى الخصائص هذا هو التوحيد؛ لأنه يجرد ما يستحقه سبحانه يجرده مما قد يفهم منه غير هذا، فصفات الله -عَزَّ وَجَل- لا يماثله فيها أحد في خصائصها. هذا هو التشبيه الذي ينفيه أهل السنة.

- **عمومًا نحفظ هذين الأمرين:**
  - نفي التشبيه عند أهل السنة يرجع إلى الخصائص.
  - ونفي التشبيه عند المتكلمين يرجع إلى القدر المشترك.

هذا نحفظه؛ لأن كثيرًا من الكلام الذي سيأتي سيتمحور حول هذ النقطة.

(﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١] **رَدٌّ عَلَى الْمُمَثِّلَةِ الْمُشَبِّهَةِ،** ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، **رَدٌّ عَلَى النُّفَاةِ الْمُعَطِّلَةِ، فَمَنْ جَعَلَ صِفَاتِ الْخَالِقِ مِثْلَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، فَهُوَ الْمُشَبِّهُ الْمُبْطِلُ الْمَذْمُومُ**).

**لماذا هو مذموم؟**

لأنه جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق.

(**وَمَنْ جَعَلَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ مِثْلَ صِفَاتِ الْخَالِقِ، فَهُوَ نَظِيرُ النَّصَارَى فِي كُفْرِهِمْ**) وهذا الذي عليه كثيرٌ من الصوفية وغيرهم يمثلون، يشبهون بعض المخلوقات يشبهونهم بالله -عَزَّ وَجَل- في أسمائه، وصفاته، أو في حقوقه، أو في أفعاله.

(**وَيُرَادُ بِهِ**) هذا المعنى الأول، المعنى الصحيح: نفي التشبيه الذي يكون بمعنى نفي التمثيل.

(**وَيُرَادُ بِهِ أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ لِلَّهِ شَيْءٌ مِنَ الصِّفَاتِ، فَلَا يُقَالُ: لَهُ قُدْرَةٌ، وَلَا عِلْمٌ، وَلَا حَيَاةٌ، لِأَنَّ الْعَبْدَ مَوْصُوفٌ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، وَلَازِمُ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّهُ لَا يُقَالُ لَهُ: حَيٌّ، عَلِيمٌ، قَدِيرٌ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ يُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَكَذَا كَلَامُهُ وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَرؤيته وَغَيْرُ ذَلِكَ**) هذه نظرة المتكلمين إلى التشبيه ونفي التشبيه.

**طبعًا المؤلف هنا بدأ بالجهمية مباشرةً، لماذا؟**

لأن الجهمية هم الأصل في هذا الباب، مع أن التقعيد كان من المعتزلة، المعتزلة هم الذي قعدوا قواعد علم الكلام، وهم الذي نظموا شأن التعطيل، ورتبوا أصوله وفروعه، أما الجهمية كانوا ينطلقون فيه انطلاقًا عشوائيًّا، أسس علم الكلام ترتيبه يرجع إلى المعتزلة، والمعتزلة يثبتون الأسماء، أما هذا الذي بدأ به ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- هم هؤلاء الجهمية.

بعد إرجاع التشبيه إلى القدر المشترك هذه الفروق كلها طفيفة، بعد القول أنَّ نفي التشبيه يرجع إلى القدر المشترك، هذا الفروق كلها فروق ليست جوهرية؛ لأن هذه الفروق هي من باب اختلاف وجهات النظر في التطبيق، ولكن الأصل كلهم متفقون فيه، كلهم متفقون على أن التشبيه هو نفي القدر المشترك بين الله -عَزَّ وَجَل- وبين مخلوقاته. هذا هو الأصل، مع أن هذا هو الأصل سنرى أن هناك اضطراب بينهم، أحيانًا سنجد كثيرًا من أئمتهم يثبتون القدر المشترك، وهذا اضطراب؛ يعني بعض الإخوة يستشكل ويقول: كيف أنه هنا كذا، وهنا؟ هو هكذا، هذا المتكلم هو هكذا، هذا دينه مضطرب.

**وأكثر الناس اضطرابًا الأشاعرة، لماذا؟**

لأنهم أرادوا أن يُلفِّقوا بين منهج أهل السنة، وبين منهج المعتزلة، وأرادوا أن يتوسطوا كما يزعمون، إلى الآن وهم يزعمون يقولون: الوسطية بين العقل والنقل.

**الوسطية بين العقل والنقل معناها**: الوسطية بين قول أرسطو، وبين قول الله -عَزَّ وَجَل-.

كيف تتوسط بين العقل الجهمي، وبين العقلي الفلسفي، وبين العقل الملوث، وبين عقول الأنبياء؟! كيف توسط بين الدين الوحي وبين خرافات الأمم الهالكة؟! لا يمكن.

ولذلك سنجد أنهم أقرب الناس إلى أهل السنة في النتيجة، ولكن كمنهج أكثر الناس اضطرابًا الأشاعرة بالذات هم يزيدون حتى على الماتريدية في الاضطراب، وهذا الاضطراب سمة غالبة عليهم؛ ولذلك لا نستشكل، نحن نذكر الأصل.

**الأصل عندهم أن نفي التشبيه يرجع إلى ماذا؟**

إلى القدر المشترك. هذا هو الأصل، فإذا وجدنا من ينقض هذا الأصل، فهذا من اضطرابه، وليس لا تحاول أن يكون هناك انسجامٌ كاملًا في أقواله، هو هكذا.

يقول: (**وَيُرَادُ بِهِ أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ**) هذا اللي ذكره في هذه الفقرة هذا هو نفي التشبيه عند المتكلمين عمومًا.

الاختلاف الذي سنراه هذا اختلافٌ في التطبيق، اختلافٌ في النظر، اختلافٌ في تطبيق ما اتفقوا عليه هنا.

(**وَهُمْ**) الضمير هنا يرجع إلى المعتزلة.

**هناك الجهمية، والضمير هنا يرجع إلى من؟**

إلى المعتزلة.

(**وَهُم يُوَافِقُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّهُ مَوْجُودٌ، عَلِيمٌ قَدِيرٌ، حَيٌّ، وَالْمَخْلُوقُ يُقَالُ لَهُ: مَوْجُودُ حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ، وَلَا يُقَالُ: هَذَا تَشْبِيهٌ يَجِبُ نَفْيُهُ**) هذا فيه إلزامٌ من المؤلف للمعتزلة بأن يثبتوا الصفات لأنهم يثبتون الأسماء، ما دام أنكم تثبتون الأسماء، فلا بد أن تثبتوا الصفات؛ لأن الأسماء كلها مشتقة، وأسماء الله -عَزَّ وَجَل- كلها تدل على معاني، وهذه المعاني هي التي نسميها ماذا؟ صفات، ولكن موقف المعتزلة هنا أنهم ينفرون من شيء اسمه الصفات، كلمة صفة ينفرون منها؛ فلذلك هم اخترعوا نظرية المعاني عند المعمر، هذه المعاني هي الصفات، ثم جاءت نظرية الأحوال عند أبي هاشم، الأحوال هي الصفات، ولكن عندهم حساسية من كلمة الصفة؛ لذلك ينفرون منها حتى.

معمر لما جاء بنظرية المعاني المعتزلة أنفسهم ردوا عليه، وأبو هاشم لما جاء بنظرية الأحوال المعتزلة أنفسهم ردوا عليه، ولكن للأسف الشديد احترام الأشاعرة للمعتزلة، أكثر من احترام المعتزلة بعضهم لبعض؛ لأن المعتزلة من النادر أن يتفقوا على شيء، تعرفون الخلاف الذي بين الجبائي وابنه، وأبي هاشم وابنه، ولكن احترام الأشاعرة للمعتزلة أكثر، ومما يدل على هذا أن الأشاعرة تلقفوا هذه النظرية، احترموها أكثر من المعتزلة (نظرية الأحوال) كله فرارًا من ماذا؟ من الصفة.

ولكن المؤلف هنا يلزمهم ويقول: ما دام أنكم تثبتون الأسماء، وترون أن تسمية الله -عَزَّ وَجَل- بهذه الأسماء التي يتسمى بها بعض مخلوقاته لا يوقعكم في التشبيه، فالمفروض تثبتون الصفات، وتنطلقون من هذا المنطلق، ثم يبين لهم أن هذا الذي يُلزمهم به هذا هو الذي عليه الأدلة من الكتاب والسنة.

(**وَهَذَا مِمَّا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَصَرِيحُ الْعَقْلِ، وَلَا يُخَالِفُ فِيهِ عَاقِلٌ**) طبعًا (**صَرِيحُ الْعَقْلِ**) وهو العقل السليم، وهناك عقلٌ ملوث، نحن لا نتحدث عنه، العقل لما يكون صريحًا يكون سليمًا، لما يكون سليمًا يكون صريحًا.

(**وَلَا يُخَالِفُ فِيهِ عَاقِلٌ فَإِنَّ اللَّهَ سَمَّى نَفْسَهُ بِأَسْمَاءَ، وَسَمَّى بَعْضَ عِبَادِهِ بِهَا، وَكَذَلِكَ سَمَّى صِفَاتِهِ بِأَسْمَاء، وَسَمَّى بِبَعْضِهَا صِفَاتِ خَلْقِهِ، وَلَيْسَ الْمُسَمَّى كَالْمُسَمى**) ثم ذكر الأمثلة.

أنا قلت لكم: **أنهم متفقون على قضية التشبيه كلهم، مع هذا الاتفاق نجد أن هناك تفاوت في التعطيل، لماذا؟**

لأن بعضهم يكون أقرب إلى الأدلة، واحترامه للأدلة يكون أكثر، ويكون على الفطرة أكثر، وبالتالي يغلب عليه هذا، فيحاول يتملص من الأصل الذي أصله هنا، هذا الأصل سيستمر معنا إلى نهاية الماتريدية، هذا الأصل الجميع يقولون به، ولكن أحيانًا يحاولون أن يخرجوا من هذا الأصل. **لماذا؟**

لاحترامه لشيءٍ من النصوص، وهم كما قلت: يتفاوتون في هذا، فالجهمية أبعد الناس عن النصوص، المعتزلة بعدهم، والأشاعرة والماتريدية بعدهم؛ فلذلك الاضطراب الذي نجد عند الكلابية وأذنابهم، هذا الاضطراب بسبب تصديقهم لأولئك في أصولهم مع إيمانهم ببعض النصوص، ولما يثبتون شيئًا من الصفات يخرجون من هذا الأصل، لما يثبتون شيئًا من الأسماء يخرجون من هذا الأصل، ولا يتوبون من الأصل، ولكن يتملصون منهم بطريقة أخرى.

**مثلًا:** المعتزلة يثبتون ثلاث صفات، ولما تسألهم تقول لهم: كيف خرجت عن الأصل؟ يُرجِعُه إلى تفلسف قد تفهمه، وقد لا تفهمه.

**مثلًا:** الحياة والقدرة والعلم يثبتونها، بعضهم يثبتونها ليس كلمه، ولكن يفسرون ويقولون: هذا هنا نقول به، ولا يلزمنا التشبيه، وهناك لا نقول بها؛ لأنه يلزمنا التشبيه.

ما ذكره المؤلف هنا كله تمثيل لهذا التأصيل الذي ذكره (**فَسَمَّى نَفْسَهُ: حَيًّا، عَلِيمًا، قَدِيرًا، رَؤُوفًا، رَحِيمًا، عَزِيزًا، حَكِيمًا، سَمِيعًا، بَصِيرًا**) إلى آخر ما ذكر من الأسماء.

(﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾[الأنعام:٩٥]، وقال: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[الذاريات: ٢٨]) (وَقَدْ سَمَّى بَعْضَ عِبَادِهِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ) فذكر هذه النصوص التي فيها تسمية الله -عَزَّ وَجَلَّ- لبعض عباده ببعض هذه الأسماء: (﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[الصافات:١٠١]، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨])، ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ﴾[يوسف:٥١]، ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[الإنسان:٢]، ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾[الكهف:٧٩]، وقال: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا﴾ [السجدة:١٨]، وقال: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[غافر:٣٥]) إلى آخر الأسماء.

يقول: (وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يُمَاثِلُ الْحَيُّ الْحَيَّ، وَلَا الْعَلِيمُ الْعَلِيمَ، وَلَا الْعَزِيزُ الْعَزِيزَ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْأَسْمَاءِ) وليس هناك تشابه في حقائق هذه الأسماء.

(وَقَالَ سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾[البقرة:٢٥٥]) إلى هنا كانت الأسماء، وهنا الآن يذكر الصفات (﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾[البقرة:٢٥٥]) أنزله بعمله (﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾[فاطر:١١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨]) إذن وهو أشد منهم قوة.

ثم ذكر في حديث جابر حديث الاستخارة، وفيه الشاهد فيه قوله: («اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ») هذا هو الشاهد: («وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ») هذا هو الشاهد، إذن أثبت لله -عَزَّ وَجَلَّ- علمًا، وأثبت له قدرةً.

(وفِي حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ الَّذِي رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ») هذا هو الشاهد، («بِعِلْمِكَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ») هذا هو الشاهد.

(فَقَدْ سَمَّى اللَّهُ وَرَسُولُهُ صِفَاتِ اللَّهِ عِلْمًا وَقُدْرَةً وَقُوَّةً) كما سبق في النوصو (وَقَالَ سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾[الروم:٥٤]) أثبته أيضًا لمخلوقاته (﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾[يوسف:٦٨]، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ الْعِلْمُ كَالْعِلْمِ، وَلَا الْقُوَّةُ كَالْقُوَّةِ، وَنَظَائِرُ هَذَا كَثِيرَةٌ).

طبعًا شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- في كتابه [التدمرية] في بداية الكتاب:

- فصَّل في هذا، فصَّل تفصيلًا قد لا تجده في كتابٍ آخر.
- وذكر فيه أسماء الله -عَزَّ وَجَل- الذي ثبتت في الكتاب والسنة، وتسمية الله -عَزَّ وَجَل- بتلك الأسماء بعض مخلوقاته.
- وذكر أيضًا بعض صفاته، وذكر أيضًا النصوص التي فيها وصفٌ لبعض مخلوقاته بنفس الصفات.
- ثم بعد ذلك بيَّن أن الاتفاق في الأسماء لا يستلزم التساوي في الحقائق، ثم ذكر له أصلين ومثلين.
- وأيضًا القواعد التي ذكرها القواعد السبع، أو الثمانية، أو الستة، السبع هذه في معظمها ترجع إلى هذا الأصل.

## (المتن)

**قال أحسن الله إليكم:**

**وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ الْعِلْمُ كَالْعِلْمِ، وَلَا الْقُوَّةُ كَالْقُوَّةِ، وَنَظَائِرُ هَذَا كَثِيرَةٌ، وَهَذَا لَازِمٌ لِجَمِيعِ الْعُقَلَاءِ، فَإِنَّ مَنْ نَفَى صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ، كَالرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَالْمحبة وَالْبُغْضِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ، قِيلَ لَهُ: فَأَنْتَ تُثْبِتُ لَهُ الْإِرَادَةَ وَالْكَلَامَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ، مَعَ أَنَّ مَا تُثْبِتُهُ لَهُ لَيْسَ مِثْلَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَقُلْ فِيمَا نَفَيْتَهُ وَأَثْبَتَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِثْلَ قَوْلِكَ فِيمَا أَثْبَتَّهُ، إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا.**

**فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُثْبِتُ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ، قِيلَ لَهُ: فَأَنْتَ تُثْبِتُ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى، مِثْلَ: حَيٍّ، عَلِيمٍ، قَدِيرٍ، وَالْعَبْدُ يُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَلَيْسَ مَا يَثْبُتُ لِلرَّبِّ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ مُمَاثِلًا لِمَا يَثْبُتُ لِلْعَبْدِ، فَقُلْ فِي صِفَاتِهِ نَظِيرَ قَوْلِكَ فِي مُسَمَّى أَسْمَائِهِ.**

**فَإِنْ قَالَ: وَأَنَا لَا أُثْبِتُ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى، بَلْ أَقُولُ: هِيَ مَجَازٌ، وَهِيَ أَسْمَاءٌ لِبَعْضِ مُبْتَدَعَاتِهِ، كَقَوْلِ غُلَاةِ الْبَاطِنِيَّةِ وَالْمُتَفَلْسِفَةِ، قِيلَ لَهُ: فَلَا بُدَّ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّهُ مَوْجُودٌ وَحَقٌّ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، وَالْجِسْمُ مَوْجُودٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، وَلَيْسَ هُوَ مُمَاثِلًا لَهُ.**

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُثْبِتُ شَيْئًا، بَلْ أُنْكِرُ وُجُودَ الْوَاجِبِ، قِيلَ لَهُ: مَعْلُومٌ بِصَرِيحِ الْعَقْلِ أَنَّ الْمَوْجُودَ إِمَّا وَاجِبٌ بِنَفْسِهِ، وَإِمَّا غَيْرُ وَاجِبٍ بِنَفْسِهِ، وَإِمَّا قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ، وَإِمَّا حَادِثٌ كَائِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَإِمَّا مَخْلُوقٌ مُفْتَقِرٌ إِلَى خَالِقٍ، وَإِمَّا غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَلَا مُفْتَقِرٌ إِلَى خَالِقٍ، وَإِمَّا فَقِيرٌ إِلَى مَا سِوَاهُ، وَإِمَّا غَنِيٌّ عَمَّا سِوَاهُ، وَغَيْرُ الْوَاجِبِ بِنَفْسِهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْوَاجِبِ بِنَفْسِهِ، وَالْحَادِثُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِقَدِيمٍ، وَالْمَخْلُوقُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِخَالِقٍ، وَالْفَقِيرُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِغَنِيٍّ عَنْهُ، فَقَدْ لَزِمَ عَلَى تَقْدِيرِ النَّقِيضَيْنِ وُجُودُ مَوْجُودٍ وَاجِبٍ بِنَفْسِهِ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ خَالِقٍ غَنِيٍّ عَمَّا سِوَاهُ، وَمَا سِوَاهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

وَقَدْ عُلِمَ بِالْحِسِّ وَالضَّرُورَةِ وُجُودُ مَوْجُودٍ حَادِثٍ كَائِنٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَالْحَادِثُ لَا يَكُونُ وَاجِبًا بِنَفْسِهِ، وَلَا قَدِيمًا أَزَلِيًّا، وَلَا خَالِقًا لِمَا سِوَاهُ، وَلَا غَنِيًّا عَمَّا سِوَاهُ، فَثَبَتَ بِالضَّرُورَةِ وُجُودُ مَوْجُودَيْنِ: أَحَدُهُمَا وَاجِبٌ، وَالْآخَرُ مُمْكِنٌ، أَحَدُهُمَا قَدِيمٌ، وَالْآخَرُ حَادِثٌ، أَحَدُهُمَا غَنِيٌّ، وَالْآخَرُ فَقِيرٌ، أَحَدُهُمَا خَالِقٌ، وَالْآخَرُ مَخْلُوقٌ، وَهُمَا مُتَّفِقَانِ فِي كَوْنِ كُلٍّ مِنْهُمَا شَيْئًا مَوْجُودًا ثَابِتًا.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَيْضًا أَنَّ أَحَدَهُمَا لَيْسَ مُمَاثِلًا لِلْآخَرِ فِي حَقِيقَتِهِ، إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَتَمَاثَلَا فِيمَا يَجِبُ وَيَجُوزُ وَيَمْتَنِعُ، وَأَحَدُهُمَا يَجِبُ قِدَمُهُ وَهُوَ مَوْجُودٌ بِنَفْسِهِ، وَالْآخَرُ لَا يَجِبُ قِدَمُهُ وَلَا هُوَ مَوْجُودٌ بِنَفْسِهِ، وَأَحَدُهُمَا خَالِقٌ وَالْآخَرُ لَيْسَ بِخَالِقٍ، وَأَحَدُهُمَا غَنِيٌّ عَمَّا سِوَاهُ، وَالْآخَرُ فَقِيرٌ، فَلَوْ تَمَاثَلَا لَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ كُلٌّ مِنْهُمَا وَاجِبَ الْقِدَمِ لَيْسَ بِوَاجِبِ الْقِدَمِ، مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ غَيْرَ مَوْجُودٍ بِنَفْسِهِ، خَالِقًا لَيْسَ بِخَالِقٍ، غَنِيًّا غَيْرَ غَنِيٍّ، فَيَلْزَمُ اجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ عَلَى تَقْدِيرِ تُمَاثُلِهِمَا، فَعُلِمَ أَنَّ تَمَاثُلَهُمَا مُنْتَفٍ بِصَرِيحِ الْعَقْلِ، كَمَا هُوَ مُنْتَفٍ بِنُصُوصِ الشَّرْعِ.

فَعُلِمَ بِهَذِهِ الْأَدِلَّةِ اتِّفَاقُهُمَا مِنْ وَجْهٍ، وَاخْتِلَافُهُمَا مِنْ وَجْهٍ، فَمَنْ نَفَى مَا اتَّفَقَا فِيهِ كَانَ مُعَطِّلًا قَائِلًا بِالْبَاطِلِ).

(الشرح)

من قوله: (**فَإِنَّ مَنْ نَفَى صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ**) من هنا إلى قوله: (**كَمَا هُوَ مُنْتَفٍ بِنُصُوصِ الشَّرْعِ**) إلى هنا مناقشة مختلف الطوائف في هذه المسألة.

والمؤلف هنا بدأ بأمثلهم أو بأقربهم إلى السنة، ثم من يليهم، ثم من يليهم، ثم ختم المناقشة بالملحد؛ بدأ بالأشاعرة والماتريدية، ثم المعتزلة، ثم الجهمية، ثم الملحد، ناقشهم حسب التأصيل الذي أصَّله فيما سبق، الله -عَزَّ وَجَل- أثبت لنفسه أسماء وصفات، والنبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- أثبت لربه أسماء وصفات في سنته الصحيحة.

الآن أنتم إما أن تنفوا كلها كما هو حال الجهمية، أو تنفوا جميع الصفات وتثبتوا الأسماء كما هو حال المعتزلة، وإما أن تثبتوا بعض الصفات، وتنفوا بعض الصفات كما هو حال الأشاعرة والماتريدية، وإما أن يصل بكم الأمر إلى الإلحاد فرارًا من التشبيه، وهذا طبعًا طبيعي جدًّا أن يكون هذا الأصل أصلهم في التشبيه دافعًا لبعض الناس للإلحاد طبيعي جدًّا؛ لأن قبل الإلحاد ليس هناك ملجأ إما أن تكون متمحضًا للسنة فتثبت ما أثبته الله -عَزَّ وَجَل- لنفسه، وما أثبته رسوله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- ، وبذلك تخرج من الاضطراب، وإما أن تلحق ركب الملحدين والمجرمين، وتكون منسجمًا مع نفسك، أما بينها حتى الجهمية كلهم واقعون في الاضطراب حسب ما نرى الآن.

في قوله: (**فَإِنَّ مَنْ نَفَى صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ الَّتِي وَصَفَ اللَّهُ بِهَا نَفْسَهُ كَالرِّضَا وَالْغَضَبِ**) هنا يناقش الأشاعرة والماتريدية؛ لأن هؤلاء هم الذين يثبتون بعض الصفات، وينفون بعض الصفات، هم الذين ينفون الصفات الفعلية عمومًا الرضا والغضب، والمحبة والبغض هذه الرضا والغضب والبغض هذه الصفات الفعلية، والمحبة هذه صفة فعلية باعتبار، وذاتية باعتبار، يناقش هؤلاء؛ لأنه سيقول: (**قِيلَ لَهُ: فَأَنْتَ تُثْبِتُ لَهُ الْإِرَادَةَ وَالْكَلَامَ وَالسَّمْعَ**) هؤلاء من هم؟ الأشاعرة، وإذا زدنا صفة صفة التكوين تكون المناقشة هي نفسها منطبقةً على الماتريدية إذن؛ لأن الماتريدية يزيدون عليهم بصفة ثامنة وهي صفة التكوين، أما الصفات السبع فهي مذكورة هنا.

(**وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ**) دائمًا هذا ديدنهم مشبه، مجسم، وأن من يثبت هذه الصفات هو مجسم مشبه، طيب أنت مجسِّم، إلى الآن أنت مجسم عند المعتزلة، إلى الآن أنت مجسم عند، بل من الغريب أن المعتزلة لما يذكرون المشبهة لأنهم لم يصلوا إلينا، انشغلوا بالأشاعرة وظنوا أن هذه هي السنة المحضة لا يذكرون إلا أولئك، المشبهة عند المعتزلة هم هؤلاء الأشاعرة، فإن كنت مشبهًا فأنت إذن مشبه، أما إذا كنت منزهًا على بدعك وخرافاتك مع تلاعبك بالنصوص لا زلت منزهًا،

فأهل السنة أولى بالتنزيه؛ لأنه نزهوا النصوص أولًا، ونزهوا وقدسوا الله -عَزَّ وَجَل- عما لا يليق به، هذا الوصف هو لأهل السنة فقط.

**(وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ)** ذكر ابن القيم -رَحِمَهُ الله- في كتابه [جلاء الأفهام] طبعًا هذا ذكره شيخ الإسلام وابن القيم في كثير من كتبهم، وغيرهم، لكن له كلمة جميلة هنا يقول: {أن المتكلمين يدخلون في مسمى الصفة خصائص المخلوقين، ثم ينفونها جملةً عن الله -عَزَّ وَجَل-}.

الآن بالنسبة للرؤية: الرؤية عندنا لها شروط ولها موانع، من الشروط: الضوء، لا بد أن يكون هناك ضوء حتى تبصر، أليس كذلك؟ بالنسبة للخفافيش من شروط الرؤية عندهم الظلام، شخص يأتي ويعرف الرؤية ويقول: الرؤية هي إدراك المبصرات في الضوء. أين وضع الخفافيش؟ ألغاهم، والسبب في ذلك: لأنه أدخل بعض المبصرين، أدخل خصائص بعض المبصرين في تعريف الرؤية، وهذا خطأ، ألغاهم ألغى الخفافيش.

وهكذا المتكلمون يدخلون في مسميات في حقائق الصفات خصائص المخلوقين، فالغضب عنده هو الذي فيه غليان دم القلب لإرادة الانتقام، هذا هو الغضب عنده، وكذلك الرضا والمحبة والبغض، وبالتالي ينفيها.

نستكمل إن شاء الله بعد الصلاة، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كنا مع مناقشة المؤلف للأشاعرة والماتريدية.

يقول: (**من نفى هذه الصفات الرضا والغضب وغيرها، وَزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ، قِيلَ لَهُ: فَأَنت**) هذا يدل على أن هذا أشعري أو ماتريدي، (**فأنت تُثْبِتُ لَهُ الْإِرَادَةَ وَالْكَلَامَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ، مَعَ أَنَّ مَا تُثْبِتُهُ لَهُ لَيْسَ مِثْلَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ**).

طبعًا المؤلف هنا مشى على حسن الظن بهم. هنا لأن هذا الذي ذكره عنهم هم لا يخالفون، ولكن لو يحقق معهم هنا ويقول: لو يقال له: ما تثبته له هل تثبته لائقًا بالمخلوق أو بالخالق، ماذا سيكون جوابه؟ لائقًا بالخالق.

ثم يُسأل كيف أثبت هذه الصفات التي ثبتت لله -عَزَّ وَجَل- وهي ثابتة للمخلوقين أيضًا؟ كيف أثبتها مع أنها فيها تشبيه كيف أثبتها؟ ﴿**فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[الإنسان:٢]، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾[الشورى:١١]، كيف أثبت السمع والبصر مع أنه ثابتٌ للمخلوقين أيضًا؟ هل مشيت على منهجك؟ ومنهجه هو أن التشبيه يرجع إلى ماذا؟ إلى القدر المشترك، فهنا سيقول مكرهًا ومرغمًا: أن هذه الصفات أثبتها لائقةً بكمال الله -عَزَّ وَجَل-، ولائقةً به، وليست لائقةً بالمخلوقين. هذا الذي سيقوله، مع أن ما تثبته له ليس مثل صفات المخلوقين؛ أي باعترافك أنت، أنت تقول هكذا، وبالتالي أنت توافقنا على الأصل هنا خاصةً فيما تثبته، فيما تثبته نسيت أصل التشبيه عندك، وأنه يرجع إلى القدر المشترك نسيته، بل أثبت هذه الصفات، وصرت مشبهًا عند المعتزلة، وبينك وبينهم مناظرات، وهم في مناظرتهم -وهذا غريب- في مناظرتهم للمعتزلة أكثرهم يذكرون: {أن القدر المشترك، إثبات القدر المشترك لا يستلزم التشبيه}. هذا ذكره الجويني بطوله وعرضه، وذكره من الأشاعرة، وذكره أبو المعين النسفي من الماتريدية بكلامٍ صريحٍ جدًّا، بل ذكره أبو منصور الماتريدية، **هذا متى؟**

لما يناقشون المعتزلة والجهمية والقرامطة، لما يناقشون أهل السنة يقولون: لا، التشبيه يرجع إلى القدر المشترك، ولا يرجع إلى الخصائص أبدًا.

لاحظت كيف أن هناك ازدواجية في، من هنا المعتزلي، ومن هنا السني، وهذا الأشعري في الوسط لما يتجه إلى هنا التشبيه يختلف، ولما يتجه إلى هنا التشبيه يختلف.

لذلك شيخ الإسلام في بداية [التدمرية] وصفهم بأنهم عندهم سفسطة في العقليات، وقرمطة في السمعيات، هذه نتيجتهم.

إذن مع أن ما تثبته له ليس مثل صفات المخلوقين؛ أي باعترافك، فأنت هنا معنا.

(**فَقُلْ فِيمَا نَفَيْتَهُ**) وهي أكثر الصفات نفيتها، (**قل فِيمَا نَفَيْتَهُ وَأَثْبَتَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**) هم دائمًا يقولون: ابن تيمية يثبت، وفلان يثبت، لا، الله -عَزَّ وَجَل- هو الذي يثبت (**فِيمَا نَفَيْتَهُ وَأَثْبَتَهُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَل- وَرَسُولُهُ، قل في ذلك مِثْلَ قَوْلِكَ فِيمَا أَثْبَتَّهُ، إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا**).

**ما الفرق بينهما؟**

ليس هناك فرق بينهما، **في ماذا؟**

في الأصلين اللذين ذكرهما شيخ الإسلام: القول في بعض الصفات كالقول في ماذا؟ في القائل، الله -عَزَّ وَجَل- هو الذي أثبتها، وفيمن أثبتها له، الله -عَزَّ وَجَل- هو الذي أثبتها وأثبتها لمن؟ لله -عَزَّ وَجَل-، الجميع هكذا، جميع الصفات، فلماذا تفرق بينهما؟! (**إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا**).

**هذه المناقشة هل الأشعري هل له جواب على هذه المناقشة؟**

ليس له أي جواب إلا التحكم في معاني هذه الصفات، يقول: أنا أعْقِل من هذه الصفات التي أثبتها بإمكاني أن أعقل منها معاني تليق بالله -عَزَّ وَجَل-، أما الصفات التي نفيتها لا أعقل منها إلا ما يليق بالمخلوق. تحكم.

وهنا يلاحقهم شيخ الإسلام ويقول: نفس المنهج الذي مشيت عليه، إذا مشيت على هذا المنهج سألزمك بنفس النتائج فيما تثبته، أنت الآن تثبت الإرادة، ما هي الإرادة عند المخلوقين؟ الإرادة عند المخلوقين هي إرادة شيءٍ لينتفعوا بها، ليستكملوا بها، هناك شيء يُستكمل به.

طيب، إرادة الله -عَزَّ وَجَل- هكذا؟ سيقول: لا، إرادة الله -عَزَّ وَجَل- تليق به، ليس فيها استكمال، طيب هكذا غضب الله -عَزَّ وَجَل-، وهكذا سخطه، وهكذا محبته، وهكذا بغضه.

على كل حال، التناقض والاضطراب الذي عند الأشاعرة بالذات لا يوجد حتى عند المعتزلة.

(**فَإِنْ قَالَ**) من هنا المناقشة مع المعتزلة، نتصور كما ذكر ابن القيم -رَحِمَهُ الله- في بداية [النونية] نتصور أن هناك مجلس، وهذا المجلس فيه أشاعرة، ومعتزلة، وجهمية، وملحدين، ولاحظ كيف أن من

يكون أقرب من السنة ويتملص من بعض قواعدهم، ويكون قريبًا من السنة لما تلزمه بهذا الحق، ولما تقول له: لا بد أن يكون هذا قولك فيما نفيته، كيف أنه يفر إلى الأصل؟

-لاحظ، شوف- **(فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُثْبِتُ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ) لماذا يقول هذا؟**

لأن إثبات الصفات مع ذلك الأصل أشكل عليه، ما استطاع أن يصمد، إما أن يلتحق بركب أهل السنة، وإما أن يبقى مع أئمته وهم الجهمية والمعتزلة.

**(فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أُثْبِتُ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ)** وبالتالي لا يلزمني ما ألزمت به الأشاعرة.

**(قِيلَ لَهُ: فَأَنْتَ تُثْبِتُ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى، مِثْلَ: حَيٍّ، عَلِيمٍ، قَدِيرٍ، وَالْعَبْدُ يُسَمَّى بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، وَلَيْسَ مَا يَثْبُتُ لِلرَّبِّ مِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ مُمَاثِلًا لِمَا يَثْبُتُ لِلْعَبْدِ)**؛ أي باعترافك؛ لأن هذا هو جواب المعتزلة للجهمية، الجهمية يرون أن المعتزلة مشبهة، وهم يسمونهم مشبهة، المعتزلي والأشعري، وأهل السنة كلهم عند الجهمي في كفة واحدة.

**فبماذا يجيب المعتزلي؟**

يقول لهم: الأسماء التي أثبتا لله -عَزَّ وَجَل- لا يلزمني فيها تشبيه، أنا أثبتها كما تليق بكمال الله -عَزَّ وَجَل-، فنقول: **(فَقُلْ فِي صِفَاتِهِ نَظِيرَ قَوْلِكَ فِي مُسَمَّى أَسْمَائِهِ)** هذه المناقشة موجهة للمعتزلة.

**(فَإِنْ قَالَ)** إثبات الأسماء أيضًا أشكلت عليه، مع بقائه على الأصل **(فَإِن قَالَ: وَأَنَا لَا أُثْبِتُ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى)** تلزمني بهذه الأمور، تلزمني أن أرجع إلى الحق لأجل شيء أثبته، هذا الذي أثبته ما راق لك، إذن وأنا لا أثبت له الأسماء الحسنى **(بَلْ أَقُولُ: هِيَ مَجَازٌ)** هذه مناقشة الجهمية، هذا قول الجهمية.

**(هِيَ مَجَازٌ، وَهِيَ أَسْمَاءٌ لِبَعْضِ مُبْتَدَعَاتِهِ، كَقَوْلِ غُلَاةِ الْبَاطِنِيَّةِ وَالْمُتَفَلْسِفَةِ)** هذا قول غلاة الباطنية والمتفلسفة، وهذا قول الجهمية أيضًا.

**ما الذي أوصله إلى هذا؟**

الأصل الذي اتفقوا عليه، ذلك الأصل الباطل الذي اتفقوا عليه وهو أن القدر المشترك الذي سنتحدث عنه، سيتحدث عنه المؤلف، القدر المشترك لا نثبته في هذه الأسماء والصفات، وأن نفي التشبيه يرجع إلى ماذا؟ إلى القدر المشترك وليس إلى الخصائص.

**(فإن قال)** طبعًا هذا كلامه: **(فَإِن قَالَ: وَأَنَا لَا أُثْبِتُ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى، قِيلَ لَهُ: فَلَا بُدَّ أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّهُ مَوْجُودٌ، حَقٌّ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، وَالْجِسْمُ مَوْجُودٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، وَلَيْسَ مُمَاثِلًا لَهُ)** أنت أيها الجهم هل تثبت أنه موجود؟ الجهم يثبت أنه موجود، ويقال له: هو موجود، ومخلوقاته موجودة، ألم تقع في التشبيه؟ وقعت في التشبيه، هو موجود، والأجسام موجودة، الأجسام أقل شيء موجودة أليس كذلك؟ الله -عَزَّ وَجَل- أقل شيء، أقل ما تثبته له أنه موجود، وقعت في التشبيه، فهو موجود، ومخلوقاته موجودة.

طبعًا **(وَلَيْسَ هُوَ مُمَاثِلًا لَهُ)** هذا باعترافك أنت، أنت تقول، هو يقول هكذا: يثبت الوجود، ويثبت له وجودًا يليق به، وهو وجود الواجب بنفسه.

**(فَإِنْ قَالَ)** من هنا أيضًا يفر **(أَنَا لَا أُثْبِتُ شَيْئًا)**؛ لأن الإثبات هذا يجعلني مشبهًا، أي إثبات، إذا كان إثبات وجوده أوقعني في التشبيه، فلماذا أورط نفسي؟! **(لَا أُثْبِتُ شَيْئًا، بَلْ أُنْكِرُ وُجُودَ الْوَاجِبِ)** هذا ملحد، هذا قول من؟ ملحد.

طبعًا هناك من يقول، وهم القرامطة يقولون: {لا أثبت وجوده، ولا أنكر وجوده}. هذا ذكره شيخ الإسلام في [التدمرية] لم يذكره هنا.

القرمطي يقول: أنا لا أثبت وجوده حتى يكون شبيهًا بالموجودات، ولا أقول: هو غير موجود حتى يكون شبيهًا بالمعدومات، إذا قلت: غير موجود سأكون مشبهًا له بالمعدومات، وإذا قلت: موجود، سأكون مشبهًا له بالموجودات؛ فلذلك لا أقول هو موجود، ولا أقول: غير موجود، حتى أيش؟ أكون مجنونًا صح.

**هذا الجنون ما الذي أوصله؟**

هذا المضطرب هو الذي أوصله إلى هناك، هو سبب من الأسباب، هذا الجنون الأخرق أسهم فيه، لا أقول: أوصل إليه، إنما أقول: أسهم فيه.

هذا الملحد يقول: (**لَا أُثْبِتُ شَيْئًا، بَلْ أُنْكِرُ وُجُودَ الْوَاجِبِ**) أنكر وجود الله -عَزَّ وَجَل-.

الذين يقولون: لا نثبت وجوده ولا ننكر وجوده هم القرامطة، طبعًا لهم كتب، ومن كتبهم كتاب [الافتخار] لأبي يعقوب السجستاني، أبو يعقوب السجستاني من القرن الرابع قديم، وله كتب كثيرة منها كتاب اسمه [القلائد]، ومنها كتاب [الافتخار]، كتاب [الافتخار] موجود عندي حققه الدكتور مصطفى غالب وهو من القرامطة المعاصرين إسماعيلي، وأبرز تراث الإسماعيلية والقرامطة، الدكتور مصطفى غالب.

**أبو يعقوب السجستاني يفتخر في هذا الكتاب الذي أسماه [الافتخار] يفتخر بماذا؟**

بهذا الجنون، يفتخر على المعتزلة، وعلى الجهمية، وعلى الأشاعرة، طبعًا هو يسميهم مشبهة، ويقول: أنتم وقعتم في التشبيه، ونحن نفتخر بهذا الذي وصلنا إليه، لا أحد يقول لنا: أنت شبهته بالموجودات، ولا أحد يقول لنا: أنت شبهته بالمعدومات. هكذا يفتخر، كما أن الأشاعرة يفتخرون بهذا العبث، وبهذا التحريف يفتخرون به على أهل السنة، من جنس افتخار أبي يعقوب السجستاني، كلهم يفتخرون.

(**قِيلَ لَهُ**) المناقشة هنا عقلية بحتة، وهذه المناقشة بالنظر إلى الموجودات، الموجودات حتى هذا الملحد يُقِر أن هذه الموجودات هو يراها أنها موجودات حادثة بعد أن لم تكن، الكوائن هذه، العوالم هذه، الموجودات هذه يراها، فلا يمكنه أن يقول: أن هذه موجودات خلقت نفسها، وأنها واجبة الوجود بنفسها، لا يمكنه أن يقول.

**أولًا نقول: عقليًّا حسب التقسيم العقلي الموجود ينقسم إلى قسمين:**

- موجود لا يحتاج إلى غيره.
- وموجود محتاجٌ إلى غيره.

هذا أولًا القسمة العقلية في الفقرة الأولى (قيلَ له).

في الفقرة الثانية (**وَقَدْ عُلِمَ بِالْحِسِّ وَالضَّرُورَةِ النظر إلى الحس والموجودات**) نقول له: هذه الموجودات تصنفها من أي قسم؟ تصنفها من الموجودات القديمة الأزلية.

**مثلاً**: أنت وجودك أنت ولدت في سنة كذا وكذا، أنت أزلي أو تصنف وجودك فيه؟ سيقول: وجودي ممكن وحادث، ووجودي بحاجة إلى موجد، -أليس كذلك؟-، والموجودات هذه كلها نصنفها عقلًا.

طيب، ترجعها إلى ماذا؟ لا بد أن ترجعها إلى الصنف الآخر الذي بدأنا به في القسمة العقلية، الموجودات تنقسم إلى قسمين: واجبة بنفسها، وغير واجبة بنفسها محتاجة إلى دليل، أليس كذلك يا؟ هذه مناقشة معه.

إذن أنت أثبت أن هناك شيئًا يرجع إليه وجود الموجودات المحدثة هذه، بالله عليك، ماذا تسميه؟ وبالله عليك، هل هو مثل هذه الموجودات في صفاته وأسمائه؟ لأنه إذا كان مثل هذه الصفات ستجمع بين النقيضين، هذا الموجود قديمٌ وحادث، وهذا الموجود واجب وممكن، وهذا الموجود غنيٌّ ومحتاج، ولا بد أن تميز بين ذلك الموجود، وبين هذه الموجودات.

حسب هذه المناقشة سنصل إلى شيءٍ مهم: هذا الذي سيبدأ بعد قوله: (**فَعُلِمَ بِهَذِهِ الْأَدِلَّةِ اتِّفَاقُهُمَا مِنْ وَجْهٍ، وَاخْتِلَافُهُمَا مِنْ وَجْهٍ**) هذا كله سيبين أن هناك قدرًا مشتركًا بين جميع الموجودات، وأن هناك قدرًا مميزًا للموجودات، كل موجود يمتاز عن غيره بشيءٍ يخصه، أما القدر المميز بين الخالق والمخلوق فهو من أعظم منها. هذه مناقشة عقلية بحتة.

(**قِيلَ لَهُ**) قيل لهذا الملحد (**مَعْلُومٌ بِصَرِيحِ الْعَقْلِ أَنَّ الْمَوْجُودَ إِمَّا وَاجِبٌ بِنَفْسِهِ، وَإِمَّا غَيْرُ وَاجِبٍ بِنَفْسِهِ**) طبعًا هذا التعديد هنا بالنظر إلى المصطلحات، الواجب بنفسه، غير واجب بنفسه هذا مصطلح الفلاسفة.

(**وَإِمَّا قَدِيمٌ أَزَلِيٌّ، وَإِمَّا حَادِثٌ كَائِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ**) هذا مصطلح المتكلمين.

**(وَإِمَّا مَخْلُوقٌ مُفْتَقِرٌ إِلَى خَالِقٍ، وَإِمَّا غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَلَا مُفْتَقِرٌ إِلَى خَالِقٍ، وَإِمَّا فَقِيرٌ إِلَى مَا سِوَاهُ، وَإِمَّا غَنِيٌّ عَمَّا سِوَاهُ)** هذا مصطلح أهل السنة، هذا التعديد بالنظر إلى المصطلحات، وإلا معاني هذه الكلمات متقاربة.

إذن هناك تقابل بين الواجب بنفسه، والقديم الأزلي، والذي هو غير مخلوق، والغني عما سواه بين هذا الصنف والصنف الآخر وهو غير واجبٍ بنفسه، حادثٌ كائنٌ بعد أن لم يكن، مخلوقٌ مفتقرٌ إلى خالق، فقيرٌ إلى ما سواه، هناك تقابل.

القسمة العقلية تقول: أن الموجودات تنقسم إلى هذين القسمين، قسمة عقلية هذه، ما بعده الواقع سيبين أن هذه القسمة العقلية فعلًا واقعة.

**طيب، إحنا ذكرنا هنا التقابل بين أربعة، وهذه الأمور الأربعة هي:**

- الوجوب بنفسه.
- والغنى.
- والقيام بنفسه.
- والأربعة التي فيها حاجة إلى هذا القسم.

**(وَغَيْرُ الْوَاجِبِ بِنَفْسِهِ لَا يَكُونُ إِلَّا الْوَاجِبِ بِنَفْسِهِ)** نفس القسمة **(وَالْحَادِثُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِقَدِيمٍ، وَالْمَخْلُوقُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِخَالِقٍ، وَالْفَقِيرُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِغَنِيٍّ عَنْهُ، فَقَدْ لَزِمَ عَلَى تَقْدِيرِ النَّقِيضَيْنِ وُجُودُ مَوْجُودٍ وَاجِبٍ بِنَفْسِهِ قَدِيمٍ أَزَلِيٍّ خَالِقٍ غَنِيٍّ عَمَّا سِوَاهُ، وَمَا سِوَاهُ بِخِلَافِ ذَلِكَ)** هذه القسمة العقلية كما قلت.

الآن ننظر إلى الواقع **(وَقَدْ عُلِمَ بِالْحِسِّ وَالضَّرُورَةِ وُجُودُ مَوْجُودِ حَادِثٍ كَائِنٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ)** نحن لا ننظر إلى العالم، إلى المشاهد، الحس هذا الذي نحس به، والضرورة لا أحد يخالفنا في هذا: أن الموجود الحادث الذي كان بعد أن لم يكون هذا موجود، وهو هذا العالم المشاهد، أليس كذلك؟ **(وَالْحَادِثُ لَا يَكُونُ)** اتفقنا في الأول (لا يكونُ **وَاجِبًا بِنَفْسِهِ، وَلَا قَدِيمًا أَزَلِيًّا، وَلَا خَالِقًا لِمَا سِوَاهُ، وَلَا غَنِيًّا عَمَّا سِوَاهُ)** ما دام هذا حادث بعد أن لم يكن هذا العالَم، إذن هو ليس ذلك القسم الذي لا يحتاج إلى غيره، لا، هذا من القسم الذي يحتاج إلى غيره.

(**فَثَبَتَ بِالضَّرُورَةِ وُجُودُ مَوْجُودَيْنِ: أَحَدُهُمَا وَاجِبٌ، وَالْآخَرُ مُمْكِنٌ**) هذا حسب مصطلح الفلاسفة، (**أَحَدُهُمَا قَدِيمٌ، وَالْآخَرُ حَادِثٌ**) مصطلح المتكلمين، (**أَحَدُهُمَا غَنِيٌّ، وَالْآخَرُ فَقِيرٌ، أَحَدُهُمَا خَالِقٌ، وَالْآخَرُ مَخْلُوقٌ، وَهُمَا مُتَّفِقَانِ فِي كَوْنِ كُلٍّ مِنْهُمَا شَيْئًا مَوْجُودًا ثَابِتًا**).

**مع التقابل بين هذه الصفات، ومع التفاوت الكبير بينهما إلا أن هناك شيئًا يجمعهما وهو ماذا؟**

الثبوت والوجود.

- **الآن مسألة أخرى: هل هذان القسمان متماثلان؟ من يقول أنهما متماثلان؟**

ليسا متماثلين.

(**وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَيْضًا أَنَّ أَحَدَهُمَا لَيْسَ مُمَاثِلًا لِلْآخَرِ فِي حَقِيقَتِهِ**) هذا الذي، نحن ماشيين بالتدرج.

الآن ننظر هل هما هذان النوعان متماثلان أو لا؟

(**وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَيْضًا أَنَّ أَحَدَهُمَا لَيْسَ مُمَاثِلًا لِلْآخَرِ فِي حَقِيقَتِهِ، إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَتَمَاثَلَا فِيمَا يَجِبُ وَيَجُوزُ وَيَمْتَنِعُ، وَأَحَدُهُمَا يَجِبُ قِدَمُهُ وَهُوَ مَوْجُودٌ بِنَفْسِهِ، وَالْآخَرُ لَا يَجِبُ قِدَمُهُ وَلَا هُوَ مَوْجُودٌ بِنَفْسِهِ، وَأَحَدُهُمَا خَالِقٌ وَالْآخَرُ لَيْسَ بِخَالِقٍ، وَأَحَدُهُمَا غَنِيٌّ عَمَّا سِوَاهُ، وَالْآخَرُ فَقِيرٌ**).

إذن ليسا متماثلين؛ لأن أحدهما أحد القسمين من إلى بحاجة إلى غيره، والقسم الثاني ليس بحاجة إلى غيره، ليسا متماثلين.

(**فَلَوْ تَمَاثَلَا لَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ كُلٌّ مِنْهُمَا وَاجِبَ الْقِدَمِ لَيْسَ بِوَاجِبِ الْقِدَمِ**) أليس كذلك؟ لو تماثلا كل قسمٍ يأخذ أحكام القسم الثاني، والقسم الثاني يأخذ أحكام القسم الأول؛ حتى يكونا متماثلين.

**إذن ما الذي سيلزم؟**

(**كُلٌّ مِنْهُمَا وَاجِبَ الْقِدَمِ لَيْسَ بِوَاجِبِ الْقِدَمِ، مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ غَيْرَ مَوْجُودٍ بِنَفْسِهِ**) إلى آخر الأحكام المتقابلة، (**فَيَلْزَمُ اجْتِمَاعُ الضِّدَّيْنِ عَلَى تَقْدِيرِ تُمَاثُلِهِمَا، فَعُلِمَ أَنَّ تَمَاثُلَهُمَا مُنْتَفٍ بِصَرِيحِ**

**الْعَقْلِ، كَمَا هُوَ مُنْتَفٍ بِنُصُوصِ الشَّرْعِ)** ليسا متماثلين، مع أنهما ليسا متماثلين إلا أن بينهما قدرًا مشتركًا وهو الثبوت والوجود.

**هذا الآن نُلزِم به من؟**

الملحد؛ لأن الملحد وصل إلى إلحاده فرارًا من التشبيه، ونقول له: حسب ما تعترف، حسب عقلك هذا الذي ما أدري، حسب ما تعترف علمنا أن هناك نوعان من الموجودين، وبينهما تفاوت كبير، ومع ذلك يتشابهان في شيء وهو الوجود، أين تفر؟ كيف تخرج من هذا التشبيه؟

إلى هنا المناقشة مع الملحد.

- **الآن يدخل في مسألة أخرى: قد تكون هي الأصل في هذه المعمعة، وهي تفصيلٌ لما ذكرته سابقًا في تعريف التشبيه**: أن التشبيه نفيه يرجع إلى خصائص الرب سبحانه، وأن خصائص الرب لا يوصف بها غيره، وهذا هو التشبيه الذي ينفيه أهل السنة، وأن المتكلمين يخالفون أهل السنة في هذا الموضوع، وأنهم يرجعون نفي التشبيه إلى نفي القدر المشترك.

**قضية القدر المشترك**: هذه قضية طويلة أيضًا، وركز عليها شيخ الإسلام في كتبه في معظمها، ولكن أكثر ما تحدث عنها في [التدمرية]، في القاعدة السادسة ركز على هذه تركيزًا قد لا تجدونه في كتابٍ آخر، كذلك ذكره في القاعدة الخامسة، وذكره أيضًا في مقدمة الكتاب، ومن الكتب التي أطال في تقرير هذا كتابه الذي طُبِعَ مؤخرًا مستقلًّا [شرح حديث النزول]، أطال أيضًا هنا، وعمومًا شيخ الإسلام يشير إلى هذه القضية؛ لأنه أبرزها جدًّا.

طبعًا أهل السنة من أوائلهم إلى يومك هذا هذه المسألة واضحة عندهم قضية القدر المشترك، **ولكن من الذي أبرزها جدًّا؟** شيخ الإسلام ابن تيمية، وعنه ينقل ابن أبي العز هنا قضية القدر المشترك.

ويبدو أن الوقت قد لا يسعفنا، ما رأيكم؟ نقف أحسن، ونبدأ إن شاء الله في الدرس القادم من هنا **(فَعُلِمَ بِهَذِهِ الْأَدِلَّةِ اتِّفَاقُهُمَا مِنْ وَجْهٍ، وَاخْتِلَافُهُمَا مِنْ وَجْهٍ)** والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم اغفر لشيخنا ولأشياخه وللمسلمين.

(المتن)

قال الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

فَعُلِمَ بِهَذِهِ الْأَدِلَّةِ اتِّفَاقُهُمَا مِنْ وَجْهٍ، وَاخْتِلَافُهُمَا مِنْ وَجْهٍ، فَمَنْ نَفَى مَا اتَّفَقَا فِيهِ كَانَ مُعَطِّلًا قَائِلًا لِلْبَاطِلِ، وَمَنْ جَعَلَهُمَا مُتَمَاثِلَيْنِ كَانَ مُشَبِّهًا قَائِلًا لِلْبَاطِلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمَا وَإِنِ اتَّفَقَا فِي مُسَمَّى مَا اتَّفَقَا فِيهِ، فَاللَّهُ تَعَالَى مُخْتَصٌّ بِوُجُودِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَسَائِرِ صِفَاتِهِ، وَالْعَبْدُ لَا يَشْرَكُهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَالْعَبْدُ أَيْضًا مُخْتَصٌّ بِوُجُودِهِ وَعِلْمِهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ مُشَارَكَةِ الْعَبْدِ فِي خَصَائِصِهِ.

وَإِذَا اتَّفَقَا فِي مُسَمَّى الْوُجُودِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، فَهَذَا الْمُشْتَرَكُ مُطْلَقٌ كُلِّيٌّ يُوجَدُ فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْأَعْيَانِ، وَالْمَوْجُودُ فِي الْأَعْيَانِ مُخْتَصٌّ لَا اشْتِرَاكَ فِيهِ، وَهَذَا مَوْضِعٌ اضْطَرَبَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النُّظَّارِ، حَيْثُ تَوَهَّمُوا أَنَّ الِاتِّفَاقَ فِي مُسَمَّى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ الْوُجُودُ الَّذِي لِلرَّبِّ كَالْوُجُودِ الَّذِي لِلْعَبْدِ.

وَطَائِفَةٌ ظَنَّتْ أَنَّ لَفْظَ الْوُجُودِ يُقَالُ بِالِاشْتِرَاكِ اللَّفْظِيِّ، وَكَابَرُوا عُقُولَهُمْ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ عَامَّةٌ قَابِلَةٌ لِلتَّقْسِيمِ، كَمَا يُقَالُ: الْمَوْجُودُ يَنْقَسِمُ إِلَى وَاجِبٍ وَمُمْكِنٍ، وَقَدِيمٍ وَحَادِثٍ. وَمَوْرِدُ التَّقْسِيمِ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْأَقْسَامِ، وَاللَّفْظُ الْمُشْتَرَكُ كَلَفْظِ الْمُشْتَرِي الْوَاقِعِ عَلَى الْمُبْتَاعِ وَالْكَوْكَبِ، لَا يَنْقَسِمُ مَعْنَاهُ، وَلَكِنْ يُقَالُ: لَفْظُ "الْمُشْتَرِي" يُقَالُ عَلَى كَذَا أَوْ عَلَى كَذَا، وَأَمْثَالِ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ الَّتِي قَدْ بُسِطَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي مَوْضِعِهِ.

وَأَصْلُ الْخَطَأِ وَالْغَلَطِ: تَوَهُّمُهُمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ الْعَامَّةَ الْكُلِّيَّةَ يَكُونُ مُسَمَّاهَا الْمُطْلَقُ الْكُلِّيُّ هُوَ بِعَيْنِهِ ثَابِتًا فِي هَذَا الْمُعَيَّنِ وَهَذَا الْمُعَيَّنِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ مَا يُوجَدُ فِي الْخَارِجِ لَا يُوجَدُ

مُطْلَقًا كُلِيًّا، لَا يُوجَدُ إِلَّا مُعَيَّنًا مُخْتَصًّا، وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ إِذَا سُمِّيَ اللَّهُ بِهَا كَانَ مُسَمَّاهَا مُعَيَّنًا مُخْتَصًّا بِهِ، فَإِذَا سُمِّيَ بِهَا الْعَبْدُ كَانَ مُسَمَّاهَا مُخْتَصًّا بِهِ، فَوُجُودُ اللَّهِ وَحَيَاتُهُ لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ، بَلْ وُجُودُ هَذَا الْمَوْجُودِ الْمُعَيَّنِ لَا يَشْرَكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ، فَكَيْفَ بِوُجُودِ الْخَالِقِ؟ أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: هَذَا هُوَ ذَاكَ، فَالْمُشَارُ إِلَيْهِ وَاحِدٌ لَكِنْ بِوَجْهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ.

وَبِهَذَا وَمِثْلِهِ يَتَبَيَّنُ لَكَ أَنَّ الْمُشَبِّهَةَ أَخَذُوا هَذَا الْمَعْنَى وَزَادُوا فِيهِ عَلَى الْحَقِّ فَضَلُّوا، وَأَنَّ الْمُعَطِّلَةَ أَخَذُوا نَفْيَ الْمُمَاثَلَةِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَزَادُوا فِيهِ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى ضَلُّوا، وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ دَلَّ عَلَى الْحَقِّ الْمَحْضِ الَّذِي تَعْقِلُهُ الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ الصَّحِيحَةُ، وَهُوَ الْحَقُّ الْمُعْتَدِلُ الَّذِي لَا انْحِرَافَ فِيهِ.

فَالنُّفَاةُ أَحْسَنُوا فِي تَنْزِيهِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ عَنِ التَّشْبِيهِ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَكِنْ أَسَاؤُوا فِي نَفْيِ الْمَعَانِي الثَّابِتَةِ لِلَّهِ تَعَالَى فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَالْمُشَبِّهَةُ أَحْسَنُوا فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ، وَلَكِنْ أَسَاؤُوا بِزِيَادَةِ التَّشْبِيهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُخَاطَبَ لَا يَفْهَمُ الْمَعَانِيَ الْمُعَبَّرَ عَنْهَا بِاللَّفْظِ إِلَّا أَنْ يَعْرِفَ عَيْنَهَا أَوْ مَا يُنَاسِبُ عَيْنَهَا، وَيَكُونُ بَيْنَهَا قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ وَمُشَابَهَةٌ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى، وَإِلَّا فَلَا يُمْكِنُ تَفْهِيمُ الْمُخَاطَبِينَ بِدُونِ هَذَا قَطُّ.

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

**أما بعد:-**

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

**ثم أما بعد:-**

هذا الموضوع الذي تناوله ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- في غايةٍ من الأهمية في باب [توحيد الأسماء والصفات عمومًا، وهو الموضع الذي كان مسار غلطٍ وخطأٍ عند كثيرٍ من الناس، وقد أشار إلى هذا ابن أبي العز هنا، (**وَهَذَا مَوْضِعٌ اضْطَرَبَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النُّظَّارِ، حَيْثُ تَوَهَّمُوا أَنَّ الِاتِّفَاقَ فِي مُسَمَّى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ الْوُجُودُ الَّذِي لِلرَّبِّ كَالْوُجُودِ الَّذِي لِلْعَبْدِ**).

هذه المسألة مثل مسألة الألفاظ المجملة التي ركز عليها شيخ الإسلام كثيرًا جدًّا، وتحدث عنها في غالب كتبه.

**مسألة الألفاظ المجملة**: هي عبارة عن إعادة كما يقولون: أسلمة المعرفة الشرعية، يقول أحدهما: أسلمت معارفنا إلا على يدِ ابن تيمية، انحرفت ألفاظًا ومدلولات هذا اللفظ يدل على هذا المعنى، وهذا اللفظ يدل على هذا المعنى، لا ألفاظ شرعية سلمت، ولا الألفاظ التي هي إن صح التعبير على الفطرة في اللغة سلمت، هذه أفسدوها، وهذه حرفوها، كل هذا بسبب توطيد معاني هي ليست من الإسلام في شيء، ولعبهم كله، وعبثهم كله بالوسيلة التي استخدموها في ذلك هي الألفاظ؛ ولذلك ركز شيخ الإسلام على هذه المسألة تجده يناقش مسألة لفظية يناقش مناقشة طويلة قد تكون النتيجة خلاصتها بسيطة جدًّا في نظرنا، يطيل في ذلك، **لماذا؟**

لأن هناك شيء خلفية وراء هذا التطويل، ما يترك المسألة إلا وقد محض فيها الصواب لغةً، والصواب عرفًا، والصواب شرعًا. هذا ما يتعلق بالألفاظ المجملة.

**ما يتعلق بموضوع التشبيه**: موضوع التشبيه كما ذكرت في الدرس الماضي.

**علم الكلام**: عبارة عن نفي التشبيه كما يقولون، وعن تنزيه الله -عَزَّ وَجَل- عن الحوادث، أو عن مشابهة الحوادث كما يزعمون، فهم لم يقصروا في الخلل في هذا الباب، وفي هذا الباب بزعمهم نزهوا الله -عَزَّ وَجَل- عن مشابهة حلول الحوادث، ولكن عطلوه سبحانه عن كثيرٍ من أسمائه وصفاته التي تمدَّح الله -عَزَّ وَجَل- بها، والتي تعرف إلى عباده بها، هذا كله في سبيلهم إلى التنزيه، مما يدل على أن تنزيههم ليس من التنزيه في شيء، وأن تقديسهم بطريقةٍ تخالف وتضاد الطريقة القرآنية، والطريقة السنية.

**موضوع التشبيه فيه مسائل كثيرة، من أهم مسائل الموضوع، موضوع التشبيه مسألة القدر المشترك**:

كيف تكون دلالة هذه الألفاظ التي أطلقت على الله -عَزَّ وَجَل- وأطلقت على المخلوقين؟ ولا شك أن المباينة بين الخالق والمخلوق مباينة أبعد من أي مباينة، أن تتصور مباينة بعيدةً جدًّا تصور، كل ما تصورت فالمباينة بين الخالق والمخلوق أعظم، **لماذا؟**

لأن أحدهم خالق والثاني مخلوق، ليس له من نفسه شيء، فالمباينة بين الخالق والمخلوق أعظم من أي مباينة.

وهذا المعنى يتكرس ويرسَخ لما تقرأ في أسمائه وصفاته، ولما تعلم معانيها، تعلم كيف أن المباينة بين الخالق والمخلوق، والمباينة بين صفاته وصفات المخلوق، والمباينة بين مدلولات ومعاني أسمائه، وبين مدلولاته ومعاني أسماء المخلوقين كيف أنها عظيمة جدًّا.

ولكن أهل الكلام دخلوا في هذا الباب بطريقتهم الخاصة، أخذوها من الأساس أخذوها من غير المسلمين، طريقة التنزيه، أنا لا أتحدث عن تفاصيل، طريقة التنزيه في الأصل مأخوذة من الفلاسفة، وما الذي ينزه عنه؟ قضية عقلية بحتة عندهم، الله -عَزَّ وَجَل- هو الذي بيَّن لنا ما الذي يتنزه عنه؟ وهي النقائص والعيوب، ومشابهة صفات المخلوقين، وما الذي يجب أن يوصف به؟ وهي الكمالات، أما الطريقة عن المتكلمين تختلف تمامًا.

قضية القدر المشترك التي يتحدث عنها ابن أبي العز هنا، وكلامه كما قلت سابقًا: مأخوذ من كلام شيخ الإسلام في [منهاج السنة].

**القضية هنا درس اليوم فيه:**

- قضية القدر المشترك.
- وقضية كيفية دلالة الألفاظ على المعاني، هذه الفقرة الثانية التي ما قرأناها.

كما قلت: هذه القضية قضية القدر المشترك بها نعرف الصلة بين المعاني التي هي لله -عَزَّ وَجَل-، وبين المعاني التي هي للمخلوقات، وكيف تدل هذه الألفاظ التي تطلق على الله -عَزَّ وَجَل- وعلى المخلوقين كيف تدل على هذه وعلى هذه؟

هو في الأساس المفروض تكون هناك ألفاظ خاصة بالخالق، وألفاظٌ خاصة بالمخلوقات، أليس كذلك؟ المفروض تكون هكذا، ولكن لو كانت هكذا ما توصلنا إلى تلك الألفاظ، ما توصلنا إليها، والمطلوب منا فهم هذه المعاني.

**لماذا ذكر الله –عَزَّ وَجَل– أسمائه وصفاته، لماذا، وتُعُبِّدنا بها، بحفظها، وإحصائها، وبالتعبد حسب مقتضاها لماذا؟**

لأننا مكلفون بهذا، وبالتالي كيف نفهم هذه المعاني التي تليق بالله –عَزَّ وَجَل– عبر الألفاظ التي استخدمت للمخلوقين أيضًا.

**كيف دلالتها على هذا وعلى هذا؟**

السبيل إلى ذلك هو القدر المشترك، وهناك قدرٌ مشترك بين المعاني التي تليق بالله –عَزَّ وَجَل–، وبين المعاني التي تليق بالمخلوقين، هناك قدرٌ مشترك، عن طريق هذا القدر المشترك نصل إلى أصل المعنى، وصلنا إلى أصل المعنى، بعد ذلك نصل إلى ما يختص به الخالق، وإلى ما يختص به المخلوق.

**هذا مثل الباب**: شخص يقول: أنا لا أدخل من هذا الباب لأنه سأقع في التشبيه، إذا ما دخلت من هذا الباب لن تفهم، لن ترى من في المسجد أصلًا، عن طريق القدر المشترك يكون وصولنا إلى أصل المعنى، ثم بعد ذلك ما يليق بالله –عَزَّ وَجَل– هو يختص به، وما يليق بالمخلوقين هم يختصون به، ليس هناك مشاركة في أي وجهٍ من الوجوه فيما يختص به الخالق فيما يختص به المخلوق.

هذا القدر المشترك كان سبب غلطٍ ومسار خطأٍ عند كثيرٍ من الناس، وإشارة ابن أبي العز هنا إشارة عابرة، وهذا موضعٌ اضطرب فيه كثيرٌ من النظار حيث توهموا أن الاتفاق في مسمى هذه الأشياء، مسمى هذه الأشياء: هي القدر المشترك، مسمى هذه الأشياء هو القدر المشترك، توهموا أن الاتفاق في مسمى هذه الأشياء يوجب أن يكون الوجود الذي للرب، كالوجود الذي للعبد، سيبين المؤلف أن المخلوقات لا تشترك في خصائص الوجود لا تشترك، وجودي يختلف عن وجودهم، الشيخ الكريم مثلًا وُلِدَ في تاريخ كذا، وجوده بدأ من ذلك الوقت، وأنا وُلِدت في تاريخ ما أدري متى ينتهي وجوده، وما أدري أنا متى ينتهي وجودي، وجودي يختلف عن وجوده أليس كذلك؟ لو كان وجودي مثل وجوده ولِدنا سويًّا، ما أريد أقول: نموت، مع أننا سنموت سبحان الله!

إذن وجودي لا يشترك فيه فلان، مع أن هناك اشترك في أصل المعنى، أصل الوجود ما يقابل العدم، ونحن نشترك في هذا، أليس كذلك؟ إذن هناك قدرٌ مشترك، بهذا القدر المشترك نصل إلى ما يليق بالله -عَزَّ وَجَل- وبغيره.

**هذه قاعدة خذوها: [كل من أثبت شيئًا من الأسماء والصفات قال بالقدر المشترك سواءً صرح به، أو لم يصرح به].**

ذكرنا سابقًا أن: كل من أثبت شيئًا من الأسماء والصفات فقد تنكر لقاعدتهم في التشبيه؛ لأن قاعدة المتكلمين في التشبيه لا تتخلص منها إلا بالقرمطة الكاملة، لا تقول: هو موجود، ولا تقول: هو غير موجود، هنا تتخلق من قاعدة التشبيه عندهم.

فلذلك ذكرت لكم: أن أبا يعقوب السجستاني لما ألف كتاب [الافتخار] هو يفتخر على غيرهم بهذه التراهات، {بعضكم تورطتم في التشبيه؛ لأنكم قلتم: هو موجود، بعضكم قلتم: غير موجود، كلكم تورطتم في التشبيه، أما نحن} يقول السجستاني: {ما وقعنا في هذا} **لماذا؟** {لأننا قد وصلنا إلى}.

كل ما أثبت شيئًا مما ورد في الكتاب والسنة، فقد تنكر من هذه القاعدة قليلها أو كثيرها، وبالتالي المتكلمون بطوائفهم خرجوا عن القاعدة هذه، الجهمية خرجوا بإثبات الوجود، والمعتزلة خرجوا بإثبات الأسماء، والكلابية أشاعرةً وماتريديةً خرجوا بإثبات الصفات العقلية، لما خرجوا تنكروا لقاعدة التشبيه عندهم، فالماتريدية مثلًا، والأشاعرة مثلًا يقولون للمعتزلة: نحن لسنا مشبهة، نعم، أثبتنا هذه الصفات، ولكنا لسنا مشبهة، وهم يقولون: لا، أنتم مشبهة، وهؤلاء يقولون: لا، لسنا مشبهة، فهم في وضع دفاع دائمًا، ولكن أحسنوا في أنهم خرجوا عن السلسلة الباطلة هذه.

في نفس الوقت قالوا بالقدر المشترك، قالوا: عمليًّا، مع أن أقوالهم ستأتي.

- بعضهم قالوا: بالمشترك المعنوي الذي هو التواطؤ الذي يقول به شيخ الإسلام.
- وبعضهم قالوا: بالمشترك اللفظي، وسيناقشه المؤلف هنا.

سواءً قالوا بهذا، الذين قالوا بالمشترك اللفظي منهم اضطربوا مثل الرازي قال به في قول، والآمدي قال به في قول المشترك اللفظي، في كلامهم في مواضع أخرى قالوا: بالمشترك المعنوي، طبعًا هم قالوا بهذا في قول، وبهذا في قول، فكلامهم فيه اضطراب.

ولكن أكثر المتكلمين أئمة الأشاعرة، وأئمة الماتريدية صرحوا بالقدر المشترك، وأحيانًا أخطأوا في التعبير بالقدر المشترك؛ لأنهم قالوا: {هناك اشتراك بين ما يليق بالخالق، وبين ما يطلق على المخلوق، هناك اشتراك في حقيقة الصفات} طبعًا ليس هناك اشتراك في حقيقة الصفات، الذي يقول بالاشتراك في حقيقة الصفات هذا خطير، مع ذلك، مرادهم أن هناك قدرًا مشتركًا لا بد منه لفهم الخطاب.

**بعد نهاية الدرس سأذكر لماذا أركز على هذه المسألة؟**

لأن هناك من لا يريد أن يفهم لا من أصحابه، ولا من مخالفيه، لا يريد، عنده مسلك يخص به، ولافتة لا أسلم، لا هو فهم مذهب أصحابه، ولا هو فهم مذهب ابن تيمية -رَحِمَهُ الله-، أو مذهب السلف عمومًا.

أنا أقول: ابن تيمية؛ لأن شيخ الإسلام له ذلك الجهد الذي لا يخفى عليكم في توضيح مذهب السلف.

إذن (**فعُلِمَ بِهَذِهِ الْأَدِلَّةِ**) هو ذكر فيما سبق أن الله -عَزَّ وَجَل- أطلق على نفسه أسماءً، وأطلق هذه الأسماء نفسها أطلقها إذن على بعض مخلوقاته، وصف نفسه بصفات، ووصف بعض مخلوقاته بذات الصفات.

**(فعُلِمَ بِهَذِهِ الْأَدِلَّةِ، اتِّفَاقُهُمَا مِنْ وَجْهٍ، وَاخْتِلَافُهُمَا مِنْ وَجْهٍ. فَمَنْ نَفَى مَا اتَّفَقَا فِيهِ كَانَ مُعَطِّلًا قَائِلًا بِالْبَاطِلِ).**

(**اتِّفَاقُهُمَا مِنْ وَجْهٍ، وَاخْتِلَافُهُمَا مِنْ وَجْهٍ**) هذا هو لقدر المشترك، الفقرة هذه كلها تركيزها على القدر المشترك مسمى المطلق الكلي القدر المشترك، مسمى هذه الأشياء هو القدر المشترك.

إذن هناك قدرٌ مشترك في الألفاظ هذه التي تطلق على الله -عَزَّ وَجَل-، وعلى بعض مخلوقاته، وهناك قدرٌ يشترك فيه الخالق، وهذا الذي يشترك فيه الخالق والمخلوق هو المعنى العام القدر المشترك الذي لا يختص بأحدهما.

**ذكرت لكم مثالًا فيما سبق، مثال الرؤية:** الرؤية هي إدراك المبصرات، هذا القدر يطلق على جميع أقسام الرؤية، ولكن بعدها إذا أردت أن تخصص الرؤية التي هي خاصة بالمخلوقين تضيف أشياء تخصص بها الرؤية، مثلًا إدراك المبصرات بواسطة كذا وكذا، وحدقة وكذا وكذا، وبواسطة انعكاس كذا وكذا، وهذه الخصائص التي لا تكون رؤية المخلوقين إلا بها، ثم تضيف شروط أخرى حتى تجعل هذه الرؤية لإنسان، أو كما ذكرت للخفافيش، أو للأمور الأخرى.

إذن (**فَمَنْ نَفَى مَا اتَّفَقَا فِيهِ كَانَ مُعَطِّلًا قَائِلًا لِلْبَاطِلِ**) هذا القدر المشترك هناك من ينفيه، إذا نفى القدر المشترك هذا سيكون معطلًا كما هو حال المعطلة عمومًا، كل من نفى شيئًا من الأسماء والصفات نفاه لأجل هذا.

**قلت لكم: أئمة الأشاعرة، وأئمة الماتريدية يقولون بالقدر المشترك، هذا متى؟**

لما يخالفون المعتزلة، ولما يعطلون يتنكرون لهذا، فلا تستغرب أن تجد عند شخص واحد إثباتًا للقدر المشترك، ونفيًا للقدر المشترك، لا تستغرب، ولكن عمومًا في مواجهتهم للقرامطة وغيرهم، والمعتزلة والجهمية عمومًا هم يقولون بالقدر المشترك، وهذا مذهب جمهورهم.

(**وَمَنْ جَعَلَهُمَا مُتَمَاثِلَيْنِ كَانَ مُشَبِّهًا**) هنا طائفة الطائفة هذه تقول: بما أن هناك قدرًا مشتركًا هذا يدل على أن هذا يشبه هذا، أما ما يزيد عليه ما أفهمه.

**والفئة الأولى ماذا قالت؟**

ما دام أن هذا يؤدي إلى القدر المشترك، والقدر المشترك معناه التشبيه أنفي ما أنفيه.

(**قَائِلًا لِلْبَاطِلِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمَا وَإِنِ اتَّفَقَا فِي مُسَمَّى مَا اتَّفَقَا فِيهِ**) هذا هو القدر المشترك، كل هذه ألفاظ مختلفة تدل على القدر المشترك.

**(وإِنِ اتَّفَقَا فِي مُسَمَّى مَا اتَّفَقَا فِيهِ، فَاللَّهُ تَعَالَى مُخْتَصٌّ بِوُجُودِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَسَائِرِ صِفَاتِهِ، وَالْعَبْدُ لَا يَشْرَكُهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ)** العبد لا يشرك الله -عَزَّ وَجَل-، لا يشاركه، لا يشبهه لا في وجوده، ولا في علمه، ولا في قدرته، القدرة التي تختص بالله -عَزَّ وَجَل-، والوجود الذي يختص بالله -عَزَّ وَجَل-، وعلم الله -عَزَّ وَجَل- لا يَشْرَكه فيه أحدٌ من المخلوقين.

**(وَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ مُشَارَكَةِ الْعَبْدِ فِي خَصَائِصِهِ).**

**نحن ذكرنا في البداية أن التشبيه عند أهل السنة يرجع إلى ماذا؟**

إلى الخصائص.

وعند المعطلة يرجع إلى القدر المشترك، هذه أول جملة قلناها.

أول شيء لا بد أن يرسخ في ذهننا: التشبيه عند أهل السنة يرجع إلى الخصائص، وعند المعطلة يرجع إلى القدر المشترك، وهم يتفاوتون في درجة التعطيل.

**(وَإِذَا اتَّفَقَا فِي مُسَمَّى الْوُجُودِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ مثلًا)** وهذا القدر يقول به حتى الجهمية بالنسبة للعلم والقدرة والوجود، هذ القدر يقول به حتى الجهمية.

**(إِذَا اتَّفَقَا فِي مُسَمَّى الْوُجُودِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، فَهَذَا الْمُشْتَرَكُ مُطْلَقٌ كُلِّيٌّ يُوجَدُ فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْأَعْيَانِ، وَالْمَوْجُودُ فِي الْأَعْيَانِ مُخْتَصٌّ لَا اشْتِرَاكَ فِيهِ)** الموجود الخارجي صفاته خاصة به سواءً كان خالقًا أو مخلوقًا، الموجود الخارجي، أما القدر المشترك، المعنى العام مسمى هذه الصفات، مسمى هذه الأسماء هذا القدر يشترك فيه الجميع.

**(وَإِذَا اتَّفَقَا فِي مُسَمَّى الْوُجُودِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، فَهَذَا الْمُشْتَرَكُ مُطْلَقٌ كُلِّيٌّ يُوجَدُ فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْأَعْيَانِ، وَالْمَوْجُودُ فِي الْأَعْيَانِ مُخْتَصٌّ لَا اشْتِرَاكَ فِيهِ).**

**هنا يأتي سؤال، وهذا السؤال أثاره شيخ الإسلام في [التدمرية] وأجاب عنه:** أنت الآن تقول: أن هناك قدرًا مشتركًا بين الخالق والمخلوق، أليس كذلك؟ ألا يستلزم للتشبيه في أقل الأحوال في ذلك القدر المشترك، مساحة القدر المشترك مثلًا مساحة معينة، أنت بإثباتك

لذلك القدر المشترك ألا تكون قد وقعت في التشبيه؟ سؤال وجيه أليس كذلك؟ هذا السؤال ذكره شيخ الإسلام في [التدمرية] وأجاب عنه.

قال: {هذه المساحة إذا لم يكن فيها نفي ما يختص به الله -عَزَّ وَجَل-، أو إثبات ما لا يليق به، فلا إشكال فيه} نحن نتحدث عن الخصائص.

**مثلًا:** سمع الله -عَزَّ وَجَل- **وهو السمع ماذا قلنا؟** إدراك المسموعات، وهذا يشترك فيه جميع من يتصف بهذه الصفات.

**هل في إثبات إدراك المسموعات لله -عَزَّ وَجَل- فيه إشكال؟ هل هذا ينال خصوصياته وما يتميز به؟**

لا أبدًا.

**هل فيه ما يشير إلى خصائص المخلوقين حتى يكون مخلًّا في التوحيد؟**

أبدًا، ليس فيه إشارة لا إلى خصائص المخلوقين، ولا إلى خصائص الخالق، يعني هذه المساحة هذه التي يشنع ويشغب هذا المبتدع أو ذاك المبتدع هذا ليس خاصًّا لا بالخالق، ولا بالمخلوق.

**متى يكون مخلًّا في التوحيد؟**

إذا أثبت له ما لا يليق به، أو نفيت عنه ما يجب له.

يقول ابن أبي العز: (**وَهَذَا مَوْضِعٌ اضْطَرَبَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النُّظَّارِ، حَيْثُ تَوَهَّمُوا أَنَّ الِاتِّفَاقَ فِي مُسَمَّى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ الْوُجُودُ الَّذِي لِلرَّبِّ كَالْوُجُودِ الَّذِي لِلْعَبْدِ**)؛ أي ولذلك وقعوا في التعطيل؛ لأجل هذا توهموا، قالوا: بما أن هذا القدر المشترك يوقعنا في لتشبيه؛ لأنه يستلزم الوجود الذي للمخلوق هو وجود الخالق والعكس، بسبب هذا وقعوا في التشبيه.

ذكر شيخ الإسلام في [التدمرية] في القاعدة الرابعة أظن أو الثالثة نسيت: {أن الذين فهموا مما أضيف إلى الله -عَزَّ وَجَل-، ومما نُسِبَ إلى الله -عَزَّ وَجَل- فهموا منه ما يليق بالمخلوقين، وأخطأوا في الظاهر وقعوا في أربعة أمور، وقعوا في أربعة محاذير: تشبيهان وتعطيلان، هذا كله بسبب أيش؟ لأنه لم يفهم مما أضيف إلى الله -عَزَّ وَجَل- لمَّ يفهم منه إلا ما يليق بالمخلوق}.

**لماذا فهم هذا؟**

لأن هذا القدر المشترك عنده لا يكون إلا للمخلوق، إدراك المسموعات هذا للمخلوق، إدراك المرئيات هذا للمخلوق، الانكشاف عن المعلومات هذا للمخلوق، وبالتالي وأراد أن ينزه الله -عَزَّ وَجَل- عما توهمه فوقع في تشبيهين وتعطيلين.

(**وَطَائِفَةٌ ظَنَّتْ**) هذه الطائفة الأولى (**تَوَهَّمُوا أَنَّ الِاتِّفَاقَ فِي مُسَمَّى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ الْوُجُودُ الَّذِي لِلرَّبِّ كَالْوُجُودِ الَّذِي لِلْعَبْدِ**).

**وبالتالي ماذا فعلوا؟**

وبالتالي نفوا الوجود، قالوا: ما نثبت الوجود، وهؤلاء هم القرامطة.

(**وَطَائِفَةٌ ظَنَّتْ أَنَّ لَفْظَ الْوُجُودِ يُقَالُ بِالِاشْتِرَاكِ اللَّفْظِيِّ، وَكَابَرُوا عُقُولَهُمْ**).

طبعًا الألفاظ عمومًا الألفاظ تنقسم إلى قسمين أحيانًا تختلف وأحيانًا تتحد بالنظر إلى المعاني.

**الألفاظ عند اختلافها في اللفظ نوعان:**

- النوع الأول: المترادف.
- والنوع الثاني: المتباين.

إذا اختلفت الألفاظ، فقد تكون مترادفة ألفاظ كثيرة، اختلفت الألفاظ، ولكن المعنى واحد، وقد يكون متباينة ألفاظ كثيرة ومعاني كثيرة. هذا القسم الأول اختلفت الألفاظ واتفقت المعاني، هذه أيش؟ مترادفة، اختلفت الألفاظ واختلفت المعاني هذه أيش؟ متباينة.

**ولما تتفق عند اتفاقها في الألفاظ فلها ثلاثة أنواع:**

- النوع الأول: المشترك اللفظي.
- النوع الثاني: المتواطئ.
- النوع الثالث: المشكك.

**المشترك اللفظي**: لفظٌ واحد يطلق على أشياء كثيرة مختلفة بالحد والحقيقة كما يقولون، وإطلاقها عليها كلها متساوية، مثل العين تطلق على الباصرة، وتطلق على الذهب، وتطلق على العين الجارية، وتطلق على الجاسوس، وتطلق أيضًا على الماء الجارية.

وأيضًا كما ذكر المؤلف هنا المشتري يطلق على المبتاع الذي يشتري، ويطلق أيضًا على الكوكب، وكذلك سهيل يطلق على نجم، نجم سهيل، وكذلك يطلق على الشخص سهيل.

فالمشترِك اللفظي بكسر الراء، **المشترَط اللفظي**: اللفظ واحد والمعاني متباينة، هذا يقابل المترادف، أليس كذلك؟ لو تذكرتهم المترادف، ألفاظ كثيرة والمعنى واحد مترادف، اللفظ واحد معاني كثيرة هذا أيش؟ مشترِك، المشترِك اللفظي.

**القسم الثاني: المتواطئ**: الألفاظ المتواطئة هي الألفاظ الكلية التي يكون صدقها وحصول معانيها على أفرادها الخارجية أو الذهنية على السوية، مثل الإنسان، الإنسان إطلاق الإنسانية على زيد وعمرو، وعليك، وعليك متساوية، كلهم مشتركون في الإنسانية، لا تفاوت فيها.

المشكك نفس الشيء ولكن بتفاوت، إطلاقها على بعضها يكون أولى وأشد من بعضها، **مثل** البياض، بياض الثلج، أشد بياضًا، بياض الرجل أقل من هذا، وهكذا.

**فهذا الاختلاف هنا هل النسبة بين الخالق والمخلوق، أو في إطلاق هذه المعاني على الخالق والمخلوق نسبة ما يكون من قبيل الاشتراك اللفظي، أو من قبيل التواطؤ، أو من قبيل المشكك؟**

ما يتعلق بالقسمين الأخيرين الأمر فيه متقارب كما ذكر شيخ الإسلام في [التدمرية]، مع أنه يرجح أنه من قبيل المتواطئ.

وإذا قلنا: أنه من قبيل المتواطئ: وقد ذكرنا أن إطلاقها على السوية، فلا يُشكِل عليك؛ لأننا نتحدث عن القدر المشترك، فالقدر المشترك إطلاقه على السوية، أما ما يختص به هذا دون هذا، فهذا يختلف.

وإذا قلنا بالمشكك: فالأمر أوضح؛ لأن في المشكك الإطلاق لا يكون على السوية.

أكثر المتكلمين، حتى المتكلمين وكما يقولون: النظار والأصوليين على أن إطلاق هذه الألفاظ على الخالق والمخلوق من قبيل المتواطئ.

وهناك نصوص كثيرة ذكرها هذا الشيخ ماهر أمير –جزاه الله خيرًا– في هذا الكتاب [الانتصار للتدمرية] ذكر نصوصًا كثيرة للمتكلمين الذين قالوا بهذا، قالوا بالقدر المشترك، وألفاظهم كثيرة ومتفاوتة. المهم، هم يقولون بهذا، وبعضهم قالوا: بالمشكك، والأمر فيه قريب.

**ولكن الذي يقول بالاشتراك اللفظي قوله أضعف الأقوال، لماذا؟**

يقول هنا: (**وَطَائِفَةٌ ظَنَّتْ أَنَّ لَفْظَ الْوُجُودِ يُقَالُ بِالِاشْتِرَاكِ اللَّفْظِيِّ، وَكَابَرُوا عُقُولَهُمْ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ عَامَّةٌ قَابِلَةٌ لِلتَّقْسِيمِ، كَمَا يُقَالُ: الْمَوْجُودُ يَنْقَسِمُ إِلَى وَاجِبٍ وَمُمْكِنٍ، وَقَدِيمٍ وَحَادِثٍ**) أليس كذلك؟

**الموجود ينقسم إلى قسمين:**

- وجود الواجب.
- ووجود الممكن.

إذن صحة هذا التقسيم يدل على أنه ليس من قبيل المشترك اللفظي؛ لأن المشترك اللفظي ليس فيه اشتراك في المعاني، نحن قلنا: هي معاني متباينة ولكن اللفظ واحد، هذه المعاني المتباينة لا يجمعها جامع، يجمعها اللفظ، أما المعاني فهي متباينة.

التواطؤ يطلق عليه أيضًا المشترك المعنوي، أو المشترِك، أنا تعودت على هذا، مع أنه المشترَك بكسر الراء.

على كل حال، المشترَك اللفظي لا تستطيع أن تقول: عين ينقسم إلى كذا، وينقسم إلى كذا، لا، لا، كل معنًى فيه مستقل.

أما المشترك المعنوي اللفظ الموجود مثلًا قسمان: وجود الواجب، ووجود الممكن، هذه القسمة تدل على أنه من المشترك من التواطؤ من المشترك المعنوي، وليس من المشترك اللفظي.

إذا كان إطلاقه من قبيل الاشتراك اللفظي، فلا يصح اشتمال هذه الأقسام، هذه الأفراد لا يصح اجتماع هذه الأفراد في مورد التقسيم.

**بعبارة أخرى**: المشترك اللفظي ليس له مورد للتقسيم أبدًا، المشترك المعنوي أو المتواطئ أفرادها تجتمع في شيء، إذن هناك شيء مورد التقسيم، وتحته الأفراد، ما دام الوجود ينقسم إلى قسمين كيف تقول أنه من المشترك لفظًا؟!

**والشبهة عندهم أيش؟**

**الشبهة عندهم**: أن الوجود، وجود المخلوق لا يشبه وجود الخالق، أنا معك في هذا؛ لأن وجود المخلوق ليس بيده، لا يدري عن بدايته، ولا عن نهايته، فكأنه ليس وجودًا أصلًا، أنا معك في هذا، ولكنه مع ذلك وجود، أليس كذلك؟ هو وجود، الموجود هذا هو عندك موجود ولَّا معدوم؟، ستقول: موجود، إذن هو له من اسم الوجود شيء.

**(وَكَابَرُوا عُقُولَهُمْ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ عَامَّةٌ قَابِلَةٌ لِلتَّقْسِيمِ)** إذن كونها للتقسيم يدل على أنها تشترك في شيء، وهذا الذي تشترك فيه هو القدر المشترك.

**(كَمَا يُقَالُ: الْمَوْجُودُ يَنْقَسِمُ إِلَى وَاجِبٍ وَمُمْكِنٍ، وَقَدِيمٍ وَحَادِثٍ، وَمَوْرِدُ التَّقْسِيمِ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْأَقْسَامِ، وَاللَّفْظُ الْمُشْتَرَكُ كَلَفْظِ الْمُشْتَرِي الْوَاقِعِ عَلَى الْمُبْتَاعِ وَالْكَوْكَبِ، لَا يَنْقَسِمُ مَعْنَاهُ)**؛ لأن اللفظ المشترك بالنسبة للمعاني متباينة كما قلنا.

**(وَلَكِنْ يُقَالُ: لَفْظُ "الْمُشْتَرِي" يُقَالُ عَلَى كَذَا وَكَذَا)** يطلق على كذا وكذا بالسوية.

**(وَأَمْثَالِ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ الَّتِي قَدْ بُسِطَ الْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي مَوْضِعِهِ، وَأَصْلُ الْخَطَأِ وَالْغَلَطِ: تَوَهُّمُهُمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ الْعَامَّةَ الْكُلِّيَّةَ يَكُونُ مُسَمَّاهَا الْمُطْلَقُ الْكُلِّيُّ)** وهو القدر المشترك –ما تنسى– **(مُسَمَّاهَا الْمُطْلَقُ الْكُلِّيُّ)** وهو القدر المشترك **(هُوَ بِعَيْنِهِ ثَابِتًا فِي هَذَا الْمُعَيَّنِ وَهَذَا الْمُعَيَّنِ)** هو حينئذٍ تكون أفراده متماثلين في مفهومه، مشتركة في مفهومه، ومتماثلة في مفهومه، هكذا يظن هو.

يقول: القدر المشترك هو بعينه ثابت في هذا المعين، وهذا المعين، وليس كذلك، نحن قلنا: هناك قدر مشترك يجتمع فيه أفراده، ولكن ما يخص هذا وهذا يختلف.

**(وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّ مَا يُوجَدُ فِي الْخَارِجِ لَا يُوجَدُ مُطْلَقًا كُلِّيًّا)** **مثل**: الإنسان، الإنسان هل وجدته يمشي؟ الإنسان يوجد في أفراده، أليس كذلك؟ ولكن الإنسان المطلق الكلي هذا المعنى تجده يمشي؟

لا، إذا طلبت أحدًا أن يريك إنسان سيشير إلى فردٍ من أفراده، هذا هو الإنسان، وهذا هو الإنسان، وهذا، ولكن إذا طالبتك أن تريني الإنسان، هذا مطلق كلي، ووجوده في الذهن وليس فيه، وهناك فرق بين الوجود في الذهن، والوجود في العين.

**(لَا يُوجَدُ مُطْلَقًا كُلِيًّا، لَا يُوجَدُ إِلَّا مُعَيَّنًا مُخْتَصًّا، وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ إِذَا سُمِّيَ اللَّهُ بِهَا كَانَ مُسَمَّاهَا مُعَيَّنًا مُخْتَصًّا بِهِ، فَإِذَا سُمِّيَ بِهَا الْعَبْدُ كَانَ مُسَمَّاهَا).**

**أيش مسماها؟**

القدر المشترك.

**(مُخْتَصًّا بِهِ، فَوُجُودُ اللَّهِ وَحَيَاتُهُ لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ)** وكذلك وجود المخلوق خاصٌّ به لا يشاركه الله -عَزَّ وَجَل- في وجوده؛ لأن وجوده، وجميع الصفات صفاته المخلوق، حتى التي هي صفات الكمال له منها ما يكون أنقص، فكمالاته كلها ناقصة.

**(بَلْ وُجُودُ هَذَا الْمَوْجُودِ الْمُعَيَّنِ لَا يَشْرَكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ)** أشِر إلى أي موجود، بل وجود هذا الموجود يشير إلى أي موجود، أي موجود وجوده لا يشركه فيه غيره، لا في بدايته، ولا في نهايته، ولا في أثنائه.

**(فَكَيْفَ بِوُجُودِ الْخَالِقِ؟ أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: هَذَا هُوَ ذَاكَ، فَالْمُشَارُ إِلَيْهِ وَاحِدٌ، ولَكِنْ بِوَجْهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ. وَبِهَذَا وَمِثْلِهِ يَتَبَيَّنُ لَكَ أَنَّ الْمُشَبِّهَةَ أَخَذُوا هَذَا الْمَعْنَى).**

**ما هو المعنى؟**

القدر المشترك.

**(وَزَادُوا فِيهِ عَلَى الْحَقِّ وضَلُّوا)** القدر المشترك أخذوه، ثم قالوا: ليس هناك شيءٌ وراءه.

**(وَأَنَّ الْمُعَطِّلَةَ أَخَذُوا نَفْيَ الْمُمَاثَلَةِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَزَادُوا فِيهِ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى ضَلُّوا)** أخذوا نفي المماثلة، قالوا: القدر المشترك هذا يستلزم الوقوع في التشبيه؛ فلذلك نفوه أيضًا.

**(وَزَادُوا فِيهِ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى ضَلُّوا، وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ دَلَّ عَلَى الْحَقِّ الْمَحْضِ الَّذِي تَعْقِلُهُ الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ الصَّحِيحَةُ، وَهُوَ الْحَقُّ الْمُعْتَدِلُ الَّذِي لَا انْحِرَافَ فِيهِ، فَالنُّفَاةُ أَحْسَنُوا فِي تَنْزِيهِ الْخَالِقِ**

**سُبْحَانَهُ)** طبعًا هذا في أحسن الأحوال؛ لأن بعض النفاة زنادقة لا يقال فيهم: أنهم أحسن، ولكن من كان قصده جيدًا، وقد تورط في هذه البدع وهو ما يدري نيته حسنة، وإنما تورط بها في هذه البدع لأجل أصحاب الشبهات ورطوه.

(**فَالنُّفَاةُ أَحْسَنُوا فِي تَنْزِيهِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ عَنِ التَّشْبِيهِ**)؛ لأن هذا الذي ينفي إذا قيل له: ترى أن العلو علو الله -عَزَّ وَجَل- هذا يستلزم أن يكون مثل خلقه؟ تجده (٥١:٤٣) عن إثباته؛ لأنه ما يريد أن يشبه الله -عَزَّ وَجَل- (**بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَكِنْ أَسَاؤُوا فِي نَفْيِ الْمَعَانِي الثَّابِتَةِ لِلَّهِ تَعَالَى فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَالْمُشَبِّهَةُ أَحْسَنُوا**) نفس الشيء، أحسنوا هذا إذا كانوا، ولكن بعض المشبهة مشبهة أكثرهم يهود وروافض في البداية.

(**وَالْمُشَبِّهَةُ أَحْسَنُوا فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ، وَلَكِنْ أَسَاؤُوا بِزِيَادَةِ التَّشْبِيهِ**)

نكمل إن شاء الله بعد الصلاة.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحد الحضور: (٥٢:٣٥).

الشيخ: المتكلمون.

أحد الحضور: غير مسموع.

الشيخ: يطلق على هؤلاء وعلى هؤلاء، يطلق في الأصول، وفي علم الكلام.

أحد الحضور: غير مسموع.

الشيخ: التواطؤ أنت في التواطؤ تحتاج إلى توضيح، المشكك ما تحتاج.

* * * * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُخَاطَبَ لَا يَفْهَمُ الْمَعَانِيَ الْمُعَبَّرَ عَنْهَا بِاللَّفْظِ إِلَّا أَنْ يَعْرِفَ عَيْنَهَا أَوْ مَا يُنَاسِبُ عَيْنَهَا، وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ وَمُشَابَهَةٌ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى، وَإِلَّا فَلَا يُمْكِنُ تَفْهِيمُ الْمُخَاطَبِينَ بِدُونِ هَذَا قَطُّ، حَتَّى فِي أَوَّلِ تَعْلِيمِ مَعَانِي الْكَلَامِ بِتَعْلِيمِ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ، مِثْلَ تَرْبِيَةِ الصَّبِيِّ الَّذِي يَعْلَمُ الْبَيَانَ وَاللُّغَةَ، يَنْطِقُ لَهُ بِاللَّفْظِ الْمُفْرَدِ وَيُشَارُ لَهُ إِلَى مَعْنَاهُ إِنْ كَانَ مَشْهُودًا بِالْإِحْسَاسِ الظَّاهِرِ أَوِ الْبَاطِنِ، فَيُقَالُ لَهُ: لَبَنٌ، خُبْزٌ، أُمٌّ، أَبٌ، سَمَاءٌ، أَرْضٌ، شَمْسٌ، قَمَرٌ، مَاءٌ، وَيُشَارُ لَهُ مَعَ الْعِبَارَةِ إِلَى كُلِّ مُسَمًّى مِنْ هَذِهِ الْمُسَمَّيَاتِ، وَإِلَّا لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَى اللَّفْظِ وَمُرَادَ النَّاطِقِ بِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ يَسْتَغْنِي عَنِ التَّعْلِيمِ السَّمْعِيِّ، كَيْفَ وَآدَمُ أَبُو الْبَشَرِ أَوَّلُ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أُصُولَ الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ وَهِيَ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا، وَكَلَّمَهُ وَعَلَّمَهُ بِخِطَابِ الْوَحْيِ مَا لَمْ يَعْلَمْهُ بِمُجَرَّدِ الْعَقْلِ.

فَدَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى هِيَ بِوَاسِطَةِ دَلَالَتِهِ عَلَى مَا عَنَاهُ الْمُتَكَلِّمُ وَأَرَادَهُ، وَإِرَادَتُهُ وَعِنَايَتُهُ فِي قَلْبِهِ، فَلَا يُعْرَفُ بِاللَّفْظِ ابْتِدَاءً، وَلَكِنْ يُعْرَفُ الْمَعْنَى بِغَيْرِ اللَّفْظِ حَتَّى يَعْلَمَ أَوَّلًا أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى الْمُرَادَ هُوَ الَّذِي يُرَادُ بِذَلِكَ اللَّفْظِ وَيُعْنَى بِهِ، فَإِذَا عَرَفَ ذَلِكَ ثُمَّ سَمِعَ اللَّفْظَ مَرَّةً ثَانِيَةً، عَرَفَ الْمَعْنَى الْمُرَادَ بِلَا إِشَارَةٍ إِلَيْهِ.

وَإِنْ كَانَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى مَا يُحَسُّ بِالْبَاطِنِ، مِثْلِ الْجُوعِ، وَالشِّبَعِ، وَالرِّيِّ، وَالْعَطَشِ، وَالْحُزْنِ، وَالْفَرَحِ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ اسْمَ ذَلِكَ حَتَّى يَجِدَهُ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِذَا وَجَدَهُ أُشِيرَ لَهُ إِلَيْهِ، وَعُرِّفَ أَنَّ اسْمَهُ كَذَا.

وَالْإِشَارَةُ تَارَةً تَكُونُ إِلَى جُوعِ نَفْسِهِ، أَوْ عَطَشِ نَفْسِهِ، مِثْلَ أَنْ يَرَاهُ أَنَّهُ قَدْ جَاعَ فَيَقُولُ لَهُ: جُعْتَ، أَنْتَ جَائِعٌ، فَيَسْمَعُ اللَّفْظَ وَيَعْلَمُ مَا عَيَّنَهُ بِالْإِشَارَةِ أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَاهَا مِنَ الْقَرَائِنِ الَّتِي تُعَيِّنُ الْمُرَادَ، مِثْلَ نَظَرِ أُمِّهِ إِلَيْهِ فِي حَالِ جُوعِهِ وَإِدْرَاكِهِ بِنَظَرِهَا أَوْ نَحْوِهِ أَنَّهَا تَعْنِي جُوعَهُ، أَوْ يَسْمَعُهُمْ يُعَبِّرُونَ بِذَلِكَ عَنْ جُوعِ غَيْرِهِ.

إِذَا عُرِفَ ذَلِكَ فَالْمُخَاطَبُ الْمُتَكَلِّمُ إِذَا أَرَادَ بَيَانَ مَعَانٍ، فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّا أَدْرَكَهَا الْمُخَاطَبُ الْمُسْتَمِعُ بِإِحْسَاسِهِ وَشُهُودِهِ، أَوْ بِمَعْقُولِهِ، وَإِمَّا لَا يَكُونَ كَذَلِكَ، فَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْقِسْمَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَّا إِلَى مَعْرِفَةِ اللُّغَةِ، بِأَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَفَ مَعَانِيَ الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ وَمَعْنَى التَّرْكِيبِ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩)﴾[البلد:٨-٩]، أَوْ قِيلَ لَهُ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل:٧٨] وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَهِمَ الْمُخَاطَبُ بِمَا أَدْرَكَهُ بِحِسِّهِ.

وَإِنْ كَانَتِ الْمَعَانِي الَّتِي يُرَادُ تَعْرِيفُهُ بِهَا لَيْسَتْ مِمَّا أَحَسَّهُ وَشَهِدَهُ بِعَيْنِهِ، وَلَا بِحَيْثُ صَارَ لَهُ مَعْقُولٌ كُلِّيٌّ يَتَنَاوَلُهَا حَتَّى يَفْهَمَ بِهِ الْمُرَادَ بِتِلْكَ الْأَلْفَاظِ، بَلْ هِيَ مِمَّا لَمْ يُدْرِكْهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَوَاسِّهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، فَلَا بُدَّ فِي تَعْرِيفِهِ مِنْ طَرِيقِ الْقِيَاسِ وَالتَّمْثِيلِ وَالِاعْتِبَارِ بِمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْقُولَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي شَاهَدَهَا مِنَ التَّشَابُهِ وَالتَّنَاسُبِ، وَكُلَّمَا كَانَ التَّمْثِيلُ أَقْوَى، كَانَ الْبَيَانُ أَحْسَنَ، وَالْفَهْمُ أَكْمَلَ.

فَالرَّسُولُ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- لَمَّا بَيَّنَ لَنَا أُمُورًا لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ فِي لُغَتِهِمْ لَفْظٌ يَدُلُّ عَلَيْهَا بِعَيْنِهَا، أَتَى بِأَلْفَاظٍ تُنَاسِبُ مَعَانِيَهَا تِلْكَ الْمَعَانِي، وَجَعَلَهَا أَسْمَاءً لَهَا، فَيَكُونُ بَيْنَهَا قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ، كَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْكُفْرِ.

وَكَذَلِكَ لَمَّا أَخْبَرَنَا بِأُمُورٍ تَتَعَلَّقُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهَا قَبْلَ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ أَلْفَاظٌ تَدُلُّ عَلَيْهَا بِعَيْنِهَا، أَخَذَ مِنَ اللُّغَةِ الْأَلْفَاظَ الْمُنَاسِبَةَ لِتِلْكَ بِمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَانِي الْغَيْبِيَّةِ، وَالْمَعَانِي الشُّهُودِيَّةِ الَّتِي كَانُوا يَعْرِفُونَهَا، وَقَرَنَ بِذَلِكَ مِنَ الْإِشَارَةِ وَنَحْوِهَا مَا يُعْلَمُ بِهِ حَقِيقَةُ الْمُرَادِ، كَتَعْلِيمِ الصَّبِيِّ، كَمَا قَالَ رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ: {النَّاسُ فِي حُجُورِ عُلَمَائِهِمْ كَالصِّبْيَانِ فِي حُجُورِ آبَائِهِمْ}.

وَأَمَّا مَا يُخْبِرُ بِهِ الرَّسُولُ مِنَ الْأُمُورِ الْغَائِبَةِ، فَقَدْ يَكُونُ مِمَّا أَدْرَكُوا نَظِيرَهُ بِحِسِّهِمْ وَعَقْلِهِمْ، كَإِخْبَارِهِمْ بِأَنَّ الرِّيحَ قَدْ أَهْلَكَتْ عَادًا، فَإِنَّ عَادًا مِنْ جِنْسِهِمْ وَالرِّيحَ مِنْ جِنْسِ رِيحِهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ أَشَدَّ، وَكَذَلِكَ غَرَقُ فِرْعَوْنَ فِي الْبَحْرِ، وَكَذَا بَقِيَّةُ الْأَخْبَارِ عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْإِخْبَارُ بِذَلِكَ فِيهِ عِبْرَةٌ لَنَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[يوسف:١١١].

وَقَدْ يَكُونُ الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ الرَّسُولُ مَا لَمْ يُدْرِكُوا مِثْلَهُ الْمُوَافِقَ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، لَكِنَّ فِي مُفْرَدَاتِهِ مَا يُشْبِهُ مُفْرَدَاتِهِمْ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ، كَمَا إِذَا أَخْبَرَهُمْ عَنِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْلَمُوا مَعْنًى مُشْتَرَكًا وَشَبَهًا بَيْنَ مُفْرَدَاتِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ وَبَيْنَ مُفْرَدَاتِ مَا عَلِمُوهُ فِي الدُّنْيَا بِحِسِّهِمْ وَعَقْلِهِمْ.

فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الَّذِي فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْهَدُوهُ بَعْدُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَهُمْ يَشْهَدُونَهُ مُشَاهَدَةً كَامِلَةً لِيَفْهَمُوا بِهِ الْقَدْرَ الْمُشْتَرَكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْنَى الْغَائِبِ، أَشْهَدَهُمْ إِيَّاهُ، وَأَشَارَ لَهُمْ إِلَيْهِ، وَفَعَلَ فعلًا يَكُونُ حِكَايَةً لَهُ وَشَبَهًا بِهِ، يَعْلَمُ الْمُسْتَمِعُونَ أَنَّ مَعْرِفَتَهُمْ بِالْحَقَائِقِ الْمَشْهُودَةِ هِيَ الطَّرِيقُ الَّتِي يَعْرِفُونَ بِهَا الْأُمُورَ الْغَائِبَةَ.

فَيَنْبَغِي أَنْ تُعْرَفَ هَذِهِ الدَّرَجَاتُ: أَوَّلُهَا: إِدْرَاكُ الْإِنْسَانِ الْمَعَانِيَ الْحِسِّيَّةَ الْمُشَاهَدَةَ، وَثَانِيهَا: عَقْلُهُ لِمَعَانِيهَا الْكُلِّيَّةِ، وَثَالِثُهَا: تَعْرِيفُ الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى تِلْكَ الْمَعَانِي الْحِسِّيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ، فَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ الثَّلَاثُ لَا بُدَّ مِنْهَا فِي كُلِّ خِطَابٍ، فَإِذَا أَخْبَرَنَا عَنِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَةِ فَلَا بُدَّ مِنْ تَعْرِيفِنَا الْمَعَانِيَ الْمُشْتَرَكَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحَقَائِقِ الْمَشْهُودَةِ وَالِاشْتِبَاهَ الَّذِي بَيْنَهُمَا، وَذَلِكَ بِتَعْرِيفِنَا الْأُمُورَ الْمَشْهُودَةَ، ثُمَّ إِنْ كَانَتْ مِثْلَهَا لَمْ يَحْتَجْ إِلَى ذِكْرِ الْفَارِقِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَصَصِ الْأُمَمِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهَا، بَيَّنَ ذَلِكَ بِذِكْرِ الْفَارِقِ، بِأَنْ يُقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ مِثْلَ هَذَا، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَإِذَا تَقَدَّرَ انْتِفَاءُ الْمُمَاثَلَةِ كَانَتِ الْإِضَافَةُ وَحْدَهَا كَافِيَةً فِي بَيَانِ الْفَارِقِ، وَانْتِفَاءُ التَّسَاوِي لَا يَمْنَعُ مِنْهُ وُجُودُ الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ الَّذِي هُوَ مَدْلُولُ اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ، وَبِهِ صِرْنَا نَفْهَمُ الْأُمُورَ الْغَائِبَةَ وَلَوْلَا الْمَعْنَى الْمُشْتَرَكُ مَا أَمْكَنَ ذَلِكَ قَطُّ.

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم.

نحمده، ونصلي على رسوله الكريم.

**أما بعد:-**

**في موضوع القدر المشترك، وكيف أنه هو السبيل إلى فهم المعاني التي تليق بالله –عَزَّ وَجَل– ، أو تليق بالمخلوقين، في هذا الموضوع ذكر المؤلف فائدة أخرى وهي:**

كيفية تعلمنا للألفاظ، وكيف دلالة الألفاظ على ما نريده نحن.

الألفاظ هي أدوات لتوصيل ما تريده، ما تريده قد تصل إليه عن طريق الإشارة تقول مثلًا تشير، أنا أريد أشرب تشير، هذه وسيلة، وقد تكتب مثل الكتابة هذه، ومثل الكتابة هذه، وهذه وسيلة، ولكن الوسيلة هذه أيضًا تستخدم فيها الألفاظ، فالألفاظ هي أوسع الوسائل لتوصيل ما تريده إلى غيرك الألفاظ.

**ولكن كيف تتعلم الألفاظ؟ صلة الألفاظ بالمعاني، وأيهما أسبق؟**

هذا الذي يبينه ابن أبي العز هنا، يقول: (**وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُخَاطَبَ لَا يَفْهَمُ الْمَعَانِيَ الْمُعَبَّرَ عَنْهَا بِاللَّفْظِ إِلَّا أَنْ يَعْرِفَ عَيْنَهَا أَوْ مَا يُنَاسِبُ عَيْنَهَا**).

**مثلًا**: هذا عرفت أن هذه الزجاجة فيها ماء، وأنا أريد أن يكون هناك لفظٌ يدل عليه بخصوصه، أول شيء عرفته، عرفت العين، ثم يكون هناك لفظٌ خاصٌّ بهذا، ويكون بينهما بين اللفظ الذي يدل عليه، وبين المعنى هذا هو المعنى قدرٌ مشترك، ومشابهة في أصل المعنى، هناك قدر مشترك بين اللفظ الذي يدل عليه وبين المعاني.

(**وَإِلَّا فَلَا يُمْكِنُ تَفْهِيمُ الْمُخَاطَبِينَ بِدُونِ هَذَا قَطُّ**) إذن هناك شيئان لفظ ومعنى، معنى تريد أن تصل إليه، وتصل إليه عن طريق ماذا؟ اللفظ.

(**حَتَّى فِي أَوَّلِ تَعْلِيمِ مَعَانِي الْكَلَامِ بِتَعْلِيمِ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ، مِثْلَ تَرْبِيَةِ الصَّبِيِّ الَّذِي يُعَلَّمُ الْبَيَانَ وَاللُّغَةَ، يُنْطِقُ لَهُ بِاللَّفْظِ الْمُفْرَدِ**) وكذلك لما تريد أن تعلم من ليس من أهل هذه اللغة، شخص مثلًا جاء إلى هنا يسمع ما يسمع، ويسمع حتى القرآن وما يفهم منه شيء، فيكون تعليمه مثلما يكون التعليم هنا بالنسبة للولد أنت تريد أن تتعلم لغة أخرى فشأنك مثل شأن غيرك (**يُنْطِقُ لَهُ بِاللَّفْظِ الْمُفْرَدِ**) مثلًا ماء (**وَيُشَارُ لَهُ إِلَى مَعْنَاهُ**) هذا اللفظ أُريد به هذا.

**طبعًا الإشارة هنا المشار إليه قسمان:**

- (**إِنْ كَانَ مَشْهُودًا بِالْإِحْسَاسِ الظَّاهِرِ أَوِ الْبَاطِنِ**).

- القسم الثاني هناك في الصفحة المقابلة، السطر الخامس: (**وَإِنْ كَانَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى مَا يُحَسُّ بِالْبَاطِنِ**).

**أولًا**: الإشارة إلى ما يحس بالإحساس الظاهري.

**ثانيًا**: الإشارة إلى ما يحس بالباطن.

يشار له إلى معناه (**إِنْ كَانَ مَشْهُودًا بِالْإِحْسَاسِ الظَّاهِرِ**) طبعًا الباطن سيذكره هناك، (**فَيُقَالُ لَهُ: لَبَنٌ، خُبْزٌ، أُمٌّ، أَبٌ**) هذه ألفاظ.

(**وَيُشَارُ لَهُ مَعَ الْعِبَارَةِ إِلَى كُلِّ مُسَمًّى مِنْ هَذِهِ الْمُسَمَّيَاتِ**) نظارة، كتاب، لفظ والمراد بهذا اللفظ، وبهذا يستطيع أن يربط بين الألفاظ، وبين ما يراد بها، وإلا قد تكون هذه الألفاظ في لغته هذا اللفظ قد يراد به معنى آخر.

(**وَإِلَّا لَمْ يَفْهَمْ مَعْنَى اللَّفْظِ وَمُرَادَ النَّاطِقِ بِهِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ يَسْتَغْنِي عَنِ التَّعْلِيمِ السَّمْعِيِّ**) عمومًا لا أحد يستغني عن التعليم السمعي، إذن اللغة محتاجة إلى التعليم السمعي، مثلما قلنا: مثل الصبي، وكذلك الذي يتعلم اللغة.

أصحاب علم الاجتماع يقولون: {أنه لو عاش طفلٌ بين بعض الحيوانات وعيشه أنه يرضع منها، ويعيش بينها، فلا تتكون لديه لغة أبدًا، ما الذي سمعه حتى يعلمه}.

**اللغة متى تتكون؟**

لما يكون هناك سماع وتعليم، سمع هذا اللفظ، وأشير إلى ما يراد بهذا اللفظ، وبالتالي علم المقصود.

(**كَيْفَ وَآدَمُ أَبُو الْبَشَرِ أَوَّلُ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أُصُولَ الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ وَهِيَ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا**) طبعًا هذا هو اختيار شيخ الإسلام، والكلام لشيخ الإسلام (**أُصُولَ الْأَدِلَّةِ السَّمْعِيَّةِ وَهِيَ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا**)؛ لأن في الآية ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ**﴾[البقرة:٣١] الضمير هذا للعقلاء ﴿**ثُمَّ عَرَضَهُمْ**﴾[البقرة:٣١].

ومن هنا أخذ ابن جرير -رَحِمَهُ الله-: {أن آدم عُلِّم أسماء من يعقل}.

ولكن شيخ الإسلام يرى: {أنه عُلِّم جميع الأسماء}، واستدل بما ورد في حديث الشفاعة «**وَعَلَّمَك أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ**» استدل بهذا، واستدل أيضًا أن شيئًا من هذا كان يعلمه آدم؛ لأنه كان يتخاطب، وكان الملائكة أيضًا يعلمون شيئًا من هذا، ولكنه امتاز؛ لأنه عُلِّم أسماء كل شيء.

**المهم هنا**: أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- علمه أسماء كل شيء (**وَكَلَّمَهُ وَعَلَّمَهُ بِخِطَابِ الْوَحْيِ مَا لَمْ يَعْلَمْهُ بِمُجَرَّدِ الْعَقْلِ، فَدَلَالَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى هِيَ بِوَاسِطَةِ دَلَالَتِهِ**).

(**دَلَالَتِه**) الضمير يرجع إلى اللفظ (**بِوَاسِطَةِ دَلَالَتِهِ**)؛ أي اللفظ (**عَلَى مَا عَنَاهُ الْمُتَكَلِّمُ وَأَرَادَهُ، وَإِرَادَتُهُ وَعِنَايَتُهُ فِي قَلْبِهِ، فَلَا يُعْرَفُ بِاللَّفْظِ ابْتِدَاءً**) معنى هذا أن ما يعنيه باللفظ من المعاني، المعاني هي أسبق معرفة من الألفاظ كما ذكر المؤلف في البداية.

- أولًا: لا بد أن تعرف المعاني.

- ثم المرحلة الثانية: لابد أن تعرف الألفاظ التي تراد بها هذه المعاني.

(**وَلَكِنْ يُعْرَفُ الْمَعْنَى بِغَيْرِ اللَّفْظِ**) طبعًا عدم وجوده أوضح، ولكن وجوده له فائدة، المؤلف يقول: أن هناك وسائل أخرى أيضًا لمعرفة المعنى مثل الإشارة، الكتابة مثلًا، ولكن الكتابة تستخدم فيها الألفاظ، أما الإشارة لا، إذن هناك وسائل أخرى أيضًا لمعرفة المعنى. هذه جملة معترضة، لو تكون بين شرطتين كانت أحسن.

(**حَتَّى يَعْلَمَ أَوَّلًا أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى الْمُرَادَ هُوَ الَّذِي يُرَادُ بِذَلِكَ اللَّفْظِ**) هذه الصلة بين اللفظ والمعنى.

(**وَيُعْنَى بِهِ، فَإِذَا عَرَفَ ذَلِكَ ثُمَّ سَمِعَ اللَّفْظَ مَرَّةً ثَانِيَةً، عَرَفَ الْمَعْنَى الْمُرَادَ بِلَا إِشَارَةٍ إِلَيْهِ**) تم تعليمه المعاني، وتم تعليمه الألفاظ والصلة بينها، بعد ذلك لا يشار، ما كل مرة يقال له: هذا، لا، عرفها، عرف الألفاظ والمعاني، وعرف الصلة بين الألفاظ والمعاني.

(**وَإِنْ كَانَتِ الْإِشَارَةُ**) هذا القسم الثاني، هناك المشار إليه كان محسوسًا مشاهدًا، وهنا المشار إليه ليس محسوسًا؛ أي ليس مشاهدًا، هو محسوس، ولكن بالحس الباطن (**مِثْلِ الْجُوعِ، وَالشِّبَعِ، وَالرِّيِّ،**

**وَالْعَطَشِ، وَالْحُزْنِ، وَالْفَرَحِ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ اسْمَ ذَلِكَ حَتَّى يَجِدَهُ مِنْ نَفْسِهِ)** هنا لا تنفع الإشارة **(حَتَّى يَجِدَهُ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِذَا وَجَدَهُ أُشِيرَ لَهُ إِلَيْهِ، وَعُرِّفَ أَنَّ اسْمَهُ كَذَا)** ولكن كيف؟ متى تشير إليه مثلًا حتى يعرف أن هذا الذي أنت عليه مثلًا هو الجوع، واللفظ الذي يدل عليه الجوع مثلًا؟

**(وَالْإِشَارَةُ تَارَةً تَكُونُ)** هذا الذي يعلمه في الفترة هذه **(وَالْإِشَارَةُ تَارَةً تَكُونُ إِلَى جُوعِ نَفْسِهِ أَوْ عَطَشِ نَفْسِهِ)** ولكن كيف تعرفه؟ **(مِثْلَ أَنْ يَرَاهُ أَنَّهُ قَدْ جَاعَ فَيَقُولُ لَهُ: جُعْتَ، أَنْتَ جَائِعٌ)** وجد الخبز وتلهف وبشبش إليه، يقال له: أنت الآن في حالة الجوع، هذا اسمه.

**(فَيَسْمَعُ اللَّفْظَ وَيَعْلَمُ مَا عَيَّنَهُ بِالْإِشَارَةِ)** الإشارة هنا إلى الحالة التي هو عليها وهي الجوع، **(أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَاهَا مِنَ الْقَرَائِنِ الَّتِي تُعَيِّنُ الْمُرَادَ، مِثْلَ نَظَرِ أُمِّهِ إِلَيْهِ فِي حَالِ جُوعِهِ، وَإِدْرَاكِهِ بِنَظَرِهَا أَوْ نَحْوِهِ أَنَّهَا تَعْنِي جُوعَهُ، أَوْ يَسْمَعُهُمْ يُعَبِّرُونَ بِذَلِكَ عَنْ جُوعِ غَيْرِهِ)** المهم هذا المعنى الذي أحس به عرف اللفظ بوسيلة أو بأخرى، إما بالإشارة، أو بالتعليم.

**(إِذَا عُرِفَ ذَلِكَ فَالْمُخَاطَبُ الْمُتَكَلِّمُ إِذَا أَرَادَ بَيَانَ مَعَانٍ، فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّا أَدْرَكَهَا الْمُخَاطَبُ الْمُسْتَمِعُ بِإِحْسَاسِهِ وَشُهُودِهِ)** هذا القسم الأول.

**لأن هنا ثلاثة أقسام:**

١. **(إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّا أَدْرَكَهَا الْمُخَاطَبُ الْمُسْتَمِعُ بِإِحْسَاسِهِ وَشُهُودِهِ) هذا القسم الأول.**

٢. **(أَوْ بِمَعْقُولِهِ).**

٣. **(وَإِمَّا لَا يَكُونَ كَذَلِكَ)** هذا القسم الثالث.

**(فَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْقِسْمَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ)** مما أدركه بإحساسه وشهوده، أو بمعقوله **(لَمْ يَحْتَجْ إِلَّا إِلَى مَعْرِفَةِ اللُّغَةِ، بِأَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَفَ مَعَانِيَ الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ وَمَعْنَى التَّرْكِيبِ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩)﴾ [البلد:٨-٩])** عرف هنا ما هو العين، وما هو اللسان، وما هو الشفة، عرفها.

طبعًا هنا قد عرف معاني الألفاظ المفردة ومعنى التركيب؛ لأن التركيب أحيانًا يختلف به معنى اللفظ المفرد؛ ولذلك ذكره هنا.

**مثلًا**: كلمة يد، أنت تقول: {فلانٌ له عندي يد، أو له عليَّ يد، له عندي يد}، معناها أن هو أحسن إليَّ.

{فلانٌ لا يد لي به}؛ أي لا قدرة لي عليه. {مسكته بيدي} أيش معناها؟ تقصد الجارحة. **هذا التفاوت من أين جاء؟**

من التركيب.

إذن (**بِأَنْ يَكُونَ قَدْ عَرَفَ مَعَانِيَ الْأَلْفَاظِ الْمُفْرَدَةِ وَمَعْنَى التَّرْكِيبِ**)؛ أي معنى اللفظ المفرد بعد التركيب؛ لأن سيختلف بعد التركيب قد يختلف.

(**فَإِذَا قِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ**: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩)﴾[البلد:٨-٩]، **أَوْ قِيلَ لَهُ**: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل:٧٨] **وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَهِمَ الْمُخَاطَبُ بِمَا أَدْرَكَهُ بِحِسِّهِ**).

**هذان القسمان الأولان:**

١. ما أدركه بإحساسه وشهوده، أو بإحساسه الظاهر.
٢. أو بإحساسه الباطن، بمعقوله.

(**وَإِنْ كَانَتِ**) **هذا القسم الثالث**: (**وَإِنْ كَانَتِ الْمَعَانِي الَّتِي يُرَادُ تَعْرِيفُهُ بِهَا لَيْسَتْ مِمَّا أَحَسَّهُ وَشَهِدَهُ بِعَيْنِهِ، وَلَا بِحَيْثُ صَارَ لَهُ مَعْقُولٌ كُلِّيٌّ يَتَنَاوَلُهَا**) كالإنسان مثلًا (**حَتَّى يَفْهَمَ بِهِ الْمُرَادَ بِتِلْكَ الْأَلْفَاظِ، بَلْ هِيَ مِمَّا لَمْ يُدْرِكْهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَوَاسِّهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ**) هذا القسم الثالث (**فَلَا بُدَّ فِي تَعْرِيفِهِ مِنْ طَرِيقِ الْقِيَاسِ وَالتَّمْثِيلِ**) لأنه لم يدرك هذا العين، ولم يدرك نظيره، إذا أدركه أو أدرك نظيره علمنا المعنى، وعلمنا اللفظ الذي يدل عليه.

أما هنا لا، هنا المعنى مما لم يدركه بشيءٍ من حواسه الباطنة والظاهرة، فهنا يُعرَّف عن طريق التمثيل والقياس، (**وَالِاعْتِبَارِ بِمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَعْقُولَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي شَاهَدَهَا مِنَ التَّشَابُهِ وَالتَّنَاسُبِ**).

المعقولات: معقولات الأمور التي شاهدها وعلمها يقال له: هذا الأمر قريبٌ من ذلك الأمر كيت وكيت، هكذا.

(**وَكُلَّمَا كَانَ التَّمْثِيلُ أَقْوَى، كَانَ الْبَيَانُ أَحْسَنَ، وَالْفَهْمُ أَكْمَلَ**) والناس يتفاوتون في هذا، يتفاوتون في التمثيل؛ بعضهم يكون ضرب الأمثلة عنده قويًّا جدًّا يقربك، أو يكاد يوصلك إلى، بعضهم، المهم هذا المعنى.

هذا القسم الثالث: المعنى ليس مما أدركته بحسي الظاهر أو الباطن، معنى جديد كيف أصل إليه؟ وهذا القسم هو المطلوب همنا، إذن هناك قسم جديد، نحن نعرف كيفية الوصول إلى هذا القسم الجديد.

لا زلنا في هذا القسم، (**فَالرَّسُولُ –صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ– لَمَّا بَيَّنَ لَنَا أُمُورًا لَمْ تَكُنْ مَعْرُوفَةً قَبْلَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ فِي لُغَتِهِمْ لَفْظٌ يَدُلُّ عَلَيْهَا بِعَيْنِهَا**) إذن المعنى جديد، وليست بإزائه لفظٌ يدل عليه، المعنى جديد، وليس بإزائه لفظٌ يدل عليه مطابقةً (**أَتَى بِأَلْفَاظٍ تُنَاسِبُ مَعَانِيهَا تِلْكَ الْمَعَانِي**)؛ أي المعاني تلك التي يريد أن يبينها (**تِلْكَ الْمَعَانِي، وَجَعَلَهَا أَسْمَاءَ لَهَا، فَيَكُونُ بَيْنَهَا قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ، كَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْإِيمَانِ، وَالْكُفْرِ**).

(**الصَّلَاة**) **في اللغة قالوا**: إما هو من تحريك الصلوين، أو هو مطلق الدعاء، الصلاة مطلق الدعاء، والصلاة الشرعية فيها دعاء، وفيها غير الدعاء، المهم الشرع أخذ هذا اللفظ، وجعله يدل على صلاةٍ تبدأ بالتكبير، وتنتهي بالتسليم، ولها أركان، وواجبات، جعل هذا اللفظ يدل على هذه الأمور كلها، وبيَّنها.

**ولكن هل كان هذا المعنى موجودًا عند العرب قبل بيان النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم–؟**

لا.

وكذلك (**الزَّكَاة**): الزكاة من التطهير، من التزكية، وورد بهذا المعنى بمعنى مطلق التزكية ورد بهذا في القرآن في بداية سورة فُصِّلَت ﴿**الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾[فصلت:٧] جمهور المفسرين، بل لم أجد من خالفهم هنا: الزكاة هنا بالمعنى العام؛ لأن هذه السورة مكية، ولم تكن الزكاة قد شُرِعَت.

(**وَالصَّوْم**): الصوم مطلق الإمساك، **والصوم في الشرع**: إمساكٌ معروف عن أمورٍ معلومة بشكلٍ خاص، هذا الصوم.

(**والإيمان**): الإيمان في اللغة: يأتي بمعنى التصديق، ويأتي بمعنى الإقرار، ولكن الشرع جعله يدل على تصديقٍ خاص وعلى نحوٍ خاص، الإيمان هو التصديق بكل ما كُلِّفْتَ به، والعمل به.

(**والكُفْر**): يأتي بمعنى التغطية والستر، والكافر فيه هذا المعنى، ولكن زاد الشارع فيه معاني جعل هذا اللفظ يدل عليها كلها.

وهذه الألفاظ بعد تخصيص الشارع لها لهذه المعاني هي حقيقةٌ على هذه المعاني، وهذه المسألة كما تعرفون مبحوثة في أصول الفقه.

**المعتزلة يرون أن هذه الألفاظ نقلها الشارع، وهي إذا تعارض العرف الشرعي بالعرف اللغوي، فالمقدم عندهم أيش؟**

العرف اللغوي، الإيمان عندهم لغةً، التصديق، وشرعًا التصديق بناءً على هذه القاعدة، وهذا خطأ، الإيمان معناه لغةً أن تبحث عنه في كتب اللغة، ومعناه شرعًا تبحث عنه في الكتاب والسنة، المجال يختلف، هذا المجال يختلف عن هذا المجال، إذن هي تكون حقيقةً في العرف الشرعي.

وكذلك لاحظنا أن المعاني هنا جديدة، واللفظ ليس هناك لفظٌ يدل عليه مطابقةً أصلًا، فالشارع أخذ أقرب الألفاظ إلى هذه المعاني، وجعلها تدل على منظومةٍ خاصة ومعنًى خاص.

**(وَكَذَلِكَ لَمَّا أُخْبِرْنَا بِأُمُورٍ تَتَعَلَّقُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهَا قَبْلَ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ أَلْفَاظٌ تَدُلُّ عَلَيْهَا بِعَيْنِهَا).**

**هذا تفسيرٌ لماذا لا نجد ألفاظًا تدل على هذه المعاني؟**

أصلًا ما كانوا يعرفون، **(لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهَا قَبْلَ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ أَلْفَاظٌ تَدُلُّ عَلَيْهَا بِعَيْنِهَا أَخَذَ مِنَ اللُّغَةِ الْأَلْفَاظَ الْمُنَاسِبَةَ لِتِلْكَ بِمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَانِي الْغَيْبِيَّةِ، وَالْمَعَانِي الشُّهُودِيَّةِ الَّتِي كَانُوا يَعْرِفُونَهَا، وَقَرَنَ بِذَلِكَ مِنَ الْإِشَارَةِ وَنَحْوِهَا مَا يُعْلَمُ بِهِ حَقِيقَةُ الْمُرَادِ، كَتَعْلِيمِ الصَّبِيِّ، كَمَا قَالَ رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ شيخ الإمام مالك: {النَّاسُ فِي حُجُورِ عُلَمَائِهِمْ كَالصِّبْيَانِ فِي حُجُورِ آبَائِهِمْ}، وَأَمَّا مَا يُخْبِرُ بِهِ الرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– مِنَ الْأُمُورِ الْغَائِبَةِ، فَقَدْ يَكُونُ مِمَّا أَدْرَكُوا نَظِيرَهُ بِحِسِّهِمْ وَعَقْلِهِمْ).**

نفس القسم الذي سبق، ما يخبر عنه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كثيرٌ منه هو مما أدركوا نظيره بحسهم وعقلهم، مثل: هذا القسم الأول، سيذكر هنا قسمين، القسم الثاني وقد يكون الذي يخبر به الرسول ما لم يدركوا مثله، وهذا القسم الثاني (**كَإِخْبَارِهِمْ بِأَنَّ الرِّيحَ قَدْ أَهْلَكَتْ عَادًا، فَإِنَّ عَادًا مِنْ جِنْسِهِمْ**) هم بشر، ما يحتاج (**وَالرِّيحَ مِنْ جِنْسِ رِيحِهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ أَشَدَّ**) إلا أنها من جنس ريحهم، وبالتالي عرفنا، هذا المعنى المقصود.

(**وَكَذَلِكَ غَرَقُ فِرْعَوْنَ فِي الْبَحْرِ، وَكَذَا بَقِيَّةُ الْأَخْبَارِ عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ؛ وَلِهَذَا كَانَ الْإِخْبَارُ بِذَلِكَ فِيهِ عِبْرَةٌ لَنَا**)؛ لأننا نعتبر بها. متى نعتبر بها؟ بعد الفهم.

(**كَمَا قَالَ سبحانه:** ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ **[يوسف:١١١]، وَقَدْ يَكُونُ**) هذا القسم الثاني.

- القسم الأول: (**فَقَدْ يَكُونُ مِمَّا أَدْرَكُوا نَظِيرَهُ**).

- (**وقد يكون الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ الرَّسُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- مَا لَمْ يُدْرِكُوا مِثْلَهُ الْمُوَافِقَ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، لَكِنَّ فِي مُفْرَدَاتِهِ**) بالنسبة للألفاظ ما وجدنا لفظًا يدل عليه دلالة مطابقة، ولكن هناك سبيل آخر، (**لَكِنَّ فِي مُفْرَدَاتِهِ**) طبعًا هذا الذي ذكره هنا هو المقصود من البيان كله.

واضح يا مشايخ، لو نكتب هنا (المقصود من البيان كله) قد يكون جيد (المقصود من البيان كله) هنا هذه النتيجة.

(**وقد يكون الَّذِي يُخْبِرُ بِهِ الرَّسُولُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- مَا لَمْ يُدْرِكُوا مِثْلَهُ الْمُوَافِقَ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ**)؛ لأن القسم الأول لا إشكال فيه، هذا القسم هو الذي لأجله أطال هذه الإطالة.

(**لَكِنَّ فِي مُفْرَدَاتِهِ مَا يُشْبِهُ مُفْرَدَاتِهِمْ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ، كَمَا إِذَا أَخْبَرَهُمْ عَنِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْلَمُوا مَعْنًى مُشْتَرَكًا وَشَبَهًا بَيْنَ مُفْرَدَاتِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ وَبَيْنَ مُفْرَدَاتِ أَلفاظ مَا عَلِمُوهُ فِي الدُّنْيَا بِحِسِّهِمْ وَعَقْلِهِمْ**) مثلما ذكر عن نعيم الآخرة لبن، وعسل،

وغيرها من، وشجر، ثمر، نحن ما أدركناه ولا نعرفه، ولكن هناك شبهًا بين تلك المفردات التي تدل على ذلك المعنى العظيم، وهذه المفردات التي تدل على هذا المعنى المشاهد.

**(فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الَّذِي فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْهَدُوهُ بَعْدُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَهُمْ).**

**وهذا أيضًا ينقسم إلى قسمين:**

- هناك المعنى كله غيبي، ولكنك أدركت نظيره في الدنيا مثل اللبن والعسل.
- وهناك معنى لم يشهدوه أبدًا في الدنيا.

**(وَيُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَهُمْ يَشْهَدُونَهُ مُشَاهَدَةً كَامِلَةً لِيَفْهَمُوا بِهِ الْقَدْرَ الْمُشْتَرَكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْنَى الْغَائِبِ، أَشْهَدَهُمْ إِيَّاهُ، وَأَشَارَ لَهُمْ إِلَيْهِ، وَفَعَلَ فعلًا يَكُونُ حِكَايَةً لَهُ وَشَبَهًا بِهِ، يَعْلَمُ الْمُسْتَمِعُونَ أَنَّ مَعْرِفَتَهُمْ بِالْحَقَائِقِ الْمَشْهُودَةِ هِيَ الطَّرِيقُ الَّتِي يَعْرِفُونَ بِهَا الْأُمُورَ الْغَائِبَةَ)** إذن هكذا تصل إلى ما تريد أن تعرفه من المعاني الغائبة، هكذا الطريقة.

**المهم هنا:** أن القسم الأخير، القسم الثالث من الأقسام الثلاثة الذي هو جديد، المعنى جديد، وليس هناك لفظٌ بإزائه، شيء غيبي، هذا نصل إليه عن طريق الشبه والمناسبة التي بين معناه العام، وبين ما نشهده في الدنيا، وهذا هو القدر المشترك، إذن القدر المشترك:

- هو سبيلنا إلى معرفة المعاني الغيبية.
- وهو سبيلنا إلى معرفة المعاني التي تضاف إلى الله -عَزَّ وَجَل- وتنسب إليه.
- هو سبيلنا إلى معرفة المعاني التي تتعلق بالغيبيات عمومًا كالمعاد واليوم الآخر وغيرها.

**(فَيَنْبَغِي أَنْ تُعْرَفَ هَذِهِ الدَّرَجَاتُ: أَوَّلُهَا: إِدْرَاكُ الْإِنْسَانِ الْمَعَانِيَ الْحِسِّيَّةَ الْمُشَاهَدَةَ)** كزيد مثلًا أدركته.

**(ثَانِيهَا: عَقْلُهُ لِمَعَانِيهَا الْكُلِّيَّةِ)** رأيت عددًا من أفراد الإنسان، فاستنبطت منها بعقلك أن الإنسان عمومًا كيت وكيت، وهذه الدرجة الثانية، وجدت الأفراد أولًا، ثم استنبطت منها المعنى الكلي الذي يجمع هذه الأفراد، وهو الإنسان مثلًا.

(**وَثَالِثُهَا: تَعْرِيفُ الْأَلْفَاظِ الدَّالَّةِ عَلَى تِلْكَ الْمَعَانِي الْحِسِّيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ**) الأول والثاني يتعلق بالمعنى، والثالث يتعلق باللفظ.

(**فَهَذِهِ الْمَرَاتِبُ الثَّلَاثُ لَا بُدَّ مِنْهَا فِي كُلِّ خِطَابٍ، فَإِذَا أَخْبَرَنَا أو أُخْبِرْنَا عَنِ الْأُمُورِ الْغَائِبَةِ فَلَا بُدَّ مِنْ تَعْرِيفِنَا الْمَعَانِيَ الْمُشْتَرَكَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحَقَائِقِ الْمَشْهُودَةِ**) ما لم نعلم الصلة بينها وبين المعاني المشهودة لن نصل إلى المعنى الذي يراد أن نفهمه، ويراد أن نعلمه.

(**وَالِاشْتِبَاهَ الَّذِي بَيْنَهُمَا، وَذَلِكَ بِتَعْرِيفِنَا الْأُمُورَ الْمَشْهُودَةَ، ثُمَّ**) بعد (ثُمَّ) هنا ثلاث حالات أيضًا:

١- (**ثم إِنْ كَانَتْ**) أي تلك المعاني الغائبة (**إذا كانت مِثْلَهَا**)؛ أي مثل الأمور المشهودة (**لَمْ يَحْتَجْ إِلَى ذِكْرِ الْفَارِقِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَصَصِ الْأُمَمِ**) ما تحتاج أن تذكر الفوارق بين عاد؛ لأنهم بشر، وبيننا نحن، وكذلك الريح مع أنها أشد، عرفناها.

(**وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهَا**).

**طبعًا (إِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهَا) هذا له صورتان:**

- (**وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهَا**) واحتاج المخاطب إلى توضيح ذلك، (**وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهَا**) وكان المخاطب بحاجة إلى بيان ذلك الفرق (**بَيَّنَ ذَلِكَ بِذِكْرِ الْفَارِقِ**).

**متى يبين الفارق؟**

إذا كان المخاطب يحتاج إلى ذكر الفارق، بأن يقال: ليس ذلك مثل هذا، **مثلًا**: لبن الآخرة، أو موجودات الآخرة عمومًا ما دمت أنت قلت لبن وعسل، فقد يظن أن ذلك مثل ما في الدنيا مع أنك لم تدرك هذا المعنى، **فهنا ماذا تفعل؟**

بما أنه ليس مثل الأمور المشهودة هنا يحتاج إلى التنبيه، المخاط يحتاج إلى تنبيه، فتقول له: اشتركت في الألفاظ ولكن المعنى الذي يختص بموجودات الآخرة أعظم بكثير، حتى أنه ليس بين هذا الموجود، وذلك الموجود من الشبه والمناسبة إلا الاسم.

- **إذن القسم الثاني**: (**وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَهَا**) هنا نضيف (**وكان المخاطب بحاجةٍ إلى بيان ذلك الفرق**).

- **القسم الثالث**: القسم الثالث أيضًا هو ليس مثلها، ولكن الفارق معلومٌ للمخاطب، الفارق هنا معلومٌ للمخاطب.

شوفوا! القسم الأول لا يحتاج، القسم الثاني والثالث: هناك فارق بين موجودات الدنيا، وموجودات الآخرة، أو بين المعاني المشهودة وبين المعاني الغيبية، القسم الثالث: أيضًا هناك فارق.

**ولكن القسم الثاني المخاطب يحتاج إلى تنبيه، والقسم الثالث المخاطب لا يحتاج إلى تنبيه، لماذا؟**

لأن الفارق معلومٌ عند المخاطب أيضًا. هذا فيما يتعلق بالخالق والمخلوق، كل ما ينسب إلى الخالق، وينسب إلى المخلوق، فكل سليم العقل يعلم أن هناك تفاوت بينهم، هذا معلومٌ عند الجميع، ما يحتاج أن تقول: ترى علمه ليس مثل علمنا، وقدرته ليست مثل، لا، لا.

لذلك يقول في القسم الثالث: (**وَإِذَا تَقَدَّرَ**) وفي نسخة أخرى (**وإذا تقرر انْتِفَاءُ الْمُمَاثَلَةِ**)؛ أي هو ليس مثل هذا، والمخاطب لا يحتاج إلى تنبيه (**كَانَتِ الْإِضَافَةُ وَحْدَهَا كَافِيَةً فِي بَيَانِ الْفَارِقِ**) في هذا القسم بمجرد أن تقول: علم الله علمته، إرادة الله، كلام الله، قدرة الله، مجرد الإضافة هنا كافية في بيان الفرق بين ما يخص المشهود، وبين ما يليق بالله -عَزَّ وَجَل-.

**(كَانَتِ الْإِضَافَةُ وَحْدَهَا كَافِيَةً فِي بَيَانِ الْفَارِقِ) طبعًا هذا لمن؟**

لمن كان سليم العقل.

وهنا بالنسبة للمتكلمين ستجد أنهم يحتاجون إلى تنبيه حتى هنا، نحن نتحدث عمن كان سليمًا في فطرته.

(**إِذَا تَقَرَّر انْتِفَاءُ الْمُمَاثَلَةِ**) انتفاء المماثلة هنا يتفق عليها الجميع، ولكن مشكلة المتكلم أنه حتى بعد الإضافة يبقى على الفهم الذي يليق بالمخلوق، حتى بعد الإضافة.

المؤلف هنا يقول: (**كَانَتِ الْإِضَافَةُ وَحْدَهَا كَافِيَةً فِي بَيَانِ الْفَارِقِ، وَانْتِفَاءُ التَّسَاوِي**) هذا هو الصحيح، بمجرد إضافة هذه الصفة إلى الله -عَزَّ وَجَل- عرفت الفارق المميز، وهذا المميز، وهذا الفارق، وهذه الخاصية لا يشترك معه فيها أحد.

(**كَانَتِ الْإِضَافَةُ وَحْدَهَا كَافِيَةً فِي بَيَانِ الْفَارِقِ، وَانْتِفَاءُ التَّسَاوِي لَا يَمْنَعُ مِنْهُ وُجُودُ الْقَدْرِ الْمُشْتَرِكِ الَّذِي هُوَ مَدْلُولُ اللَّفْظِ الْمُشْتَرِكِ**) أضيف هذا إلى الله -عَزَّ وَجَل-، ومجرد الإضافة قلنا: كافية لبيان الفارق، وفي القدر المشترك نحن قلنا: هناك اشتراك في القدر المشترك.

كيف النسخة هذه نفس الشيء؟ (**وَانْتِفَاءُ التَّسَاوِي**) هكذا؟ كلمة (**مِنْهُ**) هذه اللي فيها يقول هنا طبعًا هو أثبت هنا (**وَانْتِفَاءُ التَّسَاوِي لَا يَمْنَعُ وُجُودُ الْقَدْرِ الْمُشْتَرِكِ الَّذِي هُوَ مَدْلُولُ اللَّفْظِ الْمُشْتَرِكِ**).

**نحن ماذا قلنا؟**

نحن قلنا: أن هذا المعنى، وهذا اللفظ الذي أطلق على الله -عَزَّ وَجَل-، وعلى المخلوق ليس هناك تساوي في الخصائص، ما يليق بالله يختلف عما يليق بالمخلوق، إذن ليس هناك تساوي.

(**وَانْتِفَاءُ التَّسَاوِي**) ونحن قلنا هناك: أن هناك فارق، إذن هناك فارق وليس هناك تساوي (**انْتِفَاءُ التَّسَاوِي لَا يَمْنَعُ وُجُودُ الْقَدْرِ الْمُشْتَرِكِ**) أنت لما تقول: لا يستويان، ليس معناه أنه لا يوجد القدر المشترك، لا، القدر المشترك هو سبيلنا إلى معرفة الخصائص التي هي الخطوة الثانية.

كلمة (منه) هذا.

إذن نحن لما نقول: أن المماثلة منتفية، هذا لا يدل على انتفاء القدر المشترك.

**(وَبِهِ صِرْنَا نَفْهَمُ)، (وَبِهِ)؛ أي بماذا؟**

القدر المشترك (**صِرْنَا نَفْهَمُ الْأُمُورَ الْغَائِبَةَ وَلَوْلَا الْمَعْنَى الْمُشْتَرَكُ**)؛ أي القدر المشترك (**مَا أَمْكَنَ ذَلِكَ قَطُّ**).

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحد الحضور: غير مسموع.

الشيخ: مثل بعض الإشارات التي وردت في الأحاديث لتحقيق الصفة، بعض الإشارات التي وردت في الأحاديث لتحقيق الصفة، مثلًا الإشارة إلى العلو، تحقيق الصفة، وإشارة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- لما كان على المنبر، هذه الإشارات التي هي لتحقيق الصفة.

أحد الحضور: غير مسموع.

الشيخ: شهادة كاملة؛ أي بالقدر الذي يجب عليك أن تفهمه.

نسيت أنبه أن هناك قاعدة في [التدمرية] القاعدة أظنها الخامسة، هذه القاعدة خاصة بهذه المسألة التي بيَّناها، القدر المشترك، مع أن شيخ الإسلام تعرَّض لهذا في أكثر من موضع في التدمرية نفسها، في هذه القاعدة بيَّن شيخ الإسلام أن ما أخبرنا الله -عَزَّ وَجَل- عنها من أسمائه وصفاته وبقية الأمور الغيبية نفهمها من وجه، ونجهلها من وجه؛ نفهمها من حيث المعاني العامة، وبهذا نتعبد بهذه المعاني، ثم ذكر كثير من الآيات التي تتعلق بالتدبر، بما أن هناك وجه نفهمه، فلا بد أن نتدبر حتى نصل إلى هذا الذي يمكننا أن نفهمه، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[ص:٢٩] ذكر عدد من الآيات.

وهناك جانب لا يمكن أن نفهمه، وبالتالي لا نقحم أنفسنا فيه، هذه القاعدة ذو شقين؛ ولذلك الشق الأول استدل فيه بآيات التدبر، والشق الثاني استدل فيه بآية آل عمران، هذا الذي يمكننا أن نفهمه هو القدر المشترك، والشيء الذي لا يمكننا أن نفهمه حقائق هذه الصفة. طبعًا هذه القاعدة ناقش فيها المفوضة؛ لأن هناك من جعل القسمين قسمًا واحدًا، جانب نفهمه، وجانب لا نفهمه، بعضهم جعلوا كله مما نفهمه، وبعضهم جعلوا كله مما لا نفهمه.

أحد الحضور: غير مسموع.

الشيخ: وهذا هو الصحيح.

أحد الحضور: غير مسموع.

الشيخ: بالنسبة للإشارة لا ينبغي التوسع فيها يقتصر فيها على ما ورد، والله أعلم؛ حتى لا يكون فيه يعني الناس يتفاوتون في الفهم، وبعدين الذين يكذبون على السلف وأهل السنة كثر، ويصير لك كلمة، ثم يدخلونها، وتصل القضية إلى، هذا الذي ورد في الأحاديث، هم إلى الآن مشغولون بها، فكيف.

أحد الحضور: غير مسموع.

الشيخ: لا، لا، المشترك اللفظي لفظٌ واحد، والمعاني متباينة، ليس هناك قدرٌ مشتركٌ يجمع معاني تلك الألفاظ تلك المعاني، لفظًا واحد، والمعاني كثيرة، وهذه المعاني متباينة، والمتواطئ المعاني أو أفراده تجتمع في المعنى العام، هذا الذي تجتمع فيه هذا لا يوجد في المشترك اللفظي.

**مثلًا**: لو جعلت الحياة حياة الله -عَزَّ وَجَل- من المشترك اللفظي، لا يجوز إطلاق هذا اللفظ على حياة الإنسان أبدًا، بينما كما يقول شيخ الإسلام: {العقلاء اتفقوا على أن الحياة تنقسم إلى قسمين: حياة الواجب، وحياة الممكن، وكذلك الوجود، لو جعلت الوجود من المشترك اللفظي، إذن وجودنا وجود المخلوقين ليس وجودًا أصلًا}.

رحم الله شيخ الإسلام.

* * * * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم اغفر لشيخنا ولأشياخه وللمسلمين.

**(المتن)**

قال المصنف -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

**(وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ).**

قال الشارح -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: (لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾[الكهف:٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[فاطر:٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥]، وقوله: ﴿لَا يَؤُودُهُ﴾؛ أَيْ: لَا يُكْرِثُهُ وَلَا يُثْقِلُهُ وَلَا يُعْجِزُهُ، فَهَذَا النَّفْيُ لِثُبُوتِ كَمَالِ ضِدِّهِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ نَفْيٍ يَأْتِي فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِنَّمَا هُوَ لِثُبُوتِ كَمَالِ ضِدِّهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف:٤٩]؛ لِكَمَالِ عَدْلِهِ، وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[سبأ:٣]؛ لِكَمَالِ عِلْمِهِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[ق:٣٨]؛ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ، ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]؛ لِكَمَالِ حَيَاتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[الأنعام:١٠٣]؛ لِكَمَالِ جَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ.

وَإِلَّا فَالنَّفْيُ الصِّرْفُ لَا مَدْحَ فِيهِ، أَلَا يُرَى أَنَّ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

قُبَيِّلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ ... وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

لَمَّا اقْتَرَنَ بِنَفْيِ الْغَدْرِ وَالظُّلْمِ عَنْهُمْ مَا ذَكَرَهُ قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ وَبَعْدَهُ، وَتَصْغِيرُهُمْ بِقَوْلِهِ: (قُبَيِّلَةٌ) عُلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ عَجْزُهُمْ وَضَعْفُهُمْ، لَا كَمَالُ قُدْرَتِهِمْ.

وَقَوْلُ الْآخَرِ:

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ ... لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

لَمَّا اقْتَرَنَ بِنَفْيِ الشَّرِّ عَنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَمِّهِمْ، عُلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ عَجْزُهُمْ وَضَعْفُهُمْ أَيْضًا؛ وَلِهَذَا يَأْتِي الْإِثْبَاتُ لِلصِّفَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مُفَصَّلًا، وَالنَّفْيُ مُجْمَلًا، عَكْسَ طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ بِالنَّفْيِ الْمُفَصَّلِ، وَالْإِثْبَاتِ الْمُجْمَلِ، يَقُولُونَ: لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَلَا شَبَحٍ، وَلَا جُثَّةٍ، وَلَا صُورَةٍ، وَلَا لَحْمٍ، وَلَا دَمٍ، وَلَا شَخْصٍ، وَلَا جَوْهَرٍ، وَلَا عَرَضٍ، وَلَا بِذِي لَوْنٍ، وَلَا رَائِحَةٍ، وَلَا طَعْمٍ، وَلَا مِجَسَّةٍ، وَلَا بِذِي حَرَارَةٍ، وَلَا بُرُودَةٍ، وَلَا رُطُوبَةٍ، وَلَا يُبُوسَةٍ، وَلَا طُولٍ، وَلَا عَرْضٍ، وَلَا عُمْقٍ، وَلَا اجْتِمَاعٍ، وَلَا افْتِرَاقٍ، وَلَا يَتَحَرَّكُ، وَلَا يَسْكُنُ، وَلَا يَتَبَعَّضُ، وَلَيْسَ بِذِي أَبْعَاضٍ وَأَجْزَاءٍ وَجَوَارِحَ وَأَعْضَاءٍ، وَلَيْسَ بِذِي جِهَاتٍ، وَلَا بِذِي يَمِينٍ، وَلَا شِمَالٍ، وَأَمَامٍ، وَخَلْفٍ، وَفَوْقٍ، وَتَحْتٍ، وَلَا

يُحِيطُ بِهِ مَكَانٌ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ زَمَانٌ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْمَمَاسَّةُ، وَلَا الْعُزْلَةُ، وَلَا الْحُلُولُ فِي الْأَمَاكِنِ، وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ الدَّالَّةِ عَلَى حُدُوثِهِمْ، وَلَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ مُتَنَاهٍ، وَلَا يُوصَفُ بِمِسَاحَةٍ، وَلَا ذَهَابٍ فِي الْجِهَاتِ، وَلَيْسَ بِمَحْدُودٍ، وَلَا وَالِدٍ وَلَا مَوْلُودٍ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَقْدَارُ وَلَا تَحْجُبُهُ الْأَسْتَارُ إِلَى آخِرِ مَا نَقَلَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- عَنِ الْمُعْتَزِلَةِ.

وَفِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ. وَيَظْهَرُ ذَلِكَ لِمَنْ يَعْرِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَهَذَا النَّفْيُ الْمُجَرَّدُ مَعَ كَوْنِهِ لَا مَدْحَ فِيهِ، فِيهِ إِسَاءَةُ أَدَبٍ، فَإِنَّكَ لَوْ قُلْتَ لِلسُّلْطَانِ: أَنْتَ لَسْتَ بِزَبَّالٍ، وَلَا كَسَّاحٍ، وَلَا حَجَّامٍ، وَلَا حَائِكٍ، لَأَدَّبَكَ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا، وَإِنَّمَا تَكُونُ مَادِحًا إِذَا أَجْمَلْتَ النَّفْيَ فَقُلْتَ: أَنْتَ لَسْتَ مِثْلَ أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ، أَنْتَ أَعْلَى مِنْهُمْ وَأَشْرَفُ وَأَجَلُّ، فَإِذَا أَجْمَلْتَ فِي النَّفْيِ أَجْمَلْتَ فِي الْأَدَبِ.

وَالتَّعْبِيرُ عَنِ الْحَقِّ بِالْأَلْفَاظِ الشَّرْعِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ هُوَ سَبِيلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

(الشرح)

**بسم الله الرحمن الرحيم.**

نحمده ونصلي على رسوله الكريم.

**أما بعد:-**

يقول الإمام الطحاوي -رَحِمَهُ الله-: (**وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ**) هذه الجملة من الجمل التي تتعلق بتوحيد الربوبية، والله -عَزَّ وَجَل- (**لَا شَيْءَ**) هذا للتعميم، ليس هناك شيء يعجزه.

في شرحه لهذه الجملة تطرق ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله-:

أولًا: لشرح الجملة بذكر الأدلة التي تدل على هذه الجملة.

ثم تطرق إلى مسائل تتعلق بباب النفي عند أهل السنة والجماعة، كيف يكون النفي، وماذا ننفيه عن الله -عَزَّ وَجَل-؟ وكيف ننفيه؟ هل ننفيه مفصلًا، أو مجملًا دائمًا، وما هي طريقة القرآن والسنة في هذا الباب؟ وما هو الأدب الذي ينبغي سلوكه في هذا الباب؟ وما هي طريقة المخالفين في هذا

الباب؟ المخالفون لأهل السنة والجماعة ما هي طريقتهم في النفي؟ كل هذا وغيره ذكره في شرح هذه الجملة (**وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ**).

وختم هذه الفوائد بذكر نوعية هذا النفي، النفي الذي وجدناه عند الطحاوي -رَحِمَهُ الله-، هل هو على منهج أهل السنة، أو على منهج المتكلمين؛ لأن هناك نفي عند أهل السنة، ونفي عند المتكلمين، وهم يختلفون فيما ينفى عن الله -عَزَّ وَجَل-، وكيف ينفى عن الله -عَزَّ وَجَل-؟ ولماذا ينفى عن الله -عَزَّ وَجَل-؟ وبماذا يُنفى عن الله -عَزَّ وَجَل-؟ ما هي الصيغ التي بها ينفى عن الله -عَزَّ وَجَل-؟

(**لَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ؛ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ**) لكمال قدرته، من بداية شرح يبين ابن أبي العز أن هذا النفي ليس من جنس النفي الذي تجده في كتب المتكلمين، (**لَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ؛ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ**) لأن سيبين أن النفي في الكتاب والسنة لا يكون لمجرد النفي، أبدًا، هذا لا يوجد في الكتاب والسنة.

(**لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ**) فالنفي الذي يكون في الكتاب والسنة يكون لبيان كمال ضد الصفة المنفية.

**وضد العجز ماذا؟**

القدرة.

بما أن قدرة الله -عَزَّ وَجَل- كاملة، فلا شيء يعجزه، والذي يعجزه غيره هذا نقصٍ في قدرته، الله -عَزَّ وَجَل- يقول: (﴿**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[البقرة:٢٠]، ﴿**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا**﴾[الكهف:٤٥]، ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ**﴾[فاطر:٤٤]) طبعًا (**شَيْءٌ**) هذا للتعميم، لما تدخل كلمة ﴿**مِنْ**﴾ يكون هذا العام نصًّا، وفرق بين كونه ظاهرًا في العموم، وكونه نصًّا في العموم، فدخول ﴿**مِنْ**﴾ جعله نصًّا في العموم، (﴿**لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ**﴾[فاطر:٤٤]).

**بعبارة أخرى**: كلمة ﴿**مِنْ**﴾ أكدت العموم أكثر.

(﴿**فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا**﴾[فاطر:٤٤]) علل بهاتين العلتين (﴿**إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا**﴾[فاطر:٤٤])؛ لأن العجز يكون:

- إما لنقصٍ في العلم.
- وإما لنقصٍ في القدرة.

﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[فاطر:٤٤]؛ فلذلك علل الله -عَزَّ وَجَل- الخلق أيضًا بهاذين الاسمين.

في سورة (الروم) ذكر الله -عَزَّ وَجَل- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾[الروم:٥٤].

الله -عَزَّ وَجَل- ذكر هنا الخلق لا يكون إلا بالعلم والقدرة، لله -عَزَّ وَجَل- عالمًا بتفاصيل ما يخلق، وقادرٌ على هذه التفاصيل، ومن عنده العلم الكامل، ومن عنده القدرة الكاملة لا يلحقه شيءٌ من العجز؛ ولذلك علل بـ(﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[فاطر:٤٤]، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ﴾[البقرة:٢٥٥]) فسره بنفسه (﴿حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[البقرة:٢٥٥]؛ أَيْ: لَا يُكْرِثُهُ وَلَا يُثْقِلُهُ) بمعنى واحد، (وَلَا يُعْجِزُهُ، فَهَذَا النَّفْيُ لِثُبُوتِ كَمَالِ ضِدِّهِ).

**ثم دخل في ذكر هذه القواعد التي أشرت إليها:**

- **القاعدة الأولى: (أن كُلُّ نَفْيٍ يَأْتِي فِي صِفَاتِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَل- فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِنَّمَا هُوَ لِثُبُوتِ كَمَالِ ضِدِّهِ).**

ذكر الشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ الله- في [القواعد المثلى] قاعدةً خاصةً في النفي، وأن النفي نأخذ منه أمرين:

- أولًا: نفي هذا الذي نفاه الله -عَزَّ وَجَل-.
- ثانيًا: إثبات كمال ضده.

إذن النفي لا يكون نفيًا مجردًا، حيثما جاء النفي، فهناك إثبات، إذا لم يكن هناك إثبات فهذا النفي ليس منهج الكتاب والسنة، مثلما سنجده هنا، في هذا.

**(وَلَا رُطُوبَةٍ، وَلَا يُبُوسَةٍ، وَلَا طُولٍ، وَلَا عَرْضٍ)** استغفر الله، ما الذي تثبته هنا؟ وأين ذلك الأدب الذي يكون مع الله -عَزَّ وَجَل-؟! فالنفي في الكتاب والسنة فيه نفيٌ وإثبات.

(﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف:٤٩]؛ لِكَمَالِ عَدْلِهِ، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[سبأ:٣]؛ أي لا يغيب (لِكَمَالِ عِلْمِهِ، ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[ق:٣٨]؛ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ، ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]؛ لِكَمَالِ حَيَاتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ).

سيأتي في كلام الشارح أن منهج الكتاب والسنة، أو طريقة الرسل في الإثبات والنفي أن الإثبات يكون مفصّلًا، وأن النفي يكون مجملًا، وهذا في العموم سيرد، ولكن قد يكون هناك نفيٌ مفصَّل لأمرٍ يخص هذا التفصيل، من ذلك: قول الله -عَزَّ وَجَل-:﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[ق:٣٨]؛ لأنه أولًا: خلق السماوات في ستة أيام.

**﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[ق:٣٨]، لماذا تحديد خلق الله -عَزَّ وَجَل- بهذه الأيام المعدودة؟**

قد يفكر واحد سقيم العقل والنظر، ويقول: هذا الذي أمكنه، قد يقول، ولكن هناك من قال فعلًا وهم اليهود، قالوا: بعدما خلق السماوات والأرض استراح يوم السبت، الله -عَزَّ وَجَل- ذكر هنا أن هذا التحديد ليس لأنه يلحقه التعب، واللغوب هو التعب، لا، لحكمٍ أخرى ما نعرفها، فبعض المواضع إذا اقتضى الأمر يكون هناك تفصيلٌ في الإجمال لأمرٍ خاصٍّ به سأذكره، منها هذا.

(﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[الأنعام:١٠٣]) **الإدراك**: هو النظر والإحاطة.

**الإدراك فيه أمران**: (﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[الأنعام:١٠٣])؛ أي لا تحيط به رؤيةً، كما أنها لا تحيط به علمًا (**لِكَمَالِ جَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ**).

بيَّن الشارح هنا هذه الفائدة المهمة التي هي من الفوارق المهمة بين نفي أهل السنة، وبين نفي المتكلمين، النفي عند أهل السنة لا بد فيه من دليل، كما أن الإثبات لا بد فيه من دليل، وهم ينطلقون من هذا الباب.

(**وَإِلَّا فَالنَّفْيُ الصِّرْفُ**)؛ أي النفي المجرد (**لَا مَدْحَ فِيهِ**) أي نفيٍ لا يتضمن إثباتًا، فهو نفيٌ لا فائدة فيه، ولا مدح فيه.

(**أَلَا يُرَى أَنَّ قَوْلَ الشَّاعِرِ**:

**قُبَيِّلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ ... وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ**

في الظاهر جميل هذا.

**لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ ... وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ**

هذا في الظاهر جميل، ولكن الشاعر هنا يرمي ويقصد ذمهم.

**كيف عرفنا أنه يذمهم؟**

- (**لَمَّا اقْتَرَنَ بِنَفْيِ الْغَدْرِ وَالظُّلْمِ عَنْهُمْ مَا ذَكَرَهُ قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ وَبَعْدَهُ**) هذا أولًا، (**مَا ذَكَرَهُ قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ وَبَعْدَهُ**) يدل على أنه يذمهم.

- الأمر الثاني: (**وَتَصْغِيرُهُمْ بِقَوْلِهِ: (قُبَيِّلَةٌ)**) هذا الأمر الثاني.

(**عُلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ عَجْزُهُمْ وَضَعْفُهُمْ**) عدم غدرهم، وعدم ظلمهم ليس مع كمال قوتهم، وإنما هذا عجزًا منهم؛ ولذلك يحركون ساكنًا، وأنَّا لهم أن يحركوا ساكنًا، ما يستطيعون (**لَا كَمَالُ قُدْرَتِهِمْ**).

**الذي قبله**: يقول هذا الشاعر: (**إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَرِقَّةٍ**) إذا كان الله -عَزَّ وَجَل- يعادي أحدًا للؤمهم ورقتهم (**فَعَادَى بَنِي العَجْلاَنِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلِ**)..

ويقول بعد هذا: (**وَلاَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ**) **يقول بعده**: (**وَلاَ يَرِدُونَ المَاءَ إلا عَشِيَّةً**) ما يستطيعون أن يزاحموا الناس في، ما يستطيعون، (**إذا صَدَرَ الوُرَّادُ عَنْ كُلّ مَنْهَلِ**) يعني ما يستطيعوا يزاحموا الناس.

**الذي ذكره قبله، وذكره بعده، وتصغيره لهذه القبيلة (قُبَيِّلَةٌ) هذا كله يدل على أيش؟**

**مع أن المعاني التي ذكرت هذه هنا جميلة، ولكن النفي هنا هل للمدح أم للذم؟**

لأن هذا الذي نجده منهم من هذه الأخلاق الجميلة لعجزهم، وبالتالي لا مدح فيه.

أيضًا: (**قَوْلُ الْآخَرِ**:

**لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَـانُوا ذَوِي عَـدَدٍ  لَيْسُـوا مِنَ الشَّـرِّ فِي شَـيْءٍ وَإِنْ هَانَا**

بعيدون كل البعد عن الشر.

الذين جاؤوا يشتكون عند عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، يشتكون هذا القائل، قال: {ليت الخطاب يكون مثله} قال: هذا مدح وليس ذمًّا.

طبعًا ذكر عن عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أنه كان شاعرًا، وكان يرمي بكلامه هذا أن يدفع الشكوى، ولكن لما ذكروا ما قبله، وذكروا ما بعده حكَّم فيهم حسان بن ثابت هل يريدوا ذمًّا أو، وإلا في الظاهر جميل (**لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ**) كثرهم، ولكن بعيدين عن الشر (**وَإِنْ هَانَا**)، يقول بعده:

**يجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْـلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَـاءَةِ أَهْلِ السُّـوءِ إِحْسَـانَا**
**كَـأَنَّ رَبَّـكَ لَمْ يَخْلُقْ لِخَشْـيَتِـهِ سِـوَاهُمُ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ إِنْسَـانَا**
**فَلَيْـتَ لِي بِهِمِ قَوْمًـا إِذَا رَكِبُوا شَـنّوا الإِغَـارَةَ فُرْسَـانًا وَرُكْبَـانَا**

هذا كله يدل على أن هذه الأخلاق الجميلة فيهم بالعكس، إذن هذا النفي لأنه لا يتضمن إثبات كمال الضد، فهو ذمٌّ في ذم، إذن النفي المجرد لا يدل على مدح، ليس فيه فائدة.

وبالتالي الله -عَزَّ وَجَل- لما ينفي عن نفسه شيئًا، فهو يثبت شيئًا، وهكذا في الأحاديث ليس هناك نفيٌ مجرد، لا بد أن يكون معه إثبات لله لكمال ضد الصفة المنفية.

يقول: (**لَمَّا اقْتَرَنَ بِنَفْيِ الشَّرِّ عَنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَمِّهِمْ، عُلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ عَجْزُهُمْ وَضَعْفُهُمْ أَيْضًا؛ وَلِهَذَا يَأْتِي الْإِثْبَاتُ لِلصِّفَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مُفَصَّلًا، وَالنَّفْيُ مُجْمَلًا**) هذا الذي ذكره هنا فصَّل فيه شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمة [التدمرية] ذكر أن طريقة الأنبياء والرسل ذكرها هكذا جزمًا، أنت لما تجزم وخاصةً شيخ الإسلام لما يجزم، فيكون بعد استقراء.

**وهذا الاستقراء ممن؟**

من شيخ الإسلام.

**ماذا يقول؟**

(**الْإِثْبَاتُ لِلصِّفَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مُفَصَّلًا، وَالنَّفْيُ مُجْمَلًا**) هذا هو الغالب.

طبعًا هناك بعض المواضع يكون فيها التفصيل في الإجمال لأمرٍ يقترن به، ولأمرٍ يقتضيه، هذه الأمور ذكرها أهل السنة، هذا الذي أذكره هذا كله ذكره أهل السنة، أنا أشير إلى هذا؛ لأنني سأشير إلى كلام بعض الجهمية المعاصرين، وكيف أنهم يجنون على أنفسهم، وعلى العقيدة بشكلٍ عام.

**هناك مواضع يكون النفي فيها مفصلًا، مثل:**

- **الموضع الأول مثلًا**: نفي ما ادعاه الكاذبون في حق الله -عَزَّ وَجَل-. النفي هنا مفصَّل وفي مواضع كثيرة من القرآن، من ذلك قول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿**أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢)**﴾[مريم:٩١-٩٢]، نفي الولد؛ لأن هناك من يزعم هذا ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾[الإخلاص:٣] هناك من يزعم هذا، بما أن هناك من يزعم هذا وخاصةً ممن عندهم كتاب، لا نتحدث عن المتفلسفة، من عندهم كتاب ﴿**عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ**﴾[التوبة:٣٠]، ﴿**الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ**﴾[التوبة:٣٠]، الله -عَزَّ وَجَل- ينفي، هؤلاء أهل كتاب وهم مظنة القبول عند الناس. هذا الموضع الأول، والأمثلة في هذا كثيرة.

- أو كما ذكرنا في قوله: ﴿**وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ**﴾[ق:٣٨] لدفع توهم نقصٍ في كماله فيما يتعلق بأمرٍ معين ﴿**وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ**﴾[ق:٣٨]، والأمثلة في هذا أيضًا كثيرة.

- **الموضع الثالث**: يرد النفي أيضًا في القرآن كثيرًا مفصلًا في سياق تهديد الكافرين، بنفي ما قد يتوهمون من إفلاتهم من عقوبة الله -عَزَّ وَجَل- التي يستحقونها، ﴿**وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[فصلت:٢٢]، يقول الله -عَزَّ وَجَل-:﴿**وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[البقرة:٧٤]، ﴿**أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى**﴾[الزخرف:٨٠] نعلم ﴿**وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**﴾[الزخرف:٨٠] بل هناك من كُلِّف بإحصاء هذا الذي تعملون. هذا كله مواضع محدودة وسببٌ معين يقتضي أن يكون التفصيل في الإجمال، والتفصيل في النفي.

- **وإلا عمومًا هذه القاعدة التي ذكرها شيخ الإسلام**: أن الإثبات للصفات يكون مفصلًا، والنفي يكون مجملًا.

(**عَكْسَ طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ بِالنَّفْيِ الْمُفَصَّلِ، وَالْإِثْبَاتِ الْمُجْمَلِ**) الإثبات المجمل عند المتكلمين إذا أخذنا أقرب الطوائف إلى أهل السنة، وهم الأشاعرة والماتريدية، كم صفة يثبتونها؟

سبعة، بعضهم يتحذلق يقول: لا، هم يثبتون أكثر من عشرين، فيضاعف السبعة هذه يضربها في اثنين، كم صارت؟ أربعة عشر وخمسة من الصفات السلبية، هي صفات سلبية، الصفات السلبية، الصفة التي يجب أن ننفيها عن الله -عَزَّ وَجَل-، وثلاث صفات ما أدري أيش يسمونها، وهكذا، أنت لما تحقق في هذه الصفات ترجع إلى سبعة، أو ثمانية؛ لأن تضعيفها، مضاعفتها هي بالقول بالحال، وهذه بدعة جديدة للمعتزلة من صفاته العلم، ومن صفاته كونه علم هو هو.

على كل حال، سبع صفات في مقابل ما ينفون، وهي كم؟ كثيرة جدًّا، ونحن نتحدث عمن؟ عمن يزعم أنه يمثل أهل السنة والجماعة.

لاحظ كيف أن الإثبات عنده مجمل، والنفي عنده مفصل، هذا الذي ذكره ابن أبي العز هو مأخوذ من مقالات الإسلاميين، مقالات الإسلاميين ذكر فيه أبو الحسن الأشعري مذهب المعتزلة النفي، أكثر من صفحة، وليس كذا، وليس كذا، نفس السرد والفهرس تجده عند هؤلاء الأشاعرة والماتريدية، وهم عمومًا.

هذا الكتاب ما اسمه؟ [لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة] يا سلام، تلخيص لأصول قواعد أهل السنة، والكتاب لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني الإمام المعروف عند الأشاعرة، وهو إمام المرحلة الثانية عند الأشاعرة، هذه المرحلة تسمى المرحلة الاعتزالية، توفي سنة أربعمئة وثمانية وسبعين.

**ذكر:**

- **أولًا: ذكر الصفات السبعة في بدايته، الصفات السبعة التي هم يثبتونها:**
- أول شيء: القول في حدوث العالم.
- ثم القول بإثبات العلم بالصانع.
- ثم فصلٌ: صانع العالم أزلي الوجود.
- فصلٌ: الباري تعالى حي عالم بجميع المعلومات، قادرٌ على جميع المقدورات.
- فصلٌ: صانع العالم مريدٌ على الحقيقة.
- بعد ذلك إثبات السمع والبصر والكلام.

- إبطال حدوث صفة الإرادة، وأنها أزلية.
- فصلٌ: الباري سبحانه باقٍ واجب الوجود.
- فصلٌ: في الوحدانية.
- بعد ذلك فصلٌ في إثبات الصفات الوجودية القائمة بالذات العلية هي الصفات التي ذكرها.
- كلام الله أزليٌّ قديم لا مبدأ لوجوده. طبعًا هذا تحريف للصفة بعد إثباتها.
- كلام الباري قديمٌ ليس بحروفٍ ولا أصوات. أيضا يتعلق بنفس الصفة صفة الكلام.
- فصلٌ: في معنى كون كلام الله تعالى مقروءًا بألسنة القراء، محفوظًا في صدور الحفظة، ما معناه.
- باب ذكر ما يستحيل في أوصاف الله تعالى.
- فصلٌ: الرب مقدسٌ عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بالمحاذاة.

بعدما ذكر الصفات السبعة ذكر باب ما يستحيل في أوصاف الله -عَزَّ وَجَل-.

ثم قال هنا، وهكذا يلخص قواعد أهل السنة: (باب ذكر ما يستحيل في أوصاف الله تعالى) طبعًا أثبت سبع صفات، الآن يقول: {باب ذكر ما يستحيل في أوصاف الله -عَزَّ وَجَل-: جملة القول في جملة القول في ذلك أن كل يدل على الحدوث، أو على سمة النقص، فالرب -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مقدسٌ عن ذلك، وهذه الجملة تتبين بفصولٍ تشتمل على تفصيلها، أولًا: فصلٌ: الرب -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مقدسٌ عن الاختصاص بالجهات، والاتصاف بالمحاذاة، لا تحده الأفكار، ولا تحويه الأقطار، ولا تكتنفه الأقدار، ويجل عن قبول الحد والمقدار) نفي العلو، وهكذا، ما بعده تفصيلٌ لهذا، إذن جميع الصفات التي وردت في الكتاب والسنة غير هذه السبع يعاملها بهذه.

لاحظ كيف أن الإثبات عنده قليل، والنفي عنده طويل، **هذا عند من؟**

عند أقرب الطوائف إلى أهل السنة والجماعة.

إذا ذهبت إلى المعتزلة الذين هم يليهم لا يثبتون شيئًا من الصفات، إنما يثبتون الأسماء، فالنفي يقل أكثر.

تذهب إلى الجهمية لا يثبتون شيئًا من الأسماء والصفات، والنفي عندهم أكثر.

**إذا سألت الجهمي من أين أخذت هذا المنهج؟**

تجد أنه أخذ هذا المنهج من المتفلسفة، التوحيد عند المتفلسفة نفي جميع الصفات؛ لأن المتفلسف يثبت وجود الله -عَزَّ وَجَل- بنفي التركيب، والتركيب أقسامه كثيرة، ذكر الغزالي منها سبعة أقسام، منها: {التركب من الذات والصفة إذا أثبت لله -عَزَّ وَجَل- صفات، يكون مركبًا من ذاتٍ قديمةٍ، وصفةٍ قديمة، والله -عَزَّ وَجَل- ليس مركب، حتى تثبت وجود الله -عَزَّ وَجَل- لا بد أن تنفي الصفة} هذا عند من؟ عند هذاك الزنديق، ومنه أخذ هذا جهمي، ومنه شرب من؟ من معينه شرب هذا المعتزلي، وعلى مائدته من؟ الأشعري والماتريدي.

فلذلك تجد أن، أنا قلت لكم: هذا الذي سمى كتابه [نقض الرسالة التدمرية] سبحان الله! [نقض الرسالة التدمرية]، وهذا الكتاب من الكتب التي لا ينقضي عجبي منه؛ لكثرة ما فيه من الكذب والفحش في الألفاظ، وسوء الأدب، شيء ما تتخيله ممن عنده مسكة من الأدب والعلم أبدًا أبدًا، كأنه ألفه طفل لم يدخل أي مدرسة ليتعلم. دعنا من هذا الذي حظي به من سوء الأدب، ولكن انظر ماذا قال؟

يقول في هذا النقض: {قاعدة الإثبات المفصل، والنفي المجمل، كثيرًا ما يصرح ابن تيمية بأن طريقة السلف في وصف الله في حالة الإثبات هي إثبات الصفة على وجه التفصيل، وأما في حال التنزيه فهي الاقتصار على النفي المجمل، وسوف نبين نحن أن الأمر ليس على الوجه الذي ذكره ابن تيمية، بل طريقة القرآن في الجهتين التفصيل حيث يلزم، والإجمال حيث يلزم} ما الذي جئت به جديد؟ بما أن الله -عَزَّ وَجَل- وصف نفسه بصفات الكمال، والله -عَزَّ وَجَل- كمالاته لا تتصور، ونحن نؤمن بما وصف به نفسه من تلك الكمالات، وهي كثيرة، فلزم هنا التفصيل يا أخرق لزم هنا التفصيل.

وبما أن بيان كماله في النفي في الغالب يكون بالإجمال، سيذكر المؤلف أكثر، فهنا هذا الذي يلزم، وهذا استقرأه الأئمة، أئمة السلف منهم ابن تيمية الذي أزعجكم حيًّا وميتًا، وإن شاء الله يلاحقكم إلى أن تموتوا، إلا أن تتوبوا يعني، وإلا ابن تيمية سبحان الله! كأنه يلاحقهم إلى، ابن تيمية، ابن تيمية،

ابن تيمية، وأيش عيب ابن تيمية، مثل هذه الدقة، والاستقراءات التي أزعجتكم، طيب، ما الذي زدت عليه؟

{طريقة القرآن في الجهتين التفصيل حيث يلزم، والإجمال حيث يلزم، فلا يقال: إن طريقة القرآن في الإثبات هي التفصيل، وفي النفي الإجمال، بل قد ينفي عن الله تعالى ما لا يليق به على سبيل التفصيل} أنا ذكرته{كما يثبت له على سبيل التفصيل، فالحاجة هي التي توجب الطريقة المتبعة}.

**ولكن ما هي الحاجة؟**

الحاجة هي التي فصل فيها ابن تيمية، وعلى ضوئها بيَّن لك هذا الاستقراء، هذه الحاجة وكيف تم التعامل معها في الكتاب والسنة، هذا الذي علمك ابن تيمية.

ثم يقول: {وسوف نبين السبب والغاية التي من أجلها قال ابن تيمية بهذه القاعدة المدعاة، وذلك قبل الشروع في إبطالها أو نقضها}، يقول: {لقد عرفنا}.

طيب، لواحد يقول: يا أيها الجهمي من أين عرفت؛ لأن الذي صرح به في كتبه يختلف عن هذا الذي تختلق؟

{لقد عرفنا أن مذهب ابن تيمية هو التجسيم لله تعالى، فهو يقول: إن الله في جهة، ومستقرٌّ على العرش بمماسة، ويتحرك نزولًا وصعودًا، وتحل الحوادث في ذاته، وله يد وعينٌ ووجهٌ، وغير ذلك من الأعضاء التي يسميها صفات عينية} طبعًا كدت أن أقول: هو صدق في الجملة الأخيرة، ونسيت أنه كذاب في كل ما يقوله {وله يد وعين ووجه} نعم هكذا يقوله ابن تيمية، وهو متبع في ذلك أيش؟ الأدلة، ولكن شوف، شوف الزيادة هذه {من الأعضاء التي يسميها صفاتٍ عينية إلى آخر مذهبه، وهذا هو الإثبات التفصيلي الذي يريده ابن تيمية}.

**طبعًا ما الذي يريده ابن تيمية؟**

مكتوب بالأمثلة من الكتاب والسنة، ما نحتاج في معرفته إلى مثل هذا الكذاب، ما نحتاج.

**ولكن أين قال هذا الذي ذكره؟ أين قاله؟**

سبحان الله! هل يجوز مثلًا أن نقول: فلان من الأشاعرة قال: كيت وكيت دون أن أحيل على كتابه؟ يجوز؟

ما يجوز.

وهذه الفرية كررها في كتابه، أنا بدأت هنا أحصي كلماته الصريحة التي تتحمل التأويل، فوصلت عندي إلى الآن سبع مواطن، وكرر في أغلبها هذه الفِريَة أنه يقول: {أنه في جهة، وأنه مستقرٌّ على العرش بمماسة، يتحرك نزولًا وصعودًا، هكذا، تحل الحوادث في ذاته} سبحان الله! الآن هو انتقل، طبعًا هذه بضاعته، وأنا أعذره، لا أعذره على الكذب، ولكن أعذره على هذا الذي لجأ إليه؛ لأنه إن لم يلجأ إلى مثل هذه الأساليب، فماذا عساه أن يقول في ابن تيمية؟ قبل أن يفصل في نقضه كما يدعي لجأ إلى هذا الكذب.

ثم يقول: {وأما علماؤنا من أهل الحق فإنهم يصفون الله تعالى بالصفات الكمالية} نحن عرفنا ما هي تلك الصفات الكمالية التي أثبتها علماؤكم، وهل علماؤكم أكثر وصفًا لله -عَزَّ وَجَل- بالكمال من الله -عَزَّ وَجَل-؟!

{كالقدرة، والعلم، والحياة وغيرها، وينزهون الله تعالى عن كل نقص}.

من الذي وصفه بهذا النقص؟ بعض ما ينزهون عنه ورد في وصف الله -عَزَّ وَجَل- لنفسه، هل هذا نقص؟! هكذا علماؤكم المحققون —ما شاء الله- ما هي؟

يقول: {فينفون الحد، والجهة، وكونه جسمًا، وينفون قيام الحوادث بذاته الجليلة، ويقولون: ليس كمثله شيء} لم يصدق في هذا إلا في الجملة الأخيرة، وفي الجملة الأخيرة أيضًا له غرضٌ فاسد في هذه (٤٤:٤٩).

**نعم كلنا نقول: ليس كمثله شيء، ولكن ما هي هذه المثلية التي تنفيها؟**

ذكرنا في القدر المشترك، وابن تيمية عندما يقول: {إن طريقة القرآن هي الإثبات التفصيلي، والنفي الإجمالي، يريد بذلك أن يُغلِّط العلماء المحققين الذين نفوا عن الله النقائص تفصيلًا}.

طبعًا إمامك في هذا النفي التفصيلي هو الجهم كما ذكرنا، وفي أحسن الأحوال إمامك في هذا المعتزلة، {ونفيًا كليًّا كما مر، وذلك لا يثبت}، وذلك لأنه يثبت بعضها هكذا ما أدري لله تعالى، {وإن ادعى أن ما يثبته ليس بنقيصةٍ لله -عَزَّ وَجَل-، وإنما يريد من العلماء الاقتصار على نحو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص:٤]؛ لأن هذه الآيات عنده عامةٌ تحتمل التخصيص، ومجملةٌ تحتاج للبيان، فهو عند ابن تيمية مع أنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١] إلا أنه في جهة، وفي مكان، ويمس العرش، ويتحرك} نفس الكذب هذا، مما يعده علماء أهل الحق من النقائص، ويرده ابن تيمية لكمالاتٍ لازمة لوجود الله -عَزَّ وَجَل-، أو لأفعاله؛ أي لكونه فاعلًا}.

طبعًا هنا لأنه يثبت بعضها لله هنا نجي ونقول: سبحان الله! سبحان الله! نحن ترى ما كملنا صفحتين، وهذا الفهرس من الكذبات، أين قالها ابن تيمية؟ اثبت أين قالها حتى نبتعد عن ابن تيمية، نحن معك إذا أثبتها، ولكن أين قالها؟

ثم يقول: {فأنت تعلم أن الله نفى بعض النقائص عن ذاته الشريفة تفصيلًا فقال —جل شأنه-: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾[الإخلاص:٣-٤]، ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥]، ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾[المائدة:٦٤]} ما الجديد في كلامك؟ هذا كله مذكورٌ في كل أهل السنة بالتفصيل الذي ذكرته، فما الجديد هنا؟

ثم يقول: {والقاعدة التي ابتدعها ابن تيمية إنما هي لتحقيق غرضه، واستنفاذ شهوته} ما أدري أيش الشهوة هنا؟! سبحان الله! شهوته! على كل حال كلامه طويل، وفي الصفحة المقابلة يقول: {فهو يريد إثبات الجهة ونحن ننفيها، وهو يريد إثبات الحد ونحن ننفيه، وهو يريد إثبات الحيز ونحن ننفيه، وهو يريد —نفس الشيء- يريد إثبات حلول الحوادث، ونحن ننفيه} هكذا ينقض ما شاء الله {الرسالة التدمرية}، فما شاء الله على نقضه، وعلى عقله، وسفسطته، رحم الله شيخ الإسلام.

يقول: {خلاصة ما عندهم السفسطة في العقليات، والقرمطة في السمعيات}.

والله العظيم لما تُكثر من القراءة فيما كتبوه تصل إلى هذه الحقيقة، وتتمثل هذه الحقيقة لك كأنها جبلٌ شامخ، كلما تقرأ لهم تتجلى لك هذه الحقيقة أكثر، {السفسطة في العقليات، والقرمطة في السمعيات}؛ لأن القرامطة ينفون حتى ما يتعلق بالأمر والنهي، أما السفسطائية كما يقولون، يقولون

كما نَقِل عنهم: {أن الحقائق نسبية} هكذا نقضه، وعلى كل حال القاعدة التي ذكره١٥ شيخ الإسلام، والتي نقلها ابن أبي العز هي قاعدة مطردة، ومبنية على استقراء لنصوص الكتاب والسنة.

الله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم.

**أما بعد:-**

لا زلنا مع كلام الإمام ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- حول منهج أهل السنة والجماعة في النفي والإثبات، وأن التفصيل في الإثبات، والإجمال في النفي هذه هي طريقة القرآن، وهي طريقة الأنبياء والرسل كما ذكر هنا؛ (**وَلِهَذَا يَأْتِي الْإِثْبَاتُ لِلصِّفَاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مُفَصَّلًا، وَالنَّفْيُ مُجْمَلًا**) هذا عمومًا (**عَكْسَ طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ بِالنَّفْيِ الْمُفَصَّلِ، وَالْإِثْبَاتِ الْمُجْمَلِ**) وذكرنا السبب في ذلك.

**خلاصته:** أن التوحيد عندهم لا يتحقق إلا بالنفي، فكلما تعمق الرجل في النفي، وكلما أكثر من النفي، وكلما كان أكثر غورًا في النفي كان أقرب إلى التوحيد؛ ولذلك الذين يُكثِرون من النفي يدَّعون أنهم هم الموحدون، هذا المصطلح الذي هو مصطلحٌ شرعي يدعيه مَنْ هو أبعد الناس عن التوحيد، والتالي يُفَصِّلون في النفي، ويُجملون في الإثبات، وهم في إجمالهم للإثبات يتفاتون كما ذكرت.

(**يَقُولُونَ: لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَلَا شَبَحٍ، وَلَا جُثَّةٍ، وَلَا صُورَةٍ، وَلَا لَحْمٍ، وَلَا دَمٍ**) إلى آخر ما ذكروه، بعض ما ذكروه هنا ليس له معنى أصلًا، أصلًا ليس له معنى، هو من سوء الأدب مع الله -عَزَّ وَجَل- ، وإلا ما الذي تريد بقولك: (**وَلَا بِذِي لَوْنٍ، وَلَا طَعْمٍ، وَلَا رَائِحَةٍ، وَلَا مِجَسَّةٍ، وَلَا بِذِي حَرَارَةٍ، وَلَا بُرُودَةٍ، وَلَا رُطُوبَةٍ**) أعوذ بالله، ما الذي تريده؟ هذا بعض الألفاظ.

وأكثرها فيها نفيٌ لبعض الحق الذي أثبتته النصوص، بعضه في أقل الأحوال لا فائدة فيه، إنما فيه سوء أدب مع الله -عَزَّ وَجَل-، وأكثره فيه نفيٌ لما أثبتته النصوص، هذا هو الأكثر.

**مثلًا: (لَيْسَ بِجِسْمٍ).**

**ما هو الجسم في اللغة؟**

الجسم في اللغة هو البدن، وإذا سئلت هل تثبت أن لله -عَزَّ وَجَل- جسمًا بالمعنى اللغوي؟ تنفيه مباشرةً، ولكن هم لا يقصدون هذا.

ما هو الجسم عندهم؟ مختلفون فيه اختلافًا عظيمًا.

**بماذا تتم الجسمية عندهم؟**

ليس لها علاقة باللغة، بالمعنى اللغوي، أحسن ما ذكروه، وأقرب ما ذكروه، أقرب ما هو إلى المعنى اللغوي: {أن الجسم هو المؤلف من أجزاء} يقولون: {فلانٌ أجسم من فلان}؛ أي أكثر أجزاءً؛ لأن الجسم مؤلف من أجزاء، وعلى كلامهم الجسم هو ما تركب من جزأين من الجواهر الفرد فأكثر، والأجسام متماثلة، وتختلف في كثرة الأجزاء وقلتها، أجسم معناه أن جواهره الفردَ أكثر، أن جواهره الفردَ أكثر، هذا أقرب ما ذكروه، أقرب الأقوال إلى المعنى اللغوي، مع أنه بعيد، هل مر هذا على ذهن أي عربي أجسم؛ أي أكثر من حيث الأجزاء الجواهر الفردَ من غيره؟! سبحان الله!

فلذلك أنت لما تطالبهم أصحاب هذه الألفاظ لما تطالبهم بالرجوع إلى اللغة يتضايقون جدًّا، جدًّا يتضايقون؛ لأنك أنت بذلك تجرده عن السلاح المزعوم، لما تستفصله عن المعنى يتضايق، لما تُرجِعه إلى أصل اللغة يتضايق؛ لأن عنده منظومة معينة يريد منك أن توافقه عليها حتى تكون أيضًا مثله في نفي الحق، والتزام الباطل.

**(لَيْسَ بِجِسْمٍ) ما معناه؟**

المعنى في جوف المتكلم.

**والجسمية بماذا تتحقق؟ هل تتحقق بجزأين أو بأربعة أجزاء، أو بستة أجزاء، أو بثمانية أجزاء؟**

الخلاف بينهم:

- جمهور المعتزلة على أن الجسمية تتحقق بثمانية أجزاء حتى يحصل الطول والعرض والعمق.
- بعضهم قالوا: التأليف من جزأين من الأجزاء الفردَ يكفي.
- وبعضهم قالوا: أربعة، كلام فاضي، ليس وراءه معنى.

طيب أنت الآن لما تقول: الله -عَزَّ وَجَل- ليس بجسم، فلا بد تستفصل، ما الذي تنفيه؟ لا يكفيه أن تقره على النفي؟ لا، لا يكفيه، لا بد أن توافقه على هذا النفي، أيضًا لا يكفيه أن يكون نفيك بعد التفصيل أن تقول مثلًا: الجسم لما يكون بمعنى البدن، والذي فيه التأليف، والذي فيه أجزاء، الله -عَزَّ وَجَل- منزهٌ. لا، لا، لا يكفي، هو يريد منك أن تقول: ليس بجسم على المعنى الذي هو يريده.

(**لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَلَا شَبَحٍ، وَلَا جُثَّةٍ**) أعوذ بالله، أي أدبٍ مع الله -عَزَّ وَجَل- تسلكه في هذه الألفاظ الفجة؟! وما الذي تريده؟ ما هو ذلك الحق الذي لم تجده في ألفاظ الكتاب والسنة، ألفاظ الكتاب والسنة لم تسع لهذا الحق، وجئت بهذه الألفاظ لإثبات ذلك، ما هو؟ الحق الذي تريد أن تثبته لم تسعه ألفاظ وجمل الكتاب والسنة أنت تأتي بهذه الألفاظ حتى تثبت ذلك الحق؟ كلا وحاشا، مما يدل على أن هذه الألفاظ في مجملها باطلٌ في باطل، وهي كما قلت: في أقل الأحوال فيها سوء أدب مع الله -عَزَّ وَجَل-، وفي كثيرٍ منها فيها نفيٌ للحق الذي أثبته الله -عَزَّ وَجَل- لنفسه.

هو لما يقول: (**لَيْسَ بِجِسْمٍ**) نحن ما توصلنا معه إلى، ولكن هو ماذا يريد؟ يريد أن إثبات الصفات هذا تجسيم، لا بد أن تنفي الصفات حتى لا تكون مجسمًا عنده، ولا بد أن تقول: (**ليسَ بذي عُمْقٍ، وَلَا اجْتِمَاعٍ، وَلَا افْتِرَاقٍ، وَلَا يَتَحَرَّكُ، وَلَا يَسْكُنُ، وَلَا يَتَبَعَّضُ، وَلَيْسَ بِذِي أَبعَاضٍ وَأَجْزَاءٍ**) هذه كلها لنفي الصفات الخبرية، إذا أثبت لله -عَزَّ وَجَل- صفة اليد، فأنت تثبت له (**أَبعَاضًا وَأَجْزَاءٍ، وَجَوَارِحٍ وَأَعْضَاءٍ، وَلَيْسَ بِذِي جِهَاتٍ**) إذا أثبت العلو لله -عَزَّ وَجَل- فأنت خالفت هذا الفهرس (**لَيْسَ بِذِي جِهَاتٍ، وَلَا بِذِي يَمِينٍ، وَلَا شِمَالٍ، وَأَمَامٍ، وَخَلْفٍ، وَفَوْقٍ، وَتَحْتٍ**) أعطاك كام كلمة لنفي العلو؟ هكذا، سبحان الله!

(**وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْمَمَاسَّةُ**) إذا أثبت أن الله -عَزَّ وَجَل- فوق العرش، كونه فوق العرش يستلزم المماسة، وحتى تفتك من هذه اللعنة لا بد أن تنفي استوائه على العرش حتى لا يستلزم المماسة.

سمعنا في كلام هذاك الأفَّاق من مثل هذه الألفاظ، (**وَلَا الْحُلُولُ فِي الْأَمَاكِنِ**) هذا حق، كما قال المؤلف في الأخير: (**وَفِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ**) والباطل فيها أكثر.

(**وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ الدَّالَّةِ عَلَى حُدُوثِهِمْ**) هذا حق، ولكن معناها عندهم يختلف، إذا قلت: أن الله -عَزَّ وَجَل- ﴿**فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾[البروج:١٦]، وأن من صفاته الاستواء، وأن من صفاته النزول، يتهمك بهذه التهمة أنك تقول بحلول الحوادث بذاته سبحانه، كما سمعنا من هذا الأفَّاق، حلول الحوادث بذاته، سبحان الله!

(**وَلَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ مُتَنَاهٍ، وَلَا يُوصَفُ بِمِسَاحَةٍ، وَلَا ذَهَابٍ فِي الْجِهَاتِ، وَلَيْسَ بِمَحْدُودٍ**) إلى آخره (**وَلَا وَالِدٍ وَلَا مَوْلُودٍ**) هذا حق، (**وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَقْدَارُ، وَلَا تَحْجُبُهُ الْأَسْتَارُ إِلَى آخِرِ مَا نَقَلَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الْمُعْتَزِلَةِ**) وهذا هو دين الأشاعرة والماتريدية.

وأنا ذكرت لكم نموذج من هذا الكتاب، وهذا الكتاب يعتبر متن ملخص لدينهم؛ لذلك سماه [لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة].

يقول المؤلف: (**وَفِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ حَقٌّ وَبَاطِلٌ. وَيَظْهَرُ ذَلِكَ لِمَنْ يَعْرِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَهَذَا النَّفْيُ الْمُجَرَّدُ مَعَ كَوْنِهِ لَا مَدْحَ فِيهِ**) أما كونه فيه مدح فهذا إساءة(٥:١٤)، (**مَعَ كَوْنِهِ لَا مَدْحَ فِيهِ، فِيهِ إِسَاءَةُ أَدَبٍ**)؛ لأنه تفصيلٌ في النفي.

التفصيل في النفي بغير ضرورة تكون فيه إساءة أدب (**فَإِنَّكَ لَوْ قُلْتَ لِلسُّلْطَانِ: أَنْتَ لَسْتَ بِزَبَّالٍ**) وهو صادق في هذا (**وَلَا كَسَّاحٍ**)؛ أي كناس الذي يكنس، (**وَلَا حَجَّامٍ، وَلَا حَائِكٍ**) وهو صادق في هذا كله، ولكن هل يليق بمقامه وهو مخلوق ضعيف مثلك لا يملك من أمره وأمرك شيئًا إذا فصَّلت له في النفي بهذا الشكل (**لَأَدَّبَكَ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا، وَإِنَّمَا تَكُونُ مَادِحًا إِذَا أَجْمَلْتَ النَّفْيَ فَقُلْتَ: أَنْتَ لَسْتَ مِثْلَ أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ، أَنْتَ أَعْلَى مِنْهُمْ وَأَشْرَفُ وَأَجَلُّ، فَإِذَا أَجْمَلْتَ فِي النَّفْيِ أَجْمَلْتَ فِي الْأَدَبِ**) وهذا الذي نجده في الكتاب والسنة، التفصيل في الإثبات، والإجمال في ماذا؟ في النفي.

**(المتن)**

أحسن الله إليكم.

قال -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: (وَالتَّعْبِيرُ عَنِ الْحَقِّ بِالْأَلْفَاظِ الشَّرْعِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ هُوَ سَبِيلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَالْمُعَطِّلَةُ يُعْرِضُونَ عَمَّا قَالَهُ الشَّارِعُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَ مَعَانِيَهَا، وَيَجْعَلُونَ مَا ابْتَدَعُوهُ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ هُوَ الْمُحْكَمَ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَاعْتِمَادُهُ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ وَالْإِيمَانِ فَيَجْعَلُونَ مَا قَالَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ هُوَ الْحَقَّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَاعْتِمَادُهُ، وَالَّذِي قَالَهُ هَؤُلَاءِ إِمَّا أَنْ يُعْرِضُوا عَنْهُ إِعْرَاضًا جُمْلِيًّا، أَوْ يُبَيِّنُوا حَالَهُ تَفْصِيلًا، وَيُحْكَمَ عَلَيْهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَا يُحْكَمُ بِهِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ غَالِبَ عَقَائِدِهِمُ السُّلُوبُ، لَيْسَ بِكَذَا، لَيْسَ بِكَذَا، وَأَمَّا الْإِثْبَاتُ فَهُوَ قَلِيلٌ، وَهِو أَنَّهُ عَالِمٌ قَادِرٌ حَيٌّ، وَأَكْثَرُ النَّفْيِ الْمَذْكُورِ لَيْسَ مُتَلَقًّى عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَا عَنِ الطُّرُقِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي سَلَكَهَا غَيْرُهُمْ مِنْ مُثْبِتَةِ الصِّفَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، فَفِي هَذَا الْإِثْبَاتِ مَا يُقَرِّرُ مَعْنَى النَّفْيِ، فَفُهِمَ أَنَّ الْمُرَادَ انْفِرَادُهُ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، فَهُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مَوْصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهِ رُسُلُهُ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي صِفَاتِهِ وَلَا فِي أَسْمَائِهِ وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، مِمَّا أَخْبَرَنَا بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ، وَلَهُ صِفَاتٌ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ رَسُولُهُ الصَّادِقُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي دُعَاءِ الْكَرْبِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّي».

وَسَيَأْتِي التَّنْبِيهُ عَلَى فَسَادِ طَرِيقَتِهِمْ فِي الصِّفَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَيْسَ قَوْلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ) مِنَ النَّفْيِ الْمَذْمُومِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[فاطر: ٤٤]، فَنَبَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فِي آخِرِ الْآيَةِ عَلَى دَلِيلِ انْتِفَاءِ الْعَجْزِ، وَهُوَ كَمَالُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، فَإِنَّ الْعَجْزَ إِنَّمَا يَنْشَا إِمَّا مِنَ الضَّعْفِ عَنِ الْقِيَامِ بِمَا يُرِيدُهُ الْفَاعِلُ، وَإِمَّا مِنْ عَدَمِ عِلْمِهِ بِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَقَدْ عُلِمَ بِبَدَائِهِ الْعُقُولِ وَالْفِطَرِ كَمَالُ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ، فَانْتَفَى الْعَجْزُ،

**لِمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُدْرَةِ مِنَ التَّضَادِّ، وَلِأَنَّ الْعَاجِزَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.**

**(الشرح)**

ثم بيَّن ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- بيَّن قاعدةً مهمةً جدًّا في باب الأسماء الوصفات، وبيَّن قاعدة أخرى من القواعد المهمة جدًّا في باب توحيد الأسماء والصفات.

**وهذه القاعدة خلاصتها:** الالتزام بالألفاظ الشرعية في باب الأسماء والصفات هذه القاعدة هي من القواعد التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في [التدمرية]، القاعدة الثانية.

**في القاعدة الأولى:** بيَّن شيخ الإسلام أن القرآن فيه أن نصوصه فيها إثبات، وفيها نفي، وعلمنا طريقة النفي والإثبات. هذه القاعدة الأولى.

**القاعدة الثاني:** هذه القاعدة تتعلق بالألفاظ وهي من أهم القواعد في [التدمرية].

**الألفاظ قسمان:**

- **قسمٌ شرعي:** وهذا القسم به ندين الله -عَزَّ وَجَل-، وهذا القسم قد كلفنا به، وهذا القسم يجب الإيمان به حتى ولو لم نفهم معناه، ويجب الإيمان به.

- **وقسمٌ لم يأتِ في الكتاب والسنة:** وغالبه يدخل في سلسلة الألفاظ المجملة.

القسم الثاني ينظر فيه على ضوء القسم الأول، نحن علمنا القسم الأول، **القسم الأول تتطلبه وين؟**

في الكتاب والسنة، الألفاظ الشرعية، هذه الألفاظ لها حرمتها، ويجب الإيمان بها، ويجب الإيمان بمدلولاتها ومعانيها، ويجب الإيمان بها حتى ولو لم تفهم معناها؛ لأنك أنت مكلفٌ بهذه الألفاظ، هذه الألفاظ فيها معاني أنت مكلفٌ بها.

القسم الثاني: ألفاظٌ لم ترد في الكتاب والسنة، هذه الألفاظ في مجملها نسميها الألفاظ المجملة، هذه الألفاظ توزن بالنظر إلى القسم الأول، فما كان من شرعيًّا أقررناه، وما لم يكن منها شرعيًّا رفضناه،

طبعًا هذا الناقد يصيح ويصرخ هنا أيضًا سبحان الله! **لماذا؟** لأنه قاله ابن تيمية، والذي نجده عند المتكلمين ماذا يقول هنا؟

**(وَالتَّعْبِيرُ عَنِ الْحَقِّ بِالْأَلْفَاظِ الشَّرْعِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ هُوَ سَبِيلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَالْمُعَطِّلَةُ يُعْرِضُونَ عَمَّا قَالَهُ الشَّارِعُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَ مَعَانِيَهَا، وَيَجْعَلُونَ مَا ابْتَدَعُوهُ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ هُوَ الْحَكَم الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَاعْتِمَادُهُ).**

المبتدعة عكسوا القضية، جعلوا القسم الثاني هو المحكم، وعلى ضوئه يحكم على القسم الأول، سبحان الله! أين نحن؟ لو كان الجهم بن صفوان هو المرسِل والمرسَل لقلنا –معاذ الله– قلنا: هذا دين، لكن ما دام أن الله –عَزَّ وَجَل– هو الذي أرسل، والمرسَل هو النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم–، وقد أرسِل بألفاظ ونحن ملتزمون بهذه الألفاظ، وما علينا من ألفاظ الجهمية، ألفاظ الجهمية وخرافاتهم وتراهاتهم توزن بالقسم الأول.

فلذلك أقول: دائمًا لا بد أن تعتصم بالألفاظ الشرعية، والألفاظ التي يأتي بها هؤلاء لا توافقهم عليها حتى ولو كان في ظاهره براق، هل هناك مصطلح أحسن من التوحيد؟

ضيعوك حتى في التوحيد، قالوا: {والتوحيد لا يتحقق إلا بالنفي} أعوذ بالله– قالوا: {التوحيد لا يتحقق إلا بنفي اليونانية(٢٣:٤٣)}؛ فلذلك لا توافقهم على ألفاظهم التي هم جاؤوا بها، حتى الألفاظ الشرعية لما يستعملونها كن على حذر شديد في موافقتهم في هذه الألفاظ مع ما يضمون إليه من الباطل(٢٤:٨).

**هذه قاعدة مهمة جدًّا:** أن الألفاظ تنقسم إلى قسمين: ألفاظ شرعية، وألفاظ غير شرعية، والألفاظ غير الشرعية هذه توزن على ضوء القسم الأول.

ولذلك يقول: **(وَالتَّعْبِيرُ عَنِ الْحَقِّ بِالْأَلْفَاظِ الشَّرْعِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ هُوَ سَبِيلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ)**، نحن نتساءل هؤلاء الجهمية المعاصرين منهم والقدامى، نقول لهم: هذه الألفاظ تريدون بها إثبات ماذا؟ تريدون إثبات الحق، طبعًا سيقولون: نعم، طيب، الحق قد أثبته الله –عَزَّ وَجَل– بألفاظٍ أخرى، هل ترضون أن نجنِّب هذه الألفاظ ولو لدقيقة ونمشي؟ أبدًا ما يوافق على ذلك، **لماذا؟**

لأن دينه كله في هذه الألفاظ، جسمٌ وتجسيم، تركيبٌ ومركب، وحيز، ومكان، هذا دينه؛ فلذلك لا يصمد ولو دقيقة لو تخلى عن هذه الألفاظ المجملة، بل إذا تخلى عن هذه الألفاظ فهذه علامة خير، إن شاء الله ستحتضنه الألفاظ الشرعية، ولكنه للأسف الشديد دائمًا يحاكم الألفاظ الشرعية إلى هذه الألفاظ البدعية.

طيب، النصوص الشرعية مثلما ذكر الجويني هنا النصوص الشرعية النصوص التي فيها تشبيه وتجسيم، وفيها إثبات لحلول الحوادث بذاته سبحانه، هذه لا نثبته، والنصوص التي ليس فيها هذا نثبتها، سبحان الله! كلام السلف تفهم جيدًا لما تنظر في طريقتهم، وإلا أحيانًا تظن أنهم طولوا في شيء لا طائل تحته، ولكنه قد ابتلوا بهؤلاء المرضى؛ ولذلك رتبوا لهم العلوم ترتيبًا جيدًا، وأعطوهم، ومع ذلك المريض لا يزيده إلا، الله -عَزَّ وَجَل- يقول عن القرآن: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ﴾ القرآن ﴿عَلَيْهِمْ عَمًى﴾[فصلت:٤٤] القرآن، **لماذا؟** لأنه لم يؤمن به، ولم يستفد منه.

**(وَأَمَّا أَهْلُ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ وَالْإِيمَانِ فَيَجْعَلُونَ مَا قَالَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ هُوَ الْحَقَّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَاعْتِمَادُهُ، وَالَّذِي قَالَهُ هَؤُلَاءِ إِمَّا أَنْ يُعْرِضُوا عَنْهُ إِعْرَاضًا جُمْلِيًّا).**

**هنا أعطانا طريقتين في التعامل مع الألفاظ المجملة:**

الطريقة الأولى كما يقولون هم: طريقة السلف أسلم.

- **الطريقة الأولى**: أن هذه الألفاظ أُعرض عنها إعراضًا جُمليًّا؛ أي كليةً.

قال لك: هل تثبت الجسمية؟ قل له: أنا لا أفصل في هذه ولا أستفصل، ما أدري، انتهينا، تعرض عن هذه الكلمة.

**وأنت لما تعرض عن هذه الكلمة هل ستكون قد عرضت عن شيءٍ من الحق؟**

أبدًا، الحق لا إثباته ولا نفيه ليس محصورًا، وليس محتاجًا إلى هذه الكلمة، أعرض عنها إعراضًا جمليًّا كليًّا وأنت بخير. هذه الطريقة الأولى.

- **الطريقة الثانية:** **(أَوْ يُبَيِّنُوا حَالَهُ تَفْصِيلًا، وَيُحْكَمَ عَلَيْهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَا يُحْكَمُ بِهِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)** الطريقة الثانية التي هي معروفة التوقف في اللفظ والاستفصال في المعنى، بالنسبة للفظ، هذا اللفظ لا نستعمله، ما دام حصل فيه هذا الخلط، وحصل فيه هذا الإجمال، وبدأ هذا اللفظ يوظَّف للتخلص من شيءٍ من الحق، ولإثبات شيءٍ من الباطل، نحن لا نستعمله حتى على المعنى الصحيح، هذا التوقف في اللفظ.

**والاستفصال في المعنى:** تقول له: ماذا تقصد بالجسمية؟ ماذا تقصد بالجهة؟ ماذا تقصد بالحيز؟ ماذا تقصد؟ بعد الاستفصال تحكم عليه على ضوء القسم الأول، فإما الإعراض الكلي، وإما الاستفصال مع التوقف في اللفظ في الحالتين.

**(وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ غَالِبَ عَقَائِدِهِمُ السُّلُوبُ، لَيْسَ بِكَذَا، لَيْسَ بِكَذَا، وَأَمَّا الْإِثْبَاتُ فَهُوَ قَلِيلٌ، وَهِو أَنَّهُ عَالِمٌ قَادِرٌ حَيٌّ)** طبعًا هذه الصفات الثلاثة، الأسماء الثلاثة يقول بها جمهور المعتزلة؛ لذلك ذكرها، جمهور المعتزلة يثبتون العلم والقدرة والحيز، يثبتونها ثم يتفلسفون فيها؛ فلذلك ذكر هذه الصفات الثلاثة، والأسماء الثلاثة.

**(وَأَكْثَرُ النَّفْيِ الْمَذْكُورِ لَيْسَ مُتَلَقًّى عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)** النفي الذي نجده عند أولئك:

- **أولًا: (لَيْسَ مُتَلَقًّى عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ).**
- **ثانيًا:** يتضمن نفي كثيرٍ مما ورد في الكتاب والسنة؛ يتضمن نفيها بألفاظٍ ظاهرها التعظيم لله -عَزَّ وَجَل-.

**مثلًا:** هم يقولون: الله -عَزَّ وَجَل- منزهٌ عن الأعراض، والأبعاض، والأغراض، لما يقول: منزهٌ عن الأعراض، توافقه مباشرة؛ لأن العرض هو الذي يعرض يزول، العرض في عبارة أخرى العرض هو المرض، ولما يقول: الله -عَزَّ وَجَل- منزهٌ عن الأعراض توافقه، ولكنه يقصد شيئًا آخر، يقصد أنه منزهٌ عن أن يتصف بالصفات؛ لأن الاتصاف بالصفات هو حلول الحوادث بذاته، وأن الصفات هي أعراض، وهذه القاعدة يتفق عليها الجميع جهميتهم، معتزلتهم، أشعريتهم، ماتريديتهم، كلهم، مع ذلك لما يأتي الأشعري ويثبت بعض الصفات يستثني هذا من كونها عرضًا، فالمعتزلي يقول: لا،

نحن على الأصل، نحن قلنا: أن الصفات هي أعراض، كيف لك أن تخرج عن القاعدة؟! ولما يقول المعتزلي: بالنسبة للأسماء ليست أعراض يقول الجهمي: لا، نحن على الاتفاق حتى نكون موحدين.

شوف، منزهٌ عن الأعراض، وكيف ينفون الحق بهذه، منزهٌ عن الأبعاض وأنت تظن أنه ينفي عن الله -عَزَّ وَجَل- أنه يتجزأ، وأنه مركبٌ، وأنه، وهو يريد نفي الصفات الخبرية، إثبات اليد له هذا إثبات الأبعاض له، منزهٌ عن الأغراض ينفي بهذا الحكم، والعلل، والغايات الحميدة التي ترجع إليها أفعال الله -عَزَّ وَجَل-.

**(وَلَا عَنِ الطُّرُقِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي سَلَكَهَا غَيْرُهُمْ مِنْ مُثْبِتَةِ الصِّفَاتِ، فَإِنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَل- قَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، فَفِي هَذَا الْإِثْبَاتِ مَا يُقَرِّرُ مَعْنَى النَّفْيِ)** في هذه الآية الله -عَزَّ وَجَل- أثبت ونفى، ولكن معنى النفي نعرفه على ضوء الإثبات، لو كان نفيًا مجردًا لقلنا لهم شيء من الأدلة، لا، هنا إثبات ونفي، أثبت مع ذلك نفى، ولا بد أن تفهم هذا النفي على ضوء ما أثبت، ليس هذا فقط، هذا بعد هذه الآية، الله -عَزَّ وَجَل- ذكر هذه الآية بعد إثبات كثيرٍ من الأسماء والصفات والأفعال، ﴿حم (١) عسق (٢) كَذَلِكَ يُوحِي (٣)﴾[الشورى:١-٣] فعل الله -عَزَّ وَجَل- يوحي إليك الله، ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥)﴾[الشورى:٣-٥]، وعُد، هذه الأسماء كلها تتضمن صفات، ثم في الأخير ذكر أيضًا أن الله -عَزَّ وَجَل- ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

هذه الأفعال والأسماء والصفات التي ذكرها قبل في نفس الآية أيضًا ختمها بالإثبات، إذن تفهم هذا النفي على ضوء هذا الإثبات، وإلا تجتزئ هذه الآية، حتى الآية الواحدة لا تكملها.

**(فَفِي هَذَا الْإِثْبَاتِ مَا يُقَرِّرُ مَعْنَى النَّفْيِ، فَفُهِمَ أَنَّ الْمُرَادَ انْفِرَادُهُ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ)** هذه الصفات التي أثبتها لنفسه **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)**؛ أي إنه منفردٌ في هذه الصفات، وهي صفات الكمال كلها **(فَهُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مَوْصُوفٌ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهِ رُسُلُهُ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ**

**شَيْءٌ فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَسْمَائِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ، مِمَّا أَخْبَرَنَا بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ، وَلَهُ صِفَاتٌ)** طبعًا لا بد أن نؤمن بالصفات، والأسماء التي أخبرنا بها، ونعتقد أن هناك أسماء وصفات لم يخبرنا عنها؛ لذلك يقول: **(وَلَهُ صِفَاتٌ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَ رَسُولُهُ الصَّادِقُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي دُعَاءِ الْكَرْبِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ»)** هذا القسم الأول.

**(«أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ»)** هذا هو الشاهد: **(«أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّي»)** هذا الحديث أفرد له فصلًا كاملًا الإمام ابن القيم في كتابه [شفاء العليل] فصل كامل في شرح هذا الحديث.

**(وَسَيَأْتِي التَّنْبِيهُ عَلَى فَسَادِ طَرِيقَتِهِمْ فِي الصِّفَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى).**

**ختم شرح هذه الجملة بتنبيهٍ مهم وهو**: أن ما نجده من النفي عند الطحاوي ليس مما ذكرناه عن المتكلمين.

**(وَلَيْسَ قَوْلُ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَا شَيْءَ يُعْجِزُهُ مِنَ النَّفْيِ الْمَذْمُومِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[فاطر:٤٤]، فَنَبَّهَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– فِي آخِرِ الْآيَةِ عَلَى دَلِيلِ انْتِفَاءِ الْعَجْزِ، وَهُوَ كَمَالُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ)** إذن هذا النفي يتضمن إثباتًا.

**(فَإِنَّ الْعَجْزَ إِنَّمَا يَنْشَا إِمَّا مِنَ الضَّعْفِ عَنِ الْقِيَامِ بِمَا يُرِيدُهُ الْفَاعِلُ، وَإِمَّا مِنْ عَدَمِ عِلْمِهِ بِهِ)** أنا مثلًا الآن عاجز عن مثلًا أنشئ لكم سيارة عاجز، لماذا؟ لأني لا أدري عنها، ولو أدري عنها كلكم تأخذون سيارات فارهة، والله –عَزَّ وَجَل– لما يخلق هل يعجزه شيء؟ لا يعجزه شيء، لماذا؟ لأنه عالمٌ بتفاصيله، هو الذي خلق، الآن هذا الذي بنى هذا المكون مثلًا، كيف بناه؟ أولًا: حط عنده التفاصيل الدقيقة لهذا المنتج، لو لم تكن هذه التفاصيل عنده ما استطاع أن.

إذن الله -عَزَّ وَجَل- هنا نفى وأثبت؛ نفى العجز، وأثبت لنفسه كمال العلم، وكمال القدرة، (**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَقَدْ عُلِمَ بِبَدَائِهِ الْعُقُولِ وَالْفِطَرِ كَمَالُ قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ، فَانْتَفَى الْعَجْزُ، لِمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُدْرَةِ مِنَ التَّضَادِّ، وَلِأَنَّ الْعَاجِزَ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذِكْرِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا**).

إذن ما ذكره هنا في هذه الفقرة أن هذا النفي ليس من النفي الذي نجده عند المتكلمين:

- **أولًا**: أنه نفى ما نفاه الله -عَزَّ وَجَل-، ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ**﴾[فاطر:٤٤]، ولم نجد في الكتاب والسنة أن الله ليس بجسم، إذن هذا يختلف عن هذا.
- **ثانيًا**: أن هذا النفي ولو كان بعبارةٍ من عنده، إلا أن هذا النفي ليس نفيًا مجردًا، وإنما فيه إثبات، وبالتالي ليس هذا النفي على منهج المتكلمين.
- **ثالثًا**: هذا النفي بعد إثبات، أثبت لله -عَزَّ وَجَل- التوحيد، ونفى عنه الشريك فيما سبق، وهنا نفى ثم أيضًا سيثبت، إثباته يدل على أن ما نجده في كلامه من النفي ليس على طريقة المتكلمين، هذا عمومًا، مع أن هناك جمل سيأتي التحفظ عليها بإذن الله.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحد الحضور: غير مسموع.

الشيخ: حتى المعتزلة يثبتونها.

أحد الحضور: غير مسموع.

الشيخ: لا، ليس بحكم، الأحكام هم يثبتونها حتى بقية الصفات.

أحد الحضور: غير مسموع.

الشيخ: هم يقولون: عالم بذاته.

* * * * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم اغفر لشيخنا ولأشياخه، وللمسلمين.

(المتن)

قال الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:

قال المصنف: (وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ).

قال الشارح -رَحِمَهُ الله-: هَذِهِ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ الَّتِي دَعَتْ إِلَيْهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا، كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَإِثْبَاتُ التَّوْحِيدِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ بِاعْتِبَارِ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ الْمُقْتَضِي لِلْحَصْرِ، فَإِنَّ الْإِثْبَاتَ الْمُجَرَّدَ قَدْ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الِاحْتِمَالُ؛ وَلِهَذَا -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- لَمَّا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[البقرة: ١٦٣] ، قَالَ بَعْدَهُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:١٦٣]، فَإِنَّهُ قَدْ يَخْطُرُ بِبَالِ أَحَدٍ خَاطِرٌ شَيْطَانِيٌّ: هَبْ أَنَّ إِلَهَنَا وَاحِدٌ، فَلِغَيْرِنَا إِلَهٌ غَيْرُهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[البقرة:١٦٣]، وَقَدِ اعْتَرَضَ صَاحِبُ الْمُنْتَخَبِ عَلَى النَّحْوِيِّينَ فِي تَقْدِيرِ الْخَبَرِ فِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالُوا: تَقْدِيرُهُ: لَا إِلَهَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ: يَكُونُ ذَلِكَ نَفْيًا لِوُجُودِ الْإِلَهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ نَفْيَ الْمَاهِيَّةِ أَقْوَى فِي التَّوْحِيدِ الصِّرْفِ مِنْ نَفْيِ الْوُجُودِ، فَكَانَ إِجْرَاءُ الْكَلَامِ عَلَى ظَاهِرِهِ وَالْإِعْرَاضُ عَنْ هَذَا الْإِضْمَارِ أَوْلَى.

وَأَجَابَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ الْمُرْسِيُّ فِي [رَيِّ الظَّمْآنِ] فَقَالَ: هَذَا كَلَامُ مَنْ لَا يَعْرِفُ لِسَانَ الْعَرَبِ، فَإِنَّ (إِلَهَ) فِي مَوْضِعِ الْمُبْتَدَأِ عَلَى قَوْلِ سِيبَوَيْهِ، وَعِنْدَ غَيْرِهِ اسْمُ لَا، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَلَا بُدَّ مِنْ خَبَرٍ لِلْمُبْتَدَأِ أو لـ(لا)، فَمَا قَالَهُ مِنَ الِاسْتِغْنَاءِ عَنِ الْإِضْمَارِ فَاسِدٌ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِذَا لَمْ يُضْمَرْ يَكُونُ نَفْيًا لِلْمَاهِيَّةِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لِأَنَّ نَفْيَ الْمَاهِيَّةِ هُوَ نَفْيُ الْوُجُودِ، لَا تُتَصَوَّرُ الْمَاهِيَّةُ إِلَّا مَعَ الْوُجُودِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ لَا مَاهِيَّةَ وَلَا وُجُودَ. وَهَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ، خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ، فَإِنَّهُمْ يُثْبِتُونَ مَاهِيَّةً عَارِيَةً مِنَ الْوُجُودِ، (وَإِلَّا اللَّهُ) مَرْفُوعٌ بَدَلًا مِنْ لَا إِلَهَ لَا يَكُونُ خَبَرًا لِـ(لَا)، وَلَا لِمُبْتَدَأ. وَذَكَرَ الدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ.

وَلَيْسَ الْمُرَادُ هُنَا ذِكْرَ الْإِعْرَابِ، بَلِ الْمُرَادُ دفْعُ الْإِشْكَالِ الْوَارِدِ عَلَى النُّحَاةِ فِي ذَلِكَ، وَبَيَانُ أَنَّهُ مِنْ جِهَةِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَهُوَ فَاسِدٌ: فَإِنَّ قَوْلَهُمْ: في الْوُجُودِ لَيْسَ تَقْيِيدًا، لِأَنَّ الْعَدَمَ لَيْسَ بِشَيْءٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم:٩]، وَلَا يُقَالُ: لَيْسَ قَوْلُهُ: غَيْرُهُ كَقَوْلِهِ: إِلَّا اللَّهُ؛ لِأَنَّ غَيْرَ تُعْرَبُ بِإِعْرَابِ الِاسْمِ الْوَاقِعِ بَعْدَ إِلَّا، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ لِلْخَبَرِ فِيهِمَا وَاحِدًا؛ فَلِهَذَا ذَكَرْتُ هَذَا الْإِشْكَالَ وَجَوَابَهُ هُنَا.

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم.

**أما بعد:-**

يقول الإمام الطحاوي -رَحِمَهُ الله-: وهو بصدد إثبات توحيد الله -عَزَّ وَجَل-، يقول: (**وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ**) هذه الجملة التي ذكرها الإمام الطحاوي هي مطابقةٌ لكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، (لا إله إلا الله) فيها نفيٌ وإثبات، والإثبات هو الذي بعد أدوات الاستثناء (إلا الله)، أما النفي فما قبله (لا إله) (٤:١٦)، الفرق أن الإثبات هنا بأدوات الاستثناء، وهناك بقوله: (لا إله غيره).

**وقد وردت هذه الجملة في عددٍ من الآيات:**

في قول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾[الأعراف:٦٥].

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[الأعراف:٧٣] إلى غيرها من الآيات.

وأيضًا ورد في حديث الاستفتاح، قال النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «**سُبْحَانَك اللَّهُم وَبِحَمْدِك**» فيها إثبات وتنزيه «**تَبَارَك اسْمك، وَتَعَالَى جَدُّك، وَلَا إِلَه غَيْرُك**» والحديث أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وقبله الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري -رَضِيَ الله عَنْهُ-.

و«غَيْرُك» معناه هنا سواك، وهو معنى الاستثناء في (إلا الله).

(**لَا إِلَه غَيْرُه**) ذكر الإمام ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- فيما سبق شيئًا مما يتعلق بمعنى هذه الجملة، في صفحة ٢٩ عندما قال: (**وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ النَّظَرِ يَزْعُمُونَ أَنَّ دَلِيلَ التَّمَانُعِ هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى**) ثم ما ذكر أن (**وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، بَلِ التَّوْحِيدُ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَنَزَلَتْ بِهِ الْكُتُبُ، هُوَ تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ الْمُتَضَمِّنُ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ كَانُوا يُقِرُّونَ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ خَالِقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحِدٌ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[الزمر:٣٨]، ﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٨٥)﴾[المؤمنون:٨٤-٨٥]) قال: (**وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ**).

هذا كله يتعلق بمعنى الألوهية التي وردت في كلمة الشهادة، معرفة معنى الألوهية التي وردت في كلمة الشهادة نعرفها بالنظر إلى اللغة، ونعرفها أيضًا بالنظر إلى حال المشركين، ما الذي كان ثقيلًا عليهم؟ ما الذي لم يعترفوا به؟ هذا يساعدنا أيضًا في معرفة معنى الألوهية؛ لأن الألوهية لو كانت بمعنى الربوبية، وكانوا يعترفون بالربوبية، فلماذا يستثقلون هذه الكلمة؟

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[الشورى:١٣]، لماذا كبر عليهم؟ ولماذا كانوا يستكبرون لما يقال لهم: لا إله إلا الله، لماذا يستكبرون؟ هذا أيضًا يساعدنا على معرفة معنى هذه الكلمات.

وقال: (**وَلَمْ يَكُونُوا يَعْتَقِدُونَ فِي الْأَصْنَامِ أَنَّهَا مُشَارِكَةٌ لِلَّهِ فِي خَلْقِ الْعَالَمِ**) إلى آخر ما ذكر.

إذن (**لا إله غيره**) أو (**لا إله إلا الله**) الإله هنا وفي غيره أيضًا بمعنى المألوه، الإله من أله يأله إلهًا، وهو بمعنى مألوه، مثل الكتاب بمعنى مكتوب، والفراش بمعنى مفروش، وهكذا، هو مألوه وليس آالِه، وبمعنى مألوه، وليس بمعنى آالِه كما يزعمه المبتدعة، إذن (الإله) معناه المعبود.

وكما تعرفون اختلف أهل البدع في معنى الألوهية في هذه الكلمة، وفي غير هذه الكلمة، ولهم في ذلك أقوال، ونحن هنا نركز على قول الأشاعرة؛ لأن منازعتهم وتشويشهم هو الذي أكثر، هم يزعمون

أن الإله معناه القادر على الاختراع، وبعد تطويرهم للمذهب بدأوا يقولون: الإله بمعنى الواجب الوجود، وبعد تطويرهم أكثرهم بدأوا يركبون أيضًا جمل أخرى ويضمونها إلى كونه واجب الوجود.

لو كانت هذه الكلمة الألوهية بمعنى الربوبية:

**أولًا: لماذا لم يعترفوا بها المشركون؟ ما الإشكال عندهم؟ أليست المسألة واضحة جدًّا؟**

إنما هو الهوى والبدع التي تحكمت، وإلا ما دام أن المشركين يعترفون بأن الله -عَزَّ وَجَل- هو الذي خلق السماوات والأرض، وهو الذي سخر الشمس والقمر، وهو الذي بدل الأمور، فلماذا لا يقولون: (لا إله إلا الله)؟

هذا سيأتي في كلام الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ الله- سنقرأه كاملًا لأن كلامه جميل جدًّا؛ لأن له تعليق على كلام صاحب [المنتخب]، وأيضًا له تعليق على كلام المرسي، وكلامه جميل يلخص هذه المسألة.

بالنظر إلى (١١:٥٦) الألوهية أَلَهَ يَأْلَهُ إلهةً، وألوهةً، وألوهيةً بمعنى عبد يعبد عبادةً عبوديةً لفظًا ومعنى.

ويقول أحد الشعراء، يقول: (**لِلَّهِ دَرُّ الغانِياتِ المُدَّهِ**)؛ أي التي تمدح (**المدَّهِ**) التي تمدح، (**سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي**) أي من عبادته، استكبرنا واستعجبنا من (**تألهي**) فالمادة هنا مادة العبادة وليست مادة السيادة.

**وعلى مذهب المتكلمين لا يكون مألوهًا، بل يكون ماذا؟**

آلهًا.

**ويقول أيضًا أحد الشعراء:**

**تـروَّحـنـا مـن الأعـبـاء عصـــرًا فـأعـجـلـنـا الإلاهـة أن تـؤوبـا**

(**فأعجلنا الإلاهة**)، (**الإلاهة**) هي الشمس، يطلقون عليها أنها (**إلاهة**)؛ لأنهم يعبدونها، وأنهم يعتقدون أنها مسخرةٌ لهم، لا يعتقدون فيها(١٣:٢٤)، يقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾[العنكبوت:٦١]، إذن هم

يعتقدون أن هذه الشمس هي مسخرةٌ، مدبرةٌ، مخلوقةٌ، من خلقها؟ الله -عَزَّ وَجَل-، مع ذلك يسمونها آلهة.

**لماذا يسمونها آلهة؟**

لأنهم يعبدونها؛ لأنهم يصرفون لها العبادة.

**أيضًا واقعهم أن الرب عندهم واحد، والآلهة عندهم كثر، لماذا؟**

لأن عندهم فرق بين الخالق والمدبر، وبين من يستحق العبادة، الذين يستحقون العبادة كثر، ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص:٥] كثر، ولا يجوز أن يحصل هذا في إله الإلهة كما يقولون، هم يطلقون على الله -عَزَّ وَجَل- أنه إله الآلهة، أنه كبير الآلهة، ولكن معلوم أنه هو الذي يستحق العبادة. هذا كله يساعدنا في معرفة معنى الألوهية.

إذن في اللغة، بالنظر إلى اللغة الربوبية تختلف عن الألوهية، الألوهية عبادة، والربوبية سيادة، الله -عَزَّ وَجَل- من معاني الربوبية أنه خالق، وأنه رازق، وأنه يميت، وأنه يحيي، وهذه كلها معاني الربوبية.

مع هذا كله نجد أن كثيرًا من المبتدعة وخاصةً الكلابية ومن تبعهم من الأشاعرة والماتريدية يرون أن لا إله إلا الله معناها لا قادر على الاختراع إلا الله -عَزَّ وَجَل-، والغريب أن المتكلمين كلامهم في هذا لما تقرأ في كتب المتكلمين التي ألفوها في معاني أسماء الله -عَزَّ وَجَل- كتاب الرازي، كتاب الغزالي، أيضًا الكتب الأخرى نسيت مؤلفيها، هناك يقولون: (أن الإله، وأن الله) معناه القادر على الاختراع، مع أنه في ثنايا كلامهم في مناسبات مختلفة ذكروا أن الإله معناه المعبود، منهم الرازي الذي ذكر هذا في هذا كتاب [لوامع البينات] أظن الذي ألفه في الأسماء الحسنى، وفي تفسيره في آية ذكر أنه: {لا يجوز أن تقول: أن الإله هنا بمعنى الربوبية، لا، الإله هنا بمعنى المعبود}، ولكن المذهب الرسمي عندهم أن الإله ومعنى كلمة الله أنه هو القادر على الاختراع.

هذا كله كما قلت يبين أن معنى الألوهية هي العبودية، سنزيدها شرحًا أيضًا لما نتحدث عن التقدير.

**(هَذِهِ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ الَّتِي دَعَتْ إِلَيْهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا، كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَإِثْبَاتُ التَّوْحِيدِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ بِاعْتِبَارِ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ الْمُقْتَضِي لِلْحَصْرِ).**

(لا إله غيره)، أو (لا إله إلا الله) فيها نفي وإثبات، وهذا يفيد الحصر والقصر؛ لأن الإثبات المجرد لا ينفي المشاركة، ولا ينفي الشريك، والنفي المجرد تعطيلٌ وإلحاد، والتوحيد المحض لا يتم إلا بالإثبات والنفي كما في كلمة الشهادة.

(**الْمُقْتَضِي لِلْحَصْرِ، فَإِنَّ الْإِثْبَاتَ الْمُجَرَّدَ قَدْ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الِاحْتِمَالُ**).

**بماذا يتطرق إليه الاحتمال؟**

لأنك أثبت فقط، وهذه عقيدة المشركين، المشركون كانوا يعتقدون باستحقاق الله -عَزَّ وَجَل- للعبادة لا يخالفون في هذا، يثبتون هذا، ولكن بماذا ترد عليهم؟ ترد عليهم وتبطل مذهبهم بحصر استحقاق العبادة في الذات المقدسة لله -عَزَّ وَجَل-.

(**وَلِهَذَا -وَاللَّهُ أَعْلَمُ-**) يقول المؤلف: **وَلِهَذَا -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- لَمَّا قَالَ سبحانه:** ﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾[البقرة:١٦٣] ، **قَالَ بَعْدَهُ:** ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾[البقرة:١٦٣]، **فَإِنَّهُ قَدْ يَخْطُرُ بِبَالِ أَحَدٍ خَاطِرٌ شَيْطَانِيٌّ: هَبْ أَنَّ إِلَهَنَا وَاحِدٌ، فَلِغَيْرِنَا إِلَهٌ غَيْرُهُ**) إن أثبتنا أن إلهنا يستحق العبودية، وغيرها إذن يستحق، (**فَقَالَ سبحانه:** ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**﴾[البقرة:١٦٣]) إذن بالإثبات والنفي يتم التوحيد.

إلى هنا تحدث المؤلف عن الجملة هذه كلمة الشهادة، لم يتحدث هنا عن التقدير، إنما ذكر نقل كلام صاحب [المنتخب]، ثم إجابة المرسي على كلامه واكتفى به، ولم يذكر ما الذي يقدَّر؛ لأن (لا إله إلا الله) لا بد فيها من الإضمار كما قرر هنا، لا بد فيها من الإضمار، **ولكن ما الذي نضمره؟**

ذكر كلام النحاة ودافع عنهم، وهل هذا الذي يعتقده؟ أنا أستبعد.

**هل هذا الذي يعتقده ابن أبي العز؟**

هذا أنا أستبعده، ولكن لم يذكر ما الذي يجب هنا، وما هو المضمر، والذي تكلم وأحسن فيه جدًّا هو الشيخ الإمام ابن باز، وسنقرأ كلامه الجميل.

(**وَقَدِ اعْتَرَضَ صَاحِبُ [الْمُنْتَخَبِ]**) طبعًا لم أعرفه، أو الذين كتبوا اختلفوا فيه أيضًا من هو، الله أعلم.

(**عَلَى النَّحْوِيِّينَ**) هذا الذي ذكره صاحب [المنتخب] ذكره الرازي أيضًا في تفسيره، نفس الكلام ذكره الرازي في تفسيره، مما يدل على أنه قبل الرازي.

يقول: (**وَقَدِ اعْتَرَضَ صَاحِبُ [الْمُنْتَخَبِ] عَلَى النَّحْوِيِّينَ فِي تَقْدِيرِ الْخَبَرِ فِي (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)، فَقَالُوا: تَقْدِيرُهُ: لَا إِلَهَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ**).

**هكذا قاله من؟**

النحاة، النحاة قالوا: (**لَا إِلَهَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ**) (**فِي الْوُجُودِ**) يكون خبرًا لـ(لا)، (**فَقَالَ: يَكُونُ ذَلِكَ نَفْيًا لِوُجُودِ الْإِلَهِ**).

**هذا الاعتراض ممن؟**

من صاحب [المنتخب]، والمعترض عليهم هم النحاة عمومًا.

يقول: أن هذا الذي قدروه فيه نفي الوجود، (**وَمَعْلُومٌ أَنَّ نَفْيَ الْمَاهِيَّةِ أَقْوَى فِي التَّوْحِيدِ الصِّرْفِ مِنْ نَفْيِ الْوُجُودِ**) أنت إذا كنت بين خيارين نفي الوجود ونفي الماهية، فنفي الماهية أبلغ في التوحيد من نفي الوجود؛ لأنك إذا نفيت الوجود لم تنفي الماهية، وإذا نفيت الماهية نفيت الوجود أيضًا، فيكون نفي الماهية أبلغ في التوحيد، وبالتالي (**فَكَانَ إِجْرَاءُ الْكَلَامِ عَلَى ظَاهِرِهِ وَالْإِعْرَاضُ عَنْ هَذَا الْإِضْمَارِ أَوْلَى**).

هذا الإضمار على قول صاحب [المنتخب] يضعِف قوة النفي هنا، إذا لم نضمر ونقول: (لا إله)، ونسلط النفي على الكلمة على اسمها نسلط بالإضمار، فهذا أبلغ، **لماذا أبلغ؟**

هناك فرقٌ بين الوجود والماهية: نفي الوجود لا يستلزم نفي الماهية، نفي الماهية يستلزم نفي الوجود، فهو أبلغ، هذا على الفرق بين الماهية والوجود.

والفرق بين الماهية والوجود أول من ذهب إليه هو أرسطو، أو من ذهب إليه في هذه المسألة هو أرسطو، وأرسطو اعترض بهذا على شيخه أفلاطون، أفلاطون لما عارض الشُّكَّاك السفسطائية، السفسطائية كانوا يرون أن الحقيقة نسبية، لا تستطيع وتجزم وتقول: أن هذا ماء، لا تستطيع، قد يكون لبنًا، وقد يكون شيء آخر، طيب ما هو الفيصل بيني وبينك؟ الأدلة التي أدلي بها، والأدلة التي تدلي

بها، تعال، من البداية لا يحق لك أن تقول مثلًا: أن هذا جوال لا، قد يكون غير، هذا مذهب الشكاك السفسطائية.

لذلك الذي ينكر الحقائق يقال عنه أن فيه سفسطة، أنه ينكر الحقائق والضروريات التي يقول بها جميع العقلاء، هناك ضروريات يقول بها جميع العقلاء، السفسطائيون ينكرونها، والحقيقة عندهم نسبية، أراد أفلاطون أن يواجه هؤلاء، فجاء بنظرية المُثُل.

**وخلاصة هذه النظرية:** أن هذا العالم المشاهد الذي استطعتم أن تشككوا فيه هذا العالم المشاهد ليس إلا صورة للعالم المُثُل الذي فوق، هناك عالم آخر ليس في متناول أيديكم أيها الشكاك، فعارضه تلميذه أرسطو، وقال: نحن ما استطعنا أن ننجي هذا العالم الذي نشاهده، فكيف تأتي بعالم تفترضه وهو عالم فوق، ليس الأدلة على هذا، رد على شيخه.

ولكنه أخذ منه جزءًا من الفكرة، وقال: جميع الأمور الموجودة فيها أمران: الوجود الذي تشاهده، والماهية التي هي حقيقة هذا الشيء، أنت بإمكانك أن تعرِّف القلم بالنظر إلى هذا الوجود، ولكن الذي سيعرِّف به تعريفًا وهو الحد المنطقي، وبه تعرف حقيقته هو معرفة الماهية، وهو الذي لا يعرفه إلا أرسطو وأتباعه، إذن فيه وجود وماهية.

**هذه الفكرة أخذها ممن أن هناك جزء غير مشاهد؟**

هذه الفكرة أخذها من شيخه، وهذه الفكرة أخذها المعتزلة وهم تجدهم يتعطشون إلى مثل هذه الخرافات التي هي أليق بعقولهم، ويعتبرونها فوائد، وقالوا: هناك فرقٌ بين الماهية والوجود.

ومن هذا الأساس انطلق [صاحب المنتخب] وقال: {نفي الوجود لا يستلزم نفي الماهية، وبالتالي لا ينبغي أن نقدِّر حتى لا تنزل قوة الجملة، فنبقيه بدون إضمار حتى يكون النفي مسلطًا على الذات وعلى الماهية} هذا كلام من؟ صاحب [المنتخب] ردًّا على النحاة، **خلاصته:** أنه مع الإضمار يرجع النفي إلى الوجود، ومع عدمه يرجع النفي إلى الماهية.

(**وَأَجَابَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ الْمُرْسِيُّ فِي [رَيِّ الظَّمْآنِ]**) طبعًا هذا الكلام الذي نقله ابن أبي العز موجود في [طبقات الشافعية الكبرى]، وابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- لم ينقل كلامه كله؛ لأن له رأيًا آخر لم ينقله، وله رأيٌ آخر في الرد على صاحب [المنتخب].

(**أجاب الْمُرْسِيُّ فِي [رَيِّ الظَّمْآنِ فَقَالَ: هَذَا كَلَامُ مَنْ لَا يَعْرِفُ لِسَانَ الْعَرَبِ**) بغض النظر عن الدليل خلاصة كلام صاحب [المنتخب]: أننا لا نضمر، وأن الكلام بغير الإضمار يتم، بل هو أبلغ. هذه خلاصة كلامه.

يقول: (**هَذَا كَلَامُ مَنْ لَا يَعْرِفُ لِسَانَ الْعَرَبِ، فَإِنَّ (إِلَهَ) فِي مَوْضِعِ الْمُبْتَدَأِ عَلَى قَوْلِ سِيبَوَيْهِ**) سيبويه إمام النحاة توفي سنة ١٨٠هـ، وكان من اللغويين الذين على منهج أهل السنة سيبويه.

(**وَعِنْدَ غَيْرِهِ اسْمُ لَا**) وهذا هو الأكثر؛ لأن الـ(لا) النافية للجنس تتدخل على المبتدأ والخبر وتعمل عمل (إنَّ وأخواتها)، (لا) النافية هي تقريبًا خمسة أنواع كما ذكرها ابن هشام منها: (لا النافية للجنس) هذه تعمل عمل (إن): {إن زيدًا قائمٌ} إذن اسمها يكون منصوبًا، {قائمٌ} هذا مرفوع، ولما يكون مبتدأً وخبر أيضًا سيكو مرفوع، أليس كذلك؟ فإذن هو ينسخ ويغير إعراب الاسم الذي في الأصل مبتدأ، يعمل عمل (إن).

وهناك (لا) الذي يعمل عمل (ليس) وهو ليس نافيًا للجنس، بالنسبة لـ(لا) النافية للجنس يقال لها: لا النافية للجنس؛ لأنه لا يجوز أن تقول: {لا رجل في الدار، بل رجلان} لا يجوز، ولكن هذا يجوز في (لا) التي هي نافية وتعمل عمل ليس، تقول: {لا رجلٌ في الدارِ بل رجلان}، أما في (لا) النافية للجنس لا يجوز؛ لأنها تنفي جنس الرجال.

(**وَعِنْدَ غَيْرِهِ اسْمُ لَا، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَلَا بُدَّ مِنْ خَبَرٍ لِلْمُبْتَدَأ، أو فَمَا**) نحن عندنا (وإلا) هذا خطأ، (**فَلَا بُدَّ مِنْ خَبَرٍ لِلْمُبْتَدَأ، أو لـ(لا)**).

إذا كان خبر لمبتدأ على قول سيبويه فيحتاج إلى خبر، إذا كان (لا) نافية للجنس، و(إله) اسمه، فلا بد من الخبر.

(**فَمَا قَالَهُ مِنَ الِاسْتِغْنَاءِ عَنِ الْإِضْمَارِ فَاسِدٌ**) **هو رده على ماذا؟**

على الاستغناء عن الإضمار، لا بد من الإضمار، سواءً قلت: أنه مبتدأ، فلا بد من خبر له، وسواءً قلت: أنه (لا) نافية للجنس، و(إله) اسم لا، فلا بد من تقدير الخبر ل(لا). إذن رده منصبٌّ على الاستغناء عن التقدير، فلا بد من التقدير، ولا بد من الإضمار.

**والمضمر ماذا يكون؟**

والمضمر سيكون خبر (لا) النافية للجنس، وذكرنا أن (لا) النافية للجنس تعمل عمل (إن).

**طيب، لماذا حذف الخبر ووقع هذا ال؟**

الخبر حُذِفَ لأن معناه عند السامعين واضح وظاهر، طبعًا مع أن (لا) النافية للجنس تعمل عمل (إن وأخواتها) ومع ذلك هناك فروق أظن ست أو سبع ذكرها أيضًا ابن هشام.

**هناك فروق، من هذه الفروق**: أن خبر (لا) النافية للجنس الحذف فيه أكثر.

**ولكن الحذف متى يكون؟**

لما يكون المعنى واضحًا وظاهرًا.

بل هناك لغة ذكرها أنها لا تعرف إلا الحذف، إذن العرب يحذفون الخبر، خبر (لا) إذا كان واضحًا، إذن الخبر لا بد من تقدير الخبر، ولا بد من العلم أيضًا أن المحذوف ظاهر، واضح عند المستمعين.

**يقول ابن مالك في هذا:**

**وشـــاع في ذا الباب إســـقاط خبر  إذا الـمرادُ مع ســـقوطـه ظـهـر**

وكما قلت: هذا من الفروق السبعة والستة ما أذكر التي ذكرها بين (لا) التي تعمل عمل (إن) وبين (إن وأخواتها).

**والسؤال هنا، هذا السؤال مهم جدًّا الذي سأذكره: ما هو هذا الخبر المحذوف والذي حُذِفَ لظهوره، ما هو الظاهر هنا؟ هذا كيف نعرفه؟**

بالنظر إلى معارضة المشركين، ما الذي كانوا ينكرونه؟ وما الذي كانوا يقرون به؟

أبو طالب مثلًا عند وفاته يطالبه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أن يقول: «لَا إِلَه إِلَّا الله كَلِمَةً أُحَاج بِهَا عِنْدَ الله» ولم يرضى أن يتلفظ بها، مع أنه يقر بالربوبية -أليس كذلك؟- هو وغيره، آخر ما قال: (أنه على دين عبد المطلب).

أليس المعنى واضح عند أبي المطلب وعند غيره من المشركين؟ لذلك ينعى الشيخ محمد على هؤلاء ويقول: {تبًّا لمن كان المشركون أعلم بمعنى هذه الكلمة منه}.

إذن الخبر المحذوف هنا هو واضح عند المستمعين، وللأسف هذه المدارس التي كانت عبئًا، إلى الآن المسألة ليست واضحة عندهم، بل الواضح عندهم هو ذلك المعنى الذي كان يقر به المشركون.

يقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[الصافات:٣٥]، ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾[الصافات:٣٥]، ويقول سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ﴾[الصافات:٣٦] هم، الله -عَزَّ وَجَل- ينقل عنهم ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾[الصافات:٣٦].

**وكما عرفنا أنهم لم يكونوا ينازعونه في الربوبية، ولا في كونه إلهًا يستحق العبادة، إنما كانوا ينازعونه في ماذا؟**

في استحقاقه فقط للعبودية والألوهية.

إذن المعنى الذي يعلمه المستمعون وهو واضحٌ عندهم، وهو ظاهرٌ عندهم هو الذي كانوا ينازعون فيه، وهو استحقاقه لتفرده الألوهية والعبادة، وبالتالي الخبر الذي حُذِف هو ذلك.

ولذلك نقول: أن المضمر هنا (حقٌّ أو بحقٍّ)، (لا إله حقٌّ أو بحقٍّ إلا الله)، **ومعنى الألوهية**: هي العبادة كما ذكرنا سابقًا.

وبهذا نعرف أن ما يذكره هؤلاء لا يستقيم حتى في الإعراب، ولا يستقيم معنًى؛ لأنهم يخلطون بين الربوبية والألوهية.

طبعًا هذا الخلط قديم، ولكن إبراز هذه المسألة كان أكثر بعد دعوة الشيخ محمد لما أبرز هذا وكلامه عن التوحيد، وكتبه عن توحيد الألوهية، وأن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة الأقسام: توحيد الألوهية، وتوحيد

الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهناك قسمٌ مستقل يمنعهم من الشرك، هذا الذي أقضَّ مضاجعهم، قسمٌ مستقل وهو توحيد الألوهية هذا القسم يمنعهم من الشرك الذي يزاولونه ويدعون إليه.

إذن قضية الإضمار نحن مع القول الذي يرى: أنه لا بد من الإضمار، مع أن هناك أيضًا قولًا يقول بالاستغناء عن الإضمار، وأنه أيضًا له وجه في اللغة، وأنا لم أتمعن في هذا القول.

نقول: بالإضمار، والمضمر والمقدر هو خبر (لا) وقد حذف لعلمه؛ لكونه معلوم وواضحًا وظاهرًا عند المستمعين، وهذا الوضوح نعرفه بالنظر إلى حال المشركين.

**(وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِذَا لَمْ يُضْمَرْ يَكُونُ نَفْيًا لِلْمَاهِيَّةِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ) لا زال الكلام لمن؟**

للمرسي، لمحمد بن أبي الفضل المرسي.

**(وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِذَا لَمْ يُضْمَرْ يَكُونُ نَفْيًا لِلْمَاهِيَّةِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لِأَنَّ نَفْيَ الْمَاهِيَّةِ هُوَ نَفْيُ الْوُجُودِ)** وهذا هو الوجود، وهذا الأمر يتفق فيه أهل السنة مع الأشاعرة، ومع الماتريدية، باستثناء بعض الأشاعرة المتأخرين المتفلسفين الذين أحيانًا يقولون بالفرق بين الوجود والماهية في المرحلة الأخيرة الأشعرية المتفلسفة، وإلا مذهب الأشاعرة عمومًا أنه لا فرق بين الماهية والوجود.

**(فَلَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لِأَنَّ نَفْيَ الْمَاهِيَّةِ هُوَ نَفْيُ الْوُجُودِ، لَا تُتَصَوَّرُ الْمَاهِيَّةُ إِلَّا مَعَ الْوُجُودِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ لَا مَاهِيَّةَ وَلَا وُجُودَ)** لا فرق بينهما سواءً نفيت الماهية، وسواءً نفيت الوجود، إذا نفيت الماهية يستلزم نفي الوجود، وإذا نفيت الوجود يستلزم نفي الماهية.

**(وَهَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ) هذا من يقوله؟**

المرسي.

**(خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ، فَإِنَّهُمْ يُثْبِتُونَ مَاهِيَّةً عَارِيَةً مِنِ الْوُجُودِ).**

**إذا تذكرتم خلاف المتكلمين في شيئية المعدوم هل المعدوم شيء أو لا؟ مسألة طويلة الذيل، هل المعدوم شيء؟**

ركزوا على السؤال: هل المعدوم؟ سميته ماذا؟ معدوم، هل المعدوم شيء؟ طيب أنت سميته معدوم، كيف يكون شيئًا؟ إذا كنت تريد أنه شيء باعتبار إمكان تصوره، نعم هو شيء، والعقل يتصور أمور مستحيلة، ليس هناك حاجز بينه وبين التصور.

أما إذا كنت تريد بالشيئية الثبوت، فأنت سميته معدوم، غريب جدًّا أن تكون مثل هذه الخلافات أشكلت الأمة، هل المعدوم شيء؟ إذن هو ليس بشيء، بالنظر إلى الثبوت ليس بشيء، أما بالنظر إلى إمكانية التصور، نحن مع أن العقل يتصور أمورًا موجودة وغير موجودة.

**هم يثبتون ماهيةً عاريةً من الوجود، لماذا؟**

لأنهم يثبتون شيئية المعدوم.

**مثلًا:** فلان الذي وُلِد هذا شيءٌ ثابتٌ في العدم عند المعتزلة، الشيء الموجود الفلاني هذا ثابتٌ في العدم، **ما الذي حصل لما ولد؟ وما الذي حصل لما وُجِد؟**

الظهور، وإلا هو ثابت، هذا أخذوها من فكرة الماهية عند أرسطو، وكما قلت: أرسطو أخذها من شيخه.

**(خِلَافًا لِلْمُعْتَزِلَةِ، فَإِنَّهُمْ يُثْبِتُونَ مَاهِيَّةً عَارِيَةً مِنَ الْوُجُودِ) لماذا؟**

لأنهم يقولون بشيئية المعدوم.

طيب، الآن يُعرِب كلمة (**إلا الله**)، ((**إِلَّا اللَّهُ مَرْفُوعٌ بَدَلًا مِنْ (لَا إِلَهَ) لَا يَكُونُ خَبَرًا لِـ(لَا)، وَلَا لِلْمُبْتَدَأ**).

خبر (لا) ما هو؟ هو المقدر، أليس كذلك؟ إذن (إلا الله) ليس خبر لمبتدأ، وليس خبرًا ل(لا)، خبر المبتدأ مقدَّر، وقد قدرناه (حق)، وأيضًا خبر (لا) مقدَّر وهو (حق) إذن بقي (إلا الله) وهو مرفوعٌ على البدلية، ولكنه بدل عن ماذا؟

**هنا بدلًا من (لا إله) فيكون بدلًا من ماذا؟**

بدلًا من الاسم، والاسم منصوب، ولكنه في محل رفع، هو مبني وليس منصوبًا، (لا إله) بالنسبة لـ(لا النافية للجنس) اسمها يكون في محل نصبٍ، ويكون مبنيًّا.

**لماذا يكون مبنيًّا؟**

هم اختلفوا، من أشهر ما قالوا: أنه يكون مثل المركب تركيب خمسة عشر مثلًا، التركيب المزجي، فيكون مبنيًّا، على كل حال، الاسم يكون منصوبًا محل نصب، ويكون مبنيًّا (لا إله).

إذن إذا كان بدلًا من (لا إله) يكون ماذا؟ يكون منصوبًا وهو مرفوع، وبالتالي هذا القول (لا) ليس صحيحًا، هو ليس (**خَبَرًا لِـ(لَا)، وَلَا لِلْمُبْتَدَأِ**) هذا صحيح (**وَذَكَرَ الدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ**).

وابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- ركز على وجود الإضمار، وذكر كلام صاحب [المنتخب]، وذكر كلام أبي الفضل المرسي في رده على صاحب [المنتخب].

**وخلاصة ما أثبته ابن أبي العز من خلال هذه النقول**: أنه لا بد من الإضمار، لم يعلق على إضمارهم (لا إله في الوجود)، وحبذا لو نبحث عن هذا ابن أبي العز إن كانت له كتب أخرى.

على كل حال، هنا لا بد أن نذكر كلام الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ الله-، وهو موجود في الهامش.

**يقول الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ الله- تعليقًا على هذا المكان من [شرح الطحاوية]**، هذا موجود في كتابه [التعليقات البازية]: {ما قاله صاحب المنتخب ليس بجيد} صاحب المنتخب لا يريد الإضمار أصلًا، أليس كذلك، إذن ليس بجيد {وهكذا ما قاله النحاة وأيده الشيخ أبو عبد الله المرسي من تقدير الخبر بكلمة (في الوجود) أيضًا ليس بصحيح؛ لأن الآلهة المعبودة من دون الله كثيرة وموجودة} كيف تنكر وجودها؟ هي موجودة ولكنها باطلة؛ {لأن الآلهة المعبودة من دون الله كثيرة، وموجودة، وتقدير الخبر بلفظ (في الوجود) لا يحصل به المقصود من بيان أحقية ألوهية الله سبحانه وبطلان ما سواها؛ لأن لقائل أن يقول: كيف تقولون: لا إله في الوجود إلا الله، وقد أخبر الله سبحانه عن وجود آلهة كثيرة للمشركين، كما في قوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ﴾ [هود:١٠١]} إذن هناك آلهة، وهي آلهة باطلة ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مِنْ شَيْءٍ﴾[هود:١٠١]}؛ يعني ما عملت شيئًا{وقوله سبحانه: ﴿فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾[الأحقاف:٢٨]}.

يقول الشيخ، سبحان الله! كلام الشيخ كلامٌ فيه أولًا مختصر، وثانيًا كلامٌ كله حكمة ومختصر ومركز، إذ جمع في هذا الكلام المختصر شتات المسألة، الكلام الذي ذكرته من أول الدرس ولا زلت أذكره هذا كله مذكور فيما يتعلق بالكلمة هذه مذكور في هذا، وهكذا يكون كلام العلماء، يقول: {فلا سبيل إلى التخلص من هذا الاعتراض، وبيان عظمة هذه الكلمة} هذه الكلمة عظيمة {وأنها كلمة التوحيد المبطلة لآلهة المشركين وعبادتهم من دون الله، لا سبيل إلى ذلك إلا بتقدير الخبر بغير ما ذكره النحاة وهو كلمة (حقٌّ)؛ لأنها هي التي توضح بطلان جميع الآلهة وتبين أن الإله الحق والمعبود الحق هو الله وحده، كما نبه على ذلك جمع من أهل العلم، منهم: أبو العباس ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم وآخرون رحمهم الله، ومن أدلة ذلك قوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[الحج:٦٢]، فأوضح سبحانه في هذه الآية أنه هو الحق، وأن ما دعاه الناس من دونه هو الباطل، فشمل ذلك جميع الآلهة المعبودة من دون الله من البشر والملائكة والجن وسائر المخلوقات، واتضح بذلك أنه المعبود الحق وحده؛ ولهذا أنكر المشركون هذه الكلمة وامتنعوا من الإقرار بها؛ لعلمهم بأنها تبطل آلهتهم؛ لأنهم فهموا أن المراد بها نفي الألوهية بحق عن غير الله سبحانه؛ ولهذا قالوا جوابًا لنبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- لما قال لهم: «قُولُوا: لَا إِلَه إِلَّا الله»: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، وقالوا أيضًا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات:٣٦]، وما في معنى ذلك من الآيات}.

ويقول الله -عَزَّ وَجَل- أيضًا: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)﴾[مريم:٨١-٨٢]، ويقول سبحانه أيضًا عنهم أنهم كانوا يقولون: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾[الفرقان:٤٢]، هكذا يقولون. نكمل إن شاء الله بعد الصلاة.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم.

**أما بعد:-**

كنا نتحدث عن الإضمار، وأنه لا بد من الإضمار لخبر (لا) النافية للجنس.

ثم تحدثنا عن كلام أبي الفضل المرسي الذي ورد هنا أن (٥:٠٠) بدلًا من (لا إله) وقلنا: هذا ليس دقيقًا خطأ، الصحيح: أن (إلا الله) مرفوع؛ لأنه بدل عن الخبر، و(حق).

ركزوا معي: (لا إله) قلنا: (لا النافية للجنس) و(إله) اسم لا النافية للجنس مبني وفي محل نصب، مبني على الفتح، قلنا: خبر (لا) النافية للجنس مقدرٌ وهو (حقٌّ)، (إله) منصوب، و(حقٌّ) مرفوع.

(إلا الله) هل يكون بدلًا من (إله المنصوب) أو (حقٌّ) المرفوع، يعني التابع يكون تابع للمتبوع في الإعراب، أليس كذلك؟ إذن (إلا الله) يكون بدلًا من (حق)، ولا يكون بدلًا من (إله).

**وهذا نستفيد منه فائدة أخرى**: وهي أن النفي في قول (لا إله) المنفي جنس الآلهة التي لا تستحق العبادة، والله -عَزَّ وَجَل- ليس داخلًا في النفي هنا أصلًا، **لماذا؟**

لأن النفي راجعٌ إلى الآلهة الباطلة، (لا إله حقٌّ إلا الله) (إلا) أداة الاستثناء، و(الله) بدلًا من (حقٌّ)، وهناك تطابق في الإعراب بين التابع والمتبوع، أما إذا جعلنا بدلًا من (إله) (إلهًا) منصوبة.

**إذن نذكر خلاصة الإعراب، نقول**: (لا) نافية الجنس، و(إله) خبر مبني على الفتح في محل نصب، و(حقٌّ) خبر (لا) وهو مرفوع.

**طيب، لماذا هو مرفوع؟ ما الذي جعله مرفوعًا؟**

اختلف النحاة هنا:

بعضهم يقولون: هو في الأصل كان مرفوعًا لما كان خبرًا للمبتدأ كان مرفوعًا، (لا) التي تعمل عمل (إنَّ) هي نسخت إعراب ماذا؟ المبتدأ جعلته منصوبًا، أما الخبر فباقٍ على وضعه الأول، فهو مرفوع بالابتداء، والعامل فيه الابتداء، بقي على الأصل، هذا على قول بعضهم.

وقول بعضهم أنها مرفوع بسبب لا النافية للجنس؛ لأنها تعمل عمل (إنَّ) {إن زيدًا قائمٌ}.

على كل حال، السبب هو الابتداء، أو العامل(٢:٩) الجديد هو مرفوع.

طيب، إذن نحن علمنا أن (لا) نافية للجنس، و(إله) اسمها، ومعنى الإله معبود، و(إلا) أداة الاستثناء، (الله) بدلٌ عن الخبر، وليس عن الاسم.

**عرفنا أيضًا لماذا نصر ونقول: هو بدلٌ عن الخبر؟**

حتى يتطابق؛ لأنه لو كان بدلًا عن اسم الإله لكان أيش؟ لكان منصوبًا وهو مرفوع (إلا الله).

إذن قول المؤلف هنا نقلًا عن أبي الفضل المرسي: ((**وَإِلَّا اللَّهُ مَرْفُوعٌ بَدَلًا مِنْ (لَا إِلَهَ)**)) هذا مستدركٌ وليس مسلَّم له.

يقول ابن أبي العز: (**وَلَيْسَ الْمُرَادُ هُنَا ذِكْرَ الْإِعْرَابِ، بَلِ الْمُرَادُ دفْعُ الْإِشْكَالِ الْوَارِدِ عَلَى النُّحَاةِ فِي ذَلِكَ**).

**(في ذلك) في ماذا؟**

في التقدير، هل يقدر أو لا يقدر؟

(**وَبَيَانُ أَنَّهُ مِنْ جِهَةِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَهُوَ فَاسِدٌ: فَإِنَّ قَوْلَهُمْ في الْوُجُودِ**) نحن قلنا: أن المعتزلة يقولون بشيئية المعدوم، ويقولون بالفرق بين الماهية والوجود، وأن مذهبهم مأخوذٌ من الفلاسفة (**فَإِنَّ قَوْلَهُمْ: في الْوُجُودِ لَيْسَ تَقْيِيدًا**)؛ أي ليس مرادهم نفي الآلهة الموجودين فقط، (٢:١١) المفترض لأن العدم شيء ثابت عند المعتزلة، العدم شيء عند المعتزلة بمعنى الثبوت.

**(لِأَنَّ الْعَدَمَ لَيْسَ بِشَيْءٍ) هذا عند من؟**

عن أهل السنة، العدم ليس بشيء بمعنى الثبوت، ولكنه شيءٌ بمعنى المتصور ذهنًا، فالمعتزلة عندهم: أنَّ العدم شيء بمعنى الثبوت.

**(مما يدل على أن العدم ليس بشيء يقول سبحان:** ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم:٩]) واضح الدلالة (**وَلَا يُقَالُ: لَيْسَ قَوْلُهُ: (غَيْرُهُ) كَقَوْلِهِ: (إِلَّا اللَّهُ)**).

هنا لما قال: (هذه كلمة التوحيد) مع بداية (**لا إله غيره**) لما قال: (**هذه كلمة التوحيد**) يقولون: اعتراض مقدَّر يرد عليه، كيف تقول: هذه كلمة التوحيد، مع أن كلمة التوحيد فيها (إلا الله)، وليس فيها غيره، وهناك فرقٌ بين هذا وهذا؟ كيف تقول هذا، ثم تذكر هذا الإشكال الذي يرد على (إلا الله) ولا يَرِد على هذا الذي تذكره؟ هناك فرق بين كلام الطحاوي، وبين كلمة الشهادة، فلماذا تطول في هذا الموضع؟ هذا سؤال مقدَّر.

يجيب عنه ويقول: (**وَلَا يُقَالُ: لَيْسَ قَوْلُهُ: (غَيْرُهُ)**) في كلام الطحاوي، و(**لا إله غيره**) (**كَقَوْلِهِ: (إِلَّا اللَّهُ)**) **لماذا لا يقال؟ لماذا هذا السؤال خطأ؟**

(**لِأَنَّ (غَيْرَ) تُعْرَبُ بِإِعْرَابِ الِاسْمِ الْوَاقِعِ بَعْدَ (إِلَّا)**).

نحن ماذا قلنا؟

(لا إله إلا الله) قلنا: ما بعد (إلا) مرفوع، طيب (لا إله غيره) مرفوع، إذن إعرابه نفس إعراب الذي بعد (إلا)، إذن هي متطابقة ليس هناك فرق، هذا الذي يظن أن هناك فرق يظن أن غيره يختلف عن (إلا الله)، يقول المؤلف: هذا نفسه؛ لأن ما بعد (إلا) إعرابه مثل إعراب (غير) هذا مرفوع، وهذا مرفوع.

(**لِأَنَّ (غَيْرَ) تُعْرَبُ بِإِعْرَابِ الِاسْمِ الْوَاقِعِ بَعْدَ (إِلَّا)**) ونحن قلنا: أن ما بعد (إلا) مفتوح، وهذا مرفوع، إذن لا فرق بين (لا إله إلا الله) وبين (لا إله غيره) من جهة وجوب التقدير، (**فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ لِلْخَبَرِ فِيهِمَا وَاحِدًا**) كلاهما يحتاجان إلى التقدير (**فَلِهَذَا ذَكَرْتُ هَذَا الْإِشْكَالَ وَجَوَابَهُ هُنَا**)؛ لأن هذا الإشكال يرد على (لا إله غيره) ويرد أيضًا على (لا إله إلا الله).

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * *

**(المتن)**

**قال المصنف –رَحِمَهُ الله تَعَالَى–: (قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ).**

قال الشارح –رَحِمَهُ الله تَعَالَى–: (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وَقَالَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ».

فَقَوْلُ الشَّيْخِ –رَحِمَهُ الله تَعَالَى–: (قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ)، هُوَ مَعْنَى اسْمِهِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ.

وَالْعِلْمُ بِثُبُوتِ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ مُسْتَقِرٌّ فِي الْفِطَرِ، فَإِنَّ الْمَوْجُودَاتِ لَا بُدَّ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى وَاجِبِ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ، قَطْعًا لِلتَّسَلْسُلِ. فَإِنَّا نُشَاهِدُ حُدُوثَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالْمَعَادِنِ وَحَوَادِثَ الْجَوِّ كَالسَّحَابِ وَالْمَطَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ الْحَوَادِثُ وَغَيْرُهَا لَيْسَتْ مُمْتَنِعَةً، فَإِنَّ الْمُمْتَنِعَ لَا يُوجَدُ، وَلَا وَاجِبَةَ الْوُجُودِ بِنَفْسِهَا، فَإِنَّ وَاجِبَ الْوُجُودِ بِنَفْسِهِ لَا يَقْبَلُ الْعَدَمَ، وَهَذِهِ كَانَتْ مَعْدُومَةً ثُمَّ وُجِدَتْ، فَعَدَمُهَا يَنْفِي وُجُوبَهَا، وَوُجُودُهَا يَنْفِي امْتِنَاعَهَا، وَمَا كَانَ قَابِلًا لِلْوُجُودِ وَالْعَدَمِ لَمْ يَكُنْ وُجُودُهُ بِنَفْسِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[الطور:٣٥]، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: أَحَدَثُوا مِنْ غَيْرِ مُحْدِثٍ أَمْ هُمْ أَحْدَثُوا أَنْفُسَهُمْ؟ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الشَّيْءَ الْمُحْدَثَ لَا يُوجِدُ نَفْسَهُ، فَالْمُمْكِنُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وُجُودٌ وَلَا عَدَمٌ لَا يَكُونُ مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ، بَلْ إِنْ حَصَلَ مَا يُوجِدُهُ، وَإِلَّا كَانَ مَعْدُومًا، وَكُلُّ مَا أَمْكَنَ وُجُودُهُ بَدَلًا عَنْ عَدَمِهِ، وَعَدَمُهُ بَدَلًا عَنْ وُجُودِهِ، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وُجُودٌ وَلَا عَدَمٌ لَازِمٌ لَهُ.

وَإِذَا تَأَمَّلَ الْفَاضِلُ غَايَةَ مَا يَذْكُرُهُ الْمُتَكَلِّمُونَ وَالْفَلَاسِفَةُ مِنَ الطُّرُقِ الْعَقْلِيَّةِ، وَجَدَ الصَّوَابَ مِنْهَا مَا يَعُودُ إِلَى بَعْضِ مَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الطُّرُقِ الْعَقْلِيَّةِ بِأَفْصَحِ عِبَارَةٍ وَأَوْجَزِهَا، وَفِي طُرُقِ الْقُرْآنِ مِنْ تَمَامِ الْبَيَانِ وَالتَّحْقِيقِ مَا لَا يُوجَدُ عِنْدَهُمْ مِثْلُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان:٣٣].

وَلَا نَقُولُ: لَا يَنْفَعُ الِاسْتِدْلَالُ بِالْمُقَدِّمَاتِ الْخَفِيَّةِ وَالْأَدِلَّةِ الطَّوِيلَةِ: فَإِنَّ الْخَفَاءَ وَالظُّهُورَ مِنَ الْأُمُورِ النِّسْبِيَّةِ، فَرُبَّمَا ظَهَرَ لِبَعْضِ النَّاسِ مَا خَفِيَ عَلَى غَيْرِهِ، وَيَظْهَرُ لِلْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ فِي حَالٍ مَا خَفِيَ عَلَيْهِ فِي حَالٍ أُخْرَى.

وَأَيْضًا فَالْمُقَدِّمَاتُ وَإِنْ كَانَتْ خَفِيَّةً فَقَدْ يُسَلِّمُهَا بَعْضُ النَّاسِ وَيُنَازِعُ فِيمَا هُوَ أَجْلَى مِنْهَا، وَقَدْ تَفْرَحُ النَّفْسُ بِمَا عَلِمَتْهُ بِالْبَحْثِ وَالنَّظَرِ، مَا لَا تَفْرَحُ بِمَا عَلِمَتْهُ مِنَ الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ. وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعِلْمَ بِإِثْبَاتِ الصَّانِعِ وَوُجُوبِ وُجُودِهِ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ فِطْرِيٌّ، وَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ لِبَعْضِ النَّاسِ مِنَ الشُّبَهِ مَا يُخْرِجُهُ إِلَى الطُّرُقِ النَّظَرِيَّةِ.

وَقَدْ أَدْخَلَ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى (الْقَدِيمَ)، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، فَإِنَّ (الْقَدِيمَ) فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ: هُوَ الْمُتَقَدِّمُ عَلَى غَيْرِهِ، فَيُقَالُ: هَذَا قَدِيمٌ، لِلْعَتِيقِ، وَهَذَا حَدِيثٌ، لِلْجَدِيدِ. وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوا هَذَا الِاسْمَ إِلَّا فِي الْمُتَقَدِّمِ عَلَى غَيْرِهِ، لَا فِيمَا لَمْ يَسْبِقْهُ عَدَمٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[يس:٣٩]، وَالْعُرْجُونُ الْقَدِيمُ: الَّذِي يَبْقَى إِلَى حِينِ وُجُودِ الْعُرْجُونِ الثَّانِي، فَإِذَا وُجِدَ الْجَدِيدُ قِيلَ لِلْأَوَّلِ: قَدِيمٌ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف:١١]؛ أَيْ مُتَقَدِّمٌ فِي الزَّمَانِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦)﴾[الشعراء:٧٥-٧٦] فَالْأَقْدَمُ مُبَالَغَةٌ فِي الْقَدِيمِ، وَمِنْهُ: الْقَوْلُ الْقَدِيمُ وَالْجَدِيدُ لِلشَّافِعِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾[هود:٩٨]؛ أَيْ يَتَقَدَّمُهُمْ، وَيُسْتَعْمَلُ مِنْهُ الْفِعْلُ لَازِمًا وَمُتَعَدِّيًا، كَمَا يُقَالُ: أَخَذَنِي مَا قَدُمَ وَمَا حَدُثَ، وَيُقَالُ: هَذَا قَدَمَ هَذَا وَهُوَ يَقْدُمُهُ. وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْقَدَمُ قَدَمًا، لِأَنَّهَا تَقْدُمُ بَقِيَّةَ بَدَنِ الْإِنْسَانِ.

وَأَمَّا إِدْخَالُ الْقَدِيمِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْكَلَامِ. وَقَدْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، مِنْهُمُ ابْنُ حَزْمٍ.

وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُسْتَعْمَلًا فِي نَفْسِ التَّقَدُّمِ، فَإِنَّ مَا تَقَدَّمَ عَلَى الْحَوَادِثِ كُلِّهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِالتَّقَدُّمِ مِنْ غَيْرِهِ، لَكِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي تَدُلُّ عَلَى خُصُوصِ مَا يُمْدَحُ بِهِ، وَالتَّقَدُّمُ فِي اللُّغَةِ مُطْلَقٌ لَا يَخْتَصُّ بِالتَّقَدُّمِ عَلَى الْحَوَادِثِ كُلِّهَا، فَلَا يَكُونُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَجَاءَ الشَّرْعُ بِاسْمِهِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ أَحْسَنُ مِنَ الْقَدِيمِ؛ لِأَنَّهُ يُشْعِرُ بِأَنَّ مَا بَعْدَهُ آيِلٌ إِلَيْهِ وَتَابِعٌ لَهُ، بِخِلَافِ الْقَدِيمِ. وَاللَّهُ تَعَالَى لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى لَا الْحَسَنَةُ.

قَوْلُهُ –رَحِمَهُ الله تَعَالَى–: (ولا يَفْنَى، ولا يَبِيدُ).

قال الشارح –رَحِمَهُ الله تَعَالَى–: إِقْرَارٌ بِدَوَامِ بَقَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾[الرحمن:٢٦-٢٧]، وَالْفَنَاءُ وَالْبَيْدُ مُتَقَارِبَانِ فِي الْمَعْنَى، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا فِي الذِّكْرِ لِلتَّأْكِيدِ، وَهُوَ أَيْضًا مُقَرِّرٌ وَمُؤَكِّدٌ لِقَوْلِهِ: (دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ).

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:–**

يقول الإمام الطحاوي –رَحِمَهُ الله–: (**قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ**) في هاتين الجملتين يبين الإمام الطحاوي –رَحِمَهُ الله– تفسير الاسمين من أسماء الله الحسنى (**الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ**)، بدل أن يقول: (**هو الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ**) قال: (**قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ**) أراد أن يُضَمِّن في كلامه معنى هذين الاسمين الكريمين مع تفسير الاسمين الكريمين. هذا الذي أراده الإمام الطحاوي –رَحِمَهُ الله–، مع ذلك كله لو جاء بالأسماء التي هي أسماء حسنى، والتي ثبتت في الكتاب والسنة لكان أحسن، ولكن الذي أراده والمعنى الذي أراده صحيح، هو أراد كما قلت: أراد أن يفسِّر هذين الاسمين الكريمين (**الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ**).

قوله: (**بِلَا ابْتِدَاءٍ**) هذا القيد ذكره حتى يمحِّضَ القِدَمَ بالقِدَم المطلق؛ **لأن القِدَم كما سيأتي في كلام المؤلف ينقسم إلى قسمين:**

- **قِدَمٌ نسبي**: وهذا الذي نجده في اللغة: القديم في اللغة هو القديم النسبي، لم يأتِ في اللغة العربية القديم بمعنى القديم المطلق.

إذن القدم ينقسم إلى قسمين: قِدَم نسبي، وهذا الذي نجده في اللغة، وهذا الذي سيذكره الشارح.

- **وقِدَم مطلق**: وهو التقدم على جميع الموجودات.

القِدَم النسبي التقدم على بعض الموجودات، والقِدَم المطلق هو التقدم على جميع الموجودات.

وحتى يكون التقدم الذي يريده الإمام الطحاوي هنا هو التقدم المطلق، وأن القديم هو الذي تقدَّم على الموجودات كلها جاء بهذه الكلمة (**بِلَا ابْتِدَاء**) وهذا تقييدٌ للقدم ليمحض المعنى الذي يريده.

(**قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ**) هذا فيه بيان معنى (**الْآخِرِ**)، وبيان بقائه ودوامه، وأن أبديته ليس له انتهاء، كما أن أزليته ليس لها ابتداء.

ف(**قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ**) في دوام الأزلية، و(**دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ**) فيه بيان الأبدية، والله -عَزَّ وَجَل- هو وجوده أزلٌ أزلًا وأبدًا.

يقول ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله-: (**قال الله تعالى:** ﴿**هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ**﴾[الحديد:٣]، **ويقول النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-**: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**») هذا تفسيرٌ لـ(**الْأَوَّلِ**) أحسن تفسير لهذين الاسمين، ولاسميه (**الظَّاهِرِ والبَاطِنِ**) ما ورد في هذا الحديث.

«**اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**» هذا تفسير ﴿**الأَوَّلُ**﴾ لم يسبقك شيء.

طيب، كيف يسبقه شيءٌ وهو الذي خلق جميع الأشياء؟!

«**فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**» إذن هذا فيه بيان أزليته وأبديته، وفيه بيان هذين الاسمين، تفسير هذين الاسمين (**الأَوَّلُ وَالآخِرُ**).

(**وَقَوْل الشَّيخ -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: قَدِيمٌ بِلَا ابْتِدَاءٍ، دَائِمٌ بِلَا انْتِهَاءٍ، هُوَ مَعْنَى اسْمِيهِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ**) وكما قلت: أراد أن يفسر هذين الاسمين، ويأتي بالمعنى الذي يتضمنه هذان الاسمان.

يقول المؤلف: (**وَالْعِلْمُ بِثُبُوتِ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ**) وهما الأزلية والأبدية، هذان الوصفان هما الأزلية والأبدية (**مُسْتَقِرٌّ فِي الْفِطَرِ، فَإِنَّ الْمَوْجُودَاتِ لَا بُدَّ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى وَاجِبِ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ**) كلامه هنا كلام عقلي بحت؛ فلذلك هذا الذي ذكره هنا يوافقه عليه الكفار والمسلمون كلهم، يوافقه عليه جميع العقلاء بما فيهم الفلاسفة، وهذا الذي يذكره هنا هذا عام، مناقشة عقلية بحتة، جميع العقلاء يقولون: (**الْمَوْجُودَاتِ لَا بُدَّ أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى وَاجِبِ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ، قَطْعًا لِلتَّسَلْسُلِ**).

إذا قلنا: أن بعض الموجودات التي نشاهدها سببها وخالقها، وموجدها موجودات قبلها، طيب والتي قبلها؟ موجودات قبلها، طيب، والتي قبلها؟ موجوداتٌ قبلها، إلى متى؟ والموجودات القديمة والمشاهدة الآن ليس هناك فرقٌ في كونها محدثات، كلها محدثة لا فرق بينها في هذا.

إذن إذا افترضنا أن الموجود الأقدم سببٌ للموجود الأحدث، ومضينا في هذه السلسلة، إلى متى؟ ما تنقطع السلسلة؛ ولذلك جميع العقلاء يقولون: {لا بد أن يكون هناك حدٌّ لهذه السلسلة، لا بد أن تنتهي سلسلة الموجودات الممكنة إلى واجب الوجود بنفسه لم يكن مفتقرًا في وجوده إلى غيره، وعنه يكون وجود بقية الموجودات} إلى هنا نحن مع جميع العقلاء، لا يخالفنا في ذلك أحدٌ لا كافر ولا مسلم من الطوائف.

**(فإنَّا)** فيه تفسير لهذا الذي ذكر **(فَإِنَّا نُشَاهِدُ حُدُوثَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالْمَعَادِنِ وَحَوَادِثَ الْجَوِّ كَالسَّحَابِ وَالْمَطَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ)** نشاهدها، فنحن لا نحتاج إلى أدلة لوجودها، الحوادث التي نشاهدها لا نحتاج أدلة لوجودها، نعم، بعض الناس يحتاج إلى أدلة لحدوثها كما سأشير إليه، بالنسبة للمتكلمين يحتاجون إلى أدلة لحدوثها، حتى الحوادث التي تحدث أمامك لم يكن هناك سحاب، فجأة تجمع سحاب، لم تكن هناك أشجار، وترى الآن هناك، لم يكن هذا وُلِدَ الآن هل نحتاج لأدلة لبيان حدوثه؟ ما نحتاج، نستدل به ولا نستدل عليه، فرق بين الاستدلال به، وبين الاستدلال عليه.

حدوث هذه الحوادث نستدل بها على: أنها محدثة حادثة وتحتاج إلى محدث موجد، ولكن المتكلمين يحتاجون إلى دليلٍ لحدوثها، حتى ولو كان حدوثها أمامك.

**مثلًا: ابنك تحتاج إلى دليل لحدوثه؟**

ما تحتاج.

**عند المتكلمين**: أنت بحاجة إلى أدلة لبيان حدوثه.

سنشير إليه في المقدمات الخفية التي ذكرها المؤلف، وهنا تَنَكُّر لكثيرٍ من الضروريات.

إذا كنت تستدل لحدوث هذه الأشياء التي تحدث أمامك، فالطريق أمامك طويل، هذه الحوادث الموجودة سواءً قلنا: أنها حوادث هكذا بالفطرة، وهكذا، أو توصلنا إليها أنها حوادث بأدلة المتكلمين المهم هي حوادث، هذه النتيجة لا أحد يختلف فيها، هي حوادث.

يقول: (**نُشَاهِدُ حُدُوثَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالْمَعَادِنِ وَحَوَادِثَ الْجَوِّ كَالسَّحَابِ وَالْمَطَرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ الْحَوَادِثُ وَغَيْرُهَا لَيْسَتْ مُمْتَنِعَةً**)، (**لَيْسَتْ مُمْتَنِعَةً**) لأنها وُجِدَت، ما دام أنها وُجِدَت هذا السحاب الذي تجده أمامك، هذه الشجرة التي أمامك، هذا الولد الذي أمامك لو كان ممتنعًا لم يوجد، ما دان وُجِد إذن هو ليس ممتنعًا.

(**فَإِنَّ الْمُمْتَنِعَ لَا يُوجَدُ، وَلَا وَاجِبَةَ الْوُجُودِ بِنَفْسِهَا، فَإِنَّ وَاجِبَ الْوُجُودِ بِنَفْسِهِ لَا يَقْبَلُ الْعَدَمَ**) لم يكن موجودًا فوُجِد، سبقه العدم، سَبْق العدم لوجوده دليلٌ على أنه ليس أزليًّا.

**إذن، استفدنا أمرين:**

- ما دام وُجِد ليس ممتنعًا.
- ما دام سبقه العَدَم ليس أزليًّا.

(**فَعَدَمُهَا يَنْفِي وُجُوبَهَا**)؛ يعني سبق العدم ينفي وجوبها؛ أي أزليتها (**وَوُجُودُهَا يَنْفِي امْتِنَاعَهَا**) وجودها؛ أي أزليتها، ما دام سُبِق بالعدم معناه أنه ليس أزليًّا، وليس واجب الوجود، واجب الوجود هو الأزلي، واجب الوجود هو الذي لا يحتاج في وجوده إلى غيره، إذن سبق العدم ينفي كونه واجب الوجود؛ أي كونه أزليًّا، (**وَوُجُودُه يَنْفِي امْتِنَاعَه**)؛ أي لأنه لو كان ممتنعًا ما وُجِد.

(**وَمَا كَانَ قَابِلًا لِلْوُجُودِ وَالْعَدَمِ لَمْ يَكُنْ وُجُودُهُ بِنَفْسِهِ**) هو قابلٌ للوجود والعدم، كان عدمًا فَوُجِد، كان عَدَمًا؛ إذن قَبِلَ العَدَم لم يكن أزليًّا، وُجِد إذن ليس ممتنعًا، هو يقبل العدم والوجود، ما كان كذلك (**لَمْ يَكُنْ وُجُودُهُ بِنَفْسِهِ**).

**لأنه لو كان وجوده بنفسه هل كان يقبل العدم؟**

ما كان يقبل العدم، لو كان وجوده بنفسه ما كانت تأتي عليه مليارات السنين وهو عدم، لجعل نفسه في حيز الوجود في نفس، لو كان واجب الوجوب، إذن وجوده ليس بيده، وجوده بيد غيره؛

فلذلك بقي عدمًا في هذه المدة التي لا تستطيع أن تقيسها، ووُجِدَ في الوقت الذي أراده موجده، ليس له لا في وجوده ولا في عدمه.

(**وَمَا كَانَ قَابِلًا لِلْوُجُودِ وَالْعَدَمِ لَمْ يَكُنْ وُجُودُهُ بِنَفْسِهِ**)؛ لأنه لو كان وجوده بنفسه لأوجد نفسه من أول ما تمكن من.

(**كَمَا قَالَ سبحانه:** ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾**[الطور:٣٥]**) الله -عَزَّ وَجَل- هنا يوجه سؤالين دون أن يجيب. و﴿أَمْ﴾ هنا الاستفهام هنا للاستنكار.

**وضابط الاستفهام للإنكار، كيف تعرف أن هذا الاستفهام للاستنكار؟**

احذف أداة الاستفهام، وانظر إلى الجملة بعد حذف أداة الاستفهام إذا كانت باطلةً يكون الاستفهام للإنكار، احذف هنا ﴿أَمْ﴾ أيش يبقى؟ ﴿خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾[الطور:٣٥] باطل، ﴿هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[الطور:٣٥] باطل. إذا حذفت أداة الاستفهام وبقيت الجملة التي بعدها باطلةً فالاستفهام للإنكار.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ﴾[إبراهيم:١٠] احذف أداة الاستفهام، ما الذي يبقى؟ ﴿فِي اللَّهِ﴾ وهذا باطل. إذن الاستفهام هنا للإنكار.

(﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾**[الطور:٣٥] يَقُولُ سُبْحَانَهُ: أَحَدَثُوا مِنْ غَيْرِ مُحْدِثٍ أَمْ هُمْ أَحْدَثُوا أَنْفُسَهُمْ؟**) هل وُجِدُوا دون أن يوجدهم مُوجِد.

(**أَحَدَثُوا مِنْ غَيْرِ مُحْدِثٍ أَمْ هُمْ أَحْدَثُوا أَنْفُسَهُم**) سؤالان: أما أن يكونوا قد حدثوا من غير محدث معناه أخلقهم العدم؟ (**أَحَدَثُوا مِنْ غَيْرِ مُحْدِثٍ**)؛ أي هل أوجدهم العدم؟ غير محدث، (**أَحَدَثُوا مِنْ غَيْرِ مُحْدِثٍ**)؛ أي هل أوجدهم العدم، (﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾**[الطور:٣٥]**، أم كانت أنفسهم هي الخالقة لهم؟

**سؤالان، أيها أقرب وكلاهما بعيدان، ولكن أيهما أقرب؟**

أن يكونوا هم خالقون لأنفسهم؛ لأنهم أقل شيء موجودون..، وهم أشد إنكارًا لهذا من الثاني، لا أحد يقول: أنه خلق نفسه، لا أحد يقول، لا كافر ولا مسلم، لا أحد يقول، لا أحد يرتكب هذه الحماقة: أنه هو أوجد نفسه.

طيب: هل سيقبل أن يقول: أن العدم خلقه؟ العدم إذا كان خالقًا خليه يخلق نفسه، يُخرج نفسه من العدم، العدم إذا كان خالقًا لغيره: أول شيء يخرج نفسه من العدم، وبعد ذلك يبدأ يخلق.

السؤالان هنا وليس هناك جواب؛ لأن الجواب واضح، لا أحد يقول: أن العدم خلقه، ولا أحد يدعي أنهم هم أنفيهم خلقوا أنفسهم؛ ولذلك لم يذكر الجواب؛ لأن الجواب واضح.

**(أَحَدَثُوا مِنْ غَيْرِ مُحْدِثٍ، أَمْ هُمْ أَحْدَثُوا أَنْفُسَهُم، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الشَّيْءَ الْمُحْدَثَ لَا يُوجِدُ نَفْسَهُ)** ما دام هو مخلوق، فكيف يخلق نفسه؟! الشيء المحدث لو يوجد نفسه هو مخلوق بحاجة إلى غيره، ولا يوجد نفسه.

**(فَالْمُمْكِنُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وُجُودٌ وَلَا عَدَمٌ لَا يَكُونُ مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ)**، **(المُمْكِن)** هذا مصطلح الفلاسفة، الإمكان والوجوب هذه مصطلحات الفلاسفة.

(المِمكِن) هو الذي يقبل الوجود والعدم، فإن أوجده الله -عَزَّ وَجَل- كان موجودًا، إن أفناه كان معدومًا، إن أبقاه معدومًا بقي معدومًا، هو بنفسه ليس له من وجوده شيء.

**(فَالْمُمْكِنُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وُجُودٌ وَلَا عَدَمٌ)** لا يملك العدم، ولا يملك الوجود، فلان من الناس كان معدومًا، ولكن لما خلقه الله -عَزَّ وَجَل- هل أصر على عدمه؟

إذن ليس في يده لا العدم ولا الوجود، كان معدومًا ما استطاع أن يوجد نفسه، لما أراد الله -عَزَّ وَجَل- أن يوجده لم يصر على أيش؟ على عدمه؛ لذلك يقول: **(فَالْمُمْكِنُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وُجُودٌ وَلَا عَدَمٌ)** لا يملك لا العدم ولا الوجود.

هذا الممكن لا يكون موجودًا بنفسه؛ لأنه لو كان موجودًا بنفسه لوُجِد من زمان، لوُجِدَ في الأزل **(بَلْ إِنْ حَصَلَ مَا يُوجِدُهُ وُجِد، وَإِلَّا كَانَ مَعْدُومًا)** هذا هو الممكن.

**(وَكُلُّ مَا أَمْكَنَ وُجُودُهُ بَدَلًا عَنْ عَدَمِهِ، وَعَدَمُهُ بَدَلًا عَنْ وُجُودِهِ، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وُجُودٌ وَلَا عَدَمٌ لَازِمٌ لَهُ)** لا العدم لازمٌ له؛ لأن الله -عَزَّ وَجَل- إذا أراد أن يوجده يوجده رغم أنفه، وإذا أراد أن يبقيه عدمًا يبقيه عدمًا رغم أنفه، فإذن ليس له من نفسه شيء لا الوجود، ولا العدم.

وهذا حال الموجودات، الموجودات كلها سوى الله -عَزَّ وَجَل- هذا حالها، إذن هي بحاجة إلى موجِد، هذه الموجودات لا بد أن تنتهي سلسلتها إلى موجدٍ واجب الوجود بنفسه لا يحتاج إلى غيره وهو الذي يوجِده. كما قلت لكم: إلى هنا يتفق الجميع، لكن الخلاف بعد هذا.

**مثلًا:** أرسطو يقول: {أن سلسلة الموجودات تنتهي إلى المبدأ الأول، وهو مبدأٌ شريف، مبدأٌ فاضل لا يقبل أن يدخل في نفسه شيءٌ مما يتعلق بالموجودات؛ لأن الموجودات هي دونه في الشرف، ودونه في الفضل، ولا ينبغي أن يدخل في علمه شيءٌ يتعلق بما هو دونه في المرتبة، وبالتالي السلسلة تنتهي إلى المبدأ الأول، ولكن المبدأ الأول ليس هو الخالق، بل لا يدري عن المخلوقات}.

**هذا من يقوله؟**

أرسطو، المعلم الأول، هذا المعلم الأول.

والمعلم الثاني ماذا سيقول اللي هو الفارابي؟ والنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بين المعلمين لا محل له من الإعراب، يا خسارة الرسل والأنبياء في منطق هؤلاء المجانين، معلم أول، ومعلم ثاني.

**أيش يقول المعلم الثاني؟**

المعلم الثاني متأثر بالأفلوطينية، الأفلوطينية المحدثة هذه نسبة إلى أفلوطين، وهو فيلسوف مصري، كان في القرن الثاني من الميلاد، هذا غير أفلاطون، أفلاطون شيخ أرسطو، أفلوطين في القرن الثاني من الميلاد، وهو صاحب نظرية العقول العشرة، هذه السلسة تنتهي إلى عقل، والعقول عشرة، والعقل العاشر أحيانًا يسمونه جبريل، تسميته جبريل هذا من باب التدليس، العقل العاشر هو الذي يباشر الخلق، هو الذي باشر الخلق، ومن أين جاء العقل العاشر؟ من العقل التاسع، وهو من كذا، إلى أو وصلوا إلى العقل الأول.

**طيب، لماذا الأول العقل؟**

قالوا: {لأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد} المعلم الثاني الفارابي، وهو من القرن الرابع، وهو نظريته في الخلق نظرية الأفلوطينية، وكذلك تلميذه ابن سينا، ابن سينا وُلِد بعد وفاته بثلاثين سنة، ولكنه تربى على كتبه، على كتب الفارابي، فالفارابي هو شيخه؛ لأنه تتلمذ على كتبه.

قالوا: {بأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، فالعقل الأول صدر عنه عقلٌ ونفسٌ، ثم العقل الثاني صدر عنه عقلٌ ونفسٌ، إلى سلسلة وهمية إلى العقل العاشر، ومن العقل العاشر وُجِدَت هذه الموجودات} المعلم الثاني هذا.

**ما هو العقل العاشر؟**

إذا قرأتم في النظريات التي تتعلق بخلق العالم، طبعًا ستترددون بين أرسطو وبين هذه أيها أكثر سفهًا وحمقًا، بس هذه تزيد على نظرية أرسطو، نظرية أرسطو على ما فيها من سفاهة مفهومة، أما هذه النظرية معقدة جدًّا، نظرية الخلق عند الأفلوطينية المحدثة، ولكنهم كلهم يتفقون معنا إلى أن هذه السلسلة سلسلة الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود بنفسه، والخلاف بعد هذا.

**هل هذا الذي نثبته خالقًا للموجودات هو الذي وردت أوصافه في الكتاب والسنة أو لا؟**

**هنا الخلاف**: في هذه النقطة تجد أن جميع الطوائف بما فيهم المعتزلة والأشاعرة، والماتريدية لا يتفقون مع أهل السنة في كثيرٍ من الأمور الكونية، خالق الأرض والسماوات خالق هذا العالم والعوالم المشاهدة وغير المشاهدة، هذا الخالق هو الذي أرسل الرسل، وهو الذي أنزل الكتب، وبيَّن في تلك الكتب أوصافه وصفاته وأسماءه، وبتلك الأوصاف والصفات والأسماء بها نعرفه من طرق معرفته، الوحيدون الذين يُثبتون الخالق كما هو في النصوص هم أهل السنة والجماعة، والطوائف الأخرى بما فيهم الأشاعرة والماتريدية كما قلت: لا يوافقون أهل السنة حتى في هذا المبدأ المهم، حتى في أوصاف الربوبية، نظرية الخلق، الله -عَزَّ وَجَل- لما خلق السماوات والأرض إذا كانت الإرادة أزلية بحتة، هذا يدل على أن المخلوقات ستكون في الأزل.

**لماذا تأخر في خلقها إلى الوقت الذي أراد، لماذا؟**

- **عند أهل السنة**: الإرادة أزلية، وأيضًا يريد ما شاء متى ما شاء، لم يخلق في ذلك الوقت، وخلق في هذا الوقت، وانتهينا، هذا لا يستطيع أن يقوله أحد من غير أهل السنة أبدًا.

حتى الذين وافقوهم في بعض الأمور وهم الكرامية، ويخالفونهم في بعض الأمور، الكرَّامية يخالفونهم في بعض الأمور، والكلابية يخالفونهم في بعض الأمور، الذين يثبتون كل ما جاء في الكتاب والسنة التي تتعلق بالربوبية والخلق وغيرها أسمائه وصفاته هم أهل السنة فقط.

إذن المناقشة التي ذكرها إلى هنا هذا المقطع لا يخالفنا فيه أحد، باستثناء شِرذمة قليلة، وهي شرذمة الملحدين، وكانت لم يكن لها وجود فيما سبق، كثرت هذه الشرذمة مع نشوء العلمانية، ومع نشوء الشيوعية، وهي إلى تقلص، أما عمومًا فالناس ما يختلفون معنا في هذا الذي ذكره.

ثم قال المؤلف: **(وَإِذَا تَأَمَّلَ الْفَاضِلُ غَايَةَ مَا يَذْكُرُهُ الْمُتَكَلِّمُونَ)** طبعًا هذا المقطع تعليق على شرحه لقوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[الطور:٣٥] هذه الآية على وجازتها، هي لخَّصت قضية الخلق على وجازتها، فيها توجيه سؤالين ولا يمكن لأحد أن يجيب عن هذين السؤالين بدون أن يثبت وجود الله -عَزَّ وَجَلَّ-، مع هذه الوجازة **(وَإِذَا تَأَمَّلَ الْفَاضِلُ غَايَةَ مَا يَذْكُرُهُ الْمُتَكَلِّمُونَ وَالْفَلَاسِفَةُ مِنَ الطُّرُقِ الْعَقْلِيَّةِ، وَجَدَ الصَّوَابَ مِنْهَا)**؛ لأن فيها من الأخطاء الشيء الكثير، ولكن الصواب الذي فيها **(يَعُودُ إِلَى بَعْضِ مَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الطُّرُقِ الْعَقْلِيَّةِ بِأَفْصَحِ عِبَارَةٍ) لماذا؟** لأنه كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وكلام رسوله، إذن **(أَفْصَحِ عِبَارَةٍ وَأَوْجَزِهَا)** هذا **أولًا**.

**ثانيًا**: يرجع إلى طبيعة اللغة، أن تقارن اللغة العربية بلغة أرسطو تجد فيها تطويل بلا طائل، ومقدمات طويلة، وفي النهاية نتيجة تحصل أو قد لا تحصل، فهذا يرجع إلى طبيعة اللغة، ومما يدل على هذا: أن المتفلسفين مما يكتبون باللغة العربية أمثال الرازي وغيره، متفلسفون هم، ويكتبون باللغة العربية، تجد ما في كلامهم من التعقيد لا يليق باللغة العربية، طلاسم، هذا ليس من اللغة، ليس من طبيعة اللغة، إنما من العلم الذي ورثوه من الفلاسفة.

**(بِأَفْصَحِ عِبَارَةٍ وَأَوْجَزِهَا، وَفِي طُرُقِ الْقُرْآنِ مِنْ تَمَامِ الْبَيَانِ وَالتَّحْقِيقِ مَا لَا يُوجَدُ عِنْدَهُمْ مِثْلُهُ، يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-:** ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ **[الفرقان:٣٣])** جئناك بالحق الذي لا شك فيه، أما ما يأتون به فقد يكون حقًّا، وقد يكون باطلًا، وقد يكون مناقضًا للحق،

وقد يكون قريبًا من الحق، أما ما يأتي، ما نجده في النصوص ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان:٣٣] في مادته حق اطمئن إليه، لا تشك فيه، وفي الوصول إلى هذا الحق ﴿أَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان:٣٣]، هذا الذي يريد الوسيلة للوصول إلى هذا ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان:٣٣] لن تجد مثله في الدلالة على الحق في كلامهم.

هل جربتم أو ضيعتم شيئًا من الوقت في كتب المنطق، ستجدون هذا عيانًا، أحيانًا يكون في كلامه وفي دعواه، وفيما يسوق له الأدلة يكون صوابًا، ولكن على ما تصل إليه تكون قد أنهكت قواك العقلية، وهو يعتبرها كلما عقَّد يعتبره فنًّا هو، هذا ليس من طريقة القرآن، وليست من طبيعة اللغة أصلًا أبدًا.

بعد هذا يقول المؤلف: (**وَلَا نَقُولُ**) المؤلف هنا يدفع استشكالًا، هذا الاستشكال قد يرد من كلامه، مع أن ورود هذا الاستشكال بعيد، مع ذلك يحتاط، ويجيب بهذا الجواب.

قد يستشكل ويقال: أنت أيها المؤلف ابن أبي العز ما تريد إلا الوضوح، قد تكون هناك مقدمات خفية، ولكنها في الإيصال إلى الحق تكون دقيقة، السبيل وَعِر، ولكن الوصول مضمون، ما دام الهدف الوصول إلى الحق، فلماذا تنكرها؟ أليس هذا الهدف وهو الحق الوصول إليه يستأهل أن نتعب لأجله، ونسلك أي طريق؟ لماذا تستنكر المقدمات الخفية؟!

يقول: (**وَلَا نَقُولُ: لَا يَنْفَعُ الِاسْتِدْلَالُ بِالْمُقَدِّمَاتِ الْخَفِيَّةِ**) أنا أقول هذا (**وَالْأَدِلَّةِ الطَّوِيلَةِ؛ فَإِنَّ الْخَفَاءَ وَالظُّهُورَ مِنَ الْأُمُورِ النِّسْبِيَّةِ**) طبعًا هذا تلخيصٌ لكلام شيخ الإسلام، (**فَرُبَّمَا ظَهَرَ لِبَعْضِ النَّاسِ مَا خَفِيَ عَلَى غَيْرِهِ**).

أنا لما أقول: أن هذا معقد، قد لا يكون هذا فني، فيكون معقد بالنسبة لي، أما بالنسبة لصاحب هذا الفن فهو واضح عنده، فالأمور نسبية، من كان حاذقًا في أصول الفقه ليس عنده شيء خفي في هذا المجال، بالنسبة لي قد يكون خفيًّا، من كان حاذقًا مثلًا في علمٍ آخر، فالأمر بالنسبة له نفس الشيء، كونه ظاهرًا، كونه خفيًّا هذا أمرٌ نسبي يحصل بالنظر إلى التخصص، ويظهر للإنسان الواحد في حالٍ ما خفي عليه في حالٍ أخرى، قد تفكر في جملة ما تستطيع أن تفك الجملة، وتجلس عليها ما تستطيع، أحيانًا تنظر إليها هكذا نظرة عابرة تستغرب كيف خفيت عليك، هذا بالنسبة للشخص الواحد، فكيف بالناس؟!

**يقول**: أنا لا أستبعد ولا أنكر الاستفادة من المقدمات العقلية الخفية؛ لأنها:

- **أولًا**: الخفاء والظهور نسبي.
- **وثانيًا**: وأيضًا فالمقدمات وإن كانت خفية، فقد يسلمها بعضنا، قد تكون فيها فائدة لبعض الناس أكثر من المقدمات.

نكمل إن شاء الله بعد الصلاة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * *

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كنا نقرأ كلام ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- في جوابه عن سؤالٍ مقدَّر، وهو:

**كيف تنكر حصول الفائدة من المقدمات الخفية، وهذا قد ينتفع منه كثيرٌ من الناس؟ كيف تنكر؟**

ذكر في جوابه:

**أولًا**: أن الخفاء والظهور من الأمور النسبية، وما كان ظاهرًا عند شخصٍ قد يكون خفيًّا عند آخر والعكس.

**ثانيًا**: المقدمات وإن كانت خفيةً فقد يسلمها بعض الناس وينازع فيما هو أجلى منها، بعض الناس هوايتهم في المقدمات الخفية، لا يركز على ما كان واضحًا، أما المقدمات الخفية فهو يهتم بها، ويسلم تلك المقدمات، مع أنه قد ينازع فيما هو أوضح وأجلى منها.

**فائدة أخرى**: (**وَقَدْ تَفْرَحُ النَّفْسُ بِمَا عَلِمَتْهُ بِالْبَحْثِ وَالنَّظَرِ، مَا لَا تَفْرَحُ بِمَا عَلِمَتْهُ مِنَ الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ**) هذه أيضًا فائدة، وهذا كثير، الفائدة التي تصل إليها بعد جهدٍ وجَهْدٍ، وبعد بحثٍ ونظر،

فتفرح بها أكثر من الفائدة التي تعلمها من الأمور الظاهرة، حتى ولو كانت تلك الفائدة التي تعلمها من الأمور الظاهرة حتى ولو كانت أهم، إلا أن فرحك بتلك الفائدة يكون أكثر.

وأحيانًا ما تستطيع تقارن، وأحيانًا ما تريد تقارن، تلك الفائدة التي توصلت إليها بعد تعب هي عندك مهمة، أما تلك الفوائد التي حصلتها من الأمور الظاهرة مع أنها قد تكون أهم، فشأنها عندك ليس مثل شأن تلك الفوائد.

**(وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعِلْمَ بِإِثْبَاتِ الصَّانِعِ وَوُجُوبِ وُجُودِهِ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ فِطْرِيٌّ، وَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ لِبَعْضِ النَّاسِ مِنَ الشُّبَهِ مَا يُخْرِجُهُ إِلَى الطُّرُقِ النَّظَرِيَّةِ)** مع أنه ضروري فطريٌّ.

**ومن أدلة كونه ضروريًّا فطريًّا**: اتفاق أكثر العقلاء عليها.

**ولماذا يجعلها بعض الناس نظريًّا مع أن إثبات وجود الله –عَزَّ وَجَل– فطري؟**

فلذلك يسميها السلف أهل السنة فطرية المعرفة.

**طيب، لماذا يخالفك بعض؟**

لأنه يحصل لهم من الشبه ما تحول بينها وبين هذه المعرفة الفطرية، فيجعلها نظريًّا يحتاج إلى أدلة؛ يعني ما دام أنه جعله نظريًّا، فهو بحاجةٍ إلى أدلة، أما إذا جعله فطريًّا ضروريًّا فلا يحتاج إلى أدلة.

هنا ابن أبي العز هنا يشير إلى منهج المتكلمين، منهج المتكلمين عمومًا هو إلى جانب المقدمات الخفية عمومًا المتكلمون منهجهم مبنيٌّ على المقدمات الخفية، والمقدمات الطويلة الطويلة المعقدة، **من أين أخذوها؟**

أخذوها من الفلاسفة، وأرسطو له كلامٌ معروف أنه يتعمَّد تعقيد المسألة حتى لا يفوز بها كل واحد، يتوصل إليها من كان أهلًا لها؛ ولهذا يعقدها عمدًا. هذا منهج عندهم.

وهذا تجده ظاهرًا في علم الكلام حتى في تعبيراتهم تجد كأنك في لغةٍ أخرى، كأنك أنت لما تترجم ما ورد بلغاتٍ أخرى لما تترجمها إلى اللغة العربية تترجمها على أسلوب هذه لغة، أليس كذلك؟ هم ترجموا المنطق ترجمة حرفية من لغة أرسطو إلى اللغة العربية ترجمة حرفية في غالبها؛ ولذلك تجد فيها تعقيد مقصود، كثيرٌ من العبارات فيها هكذا.

ومما يدل على ميل المتكلمين إلى الأمور الخفية موقفهم من الحوادث، موقفهم من المحدثات، موقفهم من الموجودات، موقفهم من المخلوقات كما أشرت ليس عندهم شيءٌ حادثٌ تستدل به، لا يحتاج إلى أدلة أبدًا، جميع الحوادث تحتاج إلى أدلة، حتى هذا الولد الذي وُلِدَ لك بحاجة إلى أدلة أنه حادث.

**كيف تعرف أنه حادث؟**

بالنظر إلى العوارض، بالنظر إلى الأعراض، وأن هذا الجوهر لا ينفك عن الأعراض، وأن الأعراض حادثة، بدليل تعاقبها، وبما أن هذا الجوهر لا ينفك عن تلك الأعراض، فهو حادث بعقليتنا.

هذه النقطة بالذات أنا أطلت معها في رسالتي؛ لأني ما كنت أفهمها، ولا زلت ما أفهمها جيدًا؛ ولذلك نقلت أقوال شيخ الإنسان، وتركت القارئ معها.

**أقرأ عليكم بعض النصوص في موقف المتكلمين من المخلوقات والحوادث، وجعلها بحاجةٍ إلى أدلة:**

الحوادث نحن نستدل بها على وجود الله -عَزَّ وَجَل-، لا، هم عندهم بحاجة إلى دليلٍ لإثبات حدوثها.

**يقول شيخ الإسلام:** {هذه المخلوقات التي يخلقها الله بعضها من بعض ليس خلقه لها إلا تغيير صفاتها عند المتكلمين، وأن حقيقة كل شيء جواهر أصلية متماثلةٌ باقيةٌ لا تتغير حقيقتها أصلًا، ولكن تكثر تلك الأجزاء وتقل، إذن ليس هناك إحداث لذات الآن}.

**ويقول:** {وأننا لا نعلم –هذا كلامهم- لا بالحس ولا بالضرورة أن الله أبدع شيئًا قائمًا بنفسه، وأن جميع ما نشهده مخلوقًا من السحاب، والمطر، والحيوان، والنبات، والمعدن، وبني آدم، وغير بني آدم فإنما فيه أنه أحدث أكوانًا في الجوهر المنفرد كالجمع والتفريق، والحركة والسكون، وأنكر هؤلاء أن يكون الله لما خلقنا أحدث أبداننا قائمةً بأنفسها، أو شجرًا، أو تمرًا، أو شيئًا آخر قائمًا بنفسه، وإنما أحدث عندهم أعراضًا، وأما الجواهر المنفردة فلم تزل موجودة}.

إذن عند الأشاعرة: ليس هناك شيءٌ يحدث الآن بذاته، ما يحدث الآن هي صفات بها تتغير الأشياء.

ويقولوا: {أن خلق الله لمخلوقاته من الحيوان والنبات والمعدن ليس إلا إحداث أعراض وصفات ليس فيها خلقٌ لأعيانٍ قائمةٍ بنفسها، ولا إحداث لأجسام وجواهر قائمةً بنفسها كما تحرك الرياح، والمياه، وتفرق الماء في مجاريه}.

هذا كله كلامهم كثير، وأنا نقلت هذه النصوص حتى نعرف كيف أن طريقتهم من البداية عكس، نحن لسنا بحاجة إلى استدلال لهذه الحوادث، وخاصةً لما يحدث أمامنا لسنا بحاجة، عندهم لا، هذه طريقة الجمهور: إذا وجدت شيئًا حادثًا أمامك لم تكن هناك شجرة ووجدتها، أن تقول: لم تكن هنا فوُجِدَت إذن هي حادثة، هذه طريقة العوام، لا بد أن تتوصل إلى كونها حادثةً بالأدلة التي هم يذكرونها.

وهذه الأدلة التي يذكرونها هي الأدلة التي يذكرونها في دليل الحدوث والأجسام، وهي الأدلة نفسها مختلفٌ فيها بينهم، فكيف تصل إليها؟

عندهم اختلافٌ في الجواهر، عندهم اختلافٌ في أصل الجواهر، عندهم اختلافٌ في الأعراض، وعندهم اختلافٌ في الحركة والسكون والاجتماع والافتراق التي يسمونها أكوان، عندهم اختلافٌ في كل شيء، ولا بد أن تعبر هذه المشاكل كلها حتى تصل إلى أن هذا الذي أمامك هو حادث، وهذه ليست طريقة القرآن، وليست أيضًا طريقة العقلاء، إنما أخذوها من الفلسفة، ولا زالوا عليها، وهم فعلًا يفرحون بالمقدمات الخفية.

إلى هنا قلنا: نعم، لا بأس، تريد أن تصل عبر هذا الطريق المعوج لا بأس، ولكن المشكلة في الخطوة التي بعدها، هل ستصل أو لا؟ هذه المقدمات الخفية التي يحشدونها كثيرٌ منها توصلك إلى غير المطلوب.

**مثلًا**: الدليل، دليل الحدوث والأجسام، هذا الدليل لا يوصلك إلى خالقٍ خلق الكون مثلما ما جاء في النصوص، مستحيل يوصلك إلى هذه النتيجة، هذا الدليل يوصلك إلى أن هناك مثل بقية ال.. إلى أن هناك مبدأً للأكوان والمخلوقات، والموجودات، إلى هنا يشتركون مع الفلاسفة، وأن هذا المبدأ خالق وهم واضحون في هذا بالنسبة للمتكلمين. خطوتين.

الخطوة الثالثة: هذا الخالق متصف بالصفات التي هو ذكرها هنا، لا، هنا يعتذرون، عذرًا، هذه الصفات لا تليق بك.

**طيب أسماؤه سبحانه التي تدل على معانٍ وصفاته أين؟**

لا لا، هناك صفات لا تليق بك، وبالتالي كونه خفيًّا قلنا: إذا كان ينفعك جيد، وكونه يوصل وصلنا إلى الخالق، إلى علمنا بالخالق.

**الخطوة الثالثة:** التي هي الخطوة الأهم هنا هذا الدليل يعارضك، ليست هناك أمور أخرى، ترى علم الكلام عبارة عن هذا الدليل، ومقدماته، ونتائجه، جميع التأويلات لأجل هذا التأويل، ودليل الأسوأ منه أخذوه من الفلاسفة الذي هو دليل التركيب، هذاك أسوأ، كل التأويلات لأجل هذه الأدلة التي اثبتوا بها وجود الله -عَزَّ وَجَل-، منه ما يدل على أن القضية ليست قضية خفاء وظهور، لو كانت قضية خفاء وظهور ذكر الشيخ هنا.

- **أولًا**: القضية نسبية بالنسبة للناس، قد تكون نسبية بالنسبة لشخصٍ واحد.
- **ثانيًا**: قد يكون بعض الناس كما يقولون: ارتاضوا أكثر، رياضتهم أكثر فيفرحون بـ..، ليست القضية لهم، القضية في الوصول إلى الهدف، أدلتكم لا توصل إلى الهدف حتى ولو أوصلوكم ما وجد ما جاء في الكتاب والسنة فيما يتعلق بصفات الله -عَزَّ وَجَل-، أدلتكم تصادمها.

**بمناسبة ذكر كلمة (قديم)، تطرق الشيخ هنا إلى الاسم اسم الله -عَزَّ وَجَل- القديم، هل هذا من أسمائه الحسنى، من الأسماء الحسنى أو لا؟**

طبعًا ذكره هنا ليس استدراكًا على المؤلف، لا بد أن يكون هذا واضحًا عندنا، هذا التعقيب ليس تعقيبًا على الطحاوي؛ لأن ما ذكره الطحاوي هو تفسيرٌ لكلمة (**القديم**) وهو تفسيرٌ جميل، مع هذا لو جاء بما ورد في الكتاب والسنة (**الأول والآخر**) كان أحسن، ولكن مع ذلك هو فسَّر هذين الاسمين الكريمين وفسرها بما يمحض المراد الصحيح، إلى هنا لا اعتراض عليه، حتى الشارح لا يعترض عليه.

يذكر هذه المسألة هنا بمناسبة ذكره لكلمة (**قديمٌ بلا ابتداء**)؛ لأن المتكلمين كثيرًا منهم ذكروا: {أن من أسماء الله -عَزَّ وَجَل- القديم}، وكما سأذكر إبداء الإجماع على هذا، إبداء على أن الأمة أجمعت على أن من أسماء الله الحسنى القديم، سأذكر دعاويهم.

**(وَقَدْ أَدْخَلَ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الْقَدِيمَ).**

**أنا ذكرت هذا لأن بعض المتحذلقين قد يقول: ما دام أن الطحاوي أوضح موقفه لماذا تعترض عليه؟ هل لك اعتراض على كلامه؟**

لا، أصلًا كلام المؤلف كلام الشارح ليس اعتراضًا عليه، إنما ذكر هذه المسألة؛ لأن المكان مناسب، **(وَقَدْ أَدْخَلَ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الْقَدِيمَ)**.

طبعًا كلمة **(القديم)** لها قصة طويلة في علم الكلام.

**القديم عند المعتزلة**: أخص أوصاف الإله عند المعتزلة هو القِدَم.

التوحيد عند جميع الفرق: ينظر فيه إلى أخص أوصاف الإله، ما هي تلك الأوصاف التي هي خصائصه فقط؟ إفراده بتلك الصفات هو التوحيد.

**نحن لما نقول: الوحيد هو عبادة الله وحده، إفراده بالعبادة، لماذا نقول؟**

لأن هذا حق الله -عَزَّ وَجَل-، وحقه وحده، ولما نذكر توحيده في الربوبية والألوهية نذكر أن هذه حقوقه فقط.

**المعتزلة قالوا**: التوحيد هو إفراده بالقديم، إثبات قديم واحد.

**والأشاعرة قالوا**: التوحيد هو إثبات قادرٍ على الاختراع، أو إثبات ربٍّ واحد.

إذن أخص أوصاف الإله عند هؤلاء القدرة على الاختراع، وعند أولئك عند المعتزلة كونه قديمًا، والتوحيد عندهم إفراد قديم واحد.

وكذلك من تأثر بهم من الصوفية، الصوفية الذين تأثروا بالمعتزلة، بالمتكلمين عمومًا، التوحيد عندهم إفراد القديم من الحادث، أو تمييز القديم من الحادث.

**لماذا قالوا: التوحيد هو إثبات قديم واحد؟**

لأن أخص أوصاف الإله عندهم كونه قديمًا.

قالوا: {إذا أثبتنا الصفات لله -عَزَّ وَجَل- فإما أن تثبتها قديمةً وهذا يستلزم تعدد القدماء، وإما أن تثبتها حادثةً وهذا قولٌ بحلول الحوادث بذاته سبحانه، فلا أحد يقول: أنه يثبتها حادثةً، إذن تكون

قديمةً، وهذا قولٌ بتعدد القدماء، وهذا أيش؟ شركٌ، وبالتالي لا تكون واحدًا إلا إذا عطَّلت، إلا إذا نفيت الصفات كلها}.

وهم لم يقولوا: بأن من أسمائه القديم فقط، وإنما لخصوا التوحيد كله في القديم، فلا نستبعد أن يكون المتكلمين حتى الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية يذكرون من أسمائه سبحانه القديم.

وأكثرهم، قدماؤهم وحدثاؤهم أكثرهم ذكروا القديم من أسماء الله -عَزَّ وَجَل-، الذين في أسماء الله -عَزَّ وَجَل- مثل الرازي في [اللوامع]، والغزالي في [الأسماء]، حتى الإمام البيهقي والحُلَيمي كلهم ذكروا القديم من أسماء الله -عَزَّ وَجَل-، ذكروه اسمًا من الأسماء.

يقول المؤلف: **(وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى)** لماذا؟ **(فَإِنَّ الْقَدِيمَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ: هُوَ الْمُتَقَدِّمُ عَلَى غَيْرِهِ)**.

**أنا ذكرت أن التقدم ينقسم إلى قسمين:**

- تقدم نسبي، وهو التقدم على البعض.
- وتقدم مطلق، وهو التقدم على جميع الموجودات.

**(فالْقَدِيمَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ: هُوَ الْمُتَقَدِّمُ عَلَى غَيْرِهِ، فَيُقَالُ: هَذَا قَدِيمٌ).**

**يقال هذا لمن؟**

**(لِلْعَتِيقِ).**

بعضهم قالوا: الضابط في هذا: أن تمضي عليه سنة، المحول الذي جاء عليه حول، طبعًا هذا الضابط قد يكون صحيحًا، وقد لا يكون، المهم إذا كان قديمًا وصار في جنسه شيء جديد يقال: هذا قديم، حتى ولو كان مثلًا قبل أسبوع، وصار شيء جديد، يقال: هذا قديم.

**(وَهَذَا حَدِيثٌ، لِلْجَدِيدِ. وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوا هَذَا الِاسْمَ إِلَّا فِي الْمُتَقَدِّمِ عَلَى غَيْرِهِ)** هكذا في اللغة، و**(الْمُتَقَدِّمِ عَلَى غَيْرِهِ)** لا يلزم أن يكون متقدمًا على الجميع.

**وهذا هو الملحظ، وهذا الذي يركز عليه المؤلف:** التقدم المطلق هو الذي يريده المتكلمون، نحن لا ننازعهم في إرادتهم، هم يريدون القديم المتقدم على الجميع، ولكن هذا اللفظ الذي استعملوه هل يساعدهم على هذا؟ لا، هذا اللفظ يدل على هذا مع أنه ليس في اللغة، ما دام أنت اصطلحت عليه أوافقك على مرادك، ولكن اللغة تخالفك.

إذن هذا اللفظ يدل على مرادك، ويدل على غيره، وبالتالي ليس متمحضًا للحق، فليس من الأسماء الحسنى، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في (**الْمُتَقَدِّمِ عَلَى غَيْرِهِ، لَا فِيمَا لَمْ يَسْبِقْهُ عَدَمٌ**) وهو الأزلي، (**لَا فِيمَا لَمْ يَسْبِقْهُ عَدَمٌ**) وهو الأزلي.

يعني لم يستعملوا القديم بمعنى الأزلي القديم الذي لا ابتداء له هذا اصطلاح المتكلمين.

(**يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-:** ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[يس:٣٩]، **وَالْعُرْجُونُ الْقَدِيمُ: الَّذِي يَبْقَى إِلَى حِينِ وُجُودِ الْعُرْجُونِ الثَّانِي**) مجرد ما يطلع الثاني يكون الأول قديمًا (**فَإِذَا وُجِدَ الْجَدِيدُ قِيلَ لِلْأَوَّلِ: قَدِيمٌ، ويقول سبحان:** ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ **[الأحقاف:١١]؛ أَيْ مُتَقَدِّمٌ فِي الزَّمَانِ**) ولا يقصدون به أنه أزلي.

(ويقول سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦)﴾**[الشعراء:٧٥-٧٦]**)؟

**الآباء هم أزليون في الأزل؟**

هم أقدمون لأنهم قبل.

(**فَالْأَقْدَمُ مُبَالَغَةٌ فِي الْقَدِيمِ، وَمِنْهُ: الْقَوْلُ الْقَدِيمُ وَالْجَدِيدُ لِلشَّافِعِيِّ**) وهذا معروف في الفقه الشافعي (**الْقَوْلُ الْقَدِيمُ**) لما كان في العراق؛ لأن الإمام الشافعي هو الإمام الوحيد الذي جمع بين فقه أهل النظر، وفقه أهل الأثر، هو أصلًا في أصله محدِّث، وشيخه الإمام مالك محدِّث، وتتلمذ أيضًا على محمد بن حسن الشيباني، فأخذ أيضًا طريقة أهل النظر، وطريقة أهل الرأي، وجمع بين هاتين الطريقتين، وهو في أصله محدِّث، وبالتالي هو من الأئمة، الأئمة كلهم عظماء، ولكن الإمام الشافعي متميز جدًّا.

المهم، لما كان في العراق كان له مذهب، ولما ذهب إلى مصر تغيرت كثيرٌ من فتاواه، فسميت أقواله لما كان في العراق سمي (قوله في القديم)، ولما ذهب إلى مصر سمي هذا (قوله في الجديد) وبعض الناس يذكرون في هذا سببًا غريبًا على نفسية الفقهاء لما ذهب إلى مصر تأثر بما عندهم من كذا وكذا، فغير.

على كل حال، يهمنا هنا أن القول القديم والقول الجديد للشافعي، للشخص نفسه.

**(ويقول سبحانه: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾[هود:٩٨])** ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾[هود:٩٨] **(أَيْ يَتَقَدَّمُهُمْ، وَيُسْتَعْمَلُ مِنْهُ الْفِعْلُ لَازِمًا وَمُتَعَدِّيًا).**

**(متعديًا)** كما هو هنا ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾[هود:٩٨]، ويقال: هذا قَدَمَ هذا، وهو يقدُمُه، هذا قَدَمَ هذا؛ أي هذا سبقه، وهو يَقْدمُه، فلانٌ يَقْدُمُ فلانًا} وهذا متعدي.

**أما اللازم: (كَمَا يُقَالُ: أَخَذَنِي مَا قَدُمَ وَمَا حَدُثَ)**؛ أي شوش عليَّ، **(أَخَذَنِي مَا قَدُمَ وَمَا حَدُثَ)**؛ أي بدأت أفكر في كل ما حدث كان قديمًا أو حديثًا، ما قَدُمَ من الأمر، وما حدث من الأمر، أريد أصل إلى نتيجة، ما الذي جعل هذا الأمر؟ لماذا وقع؟

**(أَخَذَنِي مَا قَدُمَ وَمَا حَدُثَ)** المهم هنا **(ما قَدُمَ)** وهذا لازم، ويقال: **(هَذَا قَدَمَ هَذَا)**؛ أي سبقه، وهذا متعدي، وهنا ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾[هود:٩٨]؛ أي يسبقهم.

**(وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْقَدَمُ قَدَمًا؛ لِأَنَّهَا تَقْدُمُ بَقِيَّةَ بَدَنِ الْإِنْسَانِ)** إلى هنا المعنى اللغوي، وأما القديم في اللغة العربية بمعنى: المتقدم نسبيًّا حتى ولو سبق ما كان جديدًا من جنسه، حتى ولو سبقه بدقائق، حتى ولو سبقه بأيام، حتى ولو سبقه بأعوام **يسمى أيش؟** يسمى المسبوق قديمًا.

**(وَأَمَّا إِدْخَالُ الْقَدِيمِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى)**

**الآن حسب هذا المعنى الذي عرفناه هل يجوز أن يكون القديم من أسماء الله –عَزَّ وَجَل–؟**

**وكما تعرفون كونه من أسماء الله –عَزَّ وَجَل–، كون أي لفظٍ من أسماء الله –عَزَّ وَجَل– له ضوابط عند أهل السنة:**

- **أولًا**: أن يكون ورد هذا اسمًا في خصوصه.
- **ثانيًا**: أن يكون حسن، بل يكون من أسماء الحسنى.

**والحسنى**: هي التي بلغت في الحسن غايتها، ولا نقص فيها بوجه من الوجوه لا احتمالًا ولا تقديرًا.

- **ثالثًا**: أن هذا اللفظ يكون مما يدعوا الله -عَزَّ وَجَل- به، ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[الأعراف:١٨٠].

**هل يجوز أن نقول: يا قديم؟**

**أنت لما تقول: يا رزاق ارزقني، لماذا قلت: يا رزاق؟**

لأن الرزق يتعلق بهذا الاسم.

**يا منتقم انتقم من عدوي، لماذا؟**

لأن هذا له صلة.

**يا قديم، ماذا تريد؟**

ليس له تعلق بأفعال العباد، أما (**الأول**) فله تعلق؛ لأنه هو (**أول**) هو الذي خلقك، القديم ليس فيه هذا المعنى، شوفت الميزة التي تتميز بها الأسماء الحسنى.

(**وَأَمَّا إِدْخَالُ الْقَدِيمِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْكَلَامِ**) وكما قلت: هذا قد حكوا عليه الإجماع.

(**وَقَدْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، مِنْهُمُ ابْنُ حَزْمٍ**) لا تنسوا ابن حزم، سنحتاج إليه في التعليق على بعض النص.

**يعني ابن حزم في أي قرن؟**

توفي سنة ٤٥٨هـ قبل شيخه، توفي قبل شيخ ابن عبد البر، توفي الشيخ ابن عبد البر سنة ٤٦٣هـ أو ٤٦١هـ، ابن حزم توفي قبل شيخه، المهم هو قبل شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأنَّا سنجد أن بعض الناس يقولون: أن أول من خالف الأمة في ذلك من؟ ابن تيمية، ويكون هذا في شرحه لهذا الكتاب،

الشارح ذكر لك يا ابن حزم قبل ابن تيمية، وكلام ابن تيمية كلام ابن حزم موجود في كتابه [الدُّرَّة] وهو كتاب مطبوع.

**(وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُسْتَعْمَلًا فِي نَفْسِ التَّقَدُّمِ)** طبعًا هو المؤلف هنا يعتذر للمتكلمين في المراد وليس في اللفظ، فرق بين المراد وبين اللفظ: الأسماء الحسنى فيها الضوابط التي تتعلق بالأسماء الحسنى تتعلق باللفظ وبالمراد، وهنا هذا يتعلق بالمراد.

**(وَلَا رَيْبَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مُسْتَعْمَلًا فِي نَفْسِ التَّقَدُّمِ، فَإِنَّ مَا تَقَدَّمَ عَلَى الْحَوَادِثِ كُلِّهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِالتَّقَدُّمِ مِنْ غَيْرِهِ)** يقول للمتقدمين: أنا معكم أن مرادكم له ما يبرره من هذا، ما دام ما تقدم على غيره يكون قديمًا، فما تقدم على الحوادث كلها على الموجودات كلها أحق بالقدم، أنا معكم في هذا.

**(لَكِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى)** **(الحسنى)** هي التي بلغت في الحسن غايتها، هذه أول قاعدة في القواعد المثلى: أن أسماء الله هي حسنى، هذه أول قاعدة بدأ بها ليرد على المخالفين، ما دام أن أسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ- كلها حسنى، والحسنى هي التي بلغت في الحسن غايتها، وهي مؤنث أحسن، فلماذا تنفونها؟ ولماذا تنفون الصفات التي تتضمنها هذه الأسماء؟ هذه أول قاعدة فيها يعرِّض بالمخالفين كلهم، أسماء الله -عَزَّ وَجَلَّ- هي الحسنى، لماذا تنفيها؟ لماذا ...؟

**(لَكِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي تَدُلُّ عَلَى خُصُوصِ مَا يُمْدَحُ بِهِ)** نحن رأينا أن القديم له معنيان:

- معنى يمدح به الله -عَزَّ وَجَلَّ- وهو التقدم المطلق.
- ومعنى لا يليق به، وهو التقدم النسبي.

**والتقدم النسبي معناه أنه مخلوق، هل يمدح به الله -عَزَّ وَجَلَّ-؟** التقدم النسبي معناه أنه مخلوق، وأنه من جملة المخلوقات.

**إذن هناك معنيان:**

- معنى يمدح به الله -عَزَّ وَجَلَّ-.
- ومعنى يجعل الله -عَزَّ وَجَلَّ- مخلوقًا.

إذن أسماء الله -عَزَّ وَجَل- هي (**الَّتِي تَدُلُّ عَلَى خُصُوصِ مَا يُمْدَحُ بِهِ**) لا تدل على المعنى الثاني.

(**وَالتَّقَدُّمُ فِي اللُّغَةِ مُطْلَقٌ لَا يَخْتَصُّ بِالتَّقَدُّمِ عَلَى الْحَوَادِثِ كُلِّهَا، فَلَا يَكُونُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى**) كم أن هذا الكلام جميل، ويقرر هذه القواعد؛ لأنه من نَفَس إمامٌ من أئمة أهل السنة، وعلى طريقة أهل السنة.

وكما ذكر الشيخ ابن عثيمين: {أسماء الله -عَزَّ وَجَل- حسنى، وبالغة في الحسن غايتها، لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالًا ولا تقديرًا}، {لا احتمالًا} من حيث التقدير اللفظي، {ولا تقديرًا} ولا من حيث التقدير الذهني.

**التقدير اللفظي مثلًا المكر، الكيد، والاستهزاء، هل هذه من الأسماء الحسنى لأنها تدل على النقص في حالٍ، وعلى الكمال في حال؟**

ولذلك فليست من الأسماء الحسنى، وليس من أسمائه الماكر، وليس من أسمائه الكائد، أبدًا، هذا التقدير اللفظي.

**أما التقدير الذهني فمثل المتكلم والمريد، هل من أسمائه المتكلم والمريد؟**

لا.

ذكر شيخ الإسلام في مقدمة [شرح الأصبهانية]؛ لأن الأصبهاني ذكر عددًا من أسماء الله -عَزَّ وَجَل- منها {أنه متكلمٌ ومريد}.

وذكر شيخ الإسلام: {أن هذين الاسمين ليس من أسماء الله -عَزَّ وَجَل-؛ لأن الكلام خبرٌ وإنشاء، ينقسم إلى قسمين: كلامٌ محمود، وكلامٌ مذموم، أما ما يتعلق بالكلام المحمود: فهذا قد ضمنه الله -عَزَّ وَجَل- في أسماء أخرى، أما الكلام المذموم: فالله -عَزَّ وَجَل- منزهٌ عنه، بما أنه يحتمل احتمالين، فليس من أسماء الله -عَزَّ وَجَل-} ولذلك ورد وصف الله -عَزَّ وَجَل-، ولكن لم يأتِ في الكتاب والسنة وصفه بالمتكلم.

**وكذلك الإرادة تنقسم إلى قسمين:**

- إرادة يمدح عليها صاحبها.

- وإرادة ضد ذلك.

وهذا التقدير الذهني.

**(وَجَاءَ الشَّرْعُ بِاسْمِهِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ أَحْسَنُ مِنَ الْقَدِيمِ؛ لِأَنَّهُ يُشْعِرُ بِأَنَّ مَا بَعْدَهُ آيِلٌ إِلَيْهِ وَتَابِعٌ لَهُ)** وهذا المعنى ليس موجودًا في القديم **(بِخِلَافِ الْقَدِيمِ. وَاللَّهُ تَعَالَى لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى لَا الْحَسَنَةُ)**.

وذكر أيضًا شيخ الإسلام وغيره من العلماء: {أن هذا الباب فيه باب الأسماء، وباب الصفات، وباب الأفعال، وباب الإخبار}.

**كم صارت؟**

- باب الأسماء.
- باب الصفات.
- باب الأفعال.
- وباب الإخبار.

- باب الأسماء أضيقها ويحتاج إلى توقيف.

- باب الصفات يليها، ويحتاج أيضًا إلى توقيف.

- باب الأفعال والإخبار لا يحتاج إلى توقيف بخصوصها، فيخبر أن الله -عَزَّ وَجَل- بكل اسم لا يكون سيئًا، بكل اسم حسن، بل بكل اسمٍ لا يكون سيئ، الشيء مثلًا ليس فيه مدح، ولكنه ليس سيئًا، ليس من أسمائه الشيء، ولكن يُخبَر به.

وكذلك القديم يَرِد في كلام شيخ الإسلام وغيره الإخبار عن الله -عَزَّ وَجَل- بأنه قديم، الإخبار.

فنقول: باب الإخبار أوسعها، يليها باب الأفعال، ويليها باب الصفات، ويليها باب الأسماء.

باب الأسماء وباب الصفات توقيفي.

**في باب الأسماء**: يتفق معنا الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية كلهم متفقون على أن هذا الباب توقيفي، في باب الأسماء، لا خلاف بينهم في كون باب الأسماء توقيفيًّا يحتاج إلى إذنٍ شرعي.

**مع ذلك ما الذي جعلهم يدرجون في أسمائه واجب الوجود، والصانع، والقديم، والمتكلم، والمريد؟**

خطؤهم في الشرع.

**مثلًا**: في القديم ذكر التفتازاني -رَحِمَهُ الله- تعليقًا على كلام النسفي لما ذكر بعض الأسماء ذكر: {أن بعض الأسماء ليست من الأسماء الحسنى؛ لأنه لم يأتِ عليها دليل شرعي}.

ثم أثار سؤالًا حول القديم، قال: **طيب، لماذا تعتبره اسمًا من أسماء الله -عَزَّ وَجَل-؟**

قال: {لأجل الإجماع الذي ورد فيه، والإجماع دليلٌ شرعي}.

**إذن هنا الخطأ في التأصيل ولَّا في التفريع؟**

في التفريع.

سبقه أبو المعين النسفي، ذكر أن هناك إجماع، إجماع الأمة على أن القديم من أسماء الله -عَزَّ وَجَل- ، أما من ذكره في الكتاب في كتبه، في الكتب التي ألفت حول أسماء الله -عَزَّ وَجَل-، فذكرت لكم بعضهم: الرازي في [اللوامع]، وكذلك الغزالي وتردد كلامه ذكره اسمًا، وذكره وصفًا، وكلام مضطرب، وكتاب ل-دائمًا أنسى اسمه- في أسماء الله -عَزَّ وَجَل-، أحد المتكلمين من طبقة، وهو صاحب التفسير هذا الذي لخص.

**أحد الحضور**: القرطبي.

**الشيخ**: لا، ليس القرطبي، القرطبي له أيضًا كتاب في هذا.

له تفسير، البيضاوي له كتاب أيضًا في أسماء الله -عَزَّ وَجَل-، وذكر منها القديم، واستدل بالإجماع.

إذن خطؤهم في التفريع، ظنوا أن هذا دليل، مع أنه ليس دليل، وهذا الظن عندهم، أنا أنصحكم بهذا الكتاب [دعاوى الإجماع عند المتكلمين في أصول الدين] تجدون فيه من الغرائب، والطرائف الشيء الكثير.

ما أسهل دعوى الإجماع عندهم!

**مثلًا هنا: من الذي أجمع؟ هل لأجل أن فلانًا وعلانًا من المتكلمين ذكروا هذا من أسماء الله -عَزَّ وَجَل- صار إجماعًا؟!**

إذن ليس هناك إجماع، بل أستطيع أن أقول: أن إجماع السلف خلاف هذا.

**بعد هذا كله أعلق تعليقًا مختصرًا على كلام بعض الأشاعرة المعاصرين الذين شرحوا هذا الكتاب:**

يقول هنا: {دفع الاعتراض على وصف الله تعالى بالقديم} {على وصف الله} هو في كلامه ما تدري يريد القديم وصفًا أو اسمًا، سنرى.

{كلمة قديم استعملها الإمام الطحاوي وقد توفي سنة ٣٢١هـ، وكان حين يقول كلمة ما يتلقفها العلماء، فينتقدونها إن كانت موضع انتقاد، ويردونها عليه إن كانت محل ردٍّ، ولكنَّا لم نجد أحد يعترض على الإمام الطحاوي باستعماله كلمة القديم إلا في هذا الزمان}.

**من الذي اعترض عليه في كلمة قديم؟**

ذكرت لكم: أن كلام الشارح، وكلام غيره ليس اعتراضًا عليه في شرحه لاسم الله -عَزَّ وَجَل- (الأوَّل)، في هذه المناسبة؛ مناسبة ذكري لكلمة (قديم) رأينا أن الإمام الطحاوي، الإمام ابن أبي العز جاء بهذه الفائدة النفيسة في إدراجهم للقديم في أسماء الله -عَزَّ وَجَل-.

إذن هذا ليس اعتراضًا على كما فهتمه.

{ولكن لم أجد أحدًا اعترض على الإمام الطحاوي باستعماله كلمة (القديم) إلا في هذا الزمان، زمان ابن باز، والألباني، وابن عثيمين، مكلفين بلا تحقيقٍ ابن قيم الجوزية، وشيخه ابن تيمية فيما ذهبا إليه بخصوص القديم، فقالوا: إن كلمة قديم لم تَرِد، ولا يجوز استخدامها، وادَّعوا أن معناها لا يليق بالله -عَزَّ وَجَل-} طبعًا كلامهم ليس علميًّا، {لم تَرِد، ولا يجوز استخدامها} أيش يعني؟ نحن قلنا: هناك أربعة أبواب، وكل باب له {لا يجوز استعمالا في أيش؟} في الأسماء، {من أن الإمام الطحاوي إذا تكلم بكلمةٍ هي غلطٌ في موضعها لن يكن العلماء المحيطين به ليسكتوا عليها، بل كانوا يحذرون منها،

إذن مضت حوالي ألف سنةٍ لم يعترض أحد على هذه الكلمة، إذا لم يعترض أحدٌ من العلماء المعتبرين في زمانه، ولا ممن بعدهم على هذه الكلمة، فهذا يسمى إجماعًا} ما شاء الله! {واتفاقًا} إجماع جديد.

{والإجماع حجةٌ معتبرةٌ عند العقلاء من المسلمين، وبقي الأمر كذلك إلى أن جاء ابن تيمية} سبحان الله! هذا الشارح في هذا الشرح ذكرك بابن حزم، وسبحان الله قاسم العقول! ما تستطيع أن..

{وبقي الأمر كذلك إلى أن جاء ابن تيمية} لو كان كلام الشارح في كتابٍ آخر قلنا: لعل هذا الجهمي لم يطَّلع عليه، وذكَّرك في هذا الشرح أن ابن حزم رد على المتكلمين.

{إلى أن جاء ابن تيمية فقدح في صحة إطلاق هذا اللفظ على الله تعالى، وتبعه ابن باز في تعليقاته على كلمة الطحاوي (قديم) فقال: هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله الحسنى كما نبه عليه الشارح وغيره}.

طبعًا الشيخ له تعليقات التي طُبِعَت باسم [التعليقات البازية] هذا ينقل عن تعليقات أخرى طُبِعَت في فتاواه، وهي تعليقات مختصرة جدًّا، هي كلها في سبعة عشر صفحة؛ فلذلك سيركز عليها.

أما تعليقات الشيخ المطبوعة وقد لا تكون مطبوعة لما كتب هذا ما أدري، على كل حال، هناك شرحه متوفر إذا كنت تريد أن تنقضه وترد عليه، فارجع إلى كلامه في الشرح.

يقول: {فقال: هذا اللفظ لم يرد في أسماء الله الحسنى كما نبه عليه الشارح وغيره} ثم يقول: {لنحلل عبارته: هذا اسم إشارة عائدٌ على قديم، قوله: (لم يَرِد) ألا يحتاج النفي إلا استقرار كلام الشارح والكتب الستة على الأقل ليُعلَم أنه لم يَرِد، فهل استقرأ ابن باز هذه الكتب ليتجرأ على القول بأنها لم ترد؟} طبعًا هذا كله موجودٌ في التعليقات التي عمي عنها عمدًا أو سهوًا هذا الجهمي، موجودة، وبعدين سبحان الله! ابن باز لم يستقرئ، وأنت استقرأت، وهذا ليس فنك، عليك باستقراء كلام ابن سينا، والمعلم الأول، والمعلم الثاني، أما الكتب الستة فهي للمحدثين.

{إنه لم يفعل ذلك، بل كانت حجته في نفي أن هذا الوصف لم يرِد أن الشارح –يعني ابن أبي العز وغيره، يعني ابن قيم الجوزيّةَ وشيخه نبه عليه– فصار توضيح الشارح وغيره كافيًا في أنه لم يَرِد، وليست الحجة الاستقراء} هذا كلامه من هنا إلى هنا، تقريبًا نسيت الصفحات.

ذكر فيه: أولًا: قال: {قوله لم يرد نفي، وهو لا يستلزم المنع إلا بدليلٍ آخر، ثم ذكر أنه ورد}.

طبعًا ابن باز يريد أنه لم يَرِد اسمًا، هل أثبته؟ لم يثبته إلى نهاية كلامه؛ فلذلك في الأخير يقول: {الرابعة: ادعاؤه أن من استعمله فإنه جعله اسمًا من أسماء الله تعالى الحسنى، وهذا غير ضروري}.

سبحان الله! هو يذكره اسمًا، الرازي يذكره اسمًا، والغزالي الذي استدل بكلامه يذكره اسمًا، وفي هذا الكتاب الذي أحال إليه، والتفتازاني يذكره اسمًا، ويدعي الإجماع، والباجوري يذكره اسمًا، وأنت تأتي وتقلب على أصحابك!

{فقد نصوا على أنهم لا يريدون بذلك أكثر من الوصف} سبحان الله! طيب، إذا كانوا يريدون وصفًا وليس اسمًا، فلماذا هذا النكير الطويل العريض على ابن باز؟ ألست موافقًا معه؟

يقول: {وذلك كما بينه الإمام العلامة الغزالي في شرح أسماء الله الحسنى} طبعًا الغزالي في كتابه ذكر القديم اسمًا من أسماء الله -عَزَّ وَجَل-، وذكر أنه ورد به دليل. هذا في موضع، وفي موضع ذكر هذا الذي ذكره هنا.

**ومثَّل بالقديم، ذكر:** {أن الاسم لا بد له من دليل، أما الوصف فينظر فيه إلى المعنى، فإذا كان معنًى حسنًا يوصف به الله -عَزَّ وَجَل-، ولا يحتاج إلى دليلٍ وتوقيفٍ خاص} طبعًا هذا ينازع في هذا، وهو لم يصب في هذا، **المهم في الأول**، في الاسم كلهم متفقون كما قلت: أنه بحاجة إلى دليل، وبعد كل هذا الذي سوَّده لم يأتِ بدليلٍ يستدرك به على كلام الشيخ ابن باز الذي هو في سطر فقط.

أقوى ما استدل به يقول: {في [سنن أبي داود]، حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص، حدثنا إسماعيل، وهو ثقة ما شاء الله، إلى الأخير ثقة، والحديث أيش؟

**"أنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- إذا دخل المسجد قال:** «أَعُوذُ بِاللهِ العَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ القَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»". هذا في وادٍ، وأنت في وادٍ.

هذا الحديث نفسه سئل عنه الشيخ ابن باز بعد الدرس، وهو موجود في التعليقات، طبعًا هو يريد أنه استقرأ وكذا، والشيخ ابن باز أشار إلى الروايات الواردة، وأنها ضعيفة، وأشار إلى هذه الرواية أيضًا، وأن القديم هنا وصفٌ لسلطانه، وليس وصفًا له سبحانه، وبالتالي ليس من أسماء الله -عَزَّ وَجَل-.

ثم، طبعًا يبدو أن الوقت تأخر، أنا كنت أريد أقل شيء هذه المرة أقل شيء كنت أريده كاملًا من أوله إلى نهايته؛ لأن ما نريد أن نضيع الوقت مع هذا، وهذا سيكون مثالًا، ولكن يبدو أن بعضكم..

**المهم**: {هنا فينتج من ذلك إذن أن كلام ابن باز غير صحيح}.

**ابن باز ذكر أنه لم يَرِد اسمًا، وأنت أكدت ذلك طيب، ما هو غير الصحيح؟**

يقول: {الإمام الغزالي ذكره في [الأوصاف]، وقد تحقق الورود ينتج من ذلك إذن أن كلام ابن باز غير صحيح}.

**يعني ابن باز هل ذكر الوصفية؟**

هو ذكر أنه لا يصح اسمًا.

بعد ذلك يقول: {وهذا الحديث وإن كان ضعيفًا} حديث «**إِنَّ لله تِسْعَة وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَل الجَنَّة، مِنْهَا التَّوَّاب القَدِيم**»، وفي [سنن ابن ماجه] «**التَّوَّاب القَدِيم**».

{وهذا الحديث وإن كان ضعيفًا، إلا أنه يثبت كون القديم على هذا النحو}، والله ستتعب في تكييف ما يقوله، ضعيف ولكنه يثبت به، مثل كلام الصوفية في تعليقهم على إيمان أبي طالب، هم يذكرون حديثًا "أن الله -عَزَّ وَجَل- أحيا أبا طالب وأبوي النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- أحياهم وأسلموا ثم .." هو الحديث موضوع، ويقول أحدهم: هذا الحديث ومن يقول بضعفه فهو الضعيف، عن الحقيقة عاري} نفس الشيء، إذا قلنا: هذا ضعيف، سيقول لنا: أنتم الضعفاء، {وبانضمامه إلى ما تقدم من الحديث القوي الذي فيه «**وَبِسُلْطَانِهِ القَدِيم**» نعرف أنه لا يصح أن يقال على سبيل الإطلاق في القديم: إنه لم يَرِد} ماذا ما ورد؟! ماذا؟!

{فإن قيل} هذه مسألة في العقيدة (٣:٠:١) في أسماء الله -عَزَّ وَجَل-، فكيف تحتج فيها بحديثٍ ضعيف، وحديث آحاد؟!

فالجواب: {أولًا: إن نفس إطلاق الأسماء على الله تعالى ليست من أصول التوحيد بل هي من فروعه} سبحان الله! ما يتعلق بأسماء الله -عَزَّ وَجَل- ليس من أصول التوحيد، بل من فروعه.

**أولًا**: أنا بعد قراءتي لبعض كلامه استنتجت أنه ضعيفٌ جدًّا في معرفة مذهبه، ما يكلف نفسه أن ينظر في كلام أئمته، أئمتك معروفون، وكلهم متفقون كما قلت: أن باب الأسماء توقيفي، ولكنهم قد يختلفون في هذا التوقيف كما رأينا في كلامهم في القديم، وأنت الآن جئت بجديد، {إن نفس إطلاق الأسماء على الله تعالى ليست من أصول التوحيد، بل إنها من فروعه، ولها أحكامها وقوانينها، وفروع التوحيد يكفي الآحاد للاحتجاج بها، خصوصًا مع انضمام الإجماع عليها} هذا إجماعك وإجماع أمثالك، ولا كرامة لمثل هذا الإجماع.

وعدم وجود المعنى يرد هذا الاجتماع، بيَّن لك الشارح هنا بهذا الطول بيَّن لك ما هو الإشكال هنا.

{وثانيًا: إنما هو من العقيدة مفاهيم الأسماء لا أعيانها} هذا من جهله المركب بمذهبه، قبل أن يكون جاهل بمذهب أهل السنة.

يقول: {نحن نتحدث عن المفهوم، أما التعبير فالأسماء تستطيع أن تعين أنت من عندك، إنما هو من العقيدة مفاهيم الأسماء لا أعيانها} إذن هو هنا يخالف مذهبه قبل أن يخالف.

ثم يقول: {فالمجازفة في إطلاق القول: بأن هذا اللفظ لم يَرِد لا تجوز، يجب} استغفر الله {يجب أن يعرفوا أن ما يتكلمون به دين}.

هذا مثل خطبة الذئب لما يخطب عن عدم الافتراس، واتقوا الله في هذه الوحوش، واتقوا الله في الأغنام، واتقوا الله، سبحان الله! أنت جعلت هذا الأصل جعلته من الفروع.

ثم تأتي وتقول: {وينبغي أن نتأمل في السبب الحقيقي الذي دفع هؤلاء إلى محاولة نفي الاسم} أنت إلى الآن ما أثبت اسمًا، وستنهي كلامك بأنه ليس اسمًا بل هو وصف، طيب أنت الآن ترد على نفسك، ولَّا ترد علينا؟!

{وأما اعتراضهم على هذا اللفظ من حيث العربية} قاعد يحلل كلام الشيخ من حيث اللغة، وسنرى مدى اختلال تدقيقه في العربية أيضًا، يقول: {ولفظ القديم لا يدل على المعنى الذي أراده أصحاب الكلام}. يشير إلى معنى عدم الأولية والسابقية لكل شيء.

**كيف علل قوله: بأن هذا اللفظ لا يدل على المعنى الذي أراده أصحاب الكلام؟**

قال: {لأنه يقصد به في العربية المتقدم على غيره وإن كان مسبوقًا بالعدم، سلمت له أن تعريف القديم هو المتقدم على غيره، وإن كان مسبوقًا بالعدم، ولكن هذا التعريف هل يعارض المعنى الذي يقول به المتكلمون بأي وجهٍ؟ أسأله بالله العلي العظيم أن يعرضه}.

استغفر الله، ذكر لك الشارح بأوضح عبارة أن لهما معنيان، في اللغة: هو التقدم النسبي، ويجوز أن يطلق على المتقدم المطلق، التقدم مطلقًا، ولكن الإشكال هنا أنه ليس متمحضًا لهذا، يحتمل هذا أيضًا.

{لقد نظرت في هذا، فلم أرى إلا أنه يظن أن عبارة (وإن كان مسبوقًا)}

**طبعًا هذه عبارة من؟**

هذه عبارة الشيخ نفسه، الشيخ ابن باز، الآن يظنها عبارة لشخصٍ آخر وأساء ابن باز فهمها.

**شوف:**

{لقد نظرت في هذا} ما شاء الله {فلم أرى إلا أنه يظن أن عبارة (وإن كان مسبوقًا بالعدم) هي التي تعارض ما أراده المتكلمون، يظن أن سبقه بالغير شرطٌ، وهذا فهمٌ ساذجٌ} استغفر الله، {معارضًا أصلًا لمعنى الكلمة، والصحيح: أن كلمة (وإن)} هو كلامه كلام ابن باز {تعني حتى وإن} **طيب، أين الفرق هنا؟**

نعم، هناك تأكيد، ولكن في المعنى، في جوهر المسألة أين الفرق بين.

{وتدل على الغاية؛ أي أضعف حالات القدم يكون مسبوقًا بالعدم، وهو سابقٌ لغيره، يستدل من هذا أن القديم يطلق على السابق لغيره، وإن سبقه عدم، ويطلق على السابق لغيره وإن لم يسبقه هو عدم، وليس شرطًا من شروط القديم أن يكون مسبوقًا بالعدم كما فهم ابن باز، فكيف يكون ليس هو ما أراده علماء الكلام}.

لا زلت أقول: سبحان قاسم العقول! وإذا لم تستحي فافعل ما شئت، سبحان الله! والله الذي عنده ذرة من الحياء يستحي من هذا الكلام، أتظن أن الناس الذين يقرؤون سيقلدونك تقليدًا أعمى إن وُجِد من يقلدك تقليدًا أعمى في مثل هذه الأمور فَهُم مثلك، في أحسن الأحوال هم مثلك، ولكن الناس،

وعقولهم، وخاصةً من هم على المنهج السلفي عقولهم والحمد لله أشد، ليست مثل هذه العقول، كذب، وتدليس، وإصرار على التدليس.

**من جهةٍ أخرى**: {إن من استعمل لفظ القديم يمكن أن يستعمله على أنه وصفٌ لا اسمٌ، هذا على فرض عدم وروده، وفرقٌ كبيرٌ بين الاسم والصفة، ولكن ماذا يقول بعدما بيَّنا له أنه قد ورد} أين بيَّنته؟! إلى الآن أنا أنتظر، سبحان الله! قرأت هذا إلى الأخير وله مقطع أيضًا استمعت إليه نفس الذي هنا، وإلى الأخير وأنا انتظر سيأتي بالحديث الذي فيه، بالدليل الذي فيه إثبات ما ادعاه، أبدًا.

{ويتبيَّن} في الأخير {أنه توجد مغالطاتٌ كثيرة في كلامه، منها: الأولى: جزمه بعدم ورود القديم في النقل} سبحان الله! من الذي قال: أن كلمة القديم هكذا الكلمة لم تَرِد، نحن نقول: أنها لم تَرِد اسمًا لله -عَزَّ وَجَل-.

{ثانيًا: جعله أن علماء الكلام هم فقط من استعمل هذا اللفظ، وهذا باطلٌ؛ لأن كثيرٌ من المحدثين استعمله أيضًا، بل استعمله أيضًا شيخهم الذي يقتدون به (١:٨:٣٢) ابن تيمية} طيب، أنت ذكرت أن أول من خالف في هذا من؟ ابن تيمية، الذين يكادون يعتقدون في الأسماء(١:٨:٤٤).

هنا قلت: {بقي الأمر كذلك إلى أن جاء ابن تيمية، فقدح في صحة إطلاق هذا اللفظ، أليس كذلك؟، وهنا تقول: {أن ابن تيمية استعمله}، أنا قلت لكم: هو استعمله، ولكن من باب الإخبار، وهذا الكذاب لا يريد هذا، شوف التدليس، وما أدري أنا أستبعد أن يكون مستواه إلى هذا؛ ولذلك أظن أنه يدلس.

{الثالثة: أنه قال: إن اسم القديم يطلق ما سبق غيره وإن كان مسبوقًا بالعدم، إلا أنه ادعى أن هذا اللفظ لا يدل على المعنى الصحيح في حق الله}.

سبحانه الله! شوفتم التفصيل أن هذا، {أن المتقدم تقدم مطلقًا أحق بـ...، إلا أنه ليس متمحضًا، هنا هذا هو الإشكال، هناك معنيان، هذا الاحتمال الثاني ما دام أن هناك احتمال، واحتمال موجود، إذن هذا المعنى الذي تقصدونه وهو صحيح، لا يجوز أن يكون هذا اللفظ من أسماء الله -عَزَّ وَجَل-}.

{الرابعة: ادعاؤه أن من استعمله فإنه جعله اسمًا من أسماء الله تعالى الحسنى، وهذا غير ضروري} طيب، غير ضروري، طيب أين دعاوى أصحابك، الإجماع على أنه اسمٌ من أسماء الله -عَزَّ وَجَل-؟ أين كتبهم؟ أين أنت منهم؟

{وذلك كما بينه الإمام العلامة الغزالي في شرح أسماء الله الحسنى}.

كما ذكرت لكم: في نفس الكتاب ذكره الغزالي اسمًا، وذكر أيضًا أن التوقيف ورد بكونه اسمًا، وذكر أيضًا في مكان آخر هذا المعنى الذي ذكره هنا، ومثَّل بهذا.

إذن أين أنت من إمامك في نفس الكتاب؟!

{فيتبين لنا: أن نفيه لهذا الاستعمال} إلى الآن الشيخ ابن باز، انتبهوا إلى تدقيقه {فيه مغالطاتٌ وأخطاءٌ عديدة، وقد قلَّد ابن باز في ذلك ابن أبي العز في شرحه، وهذا تلقى هذه الأغاليط عن شيخهم الأكبر ابن تيمية}.

طيب، ابن تيمية أن الآن ما أدري أين تجعله؟ مع أي فريق؟ أحيانًا تجعله معك، وأحيانًا تجعله أول من خالف.

في الأخير يتبجح يقول: {ولم يذكر السقَّاف في شرحه في هذا الموضع ما يشفي الغليل، بل اكتفى بإيراد كلام للإمام البيهقي ليذكر فيه أن الأمة أجمعت على جواز إطلاق القديم على الله تعالى، ولم يبين الأصل الذي قام عليه هذا الإجماع عندهم} ما شاء الله يعني تحقيقه فاق التحقيق!

وكلاهما من المحققين البارزين الذين اشتهروا بالكذب، والتدليس، والتلبيس، وأنا سبحان الله! عايشت كثيرًا من هؤلاء، ولكن لم أجد من يتعمد الكذب، ترى هذا صعب أن تقول: أن فلان تعمد، لم نجدهم إلا هذا، والسقاف، والكوثري، لم أجد غيرهم، أما هؤلاء فكذبهم وتدليسهم، وتلبيسهم واضح، وللأمانة مستوى السقاف مع أنه أسفه منهم، إذا قارنت بين الرجلين، هذاك أسوأ، هذاك فيه بلايا أكثر من هذا، مع ذلك مستواه أحسن من هذا في اللغة، مستواه أحسن، وهذاك له شرح أيضًا أيش سماه؟

شرح العقيدة الطحاوية الصحيحة –نسيت اسمه– هكذا يكون تحقيقهم، ذكرت هذا كتمثيل لتحقيقهم، وتمثيل لتلبيسهم، وكيف أنهم يتطاولون على العلماء، سبحان الله! أنت تتحدث عن الشيخ ابن باز، ماذا يكلفك لو تأدبت معه؟ ماذا يكلفك؟ لم تتأدب معه، والجزاء من جنس العمل، رأينا أنك كالطفل، والأطفال كثيرٌ منهم سيضحكون عليك، أما لو تأدبت معه، وجئت بهذا الاعتقاد الذي تعتقده يعذرك الناس لجهلك، العذر بالجهل، لا في الأسلوب، ولا في الاستقراء الذي تدعيه، سبحان الله!

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

درس (٣١)

قال المصنف –رحمه الله تعالى–:

قوله: (**ولا يكون إلّا ما نريد**).

قال الشارح –رحمه الله تعالى–: (**هذا ردٌّ لقول القدرية والمعتزلة، فإنّهم زعموا أنّ الله أراد الإيمان من النّاس كلهم، والكافر أراد الكفر، وقولهم: فاسق مردود لمخالفته الكتاب والسنة والمعقول الصحيح، وهي مسألة القدر المشهورة وسيأتي لها في هذا بيان إن شاء الله تعالى.**

**وسُمُّوا قدريَّةً لإنكارهم القدر، وكذلك تُسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدريةً أيضًا، والتسمية عَلَى الطائفة الأولى أغلب.**

أمّا أهل السنة، فيقولون: إن الله وإن كَانَ يريد المعاصي قدرًا، فهو لا يحبها ولا يرضاها، ولا يأمر بها، بل يبغضها، ويسخطها، ويكرهها، وينهى عنها، وهذا قول السلف قاطبة، فيقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولهذا اتفق الفقهاء عَلَى أن الحالف لو قَالَ: والله لأفعلن كذا إن شاء الله، لم يحنث إذا لم يفعله، وإن كَانَ واجبًا أو مستحبًا، ولو قَالَ: إن أحبّ الله، حنث إذا كَانَ واجبًا أو مستحبًّا.

والمحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان:

إرادةٌ قدريةٌ كونيةٌ خلقيةٌ، وإرادةٌ دينيةٌ أمريةٌ شرعيةٌ، فالإرادة الشرعية: هي المتضمنة للمحبة والرضا. والكونية: هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث.

وهذا كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام:١٢٥]، وقوله تَعَالَى عن نوح عَلَيْهِ السَّلام: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود:٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية، فكقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨)﴾ [النساء: ٢٧-٢٨] وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، فهذه الإرادة هي المذكورة في مثل قول النَّاس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أي: لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به.

وأما الإرادة الكونية، فهي الإرادة المذكورة في قول الْمُسْلِمِين: ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن).

بسم الله الرحمن الرحيم، إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النَّار.

ثم أمّا بعد: يقول الإمام الطحاوي -رحمه الله-: **(ولا يكون إلّا ما يريد)**: هذه الجملة يشرحها ابن أبي العز -رحمه الله- شرحها ببيان مراده بهذه الإرادة، وبالرّد على الطوائف المتقابلة في صفة الإرادة، القدرية النفاة، والقدرية المجبّرة، ثمّ يناقشهم، يناقش هنا القدرية النفاة، يناقشهم في بعض الأمور التي لأجلها ينفون القدر فيما يتعلق بأفعال العباد، كما تعرفون أنّ القدرية النفاة، وهم المعتزلة هم المشبهة في أفعال الله -عزَّ وجل-؛ يقيسون أفعال الله -عزَّ وجل- على أفعال الإنسان، بل يوجبون على الله -عزَّ وجل- ما يعتقدونه هم العدل، فالعدل الذي يرسمونه يوجبونه على الله -عزَّ وجل-.

وكلامهم في هذا التبويب، ومناقشة ابن أبي العز -رحمه الله- لهم في بعض ما يذكرونه، ولم يذكر ابن أبي العز -رحمه الله- هنا مذهب أهل السُّنة في صفة الإرادة ومذهب المخالفين أيضًا في صفة الإرادة، وأنا لا أذكر هل هناك مواضع ستأتي فيها مناسبة ذكر هذه التفاصيل أو لا، لا أذكر، ولذلك سأذكرها هنا مُجملةً.

الإرادة من الصفات التي يثبتها الصفاتية كلهم، كل من لُقِّب بالصفاتية يثبت هذه الصفات، وأنا عندما أقول: الصفاتية يدخل فيهم أهل السنة، والكلابية [٠٧:٠٠] والماتريدية كلهم من القوم يُلقبون بالصفاتية، وهذا اللقب أصلًا من المعتزلة، وهم لقبوهم الصفاتية؛ أي: الذين يثبتون الصفات، ولا شك أنّ الأشاعرة والماتريدية هم ممن يثبتون شيئًا من الصفات، فإذا قلنا: الصفاتية. فهم يدخلون في هذا، كلهم يثبتون صفة الإرادة، وأنّ الله -عزَّ وجل- متصفٌ بصفة الإرادة أجلًا وأبدًا. إلى هنا يتفق جميع الصفاتية.

ولكن بما أنّ الكلابية ومعهم الأشاعرة والماتريدية بما أنّهم لا يثبتون الصفات الاختيارية، ولا يثبتون ما يتعلق بمشيئة الله -عزَّ وجل- وقدرته؛ لذلك ضلُّوا هنا حتى في إثباتهم لصفة الإرادة، لم يلحقوا بركب أهل السُّنة، ومذهب أهل السُّنة في إثبات هذه الصفة، فأثبتوا جزءًا من الحق ونفوا جزءًا من الحق بسبب مذهبهم في الصفات الاختيارية، قالوا: صفات الله -عزَّ وجل- التي يثبتونها، الصفات السبع عند الأشاعرة والثماني عند الماتريدية، قالوا: هذه أزلية بحتة، وقالوا في صفة الإرادة: أن الله -عزَّ وجل- يتصف بصفة الإرادة، وهي صفةٌ أزليةٌ بحتة.

معنى كون الصفة أزلية بحتة: أن الله -عزَّ وجل- [٠٩:٠٠] إذا سألت أشعريًّا وكان عارفًا بمذهبه، لأن بعضهم يخلطون، بعضهم يرد على ضعفٍ، الذي على الفطرة منهم في كثيرٍ من المشاهد يرد على بعض؛ لأنه لا يدرك لماذا أخطأ أئمته هنا، فتجده يرد على بعضهم، ولكن من يعرف مذهب الأشاعرة لا يمكنه أن يقول: أن الله الآن يريد شيء أبدًا، وأنت بإمكانك أن تفكر في هذه الجريمة، بسبب قولهم بامتناع حضور الحوادث بذات الله -عزَّ وجل- ، وهذه المسألة سيتحدث عنها ابن أبي العز -رحمه الله-، بسبب تلك الخرافة وصلوا إلى هذه النتيجة: الله -عزَّ وجل- الآن لا يريد شيئًا، ولا يمكنه، ولا يفعل شيئًا الآن، ولا يمكنه.

طيب المخلوقات التي تحدث الآن والحوادث التي تحدث الآن كيف تحدث؟ قالوا: هذا بصفتين من صفات الله -عزَّ وجل- صفة القدرة، وصفة الإرادة، بصفة القدرة يتم التأثير في المخلوقات إيجادًا أو عدمًا، وبصفة الإرادة يتم التخصيص، تخصيص الممكنات ببعض ما يجوز عليها، فهذه الصفة التي خُلِق عليها فلانٌ من الناس لأنه من الممكنات، كان بإمكانه أن يكون بأي صفة، ولكن خُصص بهذه الصفات، هذا التخصيص من صفة الإرادة، والتأثير بأنه تم إيجاده، وسيتم إعدامه هذا كله لصفة القدرة.

أنتم ركزتم معي، الصفة تؤثر والصفة تخصص، هذا تجدونه في كتب الأشاعرة، التأثير لهذه الصفة، والتخصيص لهذه الصفة، أين الله -عزَّ وجل-؟ التأثير لله -عزَّ وجل- والخلق له بصفة القدرة والتخصيص له بصفة هذا هو [١٢:٠٦] ولكنكم لما تقرؤون في كتب الأشاعرة ستستغربون، أحيانًا تمر عليهم وأنت تظن أنه يريد صفة الإرادة بها يتخصص، يريد أن الله -عزَّ وجل- يخصص ... هكذا تحسن الظن، لا لا، هو يريد شيئًا لا يمكنه أن يقول: أن الله -عزَّ وجل- الآن أراد شيئًا، لا يمكنه.

طيب كيف أراد هذا الذي يحدث الآن، كيف أراد؟ وما هي العلاقة بين الخالق والمخلوق الذي يحدث الآن؟ قالوا: هذه الصفات لها تعلُّق، وهذا التعلُّق هو الذي هو الصلة بين الصفات وبين آثارها، بين الصفات وبين ما يتم بها، تأثيرًا أو إيجادًا أو تخصيصًا، أمّا الله -عزَّ وجل- فإرادته أزلية، وإذا قلت: أن الله -عزَّ وجل- يريد الآن فهذا هذا فيه حلولٌ للحوادث بذاته سبحانه، وهذا لا يجوز، بإرادةٍ واحدة أراد كل ما يحدث في الكون.

طيب الصفة أزلية كيف تعلقت بالحوادث المتعاقبة المترتبة؟ قالوا: الصلة التعلق بين الصفة وبين أزل الصفة، ولذلك يسندون التأثير بالتخصيص إلى هاتين الصفتين، ولهم أقوال غريبة جدًّا في هذه الصفة، أحدهم ألّف هذا الكتاب: نتائج الأفكار الثقات، مثلما ألّف الرازي ماذا قال في ملخص أفكار المتقدمين والمتأخرين للحكماء والمتفلسفين في أصول الدين، هنا نتائج أفكار الثقات فيما للصفات من التعلقات، في مسألة تعلقات صفات الله، وحققه وقدّم له بتقييمٍ لطيفٍ في المسألة سعيد عبد اللطيف فودة، أنا أقرأ ما هو موجزٌ منه.

تحقيقه عبارة عن ذكر الفروق بين الـ [١٥:٢٧] ولم يتدخل بشيء في التضاربات التي وقع فيها هذا المؤلف، وخرج منها كلها بما سمّاه من التقييد اللطيف في البداية، أنت إذا كنت تريد أن تحقق كتاب، هذا الكتاب فيه أقوال ينسبها إلى فلان وإلى علّان، بالنسبة للتراجم يترجم، ولكن بالنسبة للأقوال أحيانًا ينسب، أنت ما تدري من القائل، إذا سمّاه يترجم، إذا ما سمّاه يتركه كما [١٦:١٠].

أيضًا هذه الأقوال التي ذكرها فيها تضارب لا يتدخل بشيء من البيان، مثلًا أول من نقل عنه، يقول: [١٦:٥٥] إن شاء الله تعالى فيما لكل صفةٍ من التعلق فنقول: [١٦:٥٩-١٧:٠٥] الحمد لله وحده، الجواب والله تعالى الموفق

للصواب، إن التعلق هو الطلب إلى آخره، ذكر هذه التفاصيل، وأن التعلق ينقسم إلى قسمين صلوحين وتنجيزين وبين هذا، كله لا يخلو أن خبطٍ ورجمٍ بالغيب وتصرفٍ ببضاعة العقل فيما لا دليل عليه، ولا أرى دليل.

طيب أين أنت يا محقق من هذا؟ ما أدري أنت معه ولا أنت ضده؟ ثم لو أنا أقرأ هذا وأضيع وقتي معه، أقول في نفسي: هذا كله [١٧:٤٨] خلط وخبط وظن وتخمين وتخرص، وأريد أكتب هنا، وإذا في أُسبَق بهذا الذي كنت أردته موجود، وهذا كله لا يخلو عن خبطٍ ورجمٍ بالغيب وتصرفٍ ببضاعة العقل فيما لا دليل عليه ولا غاية إليه، بعضهم ذكر هذا التعلق؛ لأن هذا التعلق إذا كان وجوديًّا يرجع السؤال، هذا التعلق إذا كان وجوديًّا ما الذي حدث لما خلق الله -عزَّ وجل- هذا المخلوق الآن ما الذي حدث؟ هم قالوا: التعلق، طيب إذًا حدث شيء، وهذا حلولٌ للحوادث بذات الله سبحانه، أليس كذلك؟ فقالوا: لا، التعلق [١٨:٤٥] اعتباري، يقول هذا كلاهما المؤلف والمحقق، كلاهما يقولان: أن هذا عدميٌّ اعتباريٌّ وليس وجوديٌّ.

طيب إذًا لم يتجدد شيء، أليس كذلك؟ هل تجدد شيء؟ يبقى السؤال: لماذا هذا المخلوق وُجِد الآن ولم يوجد قبله ولم يوجد بعده، لماذا؟ الصفة أزلية، والمفروض أن تكون آثاره أزلية، ما دام أن الله -عزَّ وجل- أراد، لماذا تأخر هذا المخلوق؟ بالصفة تخصص —على قولك-، طيب لماذا هذا الوقت الآن، ما الذي حدث؟ قالوا: حدث التعلق، طيب التعلق، قالوا: عدمي، ممن ناقشهم في هذا الرازي نفسه، يبدو أنه تعب في هذه المسألة، ناقشهم وناقش تفصيلهم.

في كتابه الأربعين ذكر أن الناس اختلفوا في هذه المسألة الكرامية قالوا بحدوثه والبقية قالوا بعدم حدوثه، ومال إلى مذهب الكرامية، في الكتاب الذي بعده الذي هو المطالب الغالية صرّح بأنه مع الكرامية، وأن القول بتجدد شيءٍ لا وجود له، لا ليس [٢٠:٣٦]، ما الذي تجدد يرجع السؤال، أولًا أنت جعلت الله -عزَّ وجل- لا يتصرف، أحد الفلاسفة وهو أبو البركات صاحب كتاب المعتبر، وهو كما يقول فيلسوف، والفيلسوف والفلاسفة أبعد الناس عمّا يستلزم حلول الحوادث كما يقول الأشاعرة: يعظمون [٢١:٠٦] ويعظمونه التعظيم الذي لا يصف به الأنبياء، الفيلسوف محقق [٢١:١٩].

ابن بركات يقول: مع عدم إثبات هذا لا تتم الألوهية أصلًا، أنت الآن تريد أن تقول: أن هذه المخلوقات كلها مخلوقة لله -عزَّ وجل- ثمّ تحجّر عليه بهذه الحُجة، وأنه مرة واحدة في الأزل والآن لا يريد، كيف يكون إلهًا؟! أما ما جئت به من هذه الخرافات فهذه لا تنفعك، ولن تنفعك أصلًا، أمّا نحن فننظر إليها والله يعني أنا لما أقرأ لهم يعني سبحان الله، يعني تقرأ لهم وتنظر إليهم بعين الرحمة، ويحتاجون إلى أن تدعو لهم بالتوفيق والهداية، ومع ذلك يذكر هذا الجاهل سعيد فودة، يذكر في هذا الكتاب: أن هذه الصفة لم يثبتها إثباتًا صحيحًا إلّا أهل السُّنّة [٢٢:٤٣] الأشاعرة.

حتى ابن تيمية يقول: واقع في القول بحلول الحوادث على أصله [٢٢:٥٦]. فيقول: ولم يسهم في إثبات هذه الصفة إلّا في أهل السنة والجماعة، يقول: هم الموحّدون الذين أثبتوا هذه الصفة، نعم يُحمد لكم إثبات هذه الصفة، ولكن هذا التفلسف الذي لم ينتهِ إلى الآن، طبعًا أنتم في القدماء لن تجدوا هذا، الآن ما زالت، وهو كتب في المقدمة بعض الأمور يقول: هذه لا مسبق إليها أصلًا، طيب إذًا السلسة ما زالت باقية، إلى متى ينتظر المسلمون بنات أفكاركم كما قلت، في تفسير هذه الأمور التي هي بدئيات، أليس كذلك؟

هل فكّر أحدٌ من العوام أن هناك إشكالًا في حدوث هذا الحادث، وأن هناك إشكالًا في الصلة بينه وبينه الخالق؟ هل أحدٌ فكّر فيها؟ هذا تجده عند هؤلاء المحققين، ما يدري كيف يربط بين الخالق والمخلوق، مسألة عويصة وتحتاج إلى نتائج أفكار الثقات، وأولئك الثقات ما أدري هم ثقة [٢٤:٢٥] الثقات، هم كلهم ثقات، على كل حال هذا مذهبهم، وعلى هذا المذهب أولًا: لا يمكنهم أن يقولوا: -وهذا سبحان الله إذا فكرت في هذا [٢٤:٤٤] لا يمكنهم أن يقولوا: أن الله -عزَّ وجل- يريد شيئًا الآن، يخلق شيئًا الآن بإرادته وقدرته ومشيئته، بعد هذا فكر كيف هذه الحوادث، كيف تُنسب إلى الله -عزَّ وجل-.

يقول ابن أبي العز -رحمه الله-: (**هذا ردٌّ لقول القدرية المعتزلة**).

قبل أن نعلق هذا القول لابن أبي العز نقول: المراد بالإرادة هنا في كلام الإمام الطحاوي هي الإرادة الكونية، (**ولا يكون إلّا ما يريد**): أي إلّا ما يريده كونًا؛ لأنه سيأتي أنّ الإرادة تنقسم إلى قسمين: إلى إرادة شرعية وهذه قد تتخلف، وإرادة كونية وهذه لا تتخلف، إذًا هو يريد هنا: (**ولا يكون إلّا ما يريد**)؛ أي أن يكون هذا المتحرك، هذا المتخلف يكون، ما دام أن الإمام الطحاوي يقول: (**ولا يكون إلّا ما يريد**) كيف أنتم تذكرون أن الإرادة تنقسم إلى قسمين، وأن القول بأن الإرادة تنقسم إلى قسمين هذا جاعلٌ للصفة صفتين، سبحان الله!

أنت بنفسك تقول: هذه الصفة، صفة الإرادة لها تعلقان: تنجيزي وصلوحي، التنجيزي معناه: أن أثر الصفة تم في وقته، هذا تنجُّز، طيب الصفة أزلية، إذًا هذا الذي تم هذا صار أزليًّا، ثم قالوا: هذا فيه إشكال، فرُّوا من هذا الإشكال، وقعوا في إشكالٍ آخر: هل هذا جعل الصفة صفتين؟ الصفة لما تذكر أنواع هذه الصفة، ما يكون فيه جعل الصفة صفتين.

يقول: (**هذا ردٌّ لقول القدرية والمعتزلة، فإنّهم زعموا أنّ الله أراد الإيمان من النّاس كلهم، والكافر أراد الكفر**) مزيد هنا: وأن قدرة الكافر قد غلبت قدرة الله -عزَّ وجل-. هكذا يقول المعتزلة.

الله -عزَّ وجل- أراد منهم الإيمان، والكافر أراد الكفر، وأن إرادة الكافر قد غلبت، لماذا غلبت؟

أولًا هو يقول: عمل الإنسان لا تتعلق به قدرة الله -عزَّ وجل- أصلًا، وإذا أراد ستغلب قوة الإنسان، لماذا؟ حتى لا يستلزم كون مقدورٍ واحد تحت قدرتين، قدرة واحدة هي التي ستؤثر، وهذا مجال الإنسان، والعمل عمله، فلماذا تتدخل قدرة الله -عزَّ وجل-، هذا بمذهب من؟ مذهب المعتزلة القدرية النفاة.

**(وقولهم: فاسقٌ مردود لمخالفته الكتاب والسنة)**: يقول الإمام الطحاوي لما يقول: **(ولا يكون إلّا ما يريد)** هذا معناه أنّ كل ما حصل وكل ما يكون ويوجد ويحدث فهو بإرادة الله -عزَّ وجل- الكونية، حتى الكفر والشرك والمعاصي، والإيمان والطاعات كلها لا تكون إلّا بإرادة الله -عزَّ وجل- الكونية، وهل يحبها أو لا يحبها؟ هذا نعرفه بتقسيم الإرادة إلى قسمين.

**(وقولهم: فاسقٌ مردودٌ لمخالفته الكتاب والسنة والمعقول الصحيح، وهي مسألة القدر المشهورة وسيأتي لها زيادة بيان إن شاء الله تعالى)**: طبعًا مسألة القدر سيذكرها المؤلف، وذكرها مبثوثة في مواضع، لم يجمعها في مكان واحد، وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل الذي يريده المؤلف هنا.

**(وسُمُّوا قدريَّةً)**: لماذا سُمُّوا قدرية؟ **(لإنكارهم القدر)**: هم ينكرون درجتين من درجات القدر، الإيمان بالقدر لا يتم إلّا بالإيمان [٢٩:٥٣] الكتابة، عموم كتابة الله -عزَّ وجل- وأن الله -عزَّ وجل- كتب كل شيء، أولًا العلم، علم الله الشامل المحيط، ثم الكتابة، ثم المشيئة، ثم الخلق، هذه أربع درجات، القدرية هنا ينكرون المرتبتين الأخيرتين فيما يتعلق بأفعال الإنسان، ليس عمومًا، بالنسبة لأفعال الإنسان يقولون: الإنسان مسؤولٌ مسؤوليةً كاملةً عن أفعاله سواءً كانت حسنةً أو سيئةً لتتم المسؤولية، ويكون مجازاته ومساءلته بها عدلًا، وإلّا لا يكون عدلًا. هكذا يقولون.

**(لإنكارهم القدر)**: إذًا إنكارهم للقدر إنكارٌ جزئيٌّ وليس إنكارٌ كليٌّ، أمّا القدرية الأوائل كان إنكارهم كليٌّ الذين نفوا العلم والكتابة، هم القدرية الأوائل وهم كفار، السلف متفقون على أنّهم كفار خارجون من الملّة، أمّا هؤلاء لا.

**(وكذلك تُسمى الجبرية المحتجُّون بالقدر قدريةً أيضًا)**: يُسمَّون أيضًا قدرية، لماذا؟ لأنهم غلوا في القدر؛ الجبرية يقولون: أن الإنسان ليس له من أفعاله شيء، وفعل الإنسان لا يُنسب إليه إلّا مجازًا، جميع أفعال الإنسان لا تُنسب إليه إلّا مجازًا، وأن الفعل لله -عزَّ وجل- والخلق له، الإنسان ليس له شيء، لماذا يا جهم؟ لأن الجهم هو إمامهم، الجهم هو إمام الجبرية الخالصة، وإمام المرجئة الخالصة، وإمام الجهمية الخالصة، إمام ثلاث طوائف، لماذا تقول هذا؟ قال: حتى أثبت القدر، لأني إذا قلت: أن الإنسان فعل فعله، وهو فاعل فعله معناه أنّه أيضًا مؤثر، والتأثير لله -عزَّ وجل-، وحتى أكون موحِّدًا أنفي التأثير عني [٣٢:٢٦] يقول: هو يريد أن يكون موحدًا.

(**والتسمية عَلَى الطائفة الأولى أغلب**): المعتزلة يتبرؤون من هذا اللقب، يقولون: نحن لسنا قدريين، وأنتم – يقصدون أهل السُّنة– وأنتم أولى بأن تكونوا قدريين لأنكم أثبتم لله –عزَّ وجل– ما ليس له، وجعلتموه خالقًا أيضًا لأفعال الإنسان، وهم عمومًا يلقِّبون أهل السُّنة مجبرة، نحن عندهم جبريين، ونحن عند الجبريين معتزلة، وألقاب أهل السُّنة بكثرة البدع، كل مبتدع عنده لقب خاص لأهل السُّنّة.

هذا مذهب القدرية.

(**أمّا أهل السُّنّة فيقولون**): من هنا إلى آخر الفقرة، إلى قوله: (**ولم يثبتوا حكمةً تعود إليه**) في صفحة ٨٤ طبعة مؤسسة الإشارة، هذا كله كلام شيخ الإسلام في منهاج السُّنّة، في المجلد الثالث من صفحة ١٥ إلى ١٩، ثم من صفحة ١٦٨ إلى ١٧٧، وكلام شيخ الإسلام طويل اجتزأ منه ما يريده هنا، وما يليق بالمقام هنا، هذا كله لشيخ الإسلام.

(**أمّا أهل السُّنّة فيقولون: إن الله وإن كَانَ يريد المعاصي قدرًا**): المعاصي لا تكون إلّا بقدر الله –عزَّ وجل– بإرادته؛ أي بمشيئته، هو يريدها قدرًا، معنى إرادتها قدرًا: أنّ هو الذي خلقها.

(**فهو لا يحبها ولا يرضاها، ولا يأمر بها**): هذا الإنسان الذي كُلِّف، الله –عزَّ وجل– كلّفه، وجعله مُريدًا، وأعطاه صفة المشيئة والقدرة، وجعله مستطيعًا أن يقوم بما كُلِّف به، مع ذلك ما أراد هذا الشيء، فالله –عزَّ وجل– يخلق ما عليه هذا الإنسان، لا يجبره على هذا، لا يجبره على الإيمان، إذا كان هناك نقصٌ في القدرة لا يُحاسَب عاجز، إذا كان هناك نقصٌ في المشيئة، مجنون مثلًا لا يُحاسَب، ولكن من عنده مشيئة وقدرة واختار الكفر فهذا يُكتب عليه، والله –عزَّ وجل– هو الذي يخلق هذا الكفر الذي يفعله هذا الإنسان، فالمعاصي تُنسَب إلى الله –عزَّ وجل– خلقًا، وتُنسَب إلى الإنسان فعلًا، هو الذي فعلها، وهو الذي عليه المسؤولية، لماذا؟ هذا سنفصل فيه أكثر في مناقشة ابن أبي العز؛ لأن الله –عزَّ وجل– كلّفه وأوضح له، وليس عنده عذر، أمّا إذا كان هناك عذر فله شأنٌ آخر.

إذًا (**الله –عزَّ وجل– يريد المعاصي قدرًا ولا يحبها ولا يرضاها، ولا يأمر بها، بل يبغضها، ويسخطها، ويكرهها، ويلعنها**): يقول الله –عزَّ وجل–: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧].

(**وهذا قول السلف قاطبةً**): لاحظ هذا الجزم في البيان أنّ هذا هو قول السلف؛ يعني ليس هناك من يخالف في هذا.

(**فيقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن**): إذًا هناك فرقٌ بين المحبة وبين الإرادة الكونية؛ إذًا ليس كل ما يريد الله -عزَّ وجل- كونًا محبوبًا له، وليس كل ما يريده شرًّا يتحقق، لذلك يذكروا هنا فرقًا، وهذا الفرق يقول به حتى المعتزلة، الجميع لما يكتبون في الفقه يذكرون هذا الفرق.

يقول: (**ولهذا اتفق الفقهاء**): كلهم المعتزلة والجبرية وكلهم.

(**عَلَى أن الحالف لو قَالَ: والله لأفعلن كذا إن شاء الله**): علّق هنا بماذا؟ بالمشيئة، والمشيئة لا تكون إلّا كونية، وهذا هو الفرق بين المشيئة والإرادة، الإرادة تنقسم إلى قسمين، والمشيئة لا تكون إلّا كونية.

قال: (**لو قَالَ: والله لأفعلن كذا إن شاء الله لم يحنث إذا لم يفعله**): لماذا لا يحنث؟ لأنّه أولًا استثنى وعلّق بمشيئة الله -عزَّ وجل- ومشيئة الله -عزَّ وجل- لا يدري عنها هو، مشيئة الله -عزَّ وجل- مجهولةٌ لديه، متى تعرفها؟ بعد الوقوع، إذا حصل الشيء هنا تعرف أنّ الله -عزَّ وجل- شاءه كونًا، قبل أن يحصل ما تدري، بما أنّه علّق بالمشيئة، والمشيئة مجهولة له، فإذا لم يفعل مع أنه قال: والله لأفعلن كذا إن شاء الله. إذا لم يفعل لم يحنث، هذا اتفاقًا.

(**وإن كَانَ واجبًا أو مستحبًا**): لا يحنث، لماذا يقول: (**وإن كان واجبًا ومستحبًّا**)؟ لأنّه إذا كان واجبًا ومستحبًّا قد عرفت أنّه محبوبٌ لله -عزَّ وجل-، ولكنه هل علّق بالمحبّة ولا بالمشيئة؟ علّق بالمشيئة، وبالتالي لا يحنث، فالقضية هنا قضية الحنث، أمّا ما الذي عليه لأنّه ترك الواجب، هذه مسألة أخرى، لا يحنث.

(**ولو قَالَ: والله لأفعلن كذا إن أحبّ الله، حنث إذا كَانَ واجبًا أو مستحبًّا**): لأنه كونه محبوبًا لله -عزَّ وجل- هذا معلومٌ عندك لا يخفى عليك، ما دام هو مُستحب أو واجب إذًا هو محبوبٌ لله -عزَّ وجل-، كونه محبوبًا هذا معلومٌ لديك، وبالتالي إذا لم يفعل سيحنث؛ لأنّه علّق بشيءٍ معلومٍ عنده، أمّا هناك علّق بشيءٍ ليس معلومًا عنده، وهذا يدل على الفرق بين المشيئة والمحبة عند الفقهاء عمومًا.

(**والمحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان: إرادةٌ قدريةٌ كونيةٌ خلقيةٌ، وإرادةٌ دينيةٌ أمريةٌ شرعيةٌ**): إذًا الإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية وإرادة شرعية.

(**فالإرادة الشرعية: هي المتضمنة للمحبة والرضا**): أي إرادة شرعية تتضمن المحبة والرضا، أينما كان هناك أمر إرادةٌ شرعية، الإرادة الشرعية عبارة عن أمر الله -عزَّ وجل-، الإرادة الشرعية هي الأمر، أينما كان إرادةٌ شرعية فهي تتضمن محبة الله -عزَّ وجل- ورضاه، وتتحقق بفعل العبد؛ لأنه مطلوبٌ من العبد أن يفعله، وأنت لما تقول: أن الله -عزَّ وجل- أراد في الإرادة الشرعية معناه أمر أو نهى.

(والكونية: هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث. وهذا كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام:١٢٥]):
الإرادة الكونية هي فعل الله -عزَّ وجل- أمّا الإرادة الشرعية فهي أمرٌ من الله -عزَّ وجل- للإنسان يعني يفعله، أمّا الإرادة الكونية فهي فعل الله -عزَّ وجل-، الله -عزَّ وجل- يكون كتبه وأمضاه وقدّره، فلما نقول نحن: أراد الله -عزَّ وجل- في الإرادة الكونية معناه: أنّه خلقه وقدّره.

ذكر هنا هذه الأدلة لبيان الفرق بين هاتين الإرادتين ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام:١٢٥] الإرادة هنا ماذا؟ إرادة كونية، لماذا؟ لأن الإرادة الشرعية متوجهة للجميع، الإرادة الشرعية مأمورٌ بها الجميع، والإرادة الشرعية واضحة في الكتب المنزلة، واضحة عبر الوحي؛ إذًا هي ليست خاصة بأحد دون أحد، الإرادة الشرعية، ولكن هذا الذي ذكره هنا هي إرادةٌ كونية ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

أيضًا قوله سبحانه عن نوح عَلَيْهِ السَّلام: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود:٣٤]: الله -عزَّ وجل- لما أرسل نوحًا أرسله لماذا؟ لهدايتهم أليس كذلك؟ إذًا الله -عزَّ وجل- ما أرسل نوحًا وجميع الرسل إلا لهدايتهم ولنصحهم، ولبيان ما ينفعهم، وبيان ما يضرهم، هذا كله لم يلتفتوا إليه، تأتي هنا الإرادة الكونية ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [هود:٣٤] هذه إرادة كونية؛ لأن الإرادة الشرعية بموجبها الله -عزَّ وجل- أرسله، أرسله إليهم فهي إرادة.

(وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣]): فهذه إرادة كونية.

(وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية): هي الأمرية لماذا؟ لأنّها عبارة عن أمر الله -عزَّ وجل-، (فكقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]): هذا الذي يريده الله -عزَّ وجل- شرعًا، الله -عزَّ وجل- أرسل الرُّسل وأنزل الكتب، ودينه مبنيٌّ على هذا ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥] هذا الذي يريده شرعًا.

(وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء:٢٦]): ولكن هل تحققت هذه الإرادة؟ الله -عزَّ وجل- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾ وهناك ماذا قال؟ ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ﴾ [الأنعام:١٢٥] هناك من يهدي وهناك من يضل، وهنا: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾ [النساء:٢٦] للجميع، إذًا هل هناك تناقض؟ تناقض، تلك إرادة كونية وهذه إرادة شرعية.

(وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧)﴾
﴿يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ الله -عزَّ وجل- يتوب على من؟ على من يتوب.

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨)﴾ [سورة النساء: ٢٧-٢٨] هذا كله إرادة شرعية، فهل جميع الناس يتوبون حتى يتوب عليهم الله -عزَّ وجل-؟ لا، هذه إرادة شرعية قد تتحقق وقد لا تتحقق، تتخلف.

**(وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ -هذا في الدين- ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ -وهذا قد يحصل وقد لا يحصل بإرادة الإنسان- ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]**): ولكن هل حصل هذا التطهير لجميع آل البيت؟ فيهم من لم يؤمن وفيهم ...

**(فهذه الإرادة هي المذكورة في مثل قول النَّاس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريده الله، أي: لا يحبه ولا يرضاه ولا يأمر به.**

**وأما الإرادة الكونية، فهي الإرادة المذكورة في قول الْمُسْلِمِين: ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن)**: في هذا التقسيم الذي سيأتي، هذا المحقق ما شاء الله يتمسك بـ هذا **(ما شاء الله كان، وما لم يشاء لم يكن)** يقول: بما أن جميع المسلمين يقولون هذا، فالذي يقول: أن الإرادة تنقسم إلى قسمين هذا خالف المسلمين. إن لم تكن أعمى انظر إلى هذه الجملة أيضًا، هذا يفعل ما لا يريده الله، هذا إذًا يقوله المسلمون وليس الكفّار!

وصلّى اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

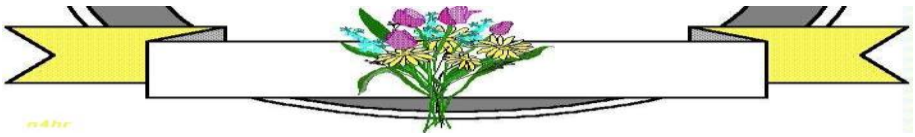

درس (٣٢)

**(تكون مصلحتي في أن أعاونه أنا عليه، بل قد تكون مصلحتي إرادة ما يضاده، فجهة أمره لغيره نصحًا غير جهة فعله لنفسه، وإذا أمكن الفرق في حق المخلوقين فهو في حق الله أولى بالإمكان.**

والقدرية تضرب مثلًا بمن أمر غيره بأمره، فإنه لا بد أن يفعل ما يكون المأمور أقرب إلى فعله، كالبِشر والطلاقة وتهيئة المساند والمقاعد ونحو ذلك.

فيقال لهم: هذا يكون على وجهين: أحدهما: أن تكون مصلحة الأمر تعود إلى الآمر، كأمر الملك جنده بما يؤيد ملكه، وأمر السيد عبده بما يصلح ملكه، وأمر الإنسان شركاءه بما يصلح الأمر المشترك بينهما، ونحو ذلك.

الثاني: أن يكون الآمر يرى الإعانة للمأمور مصلحةً له، كالأمر بالمعروف، وإذا أعان المأمور على البر والتقوى، فإنه قد علم أن الله يثيبه على إعانته على الطاعة، وأنه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

فأما إذا قُدِّر أن الآمر إنما أمر المأمور لمصلحة المأمور، لا لنفعٍ يعود على الآمر من فعل المأمور، كالناصح المشير، وقُدِّر أنه إذا أعانه لم يكن ذلك مصلحة للآمر، وأن في حصول مصلحة المأمور مضرة على الآمر، مثل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وقال لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠]، فهذا مصلحته في أن يأمر موسى عليه السلام بالخروج، لا في أن يعينه على ذلك، إذ لو أعانه لضره قومه. ومثل هذا كثير.

وإذا قيل: أن الله أمر العباد بما يصلحهم، لم يلزم من ذلك أن يعينهم على ما أمرهم به، لا سيما وعند القدرية لا يقدر أن يعين أحدًا على ما به يصير فاعلًا، وإذا عُلِّلت أفعاله بالحكمة، فهي ثابتةٌ في نفس الأمر، وإن كنا نحن لا نعلمها. فلا يلزم إذا كان نفس الآمر له حكمةٌ في الأمر أن يكون في الإعانة على فعل المأمور به حكمة، بل قد تكون الحكمة تقتضي أن لا يعينه على ذلك، فإنه إذا أمكن في المخلوق أن يكون مقتضى الحكمة والمصلحة أن يأمر بأمرٍ لمصلحة المأمور، وأن تكون الحكمة والمصلحة للآمر أن لا يعينه على ذلك –: فإمكان ذلك في حق الرب أولى وأحرى.

والمقصود: أنه يمكن في حق المخلوق الحكيم أن يأمر غيره بأمرٍ ولا يعينه عليه، فالخالق أولى بإمكان ذلك في حقه مع حكمته. فمن أمره وأعانه على فعل المأمور كان ذلك المأمور به قد تعلق به خلقه وأمره فشاءه خلقًا ومحبة، فكان مرادًا بجهة الخلق ومرادًا بجهة الأمر. ومن لم يعنه على فعل المأمور كان ذلك المأمور قد تعلق به أمره ولم يتعلق به خلقه، لعدم الحكمة المقتضية لتعلق الخلق به، ولحصول الحكمة المقتضية لخلق ضده.

**وخلق أحد الضدين ينافي خلق الضد الآخر، فإن خلق المرض الذي يحصل به ذل العبد لربه ودعاؤه وتوبته وتكفير خطاياه ويرق به قلبه ويذهب عنه الكبرياء والعظمة والعدوان يضاد خلق الصحة التي لا تحصل معها هذه المصالح.**

**وكذلك خلق ظلم الظالم الذي يحصل به للمظلوم من جنس ما يحصل بالمرض يضاد خلق عدله الذي لا يحصل به هذه المصالح، وإن كانت مصلحته هو في أن يعدل.**

**وتفصيل حكمة الله عز وجل في خلقه وأمره، يعجز عن معرفتها عقول البشر، والقدرية دخلوا في التعليل على طريقة فاسدة: مثّلوا الله فيها يخلقه، ولم يثبتوا حكمةٌ تعود إليه).**

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمد الله ونصلِّي على رسولنا الكريم وبعد:

قبل أن نبدأ في شرح كلام ابن أبي العز –رحمه الله– أشير إلى أنّ ما ذكره ابن أبي العز –رحمه الله– فيما سبق من انقسام الإرادة إلى قسمين: إرادة شرعيّة وإرادة كونيّة، هذا الموضوع خالف فيه المعتزلة والجبرية، خالف فيه القدريّة النفاة، والقدرية الجبرية، والأشاعرة أخذوا مذهب الجبرية، الأشاعرة وكذلك الصوفية أخذوا مذهب الجبرية، وأقرب النّاس إلى أهل السُّنّة في هذا الباب الماتريدية، الماتريدية مذهبهم أقرب إلى مذهب أهل السُّنَّة في هذا الباب، والذي جعلهم يقتربون من مذهب أهل السُّنَّة هو أنهم في مسائل التقبيح والتحسين هم قريبون إلى المعتزلة، ويخالفون المعتزلة أيضًا في بعض المسائل ويوافقون فيها أهل السُّنَّة والجماعة؛ وبالتالي أقرب الطوائف إلى أهل السُّنَّة في مسائل التحسين والتقبيح هم الماتريدية، ثمّ المعتزلة، ثم الأشاعرة.

وهنا أيضًا نفس أقرب الطوائف إلى أهل السُّنَّة هم الماتريدية، أمّا المعتزلة والأشاعرة، أو المعتزلة والجبرية فهم على طرفي النقيض، كلهم قالوا: أنّ الإرادة واحدة، لم يقبلوا تقسيم الإرادة إلى قسمين مثلما ذكره ابن أبي العز، قالوا: الإرادة واحدة. ثمّ افترقوا: المعتزلة قالوا: الله –عزَّ وجل– لا يريد الشر، فالمعاصي من خلق الإنسان، وبالتالي ليست مُرادةً لله –عزَّ وجل– أصلًا، لماذا؟ لأنّ الإرادة واحدة، ما دام حصلت، فهي حصلت بإرادة الإنسان، ولا يمكن حصول مقدور واحدٍ تحت قدرتين، فما دام حصلت فهي بإرادة الإنسان وليست بإرادة الله –عزَّ وجل–؛ لأن كونها قد حصلت بإرادة الله –عزَّ وجل– يستلزم أن تكون محبوبةً له. هذا كلام المعتزلة، ما دام أنّها ليست محبوبةً لله –عزَّ وجل– فليست مُرادةً؛ لأن الإرادة واحدة.

المجبّرة أو الجبرية والأشاعرة معهم والصوفية هنا ركبوا –أيضًا استفاضة من هذا– قالوا: بما أن الإرادة واحدة، ولا يحصل شيءٌ إلّا بإرادة الله –عزَّ وجل–، وكل ما يريده الله –عزَّ وجل– فهو محبوبٌ له وإلّا لم يرده [١٠:٢٤] معناه: أنّ كل ما يحصل فهو محبوبٌ لله –عزَّ وجل– هذا أكثر من أظهره هم الصوفية، وبالتالي أحدهم يقول: أصبحت منفعلًا لما يختاره مني ففعلي كلُّه طاعاتٌ. [١١:٠٤].

الكفر الذي يحصل والمعاصي التي تحصل كلها محبوبةٌ لله -عزَّ وجل- وبالتالي هم أقرب النّاس إلى الانحدار الصوفيين، وهذا مذهبهم.

وشبهة الفريقين أنّ الإرادة واحدة، وبهذا عرفنا أن القدرية النفاة أو المعتزلة عظّموا جانب الشرع، وأولئك عظّموا جانب القدر، عظّموا جانب القدر على حساب الشرع، والقدرية عظّموا جانب الشرع على حساب القدر، فلا هذا ولا هذا، ومذهب أهل السُّنَّة هو الوسط، القدر لا بد أن تثبته فأفعال الإنسان لا تخرج عن قدر الله -عزَّ وجل- كما يذهب إليه المعتزلة إذ يرون أن أفعال الإنسان خارجة عن قدر الله -عزَّ وجل-، وما يحصل في الكون ليس كله محبوبٌ لله -عزَّ وجل-، المحبوب منه ما كان متوافقًا مع أمره، وما لم يكن متوافقًا مع أمره فليس محبوبًا له، وبالتالي الإرادة إرادتان كونية وشرعية؛ الملازمة للمحبة والرضا هي الشرعية، والتي لا تتخلف هي الإرادة الكونية.

واضح كيف أنّ الجميع اشتركوا في كون الإرادة واحدة ثم افترقوا، هذا ذكره شيخ الإسلام في مقدمته التدمرية، ولذلك ركز في رسالة التدمرية في الجمع بين الشرع والقدر؛ لأن هؤلاء ظنُّوا أنّ هناك تعارضٌ بين الشرع والقدر فبعضهم عظّم شيء على حساب شيء، وبعضهم عكسوا.

في قوله: (**والفرق ثابتٌ بين إرادة المريد أن يفعل**) من هنا إلى آخر الفقرة، إلى قوله: (**ولم يثبتوا حكمة تعود إليه**): هنا مناقشة للقدريّة.

وفي قوله: (**والفرق ثابتٌ**): هنا يبين فرقًا آخر بين الإرادتين، نحن قلنا: أن هناك إرادة شرعية، وأنّ هناك إرادة كونية، وبيّن هذا مستدلًّا بالأدلة التي سبقت، ومن الفروق بين الإرادتين: أنّ الإرادة الشرعية تتضمن المحبة والرضا، وأنّ الإرادة الكونية هي عبارة عن فعل الله -عزَّ وجل- وفعله لا يتخلف.

من الفروق أيضًا بين الإرادة ما يبينه هنا:

(**والفرق ثابت بين إرادة المريد أن يفعل، وبين إرادته من غيره أن يفعل**): الإرادة الكونية هي إرادة المريد أن يفعل، كما قلنا: الإرادة الكونية هي فعل الله -عزَّ وجل- ولما نقول: أراد في الإرادة الكونية معناه قضى وقدّر وخلق؛ إذًا هذه إرادة المريد أن يفعل.

وهناك إرادة أخرى: إرادة المريد من غيره أن يفعل، وهذه الإرادة، هل هي إرادة الفاعل نفسه؟ لا، إرادته من غيره أن يفعل. هناك فرق أو ليس هناك فرق؟ هناك فرق، لما يريد أن يفعل ما تعلُّق هذا بالغير؟ ليس هناك أي تعلُّق، الله -عزَّ وجل- أراد وإرادته دائمًا حسب حكمته لا يسأله أحدًا في هذا الفعل؛ لأن أفعال الله -عزَّ وجل- كلها تابعة لحكمته، ويفعلها بمشيئته وقدرته.

أمّا لما يريد من غيره أن يفعل، فما الذي يكون؟ يأمره ويبين له، ويكشف له أن هذا الذي أمره به هو الذي يفيده، يبينه، ففيه أمرٌ وبيانٌ ونصح وإرشاد؛ إذًا هناك فرق بين إرادة المريد أن يفعل، وبين إرادة المريد من غيره أن يفعل.

(**فإذا أراد الفاعل أن يفعل فعلًا فهذه الإرادة متعلقة بفعله**): وهذه الإرادة كونية.

(**وإذا أراد من غيره أن يفعل فعلًا فهذه الإرادة لفعل الغير، وكلا النوعين معقولٌ للناس**): أنا قلت لكم: من هنا إلى آخر الفقرة مناقشة للمعتزلة، والمعتزلة كما تعرفون مشبهة في الأفعال؛ يشبهون أفعال الله -عزَّ وجل- بأفعال الإنسان، فالمؤلف هنا يريد أن يلزمهم ويقيم عليهم الحُجة بمنطقهم، الآن تفهمون أنّ هذه الإرادة، هذه الإرادة معروفة عند الناس، كيف تخلطون بين الإرادتين؟ كيف تقولون: أن الإرادة واحدة مع أن الناس كلهم يعرفون هذا، إذا أردت أن أفعل شيئًا هذا غير، وإذا أردت من غيري أن يفعل شيئًا فهذا غير.

(**والأمر يستلزم الإرادة الثانية**): ما هي الإرادة الثانية؟ إرادة الفاعل من الغير أن يفعل.

(**دون الأولى**): وهي إرادة الفاعل أن يفعل، الإرادة الأولى هي الكونية.

(**فالله تعالى إذا أمر العباد بأمرٍ**): إذًا هناك إرادتان: إرادة أن يفعل من نفسه، وإرادة من غيره أن يفعل.

(**فالله -عزَّ وجل- إذا أمر العباد بأمرٍ فقد يريد إعانة المأمور على ما أمر به**): فتجتمع الإرادة؛ أمر فلانٌ بأمرٍ، أمره بالإيمان، أمر النّاس كلهم بالإيمان، ومنهم أبو بكر، أبو بكر آمن، فاجتمعت فيه الإرادتان، أبو بكر آمن وبذل الأسباب، والله -عزَّ وجل- أعانه أكثر ووفقه أكثر فاجتمعت فيه الإرادتان.

(**فقد يريد إعانة المأمور على ما أمر به**): فتجتمع الإرادتان.

(**وقد لا يريد ذلك، وإن كان مريدًا منه فعله**): قد لا يريد الإعانة، إعانة هذا المأمور على ما أمر به مع أنه أمره.

(**وتحقيق هذا مما يبين فصل النزاع في أمر الله تعالى**): أنا ذكرت أن بعضهم قالوا: بما أنّ الإرادة واحدة فكل مرادٍ محبوب، وبعضهم قالوا: بما أن الإرادة واحدة، وهذا الذي حسب ما يريد الله -عزَّ وجل- إذًا ليس مرادًا له.

(**وتحقيق هذا مما يبين فصل النزاع في أمر الله تعالى هل هو مستلزم لإرادته أم لا؟**): الله -عزَّ وجل- لما يأمر بشيء، هل يستلزم هذا أن يريده كونًا؟ إذا أمر بشيء هل هو مستلزمٌ لإرادته؛ أي لمشيئته الكونية، لإرادته الكونية أم لا؟

نحن عرفنا النتيجة حسب التفصيل الذي ذكرناه، وذكرنا أن المؤلف سيشرحها أكثر، نحن عرفنا النتيجة، الله –عزَّ وجل– لما يأمر بشيء فقد يعين المأمور عليه وقد لا يعينه، ولكن قبل أن يعينه أو لا يعينه يوضح له، قد وضح له ما أمره بشيءٍ إلّا وقد وضحه وبين له وكشف له أن هذا ينفعه وهذا يضره، الإرادة بعد البيان وبعد الأمر، والمكلّف عنده ما يستطيع به أن يقوم به ويمتثل عنده، وإلّا لا يكون مُكلّفًا، وقد عرف مُراد الله –عزَّ وجل–، المكلّف عرف مُراد الله –عزَّ وجل– بعد ذلك يتخذ موقفًا، فبعضهم أراد أن يمتثل فوفقه الله –عزَّ وجل– أكثر، وبعضهم ما أراد أن يمتثل هنا الله –عزَّ وجل– لا يجبره؛ إذًا لا يعينه.

(**فهو سبحانه أمر الخلق على ألسن رسله –عليهم السلام– بما ينفعهم**): هذه الخطوة الأولى، الله –عزَّ وجل– أمر الجميع على ألسن رسله بما ينفعهم.

(**ونهاهم عما يضرهم**): هذه الخطوة حصلت، حصلت بإرسال الرسل وإنزال الكتب، نفترض أنّ هناك شخصًا في جزيرةٍ من الجُزر مثلًا، ما وصلته الرسالة، أو وصلته مشوشةٌ، فهذا قد يكون شأنه غير الذي ما وصلته الله –عزَّ وجل– ما يكلفه، فهذا يُختبر مرة أخرى يوم القيامة، نحن نتحدث عمّن وصلته الرسالة وعمّن قامت عليه الحُجة.

بعد ذلك: (**ولكن منهم من أراد أن يخلق فعله**): أراد أن يؤمن، أراد أن يؤمن، أراد أن يمتثل، أراد أن يصلّي، يزكّي، يحج، أراد أن يخلق فعله؛ أي: أراد الامتثال.

(**فأراد سبحانه أن يخلق ذلك الفعل ويجعله فاعلًا له**): لماذا؟ لإنابته، لإرادته الفعل الله –عزَّ وجل– أعانه.

(**ومنهم من لم يرد أن يخلق فعله**): ما أراد أن يمتثل، الله –عزَّ وجل– لا يجبره، لا بد أن نفهم هذه المسألة على ضوء الأدلة، وعلى ضوء [٢٣:٥٣] المؤلف في هذا الباب؛ لأن مسألة القدر مسألة دقيقة جدًّا.

أولًا: المناقشة الطويلة لولا شبهات المعتزلة، لولا شبهات المبتدعة كنّا في غنًى عنها، أنا عمومًا لما أدرِّس هذا الكتاب، ولما آتي إلى هذا الموضع: (**والفرق ثابتٌ**) من هنا إلى آخر الفقرة ما أقرأه ولا أقرئه ولا أشرحه، ما أظن أني شرحته، هذه أول مرة أشرحه، ولذلك رجعت إلى الأصل منهاج السُّنَّة حتى أعرف الخلفية التي لأجلها هذا الاستطراد، وإلّا منهج أهل السُّنَّة أنّهم لا يستطردون في مثل هذه المسائل، مو بس في مسائل القدر لا بد أن تؤمن بما ورد وتكتفي، لا تدخل في لماذا ولا ....

ولكن لماذا نرى هذا التفصيل؟ شيخ الإسلام يناقش ذلك المعتزلي الذي هو الرافضي؛ لأنّ الرافضة كما تعرفون هم معتزلة، [٢٥:١٩] معتزلة، والحلّي لما كتب من هذا الكلام هو في هذا الباب معتزلي بحت، وشيخ الإسلام يناقشه على ما ذكر، وهذا الكتاب [٢٥:٤٠] منهاج السُّنَّة، وما أظن أن أحدًا ألّف في الرد على أولئك مثل شيخ

الإسلام، وما أظن أنّ أحدًا ...؛ لأن المسائل متداخلة، في مسألة جبري وفي مسألة قدري، وفي مسألة، فلا يمكن أن يرد على أمثال هؤلاء إلّا من كان محيطًا بهذه المذاهب ومداخلها ومخارجها، وهو ذلك الرجل شيخ الإسلام.

لذلك تجد أنّ جميع الفرق مشغولون به، ومنهم هذا المخلوق -سبحان الله- الذي يُسمى سعيد فودة، كذب وتدليس ودجل، ومن القليل أنه يصدق، سبحان الله، يا أخي رد عليه هو ليس معصوم، رد على شيخ الإسلام، ولكن إن كنت رجلًا لا تكذب [٢٧:٠٣]، ابن تيمية [٢٧:٠٧] لأن ابن تيمية يلاحقهم إلى الآن وهو في قبره، وسيلاحقهم، هو قد أحاط بهم بحول الله -عزَّ وجل- وتوفيقه ما خلّاهم يتنفسوا، فشيخ الإسلام يناقش مَن؟ يناقش ذلك القدري، ذلك المعتزلي، وبما أنّ الموضوع يناسب المقام أخذ منهم ما يناسب المقام لابن أبي العز وأشغلنا به [٢٧:٣٨]، مع ذلك ما كنت أتمنى بعد بيان الفرق بين النوعين أصفهم [٢٧:٥٠] كل واحد، كنت أتمنى ألّا يستفصل ولا يسترسل أكثر.

ولكن ما ذكره هنا لا يخلو من فوائد كما [٢٨:٠٤]، ولكن لا بد أن نفهم أنّ مناقشتهم على ضوء أصولهم وليس على ضوء أصولنا نحن، مناقشتهم على ضوء أصولهم التحسين والتقبيح، بما أنكم تقولون كيت وكيت، إذًا أين عقولكم في مثل هذه الأمور التي يقر بها [٢٨:٢٧] الناس يقولون بهذا الفرق، والناس يفرقون أيضًا بين ما يريده الشخص لنفسه وبين ما يأمر به غيره، يفرقون بين هذه الأمور، إذًا أين التحسين والتقبيح الذي تتوجهون به؟

نذكر بعض الآيات التي فيها إيضاح لهذه المسألة:

الله -عزَّ وجل- بعد البيان والكشف قد يريد أن يعين أحد ويوفقه وقد لا يريد، لماذا؟ الله -عزَّ وجل- وضحها، يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد:٢٧]؛ وُجدت منهم هذه الإرادة، فيزيده بشيءٍ اسمه التوفيق، ونحن لما نقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] فنطلب منه هداية إرشاد وهداية توفيق.

أيضًا يقول الله -عزَّ وجل-: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣]، ويقول الله -عزَّ وجل-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)﴾ [الليل: ٥-١٠].

ويقول الله -عزَّ وجل-: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣]، ويقول الله -عزَّ وجل-: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩] الحق واضح في كتاب الله وفي سُنّة نبيّه -صلَّى الله عليه وسلَّم- فمن شاء يختار هذا ومن شاء يختار هذا.

ويقول الله -عزَّ وجل-: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، بعد ذلك وعيد لمن: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف:٢٩] هذا كله أمام المكلّف.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الشورى:٨] لجعلهم كلهم مسلمين، ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى:٨]. طيب الذي ما أدخله في رحمته ما هي قصته؟ ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى:٨]، ظالم ما أراد هذا.

ويقول الله -عزَّ وجل-: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [المائدة:٤٨] إذًا هذا اختبار، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨]، إذًا هذه كلها تبيّن لماذا الإرادة، ولماذا ... كلهم مخلوقون لله -عزَّ وجل-.

(**فجهة خلقه سبحانه لأفعال العباد وغيرها من المخلوقات، غير جهة أمره للعبد على وجه البيان**): إذًا هناك أمر وعلى أساس هذا الأمر والنهي افترق الناس، فبعضهم وفقه وبعضهم لم يوفقه، بعضهم خلق أفعاله التي يتمناها، وبعضهم لم يعنه ولم يوفقه.

(**لما هو مصلحة للعبد أو مفسدة**): (**فجهة خلقه سبحانه لأفعال العباد وغيرها من المخلوقات، غير جهة أمره للعبد على وجه البيان**): يبين له ماذا؟ يبين لهم ما هو مصلحة له، وما هو مفسدةٌ له؛ إذًا هناك خلق وهناك أمر وبيان وكشف.

(**وهو سبحانه إذ أمر فرعون وأبا لهب وغيرهما بالإيمان**): لما أمرهم بالإيمان، هل أمرهم هكذا ولم يبين لهم ما يريده منهم؟ لا.

(**كان قد بين لهم ما ينفعهم ويصلحهم إذا فعلوه، ولا يلزم**): ما دام أنّه بيّن لهم ووضح لهم وأرسل موسى إلى هذا، وأرسل نبينا محمدًا -صلَّى الله عليه وسلَّم- إلى هذا، مع هذا لا يريدون، إذا ما خلق لهم، وما جعله فاعلًا للطاعات، وفرق بينه وبين أبي بكر، كما قال سبحانه في الآية التي تلوناها: ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى:٨].

(**ولا يلزم إذا أمرهم**): طبعًا هذا كلام المعتزلة كما سيأتي فيه، المعتزلة يقولون: ما دام أمره فيجب عليه أن يعينه.

(**ولا يلزم إذا أمرهم أن يعينهم**): لا يلزم، لما أمرهم لا يلزم أن يعينهم، ولكن هذا سبقه أمرهم، وبيان ما يصلحهم وبيان ما هو مفسدٌ لهم، هذا كله سبقه، ولكن لا يلزم أن يعينهم، ولكن هل ظلمهم؟ ما ظلمهم، ما ظلمهم، لماذا؟ لأنه قد بيّن لهم السبيل وأعطاه من القدرة والمشيئة ما به يستطيع أن يمتثل.

(**ولا يلزم إذا أمرهم به أن يعينهم بل قد يكون في خلقه لهم ذلك الفعل وإعانتهم عليه**): طبعًا مع عدم إرادتهم له، وإعراضهم عنه.

**(وجه مفسدة من حيث هو فعل له)**: نحن عندنا كما قلنا: أبو بكر وأبو لهب، أبو بكر أراد أن يؤمن -رضي الله عنه- بل آمن وحرص على أن يخلق ويوجد الطاعات، حرص على هذا، وأبو لهب ما أراد، هل من العدل والحكمة أن يكون هذا مثل هذا؟! ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ع٣٥-٣٦]، هل هذا عدل؟ لأن المعتزلة يقولون: ما دام أمره فيجب عليه أن يعينه.

**(بل قد يكون في خلقه لهم ذلك الفعل وإعانتهم عليه)**: طبعًا مع عدم إرادتهم له.

**(وجه مفسدة من حيث فعل له، فإنه يخلق ما يخلق لحكمة)**: وأيُّ حُكمة في تسمية المجرم المؤمن.

**(ولا يلزم إذا كان الفعل المأمور به مصلحةً للمأمور، إذا فعله أن يكون مصلحةً للآمر إذا فعله هو)**: من مصلحة المأمور من مصلحته أن يجبره الله -عزَّ وجل- عليه، أي المأمور، لكن الله -عزَّ وجل- لا يفعل هذا؛ لأنه مقام اختبار، وإلّا لماذا أرسل الرسل؟ ولماذا أنزل الكتب؟ إذا كان يجبرهم جميعًا على الإيمان؟! إذًا ما صار هناك تمييزٌ للمؤمن وعقاب للمجرم.

**(ولا يلزم إذا كان الفعل المأمور به مصلحةً للمأمور، إذا فعله أن يكون مصلحةً للآمر إذا فعله هو)**: لأن الآمر هنا قد أمر بشيء وبين هذا لهذا ولهذا، هذا أطاع فأدخله في رحمته، وهذا لم يطعه يدخله في ماذا؟ ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧].

بالنظر إلى الآمر ليس مصلحة في إعانته [٣٧:٣٤] وما أنا بإرادته، ليس هناك مصلحة للآمر أن يعينه، مصلحته أن يعين من ينيب وأن يعين من يريد.

**(ولا يلزم إذا كان الفعل المأمور به مصلحةً للمأمور، إذا فعله أن يكون مصلحةً للآمر إذا فعله هو، أو جعل المأمور فاعلًا له)**: إذا جعل المأمور فاعلًا له فهذا فعلٌ له، وفعله هنا إجباره ليس فيه مصلحة للآمر.

**(فأين جهة الخلق والتكوين من جهة الأمر والتشريع؟)**: إذًا الله -عزَّ وجل- أمر وهذه جهة، من أراد أن يمتثل خلق له ما يريد، ومن أراد ألّا يمتثل خلق له ما يريد، إذًا جهة الخلق غير وجهة الأمر غير.

ثم ضرب مثالًا، ولا تنسوا ما قررته أنّ هذه مناقشة للمعتزلة على أصولهم التقبيح والتحسين، على الفرق الذي وهذا المثال الذي ذكره على هذا الأصل، طبعًا سيذكر شيخ الإسلام في الأخير هناك جملة مهمة جدًّا لم يذكرها هنا، قبل: **(والمقصود)** في الفقرة التي بعدها في صفحة ٨٣: **(والمقصود أنه يمكن)** قبلها يقول شيخ الإسلام:

"والأمثلة التي تذكر في المخلوقين وإن لم يمكن ذكر نظيرها في حق الرب، فالمقصود هنا" إذًا الأمثلة ذكرها هنا ليس معناه أنّ هذا الذي ذكرته يكون عليه أيضًا ربنا -سبحانه وتعالى-.

المقصود هنا ولا تنسوه، إلى آخر المناقشة: المقصود هنا مناقشتهم على أصولهم؛ لأنهم كما قلت: مشبهة في الأفعال، هذا يليق بالله -عزَّ وجل- وهذا لا يليق بالله -عزَّ وجل-، حسب عقولهم! هذا يحسن من الله -عزَّ وجل- يحسن من العبد فيجب أن يكون حسنًا من الله -عزَّ وجل- وهذا قبيحٌ عندنا فيجب أن يكون قبيحًا عند الله -عزَّ وجل-. هذا منطقهم؛ ولذلك يبين لهم شيخ الإسلام أنّ مذهبكم في التحسين والتقبيح، وما تذكرونه في التحسين والتقبيح تخالفون فيه أيضًا العقلاء، وهذا مثال:

(**فالواحد من الناس يأمر غيره وينهاه مريدًا النصيحة ومبينًا لما ينفعه**): أحدنا يريد من غيره أن يفعل شيئًا، ويبين له ويشرح له أن هذا الأمر فيه مصلحة لك.

ومع ذلك: (**وإن كان مع ذلك لا يريد أن يعينه على ذلك الفعل**): ولكن هل كلما أمره بشيء وبين له شيئًا، وخاصة إذا استشاره، كلما بين له شيء أعانه عليه؟ إذًا هناك جهة مصلحة للمأمور، ومصلحة للآمر.

(**إذ ليس كل ما كان مصلحتي في أن آمر به غيري وأنصحه يكون مصلحتي في أن أعاونه أنا عليه**): هذا عند من؟ عند العقلاء، أليس كذلك؟ ومذهبهم في التحسين والتقبيح مبنيٌّ على ما يستحسنه النّاس وما يستقبحه النّاس.

(**بل قد تكون مصلحتي إرادة ما يضاده**): أنا كناصح أبيّن له، ترى هذه هي التي فيها مصلحتك، ولكن قد يكون فهمه لهذا يكون مصادمٌ لمصلحتي أنا.

(**بل قد تكون مصلحتي إرادة ما يضاده، فجهة أمره لغيره نصحًا غير جهة فعله لنفسه، وإذا أمكن الفرق في حق المخلوقين فهو في حق الله أولى بالإمكان**): كما قلت لكم هذا كله مناقشة معهم على ضوء أصولهم.

إذًا أين تحسينكم وأين تقبيحكم، وأين هذا الأصل الذي تلزمون الله -عزَّ وجل- به؟ هذا كله يحسن ويقبح عند العقلاء.

ثم قال: (**والقدرية تضرب مثلا بمن أمر غيره بأمره، فإنه لا بد أن يفعل ما يكون المأمور أقرب إلى فعله، كالبِشر والطلاقة وتهيئة المساند والمقاعد ونحو ذلك. فيقال لهم** ...).

وأكتفي بهذا القدر، وصلّى اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * * * * * * *

# ٣٥

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم اغفر لشيخنا ولأشياخه وللمسلمين.

قال المصنف -رَحِمَه الله تَعَالَى-:

(المتن)

(وَلَا يُشْبِهُهُ الْأَنَامُ).

قال الشارح -رَحِمَه الله تَعَالَى-: هَذَا رَدٌّ لِقَوْلِ الْمُشَبِّهَةِ، الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ الْخَالِقَ بِالْمَخْلُوقِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، وَلَيْسَ الْمُرَادُ نَفْيَ الصِّفَاتِ كَمَا يَقُولُ أَهْلُ الْبِدَعِ، فَمِنْ كَلَامِ أَبِي حَنِيفَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي [الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ]: لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ. ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: وَصِفَاتُهُ كُلُّهَا خِلَافُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، يَعْلَمُ لَا كَعِلْمِنَا، وَيَقْدِرُ لَا كَقُدْرَتِنَا، وَيَرَى لَا كَرُؤْيَتِنَا. انْتَهَى.

وَقَالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ: مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ أَنْكَرَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ فِيمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا رَسُولُهُ تَشْبِيهٌ.

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ: مَنْ وَصَفَ اللَّهَ فَشَبَّهَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ.

وَقَالَ: عَلَامَةُ جَهْمٍ وَأَصْحَابِهِ، دَعْوَاهُمْ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مَا أُولِعُوا بِهِ مِنَ الْكَذِبِ: أَنَّهُمْ مُشَبِّهَةٌ، بَلْ هُمُ الْمُعَطِّلَةُ.

وَكَذَلِكَ قَالَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ: عَلَامَةُ الْجَهْمِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُشَبِّهَةً، فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ نُفَاةِ شَيْءٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِلَّا يُسَمِّي الْمُثْبِتَ لَهَا مُشَبِّهًا، فَمَنْ أَنْكَرَ أَسْمَاءَ اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ مِنْ غَالِيَةِ الزَّنَادِقَةِ، الْقَرَامِطَةِ، وَالْفَلَاسِفَةِ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُقَالُ لَهُ: عَالِمٌ وَلَا قَادِرٌ، يَزْعُمُ أَنَّ مَنْ سَمَّاهُ بِذَلِكَ فَهُوَ مُشَبِّهٌ، لِأَنَّ الِاشْتِرَاكَ فِي الِاسْمِ يُوجِبُ الِاشْتِبَاهَ فِي مَعْنَاهُ، وَمَنْ أَثْبَتَ الِاسْمَ وَقَالَ: هُوَ مَجَازٌ، كَغَالِيَةِ الْجَهْمِيَّةِ، يَزْعُمُ أَنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ حَقِيقَةً، قَادِرٌ

حَقِيقَةً، فَهُوَ مُشَبِّهٌ، وَمَنْ أَنْكَرَ الصِّفَاتِ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا كَلَامٌ وَلَا مَحَبَّةٌ وَلَا إِرَادَةٌ، قَالَ لِمَنْ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ: إِنَّهُ مُشَبِّهٌ، وَإِنَّهُ مُجَسِّمٌ؛ وَلِهَذَا كَتَبَ نُفَاةُ الصِّفَاتِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ وَنَحْوِهِمْ، كُلُّهَا مَشْحُونَةٌ بِتَسْمِيَةِ مُثْبِتَةِ الصِّفَاتِ مُشَبِّهَةً وَمُجَسِّمَةً، وَيَقُولُونَ فِي كُتُبِهِمْ: إِنَّ مِنْ جُمْلَةِ الْمُجَسِّمَةِ قَوْمًا يُقَالُ لَهُمْ: الْمَالِكِيَّةُ، يُنْسَبُونَ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَقَوْمًا يُقَالُ لَهُمُ: الشَّافِعِيَّةُ، يُنْسَبُونَ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ، حَتَّى الَّذِينَ يُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ مِنْهُمْ، كَعَبْدِ الْجَبَّارِ، وَالزَّمَخْشَرِيِّ، وَغَيْرِهِمَا، يُسَمُّونَ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ وَقَالَ بِالرُّؤْيَةِ مُشَبِّهًا، وَهَذَا الِاسْتِعْمَالُ قَدْ غَلَبَ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ غَالِبِ الطَّوَائِفِ.

وَلَكِنَّ الْمَشْهُورَ مِنِ اسْتِعْمَالِ هَذَا اللَّفْظِ عِنْدَ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ الْمَشْهُورِينَ: أَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ بِنَفْيِ التَّشْبِيهِ نَفْيَ الصِّفَاتِ، وَلَا يَصِفُونَ بِهِ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ، بَلْ مُرَادُهُمْ أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ الْمَخْلُوقَ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ أَبِي حَنِيفَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ لَا كَعِلْمِنَا، وَيَقْدِرُ لَا كَقُدْرَتِنَا، وَيَرَى لَا كَرُؤْيَتِنَا. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فَنَفَى الْمِثْلَ وَأَثْبَتَ الوصف.

وَسَيَأْتِي فِي كَلَامِ الشَّيْخِ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ نَفْيُ التَّشْبِيهِ مُسْتَلْزِمًا لِنَفْيِ الصِّفَاتِ.

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:-**

يقول الإمام الطحاوي -رَحِمَه الله-: (**وَلَا يُشْبِهُهُ الْأَنَامُ**) هذه الجملة تتعلق بنفي التشبيه، وسبق أن قال الإمام الطحاوي نفسه: (**وَلَا شَيْءَ مِثْلُه**) (**وَلَا شَيْءَ**) هذاك، الجملة هذيك لبيان نفي المشابهة بين الله -عَزَّ وَجَل- وبين خلقه في أسمائه وصفاته وأفعاله، وأن أحدًا من المخلوقين ليس بينه وبين الله -عَزَّ وَجَل- شيءٌ من التشابه لا في الأسماء، ولا في الصفات، ولا في الأفعال، ولا شيء من المخلوقين وصفاتهم مثل الله -عَزَّ وَجَل-، هذا عكس، هذه الجملة عكس (**وَلَا يُشْبِهُهُ الْأَنَامُ**)؛ أي والله -عَزَّ وَجَل- لا يشبه شيئًا من صفات المخلوقين.

ولذلك هذه الجملة (**وَلَا يُشْبِهُهُ الْأَنَامُ**) النسخ اختلفت هنا: بعض النسخ العتيقة فيها (**وَلَا يُشْبِهُهُ الْأَنَامُ**) وهي نسخ عتيقة، ويبدو أن الشارح أشار إلى هذه النسخة في آخر الفقرة، وكما أنه لا يشبه شيئًا من مخلوقاته تعالى لا يشبهه شيءٌ من مخلوقاته، هل هذه إشارة منه إلى هذه النسخة، أو شرحٌ لهذه الجملة كما وردت هنا (**وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامُ**)؟ هذا يحتمل وهذا يحتمل.

على كل حال، ذكر الشيخ عبد الرحمن البراك –حفظه الله– أن هذه النسخة التي أشار إليها ابن أبي العز، يقول: ليس صحيحًا، لأنه إذا قال: (**وَلَا يُشْبِهُهُ الْأَنَامُ**) يكون تكرارًا لتلك الجملة (**ولا شيء مثله**) (**وَلَا يُشْبِهُهُ الْأَنَامُ**) تكرار، ليس فيه جديد.

وعلى الموجود (**وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامُ**) يكون قد نفى التشابه بين الطرفين لا يماثله أحد من خلقه، ولا يماثل شيئًا من مخلوقاته؛ لأن هناك من يقع في تشبيه الله –عَزَّ وَجَل– مع بعض مخلوقاته، وهناك من يعكس، المؤلف رد على الطائفتين، أن الله –عَزَّ وَجَل– لا يشبهه أحد، ولا يشبه أحدًا من مخلوقاته.

سبق أن ذكرنا أن نفي التشبيه يرجع إلى القدر المشترك، ويرجع إلى الخصائص، سبق أن ذكرنا وفصلنا فيه، هذا يرجع إلى الخصائص، فلا أحد يتصف بشيءٍ من الخصائص التي يختص بها الله –عَزَّ وَجَل– ، وهكذا العكس.

والأئمة لما قالوا: (أن من شبه الله بشيءٍ من خلقه فقد كفر)، كما سيأتي، قالوا: هذا لأن من يشبه الله بشيءٍ من خلقه هذا يعطي الله –عَزَّ وَجَل– شيئًا من النقص الذي يتصف به الخلق، من يشبه الله –عَزَّ وَجَل– بشيءٍ من الخلق معناه أن الله –عَزَّ وَجَل– عنده عاجزٌ وناقصٌ مثل أولئك البشر في تلك الصفات التي يشبه الله –عَزَّ وَجَل– فيها بخلقه، فهذا لا شك في كفره كما سيأتي في كلام نعيم، وفي كلام إسحاق بن راهويه وغيرهم.

يقول الشارح هنا –رَحِمَه الله–: (**هَذَا رَدٌّ لِقَوْلِ الْمُشَبِّهَةِ، الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ الْخَالِقَ بِالْمَخْلُوقِ**) وهناك يشبهون الخلق بالخالق، وهنا يشبهون الخالق بالمخلوق سبحانه.

(**يقول سبحانه:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]) الكاف فيها أقوال، وأظهرها أنها للتأكيد، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١] هي للتأكيد، تأكيد نفي المثلية، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١] وهذا للتنكير يفيد العموم، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١] الله –عَزَّ وَجَل– هنا نفى المماثلة، وأثبت أيضًا شيء من صفاته في نفس الآية.

سبق أيضًا أن علقنا على هذه الآية، وأن الله -عَزَّ وَجَل- ذكر هذه الجملة في سورة (الشورى)، في بداية سورة (الشورى)، وذكرها بعد ذكره لجملةٍ من الأسماء والصفات، بعد ذكره لجملةٍ من أسمائه، وصفاته، وأفعاله، ثم قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١] فيما ذُكِر، فيما سبق أن ذكره، ثم أكده بقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١] مما يدل على أن هذه الجملة ليست لنفي الصفات، لو كانت هذه الجملة لنفي الصفات ما جاءت بعد إثبات كثيرٍ من الأسماء والصفات والأفعال.

**إذن هذه الجملة المسبوقة بذكر الأسماء والصفات والأفعال، وأيضًا ملحوقة بذكر الأسماء والصفات مما يدل على أن النفي هنا يتركز على ماذا؟**

على نفي المشابهة في الخصائص.

وذكر هذين الاسمين ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١] كما ذكر الشيخ الشنقيطي، ذكر أن اختيار هذين الاسمين هنا له أيضًا مغزى، وهو أن السمع والبصر يشترك فيه أكثر المخلوقات، لم يذكر الصفات المعنوية الأخرى، أو صفات المعاني، إنما ذكر السمع والبصر التي يشترك فيها أكثر المخلوقات، مما يدل على أن هذا النفي هنا منصبٌّ على معنى الخصائص والقدر المشترك، وليس على الصفة.

إذن الله -عَزَّ وَجَل- متصفٌ بهذه الصفات، وبعض مخلوقاته قد يكونون متصفين بهذه الصفات، ولكن المخلوقات لا تشبه شيئًا من صفات الله -عَزَّ وَجَل-، والله -عَزَّ وَجَل- لا يشبه شيئًا من مخلوقاته ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

ثم قال: (**وَلَيْسَ الْمُرَادُ نَفْيَ الصِّفَاتِ كَمَا يَقُولُ أَهْلُ الْبِدَعِ**) وهذا كلام أهل البدع عمومًا بدون استثناء، جميع أهل البدع يحتجون بهذه الآية لنفي الصفات، جميع أهل البدع بدون استثناء.

أنا أتحدث مع أحد المتكلمين الذين انحرافهم في باب الأسماء والصفات، كلهم يحتجون بهذه الآية، بل بهذا الجزء من هذه الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١] هذه جزء من الآية، وهم يأتون إلى جزء من هذا الجزء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١]، طيب، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١] وما قبله، مما يدل على أن هناك شيئًا يتحكم في (١٦:٣٤) بهذه الآية، وليست هذه الآية هي التي تحدد عقيدتهم أبدًا.

ذكر هذه الآية عند أهل البدع هو لدفع المخالف؛ وهذا نذكره دائمًا، وأحد الإخوة ألف كتابًا (١٦:٥٩) [الأدلة السمعية عند المتكلمين بين الاحتجاج وال..] أو شيء من هذا. لو كان أي واحد

يستدل بهذه الآية لا بد أن يقرأ الآية كاملة، لا كل الآيات التي قبلها، مع أن هذا غير(١٧:٣٤) واجب، لا بد أن تقرأ السياق حتى تفهم المعنى، تأتي إلى الآية، وهذه الآية أيضًا تحذف جزءً منها قبل هذه الجملة، وجزءً منها بعد الجملة، ثم تستدل بهذه الجملة، كيف؟! هذا ليس استدلالًا بالآية، إنما هذا من باب دفع الخصوم، وليس إيمانٌ بالآية، وليس استدلالًا بالآية، أبدًا، ليس من الاستدلال في شيء.

تجد هذا المبتدع يقول: الله -عَزَّ وَجَل- يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١] إذن هذه الآية محكمة، وهذا حكمٌ قطعي، وأي حكمٍ، وأي مسألةٍ تصادم هذا الحكم القطعي يجب تأويله، ثم يحشر بقية الصفات في الأمر الذي يجب تأويله، سبحان الله!

من الذي جعلك تتحكم في الآية، تجعل جزءً منها محكمةً، وجزءً منها متشابهةً، وتتبعه بقية النصوص. (١٨:٥٣) سبحان الله! واضح جدًّا، والذي يقرأ في كتب المبتدعة والله يتضايق، وأنا ممن أصاب بهذه، والله أقول: كيف هذا يؤمن بالله -عَزَّ وَجَل- وبكتابه، أنا لا أشك في إسلامه، لا أشك، مع ذلك كيف أن الشيطان قد تحكَّم فيه بهذا الشكل، أعماه عن الآية نفسها قبلها وبعدها، أعماه.

إذن المبتدعة كلهم يستدلون بهذا الجزء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١] ثم يتفاوتون، وبعضهم يستدلون بها لنفي جميع الأسماء والصفات، وبعضهم سيشير إليهم ابن أبي العز، وبعضهم يستدلون بها لنفي الأسماء، وبعضهم يستدلون بها..، من ينفي الأسماء فهو ينفي، بعضهم يستدل بها لنفي الصفات، وبعضهم يستدل بها لنفي بعض الصفات، وهكذا.

يقول المؤلف: **(وَلَيْسَ المُرَاد نَفْي الصِّفَات كَمَا يَقُول أَهْل البِدَع)** هو يشير هنا ابن أبي العز هو يشير هنا إلى منشأه(٢٠:٢٢) هذا المتن من الماتريدية، هذا المتن للأسف الشديد قد ابتلي بشراح من الماتريدية جعلوه ماتريديًّا بحتًا، هناك كتابان، كتب كثيرة من كتب أهل السنة ابتلوا بهذه المصيبة، ولكن كتابان كُتِبَت.

**وشُرِحَ هذان الكتابان بشروح من المبتدعة أكثر من غيرهم، لماذا؟**

لأن الكتابين مرتبطان بمذهبين، أولهما هذا (٢١:١٤)، لأن الإمام الطحاوي ذكر في البداية أن هذه عقيدة من؟ أبي حنيفة وصاحبيه، إذن من ينتسب إلى الإمام أبي حنيفة مضطرٌّ لجهله أن يؤوِّل ما

جاء في هذا الكتاب، ويصحح نسبته للإمام أبي حنيفة، لا يستطيع أن يقول: الطحاوي يكذب، ليس هذا مذهب الإمام أبي حنيفة، إنما مذهبه كيت وكيت، لا يستطيع.

**وبالتالي السلاح الذي يشهره للطحاوي ما هو؟**

تأويل، تأويل كلامه، ما دام أنه أوَّل كلام الله -عَزَّ وَجَل- وكلام رسوله، فالطحاوي من يكون يعني؟ هل سيكون كلامه أقوى من كلام الله -عَزَّ وَجَل- وأبلغ وأفصح؟ هذا الكتاب الأول، الطحاوي كما تعرفون توفي سنة ٣٢١هـ.

والكتاب الآخر كتاب ابن أبي زيد القيرواني [الرسالة] [مقدمة الرسالة] ابن أبي زيد -رَحِمَه الله- لما ألف الرسالة في فقه المؤرخين، والكتاب عمدة، وسبحان الله! ورطه بهذه المقدمة، والمقدمة جزء من الكتاب، ماذا تفهم؟ سلطوا عليه التأويل، وإلى الآن يقول أحدهم.

طبعًا هذا الكتاب أحسن ما ألف في هذا، التقريرات الكلامية لشراح المقدمة العقدية في رسالة ابن أبي زيد القيرواني على ضوء دراسة نقدية على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة لأنوار بن سعيد المبري.

وأيضًا هناك كتاب جميل يتعلق بمتن الطحاوي، لأظن زكي حماد [شروح الطحاوية بين السلف والمتكلمين] في مجلدين.

يقول أحدهم: أن الرسالة، رسالة ابن أبي زيد، يقول —شوف أيش يقول هذا، وشوف أيش سبحان الله! يعاني معاناة-: {ولم تزل الناس يشرحونها على مر السنين والدهور، والعلماء يتداولونها ويتأولون ما فيها من مشكل الأمور نحوًا من خمسمئة سنة}. هذا يقوله الزَّرُّوق، له شرح مطبوع، هو توفي سنة ثمانمائة وتسعة وتسعين، زرُّوق؛ يعني خمسمئة سنة وهم مشغولون بهذه الرسالة.

{ويتأولون ما فيها من مشكل الأمور نحوًا من خمسمئة سنة} ذكروا أنه لا تمضي سنة إلا ويؤلف في أقل الأحوال شرح في هذه الرسالة، في كل سنة أقل شيء شرح، والشروح كثيرة، الشروح المطبوعة أيضًا كثيرة. هذا حال هذين الكتابين لارتباطهم بمذهبين، والطحاوي ورطهم بذكر هذا في مقدمة [الرسالة]، وابن أبي زيد ورطهم بجعلها صلب الكتاب الذي هو في الفقه، مع الفارق البسيط بين الكتابين، [الرسالة الكلية] لابن أبي زيد هي سببية(٢٥:٣٤) ليس هناك ما يؤخذ عليه أبدًا، من إلى.

متن الإمام الطحاوي فيه ما نوقش في مسألة الإيمان، وفي بعض مسائل الصفات، المسائل الفرعية، عمومًا هذه العقيدة عقيدة أهل السنة والجماعة، ولكن بالمقارنة بينهما الرسالة لابن أبي زيد ليس عليها أي مآخذ.

لذلك ابن أبي العز يقول: (**وليس المراد نفي الصفات كما يقول أهل البدع، فَمِنْ كَلَامِ أَبِي حَنِيفَةَ –رَحِمَهُ اللَّهُ– فِي [الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ]**) من كلامه في [الفقه الأكبر]، ذكر كلام أبي حنيفة؛ لأنه يريد أن يرجمهم بكلام أبي حنيفة، لأنه يريد الماتريدية والأحناف الذين شرحوا هذه الرسالة، يقول: (**فَمِنْ كَلَامِ أَبِي حَنِيفَةَ –رَحِمَهُ اللَّهُ– فِي [الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ]**).

في بداية الكتاب ذكرت أن [الفقه الأكبر] لا يثبت على الإمام أبي حنيفة، ولكن ابن أبي العز وغيره يمشونه على ما يذكره القوم، وإلا لا يثبت على الإمام أبي حنيفة ألف متنًا في العقيدة، أو في الأصول، أو في غيرها، لم يؤلف شيء في الكتب.

الأحناف يدعون أنه ألف كتابًا في أصول الفقه وهو لا يوجد، منافسةً منه للإمام الشافعي، وهذا ليس بصحيح، و[الفقه الأكبر] ليس له، ولكن ما جاء في [الفقه الأكبر] أكثره يُرْجَع عليهم، بما أنكن تعترفون أن هذا الكتاب له، للإمام أبي حنيفة، هذا كلامه يقول: (**لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ خَلْقِهِ. ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: وَصِفَاتُهُ كُلُّهَا خِلَافُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، يَعْلَمُ لَا كَعِلْمِنَا**) يعني علمه ليس كعلم المخلوقين، علمه يختلف عن علم المخلوقين، يختلف في الخصائص، (**وَيَقْدِرُ لَا كَقُدْرَتِنَا، وَيَرَى لَا كَرُؤْيَتِنَا**).

**هو لما يقول: يَعْلَمُ لَا كَعِلْمِنَا ماذا تفهم منه؟ هل نفى العلم؟**

يعلم، أثبت العلم، ولكن نفى أن يكون علمه مثل علم المخلوقين.

**كيف الله يكون علمه كعلمنا؟**

يعني علم الله يختلف عن علم المخلوقين في الخصائص، ولكن هناك قدر مشترك يعلم ويعلمون، ولكن علمه ليس كعلم المخلوقين.

هذا كلامه، كلام الإمام أبي حنيفة في [الفقه الأكبر]، وأحسن الشرح لـ[لفقه الأكبر] هو شرح الملا علي القاري، الملا علي القاري من القرن الحادي عشر، وأصله من هراة، مدينة هراة في غرب أفغانستان، وسكن مكة، والرجل قرأ يبدو أنه قرأ كتب شيخ الإسلام أيضًا، ففي كتابه أشياء جميلة، وكُتُبُه بعضها

جميلة جدًّا، وبعضها (٢٨:٢٩)؛ لأن مكة بعد الهيتمي، والهيتمي كان أثره على أهل مكة قرون الهيتمي، وهو شافعي المذهب، وهؤلاء الذين انتسبوا إلى الأئمة وهم مبتدعة، كان لهم أثر خطير.

بعض الناس الآن ينشرون بدعهم باسم الإمام أحمد، يا أخي شوف لك واحد آخر، ليس الإمام أحمد، حتى ولو كنت تدعي أنك حنبلي، وأنك كيت وكيت، غيرك أيضًا ادعى أنه حنبلي، ولكن لم يُعْرَف إلا ببدعته، وإذا كنت مصرًّا على نشر هذه البدعة، فاختر لك شخص آخر، ليس الإمام أحمد.

ثم ذكر هذه الأقوال، **هذه الأقوال لماذا يذكرها؟ لماذا يذكرها شيخ الإسلام؟ لماذا يذكرها ابن أبي العز، وابن القيم وغيرهم؟**

هذه الأقوال فيها الموقف الواضح الصريح لأهل السنة في هذه المسألة؛ لأنه كما سيأتي أهل السنة إلى الآن متهمون بأنهم ماذا؟ مشبهة.

وإذا لم يتهمك الأشعري والماتريدي والمعتزلي بالتشبيه فشُكَّ في سلفيتك. خذها قاعدة: إذا لم يتهمك أولئك بالتشبيه، فشُك في نفسك، لا بد أن تكون متهمًا حتى تكون على منهج واضح وفارق بينك وبين أولئك، إذا سكتوا عنك معناها أنك (٣٧:٣١)، ولا يمكن أن تخرج عن الاتهام أبدًا؛ لأنك تثبت ما لا يثبتوه.

وبالتالي أهل البدع نحن دائمًا نقول: يمشون على طريقين متوازيين، تلميع الباطل، وتشويه الحق، خطين متوازيين، تلميع الباطل، وتشويه الحق، كيف ترد على هذا ابن تيمية مثلًا، والأئمة الإمام أحمد وغيرهم كيف ترد عليه مع أنه يتمسك بما جاء في الكتاب والسنة، كيف؟

تشوه، تقول: هذا تشبيه، وهذا تجسيم.

وكيف تلمع كلية(٣٧:٣٢) التنزيه، تنزيه الله -عَزَّ وَجَل-، تنزيه الله -عَزَّ وَجَل- عن مشابهته للمخلوقين، وحلول الحوادث بذاته سبحانه تنزيهه عن التجسيم، وتنزيهه عن التشبيه وهكذا، تلميع التشبيه؟

وأيضًا في هذا السبيل يلبِّس ما يتعلق بالنصوص، ويلبِّس أيضًا كلام أهل السنة؛ لأن كلام أهل السنة عمومًا يتمحور حول النصوص تأييدًا، وشرحًا، وبيانًا، واعتقادًا، هناك نص، وهناك من يرتبط بهذا النص يعتقد به.

**فكيف يحصل فك الارتباط بين هذا النص وبين صاحبه الذي يعتد به؟**

أضف إلى مذهبه إلى قوله شيئًا من الباطل، هو يقول: بأن هذه الصفات أثبتها صفات عينية، إذن ما وجدنا في الكتاب فباطل(٤٦:٣٣)، هو يقول: بأن هذه الصفات يثبتها حتى لو استلزمت حلول الحوادث بذاته، هذا من كيسه(٥٨:٣٣).

أما تلبيس في النص هو هذا التأويل الذي؛ لذلك يقول ابن القيم -رَحِمَه الله- في [النونية]: {لبستم معنى النصوص وقولنا}، تلبيسنا وتلبيسها لأن هذا نص، وهذا من يعتقد من النص.

**لبستم معنى النصوص وقولنا فغدا لكم في ذلك تلبيسان**

هكذا، ثم ذكر أن من يؤول النص صريح، تأويله لكلام الناس سهل، هذه الأقوال تبيِّن خلاصة ما يعتقده أهل السنة في قضية التشبيه، وهي أقوال مهمة.

(**يقول نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ**) توفي سنة ٢٢٩هـ وهو أصله من مرو، ولكنه استوطن أخيرًا في مصر، طبعًا هو من شيوخ الإمام البخاري، يبدو أن الإمام البخاري أدركه في مصر، مع أنه بلديه قريب منه، هنا بخارى، وهنا مرو، قريبة، هذا في أوزبكستان وهذا في تركمانستان، ولكنه أنه استوطن أخيرًا في مصر، ونعيم بن حماد -رَحِمَه الله- قد ابتلي بالجهمية كثيرًا، وأوذي في هذا كثيرًا، ذكر هذا الإمام البخاري في كتابه [خلق أفعال العباد].

يقول: (**مَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ**) **لماذا؟**

لأنه يصف الله -عَزَّ وَجَل- بالعجز الذي عليه البشر، مثلًا من يشبهه بالبشر في علمه معناه أن ما يعتريه، ما يعتري علم البشر من النقص والمحدودية هذا يكون لله -عَزَّ وَجَل- أيضًا، بل يشبهه في حياته، معناه أن حياته مسبوقة بالعدم، وسيلحقها العدم، هكذا حياة البشر، أليس كذلك؟ فمن يشبه الله -عَزَّ وَجَل- بخلقه هذا يعطيه النقائص والمعائب التي يتصف بها البشر، وهذا كافر، يجعل الله -عَزَّ وَجَل- عاجزًا ناقصًا كالبشر، حتى ولو في صفة من الصفات.

(**وَمَنْ أَنْكَرَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ**) **لماذا كفر؟**

لأنه يضاد الله -عَزَّ وَجَل- فيما يخبره عن نفسه.

أول ما يجب علينا في هذا الدين: أن نعرف الله -عَزَّ وَجَل- بأسمائه، وصفاته، فمن ينكر ما وصف الله -عَزَّ وَجَل- به نفسه فهو كافر، هذا هو الحكم العام، ولكن بعض الناس يُستثنى من هذا بالنظر

إلى جهله، كما هو حال المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، وإلا إنكار نصٌّ واحد يوجب الكفر، فكيف بهذه النصوص؟!

من إنصاف أهل السنة، ومن عدلهم، ومن التزامهم بالنصوص، هذا أولًا من التزامهم بالنصوص، وعدم انجرافهم مع ردود الأفعال أنهم يعاملون المخالفين بما يوجبه الشارع، وإلا شخص يأتيك ويرميك بالتجسيم وهو ينكر المئات من النصوص في مسألة واحدة ويعد نفسه من المسلمين، ومع ذلك يتطاول على أهل السنة، لا ينتبه لجهله وتجاهله، إما جاهل وإما تجاهل، (**فقد كفر**) هذا هو الحكم الذي يليق به، ولكن الناس يختلفون في ذلك بالنظر على الأعذار.

**الجهمية الأوائل السلف كَفَّرُوهم، لماذا؟**

اجتمع فيهم أمور، هذه الأمور لا تجتمع إلا في زنديق:

- الإرجاء الخالص.
- والتجهم الخالص.
- والجبر الخالص.

ولذلك الأئمة كفروهم.

**الطبقة الثانية من الجهمية المعتزلة:**

تجد(٣٩:٦) المعتزلة تعظيمًا النصوص، مما يدل على أن خطأهم ليس عن زلةٍ، وإنما من تلاعب الشيطان بهم، بقلوبهم؛ ولذلك الإمام أحمد لم يكفر أحدًا من المعتزلة الذين كانوا يوجبون قتله، (اقتلوا عليًّا (٣٩:٣٠) ما كان يعاملهم بهذه المعاملة.

(**ولَيْسَ فِيمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا رَسُولُهُ**) سبحان الله! كلمة مختصرة ولكنها تجمع شتات المسألة في مسألة التشبيه، هذه قاعدة عامة (**ولَيْسَ فِيمَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا رَسُولُهُ تَشْبِيهٌ**)؛ لأن ما يتعلق بالله -عَزَّ وَجَل-، ما يضاف الله -عَزَّ وَجَل- يكون على ما يليق به، وما يضاف إلى المخلوق يكون على ما يليق بضعفه، وكونه مخلوق.

(**ويقول إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ -رَحِمَه الله-**) إسحاق بن راهويه توفي ٢٣٨هـ، وهو قريب الإمام أحمد، وأقرب الناس إلى الإمام أحمد في منهجه، أقربه في المنهج، يقول عنه الإمام أحمد: { لم يعبر الجسر

إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضًا} إمام قريب من الإمام أحمد في كل شيء.

**(يقول: مَنْ وَصَفَ اللَّهَ فَشَبَّهَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَقَالَ: عَلَامَةُ جَهْمٍ وَأَصْحَابِهِ، دَعْوَاهُمْ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مَا أُولِعُوا بِهِ مِنَ الْكَذِبِ أَنَّهُمْ مُشَبِّهَةٌ، بَلْ هُمُ الْمُعَطِّلَةُ)** هم معطلة، أما اتهامهم لأهل السنة بأنهم مشبهة فهذا من كذبهم، مما تعودوا عليه من الكذب والتدليس هذا مصدره **(مَا أُولِعُوا بِهِ مِنَ الْكَذِبِ أَنَّهُمْ مُشَبِّهَةٌ)**.

**(وَكَذَلِكَ قَالَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ: عَلَامَةُ الْجَهْمِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُشَبِّهَةً)** لأن الجهمية نفوا ما نفوا فرارًا من التشبيه، هم كلهم يقولون: نحن نفينا ما نفيناه فرارًا من التشبيه كما سيأتي في كلام ابن أبي العز.

**(فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ نُفَاةِ شَيْءٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِلَّا يُسَمِّي الْمُثْبِتَ لَهَا مُشَبِّهًا)** هذه قاعدة عامة: **كل من يعطِّل يسمي من يثبت يسميه ماذا؟**

مشبهين، فمن كان معطلًا تعطيلًا كاملًا يسمي كل من يثبت شيئًا يسميه مجسمًا مشبهًا، ومن كان تعطيله جزئيًّا يسمي من زاد عليه في الإثبات، يسميه ماذا؟ مجسمًا، مشبهًا، وهكذا.

**ثم ذكر هنا ثلاث طوائف:**

- ذكر القرامطة.
- والجهمية.
- والمعتزلة.

ذكرهم كمثال، ولكن لم يذكر الكلابية، وأمر الكلابية واضح.

يقول: **(فَمَنْ أَنْكَرَ أَسْمَاءَ اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ مِنْ غَالِيَةِ الزَّنَادِقَةِ، الْقَرَامِطَةِ، وَالْفَلَاسِفَةِ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُقَالُ لَهُ: عَالِمٌ وَلَا قَادِرٌ، يَزْعُمُ أَنَّ مَنْ سَمَّاهُ بِذَلِكَ فَهُوَ مُشَبِّهٌ)** لماذا؟

ورد الدليل عنده **(لِأَنَّ الِاشْتِرَاكَ فِي الِاسْمِ يُوجِبُ الِاشْتِبَاهَ فِي مَعْنَاهُ)** فلذلك هم يقولون: لا نقول: الله -عَزَّ وَجَل- عالم، بعضهم يقول: ولا نقول: غير عالم، ولا نقول: موجود، ولا نقول: غير موجود، لأن هذا كله يستلزم التشبيه.

وأنا عندي أن هذه الفئة هم معطلة صح، الذي يفرون من التشبيه فرارًا مضطربًا وهم منسجمون مع أنفسهم (٤٤:١١)؛ لأنه فعلًا هذا التشبيه الذي هم يذكرونه ويفرون منه الملجأ الطبيعي له القرمطة، وإلا أي إثبات تصطدم مع التشبيه على منطقهم؛ ولذلك القرامطة بالنظر إلى سلسلة (٤٤:٣٨) لتشبيه موقف طبيعي جدًّا، مع أنه أبعد ما يكون عن الدين، أليس كذلك؟ وهذا هو المورد الطبيعي لهذا التشبيه الذي يدندن حوله المتكلمون مما يدل على فساد هذه الطريقة، وأن هذه الطريقة لا تفتك منها إلا وأنت قد وصلت إلى هذا الجنون.

ليس من السهل أن تنكر على القرامطة، سيأتي كلام لأحدهم، وأنا قرأت كتاب [الافتخار] لابي حاتم السجستاني وهو مطبوع كتاب [الافتخار]، وأبو حاتم السجستاني من أئمة القرامطة، ذكر فيه شبيه مما ذكره هنا، هو سمى كتابه [الافتخار] يفتخر به على من يثبت شيء، طبعًا هو يرد على الجهمية؛ لأن الجهمية يثبتون وجود الله -عَزَّ وَجَل-، وهو يرد على الجهمية، ويظن الجهمية هم المسلمون.

وهكذا هذه سلسلة التنابذ بالتشبيه تصل إلى ما وصل إليه القرامطة، ثم الفئات الأخرى التي ذكرها ابن أبي العز.

نكتفي بهذا القدر، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه اجمعين.

* * * * * * * * * * *

## ٣٦

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

**(المتن)**

قال الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي -رَحِمَه الله تَعَالَى-:

**وَكَذَلِكَ قَالَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ: عَلَامَةُ الْجَهْمِيَّةِ تَسْمِيَتُهُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ مُشَبِّهَةً، فَإِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ نُفَاةِ شَيْءٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ إِلَّا يُسَمِّي الْمُثْبِتَ لَهَا مُشَبِّهًا، فَمَنْ أَنْكَرَ أَسْمَاءَ اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ مِنْ غَالِيَةِ الزَّنَادِقَةِ، الْقَرَامِطَةِ، وَالْفَلَاسِفَةِ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُقَالُ لَهُ: عَالِمٌ وَلَا قَادِرٌ، يَزْعُمُ أَنَّ مَنْ سَمَّاهُ بِذَلِكَ فَهُوَ مُشَبِّهٌ، لِأَنَّ الِاشْتِرَاكَ فِي الِاسْمِ يُوجِبُ الِاشْتِبَاهَ فِي مَعْنَاهُ، وَمَنْ**

أَثْبَتَ الِاسْمَ وَقَالَ: هُوَ مَجَازٌ، كَغَالِيَةِ الْجَهْمِيَّةِ، يَزْعُمُ أَنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ حَقِيقَةً، قَادِرٌ حَقِيقَةً، فَهُوَ مُشَبِّهٌ، وَمَنْ أَنْكَرَ الصِّفَاتِ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا كَلَامٌ وَلَا مَحَبَّةٌ وَلَا إِرَادَةٌ، قَالَ لِمَنْ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ: إِنَّهُ مُشَبِّهٌ، وَإِنَّهُ مُجَسِّمٌ؛ وَلِهَذَا كَتَبَ نُفَاةُ الصِّفَاتِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ وَنَحْوِهِمْ، كُلُّهَا مَشْحُونَةٌ بِتَسْمِيَةِ مُثْبِتَةِ الصِّفَاتِ مُشَبِّهَةً وَمُجَسِّمَةً، وَيَقُولُونَ فِي كُتُبِهِمْ: إِنَّ مِنْ جُمْلَةِ الْمُجَسِّمَةِ قَوْمًا يُقَالُ لَهُمْ: الْمَالِكِيَّةُ، يُنْسَبُونَ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَقَوْمًا يُقَالُ لَهُمُ: الشَّافِعِيَّةُ، يُنْسَبُونَ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ، حَتَّى الَّذِينَ يُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ مِنْهُمْ، كَعَبْدِ الْجَبَّارِ، وَالزَّمَخْشَرِيِّ، وَغَيْرِهِمَا، يُسَمُّونَ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ وَقَالَ بِالرُّؤْيَةِ مُشَبِّهًا، وَهَذَا الِاسْتِعْمَالُ قَدْ غَلَبَ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ غَالِبِ الطَّوَائِفِ.

وَلَكِنَّ الْمَشْهُورَ مِنِ اسْتِعْمَالِ هَذَا اللَّفْظِ عِنْدَ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ الْمَشْهُورِينَ: أَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ بِنَفْيِ التَّشْبِيهِ نَفْيَ الصِّفَاتِ، وَلَا يَصِفُونَ بِهِ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ، بَلْ مُرَادُهُمْ أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ الْمَخْلُوقَ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ أَبِي حَنِيفَةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ لَا كَعِلْمِنَا، وَيَقْدِرُ لَا كَقُدْرَتِنَا، وَيَرَى لَا كَرُؤْيَتِنَا. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، فَنَفَى الْمِثْلَ وَأَثْبَتَ الوصف.

وَسَيَأْتِي فِي كَلَامِ الشَّيْخِ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ نَفْيُ التَّشْبِيهِ مُسْتَلْزِمًا لِنَفْيِ الصِّفَاتِ.

## (الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:-**

كنا قد بدأنا في هذه الفقرة التي تتعلق بموقف المخالفين من أهل السنة، وأن كل من نفى شيئًا من أسماء الله -عَزَّ وَجَل-، أو صفاته، أو أفعاله، فإنه يسمي من يثبته مشبهًا؛ لظنه أن إثبات شيءٍ من ذلك يستلزم تشبيه الله -عَزَّ وَجَل- بمخلوقاته.

وذكر أيضًا أن علامة الجهمية أنهم يسمون أهل السنة مشبهة، وهذه العلامة يتفق فيها جميع الجهمية على طبقاتهم، طبقات الجهمية التي ذكرها شيخ الإسلام في كتابه [التسعينية]:

- **الطبقة الأولى**: هم الجهمية الغلاة الذين ينفون الأسماء والصفات.
- **الطبقة الثانية**: هم المعتزلة.
- **الطبقة الثالثة**: هم الأشاعرة.

كلهم يتفقون على مبدأ تسمية المخالفين، أو تسمية أهل السنة بالمشبهة، بل إن هذا التنابذ، التنابذ بالتشبيه موجود بين الجهمية، وقد ذكر المؤلف هنا ذكر شيئًا من ذلك، قال: ١. (**فَمَنْ أَنْكَرَ أَسْمَاءَ اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ مِنْ غَالِيَةِ الزَّنَادِقَةِ، الْقَرَامِطَةِ وَالْفَلَاسِفَةِ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُقَالُ لَهُ: عَالِمٌ وَلَا قَادِرٌ**) لا يقال له ذلك، بل بعضهم قالوا: لا نثبت وجوده، ولا ننفي وجوده، هؤلاء زنادقة.

الذين قالوا هذا (**يَزْعُمُ أَنَّ مَنْ سَمَّاهُ بِذَلِكَ فَهُوَ مُشَبِّهٌ**) ما هو دليله؟ (**لِأَنَّ الِاشْتِرَاكَ فِي الِاسْمِ يُوجِبُ الِاشْتِبَاهَ فِي مَعْنَاهُ**) فإذا قلت: أن الله -عَزَّ وَجَل- موجود، وهذا المخلوق موجود، فقد اشتركوا في الوجود، واشتراكهم في الوجود هذا يوجب التشابه، وحتى لا أكون مشبهًا، يقول هو: وحتى لا أكون مشبهًا لا أثبت شيئًا من ذلك. هذا موقف الغلاة.

وذكرت أنا في الدرس الماضي أن هؤلاء هم المنسجمون مع نفي التشبيه هذه هي النتيجة الطبيعية لمن يجعل نفي التشبيه بهذه الطريقة يجعله أساسًا لما يثبته أو ينفيه عن الله -عَزَّ وَجَل-، فيما يثبته له، أو ينفيه عنه من يجعل هذه الطريقة نفي التشبيه، ونفي التجسيم بهذه الطريقة يجعلها أساسه، فالنتيجة الطبيعية هي هذه، ألا يثبت شيئًا.

٢. **هذه الفرقة الثانية**: (**ومن أثبت الِاسْمَ وَقَالَ: هُوَ مَجَازٌ، كَغَالِيَةِ الْجَهْمِيَّةِ**) وغالية الجهمية هم الطبقة الأولى للجهمية الذين جمعوا بين التجهم الخالص، والجبر الخالص، والإرجاء الخالص هم الجهمية الطبقة الأولى.

(**كغالية الجهمية يَزْعُمُ أَنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ حَقِيقَةً، قَادِرٌ حَقِيقَةً، فَهُوَ مُشَبِّهٌ**) إذن الجهمية لا يثبتون الأسماء، ولا يثبتون الصفات، ويقولون: نحن نثبت الأسماء، ولكن مجازًا، هم حقيقةً لا يثبتون شيئًا من الأسماء، ولا شيئًا من الصفات، **لماذا؟** لأن كل متسمٍّ باسمٍ لا يكون في الشاهد إلا جسمًا، والأجسام متماثلة، هذا المذهب الجهمية.

**الجهمية هم مشبهة عند من؟**

عند الفرقة الأولى، الفرقة الأولى الزنادقة هؤلاء الذين ذكرت كلام بعضهم في الدرس الماضي، أبي حاتم السجستاني في القرن الرابع في كتابه [الافتخار]، وأيضًا ما سيذكره المؤلف هنا نقلًا عن شيخ الإسلام، هؤلاء يتهمون الجهمية بالتشبيه، تشبيه، الجهمية مشبهة عندهم، بل غالب خصومتهم مع الجهمية؛ لأنهم يظنون أن الجهمية هم الذين يمثلون المسلمين.

طيب، بالنسبة للجهمية هم مشبهة عندهم.

٣. **الفرقة الثالثة: (وَمَنْ أَنْكَرَ الصِّفَاتِ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ)** طيب، بدأ بإنكار الصفات، أما الأسماء فهم يثبتونها وهؤلاء المعتزلة، إذن هم يثبتون الأسماء حقيقةً، ويثبتون أن الله -عَزَّ وَجَل- عالمٌ وقادرٌ ومريدٌ، هذا يثبتونه، ولكنهم يقولون: عالمٌ ولا علم له، قادرٌ دون أن يكون متصلًا بالقدرة، إلى آخر تراهاتهم. لهم في نفي معاني هذه الأسماء؛ لأن الأسماء تتضمن معاني، **لهم في نفيها طريقتان:**

- إما تصريح بنفي الصفة وإثبات الاسم.
- وإما القول: بأن هذه الأسماء كلها جامدة، فليست مشتقة ولا تدل على معاني الأسماء.

**(ومن أنكر الصفات)** هم ينكرون الصفات، وهذا يدل على أنهم يثبتون الصفات، لكن لا يثبتون الأسماء، **(وقال: إن الله ليس له علمٌ وَلَا قُدْرَةٌ وَلَا كَلَامٌ وَلَا مَحَبَّةٌ وَلَا إِرَادَةٌ، قَالَ لِمَنْ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ: إِنَّهُ مُشَبِّهٌ، وَإِنَّهُ: مُجَسِّمٌ)** هؤلاء هم المعتزلة.

**والمعتزلة مشبهة عند من؟**

عند الجهمية، ومشبهة عند القرامطة، والجهمية لما يحاربون التشبيه، ويردون على المشبهة ففي الغالب يردون على من؟ على المعتزلة، أن المعتزلة يشتركون معهم في دليل إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَل-، دليل الحدوث العارض، حدوث الأجسام، دليل واحد؛ ولذلك هم يقولون: أنتم إما أن تتركوا هذا الدليل، أو تلتزموا بمقتضياته ولوازمه، وإذا التزمتم بلوازمه فكل من يتصف بصف يكون جسمًا؛ لأن الصفة ليس هناك فرقٌ بين الصفة والعرض، ومن يثبت الصفات أو شيئًا من الصفات وهم الكلابية يقولون: ما نثبته من الصفات ليس أعراض، نختلف معكم في تسميتها، لا نسميها أعراض، إنما هي صفات، والعارض هو الذي يعرض ويزول، أما الصفة تكون ملازمةً للموصوف، وإثباتها لا يستلزم التشبيه.

وهناك من الصفات ما نتفق معكم في كونها أعراضًا هنا، نحن نتبرأ من إثباتهما، وهي بقية الصفات، نثبت الصفات السبع والثمانية، وبقية الصفات نحن معكم، ولكن (١٣:٣) المعتزلة دائمًا يتهمونهم

بالتشبيه، بل غالب ما يكتبه المعتزلة في المستهدفون هم الأشاعرة لأن الأشاعرة هم يدعون أنهم يمثلون السنة عمومًا، أهل السنة

في الحقيقة أن بداية الأشعرية، بداية الكلابية مرتبطة بنشأة الاعتزال، وبداية الكُلَّابية أوائل الكلابية كانوا شديدين جدًّا على المعتزلة، ردودهم على المعتزلة هي كثيرة ومتنوعة وعنيفة، وفي الغالب ردود جميلة.

ولكن بما أن هؤلاء ليسوا على مذهب أهل السنة بالتفصيل، وذلك لجهلهم أخذوا من المعتزلة بعض الأصول، اتفقوا معهم في بعض الأصول التي ظنوها قطعياتٍ عقلية، لما أخذوها هنا (١٤:٢٦) في هذه الأصول؛ ولذلك هم معهم في الغالب في الأصول، ومع أهل السنة في كثيرٍ من الأحيان في الفروع؛ لأجل هذا الذي تجده عندهم تجد الأشاعرة طبقات، أوائلهم يختلفون عن الطبقة الثانية، وهم يختلفون عن الطبقة الثالثة، كلما تأخر بهم الزمن زاد انحرافهم بالنظر إلى الأصول؛ لأن الأصول تقتضي أن يكونوا مع المعتزلة.

إذن الجهمية مشبهة عند القرامطة، والمعتزلة مشبهة عند الجهمية، والكلابية مشبهة عند المعتزلة قولًا واحدًا، وأغلب ما يكتبه المعتزلة، فهم يكتبونه للرد على من يزعمونهم ممثلين لأهل السنة وهم الكلابية بفرعيهم الأشعري والماتريدي.

وكما قلت: ردود أوائل الكلابية، أوائل الأشاعرة، أوائل الماتريدية على المعتزلة ردود جميلة، وهذه الردود هي التي وطنتهم في بيئة أهل السنة للأسف الشديد، هي التي جعلت لهم هذه السمعة الطيبة، ولا زالوا يستغلون هذه السمعة إلى الآن، لا زالوا يدَّعون أن نشأتنا للرد على المعتزلة، مع أنهم بعدما زاد انحرافهم ما صاروا أشاعرة، (١٦:٣٥) على مذهب أبي حسن الأشعري لا يوجد، جهمية أغلبهم.

ولذلك شيخ الإسلام لما رد على الرازي سمى كتابه [بيان تلبيس الجهمية] ولم يقل: بيان تلبيس الأشاعرة، وهم الجهمية، مع هذا كله الأشاعرة أقرب إلى أهل السنة من المعتزلة، وهذا من إنصاف أهل السنة مع ما فيه من الجهل، هم أقرب إلى أهل السنة من حيث العموم أقرب إلى أهل السنة من المعتزلة.

ولكن بالنظر إلى خطورتهم بيَّن شيخ الإسلام في [التسعينية] أنهم أخطر من المعتزلة، قارن بين الفريقين في نهاية [التسعينية]: وبيَّن أنكم أخطر، **لماذا؟** لأنكم تنتسبون إلى السنة، دائمًا أهل السنة، أهل السنة، أهل السنة، ويدَّعون أنهم هم أهل السنة، أما أهل السنة الحقيقيون فيسمونهم كرَّامية،

ويسمونهم في أحسن الأحوال حنابلة مجسمة، حنابلة، ولكن مجسمة، أما فضلاء الحنابلة فهم معهم على دعوى السبكي. هذا موقفهم، ومع ذلك كما قلت: هم يبقون أقرب إلى أهل السنة من المعتزلة، ولكنهم أخطر بالنظر إلى دعواهم، وأنهم يمثلون أهل السنة.

هنا ذكر شيخ الإسلام هذه الطوائف الثلاث، ولم يذكر الطائفة الأخيرة التي هي أخطر، والتي هي المقصودة من هذا الكلام؛ لأنها بالنظر إلى هذا التفسير معروف: الكلابية لما ينظرون إلى أهل السنة يتهمونهم بالتشبيه، لما ينظرون إلى المعتزلة هم متهمون بالتشبيه، متهمون ويتهمون؛ ولذلك جميع الأدلة التي يذكرونها للرد على المعتزلة تصلح للرد عليهم، الأدلة التي يذكرونها للرد على المعتزلة تصلح للرد عليهم في الغالب، أنتم اقرؤوا الأدلة التي هم يردون بها على المعتزلة، هي تصلح للرد عليهم، ترتد عليهم في الغالب، أقول: في الغالب، مع أنني لا أتذكر دليلًا يذكرونه ولا يكون دليلًا عليهم ما أذكر، ولكن أقول: في الغالب احتياطًا.

بعد أن ذكر هذه الطوائف الثلاث، حال الطائفة الأخيرة مع الكلابية هي حالهم مع الفرق السابقة، الكُلابية يتهمون أهل السنة بالتشبيه؛ لأننا نزيد عليهم في الإثبات، وهم أصلًا متهمون عند الفرق الثلاثة، القرامطة، والجهمية، والمعتزلة، هم مشبهة عندهم.

يقول: **(وَلِهَذَا كَتَبَ نُفَاةُ الصِّفَاتِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ وَنَحْوِهِمْ، كُلُّهَا مَشْحُونَةٌ بِتَسْمِيَةِ مُثْبِتَةِ الصِّفَاتِ) من هم؟**

الصفاتية، مثبتة الصفات عمومًا سواء كانوا كلابية؛ لأن المعتزلة لا يثبتون الصفات، يعني إذن قيل: الصفاتية، فيشترك في هذا اللقب أهل السنة والأشاعرة والماتريدية والكلابية عمومًا.

يقول: **(كَتَبَ نُفَاةُ الصِّفَاتِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالرَّافِضَةِ وَنَحْوِهِمْ، كُلُّهَا مَشْحُونَةٌ بِتَسْمِيَةِ مُثْبِتَةِ الصِّفَاتِ مُشَبِّهَةً وَمُجَسِّمَةً)** وفي الغالب يقصدون الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية.

بالنسبة للجهمية عرفنا موقفهم، والمعتزلة عرفنا أيضًا موقفهم.

**بالنسبة للرافضة:**

الرافضة أوائلهم مشبهة يغلب عليهم التشبيه، وبعد أن حصل التلاقح بينهم وبين المعتزلة صاروا جهمية، وهذا هو حالهم الآن؛ ولذلك أصولهم التوحيد والعدل، يتفقون مع من في هذا؟ مع المعتزلة، هذه أصول المعتزلة أصول المعتزلة الخمسة.

- أولها التوحيد.
- ثم العدل.
- ثم النبوة.
- ثم الإمامة.

هذه الأصول الأربعة عند الرافضة، الأصلان الأولان من المعتزلة، في التوحيد، المعتزلة كما تعرفون تحقيق التوحيد عندهم يكون بالنقل عندهم هكذا هم هم جهمية، بل إنهم هم السبب في حفظ التراث الاعتزالي.

**التراث الاعتزالي في أغلبه احتفظ به طائفتان: اليهود والرافضة.**

- **أما اليهود**: فكثيرٌ منهم هناك فرقة في اليهود وهي من أشهر الفرق وهي معتزلة، وكتب المعتزلة عندهم هي الأساس سواءً يهود المشرق، وسواءً يهود المغرب الذين كانوا في الأندلس، هم معتزلة، وكتاب [دلالة الحائرين] لابن ميمون اليهودي وهو تلميذ ابن رشد توفي ٥٩٥هـ أظن أو قريب من هذا، كتاب في هذا الحجم، تقرأ فيه، وتقرأ في كتب الرازي لا تفرق بينها أبدًا، ما ذكره الغزالي في [الإحياء] من الأصول العشرة لتنزيه الله -عَزَّ وَجَل-، وما ذكره في [إلجام العوام]، وما ذكره الرازي [أصول التنزيه] هي هي بعينها في كتاب [دلالة الحائرين]، ذكر خمسة عشرة أصل لتنزيه الله -عَزَّ وَجَل- هي هي.

وكما قلت: الرافضة هم اليهود الذين احتفظوا بتراث المعتزلة، أكثر كتب المعتزلة نبشت من اليمن، وأنتم كما تعرفون هم زيدية، كتاب [المغني] للقاضي عبد الجبار، وهو في خمس وعشرين مجلد، هذا وُجِد في مكتبة جامع سلام، وكذلك كتب أخرى وهي حُقِّقَت وَطُبِعَت بإشراف حكومي في دولة عربية، وكتاب [المغني] أكبر كتابٍ في علم الكلام، وهناك تلخيص له للقاضي عبد الجبار نفسه أو لأحد تلاميذه، الكتاب عندي في ثلاث مجلدات، ذكر في مقدمته المحققة أحد المستشرقين ذكر في مقدمته كيف أن اليهود مغرمون بتراث المعتزلة، وكيف أن هناك فِرق تسمى بالمعتزلة في اليهود.

إذن الرافضة، أو غيرهم مشبهة، وبعدما حصل التناقح والتلاقح حصل في عهدِ مبكر بين المعتزلة وبين الرافضة، بعد ذلك صاروا جهمية.

**(كُلُّهَا مَشْحُونَةٌ بِتَسْمِيَةِ مُثْبِتَةِ الصِّفَاتِ مُشَبِّهَةَ وَمُجَسِّمَةَ، وَيَقُولُونَ فِي كُتُبِهِمْ: إِنَّ مِنْ جُمْلَةِ الْمُجَسِّمَةِ قَوْمًا يُقَالُ لَهُمْ: الْمَالِكِيَّةُ، يُنْسَبُونَ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَقَوْمًا يُقَالُ لَهُمُ: الشَّافِعِيَّةُ، يُنْسَبُونَ إِلَى رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ).**

الخوارزمي وهو من القرن الرابع على ما أظن له كتاب اسمه [مفتاح العلوم] هذا الكلام وجدته فيه، ولا أدري هل شيخ الإسلام يشير إليه، أو أكيد هناك مصادر أخرى أيضًا ذكرت بس الذي قرأته في كتاب الخوارزمي [مفتاح العلوم].

إذن هؤلاء كلهم ماذا؟ مجسمة، وكلهم مشبهة عندهم، مما يدل على أن اتهامهم هو في الحقيقة (٢٨:١٤) أي مشبه، أي جهمي يتهم على السنة بأنه مشبهة هذا في الحقيقية يبين حقيقته، والشخص الذي ينفي عنه المعتزلي ينفي عنه التشبيه هذا لا بد أن يشك في عقيدته، هكذا هو.

**ثم أشار شيخ الإسلام إلى ظاهرة غريبة، وهذه الظاهرة:** أن بعض المعتزلة نجد أن عندهم اهتمام بتفسير القرآن، والاهتمام بتفسير القرآن ومعايشة القرآن لما تكتب تفسيرًا له فأنت تعايشه، وهذا مظنة تلقي السنة، ومظنة كون الرجل على السنة، والغريب أن من أشهر من كتب في التفسير من المعتزلة تجد أنه قد ملأ القرآن تحريفًا.

يقول شيخ الإسلام: {حتى أولئك على هذا المنهج}، وذكر هما اثنين وهما معروفان، حتى الذين يفسرون القرآن منهم عبد الجبار المعتزلي، القاضي عبد الجبار قاضي القضاة كان مع ابن عبَّاد، أو دولة هذه الدولة أنهاها السلاجقة، الذين كانوا قبل السلاجقة، تتذكرون؟

**طالب:** مويهي.

**الشيخ:** (٣٠:١٣) كان هذا قاضي القضاة عندهم، توفي سنة ٤١٥هـ، وهذا الرجل هو في الحقيقة إمام المعتزلة في وقته وبعد وقته، التراث الاعتزالي يتمحور حول هذا الرجل، وعنده نَفَس في الكتابة، نفس عجيب، سبحان الله! متحمس لبدعته بشكل لما تقرأ في كتبه تستغرب، مع جزئية واحدة يكتب صفحات، صفحات عديدة على جزئية واحدة تافهة، عنده صبر وجلد، ويقال: أن تفسيره أكثر من مئة مجلد تفسيره، ومن فضل الله -عَزَّ وَجَل- على الأمة الإسلامية أن هذا التفسير لم يوجد إلى الآن، وهناك من ينتظره بلهف، وهذا التفسير تعرف حقيقته من كتابه الذي لخصه من هذا التفسير الكبير الذي هو [متشابه القرآن]، متشابه القرآن في مجلد ضخم أخذ القرآن من بدايته إلى نهايته آية آية، أو

حسب ما قسمه قسمين متشابه ومحكم، ما كان على أصول المعتزلة فهو محكم، وما خالف أصول المعتزلة الخمسة التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والوعد والعيد، ما كان مخالفًا لهذه الأصول جعله من ماذا؟ متشابهًا. وهو حجمه أكبر من هذا.

أنت لما تنظر إلى هذا الكتاب تجد أن القرآن أكثره متشابه، وفي أكثر الأبواب متشابه، هذا هو اعتقادهم، وله أيضًا دفع مطاعن القرآن أو الكتاب في دفع الاعتراضات التي وجهت إلى القرآن حسب فهمه، ويدافع عن القرآن، هو في هذا الحجم موجود، نفس الشيء، نفس المنهج، ونفس الأسلوب، وهو قوي جدًّا في اللغة، ولكنه للأسف الشديد هو مثل الزمخشري وظف قوته في اللغة، وظفه لتحريف القرآن، وهذا حال المتكلمين عمومًا الذين تجدون لهم مؤلفات في البلاغة، وفي المعاني، وفي البديع، وفي النحو والصرف، كتبه هي التي ندرسها ونتدارسها ونتطفل عليها، عباقرة في اللغة، ولكنهم استخدموا هذه العبقرية لتحريف القرآن، ولتحريف النصوص، ولم يستفيدوا منه.

يقول: (**حَتَّى الَّذِينَ يُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ مِنْهُمْ، كَعَبْدِ الْجَبَّارِ، وَالزَّمَخْشَرِيِّ، وَغَيْرِهِمَا، يُسَمُّونَ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ وَقَالَ بِالرُّؤْيَةِ**) يسمونه ماذا؟ (**مُشَبِّهًا، وَهَذَا الِاسْتِعْمَالُ قَدْ غَلَبَ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ غَالِبِ الطَّوَائِفِ**).

حتى الذين يردون عليهم وهم الأشاعرة والماتريدية لما يقول: مشبه، فهو يعني أهل السنة.

من الكتب التي ردَّ بها على الزمخشري، والكتب التي رُدَّ بها على الزمخشري كثيرة، أغلبها للأشاعرة، من الكتب التي ألفت في هذا كتاب ابن المنيِّر، وهو مطبوع في مجلدين، وابن المنيِّر مُحدِّث في نفس الوقت، له [المتوالي على أبواب البخاري]، ابن المنير أشعري، وهذا معتزلي، وانظر المعركة بينهم، أحيانًا يرد عليه بحق، وأحيانًا يرد عليه بباطل، المحقق الذي خدم هذا الكتاب وهو الدكتور الغامدي –نسيت اسمه كاملًا، أظن الدكتور، على كل حال لا أتذكر الآن–، الكتاب مطبوع في مجلدين، والمحقق سبحان الله! وُفِّق في تحقيق هذا الكتاب، يدخل بينهما إذا كان الحق مع ابن المنير يؤيده، ويزيده تأييدًا وتوضيحًا، وإذا كان الحق ليس مع هذا وهذا يبين الرد عليهم، يرد على الزمخشري، وابن المنير، فخدم خدمة جليلة.

**هذا الكتاب أنت لما تقرأ تستفيد منه فائدتين:**

- **الفائدة الأولى**: المعركة بين معتزلي وأشعري تشوف كيف كانت.

- **الفائدة الثانية:** موقف أهل السنة من هذه المسألة، أعطاك إياها جاهزة، والمحقق ما شاء الله وُفِّق في تحقيق الكتاب.

يقول الشيخ: **(وَلَكِنَّ الْمَشْهُورَ مِن اسْتِعْمَالِ هَذَا اللَّفْظِ عِنْدَ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ الْمَشْهُورِينَ: أَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ بِنَفْيِ التَّشْبِيهِ نَفْيَ الصِّفَاتِ)** (١٨:٣٧).

**(وَلَا يَصِفُونَ بِهِ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ، بَلْ مُرَادُهُمْ)** لما ينفون التشبيه مرادهم أن الله -عَزَّ وَجَل- **(لَا يُشْبِهُ الْمَخْلُوقَ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ)** سبق أن فصَّلنا في قضية القدر المشترك، وأن أهل السنة يثبتون القدر المشترك.

**وأن الصفات لها ثلاثة أحوال:**

- **الحالة الأولى:** النظر إلى اللفظ دون إضافته إلى الخالق والمخلوق، النظر إلى المعنى دون إضافته إلى الخالق والمخلوق.

الاستواء مثلًا المعنى اللغوي هو العلو والارتفاع، هذا يثبته أهل السنة، ولكن استواء من؟ ما دخلنا في هذا. هذه مرحلة الأولى.

- **المرحلة الثانية:** معنى اللفظ بعد إضافته إلى الله -عَزَّ وَجَل-، واللفظ بعد إضافته إلى محل يكون له خصائص، وهذه الخصائص لا يشترك فيها غير هذا الذي أضيفت إليه، مثلًا: استواء الله -عَزَّ وَجَل-، وهذه المرحلة الثانية، استواء الله -عَزَّ وَجَل- لما أضيف الاستواء إلى الله -عَزَّ وَجَل- معناه تخصص الاستواء، هذا الاستواء الذي أضيف إلى الله -عَزَّ وَجَل- هذا خاصٌّ بالله لا يشترك فيه أحد، الاشتراك أين كان؟ في المعنى العام، العلو والارتفاع.

المرحلة الثانية الاستواء الذي يليق بالله -عَزَّ وَجَل-، هذا الاستواء لا يشترك معه أحد.

- **المرحلة الثالثة:** إضافة اللفظ إلى المخلوق، استواء المخلوق، إذن يتحدد بما يدركه المخلوق، وهذا الاستواء فيه ابتهاج وافتخار إلى المستوى عليه.

مشكلة المتكلمين أنهم يبقون مع المرحلة الأولى مع المرحلة الثالثة، المرحلة التي في الوسط هذه يلغونها، لا يفهمون من هذا اللفظ إلا ما يليق بالمخلوق. سبق التفصيل في القدر المشترك فيما سبق، إذن نفي

التشبيه معناه المعنى الذي يليق بالله -عَزَّ وَجَل-، الاستواء الذي يليق بالله -عَزَّ وَجَل- لا يشترك معه فيه أحد.

**هل معناه أننا نفينا المرحلة الأولى؟**

لا، هي منطلق، إذا نفيت المرحلة الأولى كان استعمال اللفظ لغوًا، واللفظ هو دليلنا ووسيلتنا إلى المعنى الذي يُطلب منا فهمه، والمعنى الذي أثبته الله -عَزَّ وَجَل- له، بالقدر المشترك عرفنا المفهوم، ولكن ما يليق بالله -عَزَّ وَجَل- لا ندري عن كيفه، وهكذا.

إذن التشبيه الذي ينفيه أهل السنة يرجع إلى الخصائص، ولا يرجع إلى القدر المشترك، (**بل مرادهم أنه لا يشبه المخلوق في أسمائه وصفاته وأفعاله كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ لَا كَعِلْمِنَا**).

(**يعلم الله كعلمنا**) يعلم هذه المرحلة الأولى.

(**لا كعلمنا**) المرحلة الثانية.

علم الله -عَزَّ وَجَل- له خصائص لا توجد في علم المخلوقين، (**يعلم**) هنا المرحلة الأولى، (**لا كعلمنا**) المرحلة الثانية.

(**وَيَقْدِرُ لَا كَقُدْرَتِنَا، وَيَرَى لَا كَرُؤْيَتِنَا. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فَنَفَى الْمِثْلَ وَأَثْبَتَ الوصف**).

(**يقول الشارح: وَسَيَأْتِي فِي كَلَامِ الشَّيْخِ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ، تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ نَفْيُ التَّشْبِيهِ مُسْتَلْزِمًا لِنَفْيِ الصِّفَاتِ**).

يقول الشيخ، يقول ابن أبي العز: الإمام الطحاوي لما نفى التشبيه في جملٍ عديدة ليس معناه أنه مثل الجهمية والمعتزلة يعتبر إثبات الصفات تشبيهًا، لا، كيف عرفناها؟ لأنه أثبت الصفات كما سيأتي، إثباته للصفات يدل، بل إثباته للصفات التي ينفيها حتى الكلابية يدل على أنه ليس على مذهبهم في قضية التشبيه.

**(المتن)**

أحسن الله إليكم.

قال -رَحِمَه الله تَعَالَى-:

وَمِمَّا يُوَضِّحُ هَذَا: أَنَّ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَدَلَّ فِيهِ بِقِيَاسٍ تَمْثِيلِيٍّ يَسْتَوِي فِيهِ الْأَصْلُ وَالْفَرْعُ، وَلَا بِقِيَاسٍ شُمُولِيٍّ يَسْتَوِي أَفْرَادُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُمَثَّلَ بِغَيْرِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ هُوَ وَغَيْرُهُ تَحْتَ قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ يَسْتَوِي أَفْرَادُهَا؛ وَلِهَذَا لَمَّا سَلَكَتْ طَوَائِفُ مِنَ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمَةِ مِثْلَ هَذِهِ الْأَقْيِسَةِ فِي الْمَطَالِبِ الْإِلَهِيَّةِ لَمْ يَصِلُوا بِهَا إِلَى الْيَقِينِ، بَلْ تَنَاقَضَتْ أَدِلَّتُهُمْ، وَغَلَبَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ التَّنَاهِي الْحَيْرَةُ وَالِاضْطِرَابُ، لِمَا يَرَوْنَهُ مِنْ فَسَادِ أَدِلَّتِهِمْ أَوْ تَكَافُئِهَا.

وَلَكِنْ يُسْتَعْمَلُ فِي ذَلِكَ قِيَاسُ الْأَوْلَى، سَوَاءً كَانَ تَمْثِيلًا أَوْ شُمُولًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾[النحل:٦٠] مِثْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ كَمَالٍ ثبت لِلْمُمْكِنِ أَوْ لِلْمُحْدَثِ، لَا نَقْصَ فِيهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَهُوَ مَا كَانَ كَمَالًا لِلْوُجُودِ غَيْرَ مُسْتَلْزِمٍ لِلْعَدَمِ بِوَجْهٍ، فَالْوَاجِبُ الْقَدِيمُ أَوْلَى بِهِ، وَكُلُّ كَمَالٍ لَا نَقْصَ فِيهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، ثَبَتَ نَوْعُهُ لِلْمَخْلُوقِ والْمَرْبُوبِ الْمُدَبَّرِ، فَإِنَّمَا اسْتَفَادَهُ مِنْ خَالِقِهِ وَرَبِّهِ وَمُدَبِّرِهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ، وَأَنَّ كُلَّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ فِي نَفْسِهِ، وَهُوَ مَا تَضَمَّنَ سَلْبَ هَذَا الْكَمَالِ، إِذَا وَجَبَ نَفْيُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْمُمْكِنَاتِ وَالْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ نَفْيُهُ عَنِ الرَّبِّ تَعَالَى بِطَرِيقِ الْأَوْلَى.

وَمِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ: أَنَّ مِنْ غُلَاةِ نُفَاةِ الصِّفَاتِ الَّذِينَ يَسْتَدِلُّونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ، وَيَقُولُونَ: وَاجِبُ الْوُجُودِ لَا يَكُونُ كَذَا وَلَا يَكُونُ كَذَا، ثُمَّ يَقُولُونَ: أَصْلُ الْفَلْسَفَةِ هِيَ التَّشَبُّهُ بِالْإِلَهِ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ، وَيَجْعَلُونَ هَذَا غَايَةَ الْحِكْمَةِ وَنِهَايَةَ الْكَمَالِ الْإِنْسَانِيِّ، وَيُوَافِقُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ يُطْلِقُ هَذِهِ الْعِبَارَةَ وَيَرْوِي عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أَنَّهُ قَالَ: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ»، فَإِذَا كَانُوا يَنْفُونَ الصِّفَاتِ، فَبِأَيِّ شَيْءٍ يَتَخَلَّقُ الْعَبْدُ عَلَى زَعْمِهِمْ؟! وَكَمَا أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ تَعَالَى، لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، لَكِنَّ الْمُخَالِفَ فِي هَذَا النَّصَارَى وَالْحُلُولِيَّةُ وَالِاتِّحَادِيَّةُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَنَفْيُ مُشَابَهَةِ شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ لَهُ، مُسْتَلْزِمٌ لِنَفْيِ مُشَابَهَتِهِ لِشَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ؛ فَلِذَلِكَ اكْتَفَى الشَّيْخُ -رَحِمَه الله- بِقَوْلِهِ: (وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ)، وَالْأَنَامُ: النَّاسُ، وَقِيلَ: الخلق كلهم، وقيل: كُلُّ ذِي رُوحٍ، وَقِيلَ: الثَّقَلَانِ. وَظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[الرحمن:١٠] يَشْهَدُ لِلْأَوَّلِ أَكْثَرَ مِنَ الْبَاقِي. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(الشرح)

يقول الشيخ ابن أبي العز -رَحِمَه الله-: (**وَمِمَّا يُوَضِّحُ هَذَا**) هذا الذي سيذكره منقولٌ عن شيخ الإسلام.

**(وَمِمَّا يُوَضِّحُ هَذَا) الإشارة إلى ماذا؟**

موضوع التشبيه عمومًا، وأن أهل السنة والجماعة بعيدون عن التشبيه في الخصائص.

**(أَنَّ الْعِلْمَ الْإِلَهِيَّ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَدَلَّ فِيهِ بِقِيَاسٍ تَمْثِيلِيٍّ يَسْتَوِي فِيهِ الْأَصْلُ وَالْفَرْعُ، وَلَا بِقِيَاسٍ شُمُولِيٍّ يَسْتَوِي أَفْرَادُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ).**

ذكر شيخ الإسلام هذا الموضوع لأن التشبيه في الحقيقة علم الكلام عبارة عن التشبيه، علم الكلام بمجمله عبارة عن التشبيه، مع أنهم يزعمون أنهم يفرون من التشبيه، وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ما يتوهمونه من التشبيه، يظنون أن ما أضيف إلى الله -عَزَّ وَجَل- معناه مثل ما يضاف إلى المخلوق هكذا يقعون في التشبيه، ثم يزعمون أنهم يفرون من التشبيه، ويقعون في التعطيل، كما ذكر شيخ الإسلام في [التدمرية]: {أن هؤلاء الذين يظنون أنهم يفرون من التشبيه يقعون في أربعة محاذير، تشبيهان وتعطيلان}.

ولذلك هناك قاعدة يذكرها شيخ الإسلام: {كل مشبه معطل، وكل معطل مشبه} هذه قاعدة لا استثناء فيا، {كل مشبه معطل، وكل معطل مشبه}.

المحاذير الأربعة هذه لم يؤوِّل ما أوله إلا لظنه أن الاستواء مثلًا، الاستواء الذي أثبته الله -عَزَّ وَجَل- لنفسه هو استواء المخلوقين، إذن وقع في التشبيه، هذا الأول.

ما قال: ينبغي أن يفهم مما أضيف إلى الله -عَزَّ وَجَل-، وما يليق بالمخلوق، أي منطق هذا؟ وأي عقل هذا الذي تدعيه؟ **هذا المحذور الأول**.

**المحذور الثاني**: فر من هذا التشبيه ووقع في التعطيل، والتعطيل تعطيلان:

- تعطيل النص عن المعنى المراد، وقال: الاستواء المراد به الاستيلاء، إذن عطل النص عن المعنى المراد، وجاء بمعنى آخر ليس له، عطله تعطيل أول.

- التعطيل الثاني: عطل الله -عَزَّ وَجَل- عن المعنى، أو عن الكمال الذي أثبته لنفسه وهو استواء الله -عَزَّ وَجَل- تمتع به، ذكر هذه الصفة في معرض التمتع، ﴿**طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٣) تَنزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلى (٤) الرَّحْمَنُ عَلَى**

﴿الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)﴾[طه:١-٥]، الله -عَزَّ وَجَل- يبين أن هذا التكليف والتشريف، وليس فيه تعجيز لك، وإذن الذي أنزله ﴿تَنزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلى﴾[طه:٤]، فهو إذا أراد بقدرته ومشيئته يجعل جميع (١٤:٥١) هذه حكمته، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥] ذكر هذا في معرض التمتع، إذن هي كمال الصفة عظيمة، عطل الله -عَزَّ وَجَل- عن هذه الصفة العظيمة في الأخير وقال: التشبيه، بدأ بالتشبيه ووقع فيه، وانتهى بالتشبيه؛ لأنه شبه الله -عَزَّ وَجَل- بالجمادات في أحسن الأحوال، أو بالمعدومات، أو بالمستحيلات.

**علم الكلام كما قلت لك**: عبارة عن التشبيه، وعندهم أن الغائب يقاس على الشاهد، يقصدون بالغائب الله -عَزَّ وَجَل-، مع أن هذا الإطلاق فيه ما فيه.

**يعني الغائب في الأقوال على معنيين:**

- الأول: ما غاب عنك، والله -عَزَّ وَجَل- هل يطلق عليه الغائب بهذا المعنى؟ لا، أنت لا تشاهده ولا تشاهد نظيره.

- ويطلق الغائب أيضًا ما غاب عنه، يغيب عنه، يغيب عنه شيء، فهو غائب، بهذا المعنى لا يطلق على الله -عَزَّ وَجَل- أنه غائب: ﴿لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾[آل عمران:٥] لذلك نحن لما نقول: الله -عَزَّ وَجَل- لما يثبت علمه بالغيب؛ أي الغيب بالنسبة لنا، ليس هناك شيء غيب بالنسبة لله -عَزَّ وَجَل-.

الغائب قياس الشاهد على الغائب هذا كثير عندهم، عند المتكلمين، وذكروا جوامع أربعة لهذا القياس، ذكره السنوسي في [الكبرى] وهذه الجوامع الأربعة:

- الحقيقة.
- الدليل.
- الشرط.
- والعلة.

قالوا: بهذه الجوامع الأربعة يجوز أن نجري القياس في العلم الإلهي، هذا من ناحية.

وأغلبهم يُجري هذين القياسين فيصل إلى التشبيه فيفر منه إلى التعطيل؛ يعني بعضهم صرح بهذا، وكثيرٌ منهم، أو هذا لا أظن يخرج منها أحد يجري هذين القياسين ويصل إلى التشبيه، فيفر منه إلى التعطيل؛ لذلك يقول شيخ الإسلام: {هذا المنهج أصلًا خطأ، القياس إجراؤه في العلم الإلهي خطأ}.

**لما يقول هنا: أن العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل، هذا متى؟**

إذا كان أحد الطرفين مخلوق، أما إذا كان القياس المقيس عليه أفعال الله -عَزَّ وَجَل-، فهناك يجوز هذا. نحن نتحدث أن القياس إذا كان أحد الطرفين مخلوق.

الله -عَزَّ وَجَل- يقول: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[الروم:١٩] **هذا يجوز، لماذا؟**

كلها أفعال الله -عَزَّ وَجَل-.

تعرف أفعال الله -عَزَّ وَجَل- بعضها بالنظر إلى بعض، وهذه هي المقاييس الشرعية في المستعمل في هذا الباب، أما إذا كان أحد الطرفين مخلوق، فلا يجوز أن تجري فيه قياس التمثيل، ولا قياس الشمول.

نفصِّل إن شاء الله بعد الصلاة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * * * * * * * * *

## ٣٧

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ذكر شيخ الإسلام وتبعه ابن أبي العز أن قياس التمثيل وقياس الشمول لا يستعملان في العلم الإلهي، وذكرت أنه لا يجوز استعماله إذا كان أحد الطرفين مخلوقًا، قياس التمثيل، وقياس الشمول كلاهما فيهما إلحاق شيءٍ بشيء.

**القياس لغةً:** هو تقدير شيء بشيء تقدر شيئًا بالنظر إلى شيء، هذا هو القياس، وبما أن الله -عَزَّ وَجَل- ليس كمثله شيء، فلذلك لا يستعمل في حقه القياس.

هذا الذي فصَّله شيخ الإسلام بذكر هذين النوعين، قياس التمثيل هو قياس الأصوليين، وقياس الشمول هو قياس المناطقة.

**قياس التمثيل**: هو إلحاق فرعٍ بأصلٍ في حكمٍ لعلةٍ جامعة بينهما، إلحاق فرعٍ بأصلٍ في حكم لعلة جامعةٍ بينهم.

**إذن هناك أربعة أمور وهي أركان القياس:**

**إلحاق فرعٍ**: إذن القياس هذه عملية القياس وهي القياس الاجتهاد، القياس نوع من الاجتهاد؛ ولذلك لا يصح جعله دليلًا مستقلًّا، القياس نوعٌ من الاجتهاد، فكما أنه لا يجوز أن تقول: أن من الأدلة الكتاب والسنة والاجتهاد، هكذا لا يقال: أن الأدلة: الكتاب والسنة والقياس، القياس اجتهاد، وهذا الاجتهاد فيه شيءٌ معلومٌ حكمه، وفيه شيءٌ يطلب علمك به، إذن هناك شيئان:

- شيءٌ معلومٌ حكمه وعلة حكمه.
- وشيءٌ آخر يبحث عن حكمه.

**كالنبيذ مثلًا**: النبيذ نريد أن نحكم عليه بالحرمة وبالحل، أو بحكم من الأحكام التكليفية.

نظرنا أن النبيذ يسكر، وبحثنا عن الفروع التي فيها إسكار وما ورد فيها فوجدنا الخمر، الخمر وجدنا أنه يسكر، ووجدنا أنه هناك نصًّا في الخمر، وهذا النص حكمه أن الخمر حرام، الحكم والحرمة، إذن وجدنا الأصل، هذا الأصل علته الإسكار، وحكمه الحرمة، باقي ماذا؟ الخمر ألحقناه به.

**والدليل**: الدليل هو الدليل الذي ورد في الخمر، الذي ورد «**مَا أَسْكَرَ كَثِيرُه فَقَلِيلُه حَرَام**» هذا نص، هذا الدليل به حكمنا على الخمر بأنه حرام، ولما حكمنا عليه بأنه حرام، وأن الشرع حكم عليه بأنه حرام، وعلمنا لماذا حُرِّم وجدنا نفس العلة في النبيذ فألحقناه به.

إذن الدليل شيء خامس وليس الأركان (٦:٢٣٨) ليس فيها شيء من الدليل، الدليل شيء آخر، الدليل الذي به ثبت حرمة الأصل، أو حكم الأصل.

إذن إلحاق فرعٍ بأصلٍ في حكمٍ لعلةٍ جامعة بينهما، وهذا هو قياس الأصوليين، وفي قياس الأصوليين انتقالٌ من جزئيٍّ إلى جزئي.

فهمنا قياس الأصوليين، وقياس الفقهاء؟

**نأتي إلى قياس المناطقة:**

**هنا عرفنا أن هناك أركان القياس كم؟**

أربعة.

وسيكون خلاف، هذا الخلاف أنا أريد منكم أن تذكروني بهذا، هناك اختلاف بين القياسين.

**بالنسبة للقياس الشمولي**: فيه انتقالٌ أولًا من جزئي، إلى كلي، ثم من كليٍّ إلى جزئي، بمعنى نحن لما وجدنا في النبيذ أنه يسكر هذا ذكرنا أصلًا عامًّا وهو أن كل مسكرٍ حرام، هذه الجزئية نقلتنا إلى كلي، ذكرتنا، بعد ما ذكرتنا فحصنا في الجامع، وجدنا أن الجامع فعلًا قوي، فقلنا: أن النبيذ حرام، النبيذ مسكر، الحد الأصغر يسموه، النبيذ حرام هذه النتيجة، بينهما الحد الأوسط.

**والحد الأوسط فيه أمران:**

- قضية كلية.
- وحكم.

كل مسكرٍ حرام هذا الحد الأصغر، كل مسكرٍ هذه قضية كلية، وهذا كما يقولون هم: هذا هو المبتدأ، (كل مسكرٍ) على المبتدأ في الجملة، (حرام) هذا خبر، المبتدأ هنا كما عرفنا قضية كلية، (كل مسكرٍ حرام) هذه كلية، (النبيذ مسكر) (كل مسكرٍ حرام) النتيجة أن النبيذ حرام.

**ما الفرق بين هذا وبين قياس التمثيل؟ هل لاحظتم أن هناك فرق؟**

**طالب**: .....

**الشيخ**: ما هو؟

**طالب**: .....

**الشيخ**: لا التقدير موجود.

**طالب**: .....

**الشيخ**: إي، هذا بالنظر إلى شكل القياس، ولكن في شيء آخر من يذكرني به؟

**طالب**: القياسان المقدمة واحدة.

**الشيخ**: في حد أصغر، وأوسط، وأكبر، كثير أوساط.

**طالب**: بالنسبة لقياس المناطقة في جزئي وكلي، التشابه في بعض الجزئيات لا يستلزم التشابه في الكلي.

**الشيخ**: لا، نحن في جزئيٍّ معين، هذا الجزئي ذكرنا بالكلي لما جاء ذهبنا إلى الكلي، وجدنا أن هذا الكلي تحته أفراد، ويصلح هذا الجزئي أن يكون من أفراده، تأكدنا من ذلك، وبالتالي دور الجزئي

التذكير، دورك كفقيه فحص هذا الكلي مع أفراده، له أفراد، وأن هذه الجزئية، أو هذا الجزئي أيضًا يصلح أن يكون فردًا من أفراده، دورك كفقيه التأكد، بعدما تأكدت قلت: النبيذ حرام، ألا ترون أن الخمر ما يظهر هنا؟ النبيذ مسكر، وكل مسكرٍ حرام، فالنبيذ حرام، أين الخمر؟

**من ميزة قياس التمثيل**: أن فيه فردًا من أفراد الكلي، وهذا الفرد مقطوعٌ بالحكم له بهذا الحكم؛ ولذلك سميناه في قياس التمثيل ماذا؟ الأصل. هذا لا يوجد في قياس المناطقة، وأنت كلما وُجِدَ في كلامك تمثيلك بأحد الجزئيات التي لا خلاف فيها كان قياسك أقوى؛ يعني هنا ثلاثة أمور، وهناك أربعة أمور.

مع هذا كله المناطقة يدَّعون أن قياسهم قطعي، وأن قياس الفقهاء والأصوليين ظني، مع أن هذا القياس ميزته أن فيه أركان القياس كلها بكل وضوح.

بعبارة أخرى: في هذا القياس تمثيلٌ بأحد الأفراد مما لا يوجد في قياس المناطقة.

**لماذا هم يتهمون قياس الأصوليين وقياس الفقهاء بأنه ظني؟**

هم متعودون على هذا، عندهم هذه العنجهية، كل ما كان في كل كذا، وكل كذا، وكلام فاضي يكون قطعيًّا، أما بقية الأشكال ولو كانت أقوى، فهي عندهم ليست قطعية، القطع والظن في القياس يحكمه وضع العلة، وبالتالي إذا كان هذا الذي ذكَّرك بالكلي تذهب إلى الكلي وفحصت وجدت أن سبب الحكم هناك ليس مقطوعًا، يكون ظنيًّا، العلة إذا كانت قطعية، القياس هنا وهنا قطعي، والعلة إذا كانت ظنية فالقياس هنا وهنا ظني.

– **من صور كون العلة قطعية**: أن تكون العلة مذكورة في النص. هذه صورة.

– **من صور كون العلة قطعية**: أن يكون القياس مع الفارق. هذا من أقوى القياسات، أقوى المقاييس، وهذا القياس يقول به حتى ابن حزم، ابن حزم هو الذي عُرِف بإنكار القياس يقول: بالقياس بنفي الفارق، ولا يسميه قياس، القياس بنفي الفارق هذا قوي.

المهم عرفنا أن هذا قياس المناطقة، وهذا قياس الأصوليين.

طيب، يقول الشيخ هنا: (**لَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَدَلَّ فِيهِ بِقِيَاسٍ تَمْثِيلِيٍّ يَسْتَوِي فِيهِ الْأَصْلُ وَالْفَرْعُ**).

**لماذا قلنا: أن الفرع يلحق بالأصل؟**

لعلة جامعةٍ بينهما، أليس كذلك؟

**وهل يقال هذا: أن الله -عَزَّ وَجَل- يستوي مع أصل أو مع فرع في علة؟**

لا، إذن قياس التمثيل لا يجوز.

**وهل يصلح أن يكون تحت كليٍّ يستوي هو وغيره في كونه فردًا من أفراد هذا الكلي، يجوز؟**

لا يجوز.

**أنبه أيضًا إلى قضية أخرى**: قياس التمثيل، وقياس الشمول هذا الاختلاف بالنظر إلى شكل القياس، تستطيع أن تحول قياس تمثيل إلى شمولي والعكس، تستطيع، إذن الاختلاف والخلاف في الشكل فقط، ولا تنسى ما يتبجح المناطقة بأن قياسهم هو قطعي، وقياس أهل الأصول والفقهاء قياسٌ ظني، وأنت لما تنظر إلى تطفل الأصوليين، أو بعض الأصوليين على موائد الفلاسفة تقول: يستحقون هذا، وإلا سبحان الله! أنت أصولي، أنت الله -عَزَّ وَجَل- أنعم عليك بالنظر إلى الكتاب والسنة، وعطاك من العلم ما تميز به بين الأصول والفروع، وتصل إلى الجوامع، كل هذه نعم لا يتمتع هذاك المنطقي الذي دائمًا مع أرسطو وأفلاطون وأفلاطين، أيش دخلهم؟ مع ذلك هؤلاء لما ينظرون إليهم نظرة إعجاب يتعالون عليهم، ويتكبرون عليهم.

ومن هذا الباب يقولون: الفقه أكثره ظني، وللأسف كثير من الأصوليين يقولون هذا، وهذه القضية ناقشها شيخ الإسلام في كتاب [الاستقامة]، ودافع عن الفقهاء على ما فيهم دافع عنهم، بل لا أقول: دافع عن الفقهاء، دافع عن الفقه، وبيَّن أن الفقه أكثره قطعي.

**لماذا يُظَن أن أكثره ظني؟**

لأنهم أولًا بالنسبة للعمومات وهي أكثر الأدلة، العمومات جعلوها ظنية، العام دلالته عند جمهور الأصوليين ظني، إذا صارت العمومات ظنية جعلت قسطًا كبيرًا من الفقه ظنيًّا، مع أن العام سواءً دخله التخصيص، أو لم يدخله التخصيص هو قطعيٌّ في دلالته إذا بقي على عمومه قطعيٌّ في دلالته على أفراده كلها، إذا دخله التخصيص فهو قطعيٌّ فيما بقي من أفراده. هذا هو الصحيح، ولكن كما قلت: للأسف أخذ الأصوليين من المناطقة، وتعظيمهم لعلم المنطق والفلسفة، جعلهم يضيعون ويضيع الفقه معهم والأصول.

على كل حال، المهم هنا نحن نتصور المسألة، وأظن أننا إن شاء الله فهمنا.

إذن قياس التمثيل، وقياس الشمول لا يجوز استعمالها في العلم الإلهي كما قلت: إذا كان أحد الطرفين مخلوقًا.

**(فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُمَثَّلَ بِغَيْرِهِ) لماذا؟**

لأنه ليس علة جامعة بينهما.

**(وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ هُوَ وَغَيْرُهُ تَحْتَ قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ يَسْتَوِي أَفْرَادُهَا؛ وَلِهَذَا لَمَّا سَلَكَتْ طَوَائِفُ مِنَ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمَةِ مِثْلَ هَذِهِ الْأَقْيِسَةِ فِي الْمَطَالِبِ الْإِلَهِيَّةِ) ماذا كانت النتيجة؟**

**(لَمْ يَصِلُوا بِهَا إِلَى الْيَقِينِ، بَلْ تَنَاقَضَتْ أَدِلَّتُهُمْ)** أحيانًا يقولون بقياس الغائب على الشاهد، يقولون به، وأحيانًا يستعملونه فيصلون إلى التشبيه، ثم يفرون منه إلى التعطيل.

**(بَلْ تَنَاقَضَتْ أَدِلَّتُهُمْ، وَغَلَبَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ التَّنَاهِي الْحَيْرَةُ وَالِاضْطِرَابُ، لِمَا يَرَوْنَهُ مِنْ فَسَادِ أَدِلَّتِهِمْ أَوْ تَكَافُئِهَا)** الجريء منهم من يعترف بأن أدلته فيها شيء، ومن هؤلاء الذين عندهم جرأة عارمة في هذا الآمدي والرازي في أكثر الأحيان يصرحون بما يعانون منه من الاضطراب، وأن هذه الأدلة بعد أن يذكرونها، يذكرون الأدلة، ثم يعارضونها بالمعارضات، ثم كذا، ويقدحون فيها هنا وهنا، وبالتالي يفقدون ثقتهم بتلك الأدلة، ويصرحون بهذا.

أما الذين يقلدونهم، وهم ينقلون عنهم، وأحيانًا يفهمون، وأحيانًا ما يفهمون، والتقليد عند المتكلمين تقليد يترفع عنه المقلدة المتعصبة، عندهم من التقليد مع أنهم يقولون ويدعون أنه لا يجوز التقليد.

**(وَلَكِنْ يُسْتَعْمَلُ فِي ذَلِكَ قِيَاسُ الْأَوْلَى، سَوَاءً كَانَ تَمْثِيلًا أَوْ شُمُولًا)** إذن هناك صورة من القياس يجوز أن يستعمل في العلم الإلهي، هو قياس الأولى، وفي الحقيقة تسمية هذا النوع قياسًا لم يكن ينبغي هذا؛ لأن هذا يضعف قوة هذا النوع من الدليل، وهو المثل الأعلى ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[النحل:٦٠] الله -عَزَّ وَجَل- ذكره في آيتين أو أكثر، في سورة النحل، وفي سورة الروم، على كل حال هذا هو المثل الأعلى، يسمى قياسًا من باب التوسع، وإلا هو ليس قياسًا، هو المثل الأعلى؛ لأن القياس كما قلنا: تقدير شيء بشيء.

المثل الأعلى يستخدم سواءً كان تمثيلًا أو سواءً كان شمولًا، وشيخ الإسلام لما نقل في كتابه [الرد على المنطقيين] نقل جوامعهم الأربعة ناقشهم فيها أيضًا، وذكر أن ما تذكرونه من جواز القياس بهذه

الجوامع الأربعة لا يجوز، إلا إذا كان قياس الأولى، استدرك عليهم في هذا، مع ذلك تجدهم يتهمونه بالتشبيه.

**(وَلَكِنْ يُسْتَعْمَلُ فِي ذَلِكَ قِيَاسُ الْأَوْلَى، سَوَاءً كَانَ تَمْثِيلًا أَوْ شُمُولًا، كَمَا قَالَ سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾[النحل:٦٠] مِثْلَ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ كُلَّ كَمَالٍ ثبت لِلْمُمْكِنِ أَوْ لِلْمُحْدَثِ لَا نَقْصَ فِيهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ)** لا بد أن تتذكر هذه القيود.

**(كُلَّ كَمَالٍ ثبت لِلْمُمْكِنِ أَوْ لِلْمُحْدَثِ لَا نَقْصَ فِيهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ فَالْوَاجِبُ الْقَدِيمُ أَوْلَى بِهِ).**

**هذا التقييد لبيان أن الكمالات تنقسم إلى قسمين:**

- **كمالٌ مطلق**: هذا الذي لا نقص فيه بوجهٍ من الوجوه: العلم، القدرة، الإرادة، السمع، والبصر، هذه كمالات مطلقة.

- **والقسم الثاني: كمالٌ نسبي**: يكون كمالًا بالنظر إلى المخلوق، بالنظر إلينا على أن النوم كمال، أليس كذلك، النوم كمال، مع أن النائم مثل الميت، الله -عَزَّ وَجَلَّ- ذكر أن النوم ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[الزمر:٤٢]؛ أي يميتها في منامها، فيه تقدير، مع ذلك هذا كمال بالنسبة لنا؛ لأنك بالنوم تستعيد القوى، وكذلك بالنسبة للأكل والشرب، بالنسبة للزواج، بالنسبة للمخلوق كل هذه كمالات، مع أن هذه الأمور فيها احتياج، وفيها استكمال، مع هذه هي كمالات بالنسبة لنا، ولكن هل هي كمالاتٌ مطلقة؟ لا.

وبالتالي هذا القيد لا نقص فيه بوجهٍ من الوجوه، النوم أليس هو نقص؟ النائم لا يدري عن شيء، فإذن هو نقص، ولكن الله -عَزَّ وَجَلَّ- جعل هذا النقص بالنسبة لنا كمالًا، فمن كان فيه هذا النقص يعتبر كمالًا، من حُرِمَ هذا النقص أيضًا محروم من نعمة.

إذن الكمال المطلق إذا وُجِدَ في المخلوق فواهبه أولى، هل يعقل أن المخلوق عالم، قادر، سميع، بصير، والذي جعله قادرًا، والذي جعله عالمًا لا يعلم؟!

وشيخ الإسلام له رسالة وهي رسالة صغيرة اسمها [الأكملية] فصَّل فيها هذه المسألة.

**(وَهُوَ مَا كَانَ كَمَالًا لِلْوُجُودِ غَيْرَ مُسْتَلْزِمٍ لِلْعَدَمِ بِوَجْهٍ)** هذا تفسيرٌ للكمال المطلق، **(مَا كَانَ كَمَالًا لِلْوُجُودِ غَيْرَ مُسْتَلْزِمٍ لِلْعَدَمِ بِوَجْهٍ، فَالْوَاجِبُ الْقَدِيمُ أَوْلَى بِهِ، وَكُلُّ كَمَالٍ لَا نَقْصَ فِيهِ بِوَجْهٍ مِنَ**

**الْوُجُوهِ، ثَبَتَ نَوْعُهُ لِلْمَخْلُوقِ الْمَرْبُوبِ الْمُدَبَّرِ، فَإِنَّمَا اسْتَفَادَهُ مِنْ خَالِقِهِ وَرَبِّهِ وَمُدَبِّرِهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ)** من وهبه أحق به منه.

**(وَأَنَّ كُلَّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ فِي نَفْسِهِ)** ما كان عيبًا في نفسه **(وَهُوَ مَا تَضَمَّنَ سَلْبَ هَذَا الْكَمَالِ)** أي كمال **(إِذَا وَجَبَ نَفْيُهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْمُمْكِنَاتِ وَالْمُحْدَثَاتِ: فَإِنَّهُ يَجِبُ نَفْيُهُ عَنِ الرَّبِّ تَعَالَى بِطَرِيقِ الْأَوْلَى)**.

هذا الذي ذكره شيخ الإسلام يذكره في عددٍ من كتبه سواءً ما يتعلق بقياس الشمول، وقياس التمثيل، وسواءً ما يتعلق قياس الأولى الذي هو المثل الأعلى.

إذن القياس إذا كان أحد طرفيه مخلوق لا يجوز أن تجري فيه قياس التمثيل، وقياس الشمول، والسبب أن هناك استواء في علة، أما قياس الأولى فيجوز استعماله، بل استعمله القرآن لإثبات أن ما يتصف به المخلوق من الكمال المطلق فواهبه أولى، وما يتنزه من العيب ما يتنزه عنه المخلوق من العيوب، فالذي خلقه أولى بالتنزه من هذه العيوب.

ثم ذكر شيخ الإسلام وتبعه ابن أبي العز -رَحِمَه الله- تعليقًا، وهذا التعليق يتعلق بدندنتهم حول التشبيه، دائمًا يقولون: نحن نفر من التشبيه، نحن نفر من التشبيه.

وشيخ الإسلام لما ذكر الفرق الثلاثة، كان أولهم من؟ الفرق الثلاثة التي.

**طالب:** .....

**الشيخ:** القرامطة، الذي ذكره هنا تجده عندهم أكثر، وتجده عند غيرهم ولكنهم يكونون قد أخذوا منهم، أشهر فرق القرامطة ما يسمون بإخوان الصفا، إخوان الصفا ألفوا اثنين وخمسين رسالة، أو ثلاثة وخمسين رسالة، وهي مطبوعة في أربع مجلدات، وهي فلسفة محضة، قرامطة زنادقة ليسوا من الإسلام في شيء، مع ذلك تجد المتكلمين يعظمونهم، وهؤلاء كما عرفنا لا يثبتون لله -عَزَّ وَجَل- لا اسمًا، ولا صفةً، لا مجازًا ولا بالاشتراك اللفظي، ولا.

يقول: **(وَمِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ: أَنَّ مِنْ غُلَاةِ نُفَاةِ الصِّفَاتِ الَّذِينَ يَسْتَدِلُّونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١] عَلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ، وَيَقُولُونَ: وَاجِبُ الْوُجُودِ لَا يَكُونُ كَذَا وَلَا يَكُونُ كَذَا، ثُمَّ يَقُولُونَ: أَصْلُ الْفَلْسَفَةِ هِيَ التَّشَبُّهُ بِالْإِلَهِ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ)**.

وهذا تجده كما قلت: فيما كتبه إخوان الصفا، وتجده أيضًا في كتب ابن سينا، والفلاسفة المنتسبون في كتب الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام زورًا وبهتانًا يذكرون هذا: (**أَصْلُ الْفَلْسَفَةِ هِيَ التَّشَبُّهُ بِالْإِلَهِ عَلَى قَدْرِ الطَّاقَةِ**) إذن تستطيع أن تتشبه بالإله، (٢٤:٣٣) قد وصلت إلى درجة أنك لا تثبت الوجود أيضًا فرارًا من التشبيه، فكيف تقول: أن أصل الفلسفة وغاية الحكمة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة؟!

(**وَيَجْعَلُونَ هَذَا غَايَةَ الْحِكْمَةِ وَنِهَايَةَ الْكَمَالِ الْإِنْسَانِيِّ**) نهاية الكمال الإنساني أن يتشبه بالإله، أن يتشبه بمن؟ بالإله.

(**وَيُوَافِقُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ يُطْلِقُ هَذِهِ الْعِبَارَةَ، وَيَرْوِي**) يقصد ويشير إلى أمثال الغزالي وغيره ممن خلطوا التصوف بالفلسفة، الذين خلطوا علم الكلام بالفلسفة كثر، والذين خلطوا التصوف بالفلسفة أشهرهم الغزالي.

(**ويروي عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– أَنَّهُ قَالَ: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ»**) هذا الحديث ابحثوا عنه في كتب الموضوعات، لن تجدوه في كتب الموضوعات، حتى في كتب الموضوعات لا تجدونه، («**تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ**»).

**هناك مبدأ هو صحيح**: الصفات صفات الكمال التي يتصف بها الله –عَزَّ وَجَل– من الكرم، والجود، والحلم، والإحسان، الله –عَزَّ وَجَل– يحب من يحب هذه الصفات، هذا غير، هذا ليس من هذا الباب «**تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ**»؛ أي تشبهوا به.

يقول شيخ الإسلام: إلى هنا قلنا: هذا مذهبكم، وهذا دينكم، الغريب من هنا (**فَإِذَا كَانُوا يَنْفُونَ الصِّفَاتِ، فَبِأَيِّ شَيْءٍ يَتَخَلَّقُ الْعَبْدُ عَلَى زَعْمِهِمْ؟!**). ما الذي أثبته حتى تتشبه به ما هو؟

إلى هنا انتهت هذه الفقرة، ويرجع هنا ابن أبي العز إلى ما ذكره الإمام الطحاوي في البداية (**وَلا يُشْبِهِ الأَنَام**).

يقول: (**وَكَمَا أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ تَعَالَى**) يعني لا يشبه الأنام (**كَمَا أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ تَعَالَى، لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ**) وهذا ذكر في قوله: (**ولا شيء مثله**).

(**لَكِنَّ الْمُخَالِفَ فِي هَذَا النَّصَارَى وَالْحُلُولِيَّةُ وَالِاتِّحَادِيَّةُ –لَعَنَهُمُ اللَّهُ–**) الذين يشبهون المخلوقات بالخالق هم هؤلاء، وهذا التشبيه كثير في المبتدعة عمومًا، وخاصةً في الخرافيين، والقبوريين

كثير تشبيه المخلوق بالخالق، تجدهم يشبِّهُون بعض الأولياء في علمهم، وفي تدبيرهم، وفي قدرتهم، وفي مشيئتهم تجد شيئًا من التشبيه للمخلوق بالخالق.

**(وَنَفْيُ مُشَابَهَةِ شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ لَهُ)**؛ أي لله -عَزَّ وَجَل- **(مُسْتَلْزِمٌ لِنَفْيِ مُشَابَهَتِهِ لِشَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ)** إذن تشبيه الخالق بالمخلوق يستلزم العكس، والعكس يستلزم العكس، هناك تلازم، إذا كان شيءٌ من مخلوقاته ليس هناك تشابه بينه وبين شيء من مخلوقاته، فالعكس أيضًا يستلزمه هذا.

إذا قلت: **(لَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ)** هذا يستلزم قولك: **(لَا يُشْبِهُهُ الْأَنَامَ)**، إذا قلت: **(لَا يُشْبِهُه الْأَنَامَ)** يستلزم **(لَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ)**.

**(فَلِذَلِكَ اكْتَفَى الشَّيْخُ -رَحِمَه الله- بِقَوْلِهِ: وَلَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ)** وفي بعض النسخ **(لَا يُشْبِهُه الْأَنَامَ)**، والشيخ البراك من هنا أخذ أن الشارح يرجِّح **(ولَا يُشْبِهُه الْأَنَامَ)** واستدرك عليه وقال: الصحيح أنه **(لَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ)**؛ لأنا إذا قلنا: **(لَا يُشْبِهُه الْأَنَامَ)**، هو الذي ذكره (٣٨:٣٥) **(ولا شيء مثله)**، ولكن ليس هناك ترجيحًا واضحًا من الشارح كما نرى.

**(وَالْأَنَامُ: النَّاسُ)** (لَا يُشْبِهُ الْأَنَامَ)، **(وَقِيلَ: الخلق كلهم، وقيل: كُلُّ ذِي رُوحٍ، وَقِيلَ: الثَّقَلَانِ. وَظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن:١٠] يَشْهَدُ لِلْأَوَّلِ)** هو أيش؟ أن الأنام الناس **(يَشْهَدُ لِلْأَوَّلِ أَكْثَرَ مِنَ الْبَاقِي. وَاللَّهُ أَعْلَمُ)**.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

## الأسئلة

**س/ يقول السائل: أحسن الله إليكم: هناك من يذكر في سيرته الذاتية: نؤمن بصفات الله بلا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تجسيم، فهل أحد من أهل السنة ينفي التجسيم هكذا؟**

ج/ لا.

**س/ السؤال الثاني: أحسن الله إليكم، يقول: هل هناك فرقٌ بين التمثيل والتشبيه؟ ولماذا لم يلتزم بعض العلماء بلفظ التمثيل مع وروده في القرآن؟**

ج/ ذكرنا أن هناك فرق بين التمثيل والتشبيه، التشبيه نفي التشبيه كل موجودين يتشابهان في شيءٍ من الأشياء ولو في الوجود؛ ولذلك حصل ما حصل، أما التمثيل فهو يرجع إلى الخصائص، وهذا الذي استعمله القرآن، فليس هناك ما يوهم في التمثيل، أما التشبيه فبابه واسع. هذا فرق.

والفرق الآخر: بالنظر إلى الورود، هذا ورد به نص، وهذا لم يرد به نص.

**س/ أحسن الله إليكم، يقول السائل: شيخنا الكريم، لم أنتبه لتعليقكم على قول المصنف: (لا يفنى ولا يبيد) هل خالف في هذه الجملة أحد من الطوائف؟**

ج/ ما أذكر أن؛ لأنه تأكيدٌ لما قبل، دائمًا. هو تأكيد، لا أذكر أن هناك من يخالف. والله أعلم.

* * * * * * * * * * * * * *

## ٣٨

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

**(المتن)**

قال المصنف -رَحِمَه الله تَعَالَى-: **(حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ).**

**قال الشارح -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥]، فَنَفْيُ السِّنَةِ وَالنَّوْمِ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ حَيَاتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ (٣)﴾[آل عمران:١-٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾[طه:١١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾[الفرقان:٥٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[غافر:٦٥]، وَقَالَ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ» الْحَدِيثَ.**

**لَمَّا نَفَى الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- التَّشْبِيهَ، أَشَارَ إِلَى مَا تَقَعُ بِهِ التَّفْرِقَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، بِمَا يَتَّصِفُ بِهِ تَعَالَى دُونَ خَلْقِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ؛ لِأَنَّ صِفَةَ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ مُخْتَصَّةٌ بِهِ تَعَالَى، دُونَ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُمْ يَمُوتُونَ.**

**وَمِنْهُ: أَنَّهُ قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، إِذْ هُوَ مُخْتَصٌّ بِعَدَمِ النَّوْمِ وَالسِّنَةِ، دُونَ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُمْ يَنَامُونَ، وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ نَفْيَ التَّشْبِيهِ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ نَفْيَ الصِّفَاتِ، بَلْ هُوَ سُبْحَانَه مَوْصُوفٌ، بِصِفَاتِ الْكَمَالِ؛ لِكَمَالِ ذَاتِهِ، فَالْحَيُّ بِحَيَاةٍ بَاقِيَةٍ لَا يُشْبِهُ الْحَيَّ بِحَيَاةٍ زَائِلَةٍ.**

وَلِهَذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعًا وَلَهْوًا وَلَعِبًا، وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ، فَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَالْمَنَامِ، وَالْحَيَاةُ الْآخِرَةُ كَالْيَقَظَةِ، وَلَا يُقَالُ: فَهَذِهِ الْحَيَاةُ الْآخِرَةُ كَامِلَةٌ، وَهِيَ لِلْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّا نَقُولُ: الْحَيُّ الَّذِي الْحَيَاةُ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ اللَّازِمَةِ لَهَا، هُوَ الَّذِي وَهَبَ الْمَخْلُوقَ تِلْكَ الْحَيَاةَ الدَّائِمَةَ، فَهِيَ دَائِمَةٌ بِإِدَامَةِ اللَّهِ لَهَا، لَا أَنَّ الدَّوَامَ وَصْفٌ لَازِمٌ لَهَا لِذَاتِهَا، بِخِلَافِ حَيَاةِ الرَّبِّ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ سَائِرُ صِفَاتِهِ، فَصِفَاتُ الْخَالِقِ كَمَا يَلِيقُ بِهِ، وَصِفَاتُ الْمَخْلُوقِ كَمَا يَلِيقُ بِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ؛ أَعْنِي: (الْحَيَّ الْقَيُّومَ) مَذْكُورَانِ فِي الْقُرْآنِ مَعًا فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ كَمَا تَقَدَّمَ، وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُمَا الِاسْمُ الْأَعْظَمُ، فَإِنَّهُمَا يَتَضَمَّنَانِ إِثْبَاتَ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَكْمَلَ تَضَمُّنٍ وَأَصْدَقَهُ، وَيَدُلُّ الْقَيُّومُ عَلَى مَعْنَى الْأَزَلِيَّةِ وَالْأَبَدِيَّةِ مَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظُ (الْقَدِيمِ)، وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى كَوْنِهِ مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ، وَهُوَ مَعْنَى كَوْنِهِ وَاجِبَ الْوُجُودِ، وَالْقَيُّومُ أَبْلَغُ مِنَ الْقَيَّامِ؛ لِأَنَّ الْوَاوَ أَقْوَى مِنَ الْأَلِفِ، وَيُفِيدُ قِيَامَهُ بِنَفْسِهِ، بِاتِّفَاقِ الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْلِ اللُّغَةِ، وَهُوَ مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ.

وَهَلْ يُفِيدُ إِقَامَتَهُ لِغَيْرِهِ وَقِيَامَهُ عَلَيْهِ؟ فِيهِ قَوْلَانِ، أَصَحُّهُمَا: أَنَّهُ يُفِيدُ ذَلِكَ، وَهُوَ يُفِيدُ دَوَامَ قِيَامِهِ وَكَمَالَ قِيَامِهِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَزُولُ لَا يَأْفُلُ، فَإِنَّ الْآفِلَ قَدْ زَالَ قَطْعًا؛ أَيْ لَا يَغِيبُ وَلَا يَنْقُصُ وَلَا يَفْنَى وَلَا يَعْدَمُ، بَلْ هُوَ الدَّائِمُ الْبَاقِي الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَوْصُوفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَاقْتِرَانُهُ بِالْحَيِّ يَسْتَلْزِمُ سَائِرَ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَيَدُلُّ عَلَى بَقَائِهَا وَدَوَامِهَا، وَانْتِفَاءِ النَّقْصِ وَالْعَدَمِ عَنْهَا أَزَلًا وَأَبَدًا.

وَلِهَذَا كَانَ قَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة:٢٥٥] أَعْظَمَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فَعَلَى هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ مَدَارُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى كُلِّهَا، وَإِلَيْهِمَا تَرْجِعُ مَعَانِيهَا، فَإِنَّ الْحَيَاةَ مُسْتَلْزِمَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، فَلَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا صِفَةٌ مِنْهَا إِلَّا لِضَعْفِ الْحَيَاةِ، فَإِذَا كَانَتْ حَيَاتُهُ تَعَالَى أَكْمَلَ حَيَاةٍ وَأَتَمَّهَا، اسْتَلْزَمَ إِثْبَاتُهَا إِثْبَاتَ كُلِّ كَمَالٍ يُضَادُّ نَفْيُهُ كَمَالَ الْحَيَاةِ.

**وَأَمَّا الْقَيُّومُ فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ كَمَالَ غِنَاهُ وَكَمَالَ قُدْرَتِهِ، فَإِنَّهُ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ الْمُقِيمُ لِغَيْرِهِ، فَلَا قِيَامَ لِغَيْرِهِ إِلَّا بِإِقَامَتِهِ، فَانْتَظَمَ هَذَانِ الِاسْمَانِ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَتَمَّ انْتِظَامٍ.**

## (الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:-**

في هذه الجُمل في قوله: (**حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، خَالِقٌ بِلَا حَاجَة، رَازِقٌ بِلَا مَؤُونَة، مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَة، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّة**) في هذه الجمل بيان وتفصيل الإجمال الذي ذكره الإمام الطحاوي سابقًا حينما نفى التشبيه في قوله: (**لَا شَيء مِثْله**)، وفي قوله: (**لَا يُشْبِه الأَنَام**).

هناك بيَّن أن أحدًا من المخلوقين لا يُشبه الله -عَزَّ وَجَل- والعكس، الله -عَزَّ وَجَل- لا يشبه أحدًا من المخلوقين في أسمائه وصفاته وأفعاله، هنا ذكر بعض الأمثلة لهذا، وبيَّن كيف أن إثبات هذه الصفات لله -عَزَّ وَجَل- لا يستلزمها التشبيه، فهذه الجمل تتعلق بتلك الجُمَل.

لذلك لما شرح ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله-، لما بدأ في شرح هذه الجمل بيَّن أو ما بيَّن ارتباط هذه الجملة بما سبق، وقد أجملتها فيما ذكرته.

هو ذكر هنا هذه الجملة (**حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ**) ولكن ما ذكره هنا (٨:٢١) على هذه الجمل الثلاث (**خَالِقٌ بِلَا حَاجَة، رَازِقٌ بِلَا مَؤُونَة، مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَة، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّة**) بعد قوله: (**حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ**) هذه الجمل كلها في سياقٍ واحد.

وفيها تفصيل قول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾[الشورى:١١]، الله -عَزَّ وَجَل- نفى المثلية بينه وبين خلقه، وأن شيئًا من خلقه لا يماثلونه في خصائصه، ثم بيَّن أنه متصفٌ بصفات، وهكذا هنا المؤلف لما نفى تشبيه ليس معناه أن نفي التشبيه يتحقق بنفي صفات، لا، نفي التشبيه يتحقق بالإثبات، وأن الإثبات لا بد أن يكون بالتنزيه؛ تنزيه الله -عَزَّ وَجَل- عن المشابهة

والمماثلة، وهذا هو الحق الذي جمعه الله -عَزَّ وَجَل- في هذه الآية، أو في جزء من الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

في هذه الجملة (**حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ**) الفقرة الأولى التي ذكرها ابن أبي العز تتعلق بهذا التفصيل الذي ذكرته: ارتباط هذه الجمل بما سبق.

الفقرة الثانية بيَّن أهمية هاتين الصفتين، أو هذين الاسمين (الحي، والقيوم).

**❄ وذكر هذه الأهمية من خلال ثلاثة أمور:**

❶ **الأمر الأول**: الإشارة إلى القول الذي رجحه بعض أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية نفسه، وابن القيم، وهذا الذي يشير إليه ابن أبي العز: إلى أن (الحي والقيوم) هذان الاسمان هما الاسم الأعظم، وهذا فيه بيان أهمية هذين الاسمين ومكانتهما.

❷ **الأمر الثاني الذي من خلاله بيَّن أهمية هذين الاسمين**: الإشارة إلى معنييهما منفردين: معنى الحي، ومعنى القيوم.

❸ **الأمر الثالث الذي من خلاله بيَّن أهمية هذين الاسمين**: الإشارة إلى معنييهما مقترنين، وكيف أن اقتران (الحي بالقيوم)، واقتران (القيوم بالحي) حصلت منه فائدة جديدة، وهذه الفائدة الجديدة هي معنًى إضافي، ويحصل باقتران الأسماء بعضها ببعض.

والشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ الله- في كتابه [القواعد المثلى] بيَّن في القاعدة الأولى التي تتعلق بالأسماء، أن مستوى الكمال في أسماء الله -عَزَّ وَجَل- يُعلَم بانفرادها، ويُعلم باقترانها، باقترانها يحصل كمال إضافي، من إضافة إلى الكمال الذي تدل عليه هذه الأسماء، وهذه الأسماء معانيها هي الصفات، وهي كمالاتٌ أثبتها الله -عَزَّ وَجَل- لنفسه، وتمدح بها.

وهناك كمالٌ إضافي يحصل باقتران اسمٍ مع اسم، أو إضافة اسم إلى اسم، وهذه هي خلاصة هذه الفقرات التي ذكرها ابن أبي العز في شرحه هذه الجملة.

أولًا: (**حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ**) أثبت اسمين من أسماء الله -عَزَّ وَجَل-، وهو اسمه (الحي) واسمه (القيوم)، ثم ذكر مع الاسمين ما يبين تمامًا وكمالًا معنييهما مما يفترق به عما يضاف إلى المخلوق، فالله -عَزَّ وَجَل- (**حَيٌّ لَا يَمُوتُ**) فيه إثبات لا النفي، (**قَيُّومٌ لَا يَنَامُ**) فيه إثبات لا النفي.

**أولًا هذه هي القاعدة التي ذكرناها في بدايات الكتاب**: أن أي نفيٍ في نصوص الكتاب والسنة لا يكون إلا لإثبات كمال ضد الصفة المنفية، وليس هناك نفيٌ مجردٌ في نصوص الكتاب والسنة، النفي المجرد النفي لأجل النفي، وهذا لا يوجد في النصوص.

(**حَيٌّ لَا يَمُوتُ، قَيُّومٌ لَا يَنَامُ**) هذا الذي سيفصِّل فيه ابن أبي العز و**خلاصته** أن الله -عَزَّ وَجَل- قائمٌ، وأن حياته كاملة بالمعاني التي ستأتي، حياته كاملة، وبما أن حياته كاملة فهي تستلزم شيء من الكمالات التي تنقص لأجل النقص في الحياة، أيُّ نقصٍ في الإنسان يرجع إلى نقصٍ في حياته نفسه.

(**قَيُّومٌ لَا يَنَامُ**) سيذكر أنه يدل على أربعة معاني.

وما ذكره هنا منقولٌ عن رسالتين من رسائل شيخ الإسلام، كلتاهما مطبوعة في سلسلة [جامع الرسائل]، **رسالتان في معنى (القيوم)**:

- الرسالة الأولى في المجلد الأول.
- والرسالة الأخرى في المجموعة الخامسة.

والتي في المجموعة الخامسة هي أكثر تفصيلًا، ويوجد في إحداهما ما لا يوجد في الأخرى، وبعض المعاني التي ذكرها هنا، ذكرها هنا هكذا، وابن أبي العز هنا لخص ما ذكره شيخ الإسلام، وتلخيصه مركزٌ مختصرٌ جدًّا مما يحتاج إلى فهم ما ذكره بالرجوع إلى أصل كلام شيخ الإسلام.

ذكر هنا بالنسبة للقيوم ذكر أربعة معاني، وسنذكر أن هناك معنًى آخر ذكره شيخ الإسلام هناك لم يذكره ابن أبي العز هنا.

(**قال سبحانه:** ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥]، **فَنَفْيُ السِّنَةِ وَالنَّوْمِ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ حَيَاتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ**) نفي السِّنة وهي مقدمة النوم، **السِّنة** هي مقدمة النوم،

نفي السِّنَة والنوم يرجع إلى بيان كمال الاسمين، لا يرجع إلى الحي فقط، ولا يرجع إلى القيوم فقط، إنما يرجع إلى الاسمين.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥] لكمال حياته ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة:٢٥٥] لكمال قيوميته، يرجع هذا إلى الاسمين، فنفي السنة والنوم دليلٌ على كمال حياته وقيوميته يرجع إلى الاسمين.

(وَقَالَ سُبْحَانه: ﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ (٣)﴾[آل عمران:١-٣]، وَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾[طه:١١١]).

﴿عَنَت﴾؛ أي خضعت وذَلَّت، ومنه يقال للأسير: هام، لأنه يهدي غيره(٢٠:١٧)، لا يملك من أمره شيئًا، و﴿عَنَت﴾ أي ذلت وخضعت ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾[طه:١١١].

(وَقَالَ سبحانه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾[الفرقان:٥٨]، وَقَالَ سبحانه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[غافر:٦٥]).

☜اسمه (الحي) ذُكِر في خمس مواضع وهي التي ذكرها ابن أبي العز هنا.

☜واسمه (القيوم) ذُكِرَ في ثلاث مواضع فقط، وهو مقرونٌ باسمه اسم (القيوم) ذُكِرَ في ثلاث مواضع فقط، وهو فيها كلها مقرونٌ باسمه (الحي).

(القيوم) ذُكِرَ في ثلاث مواضع فقط، وهو مقرونٌ فيها كلها باسمه (الحي) واسمه (الحي) ذُكِرَ في خمس مواضع، قُرِنَ في ثلاث مواضع منها بـ(القيوم).

وابن أبي العز هنا ذكر هذه الآيات كلها، في الآيتين الأخيرين: (﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾[الفرقان:٥٨]، ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[غافر:٦٥]) هنا صفة الحياة فقط.

(وَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ») ثم ذكر دوام فعل الله -عَزَّ وَجَل-. هذا أيضًا من تفسير (القيوم) أن الله -عَزَّ وَجَل- تفسير ما ورد في هذه الآية «لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ».

بعد أن ذكر هذه الآيات يقول المؤلف الشارح: **(لَمَّا نَفَى الشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- التَّشْبِيهَ، أَشَارَ إِلَى مَا تَقَعُ بِهِ التَّفْرِقَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، بِمَا يَتَّصِفُ بِهِ تَعَالَى دُونَ خَلْقِهِ)**.

الله -عَزَّ وَجَل- وصف بعض مخلوقاته بالحياة وهو من أسمائه (الحي) وله الحياة، ولكن بيَّن هنا أن حياته تختلف عن حياة المخلوقين، أن حياته غير الحياة التي تضاف إلى الله -عَزَّ وَجَل-، لا يشترك فيها المخلوق، الحياة الخاصة بالخالق ما يشترك فيها المخلوق، ولكن مطلق الحياة يشترك فيها الخالق والمخلوق، كما ذكرنا في القدر المشترك: مطلق الحياة يشترك فيها الخالق والمخلوق، أما الحياة التي تضاف لله -عَزَّ وَجَل- لا شركة فيها، لا يشترك معه فيها أحد.

**(أَشَارَ إِلَى مَا تَقَعُ بِهِ التَّفْرِقَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، بِمَا يَتَّصِفُ بِهِ تَعَالَى دُونَ خَلْقِهِ)** ذكر الأمور التي تختص بالله -عَزَّ وَجَل-، والتي لا يشركه فيها أحد.

**(فَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ) لماذا؟**

**(لِأَنَّ صِفَةَ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ مُخْتَصَّةٌ بِهِ تَعَالَى، دُونَ خَلْقِهِ)** لما أضيفت صفة الحياة لله -عَزَّ وَجَل- انتفى الاشتراك، انتهى الاشتراك، كما ذكرنا سابقًا: **أن الصفة لها ثلاث مراتب:**

❶ **المرتبة الأولى**: الصفة دون إضافتها للخالق والمخلوق، وهي تدل على معنًى عام.

❷ **المرتبة الثانية**: الصفة بعد إضافتها إلى الخالق، هنا تكون خاصةً بالله -عَزَّ وَجَل- لا يشركه فيها أحد.

❸ **المرتبة الثالثة**: الصفة مضافة للمخلوق، هنا هذه خاصة بالمخلوق ولا يشترك معه فيها خالق.

فنحن لما نقول: حياتنا أو حياة الإنسان هذه الحياة بما فيها من النقص، وبما فيها من الضعف لا يشترك معه فيها الخالق، هذه ليست حياة الخالق، حياة الخالق تختلف، وحياة المخلوق تختلف، ولكن هناك اشتراكًا في المعنى العام، وهي الحياة.

في الآية الأخيرة التي ذكرها ابن أبي العز هنا: (﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[غافر:٦٥]).

هذه حياة المخلوق سبحان الله! لا يملك من أمره شيء، وهذا الذي أريد أن أبينه هنا الله -عَزَّ وَجَل- قال: ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾[غافر:٦٥].

**تعرفون القاعدة التي يذكرها النحاة والبلاغيون:** أن الخبر إذا كان معرَّف هذا يدل حصر المعنى فيه، حصر المعنى الذي ذُكِر في المبتدأ فيه، مثل قول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾[الإخلاص:٢]، ﴿الصَّمَدُ﴾ هذا خبر، ﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، فإذا قلت: الله صمدٌ فقد أثبت له الصمدية، وهذا لا ينفي الاشتراك، إذا قلت: (زيدٌ عالمٌ) أثبت له العلم، ولم تنفي العلم عن غيره، (زيدٌ قائمٌ) أثبت له القيام، ولم تنفي عن غيره، ولكن إذا قلت: (زيد القائم) معناه أنك تريد أن تحصر هذا المعنى في (زيد).

﴿هُوَ﴾[غافر:٦٥] مبتدأ، ﴿الْحَيُّ﴾[غافر:٦٥] خبر، و﴿الْحَيُّ﴾ هنا معرَّف بالألف واللام، إذن الله -عَزَّ وَجَل- حصر الحياة لنفسه، هل معناه أن الإنسان ليس حيًّا؟ لا، ولكن الله -عَزَّ وَجَل- حصر الحياة الكاملة التي لا تستلزم الشيء من النقص حصرها في نفسه ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾[غافر:٦٥].

لذلك تعرفون ما يذكره شيخ الإسلام وأكثر مِن ذِكْرِه في [التدمرية]:

**نسبة هذه الأسماء إلى الله -عَزَّ وَجَل-(٢٥:٣٢) وإلى المخلوق ماذا تسمى؟ هل هي من باب الاشتراك؟ أو هل هي من باب التواطؤ؟ أو هل هي من باب التشبيه؟**

هو يرجح أنه من باب التواطؤ، وإذا قلنا: أنه من باب التشريك أيضًا فلا خلاف، والتواطؤ هو الاتفاق في القدر المشترك، مع الاختلاف في الخصائص، هذا هو التواطؤ، مثل البياض، مثلًا: هذا أبيض، وهذا أبيض، والثلج أبيض، وهناك فرق بين البياض هذا وبين هذا، أليس كذلك؟ هذه هي الألفاظ المتواطئة التي تتفق في أصل المعنى مع الاختلاف في الكيف.

وهكذا الحياة التي أثبتها الله -عَزَّ وَجَل- لنفسه هنا ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾[غافر:٦٥] هي الحياة الكاملة التي لا يسبقها عدم، ولا يلحقها عدم، ولا يستلزمها شيءٌ من النقص، هذه الحياة هي لله -عَزَّ وَجَل-، وليست لغيره.

**(فَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ؛ لِأَنَّ صِفَةَ الْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ مُخْتَصَّةٌ بِهِ تَعَالَى، دُونَ خَلْقِهِ).**

**لما نأتي هنا هل يبقى هناك اشتراك؟**

أبدًا، هذه الحياة التي أضيفت لله -عَزَّ وَجَل- لا يشترك معه فيها أحد، **لماذا؟**

لأنها هنا أضيفت لله -عَزَّ وَجَل-، فلا يقال هنا إلا ما يليق به، فالمحل هنا خصَّص هذا اللفظ بمعاني، وكما أن الحياة التي تضاف إلى المخلوق ليست إلا ما يليق للمخلوق وضعفه، وكونه مخلوقًا **(فَإِنَّهُمْ يَمُوتُونَ)** هي **(مُخْتَصَّةٌ بِهِ سبحانه، دُونَ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُمْ يَمُوتُونَ)**.

هذا بعض الكمال الذي يرجع إلى ما يُثبت لله -عَزَّ وَجَل- أن حياته لا يسبقها عدم، ولا يلحقها عَدَم، والكمالات الأخرى التي في حياة الله -عَزَّ وَجَل- سيشير إليها أيضًا وخاصةً في كتاب كلامه(٢٧:٥٦) أن حياة الله -عَزَّ وَجَل- ليست فيها شيءٌ مما في حياة المخلوقين من النقص.

**(وَمِنْهُ)**؛ أي مما فيه بيان المباينة بين صفات الله -عَزَّ وَجَل- وصفات المخلوقين.

**(وَمِنْه)**؛ أي مما يبين المباينة بين صفات الله -عَزَّ وَجَل- وصفات خلقه **(أَنَّهُ قَيُّومٌ لَا يَنَامُ، إِذْ هُوَ مُخْتَصٌّ بِعَدَمِ النَّوْمِ وَالسِّنَةِ، دُونَ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُمْ يَنَامُونَ)** ليس إنهم ينامون فقط، بل إن النوم كمالٌ في حقهم، النوم كمالٌ في حق المخلوق؛ ولذلك من به مرض أرق هذا مريض، وهذا يحتاج إلى علاج، الله -عَزَّ وَجَل- جعل هذا المخلوق كماله في هذا النقص.

**(وَفِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ نَفْيَ التَّشْبِيهِ لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ نَفْيَ الصِّفَاتِ)** لما نفى التشبيه فيما سبق من كلامه ليس المراد به نفي الصفات كما هو مراد المتكلمين، يشير هنا إلى بعض شراح الماتريدية الذين يأخذون من هذه الجمل التي ذكرها الشيخ، يقولون (٢٩:٢٨) لماذا؟ قالوا: إن إثبات هذه الصفات، الصفات الفعلية، والصفات الخبرية هذا يستلزم التشبيه؛ ولذلك ينفونها، فيجعلون كلام المؤلف دليلًا على نفي التشبيه.

**(لَيْسَ الْمُرَادُ بِهُ نَفْيَ الصِّفَاتِ، بَلْ هُوَ سُبْحَانَه مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ؛ لِكَمَالِ ذَاتِهِ)** كما قال شيخ الإسلام في [التدمرية] في القاعدة الأولى، أو في القاعدة الثانية: {القول في الذات كالقول في الصفات، أو القول في الصفات كالقول في الذات}.

**(فَالْحَيُّ بِحَيَاةٍ بَاقِيَةٍ لَا يُشْبِهُ الْحَيَّ بِحَيَاةٍ زَائِلَةٍ)** لذلك كما رأينا في الآية الأخيرة الله -عَزَّ وَجَل- حصر الحياة الكاملة في نفسه.

(**وَلِهَذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعًا وَلَهْوًا وَلَعِبًا**) يقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾[العنكبوت:٦٤].

(**فَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَالْمَنَامِ، وَالْحَيَاةُ الْآخِرَةُ كَالْيَقَظَةِ**) الفرق بينهما مثل الفرق بين المنام واليقظة، في أمور كثيرة منها المبدأ(١:٣١) أنت تنام قليلًا ثم تستيقظ، وأيضًا في النظر إلى الحقائق الأمور التي ستتجلى لك لتلك الحياة أكثر مما تكون عليه في الدنيا.

(**فَالْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَالْمَنَامِ، وَالْحَيَاةُ الْآخِرَةُ كَالْيَقَظَةِ**).

☜ **هنا استشهد أو أشار المؤلف إلى استشكالٍ قد يَرِد**، ما دام أنك تقول: أن الحياة الآخرة هي الحياة الكاملة، الله -عَزَّ وَجَل- أشار إليها: ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ**﴾[العنكبوت:٦٤] لهي الحياة الكاملة، هذا معناه أن حياة المخلوق ولو في الآخرة تشبه حياة الله -عَزَّ وَجَل- يستلزم التشبيه، التشبيه بين حياة الله -عَزَّ وَجَل-، وبين حياة المخلوق، قد يَرِد هذا.

فأجاب عنه (**وَلَا يُقَالُ**) هذا إشارة إلى استشكال، ثم يجيب عنه (**وَلَا يُقَالُ: فَهَذِهِ الْحَيَاةُ الْآخِرَةُ كَامِلَةٌ، وَهِيَ لِلْمَخْلُوقِ**) إذن تَشَبه حياة الله -عَزَّ وَجَل- في الكمال.

يقول: **هذا السؤال لا يثبت، لماذا؟**

(**لِأَنَّا نَقُولُ**) يعني هناك فرقٌ بين حياة الله -عَزَّ وَجَل-، وبين الحياة الكاملة للمخلوق، التي هي حياةٌ كاملة للمخلوق في نظر المخلوق في الحياة الآخرة، يقول: هناك فرقٌ عظيم.

**ما هو هذا الفرق؟**

(**لِأَنَّا نَقُولُ الْحَيُّ الَّذِي الْحَيَاةُ مِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ اللَّازِمَةِ لَهَا، هُوَ الَّذِي وَهَبَ الْمَخْلُوقَ تِلْكَ الْحَيَاةَ الدَّائِمَةَ، فَهِيَ دَائِمَةٌ بِإِدَامَةِ اللَّهِ لَهَا**).

يقول: الفرق شاسع؛ لأن تلك الحياة مع أنها كاملة بالنظر إلى حياة الدنيا، إلا أنها ممن؟ من الذي وهبه تلك الحياة؟ الله -عَزَّ وَجَل-، إذن تلك الحياة ليست منه، الله -عَزَّ وَجَل- له أن يسلبه تلك الحياة، إلا أنه من فضله وكرمه يجعلها حياةً دائمة، فهي ليست منه، أما حياة الله -عَزَّ وَجَل- فهي حياةٌ لازمةٌ وهي من لوازم ذاته.

فرقٌ بين الحياة التي هي من نفسه، وبين الحياة التي من غيره كما هي حياة المخلوقين.

**(هُوَ الَّذِي وَهَبَ الْمَخْلُوقَ تِلْكَ الْحَيَاةَ الدَّائِمَةَ، فَهِيَ دَائِمَةٌ بِإِدَامَةِ اللَّهِ لَهَا، لَا أَنَّ الدَّوَامَ وَصْفٌ لَازِمٌ لَهَا لِذَاتِهَا).**

لا، هي الحياة هي من الله -عَزَّ وَجَل-، هو الذي وهبها له.

**(بِخِلَافِ حَيَاةِ الرَّبِّ تَعَالَى، وَكَذَلِكَ سَائِرُ صِفَاتِهِ، فَصِفَاتُ الْخَالِقِ كَمَا يَلِيقُ بِهِ، وَصِفَاتُ الْمَخْلُوقِ كَمَا يَلِيقُ بِهِ).**

إلى هنا بيَّن عدم مشابهة صفات الله -عَزَّ وَجَل- بصفات المخلوق، بيَّن كيف أن ارتباط هذه الجملة بالجُمَل التي نفى فيها المؤلف التشبيه والتماثل بين الله -عَزَّ وَجَل- وبين الخلق؛ يعني إلى هنا نعتبر الفقرة هذه ربطًا بين الجُمل.

**من الآن يبيِّن أهمية هذين الاسمين، وكما قلت: بيَّن أهمية هذين الاسمين من ثلاثة أمور:**

1. **أولًا**: ببيان أنهما الاسم الأعظم.
2. **ثانيًا**: بالنظر إلى معنييهما منفردين.
3. **ثالثًا**: بالنظر إلى معنيهما مقترنين.

**(وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ؛ أَعْنِي: (الْحَيَّ الْقَيُّومَ) مَذْكُورَانِ فِي الْقُرْآنِ مَعًا فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ كَمَا تَقَدَّمَ)** سبق هذا **(وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى).**

★ **هناك خلاف في تفاضل أسماء الله -عَزَّ وَجَل-، هل أسماء الله -عَزَّ وَجَل- متفاضلة، فيها تفاضل؟**

ذهب المتكلمون عمومًا إلى عدم تفاضلها.

★ **لماذا ذهبوا إلى هذا؟**

لأن هناك خلل في مذهبهم أصلًا في صفات الله -عَزَّ وَجَل-، وكذلك في القرآن، هم يظنون أن هذا التفاضل يرجع إلى كون هذا كلامًا لله -عَزَّ وَجَل-، لا، التفاضل يكون بالنظر إلى المعنى؛ **لأن أسماء الله -عَزَّ وَجَل- وكذلك كلامه له جهتان:**

❶ **الجهة الأولى**: النظر إليها من حيث كونها كلامًا لله -عَزَّ وَجَل-، فلا تفاضل بهذا الوجه.

❷ الأمر الثاني: النظر إلى المعنى، وهناك تفاضل بالنظر إلى هذا المعنى، والتفاضل ورد في النصوص، كما ورد في آية الكرسي، وكما ورد في ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص:١]، والتفاضل هنا بالنظر إلى المعنى.

فلذلك "**لما سئل أُبَي بن كعب، قال له النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «يَا أَبَا المنْذِر أَتَدْرِي أَيُّ آيةٍ.مِنْ كِتَاب اللهِ مَعَكَ أعْظَم؟» قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: «يَا أَبَا المنْذِر أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَم؟» قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة:٢٥٥]**".

طبعًا هو من حفاظ كتاب الله -عَزَّ وَجَل-، أول ما فكر فكر في المعاني، معاني الآيات، وبسرعة (٣٨:٣٢) كما يقولون سبحان الله! فكر أن هذه لآية فيها عشر جمل، وكلها فيها تعظيمٌ لله -عَزَّ وَجَل-، فيها أسماء الله -عَزَّ وَجَل-، وفيها صفاته، بل الأسماء والصفات التي ذُكِرَت فيها هي مرجع أسماء الله -عَزَّ وَجَل- وصفاته، لمح هذا المعنى، وبالتالي ذكر أن هذه الآية هي أعظم آيةٍ في القرآن.

قال: "**فَضَرَبَ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «واللَّهِ لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المُنْذِرِ»**".

★ **ما الذي جعله يذكر أن هذه؟ هل سمعها من النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-؟**

لا، النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- يسأله، ولكنه لمح المعنى.

فالتفاضل هنا يرجع إلى المعنى وليس إلى الجهة الأولى. وأشهر من وافقهم في هذه المسألة من أهل السنة هو الإمام الطبري، أيضًا ذهب إلى هذا الرأي: أنه لا تفاضل في أسماء الله -عَزَّ وَجَل-، وإلا هذا القول هو قول المتكلمين.

القول الثاني هو قول أهل السنة: أن هناك تفاضل بين أسماء الله -عَزَّ وَجَل-. وهذا القول هو الصحيح وعليه أدلة كثيرة، منها ما ورد في الاسم الأعظم. هذه مسألة.

المسألة الثانية، يعني المسألة الأولى ما يتعلق بالتفاضل.

(**وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُمَا الِاسْمُ الْأَعْظَمُ**) هكذا ورد في بعض النصوص.

✍ **وهذه المسألة فيها قولان: هل الاسم الأعظم، هل هناك اسمٌ أعظم أصلًا؟** فيها قولان.

❶ **القول الأول**: أنه ليس هناك اسمٌ أعظم، وما ورد في ذلك الأدلة الواردة في ذلك لا تثبت. هذا القول الأول.

❷ **القول الثاني**: لا، هناك اسمٌ أعظم. وهذا هو الصحيح.

أصحاب القول الثاني اختلفوا مرة أخرى، القول الأول: ليس هناك اسمٌ أعظم، القول الثاني: إثبات الاسم الأعظم.

✍ **أصحاب القول الثاني اختلفوا مرة أخرى:**

- بعضهم قالوا: الاسم الأعظم غير معين.
- وبعضهم قالوا: الاسم الأعظم معين.

✍ **والذين ذهبوا إلى تعيين الاسم الأعظم اختلفوا أيضًا**، الذين قالوا: أن الاسم الأعظم معين أيضًا اختلفوا.

☜ **أشهر الأقوال في ذلك**: هذا القول الذي ذهب إليه شيخ الإسلام، هذا قول شيخ الإسلام: أن ما ذكره الشيخ (**حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُمَا الِاسْمُ الْأَعْظَمُ**). هذا كلام شيخ الإسلام.

شيخ الإسلام ذكر هذا في حديثه عن اسمه (الحي)، لما تحدث عن اسمه (الحي) ذكر هذا، أن هذا هو الاسم الأعظم، ثم استشهد بقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾[البقرة:٢٥٥].

قد فهم بعض الباحثين الذين ألفوا في هذا الباب، ذهبوا إلى أن شيخ الإسلام يرى أن الاسم الأعظم هو (الحي)، وليس كلا الاسمين.

★ **استنبط هذا من ماذا؟**

لأن حديثه في هذا ورد في حديثه عن اسمه (الحي) (٤٢٤٧) ولكن الصحيح غير هذا الذي ذهب إلى هذا.

**الصحيح**: أن شيخ الإسلام يرى أن الاسم الأعظم هما الاسمان الحي والقيوم، ومن الأدلة أنه استشهد بهذه الآية التي فيها هذان الاسمان.

**والدليل الآخر**: أن تلميذه ابن القيم نقل هذا عن شيخ الإسلام، وأن هذا رأيه، وأن الاسم الأعظم عنده هو (الحي القيوم). وهذا الذي رجحه ابن القيم، وهذا الذي يميل إليه ابن أبي العز هنا، (**حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُمَا الِاسْمُ الْأَعْظَمُ**).

ابن أبي العز لم يرجِّح صراحةً، وإنما أشار إلى هذا إشارةً. هذه الأقوال عمومًا، إذن القول بأن: (اسم الله الأعظم (الحي القيوم)) هذا قول شيخ الإسلام كما قلت، وهذا قول بعض السلف، ذكره شيخ الإسلام.

**من أدلتهم**: حديث أسماء ذكره المحقق هنا: عن أسماء بنت اليزيد قالت: "**سمعت رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم– يقول**: «إِنَّ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ اسْم الله الأَعْظَم ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة:١٦٣]، ﴿الم (١) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢)﴾[آل عمران:١-٢]»" وهذا الحديث في سنده ضعف، ولكن يتقوى بحديث أنس، وهو في السنن، حديث أنس. وفيه أيضًا: أن اسم الله الأعظم (الحي القيوم).

والأحاديث الواردة هنا هي كلها بين حسنٍ وصحيحٍ لغيره، الأحاديث التي وردت في كون الاسم الأعظم هو (الحي القيوم) هي بين حسنٍ وصحيحٍ لغيره، وهي في مجموعها تلحظ(٧:٤٥) بهذا القول.

**والذين قالوا**: أن اسم الله الأعظم لم يُعيَّن قالوا، هذا أيضًا ذهب إليه كثير من أهل العلم، قالوا: السبب في ذلك مثل السبب في إخفاء سبب الإجابة يوم الجمعة (٢٩:٤٥)، وكذلك ليلة القدر، والحكمة في ذلك أن تدعو الله –عَزَّ وَجَل– بجميع الأسماء، وهذا أنت لما تدعو الله –عَزَّ وَجَل– بجميع الأسماء، سيكون منها الاسم الأعظم، وبالتالي تتعبد الله –عَزَّ وَجَل– بأسمائه، ومن ذلك إذن أن تجتهد، ومن ذلك إذن أن عبادتك ستكون أكثر مما إذا لو عرفت.

على كل حال، الأحاديث التي وردت في هذا كما قلت: هي أحاديث ثابتة؛ ولذلك ترجيح هذا القول قد يكون هو الراجح الذي أشار به ابن أبي العز، وهو قول شيخ الإسلام وابن القيم، والله أعلم.

المهم، هذا ذكره ابن أبي العز عَرَضًا لبيان مكانة هذين الاسمين، الآن يذكر التفصيل.

**(فَإِنَّهُمَا يَتَضَمَّنَانِ إِثْبَاتَ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَكْمَلَ تَضَمُّنٍ وَأَصْدَقَهُ)**.

سيذكر في الأخير أن (الحي) يتضمن جميع الأسماء والصفات الذاتية، و(القيوم) يتضمن جميع الصفات، صفات الأفعال، والصفات التي فيها تعلقٌ بالربوبية وغيرها.

يقول: **(فَإِنَّهُمَا يَتَضَمَّنَانِ إِثْبَاتَ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَكْمَلَ تَضَمُّنٍ وَأَصْدَقَهُ، وَيَدُلُّ الْقَيُّومُ عَلَى مَعْنَى الْأَزَلِيَّةِ)**.

الآن بدأ في ذكر معنى (القيوم).

**أولًا**: ذَكَر أن القيوم يتضمن كثيرًا من المعاني منها: **(الْأَزَلِيَّةِ وَالْأَبَدِيَّةِ)** من معاني القيوم أنه أزليٌّ أبدي، وبيان تضمن هذا الاسم للأزلية والأبدية يقول: **(مَالَا يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظُ (الْقَدِيمِ))**.

✍ **لأن لفظ (القديم) كما سبق يطلق على أمرين:**

⇦ (القديم) القِدَم النسبي.

⇦ وكذلك (القديم) هو القِدَم المطلق.

وتضمن هذا الاسم الأزلية والأبدية أكمل من القديم. هذا هو المعنى الأول.

**(وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى كَوْنِهِ مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ، وَهُوَ مَعْنَى كَوْنِهِ وَاجِبَ الْوُجُودِ)**.

هذا الاسم كونه واجب الوجود. ذكره بعض المتكلمين من الأسماء الحسنى، منهم الرازي في [لوامع البينات] وغيره، عدد مما ذكره في أسماء الله الحسنى، ولم يذكر دليل وكأنه لا يحتاج إلى ذكر دليل. هذا واحد.

**ثانيًا**: هم لما يذكرون أسماء الله -عَزَّ وَجَل-، أو لا يذكرون الله -عَزَّ وَجَل- قديمًا المتكلمون كانوا يقولون: الصانع الصانع الصانع، المتأخرون الذين تفلسفوا أكثر يستخدمون هذا: واجب الوجود، واجب الوجود، واجب الوجود بالنظر إلى المعنى صحيح، ولكن ليست من أسماء الله الحسنى أولًا.

ثانيًا: هذا اللفظ الذي جاء به المتفلسفة هل هو أكمل من الأسماء الحسنى التي ذكرها الله -عَزَّ وَجَل- ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[الأعراف:١٨٠]؟ ولذلك الذين (٤٠:٤٩) في أسمائه سيجزون.

يعني هذا الاسم الذي قد جاؤوا به هل هو أكمل من أسماء الله الحسنى؟ واجب الوجود بالنظر إلى المعنى أنقص حتى من الصانع.

على كل حال، هكذا كونه واجب الوجود هذا من المعاني الذي يتضمنه (القيوم) إضافةً إلى معاني أخرى.

(**وَالْقَيُّومُ أَبْلَغُ مِنَ الْقَيَّامِ**) طبعًا سيذكر المعاني الأخرى سيأتي، السلسلة هذه لم تنتهي معاني (القيوم) ولكنه عرض هنا ذكر هذه الفائدة.

قلت لكم: هذا الذي ذكره هنا منقولٌ من كلام شيخ الإسلام، وكلام شيخ الإسلام في رسالتيه، وابن أبي العز هنا لخَّص ما ورد في رسالتيه، لأن في الرسالة الأولى مثلًا هنا (**وَهَلْ يُفِيدُ إِقَامَتَهُ لِغَيْرِهِ وَقِيَامَهُ عَلَيْهِ؟ فِيهِ قَوْلَانِ، أَصَحُّهُمَا: أَنَّهُ يُفِيدُ ذَلِكَ**) هذا لا يوجد في رسالة أخذها، ذكر القولين هنا، فكلامه ملخص مما ذكره في الرسالتين.

يقول: (**وَالْقَيُّومُ أَبْلَغُ مِنَ الْقَيَّامِ**)، (**القيَّام**) هذه قراءة من القراءات الصحيحة، ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيَّامُ**﴾ هذه قراءة عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وبعض الصحابة، وهي صحيحة.

نكمل إن شاء الله بعد الصلاة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * * * * * * * * *

## بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، اللهم اغفر لشيخنا ولأشياخه وللمسلمين.

### (المتن)

قال الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: **وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ؛ أَعْنِي: (الْحَيَّ الْقَيُّومَ) مَذْكُورَانِ فِي الْقُرْآنِ مَعًا فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ كَمَا تَقَدَّمَ، وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، حَتَّى قِيلَ: إِنَّهُمَا الِاسْمُ الْأَعْظَمُ، فَإِنَّهُمَا يَتَضَمَّنَانِ إِثْبَاتَ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَكْمَلَ تَضَمُّنٍ وَأَصْدَقَهُ، وَيَدُلُّ الْقَيُّومُ عَلَى مَعْنَى الْأَزَلِيَّةِ وَالْأَبَدِيَّةِ مَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظُ (الْقَدِيمِ)، وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى كَوْنِهِ مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ، وَهُوَ مَعْنَى كَوْنِهِ وَاجِبَ الْوُجُودِ، وَالْقَيُّومُ أَبْلَغُ مِنَ الْقَيَّامِ؛ لِأَنَّ الْوَاوَ أَقْوَى مِنَ الْأَلِفِ، وَيُفِيدُ قِيَامَهُ بِنَفْسِهِ، بِاتِّفَاقِ الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْلِ اللُّغَةِ، وَهُوَ مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ.**

**وَهَلْ يُفِيدُ إِقَامَتَهُ لِغَيْرِهِ وَقِيَامَهُ عَلَيْهِ؟ فِيهِ قَوْلَانِ، أَصَحُّهُمَا: أَنَّهُ يُفِيدُ ذَلِكَ، وَهُوَ يُفِيدُ دَوَامَ قِيَامِهِ وَكَمَالَ قِيَامِهِ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَزُولُ لَا يَأْفُلُ، فَإِنَّ الْآفِلَ قَدْ زَالَ قَطْعًا؛ أَيْ لَا يَغِيبُ وَلَا يَنْقُصُ وَلَا يَفْنَى وَلَا يَعْدَمُ، بَلْ هُوَ الدَّائِمُ الْبَاقِي الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَوْصُوفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَاقْتِرَانُهُ بِالْحَيِّ يَسْتَلْزِمُ سَائِرَ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَيَدُلُّ عَلَى بَقَائِهَا وَدَوَامِهَا، وَانْتِفَاءِ النَّقْصِ وَالْعَدَمِ عَنْهَا أَزَلًا وَأَبَدًا.**

**وَلِهَذَا كَانَ قَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة:٢٥٥] أَعْظَمَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.**

**فَعَلَى هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ مَدَارُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى كُلِّهَا، وَإِلَيْهِمَا تَرْجِعُ مَعَانِيهَا، فَإِنَّ الْحَيَاةَ مُسْتَلْزِمَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، فَلَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا صِفَةٌ مِنْهَا إِلَّا لِضَعْفِ الْحَيَاةِ، فَإِذَا كَانَتْ حَيَاتُهُ تَعَالَى أَكْمَلَ حَيَاةٍ وَأَتَمَّهَا، اسْتَلْزَمَ إِثْبَاتُهَا إِثْبَاتَ كُلِّ كَمَالٍ يُضَادُّ نَفْيُهُ كَمَالَ الْحَيَاةِ.**

**وَأَمَّا الْقَيُّومُ فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ كَمَالَ غِنَاهُ وَكَمَالَ قُدْرَتِهِ، فَإِنَّهُ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ الْمُقِيمُ لِغَيْرِهِ، فَلَا قِيَامَ لِغَيْرِهِ إِلَّا بِإِقَامَتِهِ، فَانْتَظَمَ هَذَانِ الِاسْمَانِ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَتَمَّ انْتِظَامٍ.**

## (الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:-**

لا زلنا مع حديث ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- عن اسم الله (القيوم) وهو من الأسماء الحسنى.

✍ **وقد ذكر في بيان أهمية هذا الاسم**: أن من الأقوال التي قيلت في تحديد الاسم الأعظم قولٌ بأن هذين الاسمين (الحي القيوم) هما الاسم الأعظم، ذكرنا الخلاف في هذا الباب.

✍ بدأ يشرح أهمية هذين الاسمين ببيان معنييهما وتضمنهما إثبات صفات الكمال.

قوله هنا: (**فَإِنَّهُمَا يَتَضَمَّنَانِ إِثْبَاتَ صِفَاتِ الْكَمَالِ**) سيذكر في نهاية الفقرة كيف أنهما يتضمنان، وهنا في صدد بيانه لمعاني (القيوم) يقول:

- (**وَيَدُلُّ الْقَيُّومُ عَلَى مَعْنَى الْأَزَلِيَّةِ وَالْأَبَدِيَّةِ**) هذا المعنى الأول.
- (**وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى كَوْنِهِ مَوْجُودًا بِنَفْسِهِ**) هذا المعنى الثاني (**وَهُوَ مَعْنَى كَوْنِهِ وَاجِبَ الْوُجُودِ**).

ثم قبل أن يكمِّل معاني (القيوم) ذكر جملة معترضة، في هذه الجملة بيان كون (القيوم) أبلغ من (القيَّام) وهذا سيسهم في بيان معاني (القيوم) أكثر. هذه الجملة المعترضة فيها بيان أن هذا الاسم يتضمن من المعاني ما يقصر عنه (القيام) هذه الصيغة ليس على الاسم.

(**وَالْقَيُّومُ أَبْلَغُ مِنَ الْقَيَّامِ**) ذكرت في الدرس الماضي أن (القيَّام) قراءة عمر بن الخطاب -رَضِيَ الله عَنْهُ- كما في صحيح البخاري، وهي قراءةٌ صحيحة، ولكنها ليست متواترة، والقراءة المتواترة، ويقابلها القراءة الشاذة بالنظر إلى تواتر هذه القراءات لدى قراء معينين، وإلا هذه قراءة صحيحة، وهذا الاسم

كان له أثر ليس بجيد في القراءات الصحيحة، هناك قراءات صحيحة، لا نشك أنها صحيحة مثل هذه القراءة، ولكنها لم تتواتر.

إلى هنا المعنى مقبول، ولكن تسميتها قراءة شاذة، هذه التسمية فيها ما فيها؛ لأن القراءة صحيحة، وهي تقصر عن القراءة المتواترة، المفروض أن يكون لها اسم آخر، ولكن نحن لسنا متخصصين في هذا الباب، ولكن هذه التسمية لا تليق بالقراءات الصحيحة مثل هذه القراءة.

يقول: (**وَالْقَيُّومُ أَبْلَغُ مِنَ الْقَيَّامِ**) ثم ذكر السبب، في ذكره للسبب اختصر اختصارًا قد يكون مخلًّا. هذا بالنظر إلينا، وإلا بالنسبة له الأمر واضح (**لِأَنَّ الْوَاوَ أَقْوَى مِنَ الْأَلِفِ**) القيوم.

(**أَقْوَى مِنَ الْأَلِفِ**) إلى هنا يعني في هذه الجملة بيَّن أن (القيوم) أبلغ من (القيَّام)، الواو هنا هذه ليست هي الواو التي في (القيوم)، الواو التي يشير إليها هي التي في أصل (القيوم) قام/يقوم، قام أصله أيش؟ قَوَمَ، إذن الواو موجود حتى في (القَيَّام)، الواو الذي يتحدث عنه هنا هو الواو المعتل الذي يظهر في أصل (القيوم)، (القيوم) أصله (قيُّووم)، أصله ماذا؟ (قيُّووم)، ووزنه فيعول، و(القيَّام) أصله (قيوام)، ووزنه فيعال.

والفاء، والعين، واللام هذه أوزان بهذه الحروف توزن الصيغ والحروف، فما قابل الفاء والعين واللام من الحروف يكون أصليًّا من مادة الكلمة، وما لم يقابل هذه الحروف لا يكون أصليًّا. نطبقها هنا.

(قيوم) قلنا: أصله (قيووم)، الياء تقابل شيئًا من الـ..، فيعول الياء تقابل شيئًا من الفاء والعين واللام؟

**طالب**: لا.

**الشيخ**: إذن هذا حرفٌ معتل وهو زائد (قيوام، فيعال، فيعول) الفاء تقابل شيء من الفاء؟ القاف، إذن هذه أصلية.

فيعوول، (**قيووم**) **الواو الأولى تقابل ماذا؟**

**طالب**: العين.

**الشيخ**: العين، إذن هي أصلية، الواو التي بعدها لا تقابل شيئًا، هي المرادة هنا، الواو أقوى من الألف هي المرادة هنا.

والألف في (قيوام) بعد الواو ماذا؟ الواو هو عرفنا أن الواو هو أصل عين الكلمة، وبالتالي هي أصل مادة الكلمة، طيب، (قيوام) بعد الواو ألف، هذه الألف تقابل شيئًا من الحروف الثلاثة؟ لا، إذن هي زائدة، وهي المعتل.

ولذلك يقول شيخ الإسلام –طبعًا هذا قلت لكم: هذا ملخص من رسالتين، ما ذكره هنا ملخص من رسالتين من رسائل شيخ الإسلام، وكلتا الرسالتين في (الحي القيوم) أو في (القيوم) الرسالة الأولى في [جامع الرسائل] في المجلد الأول، والرسالة الثانية في [جامع الرسائل] في المجلد الخامس، السلسلة هذه، الرسالة الأولى في المجلد الأول، والرسالة الثانية في المجلد الخامس، فما ذكره هنا ملخص مما ذكره هناك، وهناك أطال شيخ الإسلام، أطال جدًّا في بيان أصل (القيوم) وفي بيان أصل (القيَّام) ليصل إلى النتيجة في النهاية ويقول في الأخير: {فهذا القيوم} هذا كلامه يقول: {فهذا يعني (القيوم) عينه مضمومة (قيوُوم) الواو عينه، لماذا؟ لأنها تقابل فعل، العين، هذه تسمى عين الكلمة، فهذا عين مضمومة، والمعتل منه ماذا؟ واو، (قيووم) المعتل بعد الواو، الواو هو أصل الكلمة، والمعتل منه الواو الذي بعده، والمعتل منه واو، فهو أبلغ مما عينه مفتوحة، (قيوام) عينه ماذا؟ الواو، في (قيوَام) مفتوحة أليس كذلك، والمعتل منه ماذا؟ ألف (قيوام)}.

فهنا لما يقول: (**لأن الواو**) يقصد في (قيووم) (**أَقْوَى مِنَ الْأَلِفِ**) في (قيوام)، وليس هذا الألف الذي في (القيام) الألف الأخير في (قيوام).

هذا كله بيَّنه شيخ الإسلام لبيان أن الواو، والحركة المقابلة للواو الضمة، الواو أقوى الحروف، والضمة هي أقوى الحركات، فلذلك تكون الضمة لما يكون عمدةً للكلام كالفاعل والمبتدأ، وما يكون في حكمه، أما الفتحة فهي أضعف الحركات فلذلك تكون لما يكون فضلةً في الكلام كالمفعول، وأقسام المفعول، وما يكون في محله.

(**وَيُفِيدُ قِيَامَهُ بِنَفْسِهِ**) هذا المعنى الثالث.

❶ **المعنى الأول**: (الأزلية والأبدية).

❷ **المعنى الثاني**: (أنه موجودٌ بنفسه).

❸ **المعنى الثالث**: (أنه قائمٌ بنفسه وليس محتاجٍ إلى غيره في قيامه). هذا المعنى الثالث.

(**بِاتِّفَاقِ الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْلِ اللُّغَةِ، وَهُوَ مَعْلُومٌ بِالضَّرُورَةِ، وَهَلْ يُفِيدُ إِقَامَتَهُ لِغَيْرِهِ وَقِيَامَهُ عَلَيْهِ؟**).

⇐ القيوم قائمٌ بنفسه لا يحتاج إلى غيره. هذا معنى.

⇐ مقيمٌ لغيره فلا قيام لغيره إلا به. هذا معنى.

⇐ قائمٌ عليه، فهو الذي يدبر أمره وشؤونه. هذا معنى ثالث.

★ **فهل يتضمن إقامته لغيره وقيامه عليه؛ أي تدبيره لـ.. إقامته لغيره يعني خلقهم، قيامه عليه؛ أي يدبر أمورهم، فهل يشمله أيضًا؟**

(**فِيهِ قَوْلَانِ**) قولان. هذا اللي ذكر في المجلد الأول في الرسالة التي في المجلد الأول، (**أَصَحُّهُمَا: أَنَّهُ يُفِيدُ ذَلِكَ**) هذا ذكره في الرسالة التي في المجلد الخامس، شوفوا كيف يلتقط الكلمات ويصبها صبًّا هنا ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ-، نحن نظن أنه نقل، لا، سبحان الله! الذي يقرأ يرى أنه كيف سبحان الله! رتب هذه الكلمات وصبَّها وركَّز في ترتيبها.

(**أَصَحُّهُمَا: أَنَّهُ يُفِيدُ ذَلِكَ**).

★ **كم معنى صارت إلى الآن؟**

⇦ الأزلية والأبدية.

⇦ إذن موجودٌ بنفسه.

⇦ وقائمٌ بنفسه.

⇦ مقيمٌ لغيره.

⇦ قائمٌ عليه.

(**وَهُوَ يُفِيدُ دَوَامَ قِيَامِهِ وَكَمَالَ قِيَامِهِ**) هذه كلها يتضمنها هذا الاسم العظيم الذي هو (القيوم).

(**لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ**) (قيوم) فيها مبلغة، و(قيَّام) أيضًا فيها مبالغة، ولكن قيوم أبلغ من القيَّام للسبب الذي ذكره شيخ الإسلام (**لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ**) ما دام أنه قيوم بهذه المعاني الخمسة والستة، (**فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَزُولُ وَلَا يَأْفُلُ**)؛ أي لا يغيب.

(**فَإِنَّ الْآفِلَ قَدْ زَالَ قَطْعًا؛ أَيْ لَا يَغِيبُ وَلَا يَنْقُصُ**) (**أَيْ لَا يَغِيبُ**) هذا منه، أما الكلام الآخر هو من شيخ الإسلام (**فَإِنَّ الْآفِلَ قَدْ زَالَ قَطْعًا؛ أَيْ لَا يَغِيبُ وَلَا يَنْقُصُ وَلَا يَفْنَى وَلَا يَعْدَمُ**) أي ولا يُعدَم.

(**وَلَا يَعْدَمُ، أو لا يُعدم**) كلاهما بنفس المعنى.

(**بَلْ هُوَ الدَّائِمُ الْبَاقِي الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَوْصُوفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ**).

بمناسبة ذكره (**فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَزُولُ**) ذكر الإمام الدارمي عن المريسي أنه نقل عن ابن عباس –رَضِيَ الله عَنْهُما–: {أن معنى (القيوم) أنه لا يزول}، واستدل المريسي بهذا على أنه لا يتصف بالصفات الفعلية، **لماذا؟**

لأنه يتصف بالصفات الفعلية تحل بذاتها الحوادث، ومن حلت بذاته الحوادث لا يكون أزليًّا، ومن لا يكون أزليًّا لا يكون أبديًّا، وبالتالي اتصافه بالصفات الفعلية يتنافى مع كونه أزليًّا وأبديًّا، وبالتالي استدل بهذا على نفي الصفات الفعلية. هذا من؟ المريسي، لم يُرد في أقوال المفسرين إلا زور (١٩:٢٥) لأنه أعمى البصر والبصيرة، يبحث عما قد يكون فيه متشبث له.

والإمام الدارمي رد هذه الرواية؛ لأنها من طريقه، قال: {السند ضعيف؛ لأنك أول سلسلة إسناد، سلسلة السند هذه تبدأ بك، فهي ضعيفة}، فعلًا السند الذي ذكره هو ضعيف لأنه عن الكلبي، الكلبي معروف.

☜ **ثم بيَّن أولًا**: أن هذه الرواية التي ذكرتها هي ضعيفة، طبعًا هو المعارض الذي ينقل كلام المريسي ذكر هذا الحديث، والحديث رواه عن المريسي عن فلان إلى ابن عباس –رَضِيَ الله عَنْهُ–، أولًا ضعفه.

☜ **ثم بيَّن** أن الرواية إذا صحت فمعناها كيت وكيت، بيَّن المعنى الصحيح.

لاحظوا هنا! (**فَهُوَ سُبْحَانَهُ لَا يَزُولُ وَلَا يَأْفُلُ**) كيف أنه جاء به بعد هذه المعاني المتعددة، وكيف أن هذا منسجمٌ مع هذه المعاني، وأنه لا يدل على ما استدل له المريسي.

**أولًا**: رد الرواية، ثم ذكر المعنى الصحيح، ولكن الرواية هذ ثابتة عن غيره أيضًا، ابن أبي حاتم نقل عن الحسن: (أن القيوم الذي لا زوال له) فهذا ثابت.

★ **لا زوال له لماذا؟**

لهذه المعاني: أزليٌّ، أبديٌّ، قائمٌ بنفسه، مقيمٌ لغيره، قائمٌ على كل حي، بل قيامه دائمٌ، وليس هذا فقط كما ذكر يدل أيضًا على كمال قيامه، إذن إذا كان هكذا إذن لا يزول ولا يفنى؛ لأن من أفلَ فقد –كما قال المؤلف–: فقد زالت عنه.

إلى هنا بيَّن معاني معنيي (الحي والقيوم منفردين).

✍ **الآن يبيِّن الكمال الذي حصل باقترانهما:**

أنا ذكرت في الدرس الماضي أن الكمال الذي في الأسماء الحسنى: أولًا: هذه الأسماء كلها فيها كمالٌ بالنظر على معانيها، وهناكٌ كمالٌ يضاف باقترانها. هذا ذكره الشيخ ابن عثيمين في [القاعدة الأولى التي تتعلق بالأسماء الحسنى] أن أسماء الله الحسنى، والحسنى معناها أنها غالبة في الحسن غايته، وهذا الحسن يكون بانفرادها، وباقتران بعض الأسماء بها، ومثَّل بـ(العزيز الحكيم) لأن الله –عَزَّ وَجَل– يقرن هذين الاسمين كثيرًا، فهكذا (الحي القيوم) رأينا أن القيوم ذُكِرَ في القرآن ثلاث مرات، وهو مقرونٌ بـ(الحي) فيها كلها، و(الحي) ذُكِرَ خمس مرات، وهو مقرونٌ بـ(القيوم) في ثلاث مواضع منها.

(**وَاقْتِرَانُهُ بِالْحَيِّ يَسْتَلْزِمُ سَائِرَ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَيَدُلُّ عَلَى بَقَائِهَا وَدَوَامِهَا، وَانْتِفَاءِ النَّقْصِ وَالْعَدَمِ عَنْهَا أَزَلًا وَأَبَدًا؛ وَلِهَذَا كَانَ قَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة:٢٥٥] كان هذا أَعْظَمَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–**) حديث أُبَي بن كعب، ذكرناه، مذكور في الحاشية، وذكرته في الدرس الماضي.

**(فَعَلَى هَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ مَدَارُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى كُلِّهَا، وَإِلَيْهِمَا تَرْجِعُ مَعَانِيهَا، فَإِنَّ الْحَيَاةَ مُسْتَلْزِمَةٌ لِجَمِيعِ صِفَاتِ الْكَمَالِ، فَلَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا صِفَةٌ مِنْهَا إِلَّا لِضَعْفِ الْحَيَاةِ، فَإِذَا كَانَتْ حَيَاتُهُ تَعَالَى أَكْمَلَ حَيَاةٍ وَأَتَمَّهَا، اسْتَلْزَمَ إِثْبَاتُهَا إِثْبَاتَ كُلِّ كَمَالٍ يُضَادُّ نَفْيُهُ كَمَالَ الْحَيَاةِ).**

جميع صفات الكمال لا تكون إلا بـ(الحي) الذي تكون حياته كاملة، حتى في المخلوقين، من كانت حياته أكمل من غيره، كان متصفًا من صفات الكمال ما يكون أكثر من غيره، اتصافه بصفات الكمال قلةً وكثرةً يرجع إلى كمال حياته أو نقصها. هذا في المخلوقين، فأي نقصٍ في الصفات يرجع إلى نقصٍ في الحياة، فما دام أن الحياة الخاصة بالله -عَزَّ وَجَل- أكمل حياة، فله من صفات الكمال كلها على كمالها وتمامها.

**(وَأَمَّا الْقَيُّومُ فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ كَمَالَ غِنَاهُ وَكَمَالَ قُدْرَتِهِ)** لا يحتاج إلى غيره **(فَإِنَّهُ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، الْمُقِيمُ لِغَيْرِهِ، فَلَا قِيَامَ لِغَيْرِهِ إِلَّا بِإِقَامَتِهِ، فَانْتَظَمَ هَذَانِ الِاسْمَانِ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَتَمَّ انْتِظَامٍ).**

✍ **ولذلك قال العلماء**: أن الحي يجمع جميع صفات الذات، جميع صفات الذات ترجع إلى اسم الله -عَزَّ وَجَل- الحي؛ السمع، والبصر، والعلم ونحوها، كلها ترجع إلى اسم (الحي)، أما (القيوم) فهو يجمع صفات الأفعال، فجميع الصفات الفعلية ترجع إلى (القيوم) كالخلق، والرزق، (٢٦:٣٠)، والإحياء، والإماتة، ونحوها.

وقريبٌ منها اسمه (الصمد)؛ لأن الصمد من معانيه أن الله -عَزَّ وَجَل- ليس محتاجًا إلى غيره، وغيره -هذا عام- غيره كلهم محتاجون إليه، فمعناه قريبٌ من معنى اسمه (القيوم)

**(المتن)**

أحسن الله إليكم.

قال -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: **قَوْلُهُ: (خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ، رَازِقٌ بِلَا مُؤُونَةٍ).**

**قال الشارح -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**

(٥٨)﴿[الذاريات:٥٦-٥٨]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[فاطر:١٥]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾[محمد:٣٨]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[الأنعام:١٤]، وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» الْحَدِيثَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَقَوْلُهُ بِلَا مُؤُونَةٍ: بِلَا ثِقَلٍ وَلَا كُلْفَةٍ.

(الشرح)

ثم قال الإمام الطحاوي -رَحِمَهُ الله- وهو يذكر صفات الله -عَزَّ وَجَل- وأسماءه، ويذكر أيضًا بعض ما يختص به الله -عَزَّ وَجَل-، أو بعض الخصائص لأسمائه وصفاته، قال: (**خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ**) فمن أسمائه أنه الخالق، (**رَازِقٌ بِلَا مُؤُونَةٍ**) من أسمائه أنه رازق.

(**خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ**) الله -عَزَّ وَجَل- يخلق، وليس خلقه وصنعه مثل صنع المخلوقين، المخلوقون قد يصنعون شيئًا، ولكنهم يصنعونه لحاجتهم إليه، يستفيدون منه، أما خلق الله -عَزَّ وَجَل- وصنعه فليس لحاجته إليه، فهو (**خَالِقٌ بِلَا حَاجَةٍ**) لغناه المطلق الكامل كما سبق في اسمه (القيوم)، بل خلقهم لحِكمٍ عظيمة، من ذلك ابتلائهم، فخلقهم ليس لحاجته إليهم، فكونهم، وعدم كونهم لا يعني شيئًا بالنسبة لأسمائه وصفاته.

(**رَازِقٌ بِلَا مُؤُونَةٍ**) يرزقهم، ولكن هذا الرزق لا يُثقله، ولا يكلفه شيئًا، **لماذا؟** لكمال قدرته. هذا كله فيه كما قلت: إشارة إلى بعض الخصائص لهذه الأسماء، وهذه الجمل كما قلنا، وهو قوله أيضًا: (**مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ**) هذه الجُمَل، وما سبق أيضًا، هذه الجمل الثلاث ترجع إلى بيان إثبات الأسماء والصفات مع بيان ما تختص به من المعاني، وأن الإثبات ليس فيه وقوع في التشبيه، وأن الإثبات ليس تشبيهًا. هكذا بإطلاق كما ذهب إليه المعطلة الجهمية ومن تبعهم.

(قَالَ سُبْحَانَه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]) هذا فيه حصرٌ وقصد، فخلقهم ليس لحاجته إليهم، إنما ليحققوا هذه الغاية.

(﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[الذاريات:٥٧]) هذا الضمير يرجع إلى الله -عَزَّ وَجَل-، ويرجع أيضًا إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

(﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨]) القوة القوي من أسمائه، والمتين من أسمائه متقاربان في المعنى. (﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾[الذاريات:٥٨]) هو الذي يرزق، وهو الذي بيده القوة، وهو المتين.

(﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[فاطر:١٥]) من أسمائه أنه الغني، ومن أسمائه أنه هو الحميد، وفقر الناس إلى الله -عَزَّ وَجَل- هو فقرٌ ذاتي كما هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة: فقر الناس وفقر المخلوقات لله -عَزَّ وَجَل- فقرٌ ذاتيٌّ لا يحتاج إلى تعليل، أما المتكلمون والفلاسفة فاختلفوا في تعليل الفقر، وتعليل حاجة المخلوقات إلى خالقها.

✍ **فالمتكلمون قالوا**: علة الحاجة هو الحدوث، ما دام أن الله -عَزَّ وَجَل- خلقهم وهم محدثون، الله -عَزَّ وَجَل- هو الذي أحدثهم، ففقرهم إليه، وحاجتهم إليه لأجل كونهم محدَثُون، فالحدوث هو علة الحاجة.

✍ **أما الفلاسفة فقالوا**: فعلة الحاجة هو الإمكان، وبما أنه من الممكنات، فهم يحتاجون إلى الواجب. هكذا قالوا.

**أولًا**: الحدوث والإمكان متلازمان، ما دام هو مُحدَث فهو ممكن، لا يكون هناك مُحدَث وهو أزلي. هذا قولٌ انفرد به ابن سينا من بين الكفار والمسلمين، لم يُسبَق إلى هذا لا من مسلمٍ ولا من كافر أن شيئًا أزلي يكون مُحْدثًا، فهو أراد أن يجمع بين قول المسلمين، وبين قول الكفار، فذكر أن الحوادث هذه، وأن العا لم ممكنٌ مع ذلك هو أزلي، هذا قولٌ انفرد به ابن سينا.

فما يكون ممكنًا، وما يكون محدثًا لا يكون أزليًّا، ما يكون ممكنًا يكون مُحْدَثًا، وما يكون حادثًا يكون ممكنًا، فليس بينهما التضاد، بل بينهما تلازم، مع ذلك هذا الخلاف استمر، خلاف طويل وعريض بين المتكلمين والفلاسفة، هم يقولون: علة الحاجة الإمكان، والمتكلمون يقولون: علة الحاجة الحدوث.

عندما تفلسف الأشاعرة والمتكلمون عمومًا اقتربوا إلى الفلسفة أكثر، رجعوا إلى قول الفلاسفة، فالمتأخرون منهم يرجحون أن علة الافتقار هو الإنكار. تجدون في كلام الرازي وغيره من المتأخرين تجدون عندهم ترجيحًا لكلام الفلاسفة، وهذا في الحقيقة جهل مركب.

- **أولًا**: كما قلنا، وهذا ذكره شيخ الإسلام هناك تلازم بين الحدوث والإمكان.

- **ثانيًا**: اخترتم شيئًا ومشيتم عليه، وصارت تلك الردود والتعقبات والتعقيبات، في الأخير رجعتم إلى كلام الفلاسفة، ومع ذلك كلامكم باطل؛ لأن كما ذكرت مذهب أهل السنة أن فقر الممكن، وفقر المحدث، وفقر المخلوق هذا ذاتي، ولا يحتاج إلى تعليل.

وشيخ الإسلام له أشعار جميلة في هذا، من يذكرها منكم يذكرنا به.

**طالب:** .....

**الشيخ:** تفضل.

**طالب:** .....

**الشيخ:** نعم، والفقر.

**طالب:**

**وَالفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٌ أَبَدًا كَمَا الغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِ**

**الشيخ:** (**وَالفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٌ أَبَدًا**).

(**وَالفَقْرُ لِي**) الفقر للإنسان والمخلوق هذا وصف ذاتي، الأمور الذاتية لا تُعلل، الأمور العارضة تُعلل.

لا تقل لي: لماذا أنا مخلوق؟ أيش العلة؟ لأنك مخلوق، أيش العلة لهذا؟ لماذا أنا مخلوق؟ لماذا خُلِقت في هذا الوقت؟ لا يُعلل، لماذا خُلِقت في هذا التاريخ، وسأرحل في هذا التاريخ؟ ليس إليك، فهذه الأمور لا تُعلَّل.

ولما تعمق المتكلمون في مثل هذه الأمور تابوا؛ لأنهم أصلًا لما خاضوا كيف يكون الإحياء تعمقوا في هذا ودخلوا فيما لا يخصهم، لن تصل إلى الحقيقة التي تطمئن إليها في هذا الباب؛ لأن علم الإنسان عاجز ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٨٥]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٨٥]، فلما دخلوا في مثل هذه الأمور وأرادوا أن ينافسوا، وأن يناكفوا المعتزلة بالمنهج العقلي البحت وقعوا فيما وقعوا فيه.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[فاطر:١٥] لاحظوا ما ورد في هذه الآية، ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[فاطر:١٥] **وهذا الذي لخصه شيخ الإسلام**: أن الغنى وصفٌ لازمٌ له لله -عَزَّ وَجَل-، والفقر هو الوصف اللازم لي؛ أي للمخلوق، مع كونه غنيًّا، ومع كونه عزيزًا، ومع كونه قويًّا إلا أنه حميد، فأعماله وأفعاله كلها وفق حكمته، فهو حميد، في أفعاله، وفي أسمائه وصفاته.

(﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾[محمد:٣٨]، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[الأنعام:١٤]).

ثم ذكر هذا الحديث (**وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-:** «**يَا عِبَادِي**») بداية الحديث «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**» الحديث أورده الإمام النووي في [الأربعين] وهو حديث مسلم.

✍ **قال الإمام أحمد عن هذا الحديث**: {هذا أشرف حديثٍ حدَّث به أهل الشام} يقول الإمام أحمد.

في هذا الحديث: («**يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ**») اختاروا رجلًا يكون أتقى من الأنبياء والرسل وغيرهم، لو كنتم كلكم على مثله، «**عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ**»؛ أي مِثْله («**مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا**») لا أستفيد من تقواكم، ﴿لَنْ

﴿يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾[الحج:٣٧] فلا يستفيد من تقواكم، ولا يستفيد من...

((مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ)).

★ **ينقص شيئًا؟**

ما ينقص شيئًا، المخيط إذا أُدْخِلَ ما ينقص شيئًا، وهكذا سعة رزق الله -عَزَّ وَجَل-، وهكذا غناه، وهكذا شأنه، فمعاصينا لا تضره، وطاعاتنا لا تفيده.

**(المتن)**

أحسن الله إليكم.

قال -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: (قَوْلُهُ: (مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ، بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ)

قال الشارح -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: الْمَوْتُ صِفَةٌ وُجُودِيَّةٌ، خِلَافًا لِلْفَلَاسِفَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك:٢]، وَالْعَدَمُ لَا يُوصَفُ بِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا. وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَّهُ يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ عَرَضًا فَاللَّهُ تَعَالَى يَقْلِبُهُ عَيْنًا، كَمَا وَرَدَ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ: أَنَّهُ يَأْتِي صَاحِبَهُ فِي صُورَةِ الشَّابِّ الْحَسَنِ، وَالْعَمَلُ الْقَبِيحُ عَلَى أَقْبَحِ صُورَةٍ وَوَرَدَ فِي الْقُرْآنِ: أَنَّهُ يَأْتِي عَلَى صُورَةِ الشَّابِّ الشَّاحِبِ اللَّوْنِ، الْحَدِيثَ؛ أَيْ قِرَاءَةَ الْقَارِئِ، وَوَرَدَ فِي الْأَعْمَالِ: أَنَّهَا تُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ، وَالْأَعْيَانُ هِيَ الَّتِي تَقْبَلُ الْوَزْنَ دُونَ الْأَعْرَاضِ. وَوَرَدَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ: أَنَّهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، وَفِي الصَّحِيحِ: «أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ» وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ. إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

**(الشرح)**

يقول الإمام الطحاوي في هذه الجملة: (**مُمِيتٌ بِلَا مَخَافَةٍ**)؛ أي أن الله -عَزَّ وَجَل- يُميت الخلائق، ولا يلحقه بذلك خوفٌ ولا وحشة، أما الإنسان فأولًا ليس بيده أن يميت أحدًّا، ولكنه إذا تسبب للموت، فقد يكون هذا لخوفه منه.

★ **لماذا الواحد يقتل شخصًا؟**

لأنه يخاف منه، فيقتله.

أما الله -عَزَّ وَجَل- فبيده الإماتة والإحياء، ويُميت الخلائق ولا يلحقه بذلك خوفٌ، ولا يلحقه بذلك وحشة.

(**بَاعِثٌ بِلَا مَشَقَّةٍ**) يشير هنا إلى أن الإرادة أهون من الإنشاء، فكونه باعثًا، وإعادة الخلق، إعادة الخلائق، بعث الخلائق ليس فيه أي مشقة لله -عَزَّ وَجَل-، وهذا كما ذكر الله -عَزَّ وَجَل- أن الإعادة أهون من..، مع أن الله -عَزَّ وَجَل- وهو أهون عليه، مع أن الله -عَزَّ وَجَل- ليس هناك هين وأهون بالنسبة له، إنما هذا بالنسبة للإنسان، أما الله -عَزَّ وَجَل- ليس هناك هين وأهون بالنسبة له، كله بالنسبة له هين.

يقول ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله-: (**الْمَوْتُ صِفَةٌ وُجُودِيَّةٌ**) (**مميتٌ**)؛ أي يخلق الموت حتى يموت الإنسان، أو يموت الحي، يخلق فيه الموت فيموت.

(**الْمَوْتُ صِفَةٌ وُجُودِيَّةٌ، خِلَافًا لِلْفَلَاسِفَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ**).

وافقهم المتكلمون، ولكن موافقتهم هل هي بهذا النص أو لا؟ لا أذكر، ولكن المتكلمين لما قالوا: كيف يكون الإعدام؟ كيف يميت الله -عَزَّ وَجَل-؟ كيف يُعدِم؟ رجعوا في هذه المسألة إلى كيف يخلق؟ والمسألة لها ارتباط بما ذكرته فيما سبق، ولماذا يحتاج الإنسان إلى الله -عَزَّ وَجَل-؟ لماذا يحتاج؟ وكيف يحتاج؟

قالوا: بما أن الله -عَزَّ وَجَل- هو الذي خلقه، فهو مُحدَث، والمحدَث يحتاج إلى محدِث، بهذا أثبتنا أن الله -عَزَّ وَجَل- هو الذي خلق، بعدما أحدثه لماذا يحتاج إليه؟

وهنا اخترعوا النظرية، بهذه النظرية يثبتون حاجته إلى الخالق، وهي نظرية [العَرَض لا يبقى زمانين]، الله -عَزَّ وَجَل- خلقه وجعله حيًّا، وجعله متصفًا بالصفات التي تؤهله للحياة، وهم يسمونها الإعداد والإمداد، وهذا يستمر بالاستمرار في خلق الأعراض؛ لأن الأعراض لا تبقى زمانين؛ أي جميع ما تتصف به من الصفات من العلم، واللون، وغيرها هذه تُعدم وتنعدم في لا أقول: في كل ثانية، لا، ولا أقول أيضًا في كل أيش؟ الألف من الثانية يسموها أيش؟ فيمتو ثانية، هناك جزء من الألف ثانية، وهناك جزء من المليون ثانية، وهناك جزء من التريليون ثانية، وهذه الأمور يبحث فيها من؟ هؤلاء الذين الفيزيائيون مثلًا؛ لأن الخلايا هذه لما تتغير وتتبدل ليست القضية قضية ثانية، قد يكون جزء من المليون، أيضًا قد يكون أقل، بسرعةٍ لا تُتَخيل، فهذه الأعراض حتى العلم، وحتى اللون عندهم تتغير، ما دام تتغير، معنى تتغير تنعدم، ما دام تنعدم فهي بحاجة إلى من يخلقها، وبالتالي نحن بحاجة إلى الخالق؛ لأن الأعراض لا تبقى زمانين.

☜ **أولًا**: هذه النظرية بهذا الشكل نظرية لا تستند لا إلى نقلٍ، ولا إلى عقلٍ، [الأعراض لا تبقى زمانين]. نعم بالنسبة للخلائق الملايين منها تتغير، وحسب ما يعرفه الفيزيائيون الآن، أو المختصون في هذا الباب، ولكن القول بأن كل شيء ينعدم، ثم هذا قولٌ بلا...، حتى العلم كل ما تتصف به.

★ **لماذا اخترعوا هذه النظرية؟**

حتى يثبتوا أن الإنسان محتاج إلى الله -عَزَّ وَجَل- في شيء.

★ **لماذا وصلوا إلى هذا؟**

لأنهم أخطأوا في التعليل من أساسه، طرح النظرية لما يكون على أساسٍ خاطئ لن يوصل إلا إلى نتيجة خاطئة؛ ولذلك اختلفوا هم في هذه النظرية الأعراض لا تبقى زمانين. هذه النظرية هي من النظريات التي ادعى فيها الإجماع بعض أساطير المتكلمين ادعى فيها الإجماع، ولكن كثير من المتكلمين خالفوهم فيها، وممن تردد فيها الرازي، أحيانًا يجعلها أصلًا من أصول الإيمان، وأحيانًا يشكك فيها، وتوقف فيها كثيرون، مع ذلك كثيرٌ منهم ادعوا الإجماع، وأن بدون هذه النظرية لا يمكننا أن نثبت ماذا؟ لا يمكننا أن نثبت حاجتنا إلى الله -عَزَّ وَجَل-. شيء مضحك.

✍ **مجمل هذه النظرية**: هي كما رأينا تدور في فلك الفلاسفة، فالله -عَزَّ وَجَل- لما لا يخلق الأعراض يكون الموت عدم استمرار في خلق الأعراض؛ يعني ليس شيئًا وجوديًّا، إذن قولهم مثل قول الفلاسفة.

★ **ولكن هل يصرحون بأن الموت ليست صفة وجودية؟**

لا اذكر، ولكن حسب هذا الذي ذكرته واضح أن قولهم مثل قول الفلاسفة، أليس كذلك؟ لأن الموت عدم الاستمرار فيه خلق الأعراض.

إن شاء الله نستمر بعد الصلاة، نواصل بعد الصلاة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * * * * * * * * *

## ٤٠

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:-**

ذكرنا أن المتكلمين حينما يتحدثون عن الإعدام، الإعدام بعد الإيجاد يكون كلامهم مبنيًّا على نظرية [الأعراض لا تبقى زمانين]، وأن كلامهم كلام الفلاسفة، وهل يصرحون بذلك؟ ما أدري.

(**الْمَوْتُ صِفَةٌ وُجُودِيَّةٌ، خِلَافًا لِلْفَلَاسِفَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ**)؛ أي أن الله -عَزَّ وَجَل- لما يُميت أحدًا فإنه يخلق فيه شيئًا جديدًا. إذن ليست القضية هي عدم الاستمرار في حياته، وعدم الاستمرار في إمداده، وعدم الاستمرار في إعداده، وإنما هناك خلقٌ جديدٌ لشيء جديد وهو الموت، يخلقه في الحي حتى يموت.

(**يقول سبحانه**: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾[الملك:٢]).

مما يدل على أن الله -عَزَّ وَجَل- لما يميت يخلق شيئًا اسمه الموت يخلقه حتى يموت.

(﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك:٢]، **وَالْعَدَمُ لَا يُوصَفُ بِكَوْنِهِ مَخْلُوقًا**).

ما دام أن الله -عَزَّ وَجَل- يقول: خلق الموت، إذن هناك شيء موجود الذي يُخلَق، أما العدم لا يوصف بكونه مخلوقًا، **على نظرية المتكلمين** أن الله -عَزَّ وَجَل- لما يقطع ثم يكون إعدامًا ما خلق شيئًا، ولا يطلق عليه أنه خلق شيئًا، إنما الذي حصل هو قطعٌ لسلسلة خلق الأعراض.

وكما قلنا: هم يقولون: أن الموت عبارة عن قطع هذه السلسلة، وأن الله -عَزَّ وَجَل- لا يخلق الأعراض، ولا يجددها، وبالتالي يكون الموت عندهم.

(**وَفِي الْحَدِيثِ**: «أَنَّهُ يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ») والحديث متفقٌ عليه، وهذا الحديث الاستدلال الأول وهو من قوله: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ﴾[الملك:٢].

☜ وهذا الحديث أيضًا يدل على أن الموت له وجودٌ حقيقيٌّ، ما دام له وجودٌ حقيقيٌّ فهو مخلوق.

☜ ومما يدل على أن له وجود حقيقي هذا الحديث «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» كيف يؤتى به وهو عدم؟

(«يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»، **وَهُوَ وَإِنْ كَانَ عَرَضًا فَاللَّهُ تَعَالَى يَقْلِبُهُ عَيْنًا**).

هذا الكلام الذي (٤٩:٤) من المؤلف، وكذلك فيما سيأتي قوله: (**وَالْأَعْيَانُ هِيَ الَّتِي تَقْبَلُ الْوَزْنَ دُونَ الْأَعْرَاضِ**) هذا كله فيه ما فيه.

ما ذكره المؤلف هو حسب ما كان معروف عندهم، كثيرًا مما كان يقال أنه من الأعراض، ولا يمكن وزنه الآن يوزن ويُتحكم فيه، فالقضية هذه اختلفت جذريًّا، ما كان يقال: أنه من الأعراض سابقًا، لا يقال عليه أنه من الأعراض الآن، إلا أن يُطلق عليه من باب الاصطلاح، أما أنه عرضٌ لا يوزن. القضية هذه انتهت، وما ندري ما الذي سيكون في مستقبل الأيام، قد تكون من المعارف والعلوم المتجددة في مستقبل الأيام يكون فيها تجلية لهذا الموضوع أكثر.

وبالتالي (**وَهُوَ وَإِنْ كَانَ عَرَضًا**)؛ أي لا يوزن (**فَاللَّهُ تَعَالَى يَقْلِبُهُ عَيْنًا**) هذه القضية حسب المعارف التي كانت معروفة في ذلك الوقت، وعليها نسج المتكلمون كثيرًا من تأويلاتهم، من ذلك قولهم: أن ما قاله الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾[فاطر:١٠] قالوا: هذا مستحيل؛ لأن القول عَرَض، والكلم عَرَض، وهذا لا يصعد، وبالتالي هذا يؤوَّل؛ يعني هذا ما يحتاج أن نرد عليه بالكتاب والسنة، وإنما الواقع الآن، المعارف الآن ترد على هذه الخرافات والأساطير.

كثيرٌ مما ذكره المعتزلة الآن يعني كثيرٌ من تأويلاتهم، كثيرٌ من الأمور التي أسسوها وبنوها على أمور هذه انتهت الآن، مما يدل على أن النصوص النظر إليها يكون بمنظارٍ مختلفٍ تمامًا، تنظر إليها على أنها هي أصل المعارف، لا تَزِنُهَا بمعرفة أخرى أبدًا، ما دام أن الله -عَزَّ وَجَل- أثبت شيئًا وقال: أنه يَخلُق؛ إذن الموت شيءٌ وجودي، ما دام أنه ورد في الحديث: «**أَنَّهُ يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**» فلا بد أن نؤمن به، ولا ندخل في هذه المتاهات أصلًا.

الحقيقة أن المعارف الجديدة فيها عبرة للمتكلمين. أنا أكرر هذا، واستغرب من بعض الأشاعرة الذين لا زالوا يتحدثون في هذا المجال، ينبغي أن يتوبوا إلى الله -عَزَّ وَجَل- ويرجعوا عن هذا المنهج الأهوج، ويعلنوا توبتهم، أما أنك تتبجح، إلى الآن تتبجح فهذا غريب!

(**كَمَا وَرَدَ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ: أَنَّهُ يَأْتِي صَاحِبَهُ فِي صُورَةِ الشَّابِّ الْحَسَنِ، وَالْعَمَلُ الْقَبِيحُ عَلَى أَقْبَحِ صُورَةٍ**) هذا ذكره.

وكذلك وبعده (**وَوَرَدَ فِي الْقُرْآنِ: أَنَّهُ يَأْتِي عَلَى صُورَةِ الشَّابِّ الشَّاحِبِ اللَّوْنِ**)؛ أي المتغير اللون، الذي يتغير لونه لعَرَضٍ من الأعراض، لآفةٍ من الآفات، فهذا يطلق عليه الشاحب.

(**أَيْ قِرَاءَةَ الْقَارِئِ**) أي (**أنه**) الضمير يرجع إلى ماذا؟ إلى (**قِرَاءَةَ الْقَارِئِ**).

(**وَوَرَدَ فِي الْأَعْمَالِ: أَنَّهَا تُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ، وَالْأَعْيَانُ هِيَ الَّتِي تَقْبَلُ الْوَزْنَ دُونَ الْأَعْرَاضِ**).

هذا كما قلت: هذا الكلام لا يُقبَل على إطلاقه حتى ولو كان من أهل السنة.

(**وَالْأَعْيَانُ هِيَ الَّتِي تَقْبَلُ الْوَزْنَ دُونَ الْأَعْرَاضِ**).

لا، هذه نحن نراها تقبل الوزن، وتوزن، ويُتحكم فيها، وبالتالي هذا كما يقولون: الأصل صحيح أنها توزن، أما أنها كيف توزن، وهذا التفريع قد لا يُسلَّم.

قضية أن الأعيان هي التي توزن. هذا خطأ، بل التصنيف هذا، هذا عين، وهذا عرض، وهذا العرض له أحكام، هذا التصنيف لا بد أن يُعاد النظر فيه، إذا كان أن العرض هو كل ما يقوم بغيره يسمى عَرَضًا من باب الاصطلاح، ولكن لا تترتب عليه تلك الأحكام التي تُذكَر للأعراض، وأنها لا تُوزن، وأنها، وأنها. هذه قضية اصطلاحية بحتة.

أما أن تُصنَّف الأعيان والأعراض بشكل معين، ثم يكون هذا خاضعًا للأحكام التي كانت تُذكَر للأعراض. فهذه القضية لا بد أن يعاد النظر فيها.

**(وَالْأَعْيَانُ هِيَ الَّتِي تَقْبَلُ الْوَزْنَ دُونَ الْأَعْرَاضِ).**

كلامٌ فيه ما فيه.

**(وَوَرَدَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ: أَنَّهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ).**

**(فِرقان)**؛ أي طائفتان.

**(مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ).**

أي باسطاتٍ أجنحتها في الطيران هكذا صواف.

**(كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ)** بنفس المعنى **(أَوْ فِرْقَانِ)**؛ أي طائفتان **(مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ)**.

✍ **(غَيَايَتَانِ) قال أهل اللغة:** {الغمامة والغاية كل شيءٍ أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها}.

✍ يقول المحقق: قال العلماء: المراد أن ثوابهما الله يأتي كغمامتين، وقوله: **(أو فرقان)** أي طائفتان يقال في الواحد: فرقٌ، وقوله: **(صواف)**؛ أي باسطاتٍ أجنحتها في الطيران.

**(وَفِي الصَّحِيحِ:** «أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ»**)**.

وكما في الآية ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:١٠]. هذا كله ذكره لبيان أن الموتَ شيءٌ وجوديٌّ حقيقةً، وأن كثيرًا مما يُصنف في الأعراض كما يقول المؤلف يقلبها الله -عَزَّ وَجَل- أعيانًا حتى تكون مشاهدةً، وحتى تكون قابلةً للوزن. هكذا يقول المؤلف. كلامه صحيح.

**ولكن يقال أيضًا**: قد يقلبها، وقد لا يقلبها؛ إذا كان هذا لأجل الوزن فقط، قد يقلبها، وقد لا يقلبها، يقلبها واضحٌ في بعض النصوص.

**أما أن يقال**: أن الأعيان توزن، والأعراض لا توزن؛ ولذلك جميعها لأجل الوزن تُقلَب، فهذا فيه ما فيه.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**الطالب: كيف توزن الأعراض؟**

**الشيخ**: الصوت ألا يوزن؟ يوزن الآن؛ كم جيجا، وكم ميجا؟ هذا وزن للصوت، أليس كذلك؟ يُتحكم فيه، هذا قديمًا مستحيل.

وهكذا جميع الأعراض، النَّفَس، بل ما يكون في البلد من الأمور التي توزن، الحرارة كذا وكذا هذه كلها أعراض وتوزن، ولها موازينها، ولها أجهزتها لوزنها وبدقة.

الآن توزن أمور نحن كغير متخصصين مع أنها توزن الآن، والناس يوزنونها ونجدها، ونراهم يزنونها هي بالنسبة لنا يعني يجوز أن نكون معتزلة بالنظر إلى هذه الأمور موجودة الآن، لو وُجِد المعتزلة على فكرتهم ومنهجهم القديم كل يوم يغيرون ما ذهبوا إليه، والسبب أنهم وزنوا الكتاب والسنة بميزان الفلاسفة، الميزان أخذوه منهم، والكتاب والسنة لا يوزنون بميزان، هما الميزان، وهما أصل المعارف، ولا بد أن تؤمن بهما كما ورد فيهما.

* * * * * * * * * * * * * *

## ٤١

**(المتن)**

قَوْلُهُ: (مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا.

قال الشارح -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: أَيْ أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ: صِفَاتِ الذَّاتِ وَصِفَاتِ الْفِعْلِ. وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ وُصِفَ بِصِفَةٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَّصِفًا بِهَا، لِأَنَّ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ صِفَاتُ كَمَالٍ، وَفَقْدَهَا صِفَةُ نَقْصٍ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَصَلَ لَهُ الْكَمَالُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِضِدِّهِ، وَلَا يَرِدُ عَلَى هَذا صِفَاتُ الْفِعْلِ وَالصِّفَاتُ الِاخْتِيَارِيَّةُ وَنَحْوُهَا، كَالْخَلْقِ وَالتَّصْوِيرِ، وَالْإِمَاتَةِ وَالْإِحْيَاءِ، وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَالطَّيِّ، وَالِاسْتِوَاءِ وَالْإِتْيَانِ وَالْمَجِيءِ، وَالنُّزُولِ، وَالْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، وَإِنْ كُنَّا لَا نُدْرِكُ كُنْهَهُ وَحَقِيقَتَهُ الَّتِي هِيَ تَأْوِيلُهُ، وَلَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا، وَلَكِنْ أَصْلُ مَعْنَاهُ مَعْلُومٌ لَنَا، كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- لَمَّا سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[الأعراف:٥٤]: كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَقَالَ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ. وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ تَحْدُثُ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ، كَمَا فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ»؛ لِأَنَّ هَذَا الْحُدُوثَ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ، وَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ حَدَثَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ الْيَوْمَ وَكَانَ مُتَكَلِّمًا بِالْأَمْسِ لَا يُقَالُ: إِنَّهُ حَدَثَ لَهُ الْكَلَامُ، وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ لِآفَةٍ كَالصِّغَرِ وَالْخَرَسِ، ثُمَّ تَكَلَّمَ يُقَالُ: حَدَثَ لَهُ الْكَلَامُ، فَالسَّاكِتُ لِغَيْرِ آفَةٍ يُسَمَّى مُتَكَلِّمًا بِالْقُوَّةِ؛ بِمَعْنَى أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ إِذَا شَاءَ، وَفِي حَالِ تَكَلُّمِهِ يُسَمَّى مُتَكَلِّمًا بِالْفِعْلِ، وَكَذَلِكَ الْكَاتِبُ فِي حَالِ الْكِتَابَةِ هُوَ كَاتِبٌ بِالْفِعْلِ، وَلَا يَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهِ كَاتِبًا فِي حَالِ عَدَمِ مُبَاشَرَتِهِ لِلْكِتَابَةِ.

وَحُلُولُ الْحَوَادِثِ بِالرَّبِّ تَعَالَى، الْمَنْفِيُّ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، لَمْ يَرِدْ نَفْيُهُ وَلَا إِثْبَاتُهُ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، وَفِيهِ إِجْمَالٌ: فَإِنْ أُرِيدَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَحِلُّ فِي ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ الْمُحْدَثَةِ، أَوْ لَا يَحْدُثُ لَهُ وَصْفٌ مُتَجَدِّدٌ لَمْ يَكُنْ، فَهَذَا نَفْيٌ صَحِيحٌ، وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ نَفْيُ الصِّفَاتِ الِاخْتِيَارِيَّةِ، مِنْ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ إِذَا شَاءَ، وَلَا أَنَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى لَا كَأَحَدٍ

**مِنَ الْوَرَى، وَلَا يُوصَفُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ النُّزُولِ وَالِاسْتِوَاءِ وَالْإِتْيَانِ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، فَهَذَا نَفْيٌ بَاطِلٌ.**

**وَأَهْلُ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ يُطْلِقُونَ نَفْيَ حُلُولِ الْحَوَادِثِ، فَيُسَلِّمُ السُّنِّيُّ لِلْمُتَكَلِّمِ ذَلِكَ، عَلَى ظَنِّ أَنَّهُ نَفَى عَنْهُ سُبْحَانَهُ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، فَإِذَا سَلَّمَ لَهُ هَذَا النَّفْيَ أَلْزَمَهُ نَفْيَ الصِّفَاتِ الِاخْتِيَارِيَّةِ وَصِفَاتِ الْفِعْلِ، وَهُوَ لَازِمٌ لَهُ، وَإِنَّمَا أُتِيَ السُّنِّيُّ مِنْ تَسْلِيمِ هَذَا النَّفْيِ الْمُجْمَلِ، وَإِلَّا فَلَوِ اسْتَفْسَرَ وَاسْتَفْصَلَ لَمْ يَنْقَطِعْ مَعَهُ.**

## (الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:-**

يقول الإمام الطحاوي -رَحِمَهُ اللهُ-:

- (مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا).
- (لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِي).
- (لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ).
- (وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ).
- (ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[الشورى:١١]).

هذه الفقرات التي قرأتها، هذه كلها فقراتٌ مترابطة، وهي تتعلق بما سبق من كلام المؤلف الإمام الطحاوي من بيان كمال الله -عَزَّ وَجَلَ-، وأن اتصافه بالكمالات ليس مثل اتصاف المخلوقين بكمالاتٍ تليق به، وأن اتصاف الله -عَزَّ وَجَلَ- بالكمالات يليق به وبكماله وجلاله، وهناك فرقٌ بين الاتصاف والاتصاف.

ذكر لهذا أمثلة فيما سبق من كلامه، ولا زال يتحدث في نفس السياق.

يقول هنا: (**مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ**) صفات الله -عَزَّ وَجَل- لم تحدث بعد حدوث خلقه.

❄ **صفات الله -عَزَّ وَجَل- تنقسم إلى قسمين:**

❶ صفاتٌ لها تعلقٌ بالمخلوقات، وبالعالم.

❷ وصفاتٌ لا تعلق لها بالمخلوقات.

★ **فهناك خلاف: هل هذه الصفات اتصف بها الله -عَزَّ وَجَل- بعد وجود ما له تعلقٌ بها بعد وجود آثارها، مثلًا صفة الخلق. هذه الصفة تتعلق بمخلوق هل اتصف بصفة الخلق بعد وجود المخلوقات، أو هو متصفٌ بصفة الخلق قبل وجود المخلوقات، وكذلك السمع والبصر، هل اتصف بهذه الصفات بعد وجود المسموعات والمبصرات، أو هو متصفٌ بها قبل وجود متعلقاتها؟**

☜ هذه المسألة فيها خلاف، وأبرز الأقوال فيها قولان:

⇦ القول الأول هو قول أهل السنة. وهذا الذي يبينه الإمام الطحاوي أن الله -عَزَّ وَجَل- متصفٌ بصفاته قبل وجود متعلقاتها، لم يتصف بها بعد وجود متعلقاتها. هذا من حيث العموم، فصفاته هو متصفٌ بها أزلًا، كما أنه متصفٌ بها أبدًا.

❄ **كما تعرفون الصفات تنقسم إلى قسمين:**

- الصفات الأزلية.
- والصفات الفعلية.

⇦ **الصفات الأزلية أو الصفات الذاتية:** هي الصفات التي لا تنفك عنها الذات المقدسة، والله -عَزَّ وَجَل- متصفٌ بها أزلًا وأبدًا.

⇦ **أما الصفات الفعلية:** فهي الصفات التي تتعلق بمشيئته وقدرته، يفعلها ويتصف بها متى شاء، وكيفما شاء.

القسم الأول لا إشكال فيه عند الجميع، عند جميع الصفاتية، فهذا القسم الله -عَزَّ وَجَل- يتصف بها أزلًا وأبدًا، سواءً كان منها صفات أزلية أو ذاتية، الصفات الذاتية كصفة اليدين، وكذلك صفة الوجه، هذه الصفات هي صفات ذاتية، إلا أنها بالنظر إلى أدلة الصفات تسمى صفات خبرية، وإلا هي صفات أزلية، وهي صفات ذاتية. والتفريق هنا بالنظر إلى الأدلة.

❄ **أقسام الصفات:**

✍ الصفات تنقسم إلى أقسام باعتباراتٍ مختلفة:

➲ **منها بالنظر إلى الأدلة:**

- صفات خبرية.
- وعقلية.

➲ **ومنها بالنظر إلى تعلقها بذات الله -عَزَّ وَجَل-**. وهذا الذي استأنفت الكلام به.

الصفات الذاتية، والصفات الأزلية لا إشكال فيها من حيث العموم عند مَن يثبتها، إلا أن هناك خلافٌ في القدر الذي يثبته هذا الفريق، أو ذاك الفريق، فأوائل الكلابية يثبتون أيضًا الصفات الأبدية، المتأخرون لا يثبتون، ولكن القدر الذي يثبتونه يجعلونه أزليًّا.

كونها أزلية لا خلاف فيه بين الجميع، أهل السنة والكلابية والأشاعرة والماتريدية، صفة الكلام مثلًا صفة أزلية، هذا القدر لا خلاف فيه، ولكن بعض هذه الصفات لها جانبٌ آخر يتعلق بمشيئته وقدرته. وهنا الخلاف بين أهل السنة، وبين الصفاتية الآخرين، فصفة الكلام مثلًا، وصفة الإرادة مثلًا عندهم أزلية بحتة، وهي صفة واحدة، وجميع متعلقاتها بهذه الصفة الواحدة، الإرادة إرادة واحدة وهي أزلية بإرادةٍ واحدة كانت جميع المرادات ولكن المتعلقات متعلقات هذه الإرادة هي ليست في ذلك الوقت في نفس الوقت، إنما في وقتٍ متأخر.

★ **الله -عَزَّ وَجَل- أراد أن يخلق العالم، ولكن هل حصل هذا المراد في نفس الوقت؟**

لا، هناك وقتٌ لا يقدره إلا الله -عَزَّ وَجَل- لم يحصل فيه هذا المراد أو جميع المرادات عند الكلابية. وهذه المسألة هي التي سنبحثها في مسألة التسلسل، والشارح هنا تعرض لهذه المسألة.

**إذن الجزئية الأولى هي المهم** هنا كونها أزلية، هذا الباب لا يختلف فيه أحد، كلهم يقولون: أن الله -عَزَّ وَجَل- اتصف بها قبل وجود متعلقاتها. هذا لا خلاف فيه.

**القول الثاني هو قول المعتزلة، وكذلك قول الجهمية:** أن هذه الصفات اتصف بها الله -عَزَّ وَجَل- بعد وجود متعلقاتها، وهي غيره سبحانه، ما دام أنها غيره، فهي تدخل ضمن مخلوقاته، لما وُجِدَ المتعلَّق خَلَقَ هذه الصفة، وخلق متعلق هذه الصفة، فكلها متعلقات. هذا مذهب المعتزلة والجهمية، وعلى هذا الأساس يقولون: أن القرآن مخلوق، وأن صفة الكلام مخلوقة، ويسمونها صفة، إلا أنها مخلوقة، وبعضهم لا يسميها صفة، ولكنهم كلهم متفقون على أن هذه مخلوقة، ومتعلقاتها مخلوقة.

المؤلف هنا يقول -أنا قرأت الفقرات هذه كلها لأنها مترابطة-: **(مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا)** هذا التعبير تعبيرٌ دقيقٌ جدًّا، وهذا التعبير هو الذي أصر عليه الإمام أحمد في المناظرة، لا يقال: ما زال وصفاته. لا، لأن هذا يُشعر بالمغايرة.

**(مَا زَالَ)**؛ أي ما زال الله -عَزَّ وَجَل- بصفاته، إذن الصفات داخلةٌ في مسمى الله -عَزَّ وَجَل-، الصفات داخلة.

**(مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ)** إذن الصفات الله -عَزَّ وَجَل- متصفٌ بها قبل وجود المتعلقات، من المتعلقات في صفة الخلق المخلوقات، في صفة السمع المسموعات، في صفة الإرادة الإرادات.

**(لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ)**؛ أي لم يزدد بخلقهم، **الكون:** هو الخلق، أو لم يزدد بإيجادهم، أو لم يزدد بوجودهم.

**(شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ)** لم يزدد بوجودهم شيئًا لم يكن عليه قبل وجودهم.

**(لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ)**؛ أي بوجودهم وإحداثهم وخلقِهم لم يزدد شيئًا لم يكن عليه قبل وجوده.

★ **إذن بعد خلق المخلوق لم يكتسب صفةً جديدةً لم يكن عليها قبل الخلق، لماذا؟**

لأنه متصفٌ بهذه الصفة قبل الخلق.

★ **وهذا فيه الرد على من؟**

على المعتزلة والجهمية الذين يرون أن هذه الصفة وُجِدَت مع وجود المتعلقات.

وكذلك الأسماء عندهم مخلوقة؛ لأن الله -عَزَّ وَجَل- لم يكن له أي اسم، أوجد المخلوقات، المخلوقات سموه بأسماء رضي بعضها وأقرَّها، ولم يرضى بعضها، إذن هذه الأسماء مما أطلق عليه المخلوقات.

قبل أن يخلق المخلوقات لم يكن متسميًا باسم، ولا متصفًا بصفة، إذن أسماؤه ماذا تكون؟ مخلوقة؛ لذلك يقول هنا: (**لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ**)؛ أي بنشأتهم وبخلقهم وبإحداثهم وبإيجادهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته؛ أي لم يستحدث له صفةً بالخلق، وبالرزق، وبالإحسان، وبالإنعام، وبالإماتة، وبالإحياء، لم يستحدث صفةً بأي فعلٍ من أفعاله.

واضح تركيز الجملة؟

(**وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا**).

هذا المتن الذي ألَّفه الإمام الطحاوي لم يتعرض فيه لإثبات الصفات الاختيارية، فالكتاب كله ليس فيه إثباتٌ للصفات الاختيارية؛ ولذلك هذا من الأسباب التي ذكرناها في البداية.

❄ **من الأسباب التي جعلت هذا المتن يتنازعه أهل السنة وغيرهم.**

☜ **من الأسباب:**

أنه لم يذكر بعض القضايا المثلية التي يتميز بها أهل السنة، وبالقول بها، وبوضوح الموقف فيها لا يمكن للمتكلمين أن يدَّعوه، أو أن ينسبوه إلى أنفسهم لا يمكن، الصفات الاختيارية، من يثبت الصفات الاختيارية هنا ييأس المتكلم لا يقترب منه.

**مثلًا**: [السنة] للبربهاري، هل يمكن لأي متكلم أن يدَّعي أن البربهاري منهم؟ لا يمكن؛ لأنه إذا ادعاه هنا سيصدمه هنا، إذا ادعاه هنا سيقرأه هنا، ذكر من المسائل الواضحة التي لا يتبناها، لا يقول بها المتكلمون ذكر منها ما يجعله غير متنازعٍ فيه.

❁ **من المسائل المهمة التي لم ترد في هذا المتن: مسألة الصفات الاختيارية.**

ولذلك وعلى ضوء ما ذكرنا أن هذا المتن يتنازعه الماتريدية وكذلك أهل السنة، وعلى ضوء أيضًا ما في هذه الجملة من شيءٍ من الاحتمال، تجد المتكلمين هنا يستأسدون، ويتوسعون في شرح هذه الجمل.

**(وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا)، (مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ)** إذن الطحاوي -رَحِمَهُ اللهُ- ينفي الصفات الاختيارية، سياق الجملة ليس في هذا الـ..، سياق الجملة، وسباغ الجملة يختلف تمامًا، إلا أنه يهمه هذا الأمر؛ فلذلك يجره إلى..، وأن الطحاوي يريد هنا كيت وكيت، بينما الإمام الطحاوي هنا يريد أن يرد على مَن يزعم ويعتقد أن الله -عَزَّ وَجَل- يتصف بالصفات بعد وجود المتعلقات كما أوضحت.

★ **وعلى ضوء ما ذكر الإمام الطحاوي نحن نتساءل: هل يريد الإمام الطحاوي أن يقول: أن الصفات الاختيارية أيضًا أزلية؟ وهل هناك من يقول بهذا القول؟**

نعم، الماتريدية، الماتريدية يرون أن الصفات الاختيارية التي تتعلق بالمخلوقات من الخلق، والرَّزق، والتكوين وغيرها هذه صفات اختيارية، صفات فعلية، يرون أن كلها تندرج تحت صفة التكوين، ثم يجعلون هذه الصفة صفة التكوين أزلية.

والماتُريدية هم أحناف، وبالتالي هناك خيط قد يشير إلى موافقة الإمام الطحاوي للماتريدية في هذا الباب، ولكنه إذا شُرِح حسب السياق، فهذا ليس واردًا مع وجود الاحتمال، مع وجود هذا الاحتمال الذي ذكرته.

★ **وهذا الاحتمال عندي فيه شيءٍ من البعد، لماذا؟**

الماتريدي، أبو منصور الماتريدي نسبة إلى قرية ماتُرِيد قرية قريبة من مدينة نَسَف، ومدينة نَسَف قريبة من مدينة بُخَارى، وبخارى تقع الآن في أوزباكستان، أبو منصور الماتريدي توفي سنة ثلاثمئة وثلاثٍ وثلاثين —سهلة سنة وفاته- ثلاثمئة وثلاثة وثلاثين، والإمام الطحاوي توفي سنة ثلاثمئة وواحد وعشرين.

* * * * * * * * * * * * * *

(٠٠:٠٠) بالنسبة لصفة التكوين؛ لأن هذا الذي سيبين لنا أن هناك تأثر وتأثير، نحن نريد أن ننظر إلى الأسباب التي قد تُفسِّر لنا هذه العبارة، وَصِلتها بمذهب الماتريدية، لا يكفي أن تقول: هو حنفي، وأبو منصور الماتريدي حنفي، وبالتالي قد يكون قوله هو قوله، لا يكفي هذا، أبدًا لا يكفي، **لماذا؟**

لأن هذا في المغرب وهذا في المشرق، كيف هذا أخذ من هذا؟! لو كانت هذه القضية قد ورثوها من الإمام أبي حنيفة قلنا: نعم، القضية واضحة، ولكن هذا ما أدري من متى بدأوا يقولون بصفة التكوين.

**وصفة التكوين فيها أمران:**

- الأشاعرة يقولون بسبع صفات.
- والماتريدية يقولون بصفةٍ ثامنة، يزيدون عليهم بصفة، وهذه هي صفة التكوين.

**صفة التكوين** عبارة عن مجموعة من الصفات، الصفات الفعلية التي لها تعلق بالمخلوقات كلها يدرجونها تحت صفة التكوين، ويجعلون صفة التكوين أزلية.

أنت لما تنظر إلى المذهب الماتُريدي ينطبق عليه هذا، الجملة هذه ليست بعيدة عن هذا المذهب، ولكن هل الإمام الطحاوي يقول بهذا؟ لأن الجملة ليست نصًّا، إذا كان الشخص ممن يقول بهذا، ممكن أن تصدق عليه هذه الجملة، ولكن هي ليست نصًّا، هي وردت في سياق مختلف تمامًا، ولكن ثانويًّا نحن نقول: هذه الجملة تدل على ما ساق لها، وتدل أيضًا على هذه القضية؛ لأن هذه قضية ثانوية، هذه القضية التي نبحث عنها، هل الصفات الفعلية عنده أزلية أو لا؟ هذه قضية ثانوية.

**القضية الأم عنده** الرد على المعتزلة الذين يقولون: أن الله -عَزَّ وَجَل- يتصف بالصفات بعد وجود متعلقاتها، يتصف بصفة الخلق بعد وجود المخلوقات وهكذا. هذه هي القضية التي يركز عليها المؤلف، ولكن قد يُفهَم منه هذا الذي ذكرته، وهذا الذي يركز عليه أهل الأهواء، القضية الأم لا تهمهم هنا؛ لأنها قضية لا يختلف فيها أحد، ولكن القضية الثانوية هي التي تهمهم.

✍ سننظر إلى ما ذكره الإمام ابن أبي العز لأن بعض ما يتعلق بهذه الجملة سيأتي في شرحه للجملة القادمة.

وهي قوله: (**لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ، وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِي**) هناك سيعلق، مع أنها هي جملة واحدة، هذه وهذه كل الفقرات فيها مسألة واحدة.

هناك سيشير الشارح إلى شيءٍ مما سيأخذه على المؤلف، على الطحاوي مما يدل على أن الجملة التي استخدمها الإمام الطحاوي حمالة أوجه، منها ذلك الوجه الذي يذهب إليه الماتريدية؛ ولذلك نقرأ ما ذكره في الشرح، ثم نفصِّل فيما يدَّعيه الماتريدية، وإلى أي مدى ما ذكره الإمام الطحاوي يتوافق مع ما يدَّعونه.

يقول الإمام ابن أبي العز: (**أَيْ أَنَّ اللَّهَ –عَزَّ وَجَل– لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ: صِفَاتِ الذَّاتِ وَصِفَاتِ الْفِعْلِ**) طبعًا هناك تعليق على كلام المؤلف الطحاوي، وهذا الذي أشرت إليه، شرح ابن أبي العز فيه أيضًا بعض الجُمَل تحتاج إلى تعليق، منها هذا الكلام وما سيأتي فيما بعد؛ لأنه هنا في هذا الموضع ذكر ما لم يُسبَق إليه، الذي ذكره في هذا الموضع وقلَّده فيه كثيرون لم يُسبق إليه، لم يأتِ لا في كلام شيخ الإسلام، ولا في كلام ابن القيم، ولا في كلام غيرهم من أهل السنة.

مثلًا: (**لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِصِفَاتِ الْكَمَالِ: صِفَاتِ الذَّاتِ وَصِفَاتِ الْفِعْلِ**).

★ **إذن ما الفرق بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية؟ ما الفرق؟**

⇦ الصفات الفعلية بالنظر إلى أصل الفعل، نعم، الله –عَزَّ وَجَل– متصفٌ بصفة الخلق، وكذلك متصفٌ بصفة الفعل، وهذا مدلول كثير من الصفات أزلًا، ولكن هل نجعل الصفات الفعلية أزلية؟ على هذا أنت ألغيت القسمة، ألغيت التقسيم.

نحن قلنا: الصفات تنقسم بالنظر إلى تعلقها بالله –عَزَّ وَجَل– تنقسم إلى قسمين:

- القسم الأول الصفات الأزلية.
- والقسم الثاني الصفات الفعلية.

أنت بهذا ألغيت القسم الثاني، إلا إذا قيل: أن هذا بالنظر إلى أصل صفات الفعل. هذا سيتضح أكثر معنا.

**(وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ –عَزَّ وَجَل– وُصِفَ بِصِفَةٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَّصِفًا بِهَا؛ لِأَنَّ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ صِفَاتُ كَمَالٍ، وَفَقْدَهَا صِفَةُ نَقْصٍ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَصَلَ لَهُ الْكَمَالُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِضِدِّهِ).**

إلى هنا شرحٌ لكلامه، ثم مضى وهو يشرح، مضى قائلًا، يقول: **(وَلَا يَرِدُ عَلَى هَذا صِفَاتُ الْفِعْلِ وَالصِّفَاتُ الِاخْتِيَارِيَّةُ وَنَحْوُهَا، كَالْخَلْقِ وَالتَّصْوِيرِ، وَالْإِمَاتَةِ وَالْإِحْيَاءِ، وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَالطَّيِّ، وَالِاسْتِوَاءِ وَالْإِتْيَانِ وَالْمَجِيءِ، وَالنُّزُولِ، وَالْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَنَحْوِ ذَلِكَ)** هذه كلها صفات اختيارية.

☜ **وهي في مجموعها تنقسم إلى قسمين:**

- صفات اختيارية لها تعلق بالمخلوقات.
- وصفات اختيارية لا تعلق لها بالمخلوقات.

مثلًا:

- **(كَالْخَلْقِ وَالتَّصْوِيرِ، وَالْإِمَاتَةِ وَالْإِحْيَاءِ، وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَالطَّيِّ)** هذه كلها تتعلق بالمخلوقات.
- **(وَالِاسْتِوَاءِ)** ليس لها تعلق بالمخلوقات.
- **(وَالْإِتْيَانِ وَالْمَجِيءِ، وَالنُّزُولِ)** هذا قسم.
- **(وَالْغَضَبِ وَالرِّضَا)** هذه كلها من القسم الأول.

**إذن الصفات الفعلية تنقسم إلى قسمين:**

- قسمٌ له تعلق بالمخلوقات.
- وقسم ليس له تعلق بالمخلوقات، إنما هذه الصفة يتصف بها الله –عَزَّ وَجَل–.

وكلها تجتمع على كونها يفعلها الله –عَزَّ وَجَل– متى ما شاء، وكيف شاء، وهي ليست أزلية، هذا قسيم للقسم الثاني، وبالتالي كلام الإمام ابن أبي العز هنا يحتاج إلى وقفة.

يقول: (**وَنَحْوِ ذَلِكَ ممَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ**) يقول: هذا كله لا يَرِد على ما ذكره المؤلف، إذن كلها أزلية.

✍ **من الفروق بين مذهب الماتريدية وبين ما ورد هنا:** أن صفة الاستواء لا يثبتها الماتريدية أصلًا.

★ **هم ماذا يثبتون من صفات الفعل؟**

الصفات التي هي تتعلق بالتدبير الربوبية، أما بقية الصفات لا يثبتونها أصلًا، فما ذكره ابن أبي العز هنا هذا لم يُسبَق إليه.

✍ بعض طلاب العلم يتبنى رأي ابن أبي العز ويرى أن الصفات الفعلية هي أزليةٌ بالنظر إلى نوعها، بل بعضهم يقولون: هي أيضًا أزلية، ولا يستثني. وهذا قريب بالنظر إلى أصل التقسيم، أيضًا غريب بالنظر إلى تعلق هذه الصفات بذات الله -عَزَّ وَجَل-.

✍ إذا قلنا: أن الصفات الفعلية كلها ترجع إلى فعل الله -عَزَّ وَجَل-، وإلى خلقه، وفعله أزلي، من هذه الناحية نعم، أما أن تجعل جميع الصفات، الصفات الفعلية تجعلها أزلية. هذا لا يجوز، بل هذا كما قلت: إلغاءٌ للتقسيم من أساس.

✍ **طيب، تصريح وتنصيص ابن أبي العز هنا، أنا في رأيي القاصر:** ابن أبي العز لم يُسبَق إلى ما ذكره هنا.

وأنا قلت لكثير من الإخوة: إذا وجدتم شيئًا صريحًا في هذه الموضوع عن شيخ الإسلام، أو عن ابن القيم، فهذا شيء، وإلا فما ذكره ابن أبي العز خطأ بالنظر إلى أصل المسألة، وهذا الخطأ واضح، وهذا الموضع من المواضع التي لوحظت على ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله-، وعذره في ذلك أنه يشرح ما ذكره الإمام الطحاوي، وقد يكون لم يلاحظ ما قد يكون في كلامه أيضًا، في كلام الإمام الطحاوي، والله أعلم ما هو السبب إلا أن كونه خطأ. هذا لا أشك فيه.

ولذلك أقول، وأيضًا كُتِب في هذا الموضوع كُتِبَت فيها كتابات، **ولكني أقول:** إذا لم نجد نصًّا واضحًا من الأئمة الذين موقفهم واضح في هذه المسائل نَبْقَى على الأصل وهو أن الصفات تنقسم

إلى قسمين: صفات أزلية، وصفات فعلية، ونبقى على الأدلة الواضحة التي تُبرِز هذا بالنظر إلى تعلقها بذات الله -عَزَّ وَجَل-، وما ذكره ابن أبي العز نرى أن هذا والله أعلم خطأ، وابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- ليس معصومًا.

يقول: (**وَإِنْ كُنَّا**) من هنا إلى قوله: (**وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ**) إلى هنا يبرر إثباته للصفات الفعلية، هو يثبت الصفات الفعلية، ولكنه جعلها أزليةً مثل بقية الصفات، ولكنه هنا في هذه الفقرة (**وَإِنْ كُنَّا لَا نُدْرِكُ**) من هنا إلى هناك، كلامه يتعلق بتبرير إثباته للصفات الفعلية، وليس له تعلقٌ بكونها أزلية أو غير أزلية.

(**وَإِنْ كُنَّا لَا نُدْرِكُ كُنْهَهُ وَحَقِيقَتَهُ الَّتِي هِيَ تَأْوِيلُهُ**) وهي حقيقته، نحن قلنا: أن هناك معاني وهناك حقائق المعاني، **الحقائق** هي التأويل، أما **المعاني** فنحن ندركها، الاستواء المعنى ندركه، حقيقة الاستواء، كيفية الاستواء هذه لا ندركها. هذا الذي يريد أن يقوله.

(**وَلَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا**) هذا نص كلام الطحاوي الذي سيأتي، هذه الفقرة (**وَلَا نَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُتَأَوِّلِينَ بِآرَائِنَا، وَلَا مُتَوَهِّمِينَ بِأَهْوَائِنَا**) هذه الجملة نص كلام الطحاوي، سيأتي.

(**وَلَكِنْ أَصْلُ مَعْنَاهُ مَعْلُومٌ لَنَا**) مثلًا (**كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ -رَحِمَهُ الله- لَمَّا سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾[الأعراف:٥٤]: **كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَقَالَ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ**).

★ **ما هو المعلوم هنا؟**

**طالب**: المعنى.

**الشيخ**: إي، بعض المبتدعة قالوا: وروده في القرآن معلوم، طيب، هو السائل ذكّره بالآية، وسأله عن هذه الآية، السائل لا يجهل ورود هذا في القرآن كيف تُؤوِّل هذا؟!

(**الِاسْتِوَاءُ**)؛ أي معناه (**مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِب، وَالسُّؤَال عَنْهُ بِدْعَة**).

ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- في هذه الجملة يبيِّن أن الصفات الاختيارية ثابتة، وأن كيفياتها مجهولة. وهذا الذي ذكره ليس فيه شيء، أما ما سبق، وكما ذكرت لا يُسَلِّم له -رَحِمَهُ الله-.

(**وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ تَحْدُثُ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ**) ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- هنا يدفع إشكالًا يَرِد في الصفات الاختيارية: كيف تثبت هذه الصفات وهي تحدث في وقتٍ دون وقت، أو هي تحدث في أحوالٍ في أزمنةٍ متلاحقة، وليست أزلية؛ لأن الأزلي من معاني كونه أزليًّا أنه ليس مسبوقًا بشيء، لا يسبقه شيء، فليس هناك تتابع، وليس هناك تلاحق، هو أزلي، والصفات الاختيارية تحدث شيئًا بعد شيء.

هذا الذي ذكره هذا لا يجتمع مع ما ذكره فيما سبق مِن جعلها أزلية، مما يدل على أن ما ذكره هناك هو استرسال مع الإمام الطحاوي، مع ذلك خطأ، أما ما ذكره هنا، وما سيذكره من هنا كله على مذهب أهل السنة.

لاحظ هنا كيف يقول! (**وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ تَحْدُثُ فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ**) أما الأزلي كما قال الإمام الطحاوي هنا: (**وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا**) هذه الصفات لا تنفك عنها الذات المقدسة، أما هذه الصفات وهي تكون في وقتٍ دون وقت؛ لأنها تتعلق بمشيئته وقدرته.

يقول: حتى هذا لا يُشكِل، ولا يحول دون إثباتها، يقول: (**كَمَا فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ**: «**إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ**») **هذا هو الشاهد**: («**قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ**») **الشاهد هنا** أن هذا الغضب مقيدٌ بوقتٍ محدد، وكما في الحديث: («**لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ**») يعني ليس فيه نفي صفة الغضب، ولكن النفي هنا لهذه الكيفية. هذا الغضب وبهذه الصفة لم يحصل سابقًا، ولن يحصل لاحقًا.

والأدلة على هذا كثيرة جدًّا. هذا دليل من الأدلة التي تدل على إثبات الصفات الاختيارية، وهي كثيرةٌ جدًّا في القرآن وفي السنة.

★ **لماذا نثبت هذه الصفات حتى ولو كان فيها هذا؟ لماذا؟**

(**لِأَنَّ هَذَا الْحُدُوثَ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ**).

يشير الإمام ابن أبي العز إلى شبهة المتكلمين، المتكلمون يرون أن الصفات الاختيارية لا نثبتها، **لماذا؟**

لأن فيها إثبات حلول الحوادث بذات الله -عَزَّ وَجَل-. وهذه الشبهة في الحقيقة في الأصل هي للجهمية والمعتزلة هذه الشبهة.

❄ **الشبه التي بسببها وقع الجهمية والمعتزلة في التعطيل عديدة، ولكن أشهرها شبهتان:**

❶ شبهة الأعراض.

❷ وشبهة حلول الحوادث.

**بسبب شبهة الأعراض**: ينفون الصفات الأزلية، مثلًا: صفة الحياة، هذه الصفة لا نثبتها لله -عَزَّ وَجَل-، وصفة السمع والبصر لا نثبتها لله -عَزَّ وَجَل-، **لماذا؟** لأن هذه في الحقيقة أعراض، والأعراض هي مثل الأمراض تَعْرِض وتزول، حتى ولو لم تكن أعراض فيها تجدد، وهذا التجدد وجوده في الذات الإلهية حلولٌ للحوادث بذاته.

إذن كثيرٌ من الصفات تُنفَى لأنها أعراض، وكثيرٌ من الصفات (الصفات الاختيارية) تُنفى لأنها..، الصفات الأزلية نفوها بسبب الأعراض، والصفات الاختيارية نفوها بسبب حلول الحوادث.

✍ من أثبت الصفات الذاتية كالصفاتية عمومًا، الكلابية، الأشاعرة، والماتريدية قالوا: نحن نثبت هذه الصفات ولا نسميها أعراض، السمع والبصر لا نسميها أعراض، **لماذا؟**

لأن العرض يعرض ويزول، وهذه الصفات الله -عَزَّ وَجَل- متصفٌ بها أزلًا وأبدًا، ليس هناك وقتٌ لا يكون متصفًا بها، إذن من الخطأ أن يُطلق عليها أنها أعراض؛ لأن العرض يعرض ويزول.

✍ **المعتزلة يقولون**: سواءً سميتموها صفات، أو غير الصفات فهذه أمورٌ زائدةٌ على الذات، واتصاف الله -عَزَّ وَجَل- بها إما أن يكون على أنها قديمة، وهذا يستلزم تعدد القدماء، والقديم واحد، التوحيد عندهم إثبات قديم واحد، وإما أن تكون حادثًا، وبهذا يستلزم حلول الحوادث.

**بالنسبة للشبهة الأولى** تجاوزها الصفاتية عمومًا بحجة أننا لا نسميها أعراض، وقد أحسنوا في ذلك على ما فيهم من الـ..، إلا أنهم تجاوزوها.

وأنت لما..، هذا سيشير إليه المؤلف: أنت لما تتفق المبتدع في أصل البدعة هذا سيورطهم، إذن هنا غيروا الاسم فاستطاعوا أن ينفصلوا عن الشبهة، ومع ذلك هم لا يُسلِّمون، المعتزلة يقولون: أنتم مشبهة، لا نسلِّم لكم، وهذه قضية ألفاظ لا يقدِّم ولا يُؤخّر.

**الكلابية قالوا**: أما يتعلق بحلول الحوادث فنحن معكم، الشبهة الأولى تجاوزوها، أما الشبهة الثانية نحن معكم، نعم، الصفات الاختيارية فعلًا هي تستلزم حلول الحوادث بذاته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، وبذلك لا نثبتها.

**وكذلك قضية الأبعاض**: جمهور المتكلمين يوافقونهم، نعم، هذه تستلزم إثبات الأبعاض لله -عَزَّ وَجَل-، وبالتالي الصفات الخبرية لا نثبتها.

الأعراض والأبعاض وحلول الحوادث، ونحن الآن مع القضية الأخيرة وهي حلول الحوادث، وهذه القضية كما قلت: يتفق عليها جميع المتكلمين.

نحن نقول: نتمنى، وهذا التمني ليس له أي فائدة: لو ذكر الإمام الطحاوي جملة واحدة تتعلق بالصفات الاختيارية كانت هذه الأمور كلها تُنسَف، ولكن لم يَرِد في مَتْنِه شيءٌ مما يتعلق بالصفات الاختيارية، ووردت هناك جمل يُفهَم منها ما يذهب إليه المتكلمون، وبهذا تعمَّق الإشكال.

الشارح هنا مع المتكلمين الآن في قضية حلول الحوادث، وما يذكره كله على منهج أهل السنة مما يدل على أن الشارح في كلامه ما يحتاج إلى توفيق، كيف ترى أنها كلها أزلية؟ ثم ترى أنها تَحدث في وقتٍ دون وقت؟ يعني هو من هنا وإن كانت هذه الأحوال من هنا إلى قوله: (**لَمْ يَنْقَطِع مَعَهُ**) إلى هنا يقرر هذه المسألة يقرر بوضوح إثبات الصفات الاختيارية، والرد على المتكلمين يقررها بوضوح تام، ليس فيها أي شبهة.

يقول: (**لِأَنَّ هَذَا الْحُدُوثَ**)؛ أي هذا التجدد (**بِهَذَا الِاعْتِبَارِ غَيْرُ مُمْتَنَعٍ**).

**★ أي حدوث هنا؟**

فعل الله -عَزَّ وَجَل- لفعلٍ معين في وقتٍ دون وقت، إذا كان في وقتٍ دون وقت لا يكون أزليًّا، أليس كذلك؟ هذا هو الذي تتمحور عليه المسألة، إذن ليس أزليًّا.

**(وَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ حَدَثَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ).**

**ثم ضرب مثالًا، وهذا المثال مثال رائع:**

يقول: **(أَلَا تَرَى أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ الْيَوْمَ وَكَانَ مُتَكَلِّمًا بِالْأَمْسِ لَا يُقَالُ)** تكلم بالأمس ثم سكت، طبعًا قضية السكوت هذه إن شاء الله نتعرض لها في صفة الكلام، ولكن أنا أضرب مثال هنا: **شخص تكلم أمس ثم سكت، وتكلم اليوم، هل يقال عنه: أنه حدث له الكلام؛ لأنه سكت من أمس إلى هذا الوقت إذن حدث له الكلام، هل يقال هذا؟**

**طالب:** لا.

**الشيخ:** لا يقال **(لَا يُقَالُ: إِنَّهُ حَدَثَ لَهُ الْكَلَامُ، وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ لَا يُقَالُ: إِنَّهُ حَدَثَ لَهُ الْكَلَامُ)** هنا تكتمل الجملة.

★ **متى يقال: أنه حدث له الكلام؟**

**(وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ لِآفَةٍ كَالصِّغَرِ وَالْخَرَسِ، ثُمَّ تَكَلَّمَ يُقَالُ له: حَدَثَ لَهُ الْكَلَامُ)** إذن فرق بين الحالين.

★ **والله –عَزَّ وَجَل– لما غضِب اليوم ما كان يستطيع أن يغضب قبله؟ هل حدث هناك شيء في ذاته بسبب ما حدث في ذاته استطاع أن يغضب، استطاع أن يستوي، استطاع أن يرزق؟**

أبدًا.

لذلك نقول: الذي يقول: الصفات الفعلية كلها أزلية. هذا لا يستقيم، إلا أن يقال: أزلية بالنظر إلى أصل الفعل. وهذا بعيد، حتى على هذا يكون خلط بين القسمين؛ ولذلك لماذا تقول شيئًا يوهم؟ بالنظر إلى أصل الفعل، نعم الله –عَزَّ وَجَل– متصفٌ بصفة الخلق، ومتصفٌ بالفعل أزلًا.

نكمل إن شاء بعد الصلاة، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * * * * * * * * *

(المتن)

وَكَذَلِكَ مَسْأَلَةُ الصِّفَةِ: هَلْ هِيَ زَائِدَةٌ عَلَى الذَّاتِ أَمْ لَا؟ لَفْظُهَا

مُجْمَلٌ، وَكَذَلِكَ لَفْظُ الْغَيْرِ، فِيهِ إِجْمَالٌ، فَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا لَيْسَ هُوَ إِيَّاهُ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا جَازَ مُفَارَقَتُهُ لَهُ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ –رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى– لَا يُطْلِقُونَ عَلَى صِفَاتِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ أَنَّهُ غَيْرُهُ، وَلَا أَنَّهُ لَيْسَ غَيْرَهُ؛ لِأَنَّ إِطْلَاقَ الْإِثْبَاتِ قَدْ يُشْعِرُ أَنَّ ذَلِكَ مُبَايِنٌ لَهُ، وَإِطْلَاقَ النَّفْيِ قَدْ يُشْعِرُ بِأَنَّهُ هُوَ هُوَ، إِذَا كَانَ لَفْظُ الْغَيْرِ فِيهِ إِجْمَالٌ، فَلَا يُطْلَقُ إِلَّا مَعَ الْبَيَانِ وَالتَّفْصِيلِ؛ فَإِنْ أُرِيدَ بِهِ أَنَّ هُنَاكَ ذَاتًا مُجَرَّدَةً قَائِمَةً بِنَفْسِهَا مُنْفَصِلَةً عَنِ الصِّفَاتِ الزَّائِدَةِ عَلَيْهَا فَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ أَنَّ الصِّفَاتِ زَائِدَةٌ عَلَى الذَّاتِ الَّتِي يُفْهَمُ مِنْ مَعْنَاهَا غَيْرُ مَا يُفْهَمُ مِنْ مَعْنَى الصِّفَةِ فَهَذَا حَقٌّ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْخَارِجِ ذَاتٌ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الصِّفَاتِ، بَلِ الذَّاتُ الْمَوْصُوفَةُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الثَّابِتَةِ لَهَا لَا تَنْفَصِلُ عَنْهَا، وَإِنَّمَا يَفْرِضُ الذِّهْنُ ذَاتًا وَصِفَةً، كُلًّا وَحْدَهُ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْخَارِجِ ذَاتٌ غَيْرُ مَوْصُوفَةٍ، فَإِنَّ هَذَا مُحَالٌ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا صِفَةَ الْوُجُودِ، فَإِنَّهَا لَا تَنْفَكُّ عَنِ الْمَوْجُودِ، وَإِنْ كَانَ الذِّهْنُ يَفْرِضُ ذَاتًا وَوُجُودًا، يَتَصَوَّرُ هَذَا وَحْدَهُ وَهَذَا وَحْدَهُ، لَكِنْ لَا يَنْفَكُّ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ فِي الْخَارِجِ.

وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ: الصِّفَةُ لَا عَيْنُ الْمَوْصُوفِ وَلَا غَيْرُهُ، فَهَذَا لَهُ مَعْنًى صَحِيحٌ، وَهُوَ: أَنَّ الصِّفَةَ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتِ الْمَوْصُوفِ الَّتِي يَفْرِضُهَا الذِّهْنُ مُجَرَّدَةً بَلْ هِيَ غَيْرُهَا، وَلَيْسَتْ غَيْرَ الْمَوْصُوفِ، بَلِ الْمَوْصُوفُ بِصِفَاتِهِ شَيْءٌ وَاحِدٌ غَيْرُ مُتَعَدِّدٍ.

وَالتَّحْقِيقُ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ: الصِّفَاتُ غَيْرُ الذَّاتِ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ: صِفَاتُ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ، فَإِنَّ الثَّانِيَ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ مُسَمَّى اللَّهِ يَدْخُلُ فِيهِ صِفَاتُهُ بِخِلَافِ مُسَمَّى الذَّاتِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِيهِ الصِّفَاتُ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الصِّفَاتِ زَائِدَةٌ عَلَى مَا أَثْبَتَهُ الْمُثْبِتُونَ مِنَ الذَّاتِ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الذَّاتُ الْمَوْصُوفَةُ بِصِفَاتِهِ اللَّازِمَةِ.

وَلِهَذَا قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: (لَا زَالَ بِصِفَاتِهِ)، وَلَمْ يَقُلْ: لَا زَالَ وَصِفَاتُهُ؛ لِأَنَّ الْعَطْفَ يُؤْذِنُ بِالْمُغَايَرَةِ، وَكَذَلِكَ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– فِي مُنَاظَرَتِهِ الْجَهْمِيَّةَ: (لَا نَقُولُ:

اللَّهُ وَعِلْمُهُ، اللَّهُ وَقُدْرَتُهُ، اللَّهُ وَنُورُهُ، وَلَكِنْ نَقُولُ: اللَّهُ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَنُورِهِ هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فَإِذَا قُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ فَقَدْ عُذْتُ بِالذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ الْمَوْصُوفَةِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمُقَدَّسِ الثَّابِتَةِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ الِانْفِصَالَ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَإِذَا قُلْتُ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، فَقَدْ عُذْتُ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ تعُذْ بِغَيْرِ اللَّهِ). وَهَذَا الْمَعْنَى يُفْهَمُ مِنْ لَفْظِ الذَّاتِ، فَإِنَّ ذَاتَ فِي أَصْلِ مَعْنَاهَا لَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا مُضَافَةً؛ أَيْ: ذَاتُ وُجُودٍ، ذَاتُ قُدْرَةٍ، ذَاتُ عِزٍّ، ذَاتُ عِلْمٍ، ذَاتُ كَرَمٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ، فَذَاتُ كَذَا بِمَعْنَى صَاحِبَةِ كَذَا: تَأْنِيثُ ذُو. هَذَا أَصْلُ مَعْنَى الْكَلِمَةِ.

فَعُلِمَ أَنَّ الذَّاتَ لَا يُتَصَوَّرُ انْفِصَالُ الصِّفَاتِ عَنْهَا بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، وَإِنْ كَانَ الذِّهْنُ قَدْ يَفْرِضُ ذَاتًا مُجَرَّدَةً عَنِ الصِّفَاتِ، كَمَا يَفْرِضُ الْمُحَالَ، وَقَدْ قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»، وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»، وَلَا يَعُوذُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَيْرِ اللَّهِ-.

وَكَذَا قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»، وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا»، وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ».

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:-**

ذكر المؤلف فيما سبق مسألةً هي تحتاج إلى تفصيل، ذِكرُهَا هكذا مجملًا قد يكون فيه التزامٌ بباطل، أو ردٌّ لحق.

**بهذه المناسبة ذكر مسألتين أخريين أيضًا:**

- مسألة الصفات.
- ومسألة الاسم والمسمى.

هاتان المسألتان من المسائل التي تسببت الألفاظ المجملة فيها تسببت لإجمالٍ، وكان سببًا لرد كثير من الحق، والتزام كثيرٍ من الباطل، وكان سببًا أيضًا لخلافٍ عريض، ولا زال هذا الاختلاف موجود.

★ **ما هو السبب في هذا الاختلاف؟**

إدارة الخلاف على ألفاظٍ مجملةٍ لا بد فيها من التفصيل، وهذا التوضيح الذي ذكره المؤلف يأتي ضمن منهج أهل السنة في موقفهم من الألفاظ المجملة.

**الألفاظ المجملة كما ذكرنا مرارًا** هي علم الكلام، والمتكلمون يستخدمونها عمدًا، ويستخدمونها لأنها بضاعتهم، ويستخدمونها لأنهم يتسترون بها من النصوص، ويستخدمونها أيضًا لأنها لظاهرها بريق، ولظاهرها مظهر، وقد يخفى على الكثيرين ما هو المقصود من هذا العلم؟

✍ في ظاهره تنزيهٌ لله -عَزَّ وَجَل-، وإبرازٌ لكمالاته، ولكنه في باطنه فيه ردٌّ لكثيرٍ من الحق، والتزام لكثير من الباطل.

★ **وإذا تساءلنا وقلنا: لماذا هذا اللفظ هنا؟**

عبر ما تريد بلفظٍ آخر ليس عنده خيارات، حتى ولو ترك هذا اللفظ، فيستعيضه بلفظٍ آخر مجمل مثله؛ لأنه إذا اعتصم بالألفاظ المجملة انتهت المسألة من جذورها، واقتُلِعت البدعة من جذورها، لأن الألفاظ الشرعية هي لا تحتمل إلا حقًّا، أو حتى لو حُمِّلت الباطل، الأصل الشرعي هو الغالب عليها، وبالتالي فيها العصمة من البدعة؛ ولذلك ليس هي الخيار بالنسبة للمتكلمين، لا بد من ألفاظٍ مجملةٍ تكون هي وقودهم في تسويق الباطل.

✍ بعض الناس يظن أن لهم قصدٌ جميلٌ في اختيار هذه الألفاظ، لا، قصدهم سيئ، ونتيجتهم هذه نتيجة هذه الألفاظ سيئة، وهي البعد عن الألفاظ الشرعية.

الذين يتورطون معهم هنا يُسأل عن قصدهم، لماذا أنت توافقهم؟ قد يكون قصده جميل، ولم يكن قد تعمق فيما يريده هذا المتكلم، أما الذي اخترع هذه الألفاظ قصده سيئ، ومذهبه سيئ، ونتائج هذا الذي يلعب به بالألفاظ نتائجها سيئة.

**(مَسْأَلَةُ الصِّفَةِ: هَلْ هِيَ زَائِدَةٌ عَلَى الذَّاتِ؟)**

هي مسألة في بدايتها غريبة، الذي يكون خالي الذهن عن هذه التراهات لا يفكِّر في هذه المسألة أصلًا، (**هل الصفة زائدة على الذات؟**) لأن معروف أن الذوات تحمل صفات، وبقدر كثرة هذه الصفات وقوتها يكون كمال هذا المخلوق، لا أحد يفكر في علاقة هذه الصفات بهذا الذات، لا، هذه الصفات لهذه الذات، هذه الصفات لهذا الشخص، لهذا المخلوق، وكذلك هذه الصفات للخالق، علاقتها واضحة، الصفات تكون بالموصوفات، وليس هناك غموض.

★ **من أين جاء هذا السؤال؟ هل الصفة زائدة على الذات؟ أصلًا هذا السؤال من أين جاء؟**

هذا جاء من مسألة التركيب، أو مسألة التركيب متفرعة عن هذه المسألة، (**هل الصفة زائدة على الذات؟**)

يقول المؤلف هنا: (**وكذا**)؛ أي كما فصلنا هناك كذلك سنفصل هنا مسألة الصفة هل هي زائدة على الذات أم لا؟

(**لَفْظُهَا مُجْمَلٌ، وَكَذَلِكَ لَفْظُ الْغَيْرِ فِيهِ إِجْمَالٌ**).

★ **هل الصفة غير الموصوف؟**

إذا سئل أحدنا هكذا وفوجئ بهذا السؤال: هل الصفة غير الموصوف؟ في البداية سيستغرب أيش المقصود من هذا السؤال؟ لأن الصفة حسب التفصيل الذي يذكره الشارح هنا.

⇦ الصفة إذا أخذتها لفظ تحتاج إلى شرح نعم، نحن نُعرِّف الصفة، ونعرِّف الذات. هذا يختلف.

⇦ أما الصفة تعلقها بالموصوف ما يحتاج إلى غير الذات.

★ **الصفة هل هي زائدة على الذات؟ أو الصفة هل هي غير الموصوف؟**

لا بد أن تفصِّل في هذه الألفاظ: كلمة (الغير)، وكلمة (الذات) حتى تصل إلى الجواب الدقيق الصحيح؛ لكن لا تجيبه بإجمال، هو سيصر أنه يريد شيئًا معينًا منك، هل الصفات زائدة على الذات؟

**لا بد أن تفصّل:**

◆ ما هي الذات التي تتحدث عنها؟

- هل الصفات غير الموصوف؟ هل الصفة غير الموصوف؟
- ما هي الغيرية التي تريدها؟

لا بد أن تفصِّل، وهذا التفصيل هو منهج أهل السنة في الألفاظ المجملة، لا بد من الاستفصال في هذه الألفاظ، وإلا ستتورط مثلما تورط هذا المبتدع.

(**فَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا لَيْسَ هُوَ إِيَّاهُ**) الغير.

**مثلًا**: هذا غير هذا؛ يعني هذا ليس هذا، مغايرة.

(**وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا جَازَ مُفَارَقَتُهُ لَهُ**).

هذا ليس هذا، ولكن يجوز المفارقة.

**مثلًا**: هذا الذي أُلبِس هذا يجوز أن يفارقه، ولكن هذا كله (٦: ١٤).

⇦ **في المعنى الأول**: المفارقة الغيرية واضحة.

⇦ **في المعنى الثاني**: الغيرية نسبية.

(**وَلِهَذَا كَانَ أَئِمَّةُ السُّنَّةِ –رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى– لَا يُطْلِقُونَ عَلَى صِفَاتِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ أَنَّهُ غَيْرُهُ**) كما هو مذهب المعتزلة والفلاسفة.

(**وَلَا أَنَّهُ لَيْسَ غَيْرَهُ**) كما هو مذهب بعض المتكلمين.

✍ وكما قلت: هذه المسألة هي نشأت بداية ما نشأت عن تصور ذاتٍ مجردةٍ عن الصفات؛ ولذلك في المناظرات التي كانت في بداية نشأة المعتزلة، كانوا يضايقون بمثل هذه الأسئلة، مثلما ضايقوا الإمام أحمد.

☜ هل القرآن هو الله حتى تقول: أنه غير مخلوق أو هو غيره؟ إذا كان غيره فهو مخلوق، وإذا كان هو كيف هذا هنا؟ كونه هنا يدل على أنه غيره، إذا كان غيره فهو مخلوق. وإذا قلت: أنه غيره فهو مخلوق، إذا قلت: أنه هو فقد جعلته إلهًا. مثل هذه الـ..

ولذلك كان الإمام أحمد –سبحان الله!– موفقًا جدًّا حينما كان يتخلص بموجب فطرته، وبموجب علمه، ولا يلتزم شيئًا مما يقوله، مع أن الإمام أحمد كما يقول المتكلمون، مثل هذه المناظرات تحتاج إلى دربة عندهم؛ يعني لا بد أن تذهب إلى أرسطو وتتعلم آداب البحث والمناظرة، (١٦:٣٠)، وجمعوا له فلاسفتهم، جمعوا له طواغيتهم، وما كانوا يستقرون أمامه.

**★ ما الذي عصمه بإذن الله –عَزَّ وَجَل–؟**

– الرجوع إلى الأصل، تنطلق من الأصل. هذا أولًا.

– ثانيًا: بضاعتهم تفحصهم، لا تلتزم ولا تحترم بضاعتهم، يفحصها، قد يكون فيها حق، وقد يكون فيها باطل، ولكن ما دام هذه البضاعة تُذكَر مقابل النصوص، فمن البداية نسيئ الظن بها، لو كان فيها خير ما عُورِضَ بها الوحي، ما دام هذه البضاعة يعارض بها الوحي ففيها شيء، فلا تُحسن الظن بها، **(لَا يُطْلِقُونَ عَلَى صِفَاتِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ أَنَّهُ غَيْرُهُ، وَلَا أَنَّهُ لَيْسَ غَيْرَهُ)**.

**★ لا يطلقون لا هذا، ولا هذا، لماذا؟**

**(لِأَنَّ إِطْلَاقَ الْإِثْبَاتِ قَدْ يُشْعِرُ أَنَّ ذَلِكَ مُبَايِنٌ لَهُ)** لما تقول: **(أنه غيره)** تثبت هذه المباينة، (إطلاق الإثبات)؛ أي إثبات المغايرة، وإطلاق المغايرة، قد يشهد على ذلك مباينٌ له، ليس بينه وبينه صلة، مع أنه صفته، هو ليس مباينة لأنه صفة.

**(وَإِطْلَاقَ النَّفْيِ قَدْ يُشْعِرُ بِأَنَّهُ هُوَ هُوَ)** ليس بينهما فرقٌ من وجهٍ من الوجوه، مع أن هناك فرقًا بين الذات والصفة.

**(إِذَا كَانَ لَفْظُ الْغَيْرِ فِيهِ إِجْمَالٌ، فَلَا يُطْلَقُ إِلَّا مَعَ الْبَيَانِ وَالتَّفْصِيلِ)**.

**★ كيف يكون هذا التفصيل؟**

☜ **أولًا**: **(فَإِنْ أُرِيدَ بِهِ أَنَّ هُنَاكَ ذَاتًا مُجَرَّدَةً قَائِمَةً بِنَفْسِهَا مُنْفَصِلَةً عَنِ الصِّفَاتِ الزَّائِدَةِ عَلَيْهَا فَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ)**.

تصور ذاتٍ مجردةٍ عن الصفات هذا غير صحيح، إذا تصورت أن هناك ذات مجردةٍ عن الصفات، وأن كل ما تحمل من صفات فهي غير هذا خطأ، وكما قلت: هذا التصور هو الذي ينبني عليه، وأسسوا

عليه قضية التركيب، الفلاسفة لما يقولون: أن إثبات الصفات يخالف التوحيد، ويصادم التوحيد، ويضاد التوحيد.

★ **عند المعتزلة: لماذا يخالف التوحيد، لماذا؟**

لأن فيه تعدد القدماء، إثباتًا لقدماء كثيرين. وهذا شك عندهم؛ لذلك لا بد أن تنفي الصفات حتى تكون موحدًا.

✍ **عند الفلاسفة:** إثبات الصفات هذا يستلزم التركيب، وهناك ذات، وهناك صفة، يكون مركبًا من أمرين، والمركب من أمرين لا يكون واجبًا بنفسه، بل يكون واجبًا بهذا وبهذا، وهذا فيه افتقار، لا يستطيع أن يستغني عن هذا.

★ **من أين جاء هذا الخبر؟**

لأنه تصور أن هناك ذاتًا مجردةً، إما هكذا تصور، أو الشيطان أوصله إلى هذا حتى يناكف التوحيد عمدًا.

★ **كيف يشوش على التوحيد؟**

بهذا الـ..، ترى أنت لما تثبت الصفات فأنت مشرك —ما شاء الله– ولكن بداية التصور تصور ذاتٍ مجردةٍ عن الصفات، إذا تصورت هذا فعلًا إذا كان هذا الأساس صحيحًا وهو باطل، فعلًا ستتساءل ما علاقة هذه الأمور الزائدة الآن على الذات ما علاقتها بالذات؟ وهذه الأمور الزائدة على الذات هل تشكل خدشًا في توحيده وفي وحدته أو لا؟ لم (٢١:٣٩) يجب علينا أن نوحده؟ لأنه اكتشفت أمورًا زائدة عليه. إذن بداية التصور خطأ.

يقول: (**فَإِنْ أُرِيدَ بِهِ أَنَّ هُنَاكَ ذَاتًا مُجَرَّدَةً قَائِمَةً بِنَفْسِهَا مُنْفَصِلَةً عَنِ الصِّفَاتِ الزَّائِدَةِ عَلَيْهَا فَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ**) هذا التصور غير صحيح.

وقد رأينا أن هذا التصور هو أساس هذا التساؤل، ما علاقة الصفات بالذات؟ هل هي زائدة عليها أو لا؟

أيضًا قضية التركيب (**وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ أَنَّ الصِّفَاتِ زَائِدَةٌ عَلَى الذَّاتِ الَّتِي يُفْهَمُ مِنْ مَعْنَاهَا غَيْرُ مَا يُفْهَمُ مِنْ مَعْنَى الصِّفَةِ فَهَذَا حَقٌّ**).

أنت لما تُعرِّف الذات، الذات تعريفها لغةً، تعريفها اصطلاحًا، ثم الصفة تعريفها لغةً، تعريفها اصطلاحًا، وأن الذات تكون قائمةً بنفسها، والصفة لا تكون قائمة إلا بغيرها، إذن أنت تصورت أمرين من باب التصور، ومن باب العلم، نعم هنا: هذا غير، وهذا غير.

ولكن لما تنظر إلى علاقة هذه بهذه، الموصوف بالصفة شيءٌ واحد حتى ولو تعددت الصفات، مهما تعددت الصفات فالموصوف واحد، إذن كثرتها، اتصافهم بها لا يخدش وحدته. هذا في المخلوقين، فكيف بالخالق سبحانه؟!

رأينا أن التصور من حيث فهم مدلول الكلمتين بغض النظر عن الخارج، هناك فرق بين الذات والصفة، أليس كذلك؟ لماذا نقول: أن الصفات تكون بالذوات؟ إذن هناك غيريةٌ ما في التصور.

(**وَلَكِنْ**) في الخارج (**وَلَكِن لَيْسَ فِي الْخَارِجِ ذَاتٌ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الصِّفَاتِ، بَلِ الذَّاتُ الْمَوْصُوفَةُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الثَّابِتَةِ لَهَا لَا تَنْفَصِلُ عَنْهَا**).

لذلك يقول في الأخير، لما يقول: (**وَالتَّحْقِيقُ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ: الصِّفَاتُ غَيْرُ الذَّاتِ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ: صِفَاتُ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ**) بينهما فرق، **لماذا؟**

لأن الجملة الثانية تتحدث عن الموصوف، والجملة الأولى تتحدث عن الألفاظ.

في النهاية لما يأتي ويطيل النتيجة (**وَالتَّحْقِيقُ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ: الصِّفَاتُ غَيْرُ الذَّاتِ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ: صِفَاتُ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ**) لا بد أن يفرق بينهما، **لماذا؟**

لأن الجملة الأولى تتحدث عن الألفاظ، والجملة الثانية تتحدث عن الموصوف، وعن الموجود في الخارج، بينهما فرق.

(**فَإِنَّ الثَّانِيَ بَاطِلٌ**) الذي يقول: (**صِفَاتُ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ**) هذا باطل، أما الذي يقول: (**الصِّفَاتُ غَيْرُ الذَّاتِ**) فهذا قد يصح بالنظر إلى الألفاظ، نعم، الصفات معناها لغةً واصطلاحًا غير، والذات معناها لغةً واصطلاحًا غير.

★ **أما في الخارج هل تجد ذاتًا مجردةً عن الصفات؟**

مستحيل، ولو صفة الوجود كما سيذكرون.

**(وَلَكِن لَيْسَ فِي الْخَارِجِ ذَاتٌ مُجَرَّدَةٌ عَنِ الصِّفَاتِ، بَلِ الذَّاتُ الْمَوْصُوفَةُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الثَّابِتَةِ لَهَا لَا تَنْفَصِلُ عَنْهَا)**

إذن ليس هناك غيرية بالنظر إلى الواقع، ولكن الغيرية بالنظر إلى التصور.

**(وَإِنَّمَا يَفْرِضُ الذِّهْنُ ذَاتًا وَصِفَةً كُلًّا وَحْدَهُ)** يفرض لما يريد أن يعرف هذا عن هذا.

**(وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْخَارِجِ ذَاتٌ غَيْرُ مَوْصُوفَةٍ، فَإِنَّ هَذَا مُحَالٌ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا صِفَةَ الْوُجُودِ)** ما دام أنت تتحدث عن شيءٍ واقع، إذن هو موجود، أقل شيء هو موجود، والوجود صفة.

★ **أيضًا، هذا الوجود وجوده بنفسه أو لا؟**

في كل الموجودات لا بد إما أن يكون موجودًا بنفسه، أو بغيره، إما خالق، أو مخلوق، في جميع الموجودات.

**(وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا صِفَةَ الْوُجُودِ، فَإِنَّهَا لَا تَنْفَكُّ عَنِ الْمَوْجُودِ)**.

هكذا عند الجميع **(فَإِنَّهَا لَا تَنْفَكُّ عَنِ الْمَوْجُودِ)** أنا أتوقع أنها (عن الوجود)، (فإنها لا تنفك عن الوجود).

**طالب:** .....

**الشيخ:** هكذا عندكم؟

**طالب:** .....

**الشيخ:** طيب.

**طالب:** .....

**الشيخ:** إي. (فإنه لا تنفك عن الوجود) هل أشاروا إلى نسخة؟ هي (لا تنفك عن الوجود) لا يتحدث عن الموجود، يتحدث عن (الوجود).

**(وَإِنْ كَانَ الذِّهْنُ يَفْرِضُ ذَاتًا وَوُجُودًا)** الذهن، أنت لما تتحدث عن الوجود قد تتحدث عنه ولا يأتِ في ذهنك أصلًا الذات؛ لأنك تتحدث عن لفظ معناه لغةً واصطلاحًا.

**(وَإِنْ كَانَ الذِّهْنُ يَفْرِضُ ذَاتًا وَوُجُودًا، يَتَصَوَّرُ هَذَا وَحْدَهُ وَهَذَا وَحْدَهُ)** ويتحدث عنه، ويتحدث عنه **(لَكِنْ لَا يَنْفَكُّ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ فِي الْخَارِجِ)**.

**(وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ: الصِّفَةُ لَا عَيْنُ الْمَوْصُوفِ وَلَا غَيْرُهُ)** هذا مذهب جمهور المتكلمين **(الصِّفَةُ لَا عَيْنُ الْمَوْصُوفِ وَلَا غَيْرُهُ)** هذا مذهب جمهور المتكلمين يذكرون هذا الكلابية، يعني الأشاعرة والماتريدية يذكرون هذا ردًّا على المعتزلة الذين يرون أن الصفة غير الموصوف.

★ **المعتزلة ماذا يرون؟**

أن الصفة غير الموصوف، ويرون أن الصفات زائدة على الذات؛ ولذلك لا يقبلونها؛ لأنها تخدش في وحدة الذات.

✍ **الكلابية وغيرهم يقولون:** حتى ننفصل عن شبهتكم نقول: الصفة ليست عين الذات، ولا غير الذات، إذا قلنا: غير الذات، صِرْنا معكم، وإذا قلنا: عين الذات، أيضًا وقعنا في إشكال؛ ولذلك ننفي العينية والغيرية. هذا مذهب الكلابية عمومًا.

✍ وهذا المذهب كما يقول المؤلف: **(لَهُ مَعْنًى صَحِيح)** ولكن الأدق ما سيذكره هذا، والذي ذكره هنا هذا أخذه من شيخ الإسلام، وذكره ابن القيم وغيره.

**(وهَذَا لَهُ مَعْنًى صَحِيحٌ، وَهُوَ: أَنَّ الصِّفَةَ لَيْسَتْ عَيْنَ ذَاتِ الْمَوْصُوفِ الَّتِي يَفْرِضُهَا الذِّهْنُ مُجَرَّدَةً بَلْ هِيَ غَيْرُهَا)** من حيث التصور قلنا: هذا غير، وهذا غير.

**على هذا**، هي ليست عينها، وليست غيرها، **(بَلِ الْمَوْصُوفُ بِصِفَاتِهِ شَيْءٌ وَاحِدٌ)**، وهذا الوجه فيه نفي العينية ونفي الغيرية.

✍ وكما رأينا نفي العينية باعتبار، ونفي الغيرية باعتبار، وكلا الاعتبارين صحيحان، مع ذلك هذا لا يرقى إلا اختيار أهل السنة الذي يذكره المؤلف في الأخير.

**(وَالتَّحْقِيقُ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ: الصِّفَاتُ غَيْرُ الذَّاتِ).**

★ **(الصِّفَاتُ غَيْرُ الذَّاتِ) هل رَبَطت الصفات بموصوف معين؟**

لا، إذن هذا يتعلق باللفظ، إذن الصفة في العلم والمضمون غير الذات، في العلم، والمضمون، والتصور غير الذات؛ لأن الصفة تقوم بالذات.

★ **(وَبَيْنَ قَوْلِهِ: صِفَاتُ اللَّهِ) هنا نتحدث عن ماذا؟**

عن موصوف معين، أتحدث عن الواقع؛ لأن الأمر اختلف.

**(صِفَاتُ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ)** هذا لا يجوز، أما الصفات غير الذات فهذا يجوز بالنظر إلى التصور والعلم.

**(صِفَاتُ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ)** هذا لا يجوز؛ لأن يتعلق بموصوفٍ معين، فالصفات هنا تكون داخلةً في مسمى الموصوف، فلا يجوز أن تقول: **(صِفَاتُ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ، فَإِنَّ الثَّانِيَ بَاطِلٌ) لماذا؟**

**(لِأَنَّ مُسَمَّى اللَّهِ يَدْخُلُ فِيهِ صِفَاتُهُ بِخِلَافِ مُسَمَّى الذَّاتِ)** مسمى الذات غير مرتبطةٍ بموصوفٍ معين **(فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِيهِ الصِّفَاتُ)** من حيث التصور والعلم والبيان **(لِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الصِّفَاتِ زَائِدَةٌ عَلَى مَا أَثْبَتَهُ الْمُثْبِتُونَ مِنَ الذَّاتِ).**

★ طبعًا هذه الكلمة **(الصِّفَات الزَّائِدَة عَلَى الذَّات)** هذا يرد حتى عند شيخ الإسلام، وتجدونه حتى في كلام أهل السنة، **لماذا؟**

لأجل هذا الذي ذكره هنا، هذا هو السبب؛ **(لِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الصِّفَاتِ زَائِدَةٌ عَلَى مَا أَثْبَتَهُ الْمُثْبِتُونَ مِنَ الذَّاتِ).**

★ **المعتزلة ماذا أثبتوا؟**

أثبتوا الذات، ولم يثبتوا غير الذات، لم يثبتوا الصفات، قالوا: إثبات الصفات هذا يخدش في التوحيد، فمن يثبت الصفات فهذا مشرِك، حتى تكون موحدًا لا بد أن تعطِّل الصفات.

✍ جاء الصفاتية على اختلاف طبقاتهم فأثبتوا أكثر مما أثبته المعتزلة.

✍ طبعًا المعتزلة هنا المتأخرون من حيث الواقع أنا أذكر أريد أشرح فأثبتوا أكثر مما أثبته المعتزلة، من هنا جاء هذا الاصطلاح (الصفات الزائدة على الذات، أو صفات المعاني).

الصفات عند الأشاعرة تنقسم إلى قسمين، وخاصةً عند المتأخرين من الأشاعرة الذين يقولون بالأحوال، يقولون بنظرية الحال.

**الصفات تنقسم إلى قسمين:**

- صفات المعاني.
- والصفات معنوية.

**صفات المعاني**: أي الصفات التي تحمل معنًى موجودًا، صفة القدرة معنى زائد، صفة العلم.

**أما الصفات المعنوية**: هي كاسمها معنوي؛ نحن لما نقول: أن هذا الشيء ليس له وجود حقيقي، نقول: هذا شيء معنوي، هذا شيء اعتباري إضافي نسبي، **مثل** الأبوة والبنوة، شيء إضافي، هناك أب، وهناك ابن.

**★ أما هذه النسبة الأبوة والبنوة هل لها وجود خارجي؟**

لا، شيء اعتباري.

☜ من هذا الباب قالوا: الصفات المعنوية؛ أي ليس لها وجود، وصفات المعاني؛ أي هي تحمل معنًى موجودًا زائدًا على ما يثبته المعتزلة؛ ولذلك بعضهم يطلق على صفات المعاني الصفات المعنوية؛ لأنه يجهل مذهبه، وإلا هي صفات المعاني، الصفات السبع التي يثبتونها هي صفات المعاني.

والمتأخرون لما جاؤوا وتأثروا بالمعتزلة أكثر وقالوا بنظرية الحال ضعَّفوا هذه السبعة، فجعلوها أربعة عشر، صفة السمع وكونه سميع، صارت صفتين، صفة القدرة وكونه قادرًا، الكينونة هذه يسمونها كينونة، هل زدنا شيء؟ هي هي نفس الصفة أليس كذلك؟

بعضهم يتفلسف ويقول: من قال لك أن الأشاعرة يثبتون سبع صفات فقط؟ هم يثبتون ثلاثة وعشرين صفة، أو عشرين صفة، بهذا الـ....

صفات سلبية لا تحمل شيئًا، صفات معنوية لا تحمل شيئًا، إذن لا يبقى لهم إلا الصفات السبع، أو الصفات الثمانية عند الماتريدية.

**المهم** الذي يقول: إذا وجدتم هذا في كلام أهل السنة الصفات الزائدة على الذات، فهم يقصدون الزائدة على ما أثبته المعتزلة، وإلا هي ليست زائدة على الذات.

**(لِأَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ الصِّفَاتِ زَائِدَةٌ عَلَى مَا أَثْبَتَهُ الْمُثْبِتُونَ مِنَ الذَّاتِ).**

**★ مَن الذي أثبت الذات المجردة عن الصفات مَن؟**

المعتزلة والجهمية، وقبلهم الفلاسفة.

**(وَاللَّهُ –عَزَّ وَجَل– هُو الذَّاتِ الْمَوْصُوفَةِ بِصِفَاتِهِ اللَّازِمَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: (لَا زَالَ بِصِفَاتِهِ))** وهذا التعبير دقيق –كما نبهنا في الدرس الماضي–، هذا التعبير دقيق **(لَا زَالَ بِصِفَاتِهِ)**.

**★ إذن هناك فرق بين هذا، وبين قوله: (لا زَالَ وَصِفَاتُهُ) لماذا؟**

**(لِأَنَّ الْعَطْفَ يُؤْذِنُ بِالْمُغَايَرَةِ) (لا زال وصفاته)** إذن الواو للعطف، وهو يؤذن بالمغايرة، ولا مغايرة بين الموصوف والصفة من حيث التحقق والوجود، لا مغايرة **(لِأَنَّ الْعَطْفَ يُؤْذِنُ بِالْمُغَايَرَةِ)**.

**(وَكَذَلِكَ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ –رَحِمَهُ الله– فِي مُنَاظَرَتِهِ الْجَهْمِيَّةَ: (لَا نَقُولُ: اللَّهُ وَعِلْمُهُ، اللَّهُ وَقُدْرَتُهُ، اللَّهُ وَنُورُهُ)** ما نقول هذا؛ لأنه يؤذن بالمغايرة.

**(وَلَكِنْ نَقُولُ: اللَّهُ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَنُورِهِ هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–)** إذن الصفات مهما تعددت، ومهما كَثُرَت لا تؤثر في وحدانيته، ولا تؤثر في توحيده.

**(فَإِذَا قُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ)** أنت لما تقول: **(أَعُوذُ بِاللَّهِ، فَقَدْ عُذْت –أو فقد عُذّت– بِالذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ الْمَوْصُوفَةِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمُقَدَّسِ)** أنت عُذت بذاتٍ متصفة بجميع الكمالات، وما

عُذت بذاتٍ مجردةٍ عن الصفات لا تُقدم ولا تؤخر، **مثل** إله الجهمية، لا أنت تحبه، ولا هو يحبك، ولا هو قادر، ولا هو مريد، تعوذ بمن هنا؟ ما الذي تؤمله منه؟

**(فَإِذَا قُلْتُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ فَقَدْ عُذت بِالذَّاتِ الْمُقَدَّسَةِ الْمَوْصُوفَةِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمُقَدَّسِ الثَّابِتَةِ).**

**(بِصِفَاتِ الكَمَال المقدس)** هكذا في بعض النسخ (المقدسة) في بعض النسخ، وكلاهما صحيح، إذا كان (المقدِّس) يرجع إلى الكمال، وإذا كان (المقدَّسة) ترجع إلى ماذا؟

**طالب:** .....

**الشيخ:** وهذا أحسن وأوضح.

**(الثَّابِتَة الَّتِي لَا تَقْبَلُ الِانْفِصَالَ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ) لماذا؟**

لأنها صفاته، صفات الله -عَزَّ وَجَل-.

**(وَإِذَا قُلْتُ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، فَقَدْ عُذْتَ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ سبحانه، وَلَمْ تعُذْ بِغَيْرِ اللَّهِ)**

★ **ولكن إذا كان شخص يريد أن يقول: أعوذ بعزة الله، وهو جهمي مثلًا، وعنده أن العزة هذه شيءٌ مخلوق، يجوز هذا ولَّا ما يجوز؟**

لا يجوز، ولكن هذا خطأ، ما دام أنت تقول: **(أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، أعوذ بكلمات الله التامات)** إذن هذا كله استعاذة منك بصفةٍ من صفات الله -عَزَّ وَجَل-، وفي الحقيقة أنت تستعيذ بالموصوف.

★ **لماذا ذكرت هذه الصفة؟**

لأن هذه الصفة هي التي تليق بمقام الدعاء هنا، أنت ذكرت هذه الصفة؛ لأن هذه الصفة من صفات الله -عَزَّ وَجَل- هي التي تُلائم حالك هنا.

**(وَهَذَا الْمَعْنَى يُفْهَمُ مِنْ لَفْظِ الذَّاتِ).**

في النهاية هنا ذكر شيخ الإسلام —طبعًا هذا كلام شيخ الإسلام-. ذكر أن عدم انفصال الذات عن الصفة هذا ملاحظٌ حتى في اللغة، هذه الفقرة الأخيرة عدم انفصال الذات عن الصفة ملاحظٌ

حتى في أصل اللغة، النظر إلى أصل اللغة أيضًا يدل على أن الذات لا تكون مجردةً. كلمة الذات تشير إلى شيء، **كيف؟**

**(وَهَذَا الْمَعْنَى يُفْهَمُ مِنْ لَفْظِ الذَّاتِ فَإِنَّ ذَاتَ)** كلمة **(ذَات)** **(فِي أَصْلِ مَعْنَاهَا لَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا مُضَافَةً؛ أَيْ: ذَاتُ وُجُودٍ، وذَاتُ قُدْرَةٍ، ذَاتُ عِزٍّ، ذَاتُ عِلْمٍ، ذَاتُ كَرَمٍ)** الذات في الأصل، في أصل اللغة لا تُستعمل إلا مضافةً **(ذَاتُ كَذَا بِمَعْنَى صَاحِبَةِ كَذَا: تَأْنِيثُ ذُو. هَذَا أَصْلُ مَعْنَى الْكَلِمَةِ)**.

إذن الأصل أيضًا يشير إلى أن الذات معها شيء، الأصل اللغوي لذات يدل على أنها تشير إلى شيء لا تكون مجردةً.

☜ هذا المعنى اللغوي جاء به للاستدلال على أن الذات تدل على الصفات، ولا تكون مجردةً عن الصفات لا من حيث الواقع، ولا أيضًا من حيث اللغة، إذا جعلتها مجردةً عن الصفات، فقد تنكرت للأصل اللغوي أيضًا.

**(فَعُلِمَ أَنَّ الذَّاتَ لَا يُتَصَوَّرُ)** **(الذَّات)**؛ أي الموصوفة حسب التفصيل الذي ذكره.

**(فعُلِمَ أَنَّ الذَّاتَ لَا يُتَصَوَّرُ انْفِصَالُ الصِّفَاتِ عَنْهَا بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ)**؛ أي الذات الموصوفة.

**(وَإِنْ كَانَ الذِّهْنُ قَدْ يَفْرِضُ ذَاتًا مُجَرَّدَةً عَنِ الصِّفَاتِ، كَمَا يَفْرِضُ الْمُحَالَ)** الذهن يفرض ما يريد، ليس هناك ما يمنعه، وقد يفرض المحال أيضًا.

**(وقَدْ يَفْرِضُ ذَاتًا مُجَرَّدَةً عَنِ الصِّفَاتِ)** ولكن الواقع ليس هناك ذات مجردة عن الصفات.

**(وَقَدْ قَالَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:** «أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ») والمستعاذ به هنا هو الموصوف بهذه الصفة، وهي أنه قادرٌ على حمايتك، وعلى حفظك مما تستعيذ به. إذن أنت تستعيذ بذاتٍ موصوفةٍ بهذه الصفة.

**(وَقَالَ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:** «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ») وهذا أيضًا استعاذةٌ بتلك الذات الموصوفة بالكلمات التامة.

**(وَلَا يَعُوذُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِغَيْرِ اللَّهِ)**.

★ **يعني النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- هنا هل يعوذ بغير الله؟**

لا، هو يعوذ بموصوفٍ بصفات الكمال.

(**وَكَذَا قَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»**) صفة من صفاته (**«وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»**) إذن لا يحميني من سخطك ومن عذابك إلا أنت.

(**وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا»، وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ»**)

★ **والحديث هذا الحديث الأخير أخرجه، كيف تخريجه عندكم؟**

**طالب:** الطبراني.

**الشيخ:** بس؟

**طالب:** أخرجه ابن هشام، وابن جرير، (٤٢:٤٧).

**الشيخ:** لا، موجود عندنا أيضًا أخرجه ابن هشام، وابن جرير (٤٧:٤٧)، ولكن هل هناك تخريج موسع لل...

**طالب:** .....

**الشيخ:** أيوة.

**طالب:** .....

**الشيخ:** طيب، هل ذكر الحكم؟

**طالب:** .....

**الشيخ:** (٤٦:١١).

**طالب:** .....

**الشيخ:** السلسة. يحتاج إلى مراجعة. أما الأحاديث التي قبلها صحيحة.

✍ على كل حال هذه المسألة وهي مسألة الذات والصفات، وعلاقة الصفات بالذات، وكون هذه المسألة هي أن التصور الخاطئ هو الأساس في هذا التساؤل: هل الصفات زائدة على الذات أو لا؟ أيضًا على هذا التصور الخاطئ ينبني ما ذكره في التركيب.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**طالب:** .....

**الشيخ:** كلاهما، الكونية والشرعية.

**طالب:** .....

**الشيخ:** في رسالة مطبوعة في هذا.

**طالب:** .....

**الشيخ:** في الصفات والقدر، وهذه الرسالة كانت باختلاف مني، أنا كتبت بحث عن الألفاظ المجملة، ورأيت كيف أن هذا الباب خطير، واهتمام شيخ الإسلام به كبيرٌ جدًّا، فاقترحت على عدد من الإخوة (٥٠:٥) مطبوعة في مجلدين، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية الأخ عبد السميع (٥٠:١٤).

**طالب:** .....

* * * * * * * * * * * * * *

## ٤٤

**بسم الله الرحمن الرحيم**

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم اغفر لشيخنا ولأشياخه وللمسلمين.

**(المتن)**

**قال الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي -رَحِمَه الله تَعَالَى-:**

"وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: الِاسْمُ عَيْنُ الْمُسَمَّى أَوْ غَيْرُهُ؟ وَطَالَمَا غَلِطَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ، وَجَهِلُوا الصَّوَابَ فِيهِ: فَالِاسْمُ يُرَادُ بِهِ الْمُسَمَّى تَارَةً، وَيُرَادُ بِهِ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَيْهِ أُخْرَى، فَإِذَا قُلْتَ: قَالَ اللَّهُ كَذَا، أَوْ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَهَذَا الْمُرَادُ بِهِ الْمُسَمَّى نَفْسُهُ، وَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُ اسْمٌ عَرَبِيٌّ، وَالرَّحْمَنُ اسْمٌ عَرَبِيٌّ، وَالرَّحْمَنُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَالِاسْمُ هَاهُنَا لِلْمُسَمَّى، وَلَا يُقَالُ غَيْرُهُ، لِمَا فِي لَفْظِ الْغَيْرِ مِنَ الْإِجْمَالِ، فَإِنْ أُرِيدَ بِالْمُغَايَرَةِ أَنَّ اللَّفْظَ غَيْرُ الْمَعْنَى فَحَقٌّ، وَإِنْ أُرِيدَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ كَانَ وَلَا اسْمَ لَهُ، حَتَّى خَلَقَ لِنَفْسِهِ أَسْمَاءً، أَوْ حَتَّى سَمَّاهُ خَلْقُهُ بِأَسْمَاءٍ مِنْ صُنْعِهِمْ، فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الضَّلَالِ وَالْإِلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَالشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللَّهُ– أَشَارَ بِقَوْلِهِ: (مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ) إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ، إِلَى الرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الشِّيعَةِ. فَإِنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّهُ تَعَالَى صَارَ قَادِرًا عَلَى الْفِعْلِ وَالْكَلَامِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَيْهِ، لِكَوْنِهِ صَارَ الْفِعْلُ وَالْكَلَامُ مُمْكِنًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُمْتَنِعًا، وَأَنَّهُ انْقَلَبَ مِنَ الِامْتِنَاعِ الذَّاتِيِّ إِلَى الْإِمْكَانِ الذَّاتِيِّ.

وَعَلَى ابْنِ كُلَّابٍ وَالْأَشْعَرِيِّ وَمَنْ وَافَقَهُمَا، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ الْفِعْلَ صَارَ مُمْكِنًا لَهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُمْتَنِعًا مِنْهُ. وَأَمَّا الْكَلَامُ عِنْدَهُمْ فَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ وَالْقُدْرَةِ، بَلْ هُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَازِمٌ لِذَاتِهِ.

وَأَصْلُ هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ دَوَامَ الْحَوَادِثِ مُمْتَنِعٌ، وَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِلْحَوَادِثِ مَبْدَأٌ لِامْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا، فَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الْبَارِي –عَزَّ وَجَلَّ– لَمْ يَزَلْ فَاعِلًا مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَتِهِ، بَلْ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّ الْقُدْرَةَ عَلَى الْمُمْتَنِعِ مُمْتَنِعَةٌ، وَهَذَا فَاسِدٌ؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ حُدُوثِ الْعَالَمِ وَهُوَ حَادِثٌ، وَالْحَادِثُ إِذَا حَدَثَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُحْدَثًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُمْكِنًا، وَالْإِمْكَانُ لَيْسَ لَهُ وَقْتٌ مَحْدُودٌ، وَمَا مِنْ وَقْتٍ يُقَدَّرُ إِلَّا وَالْإِمْكَانُ ثَابِتٌ فِيهِ، وَلَيْسَ لِإِمْكَانِ الْفِعْلِ وَجَوَازِهِ وَصِحَّتِهِ مَبْدَأٌ يَنْتَهِي إِلَيْهِ، فَيَجِبُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الْفِعْلُ مُمْكِنًا جَائِزًا صَحِيحًا، فَيَلْزَمُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الرَّبُّ قَادِرًا عَلَيْهِ، فَيَلْزَمُ جَوَازُ حَوَادِثَ لَا نِهَايَةَ لِأَوَّلِهَا.

قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ: نَحْنُ لَا نُسَلِّمُ أَنَّ إِمْكَانَ الْحَوَادِثِ لَا بِدَايَةَ لَهُ، لَكِنْ نَقُولُ: إِمْكَانُ الْحَوَادِثِ بِشَرْطِ كَوْنِهَا مَسْبُوقَةً بِالْعَدَمِ لَا بِدَايَةَ لَهُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَوَادِثَ عِنْدَنَا تَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ قَدِيمَةَ النَّوْعِ، بَلْ يَجِبُ حُدُوثُ نَوْعِهَا وَيَمْتَنِعُ قِدَمُ نَوْعِهَا، لَكِنْ لَا يَجِبُ الْحُدُوثُ فِي وَقْتٍ بِعَيْنِهِ، فَإِمْكَانُ الْحَوَادِثِ بِشَرْطِ كَوْنِهَا مَسْبُوقَةً بِالْعَدَمِ لَا أَوَّلَ لَهُ، بِخِلَافِ جِنْسِ الْحَوَادِثِ.

فَيُقَالُ لَهُمْ: هَبْ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ ذَلِكَ، لَكِنْ يُقَالُ: إِمْكَانُ جِنْسِ الْحَوَادِثِ عِنْدَكُمْ لَهُ بِدَايَةٌ، فَإِنَّهُ صَارَ جِنْسُ الْحُدُوثِ عِنْدَكُمْ مُمْكِنًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا، وَلَيْسَ لِهَذَا الْإِمْكَانِ وَقْتٌ مُعَيَّنٌ، بَلْ مَا مِنْ وَقْتٍ يُفْرَضُ إِلَّا وَالْإِمْكَانُ ثَابِتٌ قَبْلَهُ، فَيَلْزَمُ دَوَامُ الْإِمْكَانِ، وَإِلَّا لَزِمَ انْقِلَابُ الْجِنْسِ مِنَ الِامْتِنَاعِ إِلَى الْإِمْكَانِ مِنْ غَيْرِ حُدُوثِ شَيْءٍ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ انْقِلَابَ حَقِيقَةِ جِنْسِ الْحُدُوثِ، أَوْ جِنْسِ الْحَوَادِثِ، أَوْ جِنْسِ الْفِعْلِ، أَوْ جِنْسِ الْأَحْدَاثِ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا مِنَ الْعِبَارَاتِ مِنَ الِامْتِنَاعِ إِلَى الْإِمْكَانِ، هُوَ يُصَيِّرُ ذَلِكَ مُمْكِنًا جَائِزًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُمْتَنِعًا مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ تَجَدَّد، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ فِي صَرِيحِ الْعَقْلِ.

وَهُوَ أَيْضًا انْقِلَابُ الْجِنْسِ مِنَ الِامْتِنَاعِ الذَّاتِيِّ إِلَى الْإِمْكَانِ الذَّاتِيِّ؛ فَإِنَّ ذَاتَ جِنْسِ الْحَوَادِثِ عِنْدَهُمْ تَصِيرُ مُمْكِنَةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُمْتَنِعَةً.

وَهَذَا الِانْقِلَابُ لَا يَخْتَصُّ بِوَقْتٍ مُعَيَّنٍ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ وَقْتٍ يُقَدَّرُ إِلَّا وَالْإِمْكَانُ ثَابِتٌ قَبْلَهُ، فَيَلْزَمُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ هَذَا الِانْقِلَابُ مُمْكِنًا، فَيَلْزَمُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الْمُمْتَنِعُ مُمْكِنًا، وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الِامْتِنَاعِ مِنْ قَوْلِنَا: لَمْ يَزَلِ الْحَادِثُ مُمْكِنًا، فَقَدْ لَزِمَهُمْ فِيمَا فَرُّوا إِلَيْهِ أَبْلَغ مِمَّا لَزِمَهُمْ فِيمَا فَرُّوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُعْقَلُ كَوْنُ الْحَادِثِ مُمْكِنًا، وَيُعْقَلُ أَنَّ هَذَا الْإِمْكَانَ لَمْ يَزَلْ، وَأَمَّا كَوْنُ الْمُمْتَنِعِ مُمْكِنًا فَهُوَ مُمْتَنِعٌ فِي نَفْسِهِ، فَكَيْفَ إِذَا قِيلَ: لَمْ يَزَلْ إِمْكَانُ هَذَا الْمُمْتَنِعِ؟! وَهَذَا مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ نَوْعَ الْحَوَادِثِ هَلْ يُمْكِنُ دَوَامُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَالْمَاضِي أَمْ لَا، أَوْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَقَطْ، أَوِ الْمَاضِي فَقَطْ؟ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ مَعْرُوفَةٍ لِأَهْلِ النَّظَرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ.

أَضْعَفُهَا: قَوْلُ مَنْ يَقُولُ، لَا يُمْكِنُ دَوَامُهَا لَا فِي الْمَاضِي وَلَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، كَقَوْلِ جَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ وَأَبِي الْهُذَيْلِ الْعَلَّافِ. وَثَانِيهَا قَوْلُ مَنْ يَقُولُ: يُمْكِنُ دَوَامُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ دُونَ الْمَاضِي، كَقَوْلِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ. وَالثَّالِثُ: قَوْلُ مَنْ يَقُولُ: يُمْكِنُ دَوَامُهَا فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، كَمَا يَقُولُهُ أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ، وَهِيَ مِنَ الْمَسَائِلِ الْكِبَارِ. وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ يُمْكِنُ دَوَامُهَا فِي الْمَاضِي دُونَ الْمُسْتَقْبَلِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ جُمْهُورَ الْعَالَمِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ يَقُولُونَ: إِنَّ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى مَخْلُوقٌ كَائِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَهَذَا قَوْلُ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ بِالْفِطْرَةِ أَنَّ كَوْنَ الْمَفْعُولِ مُقَارِنًا لِفَاعِلِهِ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَعَهُ – مُمْتَنِعٌ مُحَالٌ، وَلَمَّا

كَانَ تَسَلْسُلُ الْحَوَادِثِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ هُوَ الْآخِرَ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، فَكَذَا تَسَلْسُلُ الْحَوَادِثِ فِي الْمَاضِي لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْأَوَّلَ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ. فَإِنَّ الرَّبَّ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَتَكَلَّمُ إِذَا يَشَاءُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[آل عمران: ٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة: ٢٥٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ – فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[البروج:١٥–١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان:٢٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف:١٠٩]".

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:**

قول المؤلف هنا قول الشارح: (**وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: الِاسْمُ عَيْنُ الْمُسَمَّى أَوْ غَيْرُهُ؟**) هذا الموضوع تعرض له الشارح –رَحِمَهُ اللهُ– بعد ذكره لعددٍ من المسائل المرتبطة بمنهج المتكلمين في الألفاظ المجملة، ذَكَر أن المتكلمين ينفون كثيرًا من الصفات بحجة أن إثباتها يستلزم حلول الحوادث بذاته سبحانه، وهذا أصلٌ فاسدٌ وباطل نفوا لأجله كثير من الصفات، وبيَّن المؤلف أنه لا ينبغي أن نُسلِّم لهم كل ما يدعونه، فهو لما يدعي ويقول: لا بد أن نسبِّح وننزه ونقدِّس الله –عَزَّ وَجَل– عن حلول الحوادث؛ لأن حلول الحوادث يستلزم كونه حادثًا. لما يقول ويدعي مثل هذه الدعاوى لا بد أن نستفسر ماذا تعني بحلول الحوادث؟ سبق هذا، ماذا تعني؟ هذه الكلمة لا بد أن يكون هناك تحليل دقيق للجملة، ماذا تقصد بـ(حلول الحوادث)؟ وكيف تتصور أن كثيرًا مما أثبته الله –عَزَّ وَجَل– يتصادم مع هذا الأصل، وبالتالي تكون النتيجة تأويل تلك النصوص بسبب هذا الأصل كيف، كيف تنزه الله –عَزَّ وَجَل– عن أمرٍ أثبته هو بنفسه؟!

إذن هناك إشكالٌ في هذا الأصل (حلول الحوادث بذاته سبحانه) سبق أن..

في نفس السياق ذكر مسألة الصفة: هل هي زائدةٌ عن الذات أم لا؟ وأن الإجمال في هذا قد يستلزم استلزام شيءٍ من الباطل، ورد شيءٍ من الحق. في هذا السياق بعد أن فصَّل في هذه المسائل.

في هذا السياق يقول: (**وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: الِاسْمُ عَيْنُ الْمُسَمَّى أَوْ غَيْرُهُ؟**) هذا الخلاف الطويل والعريض في هذه المسألة يقول: لا بد أن نفصِّل أيضًا: الاسم هل هو المسمى أو غيره؟ ماذا تعنى بـ(غيره)؟ الاسم واضح، والمسمى واضح أليس كذلك، أم نحن بحاجة إلى البداية من الصفر، الاسم مثلًا اسمي محمد، والمسمى هو هذا الـ..أليس كذلك؟ هذا واضح، فالمولود لما يولد هذا هو المسمى، المولود هذا هو المسمى، والده يبحث له عن اسمٍ هذا الاسم يدل الناس عليه. الآن نحن جالسون أحدكم يقول: يا محمد، فألتفت إليه؛ لأنه يريدني بهذا الاسم؛ لأن هذا الاسم يدل على مسمًّى معين من بين هؤلاء الجلوس.

**هناك خلاف بين الكوفيين والبصريين في الاسم هل هو من السمو، أم هو من السمة؟**

وكلاهما صحيح.

**السمو لماذا نحرص على اختيار اسمٍ يدل على معنًى جميع، لماذا؟**

لأنه من السمو.

والاسم علامة على المسمى، لو لم تكن هناك خلفية عقدية وراء هذا الخلاف لقلنا: الاسم غير المسمى؛ لأن الاسم الآن أنا أكتب اسمي محمد، كتبته وأضعه في جيبي، وكتبته هنا، ولكن هل هذا الاسم هو هذا المخلوق؟ لا، هناك فرق، هذا الاسم وُضِع للدلالة على هذا المسمى، لو لم تكن هناك خلفيات عقدية ارتبطت بهذا الخلاف لقلنا: أن الاسم غير المسمى.

**ولكن حصل خلاف في هذه المسألة هل الاسم هو المسمى أو غيره؟**

فنجد أن المبتدعة تميزوا بهذا المذهب، الاسم غير المسمى، كل من يقول: أن الاسم غير المسمى فهو جهمي أو معتزلي، وبالتالي لا بد أن ننظر في أصل المسألة لماذا حصل هذا الخلاف؟ من حيث اللغة الاسم هو غير المسمى، هناك اسم وهناك مسمى، ولكن إذا قلت: يا محمد. هل تنادي هذا ولَّا تناديني أنا؟ أنت لما تقول: يا محمد. تنادي هذا المكتوب ولَّا تناديني أنا؟

**طالب:** .....

إذن قد يتحد هذا بهذا، المسألة فيها شيءٌ مما يحتاج إلى تفصيل.

الخلاف في الاسم هو المسمى أو غيره في أصله نابع من الخلاف في الصفات.

**وهناك أربعة أقوال معروفة في هذه المسألة:**

من تلك الأقوال الأربعة قول أهل السنة الذي فصَّله المصنف هنا، ولكن لم يذكر هنا التعبير الذي اختاره أهل السنة ليكون معبِّرًا عن المعنى، ويكون أيضًا بعيدًا عما يقوله المبتدعة.

**فلذلك المسألة هذه اختلف فيها الناس، وأبرز الأقوال فيها أربعة:**

❶ **القول الأول هو قول أهل السنة:**

طبعًا أهل السنة أيضًا اختلفوا على خمسة أقوال، ولكن أنا أذكر القول الذي استقر عليه رأيهم: {الاسم للمسمى}.

**أولًا: ماذا يعني {الاسم للمسمى}؟**

أليس الاسم دائمًا يكون ليدل على المسمى؟ إذن الاسم له، الاسم يشير إلى المسمى، الاسم وُضِع للمسمى، الاسم يميز المسمى، وهذه فائدة الاسم، وبهذا التعليل صِرنا أيضًا بعيدين عما عُرِف به المبتدعة.

- (الاسم عين المسمى) هذا مذهب الكلابية.
- (الاسم غير المسمى) هذا مذهب المعتزلة والجهمية، بل هذا شعارهم، وهم يستفيدون ويستغلون اللغة.

وأنا قلت لكم: لولا ما تميزوا به وصار شعارهم لم يكن هناك بأس أن تقول: الاسم غير المسمى، إلا أنه حصل خلاف، وصارت بعض التعبيرات شعارًا لبعض المبتدعة، فاحتجنا إلى تعديل يتمثل فيه بيان الحق، ويكون بعيدًا عن شعارات المبتدعة.

وأنت لما تقول: {الاسم للمسمى} لا يلزمك الشيء من الباطل مع أنه يعبِّر عما يكون له الاسم ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠] هذا مذهب أهل السنة.

❷ **المذهب الثاني: مذهب الجهمية والمعتزلة، (الاسم غير المسمى):**

واستدلوا هنا بدلالة اللغة، فعلًا (الاسم غير المسمى).

**ولكن أنت لما تنادي المسمى وتقول: يا محمد. أنت تقصد الاسم ولَّا تقصد المسمى؟**

**الحضور:** المسمى.

**الشيخ:** طيب، أين هذا الجانب؟ تركوا هذا الجانب، لأن هذا لا يهمهم، هناك خلفية عقدية تضطرهم إلى هذا المذهب (الاسم غير المسمى)؛ لأن الأسماء أسماء الله -عَزَّ وَجَل- عندهم مخلوقة.

**أسماء الله -عَزَّ وَجَل- التي دُوِّنت في القرآن هي مخلوقة، لماذا؟**

لأن القرآن نفسه مخلوق عندهم.

**لماذا القرآن مخلوق؟**

لأن الله -عَزَّ وَجَل- لا يتصف بصفة عندهم، الله -عَزَّ وَجَل- لا يتصف بصفة، لا يتصف بأي صفة، وبالتالي لا يتصف بصفة الكلام، إذن أسماؤه التي وردت في القرآن مخلوقة عندهم.

**لماذا قالوا: (الاسم غير المسمى)؟**

لأن أسماء الله -عَزَّ وَجَل- عندهم غير الله -عَزَّ وَجَل- وهي مخلوقة، وكلمة (غير) سبق التفصيل فيها.

طيب، جئنا إلى الكلابية.

- المعتزلة والجهمية عندهم: (الاسم غير المسمى، وأسماء الله -عَزَّ وَجَل- مخلوقة).
- **عند الكلابية:** (الاسم عين المسمى، وأسماء الله -عَزَّ وَجَل- غير مخلوقة).
- (أسماء الله -عَزَّ وَجَل- غير مخلوقة) هذا مذهب أهل السنة أيضًا (الاسم للمسمى، وأسماء الله -عَزَّ وَجَل- غير مخلوقة)

إذن وجدنا أن الكلابية وفيهم الأشاعرة والماتريدية هم مع أهل السنة في كون أسماء الله غير مخلوقة، ولما قالوا: (أسماء الله -عَزَّ وَجَل- غير مخلوقة) فرحنا بموافقتهم لأهل السنة.

**ولكن تعالوا نحقق وندقق معهم:**

قالوا: أسماء الله -عَزَّ وَجَل- غير مخلوقة بمعنى أن الله -عَزَّ وَجَل- غير مخلوق. هل اختلفنا في هذا؟ هل اختلف فيه أحد؟ هل الله -عَزَّ وَجَل- مخلوق أو غير مخلوق؟ الاختلاف كان في الاسم، وهذا الاسم يدل على المسمى، وأسماء الله -عَزَّ وَجَل- كما سبق في التفصيل الماضي: أسماء الله -عَزَّ وَجَل- إذا نظرت إلى الاسم الذي يدل على المسمى، وأن الاسم له معنى إذا تنظر من ناحية أسماء الله -عَزَّ وَجَل- مترادفة، وإذا تنظر من ناحية أخرى أسماء الله -عَزَّ وَجَل- متباينة، فكل اسمٍ له معنى، من هذا الاعتبار أسماء الله -عَزَّ وَجَل- متباينة، كل اسمٍ له معنى، ولما تنظر إلى علاقتها بالله -عَزَّ وَجَل- وأن

كلها أسماء لمسمًّى واحد وهي الذات المقدسة فهي مترادفة. الكلابية قالوا: (الاسم عين المسمى) فلما نقول: أسماء الله غير مخلوقة، معناه الله -عَزَّ وَجَل- غير مخلوق.

**لماذا اضطروا إلى هذا؟**

لما قيل لهم: أسماء الله -عَزَّ وَجَل- كثيرة، ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[الأعراف:١٨٠] «إِنَّ لِلَّهِ مِئَةً إِلَّا وَاحِدَةً» إن لله أسماء «مِئَةً إِلَّا وَاحِدَةً» إذن أسماء الله -عَزَّ وَجَل- كثيرة، فكيف تفسرون وتبررون قولكم: (أن الاسم عين المسمى) وأن أسماء الله غير مخلوقة بمعنى أن الله -عَزَّ وَجَل- غير مخلوق؟ كيف تفسرون تعدد الأسماء مع أن المسمى واحد؟

قالوا: هذه ليست أسماء، إنما هي تسميات، وفرقٌ بين الاسم والمسمى والتسمية، فرقٌ بين الاسم، أنت ظننت أن الاسم هو الذي يدل على..، لا،لا، الاسم هو المسمى، ليس هناك فرقٌ بين الأمرين، هناك شيء ثالث اسمه التسمية.

طبعًا نحن أمام شيء يغير اللغة، نرجع إلى اللغة ونجد أن هناك ثلاثة أمور: هذا الاسم، والمسمى، وفعل من سماني، الوالد لما سماني محمد، فهذا هو التسمية، هذا فعل، وأنت لما تسميني بهذه التسمية، وهناك فعل المسمي والمسمى والاسم، وهذه ثلاثة أمور، هم هنا كابروا، وهذه المكابرة ترى لا تظنها هي هكذا لا، هو مضطر، هناك سلسلة من الأمور الباطلة لا بد أن يتركها حتى يصحح الخطوة هنا، إذا لم يصحح الخطوة من البداية فهو مضطر لركوب المحالات ولا يهمه، وإلا كيف تجعل الاسم هو المسمى وبينهما فروق في اللغة، وتقول: أن الاسم الذي يعرفه جميع الناس هو الاسم هو تسمية؟!

هنا شيء آخر أيضًا: أنت لما ترجع إلى اللغة، وتجد أن كتابًا من اللغة ألفه بشري، ستجد هناك إقحامًا جديدًا في اللغة، تلاعب باللغة، وهذا الأشعري قد يكتب كتابًا آخر في البلاغة، وقد يكتب كتابًا آخر في النحو وفي الصرف، فنكون أمام ظاهرة لغوية علينا أن نتقبلها مثلما حصل في المجاز، ومثلما حصل في التقييد، نحن أمامنا نظريات صيغت صياغاتٍ معينة، وتسربت إلى اللغة، وتسربت إلى علومٍ أخرى، وعلينا أن نتقبلها كجزء من اللغة، واللغة منها بريئة براءة الذئب من دم يوسف. **هذا مذهب من؟**

**طالب**: الكلابية.

**الشيخ**: الاسم هو المسمى، وأسماء الله -عَزَّ وَجَل- غير مخلوقة؛ بمعنى أن الله -عَزَّ وَجَل- غير مخلوق.

**لماذا قالوا: بمعنى أن الله -عَزَّ وَجَل- هو غير مخلوق، طيب، ما رأيك في الأسماء، أو في التسميات على كلامهم هي مخلوقة عندهم، لماذا؟**

لأنها في القرآن، والقرآن عندهم مخلوق، هذا القرآن المنزَّل عندهم مخلوق؛ لأنه عبارة عن اللفظ، والألفاظ عندهم مخلوقة، والذي هو غير مخلوق هو الكلام النفسي، المعنى هو غير مخلوق، أما الألفاظ فهي عندهم مخلوقة، وبالتالي بما أنها في القرآن، فالقرآن كله مخلوق.

فالكلابي الأشعري الماتريدي لا يمكنه أن يقول: أن أسماء الله -عَزَّ وَجَل- غير مخلوقة لا يمكنه ذلك، وبالتالي يرتكب هذه التي رأيناها.

مذهب أهل السنة، مذهب المعتزلة، ومذهب الكلابية.

❹ **مذهب آخر هو لأهل السنة**: أننا لا نخوض في هذه المسألة، وهذا المذهب هو كما قلت في بعض أهل السنة وهو مذهبٌ قويٌّ جدًّا لولا أن هناك زوبعةً لا بد أن يكون لك موقف منها، فالآن هم اختلفوا الاسم هو المسمى، أو الاسم غير المسمى.

**فما هو موقفك؟**

موقفك أن (الاسم للمسمى) وانتهينا، (الاسم للمسمى) هذا تعبيرٌ دقيقٌ لوظيفة الاسم وحقيقته مع البعد عما وقع فيه أولئك.

وكما قلت لكم في البداية: لولا أن هناك خلفياتٌ عَقَدِية جعلت هذه المذاهب تظهر بهذه الأشكال، لقلنا: الاسم غير المسمى من ناحية، والاسم هو المسمى من ناحية كما ذكر المؤلف هنا وانتهينا.

الاسم هو المسمى عند المناداة، قد يكون الاسم هو المسمى، وقد يكون الاسم غير المسمى وهذا في الأصل(٢٧:٥٧).

يقول المؤلف هنا: (**وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: الِاسْمُ عَيْنُ الْمُسَمَّى أَوْ غَيْرُهُ، وَطَالَمَا غَلِطَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي ذَلِكَ، وَجَهِلُوا الصَّوَابَ فِيهِ**) طبعًا هو قد يكون جهلًا، وقد يكون تجاهلًا بسبب أمور.

(**فَالِاسْمُ يُرَادُ بِهِ الْمُسَمَّى تَارَةً، وَيُرَادُ بِهِ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَيْهِ أُخْرَى، فَإِذَا قُلْتَ: قَالَ اللَّهُ كَذَا، أَوْ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَهَذَا الْمُرَادُ بِهِ الْمُسَمَّى نَفْسُهُ**).

**(قَالَ اللَّهُ كَذَا) ما الذي قال الاسم ولَّا المسمى؟**

**الحضور**: المسمى.

**الشيخ**: **(قال الله)** الاسم هنا يشير إلى المسمى، إذن الاسم المراد به هنا المسمى.

**(وَإِذَا قُلْتَ: اللَّهُ اسْمٌ عَرَبِيٌّ، وَالرَّحْمَنُ اسْمٌ عَرَبِيٌّ، وَالرَّحْمَنُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَالِاسْمُ هُنَا لِلْمُسَمَّى)** أو الاسم هنا غير المسمى.

**(وَلَا يُقَالُ غَيْرُهُ) لماذا؟**

**(لِمَا فِي لَفْظِ الْغَيْرِ مِنَ الْإِجْمَالِ)** حصل خلاف، وحصل تضمين الغير معاني باطلة، والتبس الحق بالباطل، ما صار الغير يدل على المعنى اللغوي البحت **(لِمَا فِي لَفْظِ الْغَيْرِ مِنَ الْإِجْمَالِ، فَإِنْ أُرِيدَ بِالْمُغَايَرَةِ أَنَّ اللَّفْظَ غَيْرُ الْمَعْنَى فَحَقٌّ)** وهذا هو الظاهر، اللفظ غير المعنى؛ لأن اللفظ وهذا اللفظ يدل على معنى، وهناك فرق بين اللفظ والمعنى.

**(وَإِنْ أُرِيدَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ كَانَ وَلَا اسْمَ لَهُ)** كما هو مذهب المعتزلة والجهمية **(حَتَّى خَلَقَ لِنَفْسِهِ أَسْمَاءً، أَوْ حَتَّى سَمَّاهُ خَلْقُهُ بِأَسْمَاءٍ مِنْ صُنْعِهِمْ، فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الضَّلَالِ وَالْإِلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى)**.

**يرجع السؤال: ما هو التعبير الذي يدل على المطلوب ويؤدي المطلوب مع بُعْده عن التلبيس والإجمال؟**

الاسم للمسمى.

**هناك مواقف أخرى لأهل السنة أيضًا:**

⇦ بعضهم قال: الاسم هو المسمى. كما هو مذهب اللالكائي وغيره، ولكنهم يشرحون هذا المذهب بالشرح الذي يمايزه ويُخرجه عن مذهب الكلابية.

ولكن كما قلت: هذا الذي استقر عليه مذهب أهل السنة: (الاسم للمسمى). لأنك إذا قلت: {الاسم عين المسمى} ستتورط مع الكلابية، هذا مذهبهم أيضًا، ما الذي يميزك عنه؟ وما هو الفرق بين كلامك وكلامه، ومذهبك ومذهبه لا بد أن..؟ لا، وإذا قلت: (الاسم غير المسمى) حصل الإجمال مع مذهب المعتزلة والجهمية؛ ولذلك الاسم الذي يدل فعلًا على الحق وهو بعيدٌ عن تلك المحاذير المذهب (الاسم للمسمى)، وهذا منطوق الآية ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠].

طبعًا مذهب الكلابية لهم أدلة على ذلك، ومناقشتها قد يطول، معناه قد ذكرت لكم المذاهب بالإجمال، وهذه المسألة بيَّنها وفصَّل فيها شيخنا الشيخ محمد التميمي في كتابه [معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى] الكتاب في مجلد فصَّل فيه، وذكر الأدلة، وذكر أيضًا فصَّل في خلفيات المذاهب، الخلفيات العقدية للمذاهب.

وبعض الأشاعرة لم يرتضي هذا المذهب؛ لأن فيه ركوبٌ للمحاذير المعروفة، منهم الغزالي الكتاب الذي ألفه في أسماء الله الحسنى [المقصد الأسنى] أظن اسمه، ذكر فيه: أن الاسم غير، والمسمى غير، والتسمية غير، وكذلك الرازي في الكتاب الذي ألفه في أسماء الله الحسنى رد فيه على أصحابه ردودًا قويةً وعنيفة، ولكن المذهب الكلابي عمومًا المذهب الرسمي وعليه جماهيرهم أن الاسم عين المسمى، وأسماء الله غير مخلوقة بمعنى أن الله -عَزَّ وَجَل- غير مخلوق.

**(وَالشَّيْخُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَشَارَ بِقَوْلِهِ: (مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ)** (**الشيخ**) الإمام الطحاوي **(أَشَارَ بِقَوْلِهِ: (مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ) إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ: إِلَى الرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الشِّيعَةِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اللهَ تَعَالَى صَارَ قَادِرًا عَلَى الْفِعْلِ وَالْكَلَامِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَيْهِ)**.

هذه المسألة تابعة لمسألة أخرى وهي مسألة آثار أسماء الله -عَزَّ وَجَل-، وهذه مسائل متداخلة.

**أسماء الله -عَزَّ وَجَل- آثارها هل هي بعد خلق الخلق أو هي مرتبطة بالأسماء؟**

**مثلًا: الله -عَزَّ وَجَل- من أسمائه الخالق، من أسمائه الرازق، من أسمائه الرحيم، من أسمائه الرحمن، هل آثارها تأخرت إلى خلق هذا العالم المنظور أو لا؟**

**عندهم من أسمائه المتكلم، من أوصافه، من صفاته الإرادة، هل توقف أو لم يكن قادرًا على الكلام حتى جاء وقت خلق هذا العالم المنظور؟**

يقول الشيخ: **(مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ)** أسماؤه وصفاته وخاصةً الصفات التي هي صفات أزلية وذاتية هي قديمة قبل خلقه، لا نقول: أن آثارها تأخرت إلى ما بعد خلق هذا العالم المنظور، لا.

طبعًا هذه المسألة أيضًا مرتبطة بالخلاف في مسألة التسلسل وهذا سيأتي، هناك فرق بين فعل الله -عَزَّ وَجَل- وبين مفعولاته، وبين صفات الله -عَزَّ وَجَل- وبين آثار صفاته، المفعولات هي آثار الصفات،

أما الفعل فهذه صفة، الخلق صفة، الله -عَزَّ وَجَل- أزليٌّ بصفاته، وكذلك أزليٌّ بكلامه وإرادته، معناه أنه متصفٌ بهذه الصفات، وليست هناك مدة تخلفت هذه الصفات عن الله، أو لم يكن متصفًا بها.

عندهم (**الله -عَزَّ وَجَل- صَارَ قَادِرًا عَلَى الْفِعْلِ وَالْكَلَامِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَيْهِ؛ لِكَوْنِهِ صَارَ الْفِعْلُ وَالْكَلَامُ مُمْكِنًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُمْتَنِعًا**) **لماذا؟**

للأصل الذي سيذكره المؤلف: (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) لذلك قالوا: لم يكن قادرًا على الفعل والكلام، ثم صار قادرًا على الفعل والكلام؛ يعني الفعل والكلام كان ممتنعًا عليه، ثم صار ممكنًا.

**(وَأَنَّهُ انْقَلَبَ مِنَ الِامْتِنَاعِ الذَّاتِيِّ إِلَى الْإِمْكَانِ الذَّاتِيِّ) لماذا؟**

ما دام أن هناك مدة لم يكن متكلمًا فيها، وهناك مدة لم يكن فاعلًا وخالقًا ورازقًا فيها، لماذا؟

**أولًا لماذا هذه المدة أصلا؟ ثم لماذا لم يكن خالقًا ورازقًا فيها؟**

هم اتفقوا على هذه المدة، أن هناك مدة لم يكن خالقًا فيها، ولم يكن فاعلًا فيها، وأنه امتنع. اتفقوا على هذا، ليس بينهم خلاف في هذا؛ لم نخالفهم فيها، وهذا الخلاف هو مسألة التسلسل التي هم خاضوا فيها.

نحن نخالفهم ونقول: الله -عَزَّ وَجَل- ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، وأنه ليست هناك مدة لم يكن متصفًا بصفةٍ من صفاته، لا لا، لم يزل قادرًا، لم يزل فاعلًا، لم يزل خالقًا.

وعندهم: هناك مدة لم يكن خالقًا فيها، ولا رازقًا فيها، اتفقوا على هذا.

**ولكن لماذا كان قد تخلف عنه الفعل والخلق، لماذا؟**

المعتزلة صريحين عمومًا قالوا: لم يكن قادرًا. وانتهينا. في هذه المدة التي اتفقنا عليها لم يكن قادرًا، ثم صار قادرًا، هم صريحين في مذهبهم، وهذا طبعًا فيه من سوء الأدب والتنقص لله -عَزَّ وَجَل- ما هو واضح لم يكن قادرًا. سبحان الله!

- ⇦ الكلابية قالوا: الفعل كان ممتنعًا.
- ⇦ المعتزلة قالوا: صار قادرًا بعد أن لم يكن قادرًا.
- ⇦ الأشاعرة قالوا: الفعل كان ممتنعًا، ثم صار ممكنًا. نفس الشيء.

**لماذا يمتنع عليَّ هذا الفعل رفع هذا؟ لماذا الفرق بين هذا وبين أن أرفع هذا، لماذا؟**

لأني بفضل الله -عَزَّ وَجَل- وبإقداره أقدر على هذا، ولا أقدر على هذا، هذا يمتنع عليَّ لأنني لا أقدر عليه، وهذا لا يمتنع عليَّ لأني أقدر بإقدار الله -عَزَّ وَجَل-.

فالذي يقول: لم يكن قادرًا، والذي يقول: كان الفعل ممتنعًا. النتيجة واحدة، ولكن الفرق في الصيغة سوء الأدب، هذا صريح وهذا..

**إذن هذه المدة التي اتفقوا عليها أن هناك مدة لم يكن خالقًا ولم يكن فاعلًا اختلفوا في تفسيرها:**

⇦ المعتزلة قالوا: ما كان قادرًا على الأصل، ثم صار قادر.

⇦ الكلابية قالوا: الفعل كان ممتنعًا، ثم صار ممكنًا.

يقول الشيخ هنا: (**وَأَنَّهُ انْقَلَبَ مِنَ الِامْتِنَاعِ الذَّاتِيِّ**) الفعل كان ممتنعًا ذاتيًّا.

**لماذا الامتناع الذاتي؟**

لأن الفعل كان ممتنعًا.

(**إِلَى الْإِمْكَانِ الذَّاتِيِّ**).

(**الْفِعْلَ صَارَ مُمْكِنًا لَهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُمْتَنِعًا**) والنتيجة واحدة.

(**وَأَمَّا الْكَلَامُ عِنْدَهُمْ فَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ وَالْقُدْرَةِ، بَلْ هُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَازِمٌ لِذَاتِهِ**) والله -عَزَّ وَجَل- تكلم مرةً واحدة، وكلامه واحدٌ، وهذا هُم يعبرون عنه بوحدة الكلام.

وطبعًا كما تعرفون هم يعانون من هذا المذهب معاناة غير طبيعية؛ لأن معنى كون كلامهم واحدًا أنه لا فرق بين القرآن، والتوراة، والزبور، وبين الكتب كلها كلام واحد، وأنه لا فرق بين الأمر، والنهي، والخبر، والاستخبار، ليس هناك فرق.

الله -عَزَّ وَجَل- أمر، وهذا قول، نهى، هذا قول، ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى**﴾[الإسراء:٣٢] ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ**﴾ **[هود: ١١٤]** هذا قول، وهذا قول، عندهم قول واحد.

**هذا القول الواحد كيف يكون أمرًا؟ وكيف يكون نهيًا؟ وكيف يكون خبرًا؟ كيف يكون؟**

نحن عندنا نحن -الحمد لله- لا يعنينا هذا الخلاف؛ لأن الله -عَزَّ وَجَل- كما هو مذهب أهل السنة الله -عَزَّ وَجَل- أزليٌّ بصفاته، فهو له صفة الكلام، والكلام باعتبار نوعه قديم، ليست هناك مدة لم يكن الله -عَزَّ وَجَل- قادرًا على الكلام أبدًا، الله -عَزَّ وَجَل- متصفًا بهذه الصفة، ليست هناك مدة

كان الكلام ممتنعًا عن الله -عَزَّ وَجَل-، وكذلك الله -عَزَّ وَجَل- متصفًا بصفة الخلق، ليست هناك مدة كان الخلق ممتنعًا عليه، مع هذا فالله -عَزَّ وَجَل- يخلق بمشيئته وقدرته، ويُكَلِّم بمشيئته وقدرته يكلم من شاء بما شاء متى ما شاء، يأمر بهذا، وينهى عن هذا، يوحي بهذا، ويوحي بهذا، وكلامه بمشيئته وقدرته.

أما عندهم بما أن الكلام واحد، فكيف تعدد إلى هذه..، من يقرأ في أصول الفقه منكم يعرف هذه المعاناة وخاصةً في أصول الفقه؛ لأن أصول الفقه هذا العلم يبحث عن الألفاظ، ودلالة الألفاظ.

وتجد عندهم أيضًا أن الأمر لا صيغة له، والنهي لا صيغة له. هذه الأمور الغريبة تجدونها هناك لأنها مرتبطة بمذاهبهم في علم الكلام، الأمر لا صيغة له (٤١:٤٥)، والنهي لا صيغة له (٤٢:٤٥)، إذا وجدت شيئًا غريبًا في الأصول وفي غير الأصول، فاعلم أن هناك خلفية عقدية جعلته يتعقد ويتمشكل هنا، لا تحاول فهم المسألة هنا، اذهب إلى الأصل، مكرةٌ أخاك لا بطل، وإلا هناك أمور واضحة مثل الفرق بين الاسم والتسمية، هل يخفى هذا على أي عامي؟ لا يخفى، ومع ذلك تجده مع أنه عبقري في اللغة تجده يقول بهذا.

فبالنسبة لأهل السنة ليس هناك إشكال.

أما عندهم (**وَأَمَّا الْكَلَامُ عِنْدَهُمْ فَلَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْمَشِيئَةِ وَالْقُدْرَةِ، بَلْ هُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَازِمٌ لِذَاتِهِ**) لا يمكنه أن يتكلم ويُكلم من شاء بما شاء متى شاء، وبالتالي هذا الواحد سيتعب في تفسيره.

**طيب، لماذا كل هذه المعاناة؟**

يقول المؤلف، يقول الشارح -رَحِمَهُ الله-: (**وَأَصْلُ هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ دَوَامَ الْحَوَادِثِ مُمْتَنِعٌ**).

**لماذا قالوا: أن هناك فترةً، في هذه الفترة لم يكن الله -عَزَّ وَجَل- خالقًا، ولم يكن متكلمًا، ولم يكن، ولم يكن، ولم يكن، لماذا؟ أليس هذا غريب؟**

غريب جدًّا، ومجمعون على هذه الفترة من الجهمية إلى الأشاعرة والمعتزلة. كلهم مجمعون على هذه الفترة، لماذا؟ ثم يختلفون في تفسيره، لماذا؟

يقول المؤلف: (**وَأَصْلُ هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ دَوَامَ الْحَوَادِثِ مُمْتَنِعٌ، وَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِلْحَوَادِثِ مَبْدَأٌ**) الحوادث هذه، المخلوقات هذه هي كلها مخلوقة لله -عَزَّ وَجَل-،

والمتكلمون من الجهمية إلى الأشاعرة كلهم متفقون على هذا، وهذا الذي يميزهم عن الفلاسفة، نظرية الخلق هم واضحون فيها. الجهمية، والمعتزلة، والبقية كلهم يرون أن الله -عَزَّ وَجَل- هو الخالق، وأن هذه المخلوقات مخلوقةٌ لله -عَزَّ وَجَل-.

عندهم أصل وهذا الأصل مرتبطٌ بدليل، **هذا الأصل (امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا)**، الحوادث هذه المخلوقات سلسلة، وهذه السلسة ضاربةٌ في التاريخ إلى أعماق التاريخ ما ندري، قالوا: هذه السلسلة سلسلة المخلوقات لا بد أن تنتهي إلى حد، هذا الحد قبله لا مخلوق، ولا فعل، ولا إرادة، ولا شيء لله -عَزَّ وَجَل-، بعد هذا الحد الذي حددناه هناك فعل، وهناك خلق، وهناك مخلوقات لله -عَزَّ وَجَل-، وهناك إرادة قديمة يسمونها غير منجزة تتعلق أيضًا بهذه، إرادة قديمة، ولكن ليس هناك أي مراد، مضت هناك فترة طويلة قد تكون مليارات السنين والله -عَزَّ وَجَل- لا يخلق، ولا يعمل، ولا يفعل حتى مراداته معلقة لم يحدث شيءٌ منها حتى جاء الوقت الذي صار فيه الفعل ممكنًا. هم اتفقوا أن هناك مدة هذه المدة، هذه الفترة لا ننساها؛ لأن هذه الفترة ستلاحقنا إلى نهاية هذا المبحث(٥٠:٢٥) هناك اتفاق على هذه الفترة.

**لماذا هذه الفترة؟ لماذا أن الحوادث لا أول لها؟**

قالوا: لأن التمييز بين القديم والحادث لا يمكن إلا بهذا، حتى نثبت وجود الله -عَزَّ وَجَل- لا بد أن نقول بهذا.

نكمل إن شاء الله بعد الصلاة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * * * * * * * * *

## ٤٥

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:**

وصلنا إلى دليل المتكلمين لإثبات فترةٍ كان الله -عَزَّ وَجَل- مُعَطَّلًا فيها عن الكلام والفعل والخلق.

**ما هو الدليل؟**

قالوا: (**لأَنَّ دَوَامَ الْحَوَادِثِ مُمْتَنِعٌ، وَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِلْحَوَادِثِ مَبْدَأٌ**).

**ما هو الدليل على هذا؟**

قالوا: (**لِامْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) هذا ذكروه هنا كدليل، مع أن هذه المقدمة هي المقدمة الخامسة في مقدمات دليل الأعراض (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) وهذه المقدمة تحتاج إلى أدلة، وعندهم أدلة كثيرة لإثبات هذه المقدمة، وأقوى تلك الأدلة ما يسمونه (برهان التطبيق)، وسيأتي ذكره هنا عند قول الشارح: (**وَقَدْ أَوْرَدَ أَبُو الْمَعَالِي فِي إِرْشَادِهِ وَغَيْرُهُ مِنَ النُّظَّارِ عَلَى التَّسَلْسُلِ فِي الْمَاضِي.. إلى آخره**).

إذن أولًا (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) هذه مقدمة من مقدمات دليل الأعراض، وهذه المقدمة تحتاج إلى أدلة، وهذه الأدلة تختلف أنظار المتكلمين أنفسهم في قوتها وضعفها، هم متفقون على هذ المقدمة (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) متفقون عليها، كما اتفقوا على الفترة هذه اتفقوا عليها.

**طيب، ما هو الدليل؟**

ذكروا أدلة، تلك الأدلة بعضهم يذكرونها ويسكت ويبلعها، وبعضهم يذكرها ويناقشها، ممن ذكَرها وناقشها وأبطلها الرازي، وكذلك الآمدي ذكرها وناقشها وشكك في قوتها، إذن هي مقدمة تحتاج إلى أدلة، والأدلة هذه عندك ليست مسلمة عندك، نحن عندنا كلها خرافة، سلسلة من الخرافات لا نحتاج إليها، نحن نتحدث عن موقفهم. هذه مقدمة بحاجة إلى أدلة، ورأيك في هذه الأدلة متضارب، متناقض، حتى إن بعضهم له رأيان في هذه المسألة، أحيانًا يعتمدها وأحيانًا يُضعفها، وبعضهم يتمنى أن تثبت، مع أنه يرى أن الأدلة لا تنهض بإثبات هذه ال...

إذن هذه المقدمة تحتاج إلى أدلة، وأقوى الأدلة عندهم (**برهان التطبيق**) الذي قالوا عنه أنه أصل علم الكلام، مع هذا (**برهان التطبيق**) كما سنذكره بإذن الله ليست هناك أدلة مسلَّمة لإثبات هذا البرهان، البرهان مشكوكٌ فيه، فكيف بالمقدمة؟! هذا أولًا؛ يعني هذه المقدمة تحتاج إلى أدلة، فكيف تستدلوا بها؟!

هم حاول المتكلمين وهذا كثير عندهم، أحيانًا يقولون بنظرية معينة، ويأتون عليها بأدلة، وهذه الأدلة يختلفون فيها، أو يتفقون عليها، المهم هذه الأدلة لإثبات هذه النظرية، هذه الأدلة أحيانًا يجعلونها

مسلمات أصول حتى يستدلوا بها على أمور، هي تحتاج إلى أدلة، هنا أيضًا (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**). هذه مقدمة تحتاج إلى أدلة، وكلهم يذكرون لها الأدلة، ممن استدل بها وأتى بها أصلًا الغزالي في موضع من المواضع استدل بها بدل أن يستدل لها، ففرق بين الأمرين.

طيب، هي مقدمة خامسة كما قلت: من مقدمات دليل الأعراض، وذلك الدليل الذي يسمونه دليل الأعراض، ودليل حدوث الأجسام، ودليل الأجسام، ودليل حدوث الأجسام والأعراض، وهو أصل علم الكلام، حتى (**برهان التطبيق**) قالوا عنه أنه أصل علم الكلام، أما هذا فهو أصل علم اتفاقًا {دليل حدوث الأجسام}؛ لأن هذا الدليل هو المعول عليه عند جماهيرهم لإثبات وجود الله -عَزَّ وَجَل-.

إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَل- أليس مهمًّا؟ إذن الدليل الذي يقول بهذا الواجب يكون عندهم، أليس كذلك؟ إذا افترضت ولو لدقيقة عدم وجود هذا الدليل، فستُحرم من إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَل-، وبالتالي هذا الدليل مع مقدماته سيكون أصلًا لكثير من الضلالات، هذا الدليل مع مقدماته وتوابعه ولواقحه ومستلزماته سيكون أصلًا، **لماذا؟** لا بد أن تقول به حتى تثبت وجود الله -عَزَّ وَجَل-.

**كيف تثبت وجود الله -عَزَّ وَجَل- وتثبت أنه قديم؟**

قالوا: بهذا الدليل، قالوا: أولًا: لا بد أن تثبت الأعراض، تثبت أن هناك أعراضًا.

**مثلًا**: دليل الحدوث إذا صيغ بصيغة سهلة، بل صيغة شرعية، نقول: هذه الحوادث تدل على أن لها مُحدِث، والمحدِث هو الله -عَزَّ وَجَل- **لماذا؟**

لأن هذه الحوادث سلسلة من الحوادث، لا يمكن أن تكون سلسلة محدثة لسلسلة أخرى، فإذن كلها بأسرها تحتاج إلى محدِث، والمحدث هو الله -عَزَّ وَجَل-.

ما أسأله وهذا هو أسلوب (٩:١٥) عند هؤلاء، هذه الأدلة بهذا الشكل هي للعوام أم للمحدثين كتبة الحديث (٩:٢٤)، أم يحتاجون إلى أدلة وبراهين؟

أولًا: لا بد أن تثبت الأعراض، ما هي الأعراض؟

- أشهر الأعراض الحركة، والسكون، والاجتماع والافتراق. لا بد أن تثبتها، أثبتناها بالأدلة.

– ثم لا بد أن تثبت أن الأعراض حادثة؛ لأنها تتعاقبها هذه الحوادث حركة ثم سكون، اجتماع ثم افتراق والعكس أثبتنا الأعراض، وأثبتنا الحدوث.

– في المرحلة الثالثة لا بد أن تثبت أن الجواهر كلها لا تنفك عن هذه الأعراض، والأعراض قلنا: حادثة، الجواهر لا تنفك عنها، وما لا يسبق الحوادث، أو ما لا يخلو عن الحوادث فهو عارض. إلى هنا انتهى دليل الأعراض.

إذن العوالم هذه كلها حادثة، وهي بحاجة إلى محدِث، والمحدِث هو الله –عَزَّ وَجَل–. هذا طبيعي وليس هناك خلاف، ولذلك لا يخوضون فيه كثيرًا، ما دام ثبت أن العالم حادِث، ورددنا على الفلاسفة الذين يقولون بقِدَم العالم، وما دام ثبت أن العالم حادث، إذن العالم بحوادثه، وبمخلوقاته يحتاج إلى محدِث، والمحدِث هو الله –عَزَّ وَجَل–.

**ورد هناك اعتراض عليهم**: وهذا الاعتراض مؤداه أنك أثبت الأعراض، أثبت حدوثها، أثبت عدم انفكاك الجواهر من هذه الأعراض، وقلت: ما لا يخلو عن الحوادث، أو ما لا يسبقها فهو حادث، قد تكون هناك حوادث قديمة لا يشملها هذا الدليل، هذا الدليل هو لشريحةٍ كبيرةٍ من المخلوقات، ولكن ليس لكل المخلوقات، قد تكون هناك عوالم ومخلوقات تسبق هذه السلسلة، وبالتالي أنت بحاجة إلى أن تثبت حدوثها حتى تكون بحاجةٍ إلى محدِث.

قالوا: عندنا أصل آخر: (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) السلسلة هنا تنتهي، بهذه المقدمة أغلقنا السلسلة، هذه المقدمة احتجنا إليها لنغلق هذه السلسلة، وحتى لا تقول لي: قد تكون هناك عوالم، قد تكون هناك مخلوقات، قد قد قد، قلت لك: السلسلة انتهت هنا.

**طيب، الله –عَزَّ وَجَل– قبل هذه السلسلة ما وضعه؟**

ما كان يخلق، ما كان يتكلم، حتى مراداته القديمة هي تنتظر هذه السلسلة؛ ولذلك يقولون: مرادات غير موجدة، هذا في الأزل، ولكن مراداته معلقة. بهذا جاؤوا بهذا الدين الجديد.

**قلنا لهم: طيب، أنت الآن قلت في المقدمة الخامسة (امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا) ما دليلك على هذا لأن هذه المقدمة تأتي على أصول كثيرةٍ من أصول الإسلام؟ ما هو دليلك؟**

قالوا: إن الأدلة كثيرة من أبرزها وأقواها (**برهان التطبيق**)، وسيأتي الحديث عنه بإذن الله.

**أولًا**: عرفنا أن هذه المقدمة التي استدلوا بها هي بحاجة إلى أدلة، والأدلة على قولهم ضعيفة، إذا كان الرازي يشكك فيها، بل يضعفها، أمثال الآمدي، فهذا يدل على أن الدليل ليس متفقًا عليه عندهم، وبما أن هذا الدليل هو الذي سيرقِّع هذه السلسلة كلها، وبالتالي هم بحاجة إلى دليل، وعلى كلامهم برهان قاطع ليحسم المسألة هنا.

أولًا: نحن فهمنا هذه المقدمة لماذا جاء بهذه المقدمة؟ وما هي دور هذه المقدمة؟ وما هي أدلة هذه المقدمة؟ هذه المقدمة لها دور محوري في قضية التسلسل من البداية إلى النهاية.

(**لِامْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) هذا دليل (**فَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الْبَارِي –عَزَّ وَجَلَّ–**).

**بهذا الدليل بدليل الأعراض أثبتوا أمرين:**

⇦ الأمر الأول: حدوث العالم.

⇦ والأمر الثاني: قِدَم الله –عَزَّ وَجَل– وأنه هو الخالق.

(**فَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ الْبَارِي –عَزَّ وَجَلَّ– لَمْ يَزَلْ فَاعِلًا ولم يزل مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَتِهِ**).

**هذا ممنوع يمتنع، لماذا؟**

لأن القول: (**بأن الله –عَزَّ وَجَل– لَمْ يَزَلْ فَاعِلًا ولم يزل مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَتِهِ**) يُخرِّب علينا السلسلة كلها، فلا بد من هذه الفترة، ولا بد من غلق السلسلة هنا.

(**بَلْ يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ عَلَى الْمُمْتَنِعِ مُمْتَنِعَةٌ**).

القول: بأن الله –عَزَّ وَجَل– لم يكن قادرًا على الشيء لدقيقة مثلًا هذا كُفر، لولا الإعذار بالجهل لوقع هذا الجاهل في الكفر الذي لا شك فيه، ولكنه الجهل القول: بأن الله –عَزَّ وَجَل– لم يكن قادرًا على شيء لدقيقة واحدة، فكيف بهذه الفترة؟!

إذا قلنا: هذه الفترة عبارة عن مليارات السنين، أقل، هذه الفترة عبارة عن أمدٍ لا نتصوره، مليار في مليار، لا أبدًا، الله –عَزَّ وَجَل– كان معطل عن العمل(١٦:١٧)، والمتكلمون لا يفكرون في هذا الذي يؤدي إليه مذهبهم، همهم أن يتكلموا في ابن تيمية أنه يقول بقِدَم العالم، طيب، أنت تقول بماذا؟ أنت الآن تقول: بأن الله –عَزَّ وَجَل– عاجز. هذا يمر عليك —ما شاء الله– بردًا وسلامًا، يهمك كلام ابن تيمية الذي يقول بالتسلسل. هكذا المتكلمون.

يقول المؤلف هنا: (**وَهَذَا فَاسِدٌ؛ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِ حُدُوثِ الْعَالَمِ وَهُوَ حَادِثٌ**) أنت الآن جئت بهذه السلسلة كلها لتبين أن العالم حادث، أليس كذلك؟ يقول المؤلف: هذه السلسلة تدل على أن العالم ليس حادثًا، وهو حادث عندي وعندك، لا نشك في هذا. **لماذا؟**

(**الْحَادِثُ إِذَا حَدَثَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُحْدَثًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُمْكِنًا**) ما دام أنه حادث من الطبيعي أن يكون ممكنًا، لو كان ممتنعًا لم يحدث -انتبهوا!- لو كان ممتنعًا لن يحدث، لو كانت هناك فترة هو فيها ممتنع لن يحدث، وأن هناك فترة هو ممتنعٌ فيها، لم يحدث إلا لأنه ممكنًا.

(**وَالْإِمْكَانُ لَيْسَ لَهُ وَقْتٌ مَحْدُودٌ**).

- الخطوة الأولى أن الوقوع كان ممكنًا.
- الخطوة الثانية: هذا الإمكان ليس له وقت محدد.

أنت الآن عندك هنا، أنت حددت، فنحن نتحدث عن هذا الحد، ما دام هو ممكن؛ لذلك حدث، لو كان ممتنعًا ما حدث، ما دام حدث فهو ممكن.

ثانيًا: الإمكان ترى ليس له وقت حتى تأتي وتحدد الوقت، لا.

(**وَالْإِمْكَانُ لَيْسَ لَهُ وَقْتٌ مَحْدُودٌ، وَمَا مِنْ وَقْتٍ يُقَدَّرُ إِلَّا وَالْإِمْكَانُ ثَابِتٌ فِيهِ**).

أنت تقول: هذا الممكن الله -عَزَّ وَجَل- فعله هنا في هذا الوقت، أسألك هل كان ممكنًا قبله؟ قلت: نعم، طيب، قبله؟ قلت: نعم، طيب، قبله؟ قلت: نعم.

جئت إلى الخلق، قبله؟ قلت: لا. لماذا لا؟ لأنه هنا صار ممتنعًا، هو هذا، نحن نتحدث عن هذا: كان ممكنًا، كان ممكنًا، كان ممكنًا، ثم وفي مرحلة ما كان ممتنعًا.

(**وَمَا مِنْ وَقْتٍ يُقَدَّرُ إِلَّا وَالْإِمْكَانُ ثَابِتٌ فِيهِ، فَلَيْسَ لِإِمْكَانِ الْفِعْلِ وَجَوَازِهِ وَصِحَّتِهِ مَبْدَأٌ يَنْتَهِي إِلَيْهِ**) هذا هو الحق، ما دام ممكن هو ممكن في جميع الأوقات.

(**فَيَجِبُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الْفِعْلُ مُمْكِنًا جَائِزًا صَحِيحًا**) **لمن؟ ممكنًا لمن؟**

لله -عَزَّ وَجَل-.

(**فَيَجِبُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الْفِعْلُ مُمْكِنًا جَائِزًا صَحِيحًا، فَيَلْزَمُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الرَّبُّ قَادِرًا عَلَيْهِ**) في هذه القضية قضية التسلسل المهم فيها إثبات هذه القضية: أن الرب لم يزل قادرًا عليه، مهما أطلنا فيها وقصرنا فيها، ذهبنا يمين شمال، الخلاصة فيها إثبات أن الله -عَزَّ وَجَل- لم يزل قادرًا على الفعل.

إذن، أولًا: لم يزل الفعل ممكنًا لله -عَزَّ وَجَل- وجائزًا وصحيحًا، وبالتالي لم يزل الرب قادرًا عليه. إلى هنا الأمر واضح وطبيعي، والعبارات واضحة وليس فيها إشكال، ولكن النهاية (**فَيَلْزَمُ جَوَازُ حَوَادِثَ لَا نِهَايَةَ لِأَوَّلِهَا**) هذه الجملة هي التي قد لا يفهمها بعض الناس، فالذي فهمها جيد، والذي لم يفهمها ليست مهمة هذه، الجملة الأخيرة - ركزوا معي!- الجملة الأخيرة ليست مهمة، هي مهمة لبيان الحق لمن فَهِم، من لم يستطيع أن يفهمها فالمهم أن تعتقد أن الفعل لم يزل ممكنًا لله -عَزَّ وَجَل- ، وصحيحًا وجائزًا، وأن الله -عَزَّ وَجَل- لم يزل قادرًا على هذا الفعل وغيره، هذا هو المهم.

(**فَيَلْزَمُ جَوَازُ حَوَادِثَ لَا نِهَايَةَ لَهَا**) ما دام أنت حددت هنا ممكن، ممكن، ممكن، ولما جئت هنا قلت: ممتنع. أنا أقول لك: حتى هنا ممكن.

طيب، تقول لي: أُنزِّل السلسلة إلى هنا، أقول لك: لا، قبله أيضًا، أتنزَّل معك وأأتي إلى هنا، أقول لك: لا، قبله أيضًا، وهذه السلسلة لا تنتهي.

**لماذا لا تنتهي؟**

لأن الله -عَزَّ وَجَل- متصفٌ بصفة الخلق أزلًا.

**تدري ما هو الأزل؟**

**طالب:** يعني لا أول له.

**الشيخ: تدري ما هو الأزل؟**

لا يمكنك أن تغلق هذه السلسلة، وهو لجهله يريد أن يغلق حتى يرد على الفلاسفة، ولجهله لا يرد على الفلاسفة إلا بجهل آخر؛ لأنه يظن أنه ما لم يُغلق هذه السلسلة لا يمكنه أن يثبت حدوث العالم، وبالتالي سيقع فيما وقع فيه الفلاسفة من قِدَم العالم، وحتى يفتك من شبهة الفلاسفة ومن قول الفلاسفة يجعل الرب -عَزَّ وَجَل- عاجزًا وغير قادرٍ في فترةٍ لا نعلم مداها. هذا كله هين عندهم.

أنتم لو تقارنون بين ردود الأشاعرة المعتزلة الذين يصرحون بأن الله -عَزَّ وَجَل- لم يكن قادرًا، وكما قلت لكم: حتى كلامهم يؤدي إليه، ولكن لا يصرحون بهذا، وبين ردودهم على ابن تيمية وغيره، الذين يدافعون وينافحون عن هذه القضية: أن الله -عَزَّ وَجَل- لم يزل قادرًا على الفعل، لا مقارنة، ابن تيمية كافر، والعلاف والنظَّام عندك..؟! مما يدل على..، هم يقولون: نحن بحاجة إلى علم الكلام حتى نرد على المنحرفين، قد..، ما أدري قد أيش؟ ترد على ماذا أنت؟! أنت بحاجة إلى أن تتعلم، بحاجة إلى

أن تستلم للوحي أولًا، بحاجة إلى أن تترك هذا العلم بأصوله وفروعه حتى يسلم لك الوحي كاملًا، أنت سترد على من؟ سترد هكذا، ترد على الفلاسفة بترك كثيرٍ من الحق وبالتزام كثير من الباطل.

**كما قلت لكم: المهم في موضوع التسلسل في الماضي**: إثبات أن الله -عَزَّ وَجَل- أَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الْفِعْلُ مُمْكِنًا له جَائِزًا صَحِيحًا، وأن الرب سبحانه لَمْ يَزَلِ قَادِرًا عَلَيْهِ، وأنه لم تمضي فترة عليه وهو عاجزٌ عن الفعل.

وأنا قلت لكم: (**فَيَلْزَمُ جَوَازُ حَوَادِثَ لَا نِهَايَةَ لأولها**) هذه جملة إن لم نفهمها، فهي ليست مهمة، هذه، وقضية التسلسل هذه، هذه جئنا بها وجاء بها أسلافنا لكسر السلسلة كلها؛ لأنه في مراحله سيقول: إذن هذا يستلزم التسلسل (٢٧:٨) إذن هذا فيه خروجٌ عن الأصل، امتناع..، خروج، أيش فيها؟ وإلا نحن لسنا بحاجة إلى حوادث لا أول لها، ولا نهاية، لسنا بحاجة إلى هذه الأدلة لا تأصيلًا، ولا تقعيدًا، لسنا بحاجة إليها، إنما نخوض في مثل هذه الأمور، وخاض فيها أئمتنا حتى نرد عليهم.

(**قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ**) نَحْنُ في هذه السلسلة عندنا أمران. طبعًا من هنا (**قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ**) من هنا إلى قوله (**فَالْحَاصِل**) ما لم تركزوا لا أقول: لا تفهمون، لا أفهم أنا؛ لأني ما كنت أفهم هذا إلا بصعوبة فخليكم معي.

**نحن عندنا أمران هنا:**

❶ **الأمر الأول**: هو تحديد السلسلة. هذه نهاية السلسلة.

❷ **والأمر الثاني**: وهو جوهر المسألة، نحن قلنا: أولًا: قالوا: السلسلة هنا تنتهي، ومن هنا، (**قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ**) من هنا إلى قوله: (**فَالحَاصِل**) هناك تنازل في أمرٍ من الأمور.

**نحن قلنا: عندهم أمران:**

➢ **الأمر الأول**: تحديد السلسلة.

➢ **والأمر الثاني**: قضية الفترة هذه؛ أن هناك فترةً كان الله -عَزَّ وَجَل- فيها عاجزًا عن الفعل، أو كان الفعل ممتنعًا عليه.

**قضيتان.**

➢ الأمر الأول: تحديد هذه السلسلة هنا.

➢ والأمر الثاني: إثبات هذه الفترة، وأن الله -عَزَّ وَجَل- لم يكن قادرًا على الفعل في فترة من الفترات.

الجهمية هنا نجد عندهم تنازلًا، يقولون: طيب، نحن معكم، الإمكان نحن أغلقناه هنا، طيب، نأتي به إلى هنا، ما تُسَلِّم نأتي به إلى هنا، ما تُسَلِّم نأتي به إلى هنا، ولكن الفترة لا بد أن تقول بها.

(**قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ وَمَنْ وَافَقَهُمْ: نَحْنُ لَا نُسَلِّمُ أَنَّ إِمْكَانَ الْحَوَادِثِ لَا بِدَايَةَ لَهُ**).

(**نَحْنُ لَا نُسَلِّمُ أَنَّ إِمْكَانَ الْحَوَادِثِ لَا بِدَايَةَ لَهُ**) **بل له بداية، لماذا؟**

(**لِامْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) على الدليل الذي ذكرناه.

(**لَكِنْ نَقُولُ**) هنا الجديد (**لَكِنْ نَقُولُ: إِمْكَانُ الْحَوَادِثِ بِشَرْطِ كَوْنِهَا مَسْبُوقَةً بِالْعَدَمِ لَا بِدَايَةَ لَهُ**) هذا الآن جديد (**إِمْكَانُ الْحَوَادِثِ بِشَرْطِ كَوْنِهَا مَسْبُوقَةً بِالْعَدَمِ لَا بِدَايَةَ لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَوَادِثَ عِنْدَنَا تَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ قَدِيمَةَ النَّوْعِ، بَلْ يَجِبُ حُدُوثُ نَوْعِهَا وَيَمْتَنِعُ قِدَمُ نَوْعِهَا، لَكِنْ لَا يَجِبُ الْحُدُوثُ فِي وَقْتٍ بِعَيْنِهِ، فَإِمْكَانُ الْحَوَادِثِ بِشَرْطِ كَوْنِهَا مَسْبُوقَةً بِالْعَدَمِ لَا أَوَّلَ لَهُ، بِخِلَافِ جِنْسِ الْحَوَادِثِ**) نكتب هنا (**فله بداية**).

**خلاصة هذه الفقرة**: أنت تقول: أن الإمكان ليس له وقتٌ محدد. أنا معك في هذا، الإمكان أنت تقول: ليس له وقتٌ محدد. أنا معك في هذا، ولكن لا بد أن تسلم معي أنها مسبوقةٌ بالعدم. جميل هذا؛ ولذلك هذا لم نفهمه إلا بعد ذكر الدليل، بعد ذكر (**فيقال لهم**) وإلا جميع الحوادث كما سيذكر الشيخ هذا نقلًا عن شيخ الإسلام (**وَلَا شَكَّ أَنَّ جُمْهُورَ الْعَالَمِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ يَقُولُونَ: إِنَّ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى مَخْلُوقٌ كَائِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَهَذَا قَوْلُ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ**).

الحوادث كل حادثٍ مسبوقٌ بالعدم، أنت الآن تقول: الحوادث طبعًا لا يجب الحدوث في وقتٍ بعينه، إمكان الحوادث لا بداية له بشرط كونها مسبوقةً بالعدم.

يقول شيخ الإسلام: (**فَيُقَالُ لَهُمْ: هَبْ أَنَّكُمْ تَقُولُونَ ذَلِكَ، لَكِنْ يُقَالُ: إِمْكَانُ جِنْسِ الْحَوَادِثِ عِنْدَكُمْ لَهُ بِدَايَةٌ**) عندكم هناك فترة، هذه الفترة التي لا يمكن أن يحصل الفعل فيها، يمتنع الفعل فيها على اختلاف أقوالكم، لا يمكن أن تجمعوا بين قولكم الجديد، وقولكم الجديد، إما أن تتنازلوا عن ذلك فيصح لكم هذا، الإمكان ليس له وقتٌ محدد، إنما يستمر إلا ما لا نهاية له، كما نقول نحن، أو

تتمسكون بكلامكم بأن هناك فترة لم يكن الله -عَزَّ وَجَل- قادرًا على الفعل فيها، أو كان الفعل ممتنعًا فيها، وبالتالي كلامكم هذا لا ينسجم مع هذا. كيف تقولون؟ كلامكم مع ما تقولون: أن هناك فترة لم يكن الله -عَزَّ وَجَل- فاعلًا وخالقًا فيها. هذا لا يجتمع مع هذا.

**(لَكِنْ يُقَالُ: إِمْكَانُ جِنْسِ الْحَوَادِثِ عِنْدَكُمْ لَهُ بِدَايَةٌ)** إذن ما ذكرتموه من إمكان الحوادث بشرط كونها مسبوقةً بالعدم لا بداية له. هذا لا يستقيم مع قولكم: إن إمكان الحوادث له بداية؛ لأن هذا يدل على كونه ممتنعًا قبله.

**طالب:** .....

**الشيخ:** طيب، نقرأ قليلًا. ونرجع.

**(فَإِنَّهُ صَارَ جِنْسُ الْحُدُوثِ عِنْدَكُمْ مُمْكِنًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا).**

**أنا قلت: أن هناك أمران:**

- الأمر الأول: أن هناك فترة في هذه الفترة الفعل ممتنعٌ على الله -عَزَّ وَجَل-، متى تبدأ هذه الفترة هنا؟ قبلها أو بعدها الفعل ممكن، وقبلها الفعل لا يمكن. هذا أولًا.
- ثانيًا: هذا التحديد نحن لنا ردٌّ عليهم في التحديد، ولنا ردٌّ عليهم في الأصل أصلًا، هم الآن تنازلوا وقالوا: نحن معكم في عدم التحديد، ما دام هو ممكن، فهو ممكن هنا، وهنا، وهنا، بشرط كونه مسبوقًا بالعدم، هو يقصد بالعدم أن هناك فترة لا يمكنه أن يكون أصلًا، هو يقصد بالعدم، نحن نقصد بالعدم أنه ما دام ممكن هو لم يكن موجودًا فوُجِد. هذا هو العدم عندنا، وعندهم: هناك فترة لم يكن موجودًا، ليس هذا فقط، كان ممتنعًا أصلًا.

**(فَإِنَّهُ صَارَ جِنْسُ الْحُدُوثِ عِنْدَكُمْ مُمْكِنًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا)** الفترة هذه لا يمكن أن يكون هناك فعل، هل فعله ممتنع، أم أن الله -عَزَّ وَجَل- غير قادر على كلامهم؟ فكان ممتنعًا، جنس الحوادث كانت ممتنعةً فانقلبت إلى الإمكان بعد أن كانت ممتنعة.

**(وَلَيْسَ لِهَذَا الْإِمْكَانِ وَقْتٌ مُعَيَّنٌ، بَلْ مَا مِنْ وَقْتٍ يُفْرَضُ إِلَّا وَالْإِمْكَانُ ثَابِتٌ قَبْلَهُ، فَيَلْزَمُ دَوَامُ الْإِمْكَانِ).**

**دوام الإمكان لمن؟**

لله -عَزَّ وَجَل-، دوام الإمكان للفعل وللفاعل، ما دام أن هذا ممكنٌ دائمًا، فالله -عَزَّ وَجَل- قادرٌ عليه دائمًا، وعندهم: الله -عَزَّ وَجَل- قادر على هذا بعد هذه الفترة، قبل هذه الفترة ليس قادرًا على الفعل.

**طالب: (٣٧:٢١) أيش مقصودهم بهذا الوصف لله -عَزَّ وَجَل- (٣٧:٢٤) يعني مما ينزهون الله -عَزَّ وَجَل-؟**

**الشيخ:** مقصودهم الرد على الفلاسفة كما قلت، والرد على الفلاسفة يكون بالدليل كله بمقدماته الخمسة، وبالتالي كل محالٍ ارْتُكِب لأجل هذا الدليل والمقدمات عندهم له مسوغ، وإلا -أنت يبدو جئت متأخرًا- وإلا نحن لسنا بحاجة إلى هذا الدليل أصلًا.

سنأتي إلى برهان التطبيق، وهو من الصعب أن نفهمه، يقول الرازي فيه بعد أن كتب: (أن هذا الذي تحصل لي بعد تفكير أربعين سنة) ماذا؟ دليلٌ مقدمة من مقدماته كلف الرازي هذه الفترة، هل نحتاج إليه في إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَل-؟ ما نحتاج، لا، السلسلة هذه كلها سلسلة عندنا في أقل الأحوال ما نحتاج إليها، ولكنه علم الكلام لتكون عقيدتنا -أيش يقولون؟- لتكون العقيدة راسخة وكذا كذا نحتاج إلى مثل هذه الخرافات.

يهمنا أن نفهم هنا.

**(فَيَلْزَمُ دَوَامُ الْإِمْكَانِ، وَإِلَّا لَزِمَ انْقِلَابُ الْجِنْسِ مِنَ الِامْتِنَاعِ إِلَى الْإِمْكَانِ).**

أرجع وأقول: هذا الفعل في الفترة هذه ممتنع، ونفس الفعل في الفترة هذه ممكن، انقلب من كونه ممتنعًا إلى كونه ممكنًا.

**(وَمَعْلُومٌ أَنَّ انْقِلَابَ حَقِيقَةِ جِنْسِ الْحُدُوثِ أَوْ جِنْسِ الْحَوَادِثِ، أَوْ جِنْسِ الْفِعْلِ، أَوْ جِنْسِ الْأَحْدَاثِ، أو مَا أَشْبَهَ هَذَا مِنَ الْعِبَارَاتِ مِنَ الِامْتِنَاعِ إِلَى الْإِمْكَانِ، هُوَ يُصَيِّرُ ذَلِكَ مُمْكِنًا جَائِزًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُمْتَنِعًا مِنْ غَيْرِ سَبَبِ تَجَدّد).**

نحن نقول لهم: نحن معكم للحظات، ولكن أعطونا دليل لماذا كان ممتنعًا ثم صار ممكنًا؟ ما هو السبب الذي..؟ حتى هذا إذا هضمنا (٤٠:٢٢) قلنا: امتنع خلاص، امتنع ثم صار ممكنًا، تحول من هذا إلى هنا، طيب ما السبب؟

**(بَعْدَ أَنْ كَانَ مُمْتَنِعًا مِنْ غَيْرِ سَبَبِ تَجَدّد، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ فِي صَرِيحِ الْعَقْلِ) ما هو السبب؟**

طبعًا هم سيذكرون السبب، وسنعرف أنه أيضًا ما شاء الله قوي مثلما نرى هذا..

**(وَهُوَ أَيْضًا انْقِلَابُ الْجِنْسِ مِنَ الِامْتِنَاعِ الذَّاتِيِّ إِلَى الْإِمْكَانِ الذَّاتِيِّ؛ فَإِنَّ ذَاتَ جِنْسِ الْحَوَادِثِ عِنْدَهُمْ تَصِيرُ مُمْكِنَةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُمْتَنِعَةً).**

نحن لا نتحدث عن حادثٍ معين، نحن نتحدث عن سلسلة الحوادث كلها، سلسلة الحوادث كلها عندهم انقلب من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي، **(فَإِنَّ ذَاتَ جِنْسِ الْحَوَادِثِ عِنْدَهُمْ تَصِيرُ مُمْكِنَةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مُمْتَنِعَةً، وَهَذَا الِانْقِلَابُ)** الانقلاب من الامتناع إلى الإمكان **(لَا يَخْتَصُّ بِوَقْتٍ مُعَيَّنٍ)** هم يقولون: إلى هنا كان ممتنعًا ثم صار ممكنًا. أقول لهم: لا أسلم لك هذا، من الذي حدد لك الامتناع إلى هنا، ثم أقول: لا، **(فَهَذَا الِانْقِلَابُ لَا يَخْتَصُّ بِوَقْتٍ مُعَيَّنٍ فَإِنَّهُ مَا مِنْ وَقْتٍ يُقَدَّرُ إِلَّا وَالْإِمْكَانُ ثَابِتٌ قَبْلَهُ).**

الإمكان ثابت، الإمكان ثابت، الإمكان ثابت، الإمكان ثابت **(فَيَلْزَمُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ هَذَا الِانْقِلَابُ مُمْكِنًا)** الانقلاب من الامتناع إلى الإمكان، نحن الآن في انقلاب (٤٢:٣٤) **(فَيَلْزَمُ أَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الْمُمْتَنِعُ مُمْكِنًا)** واضح.

**طالب:** سلسلة.

**الشيخ:** سلسلة، هذا كان ممتنعًا، ثم صار ممكنًا، هذا الانقلاب لا يختص بوقتٍ معين، إذا افترضته هنا، يمكن افتراضه هنا، يمكن افتراضه هنا، يمكن افتراضه هنا، إذن **(لَمْ يَزَلِ الْمُمْتَنِعُ مُمْكِنًا)** لو كان محددًا، لو قلنا مثلًا: في هذه النقطة يمكن هذا الانقلاب، لكان أهون، هذا لا، يفتح هذا الانقلاب من الامتناع إلى الإمكان مفتوح ليس له وقت محدد.

**(وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الِامْتِنَاعِ مِنْ قَوْلِنَا: لَمْ يَزَلِ الْحَادِثُ مُمْكِنًا)** نحن ماذا قلنا حتى ثارت ثائرتكم؟ نحن قلنا: أن الحادث لم يزل ممكنًا. هذه سلسلة المحدثات أو غيرها الحادث لم يزل ممكنًا، والله -عَزَّ وَجَل- لم يزل قادرًا عليه، وهذا الذي قلنا، وقلتم: هذا بعيد عقلًا، فجئتم بهذه السلسلة من ال...

**(فَقَدْ لَزِمَهُمْ فِيمَا فَرُّوا إِلَيْهِ أَبْلَغ مِمَّا لَزِمَهُمْ فِيمَا فَرُّوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُعْقَلُ كَوْنُ الْحَادِثِ مُمْكِنًا)** هذا أولًا **(وَيُعْقَلُ أَنَّ هَذَا الْإِمْكَانَ لَمْ يَزَلْ)** يُعْقَل **(وَأَمَّا كَوْنُ الْمُمْتَنِعِ مُمْكِنًا)** هذا ممتنع هنا، ثم صار ممكنًا **(فَهُوَ مُمْتَنِعٌ فِي نَفْسِهِ، فَكَيْفَ إِذَا قِيلَ: لَمْ يَزَلْ إِمْكَانُ هَذَا الْمُمْتَنِعِ؟!).**

**هناك أمران:**

- كان ممتنعًا ثم صار ممكنًا.

- وأن هذا (٤٤:٥٢) الإمكان صار انقلاب، وأن هذا مستمر، هذا الانقلاب من الامتناع إلى الإمكان مستمر، لو كان محصورًا في نقطة لكان ممتنعًا، فكيف إذا فُتِح؟!

(**فَالْحَاصِلُ: أَنَّ نَوْعَ الْحَوَادِثِ هَلْ يُمْكِنُ دَوَامُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَالْمَاضِي أَمْ لَا، أَوْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَقَطْ، أَوِ الْمَاضِي فَقَطْ؟ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ مَعْرُوفَةٍ لِأَهْلِ النَّظَرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ**)

لا زلنا مع موضوع إثبات أزلية قدرة الرب سبحانه على الفعل وعلى الخلق.

(**نَوْعَ الْحَوَادِثِ هَلْ يُمْكِنُ دَوَامُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ؟ وهل يمكن دوامها في الْمَاضِي أَوْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَقَطْ، أَوِ فِي الْمَاضِي فَقَطْ؟**) هذه أربعة صور من الناحية العقلية، ولكن ثلاثةً منها لها قائلون، والرابعة ليس لها، أنها مستمرة في الماضي دون المستقبل. لا قائل له.

(**فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ مَعْرُوفَةٍ لِأَهْلِ النَّظَرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِم، أَضْعَفُهَا: قَوْلُ مَنْ يَقُولُ، لَا يُمْكِنُ دَوَامُهَا لَا فِي الْمَاضِي وَلَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، كَقَوْلِ جَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ وَأَبِي الْهُذَيْلِ الْعَلَّافِ**) هذه من الصور الثلاثة وأضعفها.

(**لَا يُمْكِنُ دَوَامُهَا لَا فِي الْمَاضِي**) **لماذا؟**

للدليل الذي ذكرناه (**لامْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**).

(**وَلَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ**) أيضًا لأن الحوادث لا بد أن تكون لها نهاية، كما لها بداية لا بد أن تكون لها نهاية. (**وهذا قَوْلِ جَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ وَأَبِي الْهُذَيْلِ الْعَلَّافِ**) وعن هذا القول صدروا وقالوا: بانتهاء الجنة والنار، أو بفناء الجنة والنار، أو بانتهاء حركات أهل الجنة والنار.

(**وَثَانِيهَا قَوْلُ مَنْ يَقُولُ: يُمْكِنُ دَوَامُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ دُونَ الْمَاضِي، كَقَوْلِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ**) طبعًا هذا القول وهو الذي يعتبر قول المسلمين عندهم.

أما القول الثالث الذي يذكره الشيخ هنا، هذا قول ابن تيمية الذي كُفِّرَ لأجل هذا، كفَّره كثيرون لأجل هذا (**وَالثَّالِثُ: قَوْلُ مَنْ يَقُولُ: يُمْكِنُ دَوَامُهَا فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، كَمَا يَقُولُهُ أَئِمَّةُ الْحَدِيثِ**) رغم أنوف المتكلمين، هذا قول.

**طالب:** (٤٨:٨).

**الشيخ**: نعم، طبعًا لن تجد عند البخاري مثلًا تصريحًا بالتسلسل، لا لا، ولكن هذا مقتضى كلامهم، ومقتضى أصولهم، ونجزم أن هذا كلامهم؛ لأنك لا يمكن أن تجد في المحدثين من يقول: أن الله -عَزَّ وَجَل- كان عاجزًا، أو أن الفعل كان ممتنعًا عليه في فترة من الفترات، أبدًا، لماذا يقول؟ هم لماذا قالوا؟ هم لو كان لو لم يتورطوا بهذا الدليل كانوا يقولون بهذا؟ ما كانوا يقولون، وهل تتوقع في المحدثين أن يعتمدوا على هذا الدليل؟

**لماذا ذموا علم الكلام؟**

لأجل هذه الأمور، وبالتالي هذا قول أئمة الحديث.

**(وَهِيَ مِنَ الْمَسَائِلِ الْكِبَارِ. وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ يُمْكِنُ دَوَامُهَا فِي الْمَاضِي دُونَ الْمُسْتَقْبَلِ)** هذه الصورة الرابعة.

طيب. هذه هي الأقوال، يمهد الآن، طبعًا الكلام هذا لشيخ الإسلام يمهد لبيان مذهب أهل السنة؛ لأن مذهب أهل السنة هنا لم يُفهَم على وجهه، أو لم يريدوا أن يفهموه على وجهه، أو أرادوا فهمه وفهموه، ولكن لا يمكنهم أن يقولوا به، **لماذا؟**

لأن القول به سيستلزم التنكر للسلسلة هذه كلها الخرافات هذه، وبالتالي هم يتمسكون بهذا الدليل مع مقدماته، ولا يمكنهم أن يقولوا بهذا القول.

يمهد شيخ الإسلام -رَحِمَهُ الله- لقول أهل السنة؛ لأن هناك من يقول: أن ابن تيمية قد تأثر باليهود، وتأثر بأبي البركات اليهودي، وهو أبو البركات من الفلاسفة تأثر به، وقال بقدم العالم، وتأثر بفلان من اليهود، وقال بالتشبيه وتأثر، وتأثر، وتأثر، سبحان الله! ما خلو شيء في شيخ الإسلام ابن تيمية(٥٧: ٥٠).

**أذكر قصة فيها طرافة:**

أحد المشايخ من قُطْر من الأقطار طبعًا ابن تيمية قيل عنه كل شيء إلا أنه لم يتجرأ أحد أن يقول: هو متأثر بالرافضة. هذا لم يقله أحد، قيل عنه: أنه متأثر بالنصارى مع أنه الجواب الصحيح..

**طالب**: .....

**الشيخ**: مع ذلك قيل عنه أنه تأثر بالفلاسفة مع كتبه الكبيرة [الصفدية] وغيرها، قيل عنه، قيل عنه، ولكن لم يتجرأ أحد على أن يقول: أنه تأثر بالرافضة.

أحد المعلمين يقول لتلاميذه، تلميذه يحكي، يقول: قال لنا يوم من الأيام: أنتم تدرون أن ابن تيمية متأثر بالرافضة، لا تغتروا بكتابه [منهاج السنة] من قرأه بدقة سيعرف أنه متأثرٌ به، ثم ذكر دليلًا مضحكًا. أنا قلت في نفسي: هذا الذي كان بقي وأتم هذا. سبحان الله! رحمه الله شيخ الإسلام، ورفع درجته في علِّيين، ونسأل الله أن يجمعنا به وبأمثاله من الأئمة الكبار من الصحابة أن يجمعنا بهم في أعلى عليين، رحمه الله شيخ الإسلام لا زال يدكهم دك لم يعهدوه من أحدٍ قبله ولا بعده. وهذا الذي يزعجهم؛ ولذلك لَفَّقُوا له من التهم، ولازالوا يلفِّقون ويكذبون ويدلسون إلا أنه قامة، أين لهم منه؟

هنا يمهد لقول أهل السنة، أولًا: حتى لا تظن أنت أيها الملبس عليه أن كلامه قريبٌ من قول الفلاسفة، والفلاسفة يقولون بقدم العالم، لماذا يقولون بقدم العالم؟

لأنهم لا يعرفون أن هناك خالقًا، وبالتالي هم يقولون: العالم عبارة عن سلسلة متسلسلة، كل سلسلة تؤثر في السلسلة التي بعدها، وهي السنن لا تتخلف، وليس لها أحدٌ ممن يتدخل فيها خلقًا، تكوينًا لا، عبارة عن سلسلة كل سلسلة تؤثر فيما بعدها.

**لماذا لم أكن موجودًا في القرن السابق؟**

لا، لم يأتِ دوري، هذه سلسلة، كل سلسلة تؤثر فيما بعدها.

يقول شيخ الإسلام حتى أريحك من هذا الباب: **(وَلَا شَكَّ أَنَّ جُمْهُورَ الْعَالَمِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ يَقُولُونَ: إنَّ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى مَخْلُوقٌ كَائِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَهَذَا قَوْلُ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ)** حتى لا تظن أن القول بالتسلسل في الماضي، هذا قولٌ بِقِدَم العالم، هذه أصول نتفق عليها، إذن جميع الحوادث مسبوقة بالعدم.

**وعرفنا الفرق بين عدمنا وعدمهم:**

- عندنا جميع الحوادث مسبوقة بالعدم.

- وعندهم جميع الحوادث مسبوقة بفترة لم يكن الله -عَزَّ وَجَل- قادرًا فيها على الفعل، أو لم تكن هذه الحوادث ممكنةً أصلًا. وهذا الفرق بيننا.

**(وَمِنَ الْمَعْلُومِ بِالْفِطْرَةِ أَنَّ كَوْنَ الْمَفْعُولِ مُقَارِنًا لِفَاعِلِهِ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ مَعَهُ مُمْتَنِعٌ مُحَالٌ)** هذا تأكيد، مع هذه التأكيدات لا يزال ابن تيمية وأتباعه قائلين بقدم العالم.

**(وَلَمَّا كَانَ تَسَلْسُلُ الْحَوَادِثِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ هُوَ الْآخِرَ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، فَكَذَا تَسَلْسُلُ الْحَوَادِثِ فِي الْمَاضِي لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْأَوَّلَ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ).**

هذا دليل من الأدلة، هم يقولون: أنتم لما تقولون بتسلسل الحوادث في الماضي هذا يخدش في اعتقادنا في اسمه (الأول)، ما صار أول، هذه أزلية وهو أزلي، صارت مقارنة له، فشيخ الإسلام يجابههم بالطرف الثاني الذين هم يقولون به، ألستم تقولون بجواز التسلسل في المستقبل إلى ما لا نهاية؟ نقول: إذن أين اسمه (الآخر)؟ هل يقدح فيه؟ قالوا: لا. طيب، هنا أيضًا لا يقدح. مقابلة هذا بهذا.

**(فَإِنَّ الرَّبَّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَمْ يَزَلْ)** هذا في الماضي **(وَلَا يَزَالُ)** هذا في المستقبل **(يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَتَكَلَّمُ إِذَا يَشَاءُ. يقول سبحانه: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران:٤٠]. وَقَالَ سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[البقرة:٢٥٣]، وَقَالَ سبحانه: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾[البروج:١٥-١٦]، وَقَالَ سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان:٢٧])**.

وكلمات الله -عَزَّ وَجَل- هي كونية وشرعية ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[لقمان:٢٧] وهذه الآية سبحان الله! أيضًا الآية التي بعدها ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف:١٠٩].

نحن نأخذ مخلوقًا واحدًا، وليكن هذا المخلوق المتحدثون، تعرفون كم من الملايين من الخلايا التي يتركب منها هذا الجسم؟ ملايين البلايين هذا الجسم الواحد، وهذه الخلية التي عندي كان بإمكانها أن تكون عندك، بِقَدَر الله -عَزَّ وَجَل- وبقدرته وبأمره التكويني أخذت هذه الخلية وضعًا معينًا في جسمٍ معين على نحوٍ معين. هذه كلمة كونية تتعلق بهذه الخلية، وهذا في جسمٍ واحد فقط، فكيف بهذا الكوكب؟! وكيف بهذه الكواكب التي لا يقدِّر قدرها إلا الله -عَزَّ وَجَل- بهذا العالم فقط؟! لا يمكن أن تتصورها. هذا الذي ذكره الله -عَزَّ وَجَل- هذا من باب التمثيل.

﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف:١٠٩] لا يمكن، وعند هؤلاء كلام الله واحد، وكذا وكذا، وحدة الكلام، وإلى آخر ما

يقولون، وأن هناك فترة لم يكن الله -عَزَّ وَجَل- متكلمًا فيها، عاملًا فيها، لا ينفيها وفاعلًا فيها، سبحان الله!

(**وَالْمُثْبِتُ إِنَّمَا هُوَ الْكَمَالُ الْمُمْكِنُ الْوُجُودِ**)، المثبت بهذا القول.

➢ **نحن لما نقول بجواز التسلسل في الماضي ما الذي نثبته به؟ هل نثبت به قدم العالم كما يقوله هؤلاء الضلال الجهلة؟**

نثبت به (**الْكَمَالُ الْمُمْكِنُ الْوُجُودِ، وَحِينَئِذٍ**).

➢ **أما إذا قلت: أن الله -عَزَّ وَجَل- لم يكن بإمكانه أن يفعل ويخلق في فترةٍ معينة أنت أثبت الكمال أم أثبت ضده؟**

(**وَحِينَئِذٍ، فَإِذَا كَانَ النَّوْعُ دَائِمًا**) القدرة على الفعل (**فَالْمُمْكِنُ وَالْأَكْمَلُ هُوَ التَّقَدُّمُ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنَ الْأَفْرَادِ بِحَيْثُ لَا يَكُونُ فِي أَجْزَاءِ الْعَالَمِ شَيْءٌ يُقَارِنُهُ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ**). هذا فيه تقرير وتأصيل، وفيه الرد على أولئك.

(**وَأَمَّا دَوَامُ الْفِعْلِ**).

⇦ **أولًا**: ليس هناك شيئًا يقارنه، ليس هناك شيئًا من المخلوقات يقارنه.

⇦ **ثانيًا**: أن فعله هذا وكماله هذا دائم، وأما دوام الفعل فهو أيضًا من الكمال.

(**فَإِنَّ الْفِعْلَ إِذَا كَانَ صِفَةَ كَمَالٍ فَدَوَامُهُ دَوَامُ الْكَمَالِ**).

الفعل إذا كان صفة كمال، فدوام الفعل دوام الكمال.

الله -عَزَّ وَجَل- يقول: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ**﴾[البقرة:٢٥٣]، ﴿**فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾[البروج:١٦]، إذن يتصف بصفة الفعل، وأنت تأتي وتقول: هذه الصفة كان الله -عَزَّ وَجَل- معطلًا عنها في فترةٍ لا نعلم مداها.

(**قَالُوا**) نحن الآن أمام سلسلةٍ من الألفاظ هي التي يلوكها المتكلمون، يأتي هذا المتكلم ويقول: أنا معك في هذا، ولكن كيف ستراجع هذا الإشكال: أن هذا يستلزم التسلسل في الماضي، والتسلسل في الماضي لم يقل به أحد، كيف ستنفصل عن هذه الشبهة، أو عن هذا الدليل، أو عن هذا البرهان؟

يقول شيخ الإسلام: (**وَالتَّسَلْسُلُ لَفْظٌ مُجْمَلٌ، لَمْ يَرِدْ بِنَفْيِهِ وَلَا إِثْبَاتِهِ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ**) حتى احترمه (**لِيَجِبَ مُرَاعَاةُ لَفْظِهِ**) لا يراعي لفظه هذا اللفظ لا أحترمه أصلًا.

طبعًا هذا الذي ذكره هنا هذا منهج أهل السنة عمومًا في الألفاظ المجملة مثل ما رأينا في حلول الحوادث، ورأينا في الذات وعلاقة الصفات بالذات، ورأينا في الاسم والمسمى.

**وهذا منهج أهل السنة**: الألفاظ المجملة توزن بألفاظ الكتاب والسنة. وهذه قاعدة من القواعد التي ذكرها شيخ الإسلام في [التدمرية] **أن الألفاظ نوعان:**

- ألفاظٌ جاءت في النصوص هذه الألفاظ هي الدين.
- ألفاظٌ لم تأتِ في النصوص، وهذه توزن بهذه الألفاظ.

**وعند أهل الكلام عكس**: الألفاظ الشرعية توزن هذا المتكلم يقول: أنا معك في هذا كله، ولكن التسلسل في الماضي ما الذي ستنفصل به عنهم؟ وهذا حق هذا كله يرتطم بهذا اللفظ.

يقول: **(لِيَجِبَ مُرَاعَاةُ لَفْظِهِ، وَهُوَ يَنْقَسِمُ إِلَى وَاجِبٍ وَمُمْتَنِعٍ وَمُمْكِنٍ)** حتى أفصِّل لك هذا أقول لك: أن التسلسل ينقسم إلى واجب، وممتنع، وبينهما ممكن.

**(فَالتَّسَلْسُل)** طبعًا هنا **(كَالتَّسَلْسُلِ)** وهذا خطأ، كيف إنك في طبعة.

**طالب: (كَالتَّسَلْسُلِ)**

**الشيخ: (فالتَّسَلْسُلِ فِي الْمُؤَثِّرِينَ)** هكذا صحيح، وإلا، طبعًا هو ذكر هنا من الذي عنده طبعة الشيخ أحمد.

**طالب:** أنا.

**الشيخ:** كيف عندك؟

**طالب: (فالتَّسَلْسُلِ).**

**الشيخ: (فالتَّسَلْسُلِ)** هو صحيح، **(فالتَّسَلْسُلِ فِي الْمُؤَثِّرِينَ مُحَالٌ مُمْتَنِعٌ لِذَاتِهِ).**

**ذكر شيخ الإسلام هنا أن التسلسل ينقسم إلى كم قسم؟**

**ثلاثة:**

- تسلسل ممتنع.
- تسلسل واجب.
- وتسلسل ممكن.

**أولًا**: بدأ بالتسلسل الممتنع، (**فالتَّسَلْسُلِ فِي الْمُؤَثِّرِينَ مُحَالٌ مُمْتَنِعٌ لِذَاتِهِ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُؤَثِّرُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ اسْتَفَادَ تَأْثِيرَهُ مِمَّنْ قَبْلَهُ لَا إِلَى غَايَةٍ**) وهذا مذهب الفلاسفة.

**مذهب الفلاسفة**: أن هذا العالم قديم وهو عبارة عن تأثير سلسلةٍ في السلسلة التي بعدها، الموجودون الآن سيؤثرون فيمن سيأتون، وقد أثر فيهم من مضى، وأثر فيهم من مضي، وأثر فيهم من مضى، إذن كل سلسلة مؤثرة في السلسلة اللاحقة، وكل سلسلة أثرت فيها سلسلة سابقة. هذا مذهب من؟

**طالب**: الفلاسفة.

**الشيخ**: والعالم عندهم قديم، (١:٥:٥٤) عندهم أزلية.

**لماذا؟**

لأنهم لا يعرفون الخالق.

**مثالهم**: كشخصٍ رأى الطائرة تطير، رآها هكذا تطير، هو ما يدري أن هناك من يقودها، ما يدري، ونظر نظر، وفي الأخير قال: هذا هكذا بنفسه يدور، ليس هناك من..، قول الفلاسفة أغرب من هذا: الأجرام هذه الكبيرة المحددة بتحديد دقيق جدًّا، كل هذا هم قالوا:

- **بعضهم قال**: صدفة كما يقول الآن الفلاسفة المعاصرون القول بالصدفة والـ..

- **وبعضهم قالوا**: هكذا وُجِدَ العالم بعضه يؤثر في بعض. هذا هو التسلسل في المؤثرين، وهذا ممتنع ؛ لأن هذا المؤثر قبله مؤثر، وقبله مؤثر، وقبله مؤثر، لا بد أن ينتهي إلى شيءٍ خارج هذه السلسلة يستند إليها في التأثير، وبالتالي كلامهم أصلًا الكافر ما الذي تعتقد فيه أن يكون كلامه مبنيًّا عليه؟ هذا التسلسل في المؤثرين. هذا النوع الأول.

(**وَالتَّسَلْسُلُ الْوَاجِبُ: مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ وَالشَّرْعُ، مِنْ دَوَامِ أَفْعَالِ الرَّبِّ تَعَالَى فِي الْأَبَدِ، وَأَنَّهُ كُلَّمَا انْقَضَى لِأَهْلِ الْجَنَّةِ نَعِيمٌ أَحْدَثَ لَهُمْ نَعِيمًا آخَرَ لَا نَفَادَ لَهُ**) وهذا التسلسل الواجب يقول به المتكلمون؛ ولذلك بدأ به شيخ الإسلام حتى يهدؤوا، هذا التسلسل واجب عندهم أيضًا.

(**وَكَذَلِكَ التَّسَلْسُلُ فِي أَفْعَالِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ طَرَفِ الْأَزَلِ، وَأَنَّ كُلَّ فِعْلٍ مَسْبُوقٌ بِفِعْلٍ آخَرَ، فَهَذَا وَاجِبٌ فِي كَلَامِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ، وَلَمْ تَحْدُثْ لَهُ صِفَةُ الْكَلَامِ فِي وَقْتٍ، وَهَكَذَا أَفْعَالُهُ الَّتِي هِيَ مِنْ لَوَازِمِ حَيَاتِهِ**) لاحظوا أن شيخ الإسلام هنا فرق بين أفعاله وبين مفعولاته، التسلسل

في المفعولات سيأتي في الممكن، وأما التسلسل في الفعل فيتعلق بصفته، فالفعل صفته، والخلق صفته، وهذه الصفة أزلية باعتبار، وفعلية باعتبار، إذن دوامها في الماضي واجب مثل دوامها في المستقبل.

**(وَهَكَذَا أَفْعَالُهُ الَّتِي هِيَ مِنْ لَوَازِمِ حَيَاتِهِ، فَإِنَّ كُلَّ حَيٍّ فَعَّالٌ).**

ما دام أنت أثبت حياته بدليلك كيف تسلب عنه صفة الفعل، أثبت صفة الحال ثم جعلته معطلًا عن الفعل إلى أن يأتي الوقت الذي حددته؟

**(وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ بِالْفِعْلِ؛ وَلِهَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: الْحَيُّ)** عرَّفوه بماذا؟ **(الْفَعَّالُ)** مادام هذا حي وليس ميتًا إذن له صفة الفعل، الحي يفعل. **(الْحَيُّ: الْفَعَّالُ).**

**(وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ: كُلُّ حَيٍّ فَعَّالٌ، وَلَمْ يَكُنْ رَبُّنَا تَعَالَى قَطُّ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ مُعَطَّلًا عَنْ كَمَالِهِ مِنَ الْكَلَامِ وَالْإِرَادَةِ وَالْفِعْلِ).**

**وعند المتكلمين:** هو معطلٌ عن ذلك كله في فترةٍ لا نعلم مداها. حتى الإرادة التي هم يقولون: هو إرادته أزلية، حتى إرادته معلقة، أراد، ولكن المراد لم يذهب إلا...

طيب، **(وَأَمَّا التَّسَلْسُلُ الْمُمْكِنُ: فَالتَّسَلْسُلُ فِي مَفْعُولَاتِهِ مِنْ هَذَا الطَّرَفِ)**؛ أي الماضي، يشير إلى الماضي.

أنت لما أثبت أن الله -عَزَّ وَجَل- متصف بصفة الخلق والفعل أزلًا وأبدًا يأتي سؤال:

- **ما دام هو متصفٌ بصفة الخلق والفعل، فهل خلق شيئًا في الأزل؟**

هنا نقول: هو قادر على الفعل ممكن التسلسل ممكن.

- **أما التسلسل في فعل صفة متصفٌ بهذه الصفة أزلًا وأبدًا، صفة الكلام الفعل والخلق، طيب، هل خلق شيئًا في الأزل؟**

لا يمكن.

والذي لا يقول: أن هذا ممكن، سيقع في هذه السخافة.

**(وَأَمَّا التَّسَلْسُلُ الْمُمْكِنُ: فَالتَّسَلْسُلُ فِي مَفْعُولَاتِهِ مِنْ هَذَا الطَّرَفِ، كَمَا تَتَسَلْسَلُ فِي طَرَفِ الْأَبَدِ، فَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يَزَلْ حَيًّا قَادِرًا مُرِيدًا مُتَكَلِّمًا، وَذَلِكَ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ، فَالْفِعْلُ مُمْكِنٌ لَهُ بِمُوجَبِ هَذِهِ الصِّفَاتِ لَهُ)** ما دام أنك آمنت أن الله -عَزَّ وَجَل- حيٌّ قادرٌ مريدٌ متكلمٌ، وأن هذه الصفات له أزلًا، إذن موجبه ومقتضاه أن الفعل ممكنٌ له، والخلق **(مُمْكِنٌ لَهُ بِمُوجَبِ هَذِهِ الصِّفَاتِ لَهُ).**

بالنسبة للمعتزلي الذي يقول: ليس قادرًا، هو يقول: ليس متصفًا بهذا، لكن الغريب من يقول: بأنه متصفٌ بصفة الكلام، ومتصفٌ بصفة الإرادة، ومتصفٌ بصفة القدرة، ومع ذلك ليس قادر.

➢ **المعتزلي يقول: ليس قادر، لماذا؟**

لأنه ليس متصفًا وانتهينا.

تقول: لهذا يستلزم ألا يكون متصفًا، أنا من الأصل أقول: ليس متصفًا. الغريب أن يقع في هذه السقطة ونثبت هذه الصفات، ويثبتها أزليًّا.

**(وَأَنْ يَفْعَلَ أَكْمَلُ مِنْ أَلَّا يَفْعَلَ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ مَعَهُ).**

هنا سيقول هذا المتكلم: أنت على كلامك هو أزلي وفعله أزلي هذا يستلزم أن يكون المفعول أزليًّا، والأزلي لا تقدم فيه ولا تأخر، هذا أزلي، وهذا أزلي سيكون مقاربًا له.

يقول شيخ الإسلام: **(وَلَا يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ مَعَهُ)** لماذا؟ **(لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ تَقَدُّمًا لَا أَوَّلَ لَهُ)** يعني من البداية قلنا: أن جميع الحوادث مسبوقةٌ بعدم، وأن الله -عَزَّ وَجَل- هو الخالق لهذه المخلوقات.

**(فَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ أَوَّلٌ، وَالْخَالِقُ سُبْحَانَهُ لَا أَوَّلَ لَهُ، فَهُوَ وَحْدَهُ الْخَالِقُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ كَائِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ).**

الآن بيَّن شيخ الإسلام أن هذا القول الذي هو القول الثالث الذي نسبه إلى أئمة الحديث وهو قول أهل السنة قاطبةً حتى ولو اختلفوا في التعبير، بعض أئمة الإسلام نقموا على شيخ الإسلام الخوض في مثل هذه الأمور، وأنه ينهى عن علم الكلام، ولكنه وقع في بعض ما حذر عنه، هذا كله أرى أن شيخ الإسلام مظلومًا في هذا، نحن رأينا أن قضية التسلسل كلها عبارة عن دفاعٍ عن ربوبية الله -عَزَّ وَجَل- وعن ألوهيته، وأن القول بعدم التسلسل في الماضي تدخلٌ في صميم الربوبية، أليس كذلك؟ فترة من الفترات، والله -عَزَّ وَجَل- يخلق، فترة من الفترات والله -عَزَّ وَجَل- ليس ربًّا، فترة من الفترات والله -عَزَّ وَجَل- لا يتكلم، فترة من الفترات ومراداته كلها معطلة، فترة من الفترات والفعل ممتنع عنه، أي ربٍ هذا؟!

بعد هذا كله يقول شيخ الإسلام: **(وَكُلُّ قَوْلٍ سِوَى هَذَا فَصَرِيحُ الْعَقْلِ يَرُدُّهُ وَيَقْضِي بِبُطْلَانِهِ، وَكُلُّ مَنِ اعْتَرَفَ بِأَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ قَادِرًا عَلَى الْفِعْلِ)** طبعًا أنا قلت لكم: إثبات هذا القدر

هو المهم في هذه النسبة، حتى ولو لم تفهم الكلمة الأخيرة: (**فَيَلْزَمُ جَوَازُ حَوَادِثَ لَا نِهَايَةَ لِأَوَّلِهَا**) وحتى لو لم تفهم قضية التسلسل كلها إلا أن لا بد أن تؤمن وتعتقد أن الله –عَزَّ وَجَل– لم يزل قادرًا على الفعل.

يقول: (**كُلُّ مَنِ اعْتَرَفَ بِأَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ قَادِرًا عَلَى الْفِعْلِ لَزِمَهُ أَحَدُ أَمْرَيْنِ**).

لا أطيل عليكم قبل أن..، في أهمية هذا الذي يشير إليه هذا شرح الشيخ البراك يقول: **{وهذه المسألة تشكل على كثير من الناس، لكن يجب أن تؤمن بأن الله –عَزَّ وَجَل– لم يزل على كل شيءٍ قديرًا، ولم يزل فعالًا لما يريد، فإذا آمنت بأن الله –عَزَّ وَجَل– لم تحدث له قدرة؛ أي لم يصير قادرًا بعد أن لم يكن قادرًا، ولم يصير فعالًا بعد أن لم يكن فعالًا حصل المطلوب سواءً فهمت المسألة أو لم تفهمها}**.

طيب، يقول: (**وَكُلُّ مَنِ اعْتَرَفَ بِأَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ قَادِرًا عَلَى الْفِعْلِ لَزِمَهُ أَحَدُ أَمْرَيْنِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُمَا: إِمَّا أَنْ يَقُولَ: بِأَنَّ الْفِعْلَ لَمْ يَزَلْ مُمْكِنًا**) ويتوقف في وجود المخلوقات؛ لأنه يحتاج إلى دليل؟ يحتاج إلى وحي إلا أنه لا يشك في هذا، **في ماذا؟** (**الْفِعْلَ لَمْ يَزَلْ مُمْكِنًا**).

(**وَإِمَّا أَنْ يَقُولَ: لَمْ يَزَلْ وَاقِعًا**).

- **لماذا (لَمْ يَزَلْ وَاقِعًا)؟**

لأنه متصفٌ بهذه الصفة.

- **وما الذي منعه؟**

(**وَإِلَّا تَنَاقَضَ تَنَاقُضًا بَيِّنًا، حَيْثُ زَعَمَ أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ قَادِرًا عَلَى الْفِعْلِ، وَالْفِعْلُ مُحَالٌ مُمْتَنِعٌ لِذَاتِهِ**).

- **أليس هذا تناقضًا؟**
- **من ناحية تقول: أن الله –عَزَّ وَجَل– متصف بصفة الإرادة أزلًا، ومن ناحية تجعله معطلًا عن الفعل في فترةٍ تمتد إلى أمد لا نعرف مداه، أليس هذا تناقضًا؟**

(**حَيْثُ زَعَمَ أَنَّ الرَّبَّ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ قَادِرًا عَلَى الْفِعْلِ، وَالْفِعْلُ مُحَالٌ مُمْتَنِعٌ لِذَاتِهِ، لَوْ أَرَادَهُ لَمْ يُمْكِنْ وُجُودُهُ، بَلْ فَرْضُ إِرَادَتِهِ عِنْدَهُ مُحَالٌ**).

هو يقول: ما دام قلت لك: متصفٌ بصفة الإرادة، ومراداته ستظهر بعدين، هذا يقول: لماذا تفترض أصلًا؟ فرض إرادته أصلًا محال.

**(وَهَذَا قَوْلٌ يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الشَّرْعُ وَالْعَقْلُ، أَنَّ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى مُحْدَثٌ كَائِنٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ. وأَمَّا كَوْنُ الرَّبِّ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُعَطَّلًا عَنِ الْفِعْلِ ثُمَّ فَعَلَ، فَلَيْسَ فِي الشَّرْعِ وَلَا فِي الْعَقْلِ مَا يُثْبِتُهُ، بَلْ كِلَاهُمَا يَدُلُّ عَلَى نَقِيضِهِ).**

**كلاهما ماذا؟**

الشرع والعقل.

إذن شيخ الإسلام هنا من أدلته مقابلة الماضي بالمستقبل، تقولون: أن التسلسل جائزٌ في المستقبل ولا يخدش في اسمه الآخِر نقابلكم بها ونقول: التسلسل جائز في الماضي ولا يخدش في كونه (الأول).

جاء الجويني وغيره وأعطونا مثالًا ينفكون به وينفصلون به عن هذا الإلزام، وأوردوا هذا المثال الذي ذكره هنا، وهذا المثال جزءٌ من برهان التطبيق، وبرهان التطبيق لا بد أن نتحدث عنه بشيءٍ من التفصيل.

ولذلك نتوقف هنا على الرغم من تحذيرات الشيخ عبد الوهاب، وأنا أعتذر.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * * * * * * * * *

## ٤٦

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم اغفر لشيخنا ولأشياخه وللمسلمين.

**(المتن)**

**قال الإمام علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي –رَحِمَه الله تَعَالَى–:**

**وَقَدْ أَوْرَدَ أَبُو الْمَعَالِي فِي إِرْشَادِهِ وَغَيْرُهُ مِنَ النُّظَّارِ عَلَى التَّسَلْسُلِ فِي الْمَاضِي، فَقَالُوا: لِأَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: لَا أُعْطِيكَ دِرْهَمًا إِلَّا أُعْطِيكَ بَعْدَهُ دِرْهَمًا، كَانَ هَذَا مُمْكِنًا، وَلَوْ قُلْتَ: لَا أُعْطِيكَ دِرْهَمًا حَتَّى أُعْطِيَكَ قَبْلَهُ دِرْهَمًا، كَانَ هَذَا مُمْتَنِعًا. وَهَذَا التَّمْثِيلُ وَالْمُوَازَنَةُ غَيْرُ صَحِيحَةٍ، بَلِ**

**الْمُوَازَنَةُ الصَّحِيحَةُ أَنْ تَقُولَ: مَا أَعْطَيْتُكَ دِرْهَمًا إِلَّا أَعْطَيْتُكَ قَبْلَهُ دِرْهَمًا، فَتَجْعَلَ مَاضِيًا قَبْلَ مَاضٍ، كَمَا جَعَلْتَ هُنَاكَ مُسْتَقْبَلًا بَعْدَ مُسْتَقْبَلٍ. وَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ: لَا أُعْطِيكَ حَتَّى أُعْطِيَكَ قَبْلَهُ، فَهُوَ نَفْيٌ لِلْمُسْتَقْبَلِ حَتَّى يَحْصُلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَيَكُونُ قَبْلَهُ، فَقَدْ نَفَى الْمُسْتَقْبَلَ حَتَّى يُوجَدَ الْمُسْتَقْبَلُ، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ. لَمْ يَنْفِ الْمَاضِيَ حَتَّى يَكُونَ قَبْلَهُ مَاضٍ، فَإِنَّ هَذَا مُمْكِنٌ. وَالْعَطَاءُ الْمُسْتَقْبَلُ ابْتِدَاؤُهُ مِنَ الْمُعْطِي، وَالْمُسْتَقْبَلُ الَّذِي لَهُ ابْتِدَاءٌ وَانْتِهَاءٌ لَا يَكُونُ قَبْلَهُ مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ، فَإِنَّ مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ فِيمَا يَتَنَاهَى مُمْتَنِعٌ.**

## (الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:**

لا زال حديثنا عن رأي المتكلمين في التسلسل في الماضي، ذكرنا أن التسلسل في الماضي، أو من جهة الماضي اختلف فيه الناس، المتكلمون اتفقوا على منع التسلسل في الماضي، وذهبوا في ذلك إلى ما زادوه من المقدمة الخامسة في دليل حدوث الأعراض (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**).

القول بأن الحوادث لا أول لها، هذا ممتنع، وبالتالي فالحوادث لها أول.

كان بإمكانهم أن يسهلوا العبارة ويقولوا: الحوادث لها بداية، ولا يجوز أن تقول: لا بداية كذلك، ولكن هذه مصطلحاتهم (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**)، وذكرنا أن هذه المقدمة بالذات (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) هذه ليست من صميم دليل الأعراض، دليل الأعراض يكتمل بالمقدمات الأربعة التي ذكروها، وهذه المقدمة هي لتعميم دليل الأعراض، وأن دليل الأعراض لا يخرج عنه حادثٌ متصور، وجميع الحوادث محصورة، ويُسلط عليها دليل حدوث الأعراض، وبهذا نثبت أن العالم كله حادث ومخلوق، وليس شيءٌ منه قديمًا، وأنه بحاجة إلى محدِث، والمحدِث هو الله -عَزَّ وَجَل-، وهو قديم، وبالتالي كل ما يستلزم كونه حادثًا ففيه قولٌ بتشبيه الله -عَزَّ وَجَل- وهذا (٦:٢٠) في التنزيه.

ولذلك قالوا: أن الأمة أجمعت على القول بامتناع حلول الحوادث بذاته سبحانه، وقالوا: أن هذا معلومٌ من الدين بالضرورة كما قال (٦:٤٠)، القول بحلول الحوادث بذاته سبحانه هذا يخالف التنزيه، بل هو يخالف التوحيد، وأن عدم القول بذلك معلومٌ من الدين بالضرورة. يقصد دينه هو، دينه الذي

يجيز الاستغاثة بالمقبورين، ودينه الذي يجيز الاستغاثة بغير الله -عَزَّ وَجَل- يقصد دينه، أما دين المسلمين المعلوم من الدين بالضرورة هو خلاف ما يقولون.

**يهمنا هنا** أن هذه مقدمة، وهذه المقدمة بها يتم تعميم دليل حدوث الأعراض، وبالتالي مع عدم القول بها يبقى دليل الأعراض ناقصًا لا يشمل بعض الحوادث، وإذا لم يكن عندك دليل يشمل جميع الحوادث ويجعلها كلها حادثًا، ما دام ما عندك دليل شامل لجميع الحوادث لا يمكنك أن تثبت أن الله -عَزَّ وَجَل- هو القديم الوحيد، والتوحيد عند المعتزلة إثبات قديمٌ واحد، مما يدل على أن الموضوع خطير، لا بد أن تثبت هذه المقدمة التي هي ماذا؟ (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**)

وأهمية هذه الأهمية تأتي إلى أهمية الدليل الذي هو دليل حدوث الأجسام، وأهمية هذا الدليل يرجع إلى أهمية المسألة التي تتوقف عليه، وهي إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَل-، فإما أن تثبت وتعتمد على هذا الدليل، وإما أن تخسر وجود الله -عَزَّ وَجَل- إذا تنكرت لهذا الدليل، أو شككت في هذا الدليل.

إذن هم يريدون أن يكملوا هذا الدليل، جميع المقدمات لا بد أن تؤمن بها، وحديثنا هنا عن المقدمة الخامسة، المقدمة الخامسة هذه (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) بحاجة إلى أدلة، كما أن المقدمة الأولى بحاجة إلى أدلة، والمقدمة الثانية بحاجة إلى أدلة، والثالثة بحاجة إلى أدلة، والرابعة بحاجة إلى أدلة، وكذلك الخامسة، والأدلة كثيرة عندهم على إثبات هذه المقدمة (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) نحن لا يمكننا أن نذكر خرافاتهم ونجلس، أول شيء نحاول فهمها، ثم نذكر ردودهم البينية، هذا يرد، وهذا يرد؛ لأن مقدماتهم كلها مختلفٌ فيها بينهم.

حتى النتيجة (**حلول الحوادث بذاته سبحانه**).

- المعتزلة يقولون: إثبات جميع الصفات قالوا بحلول الحوادث بذاته سبحانه، ولا نثبت شيء من الصفات لأجل هذا الدليل.

- والمتكلمون الآخرون الكلابية (١٠:٤٢) يقولون: لا، هناك بعض الصفات وهي الصفات الاختيارية القول بها قولٌ بحلول الحوادث بذاته سبحانه أما البقية لا؛ ولذلك لا مانع أن نثبت بعض الصفات.

فمقدماتهم إذا أردتم أن تقرؤوا ردودهم البينية فيها كثيرة ومعقدة، نحن نركِّز على الدليل الذي هو أقوى أدلتهم في إثبات هذه المقدمة أليس كذلك؟ نحن في غنى عن..، نمسك أقوى أدلتهم وننظر كيف

يثبتونه، قالوا: الأدلة على هذا كثيرة، وأقواها وأشهرها برهان التطبيق. فمن هذا الذي نقله ابن أبي العز هنا هو عبارة عن جوابٍ لسؤالٍ مقدَّم يَرِد على برهان التطبيق.

لما يذكرون هذا الدليل، لما يذكرون ويقررون هذه المقدمة قلنا: هم بحاجة إلى أدلة تثبت هذه المقدمة، فقالوا: هناك أدلة كثيرة تثبت هذه المقدمة.

**قلنا: ما هو الدليل الأقوى؟**

قالوا: برهان التطبيق.

فلما ذكروا برهان التطبيق لمنع التسلسل في الماضي عورضوا بالتسلسل في المستقبل، أنت بهذا الدليل، بهذه الخرافة ادَّعيت عدم و(**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) نفس دليلك ينطبق أيضًا على التسلسل في المستقبل، وأنت تقول بالتسلسل في المستقبل.

جاء الجويني، طبعًا هذا كلام الجويني ليفرق بين الماضي والمستقبل، إذن ما ذكره الشيخ هو جوابٌ عن سؤالٍ يَرِد عليهم في اعتماد برهان التطبيق. واضح؟ عرفنا سياق الـ...

طيب، بالنسبة لبرهان التطبيق سنشرحه، ولكن قبل أن نشرحه نقول: أن أهمية برهان التطبيق مثل أهمية دليل المقدمة الخامسة، ومثل أهمية دليل حدوث الأجسام، ومثل أهمية المسألة التي هي تتوقف عليها وهي إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَل-.

**يقول الإيجي عن أهمية هذا الدليل، يقول:** {إن هذا الدليل هو العمدة} **في ماذا؟** {في إثبات هذ المقدمة}.

**ويقول تلميذه التفتزاني:** (وعليه التعويل في كل ما يدعى تناهيه) إذن الأدلة كثيرة، ولكن الاعتماد على هذا.

**ويقول تلميذه، التفتزاني تلميذ الإيجي، وتلميذ التفتزاني الذي هو الجرجاني يقول في شرحه لكلام الإيجي {إن هذا الدليل هو العمدة} يقول الجرجاني:** {أي في إبطال التسلسل}.

**أحد المتكلمين المتأخرين اختصر القضية وقال:** {وهذا البرهان أحد أركان علم الكلام}.

الآن ننظر إلى هذا الركن العظيم الذي به يثبتون المقدمة الخامسة، وبها يعممون دليل حدوث الأجسام على جميع الحوادث.

**أولًا: ما هو برهان التطبيق؟**

أشرح لكم برهان التطبيق وأحاول أن يكون سهلًا، وإذا تعقد (١٥:٤٣)، لا أشرح لكم (لا إله إلا الله) حتى تقولوا: هذا سهل، وأنت صعبت الـ..، أنا أشرح لكم برهان التطبيق.

هذا ومن الطوفان طوفان نوح، وهذا الآن سنة ١٤٤١هـ، من هنا سلسلة من الطوفان إلى الماضي السحيق، وسلسلة من الآن إلى الماضي، شوفت هذه الخطوط التي وضعتها، نأخذ كل سلسلة من هذه ونطبقها بالسلسلة هذه، شوفتم الأرقام؟ واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة، وهنا أيضًا شوفتوها الأرقام، رقم واحد من هنا نطبقه ونجعله ونوازيه بالرقم واحد هنا، نطبق الرقم هذا بهذا، وهذا بهذا، وهذا بهذا، وننظر إلى الـ..، ونستمر في هذا نطبِّق.

**والاستمرار هذا لا يخلو من أمرين:**

⇦ إما أن يستمر ويزال مستمرًّا، وهذا يستلزم أن تكون هذه السلسلة مثل هذه السلسلة، وين من طوفان الماضي ووين من هنا إلى هنا؟ يعني هذا الفرق من هنا إلى هنا هذا الزمن الطويل يكون هذا مثل هذا، إذا استمر في الماضي، يستلزم أن يكون هذه السلسلة مثل هذه السلسلة، يستلزم أن يكون التساوي بين السلسلتين. **هذا مقبول؟**

ليس مقبول، وبالتالي المطلوب من السلسلة أن تنتج شيئًا آخر.

**طيب، القول بالاستمرار هذا يستلزم ماذا؟**

التساوي بين السلسلتين وهذا لا يجوز، هذه السلسلة ناقصة، وهذه طويلة، فتكون الناقصة مثل هذه، وهذه مثل هذا، وهذا غير مقبول.

أو تنتهي هذه الناقصة لأنها ناقصة، وتستمر، تستمر، تستمر المفروض تنتهي هذه الناقصة، وتبقى هذه؛ لأنها تنقص أيش؟ من هنا إلى الطوفان كم؟ إذا انتهت هذه يدل على أن هذه إذن تنتهي لأنها زادت عليها بقدرٍ معين، انتهاء هذه يدل على انتهاء هذه، وعدم انتهاء هذه يدل على التساوي مع هذه، وهذا خلاف الفرض.

إذن ما دام أنَّا الآن افترضنا أنها انتهت، كيف انتهت؟ ولذلك شيخ الإسلام ذكر أن هذا وغيره حتى المتكلمون ذكروا أن هذا يعارض بالأعداد مثلًا، أنت ضاعف اثنين، اثنين ضعفه كم؟

**طالب:** أربعة.

**الشيخ:** وضعفه كم؟

طالب: ثمانية.

الشيخ: وضعفه كم؟

طالب: ستة عشر.

الشيخ: ويمشي، يمشي وضاعف أيضًا عشرين، ضعفه كم؟

طالب: أربعين.

الشيخ: وضعفه كم؟

طالب: ثمانين.

الشيخ: وامشِ، امشِ، هل ينتهي هذا أو هذا؟ ما ينتهي، وهكذا هذا ما ينتهي، لا تنتهي هذه، ولا تنتهي هذه، وبالتالي هذا الفرض الذي تخيلته، شوف أركان علم الكلام كيف أنها —ما شاء الله– قوية، هذا الذي تخيلته وأثبت به هذه المقدمة الخامسة التي لأجلها جعلت التنزيه منحصرًا في هذا الدليل، وأن من يخالف هذا الدليل فهو يقول بحلول الحوادث بذاته –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–، شوف الأساطير هذه.

أول شيء: فهمنا الدليل؟

**الحضور**: نعم.

**الشيخ**: ما دام أنَّا فهمنا، نقول الآن، نذكر بعض الأدلة؛ لأن سبحان الله! كما قلت لكم: هذا الدليل، أو برهان التطبيق هذا أقوى الأدلة لإثبات هذه المقدمة، والمتكلمون أنفسهم بعضهم أبطلوا هذا البرهان الذي هو برهان التطبيق، وممن أبطله ونقضه بتوسع، ونقضه بعشرة أوجه هو الرازي، طبعًا ذكر عشرة أوجه لإبطال هذا الدليل الأول هذه المقدمة برهان التطبيق، لما ذكر عشرة أوجه لإبطاله استطاع أن يجيب عن بعضها، ولم يستطيع أن يجيب عن بعضها، **ثم قال في الأخير**: {فهذا غاية ما يحضرنا في تقرير هذه الحجة بعد الأفكار المتوالية فيها في مدة } كم؟ {أربعين سنة، والله ولي التوفيق} هذا يقوله في [المطالب العالية].

**أنا علقت عليه قلت**: إذا كانت هذه الحجة وهي فرضٌ عقلي قد دوخت الرازي أربعين سنة، **فإنه يُفهَم من ذلك أمران:**

– أحدهما أن هذا البرهان عظيم القدر، خطير الدلالة حتى كلَّف الرازي نفسه هذه المدة الطويلة في التفكير فيه.

– والثاني: صعوبة هذا البرهان وتعقده وعدم وضوحه، أو عدم إمكان تقرير صحته، فهل يمكن أن يكون للشرع دليلٌ وبرهانٌ على قضية شرعية بهذه المثابة، ونكون مكلفين بنتائجه؟ لا شك أن ذلك ليس من الدين، وأن الرازي وأمثاله أتعبوا أنفسهم في غير المضمار الذي كان الواجب عليهم أن يتعبوا أنفسهم فيه، وهي الدلائل والمسائل المأخوذة من الكتاب وسنة النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم–. هذا كلام الرازي.

الآمدي أيضًا نقضه من أوجه، وبعض المشتغلين بعلم الكلام والفلسفة ذكر أن هذا الدليل سفسطة.

**هذا من ذكره؟**

الشيخ محمد عبده وهو متكلم معروف، ذكر هذا في حاشيته على شرح ديوان [العضدية] عضد الدين الإيجي، تجدونه في كتاب الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين وهو في مجلدين، نقلته من هناك.

**ويقول في الأخير**: {وجميع ما قالوه في إبطال التسلسل من البراهين فإنما هو مبنيٌّ على أوهامٍ كاذبة يردعها البرهان الصحيح}. نحن الآن ضعنا بين البراهين هذه. {البرهان الصحيح، وإلى الآن لم يكن برهان خطابي فضلًا عن يقيني على وجوب تناهي سلسلةٍ اجتمعت أجزاؤها في الوجود مع الترتيب، أو لم تكن كذلك، فإن ثبت تناهي الحوادث فلشيءٍ آخر لا يتعلق بالتسلسل استحالةً أو جوازًا، وطريق إثبات الواجب متسع لنا فيه مندوحة عن ارتكاب أمثال هذه الأوهام}. هذا متكلم من المتكلمين، ومن أئمتهم.

**من الوجوه التي ذكروها**، هم ذكروها وذكرها غيرهم، طبعًا هذا الذي أقرأه كلام شيخ الإسلام: {أنَّا لا نسلم إمكان التطبيق مع التفاضل} شوفتم هذا التطبيق؟ كيف تجروا هذه إلى هنا؟ كيف؟ تطبيق مع التفاضل {وإنما يمكن التطبيق بين المتماثلين لا بين المتفاضلين}.

{وخلاصة هذا الوجه أن هذا الدليل يتضمن مغالطة؛ إذ هو يفترض قبول غير المتناهي لنفس النسب والأحكام التي تقبلها الكميات المتناهية وهذا غير مسلم} ذكره الآمدي، هذا التعليق الذي ذكرته هذا للآمدي في [أبكار الأفكار].

**ثانيًا**: {القول بجواز وقوع التفاضل الذي منعوه وأحالوه، ذلك أن الحوادث من الطوفان إلى ما لا نهاية له في المستقبل أعظم من الحوادث من الهجرة أو من الطوفان إلى ما لا نهاية له في المستقبل،

وكذلك العكس فإن من الهجرة أو من الطوفان إلى ما لا بداية له في الماضي، أعظم من الطوفان إلى ما لا بداية له في الماضي} طبعًا أنا ذكرت هنا الهجرة لأني بدأت من الهجرة سلسلة ومن الطوفان سلسلة، الآن ذكرت لكم السلسلة من الآن من هذه السنة.

**ثالثًا**: أن التطبيق إنما يمكن في الموجود، أما التطبيق في المعدوم فممتنع، كما في تطبيق مراتب الأعداد من الواحد إلى ما لا يتناهى، فإنا نعلم أن عدد تضعيف الواحد أقل من عدد تضعيف العشرة، وعدد تضعيف العشرة أقل من عدد تضعيف المائة، وعدد تضعيف المائة أقل من عدد تضعيف الألف والجميع لا يتناهى. يمشي فيها، فإنَّا نعلم أن الموارِدة بالمثل، وذلك بإلزامهم في المستقبل بأن يعارض جانب الأزل بجانب الأبد، فيُجرَى فيه البرهان نفسه، فيلزم منه تناهي الحوادث مستقبلًا، فيقال: لا شك أن إمكان حدوث الحوادث من يوم الطوفان إلى آخر الأبد، أكثر من صحتها من هذا اليوم إلى آخر الأبد، فإن طبقنا طرفا هذين الامتدادين من هذا الجانب، فإن امتد أبدًا من الجانب الآخر من غير أن يظهر التفاوت يلزم أن يكون الزائد مساويًا للناقص وهو محال، وإن ظهر التفاوت من ذلك الجانب لزم انتهاء صحة حدوث الحوادث من جانب الأبد إلى آخر ونهاية، وذلك باطل بالاتفاق. إلى هنا سياق القصة.

أجاب الجويني لتوضيح الفرق بين المستقبل والماضي هذا الجواب.

(**وَقَدْ أَوْرَدَ أَبُو الْمَعَالِي**) كما قلت: هذا المثال لتوضيح الفرق بين جواز التسلسل في المستقبل، وامتناعه في الماضي (**فِي إِرْشَادِهِ وَغَيْرُهُ مِنَ النُّظَّارِ عَلَى التَّسَلْسُلِ فِي الْمَاضِي، فَقَالُوا: لِأَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: لَا أُعْطِيكَ دِرْهَمًا إِلَّا أُعْطِيكَ بَعْدَهُ دِرْهَمًا، كَانَ هَذَا مُمْكِنًا**) هو يريد أن يقول: أن التسلسل في المستقبل ثابتٌ، وأضرب لك مثالًا يثبت به، والتسلسل في الماضي لا يجوز، بهذا المثال يثبته.

**(لَا أُعْطِيكَ دِرْهَمًا إِلَّا أُعْطِيكَ بَعْدَهُ دِرْهَمًا) ما الذي تفهم من هذا؟**

**طالب:** .....

**الشيخ: (لَا أُعْطِيكَ دِرْهَمًا إِلَّا أُعْطِيكَ بَعْدَهُ دِرْهَمًا) ما الذي تفهمه؟**

دقق في المقابلة لأن هذا التدقيق المقابلة هذا الذي يجعلنا سنفهم (٣١:١٣).

**طالب:** .....

**الشيخ: (لَا أُعْطِيكَ دِرْهَمًا إِلَّا أُعْطِيكَ بَعْدَهُ دِرْهَمًا)** طيب **(فِي الْمَاضِي، فَقَالُوا: لِأَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: لَا أُعْطِيكَ دِرْهَمًا)** طبعًا هذا نفي للمستقبل **(حَتَّى أُعْطِيَكَ قَبْلَهُ دِرْهَمًا)** أيضًا حتى يحصل شيء للمستقبل **(كَانَ هَذَا مُمْتَنِعًا. وَهَذَا التَّمْثِيلُ)** نحن الآن يعني خلاصته أنه **(لَا أُعْطِيكَ دِرْهَمًا إِلَّا أُعْطِيتكَ بَعْدَهُ دِرْهَمًا)**.

**(لَا أُعْطِيكَ حَتَّى أُعْطِيَكَ قَبْلَهُ دِرْهَمًا)** يقول: **(هذا التمثيل وَالْمُوَازَنَةُ غَيْرُ صَحِيحَةٍ، بَلِ الْمُوَازَنَةُ الصَّحِيحَةُ أَنْ تَقُولَ: مَا أَعْطَيْتُكَ دِرْهَمًا إِلَّا وَأَعْطَيْتُكَ)** مقابلة الماضي بالماضي **(مَا أَعْطَيْتُكَ دِرْهَمًا إِلَّا أَعْطَيْتُكَ قَبْلَهُ دِرْهَمًا، فَتَجْعَلَ مَاضِيًا) (مَا أَعْطَيْتُكَ)** ماضي **(فَتَجْعَلَ مَاضِيًا قَبْلَ مَاضٍ) (إِلَّا أَعْطَيْتُكَ قَبْلَهُ) (كَمَا جَعَلْتَ هُنَاكَ مُسْتَقْبَلًا بَعْدَ مُسْتَقْبَلٍ)** لأنك قلت هناك: **(لَا أُعْطِيكَ)**.

**يعني (لَا أُعْطِيكَ) متى؟**

في المستقبل.

**(حتَّى أُعْطِيكَ) يعني متى؟**

مستقبلًا.

شوف! **(فَتَجْعَلَ مَاضِيًا قَبْلَ مَاضٍ) لماذا؟**

لأن الموضوع هنا في الماضي الذي قبله ماضي.

**التسلسل في الماضي كيف يكون؟**

تذكر الماضي، وقبله ماضي، أما أنت لما تقول: {لا أعطيك إلا أعطيك}. هذا ليس ماضيًا، وتثبت به الماضي، الصيغة ليست صيغة ماضي وتثبت به ماضي.

**(وَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ: لَا أُعْطِيكَ حَتَّى أُعْطِيَكَ قَبْلَهُ، فَهُوَ نَفْيٌ لِلْمُسْتَقْبَلِ حَتَّى يَحْصُلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَيَكُونُ قَبْلَهُ)** مجرد ما فيه أنه **(لَا أُعْطِيكَ دِرْهَمًا إِلَّا أُعْطِيكَ بَعْدَهُ دِرْهَمًا)** ففيه الصيغة هنا منصبة على المستقبل، وأنت تريد أن تثبت بها شيئًا في الماضي.

**(فَقَدْ نَفَى الْمُسْتَقْبَلَ حَتَّى يُوجَدَ الْمُسْتَقْبَلُ، وَهَذَا مُمْتَنِعٌ. لَمْ يَنْفِ الْمَاضِيَ حَتَّى يَكُونَ قَبْلَهُ مَاضٍ، فَإِنَّ هَذَا مُمْكِنٌ، وَالْعَطَاءُ الْمُسْتَقْبَلُ ابْتِدَاؤُهُ مِنَ الْمُعْطِي، وَالْمُسْتَقْبَلُ الَّذِي لَهُ ابْتِدَاءٌ وَانْتِهَاءٌ لَا يَكُونُ قَبْلَهُ مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ)** فلا يصح أن يقول، نزيد نقول: (فلا يصح أن يقول: **(لا أعطيك حتى أعطيك، فَإِنَّ مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ فِيمَا يَتَنَاهَى)**.

**ما هو (فِيمَا يَتَنَاهَى)؟**

عطاء المعطي، (**فَإِنَّ مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ فِيمَا لا يَتَنَاهَى**) وهو عطاء المعطي (**مُمْتَنِعٌ**).

**شوف!** هو هنا **{لا أعطيك إن لم أعطيك}** الصيغة صيغة المستقبل، والذي يريده يريد إثبات شيءٍ في الماضي، يقول المؤلف وهو كلام شيخ الإسلام يقول: {هذا لا يجوز} الصحيح أن تقول: (**ما أَعْطَيْتُكَ دِرْهَمًا إِلَّا أَعْطَيْتُكَ قَبْلَهُ دِرْهَمًا**) وهنا نفيٌ للماضي ونفي الماضي قبله، وهذا يصح؛ لأنه ماضي قبله ماضي.

**وهل يمكن يتحقق هذا (ما أَعْطَيْتُكَ دِرْهَمًا إِلَّا وأَعْطَيْتُكَ قَبْلَهُ دِرْهَمًا)؟**

يجوز.

أنا أعطيك درهم، وقبل هذا أعطيك درهم، وقبل هذا أعطيك درهم، ويستمر هذا، هو يريد أن يقول: بالنسبة للماضي لا يمكن أن يتحقق، أما بالنسبة للمستقبل يتحقق.

**هو لما يقول: (لا أعطيك حتى أعطيك) هذا ممتنع، لماذا؟**

لأن فيه نفيٌ للمستقبل حتى يحصل المستقبل.

أنت إعطاؤك للدرهم اشترطت فيه أن يحصل شيء في المستقبل، حتى يتحقق هذا الذي في المستقبل إعطاؤك للدرهم موقوفٌ عليه، وبالتالي خلاصة أن المقابلة التي ذكرتها ليس فيها الشيء المهم الذي تريده في الماضي، أنت نفيت شيئًا في المستقبل حتى يحصل قبله شيءٌ في المستقبل.

**بالنسبة للمستقبل ما عنده إشكال، وما عندنا إشكال المهم عندنا ماذا؟**

أن يأتي بمثال واضح فيما يتعلق بالماضي، ورأينا أنه بعد هذا الجهد، وبعد هذا الكد لم يأت بمثال حتى من ناحية الافتراض يثبت، مع أنه حتى ولو جاء بمثالٍ يثبت هذا لا يقدِّم ولا يؤخر؛ يعني مثل الأمور العظام لا تثبتها بهذه الأمثلة، فيقال له: هذا الذي جئت به من المثال ليس فيه تركيزٌ على الماضي، والمهم هنا إثبات امتناع التسلسل في الماضي، ولم يأتِ بمثال يثبت هذا، يثبت الامتناع يعني.

**(المتن)**

**قال المصنف –رَحِمَهُ الله تَعَالَى–:**

**"لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِي".**

قال الشارح -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-: ظَاهِرُ كَلَامِ الشَّيْخِ -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- أَنَّهُ يَمْنَعُ تَسَلْسُلَ الْحَوَادِثِ فِي الْمَاضِي، وَيَأْتِي فِي كَلَامِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْنَعُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَلَا شَكَّ فِي فَسَادِ قَوْلِ مَنْ مَنَعَ من ذَلِكَ فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجَهْمُ وَأَتْبَاعُهُ، وَقَالَ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، لِمَا يَأْتِي مِنَ الْأَدِلَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ بِجَوَازِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا مِنَ الْقَائِلِينَ بِحَوَادِثَ لَا آخِرَ لَهَا، فَأَظْهَرُ فِي الصِّحَّةِ مِنْ قَوْلِ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَزَلْ حَيًّا، وَالْفِعْلُ مِنْ لَوَازِمِ الْحَيَاةِ، فَلَمْ يَزَلْ فَاعِلًا لِمَا يُرِيدُ، كَمَا وَصَفَ بِذَلِكَ نَفْسَهُ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾[البروج:١٥-١٦]، وَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أُمُورٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ. الثَّانِي: أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ سَاقَ ذَلِكَ فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَمَالِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَادِمًا لِهَذَا الْكَمَالِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:١٧]، وَلِمَا كَانَ مِنْ أَوْصَافِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ لَمْ يَكُنْ حَادِثًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ. الثَّالِثُ: أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَعَلَهُ، فَإِنَّ مَا مَوْصُولَةٌ عَامَّةٌ؛ أَيْ: يَفْعَلُ كُلَّ مَا يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ، وَهَذَا فِي إِرَادَتِهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِفِعْلِهِ، وَأَمَّا إِرَادَتُهُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِفِعْلِ الْعَبْدِ فَتِلْكَ لَهَا شَأْنٌ آخَرُ؛ فَإِنْ أَرَادَ فِعْلَ الْعَبْدِ وَلَمْ يُرِدْ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُعِينَهُ عَلَيْهِ وَيَجْعَلَهُ فَاعِلًا لَمْ يُوجَدِ الْفِعْلُ، وَإِنْ أَرَادَهُ حَتَّى يُرِيدَ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ فَاعِلًا. وَهَذِهِ هِيَ النُّكْتَةُ الَّتِي خَفِيَتْ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ، وَخَبَطُوا فِي مَسْأَلَةِ الْقَدَرِ؛ لِغَفْلَتِهِمْ عَنْهَا، وَفَرْقٌ بَيْنَ إِرَادَتِهِ أَنْ يَفْعَلَ الْعَبْدُ وَإِرَادَته أَنْ يَجْعَلَهُ فَاعِلًا، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى مَسْأَلَةِ الْقَدَرِ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. الرَّابِعُ: أَنَّ فِعْلَهُ وَإِرَادَتَهُ مُتَلَازِمَانِ، فَمَا أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَهُ فَعَلَهُ، وَمَا فَعَلَهُ فَقَدْ أَرَادَهُ. بِخِلَافِ الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ مَا لَا يَفْعَلُ، وَقَدْ يَفْعَلُ مَا لَا يُرِيدُ، فَمَا ثَمَّ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ. الْخَامِسُ: إِثْبَاتُ إِرَادَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ بِحَسَبِ الْأَفْعَالِ، وَأَنَّ كُلَّ فِعْلٍ لَهُ إِرَادَةٌ تَخُصُّهُ، هَذَا هُوَ الْمَعْقُولُ فِي الْفِطَرِ، فَشَأْنُهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ عَلَى الدَّوَامِ وَيَفْعَلُ مَا يُرِيدُ. السَّادِسُ: أَنَّ كُلَّ مَا صَحَّ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِهِ إِرَادَتُهُ جَازَ فِعْلُهُ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْزِلَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَنْ يَجِيءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَأَنْ

يُرِي عِبَادَهُ نَفْسَهُ، وَأَنْ يَتَجَلَّى لَهُمْ كَيْفَ شَاءَ، وَيُخَاطِبَهُمْ، وَيَضْحَكَ إِلَيْهِمْ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُرِيدُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَمْتَنِعْ عَلَيْهِ فِعْلُهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ.

وَإِنَّمَا تَتَوَقَّفُ صِحَّةُ ذَلِكَ عَلَى إِخْبَارِ الصَّادِقِ بِهِ، فَإِذَا أَخْبَرَ وَجَبَ التَّصْدِيقُ، وَكَذَلِكَ مَحْوُ مَا يَشَاءُ، وَإِثْبَاتُ مَا يَشَاءُ، كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْحَوَادِثَ لَهَا أَوَّلٌ، يَلْزَمُ مِنْهُ التَّعْطِيلُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَأَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَمْ يَزَلْ غَيْرَ فَاعِلٍ ثُمَّ صَارَ فَاعِلًا، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ قِدَمُ الْعَالَمِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى مُحْدَثٌ مُمْكِنُ الْوُجُودِ، مَوْجُودٌ بِإِيجَادِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ إِلَّا الْعَدَمُ، وَالْفَقْرُ وَالِاحْتِيَاجُ وَصْفٌ ذَاتِيٌّ لَازِمٌ لِكُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ تَعَالَى وَاجِبُ الْوُجُودِ بِذَاتِهِ، غَنِيٌّ بِذَاتِهِ، وَالْغِنَى وَصْفٌ ذَاتِيٌّ لَازِمٌ لَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

(الشرح)

المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ- الإمام الطحاوي قال فيما سبق: (**مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا**).

وقال هنا: (**لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِي**).

ثم قال في نهاية هذه الفقرة: (**لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ، وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِلَيْهِ فَقِيرٌ، وَكُلُّ أَمْرٍ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ**، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]) هذه كلها تقريبًا فقرة واحدة.

هنا، ما ذكره هنا (**لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ**) هذه الفقرة تابعة للفقرة السابقة (**مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ**) يُثْبِت الإمام الطحاوي -رَحِمَهُ اللهُ- في هذه الجُمَل أن الله -عَزَّ وَجَل- متصفٌ بصفاته أزلًا وأبدًا، وهذه المسألة لا يختلف فيها كل من يثبت شيئًا من الصفات، وأن الله -عَزَّ وَجَل- متصفٌ بصفاته أزل أبد، والصفاتية بما فيهم الكلابية والأشاعرة والماتريدية وأهل السنة كلهم يثبتون هذا، إن الله -عَزَّ وَجَل- متصفٌ بصفاته أزلًا وأبدًا، والاختلاف فيهم في تحديد الصفات التي يثبتونها، وفي إثبات تعلقها بالمشيئة والقدرة، هل من صفاته سبحانه ما يتعلق بمشيئته وقدرته؟ يعني هذا القدر الذي ذكره الإمام الطحاوي كما قلت: لا يختلف فيه الأشاعرة والماتريدية، وكذلك أهل

السنة. كلهم يقولون بهذا، ولكن لأن فيه تأصيل لأصل المسألة، والاختلاف في تحديد الصفات التي يثبتونها، والصفات التي يثبتونها هي أزلية، والاختلاف أيضًا في كيفية إثباتها، والاختلاف أيضًا في تعلقها بمشيئته وقدرته.

بما أن هناك مسائل لم يذكرها الإمام الطحاوي ولم تَرِد في كلامه، وهي التي فيها الخلاف بين أهل السنة وغيرهم حاول الجميع أن يربط كلام الطحاوي بمذهبه، وكمَّل مِنْ عِنْدِه ما يكمِّل منظومته في الصفة.

**فمثلًا:**

✍ **الكلابية قالوا:** بما أن الطحاوي لم يذكر إلا تأكيد أزلية الصفات، وهذا نحن نقول به، إذن الطحاوي كلَّابي، بل حصل الخلاف بين الكلابية أنفسهم.

✍ **الأشاعرة قالوا:** كلامه يدل على كلامنا.

✍ **والماتريدية قالوا:** كلامه يدل على كلامنا.

وكلٌّ له دليله.

**مثلًا: الأشاعرة ماذا يقولون؟**

يقولون: أن الصفات الفعلية المتعدية هي عبارة عن إضافات وَنِسَب بين القدرة والمقدور، وبين الإرادة والمراد، إذن ليس هناك شيءٌ غير الإرادة والقدرة، وإنما التجدد في التعلق. أظن ذكرت مسألة التعلق فيما سبق.

الجديد في التجدد في التعلق، أما الإرادة هي قديمة، والقدرة قديمة، وبالإرادة والقدرة يكون الفعل، بالقدرة يكون الإيجاد، وبالإرادة يكون التخصيص.

✍ **الماتريدية قالوا:** نحن نقول بأزلية جميع الصفات بما أنها صفات الفعل المتعدية. سنذكر هذا الخلاف بين الفريقين، بما أننا نقول: بأزلية جميع الصفات بما في ذلك الأفعال أفعال الله -عَزَّ وَجَل- المتعدية، بالتالي الطحاوي على مذهبنا.

✍ **الأشاعرة قالوا:** الطحاوي أطال في المسألة وختمها بذكر القدرة، يقول: (**ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) لماذا ختم هذه الجملة بذكر قدرته؟ لأنه ربط هذه الأمور بالقدرة، وبالتالي ليس هناك شيءٌ

غير الإرادة والقدرة، وأن الإيجاد والتخصيص يكون بالإرادة والقدرة، وليس بصفةٍ أخرى يسميها الماتريدية التقرير(٥:٤٩).

✍ **إذن أهل السنة يرون:** أنه رد على المعتزلة؛ لان المعتزلة يرون، وتركيزه فعلًا يدل على هذا، تركيزه يدله على الرد على المعتزلة، أما ما ذكره الشيخ هنا، ظاهر كلام الشيخ أنه يمنع تسلسل الحوادث في الماضي. فهذا نوزع فيه ابن أبي العز، وسواءٌ كان هذا ظاهرًا، أو لم يكن ظاهرًا، المهم تركيز المؤلف الإمام الطحاوي على مناوأة ومخالفة مذهب المعتزلة. هذا واضح في سياقه؛ لأنه يريد أن يقول: أن الله -عَزَّ وَجَل- لم يكتسب أسماؤه من آثار صفاته، لا.

**مثلًا:** لم يكتسب اسم الخالق من تسمية المخلوقين لأن المعتزلة يقولون: أن أسماء الله -عَزَّ وَجَل- هي من إطلاقها من المخلوقين، خلق المخلوقات، وهم سموه، فإذن أسماؤه مخلوقة. هكذا يقولون.

نكمل إن شاء الله بعد الصلاة. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * * * * * * * * *

## ٤٧

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:-**

كنا نتحدث عن مراد الإمام الطحاوي -رَحِمَهُ الله- بهذه الجمل، وذكرنا أن تركيزه على الرد على المعتزلة الذين يقولون: أن الله -عَزَّ وَجَل- قد استحدث صفاته، أو لا يثبتون الصفات، أسماءه بآثار مخلوقاته، خلق الخلق، وهؤلاء سموه بما وردت أسماؤه هم الذين سموه، بما أن هذه الأسماء جاءت من مخلوقاته فهي مخلوقة.

**بينما أهل السنة يرون:** أن أسماء الله -عَزَّ وَجَل- غير مخلوقة، والله -عَزَّ وَجَل- هو الذي سمى نفسه بهذه الأسماء.

**الله –عَزَّ وَجَل– متى سمى نفسه بهذه الأسماء؟**

في الأزل، وأخبرنا عن أسمائه في كُتبه، وبالتالي أسماؤه ليست مخلوقة، وأسماؤه التي وردت في القرآن ليست مخلوقة، كما أن القرآن ليس مخلوقًا.

**وذكرنا رأي الكلابية الذين قالوا أيضًا:** أن أسماؤه غير مخلوقة، ويقصدون بهذا أن الله –عَزَّ وَجَل– هو غير مخلوق، سبق هذا في الاسم هو المسمى.

وبالتالي تركيز الإمام الطحاوي على الرد على المعتزلة.

أما ما يتميز به أهل السنة، أو يتميز به الكلابية فليس في كلامه ما هو صريحٌ في ذلك.

**أهل السنة يتميزون في هذا الباب بماذا؟**

بإثبات تعلق صفاته بمشيئته وقدرته، يثبتون الصفات الاختيارية، وأن الله –عَزَّ وَجَل– يكلم من شاء بما شاء متى شاء، وأنه يفعل ما يريد في الوقت الذي يريد، وأن صفاته الاختيارية التي أثبتها لنفسه ثابتةٌ له سواء كانت صفاتٍ اختيارية، أو أفعالًا متعدية، أو أفعالًا ترجع إلى نفسه، كلها ثابتة له، هذا الذي يتميز به أهل السنة.

**هل ورد في كلامهم ما يدل على هذا؟**

لا.

الكلابية يرون أن صفاته كلها أزلية، ما يثبتونه من الصفات كلها أزلية، وأنه ليس في الصفات ما يكون متعلقًا بمشيئته وقدرته، هذا أيضًا لم يرد في كلام الطحاوي.

**ما ورد في كلام الإمام الطحاوي:** هو التأكيد على أن الله –عَزَّ وَجَل– متصفٌ بصفاته أزلًا وأبدًا، وذكر ابن أبي العز أن هذا لا يخدش فيه ما أثبته الله –عَزَّ وَجَل– من الصفات الاختيارية؛ لأن أصل الفعل ثابتٌ لله –عَزَّ وَجَل– أزلًا وأبدًا، والصفات الاختيارية إذا أرجعتها إلى الفعل، فصفة الفعل، وصفة الخلق بالنسبة لله –عَزَّ وَجَل– هي أزلية، أما أفعاله التي تكون بمشيئته وقدرته، وتكون في وقتٍ معين، وصفاته التي تكون في الوقت الذي يريدها ويشاؤُها، فهذه تتعلق بمشيئته وقدرته، الله –عَزَّ وَجَل– ينزل في ثلث الليل الآخر متى ما يريد، والله –عَزَّ وَجَل– يأتي عباده يوم القيامة فيكلمهم بما شاء، والله –عَزَّ وَجَل– استوى بعد خلق السماوات والأرض، كما أخبرنا، ثم استوى على العرش.

هذا كله يثبته أهل السنة، وينفيه الكلابية، وليس في كلام الطحاوي ما يفيد أهل السنة، أو يفيد الكلابية.

إذن في كلامه الرد على الفرقة التي يرد عليها الجهمية، مذهب المعتزلة أن الله -عَزَّ وَجَل- استحدث أسماؤه، وأن أسماءَه ليست قديمة، وأن هذه الأسماء بالنظر إلى آثاره خلق وسماه الخلق خالقًا، رب المخلوقين، فالمخلوقون سموه ربًّا، أمرهم بعبادته فعبدوه، فسموه إلهًا، وهكذا.

إذن، الرد على المعتزلة الذين يقولون بحدوث أسمائه، ولا يثبتون شيئًا من الصفات، ففي كلامه ما يدل على:

- أن الله -عَزَّ وَجَل- أولًا متصفٌ بصفات (**مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ**).

- وفي كلامه ثانيًا: أن الله -عَزَّ وَجَل- متصفًا بصفاته أزلًا وأبدًا، وأن أسماءَه أيضًا هي منه وبالتالي ليست مخلوقة.

هنا لما يقول الشيخ يعني الإمام الطحاوي: (**لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِي**) **هذا ردٌّ على من؟**

على المعتزلة.

**ولكن هل فيه ما يتميز به أهل السنة، أو ما يتميز به الكلابية؟**

لا.

مع ذلك فيما يمكن جره إلى مذهب بعض المتكلمين وهم الماتريدية، حتى الأشاعرة كما قلت: الإمام الطحاوي لما ختم هذه الفقرة بذكر القدرة، الأشاعرة قالوا: الطحاوي معنا لأنه ذكر القدرة في الأخير، وهذا مُؤْذِنٌ بأنه يرجئ هذه الصفات، أو يرجئ أفعاله إلى قدرته.

وأما الماتريدية فما يدل على كلامهم كثير، أو ما استغلوه، ما يدل على كلامهم ليس فيه شيءٌ مما يمكن أن يكون نصًّا، ولكن القرائن التي استدلوا بها هي أكثر من ادعاء الأشاعرة.

نحن رأينا أن الماتريدية والأشاعرة كلهم يرون بـ(**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) أليس كذلك؟ اتفقوا على هذا، وعلى كلامهم الله -عَزَّ وَجَل- من ناحية يقولون: هو متصفٌ بصفاته أزلًا وأبدًا، ومن ناحية يقولون: أن هناك فترة لم يكن يخلق فيها، **لماذا؟**

قالوا: لأن الفعل كان ممتنعًا عليه، وبعضهم قال: لأنه لم يكن قادرًا أصلًا. كما هو مذهب المعتزلة.

**طيب، فعله، أفعاله التي هي أفعالٌ متعدية من الرزق، والإحياء، والإماتة، والإحسان، ماذا تقولون فيها؟**

**هنا اختلفوا:**

- **أهل السنة** بما أنهم يثبتون الصفات الاختيارية فلا إشكال عندهم، عندهم الصفات الاختيارية كلها تستلزم حلول الحوادث بذاته سبحانه، وبالتالي لا يمكن إثباتها، لا يمكن أن تثبت الصفات الاختيارية على أنها تتعلق بمشيئته وقدرته عندهم قولًا واحدًا، **لماذا؟**

لأنها قولٌ بحلول الحوادث بذاته سبحانه.

وسبق أن ذكر ابن أبي العز أن الحوادث لفظٌ مجمل، الحوادث والأعراض ألفاظ مجملة.

- **المعتزلة يقولون:** إثبات الصفات لا يجوز؛ لأن الصفات كلها أعراض، والأعراض تعرض وتزول، والله -عَزَّ وَجَل- لا يمكن أن تقول فيه أنه متصفٌ بشيءٍ يعرض ويزول.

- **الكلابية قالوا:** لا، الصفات فيها بعض الصفات لا نستطيع أن نقول عنها أنها أعراض. اختلفوا فيما بينهم.

☜ هم يقولون: أن الصفات كلها أعراض.

☜ والأشاعرة والماتريدية يقولون: لا، الصفات بعضها ليست أعراض، بل هي صفات؛ لأنها لازمة لذاته أزلًا وأبدًا.

نحن نقول الآن للأشاعرة: جوابكم للمعتزلة هو جوابنا لكم، أنتم قلتم لهم: الأعراض هي الأفراد، وهي التي تعرض وتزول، وصفاته اللازمة لذاته أزلًا وأبدًا ليست أعراض. هذا قولٌ لكم.

إثبات الصفات الفعلية لله -عَزَّ وَجَل- ليس فيه حلولٌ للحوادث بذاته سبحانه؛ لأن الحوادث إذا أردتم بها الآفات والأمراض، وأنها تحل بذاته. فهذا لا يقول به أحد، أما إذا أردتم أن تسموا الكمالات التي أثبتها الله -عَزَّ وَجَل- لنفسه حوادث فلسنا معكم، كما أنكم لستم مع المعتزلة في تسمية بعض كمالاته أعراضًا. إذن هذه التسميات، أو هذه أسماء من عندكم، فالأعراض معناها في اللغة يختلف عن معناها عندكم، ولسنا ملزمين لا باصطلاحكم، ولا بالذي يدل عليه هذا الاصطلاح، وكذلك الحوادث معناها في اللغة يختلف عن الذي تريدونه، إذا قلتم: إثبات هذه الصفة، أو هذه الصفة والصفات التي أثبتها الله -عَزَّ وَجَل- في كتابه، وأثبتها له رسوله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- في سنته

الصحيحة إذا سميتموها أعراضًا، أو سميتموها حوادث، فهذا لا يغير من الحقيقة شيئًا، فهي كمالاتٌ أثبتها الله -عَزَّ وَجَل- لنفسه، وتمدح بها، وبها تعرّف إلى عباده، وأن هذه أفعاله، وهي تتعلق بمشيئته وقدرته، وبعض صفاته هي صفاتٌ أزلية أبدية لا تنفك عنها الذات المقدسة. إذن هذه أسماء ومصطلحات على ضوئها تثبتون وتنفون ونحن لسنا معكم لا في الخلاف البيِّن الذي بينكم، ولا في الخلاف الذي بينكم وبيننا.

**بالنسبة للصفات الاختيارية:**

**أولًا**: قلنا: أن كلام الإمام الطحاوي لم يَرِد فيه ما استدل به، أو هم يستدلون به، ولكن قلت في كلامه ما قد يُستَغل أو يستغله الماتريدية، الماتريدية يزيدون على الأشاعرة بإثبات صفةٍ ثامنةٍ وهي صفة التكوين.

**وصفة التكوين** هذه عبارة عن الصفات التي هي صفاتٌ فعلية وهي صفاتٌ متعدية: الإيجاد، والتكوين، الإحياء، الإماتة، الرزق، الإحسان، هذه كلها تتعلق بالله -عَزَّ وَجَل- هي صفاته، وهي متعدية تتعلق بمخلوقاته. هذه الصفات إذا أردتها صفات تتعلق بمشيئته وقدرته لا يثبتها أحد، لا الأشاعرة، ولا الماتريدية، وإذا أردتها أزلية هي صفات فعلية، ولكن إذا أردت أن تثبتها أزلية فالماتريدية يثبتونها، والأشاعرة موقفهم واحد.

**حتى نتصور هذه المسألة أكثر، ولا تختلط الأمور علينا نقول:**

**أولًا**: اتفقوا على نفي الصفات الاختيارية بمعنى أنها تتعلق بمشيئته وقدرته. لا خلاف بينهم في هذا. بعضهم أثبت صفة الاستواء مثلًا، وأثبت صفة النزول، وأثبت صفة المجيء؛ بمعنى أن الله -عَزَّ وَجَل- أحدث في سماواته شيئًا سماه نزولًا، أما صفة ترجع إلى نفسه لا.

وكذلك يوم القيامة سَيُحْدِث شيئًا اسمه مجيء، أما أنه يأتي لفصل القضاء فلا، والاستواء فعلٌ فعله في العرش سماه استواء. ستجدون مثل هذه الأقوال، وهي أقوال لمتقدمي الأشاعرة التي ذكرتها، ولكن عمومًا صفات اختيارية تتعلق بمشيئته وقدرته قولًا واحدًا ينفونها.

**الصفات الاختيارية هذا مثلًا الأفعال**: الأفعال الاختيارية لله -عَزَّ وَجَل-، والفعل لا يكون إلا اختياريًّا، لا يتصور أن يكون فعلًا ويكون لازمًا للذات.

**ولذلك ما تقذفه الشمس من الأشعة ماذا تسميها؟ تسميها فعلًا؟**

**طالب:** لا.

**الشيخ: هي تدري عنها أصلًا؟ الأشعة هذه الشمس تدري عنها أصلًا؟**

**طالب:** لا.

**الشيخ:** مع أن هذه الأشياء مصدرها ماذا؟ الشمس، ولذلك لا نسمي أن هذه الأشعة هي فعل الشمس؛ لأن هذا يصدر من الشمس، والشمس أصلًا لا إرادة لها في هذه الأشعة، وبالتالي لا يسمى فعلًا.

**شخص وجَّه إليك هذا ماذا تسميه؟**

**طالب:** فعل.

**الشيخ:** فعل؛ لأن هذا كان باختياره.

وهذا هو الفرق بين الفلاسفة الذين يقولون بالعلية، وبين المسلمين الذين يقولون بالخلق، المسلمون بجميع طوائفهم ما دام مسلمًا فهو يقول بالخلق، وأن الله -عَزَّ وَجَل- هو الخالق، وأنه خلق بإرادته ومشيئته وأن الخلق مخلوقٌ لهما.

**الفلاسفة ماذا يقولون؟**

هناك مبدأٌ أول، والعلة الأولى نتج عنها وصدر عنها هذا المخلوق بدون اختيار منه، ولكنه هو المصدر؛ ولذلك هو المبدأ الأول، وهو العلة الأولى، وأن هناك ملازمة بين العلة والمعلول، وهذه الملازمة ليس فيها شيءٌ من الاختيار.

**من الذي يثبت الاختيار؟**

**المسلمون،** بل اليهود والنصارى كلهم الذين ينتسبون إلى أي ملة يثبتون أن الله -عَزَّ وَجَل- هو الذي خلق بإرادته ومشيئته وقدرته.

**أما الفلاسفة** فيرون أن هذا الخلق قد صدر عنه دون أن يكون له فعل في ذلك.

**طيب، الذي يثبت فعله الآن، نحن نتحدث عن الماتريدية، الذي يثبت فعلًا لازمًا لذاته أزلًا وأبدًا، هل أثبت فعلًا؟**

ما أثبت فعلًا.

الماتريدية هنا خالفوا الأشاعرة في الأفعال الاختيارية المتعدية.

**في الأفعال في أفعال الله –عَزَّ وَجَل– الذاتية الأشاعرة لهم فيهم مسلكان:**

أفعال الله –عَزَّ وَجَل– الذاتية: الاستواء، المجيء، النزول، الغضب، الرضا. هذه لهم فيها مسلكان، بل الغضب والرضا يدخل في القسم الثاني.

➢ **المسلك الأول**: ما ذكرناه سابقًا من القول باتحاد الخلق والمخلوق، ليس هناك شيئًا جديدًا، ليس هناك فرق بين الصفة والموصوف، ليس هناك جديد، مع إثباتها.

**مثلًا**: أبو الحسن الأشعري في طور الكلابي يثبت هذه الصفات، يقول: ما دام وردت أدلة على إثباتها نثبتها.

**ولكن هل نثبتها راجعةً إلى ذاته سبحانه فعلًا له يتعلق بمشيئته وقدرته؟**

قال: لا.

**طيب، كيف تثبتها؟**

نثبتها على أنها أفعال ترجع إلى المحل والمخلوق. هذا مسلك متقدمي الأشاعرة.

➢ متأخرو الأشاعرة إما التأويل، وإما التفويض. المعنى: ما نثبتها.

**لماذا لا نثبتها؟**

حلول الحوادث بذاته سبحانه.

هذا أفعال الله –عَزَّ وَجَل– اللازمة فيها للأشاعرة مسلكان.

طيب، الماتريدية هنا أفعال الله –عَزَّ وَجَل– اللازمة يثبتونها، لهم المسلك الثاني للأشاعرة، الأشاعرة المتقدمون يثبتونها، ولكن إثباتهم ليس كإثبات أهل السنة، والمتأخرون إما التأويل، وإما التفويض، بالنسبة للماتريدية مسلكهم فيها المسلك الثاني للأشاعرة إما التأويل، وإما التفويض. هذا في الأفعال الاختيارية.

**الأفعال المتعدية**: بالنسبة للأفعال المتعدية:

– **موقف الأشاعرة فيها** نفس موقفهم بالأول، ليس هناك شيء جديد، وليس هناك شيء حادث، وإنما الجديد هو التعلق والنسبة بين الإرادة والمراد، والقدرة والمقدور.

– **بالنسبة للماتريدية قالوا**: لا، هذه الصفات، أو هذه أفعال الله –عَزَّ وَجَل– المتعدية نثبتها كلها. وبالتالي رأينا أنهم بدأوا يقتربون من أهل السنة لأنهم يثبتونها.

**ما دام أنهم يثبتونها سيصطدمون بماذا؟**

بطاغوتهم.

**كيف تثبت الأفعال وهي تتعلق بمشيئته وقدرته؟ كيف تثبتها وفيها قولًا بحلول الحوادث بذاته سبحانه، كيف؟**

**قالوا: عندنا حل:**

- أولًا: حتى لا تكثر هذه الصفات ندرجها كلها تحت صفةٍ واحدة وهي صفة التكوين. بدأوا يقلبون الـ..

- ثانيًا: نقول ونصرح: أن صفة التكوين أزلية.

وهم قالوا بالنسبة لخلافهم مع الأشاعرة في إثبات الفعل، الأشاعرة قالوا: الفعل هو المفعول، والخلق هو المخلوق وانتهينا، هم قالوا: لا، الفعل نثبته وهو التكوين.

**كيف تقولون: أن الخلق هو المخلوق؟**

قالوا: هذا مكابرة، قال أحدهم: أن هذا من أشنع ما ذكره، ما التزمه الأشاعرة، يقول البزدوي: أن هذا من أشنع ما وجدناه في الأشاعرة، أنهم يقولون: بأن الخلق هو المخلوق (٢٥:٣٢) أن هذا غريب، غريب لغةً، وغريب عقلًا، وغريب شرعًا.

**ولكن كما قلنا سابقًا: هل الأشعري هنا عنده خيار آخر؟**

عنده خيار آخر وهو ترك هذه السلسلة كلها، لا بد أن يذهب إلى الأصل الأول الباطل، ويتركه حتى يستقيم له الباقي، وإلا فهو مضطرٌ هنا، مكرهٌ أخاك لا بطل.

هذه المكابرة هنا هو مجبرٌ عليها؛ ولذلك لما تسأله سيقول: إما ألتزم بحلول الحوادث بذاته سبحانه، أو أقول بهذا.

الماتريدية قالوا: لا، نحن نثبتها وندرجها تحت التكوين ونجعلها أزلية. نقول لهم: ما الذي أثبتموه؟ طبعًا الرازي له كلامٌ طويل في مناقشتهم في صفة التكوين.

**الرازي يقول:** أنتم لما تقولون: أن صفة القدرة هي مرجع الإيجاد والإحداث، أين القدرة؟ أليس إحداث هذه المخلوقات بصفة القدرة؟ وتخصيصها بصفة الإرادة؟ هذا شيء مجمع عليه بين الأشاعرة والماتريدية، لما يتحدثون عن صفة القدرة، صفة القدرة بها يكون الإيجاد، والإرادة بها يكون التخصيص.

**يقول الرازي**: أين موقع التكوين هنا مع القدرة؟ هل التكوين هو القدرة؟ إذا لم يكن هو القدرة، هل له أثر في القدرة، أو أثر مع القدرة؟ ما وضعه؟ هل نقول: الإيجاد كان مع بصفة القدرة زائد التكوين، هل هكذا نقول؟ الإيجاد بالقدرة، والتخصيص بالإرادة قولًا واحدًا.

**هل الماتريدية عندهم جوابٌ مقنع؟**

لا. من الأمور الغامضة التي لا زالوا يعانون منها الفرق بين القدرة والتكوين.

نحن نقول: أنتم لما أثبتم هذه الصفات ولو شكليًّا جيد؛ لإثباتهم لهذه الصفات خرجتم من ورطة الخلق هو المخلوق؛ ولذلك الماتريدية يركزون على هذه الصفة ويقولون: التكوين غير المكون؛ لأن الذي يقول: التكوين هو المكون، فهذا عنده من مكابرة، مع هذا كله نقول للماتريدية: ما أثبتم شيء؛ لأنكم ألغيتم كل ما يمكن أن يقال عنه أنه فعل. هذا أولًا، وتورطتم مع صفة أخرى وهي صفة القدرة ما ميزتم بين هذا وهذا أبدًا.

**طيب، بعد هذا ما رأيكم في الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية؟ ما رأيكم؟**

**طبعًا اختلفوا فيه: هل الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية لفظي أو معنوي؟**

اختلفوا فيه:

**بالنسبة للماتريدية قولًا واحدًا** يرون أن الخلاف حقيقي، ومما يدل على أن الخلاف حقيقي أن هذا الخلاف هو الذي سوغ لنا الفرق بين الخالق والمخلوق، وأن هناك خلقًا وخالقًا ومخلوقًا.

**وبالنسبة للأشاعرة قالوا**: بأن الخلق هو المخلوق. إذن هناك نتيجة واضحة، وقالوا: يلزم على القبول بحدوث الأفعال ألا يُخلَق العالم أصلًا، وذكروا إذن أمورًا كثيرة.

- بالنسبة للماتريدية يرون أن الخلاف حقيقي.
- والأشاعرة من القديم يقولون: أن الخلاف لفظي.

وهذا ذكره كثيرٌ من الأشاعرة منهم الرازي، وذكر هذا في كتابه، له كتاب طُبِع باسم [مناظرات الرازي في بلاد ما وراء النهر].

**أنا أقول نظرة في التراشق الأشعري الماتريدي، نذكر بعض الأمور في هذه المسألة حتى تتضح لنا الصورة لنا أكثر:**

**أولًا**: نحن قلنا: أن هناك تراشقٌ بينهم، وأن هناك أدلة يستدل بها كل فريق.

**من أقوى الأدلة أدلة الأشاعرة على إبطال هذه المسألة يقولون:** القول بقِدَم التكوين يستلزم قِدَم المكوَّن، أنت لما تقول: أن التكوين وبه يكون الإيجاد والإحداث، وهو قديم، هذا يستلزم قِدَم المكون.

الماتريدية قالوا: نسيتم أنتم عندكم الإرادة قديمة، والقدرة قديمة، والمراد حادث عندكم، والمقدور حادث، ما يلزمنا يلزمكم، أليس القدرة عندكم أزلية، والإرادة أزلية؟ ومع ذلك المراد والمقدور حادث، نفس الشيء عندنا التكوين أزلي، والمكوَّن حادث. هذا قلب الدليل عليهم.

والمتفرج يرى أن هذا القلب، طبعًا هذا ليس هو إفحام، وليس دليلًا يُخرِجك من الورطة أصلًا، ما هو دليلك هنا؟ أنت أعجزت الخصم نعم، ولكن الذي ليس أشعريًّا ينتظر منك الإجابة ما هو الـ..، وفعلًا بالنسبة للأشاعرة إفحام لهم، ما الذي عساه أن يقول بالنسبة للأشعرية؟

**هل الخلاف لفظي؟**

كما قلت: الأشاعرة يرونه لفظيًّا، والماتريدية يرونه حقيقيًّا.

**الأشاعرة يقولون:** نحن قلنا: أن الإرادة أزلية، والقدرة أزلية، وأن هناك تعلقًا للإرادة والقدرة، وهذا التعلق قلنا: منه تعلقٌ صلوحيٌّ قديم، ومنه تعلقٌ تنجيزيٌّ حادث، وأن التعلق الصلوحي القديم للقدرة كون هذ الصفة تصلح للإيجاب هذا قديم والإحداث، وأن التعلق التنجيزي الحادث هي المخلوقات. هكذا قلنا.

**هل عندكم خيار آخر؟**

ما عندهم خيار آخر، نفس الشيء عندهم بالنسبة للتكوين مع أنهم لا يقولون، إلا أن تعلقهم الجديد يرجع إلى ما يذكره الأشاعرة في القدرة؛ لأنهم يقولون: هناك تعلق بين التكوين الأزلي، والمكون الحادث، والتجدد في التعلق.

هذا الماتريدي لا يمكنه أن يقول: أن الله -عَزَّ وَجَل- فعل فعلًا، ويفعل ويخلق، ما يمكن أن يقول، إذن هو أثبت شيئًا وأفرغه عن مضمونه. بالنسبة لهم هذه مذاهبهم بعضهم يرون أنه حقيقي.

**ما رأيك أنت؟**

رأينا أيضًا يميل إلى كونه لفظيًّا، بما أن الطائفتين متفقتان على ذلك الطاغوت (حلول الحوادث)، لا يمكنهم أن يخرجوا من الورطة لا يمكنهم، وبالتالي الماتريدية وصلوا إليه بتطويل، والأشاعرة قالوا

باختصاصه؛ ولذلك الأشاعرة يقولون: مذهبكم مثل مذهبنا، أن هناك نسبة بين التكوين والمكوَّن، وهذه إضافات ونِسَب ليس فيها شيءٌ جديد.

طيب، وكما قلنا: دور التكوين مع صفة القدرة غامض وليس هناك جواب مقنع.

الماتريدية أقرب إلى أهل السنة بالإثبات الشكلي، وأقرب إلى أهل السنة أيضًا بالقول بالمغايرة بين التكوين والمكون والخلق والمخلوق، ولكن أصل المسألة بينهم اتفاق.

يقول أحد الأشاعرة المعاصرين الحبشي هذا الذي له الشرح الصغير، والشرح الكبير على الطحاوية يقول ويرجح أن الخلاف لفظي، طبعًا هو أشعري.

**يقول:** {ليس في اختلافهم هذا ما يضر في أصل الاعتقاد، هذا اختلافٌ لفظيٌّ في التعبير، وكلا الفريقين على هدى، إنما الضرر الأعظم والكفر والإلحاد فهو أن يقول القائل: الله تعالى قد تقوم به صفة حادثة، كابن تيمية} أن تقول الله -عَزَّ وَجَل-: تقوم به صفة حادثة هذا هو الكفر والإلحاد، أما أن تقول بصفة التكوين، أو إرجاع أفعال الله -عَزَّ وَجَل- اللازمة تُرجعها إلى صفة التكوين، أو تُرجعها إلى القدرة والإرادة وتقول: بالصلوحي القديم، يقول: هذا كله اختلافٌ في التعبير عن الحق.

**بعد هذا التفصيل ما رأيك في كلام الشيخ ابن أبي العز هنا؟**

(**ظَاهِرُ كَلَامِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ يَمْنَعُ تَسَلْسُلَ الْحَوَادِثِ فِي الماضي**) نحن ذكرنا مسألة التسلسل، انتهينا منها.

**هل الإمام الطحاوي هنا في كلامه يمنع تسلسل الحوادث في الماضي؟**

طبعًا نُوزِع فيه، من الصعب أن تقول: لا، ومن الصعب أن تقول: نعم، نُوزِع فيه، ابن أبي العز نُوزِعَ في هذا، وكلامه من الصعب أن تنفيه، ومن الصعب أن تثبته. هذا الذي ذكره الشيخ البَرَّاك، وهذا في شروح العقيدة بين أهل السنة والمتكلمين بحث هذه المسألة بشيءٍ من الطول، وفي الأخير رجَّح ما ذكره الشيخ البَرَّاك.

الشيخ البَرَّاك يقول: (**وقَوْلُهُ: لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ**) يحتمل أن يمنع **أَنَّهُ يَمْنَعُ تَسَلْسُلَ الْحَوَادِثِ فِي الْمَاضِي**) لأنه حين يقول: (**ليس بعد خلق الخلق**)، ويقول: (**وَلَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ**) كأنه يُفهم منه أن لجنس المخلوقات بداية.

**لكن هل يقول: إن دوام الحوادث في الأزل ممتنع، أو يقول: إنه ممكن لكنه غير واقع؟**

فيه احتمال، إذن كلام الإمام الطحاوي يحتمل هذا وهذا.

لذلك يقول ابن أبي العز: (**ظَاهِرُ كَلَامِ الشَّيْخِ**) لأنه لما يقول: (**لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ، وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِي**) هذا كما قلت: الماتريدية يأخذون من هنا أن هناك فعل، وأن هناك خلق، ولكنه أزلي. اربط هذا ببداية الجملة (**مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا**) لذلك يقولون: كلامه أقرب؟ لا، هم يقولون: كلامه فيه تقريرٌ لكلامنا نحن، بل أحدهم وهو التركستاني في شرحه زاد جملةً ما أدري من أي نسخة فيها تصريحٌ بإثبات التكوين، وأنه غير المكوَّن، وأنه، وأنه، وأنه، جملة ما أدري من أين جاء بها، ويبدو أنه أقحمها.

**ألا ترون أن مذهب الماتريدية أقرب إلى جُمَلِ المؤلف الإمام الطحاوي من مذهب الأشاعرة؟ ما أدري هل أنتم معي في هذا؟**

ولذلك القول بأن:

- طبعًا قول الأشاعرة مستبعد جدًّا.
- ثانيًا: القول: بأن الشيخ يمنع تسلسل الحوادث في الماضي، هذا صعب، يحتمل ويحتمل.
- ثالثًا: نقول للماتريدية: كلامه يؤخذ منه بإضافة كلامكم، ويؤخذ منه بإضافة أيضًا كلامه كلام أهل السنة، الذي يفصل في الموضوع لم يذكره، لا ما يتعلق بمذهب أهل السنة، ولا ما يتعلق بمذهبكم.

**وبالتالي ما الذي سيفصل هنا؟**

النظر في مذهبه في كتب أخرى، أو في هذا الكتاب في موضعٍ آخر. هذا الذي سيفصل في مذهبه، أما هنا هذه الجملة وهي جملةٌ هامَّة فيها ردٌّ على المعتزلة، والتركيز على المعتزلة، أما إثبات ما يتميز به أهل السنة، أو ما يتميز به الكلابية أو الماتريدية أو الأشاعرة فليس في كلامه تصريحٌ بهذا.

الماتريدية لما يقولون: أن هناك تكوين، وهو صفة أزلية، طبعًا ادعائهم ودعواهم كما قلت: أقرب إلى الصحة من دعوى الأشاعرة؛ لأن هناك شبه بين مذهبهم، وبين ظاهر كلام الشيخ:

**ظاهر كلام الشيخ** إذا كان يمنع التسلسل حتى بفهم ابن أبي العز، هذا يدل على أن تعلقهم بهذه الجملة فعلًا أقرب من تعلق الـ..؛ لذلك ذكر الشيخ في شرح هذه الجملة ذكر أن هذا الموضع من المواضع التي خالف فيها الإمام الطحاوي مذهب أهل السنة والجماعة.

**وأضيف إلى كلام الشيخ –حفظه الله–**: أن كلامه مبنيٌّ على فهمٍ الخاص قد يُنازَع فيه، وبالتالي نقول: أن مخالفة الإمام الطحاوي ليست صريحة، مخالفته ليست صريحة، لك أن تأخذ هذا المعنى، ولك أن تأخذ أيضًا المعنى الثاني؛ لأن كلامه ليس صريحًا، وبالتالي من الصعب أن تقول: أن الإمام الطحاوي مذهبه مثل مذهب الماتريدية؛ لأن الماتريدية يثبتون الخلق والفعل، ويثبتون أيضًا أن هناك تكوينًا ومكوَّنًا، وأن التكوين أزلي، بما أنهم يثبتون وكلامه شبيه بمذهبهم، من الصعب أن تُلحقه بهم، وبالتالي أنا بعد ما قرأت، أنا مع ما قرره الشيخ البراك أن كلامه يحتمل، يحتمل هذا، ويحتمل هذا، وليس صريحًا، وبالتالي ليس في كلامه ما يكون ممسكًا أو دليلًا للأشاعرة هذا بتاتًا، وليس في كلامه أيضًا ما يقوي مذهب الماتريدية.

**هناك أيضًا شيء آخر لا بد أن ننظر فيه في مثل هذه المسائل:**

الماتريدية لما ذهبوا إلى هذا فلهم قصة طويلة جدًّا مع دليل حدوث الأعراض، ومع هذا الطاغوت حلول الحوادث.

**هل ورد في كلام الإمام الطحاوي ولو إشارةً إلى التزام هذا الطاغوت (حلول الحوادث)؟**

**طالب**: لا.

**الشيخ**: وبالتالي من الصعب أن يُلحق به؛ لأن هذاك دين آخر؛ يعني دين يحرمك من النصوص جملةً واحدة، لا يجوز أن تثبت شيئًا من الصفات الاختيارية على أنها صفات اختيارية، ولا يمكنك أيضًا أن تثبت شيئًا من الأفعال على أنها أفعال فعلًا تكون بالإرادة والمشيئة.

على هذا، أنا أتردد في..، بل أرجح أن كلام الإمام الطحاوي لا يصل إلى هذه الدرجة، نعم هو حنفي، وأبو منصور الماتريدي حنفي، والإمام الطحاوي توفي سنة ٣٢١هـ، وأبو منصور الماتريدي متأخر عنه توفي سنة ٣٣٣هـ، أبو منصور الماتريدي كُلَّابِي، أما الإمام الطحاوي ركز على المسائل التي فيها خلاف مع المعتزلة، ولم يذكر المسائل التي يتميز بها أهل السنة كما نبهنا في البداية، مع ذلك لم يأتِ في كلامه لا هنا، ولا في مكانٍ آخر أنه يوافق الكلابية في شيءٍ من هذه الأصول، فكونه حنفيًّا هذا لا يكفي، هذا حنفي، وهذاك حنفي، هذا حنفي سلفي، وذاك حنفي مبتدع، والأحناف فيهم أصناف. ارجعوا لما ذكره شيخنا شمس الدين السلفي –رَحِمَهُ الله– في [طبقات الأحناف] هذا معتزلي،.. كثير.

(ظَاهِرُ كَلَامِ الشَّيْخِ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى– أَنَّهُ يَمْنَعُ تَسَلْسُلَ الْحَوَادِثِ فِي الْمَاضِي، وَيَأْتِي فِي كَلَامِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَمْنَعُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ لَا تَفْنَيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ كَمَا تَقَدَّمَ) مذهب جمهور المتكلمين، بل مذهب جميع المتكلمين.

(وَلَا شَكَّ فِي فَسَادِ قَوْلِ مَنْ مَنَعَ من ذَلِكَ فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ) وهم (كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجَهْمُ وَأَتْبَاعُهُ، وَقَالَ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، لِمَا يَأْتِي مِنَ الْأَدِلَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى) طبعًا هذا القول الثالث. أو نجعله **القول الأول**: منع التسلسل في الماضي والمستقبل. هذا باطل.

(وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ بِجَوَازِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا مِنَ الْقَائِلِينَ بِحَوَادِثَ لَا آخِرَ لَهَا) **من هم هؤلاء؟** أهل السنة.

(فَأَظْهَرُ فِي الصِّحَّةِ مِنْ قَوْلِ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَزَلْ حَيًّا، وَالْفِعْلُ مِنْ لَوَازِمِ الْحَيَاةِ، وَلَمْ يَزَلْ فَاعِلًا لِمَا يُرِيدُ، كَمَا وَصَفَ بِذَلِكَ نَفْسَهُ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾[البروج:١٥-١٦]) هنا ذكر ابن أبي العز –رَحِمَهُ اللهُ– وقفات جميلة جدًّا مع هذه الآية.

(وَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أُمُورٍ) ذكر هنا ستة أمور، وهذه الأمور تُمحِّض مذهب أهل السنة في قضية أفعال الله –عَزَّ وَجَلَّ–. وهذه الوقفات جميلةٌ جدًّا.

(أَحَدُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ) **هل تعرض الطحاوي لهذا؟**

لم يتعرض، قلنا: الإمام الطحاوي لم يتعرض لهذا؛ ولذلك تجاذبت الفِرَق كلامه، كل واحد يلصق به ما يزيده.

ونحن لما نقول: أن الإمام الطحاوي مع أهل السنة، ما رأينا منه ما يخالف مذهب أهل السنة في هذا الأصل؛ بذلك هو على الفطرة، على مذهب أهل السنة، وإلا نحن ما نقول: أن الجملة هذه تدل على مذهب أهل السنة؛ لأن الجملة هذه لا تكفي، لا في بيان أن الخلق غير المخلوق، ولا في بيان أن بعض الصفات تتعلق بمشيئته وقدرته لا تكفي.

(أَنَّهُ تَعَالَى يَفْعَلُ بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ).

(الثَّانِي: أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ) فعل أزلي (لِأَنَّهُ سَاقَ ذَلِكَ فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ عَلَى نَفْسِهِ).

﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[هود:١٠٧] علق الفعل بمشيئته وقدرته.

**(لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ سَاقَ ذَلِكَ فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَمَالِهِ سُبْحَانَهُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ).**

**ما دام أن الله –عَزَّ وَجَل– تمدَّح بها، فهل يتمدح –عَزَّ وَجَل– بما لا يليق بكماله؟**

نعوذ بالله، ما دام أنه ذكره في معرض المدح والثناء على نفسه فهو كماله.

**(وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَادِمًا لِهَذَا الْكَمَالِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ)** لا يجوز أن تقول: أن الله –عَزَّ وَجَل– فعَّال لما يريد في وقتٍ من الأوقات، أو فعَّال لما يريد في أغلب الأوقات باستثناء فترةٍ محددة.

**(وَقَدْ قَالَ سبحانه: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧])** إذن الله –عَزَّ وَجَل– يثني على نفسه ويتمدح بصفة الخلق، ولا يجوز أن تحصرها وتقصرها على وقتٍ معين، إذن الله –عَزَّ وَجَل– متصفٌ بهذه الصفة الفعل والخلق أزلًا وأبدًا.

**(وَلِمَا كَانَ مِنْ أَوْصَافِ كَمَالِهِ وَنُعُوتِ جَلَالِهِ)** بالأدلة التي ذكرناها **(لَمْ يَكُنْ حَادِثًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ).**

طيب، **(الثَّالِثُ: أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَعَلَهُ)** **(إذا أراد شيئًا)** الإرادة هنا بمعنى المشيئة، الإرادة الكونية **(أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَعَلَهُ)** ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[هود:١٠٧] ففيها عموم **(فَإِنَّ مَا مَوْصُولَةٌ عَامَّةٌ؛ أَيْ يَفْعَلُ كُلَّ مَا يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ).**

طبعًا **(وَهَذَا فِي إِرَادَتِهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِفِعْلِهِ)** هذا جواب لسؤال مقدَّر.

**المهم هنا:** أن الله –عَزَّ وَجَل– يفعل كل ما يريد أن يفعله، إذن جميع ما كان مرادًا لله –عَزَّ وَجَل– وُوجِد فهو من فعله.

**هنا سؤالٌ مقدَّر: ما دام أنك أثبت أن الله –عَزَّ وَجَل– يفعل كل ما يريد أن يفعله، فلماذا لا تنسب إليه أفعال الإنسان، وتقول: الله –عَزَّ وَجَل– أراد منه شرعًا، ولم يحصل منه ما أراده؟ هذا التلازم لماذا لا تقولوا به في أفعال الإنسان؟**

هذه مسألة هامشية لا تتعلق بما نحن عليه، من هنا إلى آخر الفقرة مسألة تتعلق بالقدر، وقد سبق ذكرها.

**السؤال هذا يرِد ولَّا ما يرِد؟**

**ما دام أنك تقول: يفعل كل ما يريد أن يفعله، فماذا تقول في أفعال الإنسان؟ هل أرادها؟**

ما دام أرادها لا بد أن تقع.

**ما أرادها، فلماذا وقعت؟**

(**وَهَذَا فِي إِرَادَتِهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِفِعْلِهِ**) يقول: هذا الذي ذكرته هذا يتعلق بإرادته التي تتعلق بفعله هو (**أَمَّا إِرَادَتُهُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِفِعْلِ الْعَبْدِ**).

**أولًا: فعل العبد هو فعل من، فعل العبد أم فعل الله -عَزَّ وَجَل-؟**

- **عند أهل السنة:** هو فعل العبد.
- **عند الأشاعرة:** هو فعل الله -عَزَّ وَجَل-.
- **وعند الجبرية:** فعل الله -عَزَّ وَجَل-.
- **وعند المعتزلة:** فعل العبد وخلقه.

(و**أَمَّا إِرَادَتُهُ الْمُتَعَلِّقَةُ بِفِعْلِ الْعَبْدِ فَتِلْكَ لَهَا شَأْنٌ آخَرُ**) كما قلت لك: هذا جوابٌ لسؤال مقدَّر.

(**فَإِذا أَرَادَ فِعْلَ الْعَبْد**) بحيث أمره.

(**إذا أَرَادَ فِعْلَ الْعَبْد**) **كيف أراده؟**

أمره، والأمر إرادة شرعية، أمر العبد ﴿**أَقِيمُوا الصَّلَاةَ**﴾[النور:٥٦] هذا متوجهٌ لجميع العباد، جميع أمة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

(**أَرَادَ فِعْلَ الْعَبْد**)؛ أي أمره بالفعل (**وَلَمْ يُرِدْ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُعِينَهُ عَلَيْهِ وَيَجْعَلَهُ فَاعِلًا لَمْ يُوجَدِ الْفِعْلُ**).

**هناك أمران:**

- أمره للعبد.
- وإعانته على هذا الفعل.

الفعل الذي يتعلق بنفسه إرادة واحدة، والمسألة واحدة.

الفعل الذي ينسب إلى الإنسان هناك أمرٌ، ثم يكون هناك امتثال أو عدم امتثال من الإنسان.

(**فإن أَرَادَ فِعْلَ الْعَبْد**) عمله مثلًا، (**وَلَمْ يُرِدْ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُعِينَهُ عَلَيْهِ وَيَجْعَلَهُ فَاعِلًا لَمْ يُوجَدِ الْفِعْلُ، وَإِنْ أَرَادَهُ حَتَّى يُرِيدَ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ فَاعِلًا**) وُجِدَ الفعل.

**الشيخ:** كيف عندكم في النسخة الـ..

**طالب:** .....

**الشيخ:** أظن في سقط (**وُجِدَ الفعل**).

(**وَإِنْ أَرَادَهُ حَتَّى يُرِيدَ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ فَاعِلًا وُجِدَ الفعل**).

**طالب:** يقول: (**فإن أَرَادَ فِعْلَ الْعَبْد، ولَمْ يُرِدْ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُعِينَهُ عَلَيْهِ وَيَجْعَلَهُ فَاعِلًا لَمْ يُوجَدِ الْفِعْلُ، وَإِنْ أَرَادَهُ حَتَّى يُرِيدَ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَجْعَلَهُ فَاعِلًا**).

**الشيخ:** هنا الجملة مستقيمة، ولكن بالنسبة للنتيجة غير واضحة، يبدو أن هناك سقطًا؛ لأنه هنا (**فإن أَرَادَ فِعْلَ الْعَبْد، ولَمْ يُرِدْ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يُعِينَهُ عَلَيْهِ**) أَمَرَه، ولكن الإنسان ما يريد؛ لأن هذا تكليف، وهو محاسبٌ على حسناته وسيئاته، الله -عَزَّ وَجَل- أَمَرَهُ، إذا كان سأل الله -عَزَّ وَجَل- التوفيق، وكان يريد أن يفعل الله -عَزَّ وَجَل- يعينه، ما كان يستحق التوفيق فالله -عَزَّ وَجَل- لا يعينه، أَمَرَهُ، ولكن هذا الأمر إرادة شرعية، والله -عَزَّ وَجَل- يحب منه أن يأتي بهذا الفعل، ما يريد، فهذا فعله.

يعني وهناك فرقٌ بين فعل الله -عَزَّ وَجَل- الذي يتعلق بنفسه، وفعله أو إرادته التي تتعلق بفعل غيره؛ لأن فعل الإنسان ليس فعل الله -عَزَّ وَجَل-.

(**وَهَذِهِ هِيَ النُّكْتَةُ الَّتِي خَفِيَتْ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ، وَخَبَطُوا فِي مَسْأَلَةِ الْقَدَرِ؛ لِغَفْلَتِهِمْ عَنْهَا، وَفَرْقٌ بَيْنَ إِرَادَتِهِ أَنْ يَفْعَلَ الْعَبْدُ**) وهذه هي الإرادة الشرعية (**وَإِرَادَته أَنْ يَجْعَلَهُ فَاعِلًا**) هذه هي الإرادة الكونية (**وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى مَسْأَلَةِ الْقَدَرِ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى**).

هذه الفقرة كما قلنا: فيها إجابة لسؤال مقدَّر يَرِدُ على ما ذكره في قوله: (**يَفْعَلُ كُلَّ مَا يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ**).

(**الرَّابِعُ: أَنَّ فِعْلَهُ وَإِرَادَتَهُ مُتَلَازِمَانِ، فَمَا أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَهُ فَعَلَهُ**) الإرادة هنا تتعلق بفعله حسب التوضيح الذي (**أَنَّ فِعْلَهُ وَإِرَادَتَهُ مُتَلَازِمَانِ، فَمَا أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَهُ فَعَلَهُ، وَمَا فَعَلَهُ فَقَدْ أَرَادَهُ**) كل أفعاله مرادةٌ له، وكل مرادٍ له يفعله (**بِخِلَافِ الْمَخْلُوقِ**) الله -عَزَّ وَجَل- لما يريد شيئًا ليس هناك ما يمنعه، فكل ما أراده كونًا فعله، وكل ما فعله فهو مراده، (**بِخِلَافِ الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّهُ يُرِيدُ مَا لَا يَفْعَلُ، وَقَدْ**

**يَفْعَلُ مَا لَا يُرِيدُ)** أنا أريد شيئًا ولا أتمكن منه، ولا أريد شيئًا ويكون (١:١:٥٥)، إذن هناك فرق بين إرادة العبد وفعله، وإرادة الله -عَزَّ وَجَل- وفعله.

**(فَمَا ثَمَّ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ إِلَّا اللَّهُ -عَزَّ وَجَل-).**

**(الْخَامِسُ: إِثْبَاتُ إِرَادَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ بِحَسَبِ الْأَفْعَالِ) ماذا يقول الله -عَزَّ وَجَل- هنا؟**

﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[هود:١٠٧]؛ أي كل ما أراده فعله، كل شيءٍ أراده فعله.

**(إِثْبَاتُ إِرَادَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ بِحَسَبِ الْأَفْعَالِ، وَأَنَّ كُلَّ فِعْلٍ لَهُ إِرَادَةٌ تَخُصُّهُ، هَذَا هُوَ الْمَعْقُولُ فِي الْفِطَرِ، فَشَأْنُهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يُرِيدُ عَلَى الدَّوَامِ وَيَفْعَلُ مَا يُرِيدُ).**

**طبعًا هنا يرد على ابن أبي العز -رَحِمَهُ اللهُ- على من؟**

على المتكلمين؛ لأن المتكلمين عندهم الله -عَزَّ وَجَل- متصفٌ بإرادةٍ واحدةٍ وهي أزلية، وبها جميع المرادات، ولا يجوز أن تقول عندهم: أن الله -عَزَّ وَجَل- أراد هذا بإرادةٍ تخصه، نعم، هناك صفة الإرادة، هذه إرادة عامة، والله -عَزَّ وَجَل- بهذه الإرادة يريد هذا الفعل بإرادة، ويريد هذا الفعل بإرادة، فكل شيءٍ وكل فعلٍ له إرادةٌ تخصه.

هذا الذي ذكره هنا لا يمكن أن يقوله إلا أهل السنة، أما غير أهل السنة فلا يمكنه أن يقوله، حتى الذين أثبتوا صفة الإرادة أثبتوها صفةً أزليةً لازمةً لذات الله -عَزَّ وَجَل-، وبالتالي لا يمكنهم أن يقولوا، عندهم شيء اسمه وحدة الصفات: وحدة صفة الكلام، صفة الكلام واحدة، وهي أزلية، ثم تورطوا لأن من كلامه ما هو أمرٌ، من كلامه ما هو نهيٌ، من كلامه ما هو خبرٌ، من كلامه ما هو استخبارٌ، فتجدون في أصول الفقه كيف أنهم يعانون في التوفيق بين مذهبهم وبين الواقع، كيف تقول: أن الله -عَزَّ وَجَل- له كلامٌ واحد، كيف؟! وهكذا في الإرادة إرادة واحدة أزلية بها جميع الإرادات.

**(السَّادِسُ: أَنَّ كُلَّ مَا صَحَّ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِهِ إِرَادَتُهُ جَازَ فِعْلُهُ).**

هذا الذي ذكره ابن أبي العز هنا فيه ردٌّ على المتكلمين في دليلهم الذي يذكرونه دليل حدوث الأجسام، عندهم لا يجوز فعل كل ما يصادم دليل الأعراض لا يجوز، لا يجوز أن تقول مثلًا: **(فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْزِلَ كُلَّ لَيْلَةٍ)** لا يجوز، لا يجوز أن تثبت الاستواء، لا يجوز أن تثبت المجيء، لا يجوز أن تثبت الغضب، لا يجوز، **لماذا؟** لأن هذا كله يتصادم مع دليل حدوث الأجسام، لا يجوز، في النصوص يجوز، وعندهم لا يجوز.

**ما الذي نرجحه؟**

**طالب:** النصوص.

**الشيخ:** (١:٦:١٤) لا يجوز عندك هذا لأن دينك يختلف، لا يجوز.

عندهم الأدلة هذه التي ترد مصادمةً لدليل الأعراض كلها تؤوَّل؛ لأن ما يكون مصادمًا لدليل الأعراض يستلزم التشبيه والتجسيد وهو كفر؛ ولأن تنزيه الله -عَزَّ وَجَل- لا يمكن إلا بنفي حلول الحوادث بذاته سبحانه؛ ولذلك يسمون أنفسهم: منزهةً.

لا زال بعض المقبورين يلعب بهذا المنزهة والمجسمة، يقصد بالمنزهة نفسه، ويقصد بالمجسمة أهل السنة، يسبح في بحرٍ من الخيالات يسبح لا زال.

(**أَنَّ كُلَّ مَا صَحَّ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِهِ إِرَادَتُهُ جَازَ فِعْلُهُ**) ولا علينا من طواغيت المتكلمين (**فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْزِلَ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَنْ يَجِيءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَأَنْ يُرِيَ عِبَادَهُ نَفْسَهُ، وَأَنْ يَتَجَلَّى لَهُمْ كَيْفَ شَاءَ، وَيُخَاطِبَهُمْ، وَيَضْحَكَ إِلَيْهِمْ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُرِيدُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَمْتَنِعْ عَلَيْهِ فِعْلُهُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**) وعند المعتزلة والمتكلمين لا يجوز، سبحان الله! لا يجوز، هذا كله لا يجوز، لا يجوز، لا يجوز، حتى ولو أردت، سبحان الله! هذا الكلام هم يقولونه على الله -عَزَّ وَجَل- حتى لو أردت هناك شيء لا يمكن أن تتجاوزه، فلا يجوز، لا يجوز.

(**وَإِنَّمَا تَتَوَقَّفُ صِحَّةُ ذَلِكَ عَلَى إِخْبَارِ الصَّادِقِ بِهِ، فَإِذَا أَخْبَرَ**) الصادق بشيءٍ من هذه الصفات آمنَّا به، أما خبر الصادق عند المتكلمين فله شأنٌ آخر عندهم، خبر الصادق، وشوف كيف يتعاملون معه، خبر الصادق بالنسبة للأخبار كلها، بالنسبة للأحاديث كلها أخبار آحاد لا تعنيهم من قريب ولا من بعيد، أما خبر الله -عَزَّ وَجَل- فمع أنه ثابتٌ وقطعي الثبوت إلا أنه ظنيٌّ دلالة، وبالتالي خبر الصادق لا يعنيهم.

فإذا يقول مثلًا هذا بالنسبة لحلول الحوادث يقول.

طبعًا الآمدي يحكي اتفاق العقلاء هذا كلامه من أباب الملل وغيرهم على استحالة قيام الحوادث بذات الرب -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، يقول هذا في [أبكار الأفكار] ويقول: {ويجعل الكوكب مسألة تنزيه الله} هذا كلامه {تنزيه الله -جل شأنه- عن سمات الحدوث، وعن حلول الحوادث فيه مما ثبت في

دين الإسلام بالضرورة} (١:١٠:٢٥) فإذا كانت هذه هي الأصول، فخبر الصادق يكون خاضعًا لهذه الأصول، لا بد أن يُخضِع لهذه الأصول، إما أن يشموه، وإما ألا يمشوه، وفي الغالب لا يمشُّوه.

والصحيح (**وَإِنَّمَا تتوَقَّفُ صِحَّةُ ذَلِكَ عَلَى إِخْبَارِ الصَّادِقِ بِهِ، فَإِذَا أَخْبَرَ وَجَبَ التَّصْدِيقُ**) وانتهينا (**وَكَذَلِكَ مَحْوُ مَا يَشَاءُ، وَإِثْبَاتُ مَا يَشَاءُ، كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى–**).

طيب الأصل الذي لأجله هم نفوا يبدو تذكره ابن أبي العز، يقول: (**وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْحَوَادِثَ لَهَا أَوَّلٌ**) بالتفسير الذي ذكروه هم (**يَلْزَمُ مِنْهُ التَّعْطِيلُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَأَنَّ اللَّهَ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– لَمْ يَزَلْ غَيْرَ فَاعِلٍ ثُمَّ صَارَ فَاعِلًا، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ قِدَمُ الْعَالَمِ**).

يقول: ما ذكرته من كون الله –عَزَّ وَجَل– متصفًا بصفة الخلق والفعل أزلًا وأبدًا، يقول: هذا كله لا يستلزم قِدَم العالم، **لماذا؟**

(**لِأَنَّ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى مُحْدَثٌ مُمْكِنُ الْوُجُودِ، مَوْجُودٌ بِإِيجَادِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ إِلَّا الْعَدَمُ وَالْفَقْرُ**) إذن هم يقولون، طبعًا هذه من أشهر المسائل التي يذكرونها للرد على شيخ الإسلام وعلى غيره، وهم سبحان الله! كثيرٌ من الحق يظنونه عند ابن تيمية فقط، اقرأ القرآن، واقرأ السنة، واقرأ أيضًا تفاسير تفاسير السلف، واقرأ أيضًا شروح الأحاديث التي هي لأئمة السنة، واقرأ أيضًا كتب السنة حتى تعرف أين الحق، أنت تظن أن هذا الحق كله عند ابن تيمية؟!

يقولون: بما أنه يقول بجواز التسلسل في الماضي، إذن هو قائلٌ بقدم العالم، وهو على مذهب الفلاسفة، وبذلك صرح بعضهم بأنه كافر، منهم الحِصني وهو من القرن التاسع [الرد على من شبه وتمرد] كتاب من هذا الـ..، ونسب كل ذلك إلى الإمام أحمد، كتاب [الحصني] معروف، وكذلك علاء الدين البخاري كفَّر شيخ الإسلام، وأما الكوثري فسبحان الله! لا يهدئه إذن الحكم عليه بالكفر، فما أدري يذهب به إلى أين؟ هذا كله بسبب أمور كثيرة عندهم أشنعها أنه يقول بقدم العالم، والذي يقول بِقِدَم العالم هذا ليس مسلمًا أصلًا.

**وهل يقول ابن تيمية بقدم العالم؟**

ابن تيمية يقول: أن الله –عَزَّ وَجَل– لم يزل قادرًا، ولم يزل متصفًا بصفاته، ولم يزل متصفًا بصفاته وهو أزلًا وأبدًا متصفًا بها.

وكما لاحظتم الإمام الطحاوي يركز على هذا. أليس كذلك؟ وهم لما يقرؤون هذه الجمل لا يركزون على ما ركز عليه الإمام الطحاوي، بل يركز على نقطة بعيدة قال بها ابن تيمية، أين أنت من خرافاتك هذه؟

يقول: **(وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ قِدَمُ الْعَالَمِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى مُحْدَثٌ مُمْكِنُ الْوُجُودِ)** مع هذا كله هو يقول بقدم العالم.

**(مَوْجُودٌ بِإِيجَادِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ إِلَّا الْعَدَمُ وَالْفَقْرُ)** ثم يقول: **(وَالِاحْتِيَاجُ وَصْفٌ ذَاتِيٌّ لَازِمٌ لِكُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى)** هذا الذي يقرره أهل السنة، أما أن المخلوقات كلها محتاجةٌ إلى الله -عَزَّ وَجَل-، واحتياجها وصفٌ ذاتيٌّ، والأوصاف الذاتية لا تعلل.

**أنا الآن مخلوق، هل تطلب مني دليلًا على كوني مخلوقًا؟**

الأوصاف الذاتية لا تُعَلَّل.

أما المتكلمون فأظن ذكرت فيما سبق اختلفوا في علة احتياج المخلوقات إلى الله -عَزَّ وَجَل-، هذه المخلوقات محتاجةٌ إلى الله -عَزَّ وَجَل-. ولماذا هي محتاجة؟ هذا من البداية لخبطة في المسألة، علة الاحتياج، وعلة الافتقار، المتكلمون قالوا: علة الاحتياج هو الحدوث. وهذا هو مؤدى دليل الحدوث، بمقدماتهم الأربعة أثبتوا أن هذا العالم ثابت، وبالمقدمة الخامسة أثبتوا أن جميع المخلوقات هي حوادث، والحادث يحتاج إلى محدِث وهو الله -عَزَّ وَجَل-، إذن بما أنها حوادث، وبما أنها حادثة تحتاج إلى محدِث.

طيب، الله -عَزَّ وَجَل- أحدثها، انتهت العلة.

**من الآن طيب ما هي العلة الأخرى؟**

قالوا: هناك أصل آخر به نربطها بالله -عَزَّ وَجَل-، ولنثبت أنها لا زالت محتاجة.

**ما هو؟**

قالوا: الأعراض لا تبقى زمانين.

الأعراض هي الصفات، والصفات تنعدم كل ثانية، ليس كل دقيقة، يعني ليس كل مثلًا في كل جزءٍ من مليار جزء من الثانية تنعدم، علمك ولونك كل هذه لا تبقى زمانين عندهم، وهذا من المقدمات الضرورية لعندهم، وهذا من المقدمات الضرورية لإثبات حدوث الأعراض، حدوث الأعراض يثبتونه

بأدلة منها أن الأعراض لا تبقى زمانين، وبما أن الأعراض لا تبقى زمانين فهي بحاجةٍ إلى من يجددها، جميع الصفات التي تتصف بها هذه تنعدم في كل ثانية تنعدم.

طيب، ما دام أنها تنعدم فهي بحاجة إلى من يجددها، والذي يجددها هو الله -عَزَّ وَجَل-أرأيت كيف أنهم أثبتوا قدرة الله -عَزَّ وَجَل-.

طيب، كيف يفنيها؟ سبحان الله! كيف يفنيها؟ أليس هذا السؤال سؤال، أليس هذا جنون أن تسأل كيف يفنيها؟! وستستغرب أكثر أنهم متورطون في الإيجاد أكثر من الإعدام.

**كيف يفنيها؟**

أقوالٌ كثيرة، أشهرها: أن الله -عَزَّ وَجَل- يقطع عن الجواهر تجديد الأعراض فتنتهي، وليس أنه يجددها، يجدد الـ..، وبتجديدها يكون هذا الجوهر موجودًا يقطع عنها وينتهي، ما يجدد، إذن علة الاحتياج عندهم الحدوث.

**الفلاسفة يقولون**: علة الاحتياج هو الإمكان.

المتفلسفة: بما أن العالم ممكن فهو بحاجة إلى واجد.

والمتأخرون من الأشاعرة في المرحلة الأخيرة، المرحلة الفلسفية كثيرٌ منهم قد اختار مذهب الفلاسفة، وهذا شيء مقزز، تجده يدافع عن الشيء ويجعله دين الإسلام، ثم لما يجد ابن سينا يخنع له، وينتقل إلى مذهبه، وهذا كثير في المرحلة الأخيرة من مراحل الأشاعرة:

- أكثرهم مثل الرازي وغيره يقول بأن علة الاحتياج هو الإمكان.
- وبعضهم يقولون: علة الاحتياج هو الحدوث بشرط الإمكان.

ذكر شيخ الإسلام: أن الحدوث والإمكان متلازمان، كل حادث فهو ممكن، لو لم يكن ممكنًا لو كان ممتنعًا ما أحدث، إذن الحدوث والإمكان متلازمان، أنت لما تقول: قلة الاحتياج هو الحدوث وتستبعد الإمكان خطأ، وأنت لما تقول: علة الاحتياج الإمكان، وتستبعد الحدوث خطأ، ولكن الصحيح أن فقر المخلوقات ليس معللًا أصلًا، والاحتياج وصفٌ ذاتيٌّ لازمٌ لكل ما سوى الله -عَزَّ وَجَل-، والأوصاف اللازمة لا تعلل.

**يقول شيخ الإسلام في بيتٍ جميل له، يقول -رَحِمَهُ الله-:**

أنا الفقير إلى رب البريات  أنا المسكين في مجموع حالاتي

أنـا الظلوم لنفســـي وهي ظـالمتي والخير إن يـأتنـا من عنـده يـأتي

هي أبيات طويلة.

والفقر لي وصـــف ذاتٍ لازمٌ أبـدًا كمـا الغنى أبـدًا وصـــفٌ لـه ذاتي

الفقر وصفٌ ذاتي للمخلوقات.

وهـذه الحـال حـال الخلق أجمعين وكـلـهـم عـنـدهـم عـبـدٌ لـه آتي

**(وَالِاحْتِيَاجُ وَصْـــفٌ ذَاتِيٌّ لَازِمٌ لِكُلِّ مَا سِـــوَى اللَّهِ -عَزَّ وَجَل-، وَاللَّهُ تَعَالَى وَاجِبُ الْوُجُودِ لِذَاتِهِ، غَنِيٌّ لِذَاتِهِ، وَالْغِنَى وَصْفٌ ذَاتِيٌّ لَازِمٌ لَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-).**

كل هذه التأكيدات لبيان أن مذهب أهل السنة في قضية التسلسل، ومذهبهم في أزلية صفات الله -عَزَّ وَجَل-، وأزليته، وأبديته بصفاته هذا كله ليس فيه قولًا بقِدَم العالم، كيف تنسب إليه القول بقدم العالم وهم يصرحون بأن كل مخلوق مسبوقٌ بالعدم؟! ما دام أنه مخلوق فله خالق، ولا يمكن أن يكون المخلوق مقارنًا للخالق.

مما يدل على أن اتهامهم لأهل السنة في أحسن الأحوال نابعٌ عن جهلٍ عميق، جهل مركب، وليس لأن هناك ما يدعم اتهامهم في شيءٍ من أقوال أهل السنة أبدًا.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * * * * * * * * *

## ٤٨

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**(المتن)**

**قال الشيخ -رَحِمَهُ الله تَعَالَى-:**

**وَلِلنَّاسِ قَوْلَانِ فِي هَذَا الْعَالَمِ: هَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَادَّةٍ أَمْ لَا؟**

**وَاخْتَلَفُوا فِي أَوَّلِ هَذَا الْعَالَمِ مَا هُوَ؟ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[هود:٧]، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ -**

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: "قَالَ أَهْلُ الْيَمَنِ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ، فَقَالَ: « كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مَعَهُ»، وَفِي رِوَايَةٍ «غَيْرُهُ»، «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ»، وَفِي لَفْظٍ: «ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ». فَقَوْلُهُ: «كَتَبَ فِي الذِّكْرِ»، يَعْنِي اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾[الأنبياء:١٠٥] سَمَّى مَا يُكْتَبُ فِي الذِّكْرِ ذِكْرًا، كَمَا يُسَمَّى مَا يُكْتَبُ فِي الْكِتَابِ كِتَابًا.

وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى قَوْلَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمَقْصُودَ إِخْبَارُهُ بِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مَوْجُودًا وَحْدَهُ وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ دَائِمًا، ثُمَّ ابْتَدَأَ إِحْدَاثَ جَمِيعِ الْحَوَادِثِ، فَجِنْسُهَا وَأَعْيَانُهَا مَسْبُوقَةٌ بِالْعَدَمِ، وَأَنَّ جِنْسَ الزَّمَانِ حَادِثٌ لَا فِي زَمَانٍ، وَأَنَّ اللَّهَ صَارَ فَاعِلًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنَ الْأَزَلِ إِلَى حِينِ ابْتِدَاءِ الْفِعْلِ ولا كَانَ الْفِعْلُ مُمْكِنًا.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: الْمُرَادُ إِخْبَارُهُ عَنْ مَبْدَأِ خَلْقِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَشهودِ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ بِذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». فَأَخْبَرَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ تَقْدِيرَ هَذَا الْعَالَمِ الْمَخْلُوقِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ كَانَ قَبْلَ خَلْقِهِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَأَنَّ عَرْشَ الرَّبِّ تَعَالَى كَانَ حِينَئِذٍ عَلَى الْمَاءِ.

دَلِيلُ صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ الثَّانِي مِنْ وُجُوهٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ قَوْلَ أَهْلِ الْيَمَنِ: "جِئْنَاكَ لِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ"، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى حَاضِرٍ مَشْهُودٍ مَوْجُودٍ، وَالْأَمْرُ هُنَا بِمَعْنَى الْمَأْمُورِ؛ أَيِ الَّذِي كَوَّنَهُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ. وَقَدْ أَجَابَهُمُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ بَدْءِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَوْجُودِ، لَا عَنْ جِنْسِ الْمَخْلُوقَاتِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْأَلُوهُ عَنْهُ، وَقَدْ أَخْبَرَهُمْ عَنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَالَ كَوْنِ عَرْشِهِ عَلَى الْمَاءِ، وَلَمْ يُخْبِرْهُمْ عَنْ خَلْقِ الْعَرْشِ، وَهُوَ مَخْلُوقٌ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَأَيْضًا فَإِنَّهُ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ». وَقَدْ رُوِيَ «مَعَهُ»، وَرُوِيَ «غَيْرُهُ»، وَالْمَجْلِسُ كَانَ وَاحِدًا، فَعُلِمَ أَنَّهُ قَالَ أَحَدَ الْأَلْفَاظِ، وَالْآخَرَانِ رُوِيَا بِالْمَعْنَى، وَلَفْظُ الْقَبْلِ ثَبَتَ عَنْهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ. فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَنَّهُ

كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ»، الْحَدِيثَ. وَاللَّفْظَانِ الْآخَرَانِ لَمْ يَثْبُتْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ؛ وَلِهَذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ إِنَّمَا يَرْوِيهِ بِلَفْظِ الْقَبْلِ، كَالْحُمَيْدِيِّ وَالْبَغَوِيِّ وَابْنِ الْأَثِيرِ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا اللَّفْظِ تَعَرُّضٌ لِابْتِدَاءِ الْحَوَادِثِ، وَلَا لِأَوَّلِ مَخْلُوقٍ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ –أَوْ مَعَهُ، أَوْ غَيْرُهُ–، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ» فَأَخْبَرَ عَنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ بِالْوَاوِ، وَ«خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» رُوِيَ بِالْوَاوِ وَبِثُمَّ، فَظَهَرَ أَنَّ مَقْصُودَهُ إِخْبَارُهُ إِيَّاهُمْ بِبَدْءِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَهِيَ الْمَخْلُوقَاتُ الَّتِي خُلِقَتْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، لَا ابْتِدَاءِ خَلْقِ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَذَكَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى خَلْقِهِمَا، وَذَكَرَ مَا قَبْلَهُمَا بِمَا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ وَوُجُودِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِابْتِدَاءِ خَلْقِهِ لَهُ. وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ الْحَدِيثُ قَدْ وَرَدَ بِهَذَا وَهَذَا، فَلَا يُجْزَمُ بِأَحَدِهِمَا إِلَّا بِدَلِيلٍ، فَإِذَا رَجَحَ أَحَدُهُمَا فَمَنْ جَزَمَ بِأَنَّ الرَّسُولَ أَرَادَ الْمَعْنَى الْآخَرَ فَهُوَ مُخْطِئٌ قَطْعًا، وَلَمْ يَأْتِ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْآخَرِ، فَلَا يَجُوزُ إِثْبَاتُهُ بِمَا يُظَنُّ أَنَّهُ مَعْنَى الْحَدِيثِ، وَلَمْ يَرِدْ «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ» مُجَرَّدًا، وَإِنَّمَا وَرَدَ عَلَى السِّيَاقِ الْمَذْكُورِ، فَلَا يُظَنُّ أَنَّ مَعْنَاهُ الْإِخْبَارُ بِتَعْطِيلِ الرَّبِّ تَعَالَى دَائِمًا عَنِ الْفِعْلِ حَتَّى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ. وَأَيْضًا: فَقَوْلُهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، –أَوْ مَعَهُ، أَوْ غَيْرُهُ–، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»، لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى مَوْجُودٌ وَحْدَهُ لَا مَخْلُوقَ مَعَهُ أَصْلًا، لِأَنَّ قَوْلَهُ: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». يَرُدُّ ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ وَهِيَ: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ إِمَّا حَالِيَّةٌ، أَوْ مَعْطُوفَةٌ، وَعَلَى كِلَا التَّقْدِيرَيْنِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مَوْجُودٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَعُلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْمَشْهُودِ".

(الشرح)

**الشيخ:**

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:**

لا زال الحديث عما ذكره الإمام الطحاوي -رَحِمَهُ الله- في قوله: (**مَا زَالَ بِصِفَاتِهِ قَدِيمًا قَبْلَ خَلْقِهِ، لَمْ يَزْدَدْ بِكَوْنِهِمْ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ مِنْ صِفَتِهِ، وَكَمَا كَانَ بِصِفَاتِهِ أَزَلِيًّا، كَذَلِكَ لَا يَزَالُ عَلَيْهَا أَبَدِيًّا**).

أيضًا ما ذكره من قوله: (**لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِي**).

ذكر الشارح ابن أبي العز -رَحِمَهُ الله- كثيرًا من المسائل في هاتين الفقرتين، **والمسألة التي ركز عليها هنا:** أن الله -عَزَّ وَجَل- لم يكن معطلًا عن الفعل في أي فترةٍ من الفترات.

ولما قال في كلام الطحاوي (**لَيْسَ مُنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْخَالِقِ وَلَا بِإِحْدَاثِهِ الْبَرِيَّةَ اسْتَفَادَ اسْمَ الْبَارِي**)، وكذلك ما سيأتي من قوله: (**لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ، وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ**).

لما كانت هذه الجمل توهمُ أن الإمام الطحاوي يذهب إلى منع التسلسل في الماضي، وأنه يذهب إلى ما ذهب إليه المتكلمون من (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) لما كانت هذه الجمل قد يراد بها هذا الذي ذكرته، **فصَّل فيها ابن أبي العز من ناحيتين:**

➢ **أولًا**: بالنظر إلى مراد المؤلف، ما الذي يريده المؤلف الطحاوي؟ استظهر في قوله: (**ظَاهِرُ كَلَامِ الشَّيْخِ -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- أَنَّهُ يَمْنَعُ تَسَلْسُلَ الْحَوَادِثِ فِي الْمَاضِي**) استظهر أن موقفه يميل إلى موقف المتكلمين الذين يرون (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**)، ويرون أيضًا عدم التسلسل في الماضي. استظهر هذا، وأنا ذكرت فيما سبق أن أدق ما ذُكِرَ في هذا الباب ما ذكره الشيخ عبد الرحمن البراك أن كلامه ليس..، حتى كلام الشيخ ظاهر كلام الشيخ ليس في كلامه ما يعين أن هذا هو مراد الشيخ قد يُفهَم هذا، وقد لا يفهم هذا.

**على كل حال،** إن كان يُفهَم منه هذا فهذا خطأ؛ لذلك فصَّل في المسألة، وبيَّن أن ما ذهب إليه المتكلمون من (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) هذا يستلزم تعطيل الله -عَزَّ وَجَل- عن الفعل في الأزل. وهذا الذي نقول: أنه يستلزم صرح به المتكلمون، يقولون: أن الله -عَزَّ وَجَل- في الأزل لم يكن يخلق، ولم يكن يفعل، كان معطَّلًا عن الفعل.

ويدَّعون في ذلك من الإجماعات التي ذكرتها سابقًا لعلي ذكرتها من ذلك ما ذكره الجويني في كتابه [الشامل] يقول: **{إن الأمة أجمعت}** يجتمع ثلاثة أو أربعة من المتكلمين والمعتزلة والأشاعرة ويظنون أن هذا هو الإجماع. **{إن الأمة أجمعت على منع إطلاق القول بأن القديم خلق في أزله، وكان يخلق}**. صريح.

ويتجاوز الرازي أكثر ويوسع دائرة الإجماع، هنا {إن الأمة}، معناها قد يكون هناك من المليين من يخالف في هذا، فيقول الرازي: **{منهم من قال: إنه تعالى لم يكن في الأزل لم يكن فاعلًا، ثم صار فيما لا يزال فاعلًا وهم الملِّيُّون بأسرهم}** يقول هذا في [شرح الإشارات]، إذن هذا يلزمهم، وهذا صريح كلامهم: أن الله -عَزَّ وَجَل- كان معطلًا عن الفعل إلى أن ابتدأ الفعل بخلق هذا العالم المشهود.

المتكلمون في سبيل الحفاظ على طاغوتهم حتى لا يستلزم حلول الحوادث بذاته سبحانه، في سبيل الحفاظ على ذلك الطاغوت يتجاوزون كل هذه الحدود ولا يستشنعون، أو ولا يفكرون أن في طريقهم إلى هذا الطاغوت طوام كثيرة جدًّا منها هذه الصراحة التي يلوكون بها، أن الله -عَزَّ وَجَل- كان معطلًا عن الفعل. بأي آية، أو بأي حديث؟ لا، ليس هناك دليل إلا أن هذا عدم القول بهذا يستلزم حلول الحوادث بذاته سبحانه.

ورأينا أنهم في كلامهم في حلول الحوادث اطِّراد، كثير جدًّا من ذلك ما ذكروه في أن الأعراض لا تبقى زمانين، وأن الله -عَزَّ وَجَل- يجدد للأعراض بقاءً في كل آن، في كل آن؛ أي في كل جزءٍ من الثانية، أو في كل جزءٍ من المليار ثانية حسب ما ذكرنا من أجزاء الزمان؛ لأن أجزاء الزمان، نحن إذا أردنا الدقة قلنا: ثانية. لا، هناك جزء من مليون بل مليار ثانية، التي يسموها فيمتو ثانية.

➢ **فهذه الأعراض والصفات التي تتصف بها الأجسام والجواهر تتجدد، من الذي يجددها؟**

الله -عَزَّ وَجَل-، وبالتالي هذه الأجسام لا تزال بحاجةٍ إلى الله -عَزَّ وَجَل-، وإلا بعد حدوثها تستغني عنه.

ولكنهم هنا لا يفكرون أن هذا فيه تحطيم لأصلهم من البداية، أنت تقول: أن الله -عَزَّ وَجَل- لا يفعل، لم يكن يفعل، ثم فعل، هذا الفعل أيضًا لا يثبته على أنه فعلٌ بالإرادة والمشيئة، إنما هذا يرجع إلى القدرة القديمة، والإرادة القديمة، وإنما هنا تجددٌ للتعلق تعلق الإرادة بالمراد، وفي الحقيقة ليس هناك فعل.

حتى نحن لما نقول: كان معطلًا عن الفعل ثم فعله لو كانوا يقولون هذا لهان الأمر، كان معطلًا عن الفعل، ولا زال معطلًا عن الفعل، إنما هناك إرادة، وقدرة قديمة بها تتعلق جميع المقدورات والمرادات.

➢ **لما يقولون بتجدد الأعراض، هل الله -عَزَّ وَجَل- يجدد لها البقاء؟**

إذن قلت بحلول الحوادث، يجدد، أليس كذلك؟

أو تقول: أن الله -عَزَّ وَجَل- خلقها هكذا تتجدد، وهذا هو السببية السنن الكونية التي ينكرها الجبرية، وبعض المعتزلة، وكذلك الأشاعرة، وهذا المذهب الرسمي للأشاعرة، هم لما يقولون: ليست هناك سببية، ليس هناك سبب ومسبب، إنما كل هذا يرجع إلى فعل الله -عَزَّ وَجَل-، نعم يرجع إلى فعل الله -عَزَّ وَجَل-، ولكن الله -عَزَّ وَجَل- خلق هذه السنن مترابطة بعضها ببعض، المسببات هذه لها تعلق بالأسباب، الأسباب تسبب المسببات، وتورث المسببات، هكذا خلقها الله -عَزَّ وَجَل-، وإذا أراد سلبها، أليس كذلك؟ ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[الأنبياء:٦٩] سلبها هنا، وإلا لو لم يسلب لأحرقته. شوف التعارض هنا: الله -عَزَّ وَجَل- يجدد، وأنت عندك الله -عَزَّ وَجَل- لا يجدد، ولا يفعل، ولا.. أليس كذلك؟

شوف البدع هنا كيف يلتزمون هنا بشيء فرارًا عن شيء فيقعون في شيء، وليس هناك تفسير.

الله -عَزَّ وَجَل- كان معطلًا عن الفعل، ثم فعل، طبعًا هذا ذكرناه مفصلًا، ثم فعل يعني كيف؟

**نحن نركز على مسألة أن الله -عَزَّ وَجَل- كان معطلًا عن الفعل**: نركز على قولهم بهذا ذهابًا إلى **(امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا)**.

لما قال الشيخ هنا في آخر الفقرة التي درسناها: **(وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ قِدَمُ الْعَالَمِ)** بعد أن قرر بأن القول بأن الحوادث لها أول يلزم منه التعطيل قبل ذلك، وأن الله -عَزَّ وَجَل- لم يزل غير فاعلٍ، ثم صار فاعلًا. أنا ذكرت أن هذا اللازم يصرحون به.

طيب، بعد هذا لم نكن بحاجة أن نقول: **(وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ قِدَمُ الْعَالَمِ)** لأن أين هذا من هذا؟ أليس كذلك؟ لسنا بحاجة إلى هذه المسألة.

➢ **لماذا يا ابن أبي العز تقول هنا، طبعًا والكلام في أصله لشيخ الإسلام، لماذا تقول: (وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ قِدَمُ الْعَالَمِ) لماذا؟**

لأن هناك من يفهم هذا، هؤلاء لما ادعوا الإجماع، الإجماع، دعوى الإجماع لا يكون دائمًا بذكر (وأجمعوا) مثل ما رأينا هنا (**وأجمعت الأمة**) **ذكر الإجماع له صيغ كثيرة، وله أساليب كثيرة منها:**

➢ **أنت لما تقول: هذه المسألة اختُلِفَ فيها، فذهب المليُّون إلى كذا، وذهب الدهريون إلى كذا، ماذا تفهم؟**

إجماع المسلمين، مع أنه لم يقل: أن هذا..ها.

➢ **أو هذه المسألة اختُلِف فيها، فقيل كذا، وذهب الدهريون إلى كذا، ماذا تفهم؟**

أن الذي أُبْهِمُوا هنا هم المسلمون كلهم، وهذا كثير في كلام المتكلمين: أن المسألة هذه فيها قولان:

- قولٌ بـ(**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**).

- وقولٌ آخر بأن العالم قديم، وإنه يرجع إلى العلة الأولى والمبدأ الأول، وأن هذا العالم متزامنٌ مع العلة الأولى.

تجدون هذا في كلام الباقلاني، وفي كلام الجويني، ومن الماتردية في كلام البزدوي، ومن الأشاعرة أيضًا في كلام الرازي والتفتازاني، ذكروا أن المسألة هذه اختُلِف فيها على قولين:

- قول يذهب إلى قدم العالم.

- وقول آخر يقول: بـ(**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**).

لأجل هذه الأمور، ولأجل هذه الأقوال يقول هنا: (**وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ قِدَمُ الْعَالَمِ**) مع أن هذه المسألة بعيدة جدًّا؛ لأن الخلاف هنا ليس خلافًا مع الفلاسفة، إلا أن أولئك لجهلهم يظنون أن من ليس على قولهم فهو مع الفلاسفة.

ولذلك لما تحدث شيخ الإسلام في هذه المسألة في شرح حديث عمران بن حصين -رَضِيَ الله عَنْهُ- الذي طُبِع في المجلد الثامن عشر من الفتاوى، وأيضًا طُبِع في [جامع الرسائل] رسالة مستقلة في شرح حديث عمران بن حصين -رَضِيَ الله عَنْهُ- الذي ذكره هنا (**قال أهل اليمن لرسول الله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-: "جِئْنَاكَ لِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ" إلى آخره**) هذا الحديث هناك رسالة مستقلة لشيخ الإسلام في شرح الحديث، وما ذكره ابن أبي العز هنا مأخوذٌ منهم بتصرف وباختصار.

**لما ذكر الأقوال هنا تعرض إلى هذا الإشكال:** أن هؤلاء لجهلهم بالأقوال يظنون أن من لم يذهب إلى هذا القول فمصيره القول الثاني، وإلا لا يكون هذا صحيحًا، وإذا تذكرتم أن هذه المسألة هي أول

مسألة في إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَل-، هي في إثبات وجود الله -عَزَّ وَجَل-، وهذه المسألة هي أول مسألة في الدين نتصور هكذا، فإذا رأيت جهلهم بهذا الشكل في هذه المسألة وهي بداية المسائل، فما الذي تتوقع؟ إما أن تقول بقولهم، أو تكون مع الفلاسفة.

تحدث شيخ الإسلام عن هذا الإشكال عند المتكلمين في حديثه عند شرح حديث عمران بن حصين.

كثيرًا أنت لما تقرأ في كتب المتكلمين ولا تكون قد وقفت على الحق تكون بين خيارين أحلاهما مر:

- إما أن تكون مع الزنادقة مع الفلاسفة الكفار.
- وإما أن تكون مع المسلمين.

➢ **طيب، قول المسلمين فيه كيت وكيت، تتحمله على علاته لماذا؟**

لتنقذ نفسك من هؤلاء. حتى لا تكون مع هؤلاء؛ ولذلك لا يستحيون ويتهمون شيخ الإسلام إلى الآن على أنه مع الفلاسفة، وأنه يقول بقدم العالم، وأنه لأجل ذلك كافر، صرح بكفره عددٌ منهم، ولا زال الكوثرية يرثون هذا القول: كفر، تكفير شيخ الإسلام.

يقول: (**وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ قِدَمُ الْعَالَمِ**) ثم ذكر (**وَلِلنَّاسِ قَوْلَانِ فِي هَذَا الْعَالَمِ: هَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَادَّةٍ أَمْ لَا؟ وَاخْتَلَفُوا فِي أَوَّلِ هَذَا الْعَالَمِ مَا هُوَ؟**).

هذه المسألة لها صلة قوية جدًّا بالمسألة التي كان يتحدث عنها ابن أبي العز؛ لأن هذا الحديث حديث عمران بن حصين الذي ذكره شيخ الإسلام هنا، وذكره ابن أبي العز هذا الحديث من الأدلة النقلية للمتكلمين على مسألة (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) نادرًا ما تجدونهم يستدلون بالكتاب والسنة، وإذا وجدوا شيئًا أطالوا فيه، وطالوا به، وهذا الحديث مما يذكرونه دليلًا على صدق تلك المقدمة (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**).

➢ **قبل أن نبدأ في هذه المسألة، يقول ابن أبي العز: (وَلِلنَّاسِ قَوْلَانِ فِي هَذَا الْعَالَمِ) الإشارة إلى ماذا؟**

العالم المشهود الذي خلقه الله -عَزَّ وَجَل- في ستة أيام، وتحدث عنه في كتابه، وورد الحديث عنه في الأحاديث.

(**هَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَادَّةٍ أَمْ لَا؟**) هذه المسألة ما فصَّل فيها ابن أبي العز ذكرها، ثم تجاوزها لم يفصِّل فيها؛ لأن هذه المسألة التفصيل فيها ليس مهمًّا هنا مع أن رأي شيخ الإسلام هنا: أنه لم يرد في الكتاب والسنة أن هذا العالم مخلوقٌ من عدم. لا، الله -عَزَّ وَجَل-

- ذكر أن آدم خُلِق من ماذا؟ وخُلِقَ آدم مما وُصِفَ لكم من تراب.
- والسماء ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[فصلت:١١].
- ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾[الرحمن:١٥].

إذن ذكر الله -عَزَّ وَجَل- بعض ما خلق منه هذا العالم، والتفصيل في هذا لا يمكن أن نصل إليه إلا بالوحي، ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[الكهف:٥١] ليس هناك..، الآن علم الحفريات، وعلم ما ادري أيش، وعلم أيش، هذه الحفريات هذه فيها تدل على أنها قبل عشرة آلاف سنة، خمسة، هذه كلها تخمينات وظنون لا تدل على الحقيقة المطلقة، وسبحان الله! من شقاء الإنسان أن ينشغل بما قد فُرِغَ منه، وهذه الأمور الوحي أعطاك إياها على طبق من ذهب خذ من الوحي، ما لم تجده في الوحي لن تصل إليه.

➢ **فلذلك الإنسان حقيقة الإنسان، حقيقة الروح هل ندري عن الروح؟ كم من الأقوال في الروح؟**

ما ندري عنها، هكذا الإنسان، ففي حدود ما ورد في هذا الباب يذكر شيخ الإسلام أن الله -عَزَّ وَجَل- لم يذكر في الكتاب، ولم يأتِ في السنة أن هذا العالم خُلِقَ من عدم، إنما ذكر أن بعض هذا العالم خُلِقَ من كيت وكيت، بقية الأمور لا يمكننا أن نفصل فيها. هذه المسألة الأولى.

❋ **المسألة الثانية:** (**وَاخْتَلَفُوا فِي أَوَّلِ هَذَا الْعَالَمِ مَا هُوَ؟**) عرفنا صلة هذا القول بـ.. (**وَقَدْ قَالَ سبحانه:** ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾**[هود:٧]**) في هذه الآية بيان أن الله -عَزَّ وَجَل- خلق السماوات والأرض، والسماوات والأرض في هذا الكون، نحن لما نتحدث عن الكون هي السماوات والأرض ليس شيءٌ غيرها، والسماوات والأرض خُلِقَت في ستة أيام، وهو هذا العالم المشهود، وأخبر الله -عَزَّ وَجَل- في نفس الآية عن وجود مخلوقاتٍ قبل هذا العالم المشهود ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[هود:٧] إذن كان هناك عرش، وكان هناك ماء.

**هذه الآية سيتركز كلام شيخ الإسلام حولها في بيان ترتيب خلق هذا العالم المشهود، ما الذي نفهمه؟**

(**وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ: "قَالَ أَهْلُ الْيَمَنِ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–**) هذا وفد أهل اليمن جاء إلى النبي –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–، وعمران بن حصين –رَضِيَ الله عَنْهُ– هو ليس من الوفد، هو من خزاعة، ليس من أهل اليمن، وكان موجودًا في المسجد لما جاء هذا الوفد.

(**"قَالَ أَهْلُ الْيَمَنِ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–**) طبعًا هنا قصة قبلها

**"جاء وفدُ بني تميمٍ إلى رسولِ اللهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم– فقال لهم:** «أبشِروا يا بني تميمٍ» **قالوا: بشَّرْتَنا فأعطِنا، فتغيَّر وجهُ رسولِ اللهِ –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–، وجاء وفدُ أهلِ اليَمنِ فقال لهم:** «أبشِروا يا أهلَ اليَمنِ إذ لَمْ يقبَلِ البُشرى بنو تميمٍ»".

النبي –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم– هنا يبدو أنه أسِفَ لـ..

**طالب:** .....

**الشيخ:**

- **هذا وجه:** أنهم لم يقبلوا البشرى.
- **ووجهٌ آخر:** أنهم طلبوا منه وما كان عنده ما يعطيهم.

هذا محتمل وهذا محتمل. المهم هذا لم يكن في نصيبهم، أهل اليمن قبلوا هذه البشرى، وجلسوا إلى النبي –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم– وقالوا له: ("**جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ**") (**هَذَا**) ضمير يشير إلى شيءٍ موجود (**فَقَالَ النبي –صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم–**: «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ**»، **وَفِي رِوَايَةٍ**: «**وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مَعَهُ**»، **وَفِي رِوَايَةٍ** «**غَيْرُهُ**»، «**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**»، **وَفِي لَفْظٍ**: «**ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**»).

**أولًا**: بالنسبة لألفاظ هذا الحديث كما قلت: هذا مأخوذٌ من شرح حديث عمران بن حصين، وسيكرر شيخ الإسلام أنه ورد في الحديث («**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ**») وهذا لفظ، وقد روي «**مَعَهُ**» وهذا لفظ، وروي «**غَيْرُهُ**» وهذا لفظ.

من الغريب أن شيخ الإسلام هناك مع أنه يتحدث عن.. وتركيز كلامه على لفظٍ يستدل به المتكلمون وهو («كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيء مَعَهُ»)

☜ **يقولون**: أن ما ذهبوا إليه من (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**) يدل عليه هذا الحديث أن الله – عَزَّ وَجَل– لم يكن شيئًا معه؛ أي معناه لم يكن قد خلق شيئًا.

☜ **وبعضهم زاد في الحديث كما ذكر شيخ الإسلام وقال**: وهو الآن على ما عليه كان. هذا اللفظ ذكر شيخ الإسلام في عدد من المواضع أنه في [صحيح البخاري].

➢ **اللفظ الذي يستدل به من؟**

المتكلمون، واللفظ الذي عليه مدار الحديث، ذكر شيخ الإسلام أنه من روايات البخاري، ذكر هذا صريحًا في عددٍ من المواضع:

☜يقول في موضع: **{والحديث رواه البخاري في صحيحه وفي غير موضع فرواه في أول الكتاب في كتاب [العلم]، وفي موضعٍ ثالث، «وَلَمْ يَكُن شَيءٌ مَعَه»}** كتاب [العلم] لم يُخْرِجْهُ أصلًا.

☜ وقال أيضًا: **{حديث عمران رواه البخاري في ثلاثة مواضع بثلاثة ألفاظ}**، ثم ذكر هذه الألفاظ منها «**وَلَمْ يَكُن شَيءٌ مَعَه**».

☜وذكر أيضًا في موضع آخر: أن هذه الألفاظ كلها في [صحيح البخاري].

☜وذكر في موضع آخر في [الصفدية]، ذكر في [الصفدية]: **{وفي روايةٍ لغيره؛ أي لغير البخاري صحيحةٍ «كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُن شَيء مَعَه»}**.

✍ في أكثر ما ذكره ذكر أن هذه الروايات كلها موجودة في صحيح البخاري، وفي موضع ذكر أن هذه الرواية ليست في صحيح البخاري ولكنها صحيحة.

وفي حدود تخريج هذا الحديث عند الشيخ الألباني وغيره حتى الحافظ ابن حجر، وهذا اللفظ غير موجود، هذا اللفظ لم نجده في شيءٍ من الكتب «**وَلَا شَيء مَعَه**»، فأنا جلست مع هذا أبحث في..، بالنسبة لـ[صحيح البخاري] طبعًا الحديث مروي عن عمران بن حصين، يروي عنه صفوان بن محرز المازني، ويروي عنه شداد الجهم بن شداد.

**والجهم بن شداد يروي عنه ثلاثة:**

- الثوري.
- والمسعودي.
- والأعمش.

⇦ **الثوري** وروى عنه ابن مهدي ووكيع ومحمد بن كثير وأبو نعيم، وأبو عاصم، روى البخاري من هذه الروايات رواية محمد بن كثير، ورواية أبي نعيم، ورواية أبي عاصم.

⇦ **ورواية عبد الرحمن المسعودي** رواها النسائي في تفسيره بلفظ «**وَلَا شَيء غَيْرُه**».

⇦ **رواية الأعمش** رواها البخاري «**كَانَ اللهُ وَلَا شَيء قَبْلَه**»، ورواها أيضًا الإمام أحمد، والأعمش أيضًا له ثلاث رواة.

**المهم الألفاظ التي وردت في البخاري لفظان:**

- «**قَبْلَه**».
- و«**غَيْره**».

⇦ في بدء الخلق «**غَيْرَهُ**»، وهذا الذي رجحه الحافظ ابن حجر.

⇦ وفي المغازي «**قَبْلَهُ**».

الإمام أحمد ورد عنده بلفظ: «**كَانَ اللهُ قَبْلَ كُل شَيء**»، وفي بقية الألفاظ «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُن شَيءٌ قَبْلَه**» أما ما أشار إليه شيخ الإسلام فلم أجده، ولم يجده أحدٌ ممن خرَّج هذا الحديث إلى الآن.

وتركيز المتكلمين على هذا اللفظ، وكان بإمكان شيخ الإسلام أن يقول: أن هذا اللفظ لم يرد في..، هذا اللفظ الذي تريدونه لم يرد، مع ذلك لم يقل هذا، بل أثبت أنه في [البخاري]، أو في غير [البخاري] ولكن اللفظ صحيح. هذا كله ما أدري أن هل وقف شيخ الإسلام على هذا اللفظ في غير [البخاري]؟ لا أدري، على كل حال هذا الذي الحديث بهذا اللفظ الذي يريده المتكلمون غير موجود.

طبعًا في الكتب الستة قطعًا لأن أصلًا الكتب الستة لم يروي هذا الحديث إلا البخاري، والترمذي، والنسائي، والبقية لم يروه، والإمام أحمد رواه بعددٍ من الطرق كلها مختصرة إلا في موضع بلفظ «**كَانَ اللهُ قَبْلَ كُل شَيء**».

على كل حال، هذا بعض ما يتعلق بتخريج هذا الحديث.

(«كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُن شَيءٌ قَبْلَه»، وَقَدْ رُوِي «مَعَهُ») الغريب أن الحافظ ابن حجر لما تحدث عن هذا الحديث ذكر أنه في غير [الصحيح] «وَلَا شَيء مَعَهُ» ذكر هذا، ويبدو لي أن الحافظ ابن حجر قلد شيخ الإسلام؛ لأن مجمل كلامه يدل على أن اختصار حديثه لكلام شيخ الإسلام، ويبدو لي أنه قلد شيخ الإسلام هنا.

**ومما يدل على أن ابن حجر –رَحِمَهُ اللهُ– أخذ من شيخ الإسلام**: أنه لما ذكر اللفظة الأخيرة، (وهو الآن على ما عليه كان) ذكر أن هذا الحديث بهذا اللفظ موضوع على ما صرح به العلامة تقي الدين بن تيمية، وأحاديثه من البداية يعني في غالبه رجح ما رجحه شيخ الإسلام، إلا أنه حتى في الألفاظ في البداية رجح ما رجحه شيخ الإسلام لفظ الـ(قبل)، ثم مال إلى لفظ (غيره) لأنه أعم في..، مجمل حديثه يدل على أنه عال على شيخ الإسلام هنا في هذا الحديث، والغريب أنه قلده في هذا الـ..

يقول شيخ الإسلام: (**فَقَوْلُهُ**: «**كَتَبَ فِي الذِّكْرِ**»، **يَعْنِي اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ**) كتب في اللوح المحفوظ (**كَمَا قَالَ سبحانه**: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ**﴾[الأنبياء:١٠٥]) ﴿**الذِّكْرِ**﴾ هو اللوح المحفوظ، (**سَمَّى مَا يُكْتَبُ فِي الذِّكْرِ ذِكْرًا، كَمَا يُسَمَّى مَا يُكْتَبُ فِي الْكِتَابِ كِتَابًا**).

➢ **لماذا سمي اللوح المحفوظ ذكرًا مع أنه كُتِبَ فيه الذكر؟**

مثلما هو الشأن في الكتاب (**يُسَمَّى مَا يُكْتَبُ فِي الْكِتَابِ كِتَابًا**) هذا يتعلق بشرح ألفاظ الحديث.

يقول: (**وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَلَى قَوْلَيْنِ**) **ذكر هنا قولين:**

➢ القول الأول قول المتكلمين.

➢ والقول الثاني هو قول السلف.

(**مِنْهُمْ مَنْ قَالَ**) وهذا هو قول المتكلمين (**إِنَّ الْمَقْصُودَ إِخْبَارُهُ بِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مَوْجُودًا وَحْدَهُ وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ دَائِمًا، ثُمَّ ابْتَدَأَ إِحْدَاثَ جَمِيعِ الْحَوَادِثِ، فَجِنْسُهَا وَأَعْيَانُهَا مَسْبُوقَةٌ بِالْعَدَمِ، وَأَنَّ جِنْسَ الزَّمَانِ حَادِثٌ لَا فِي زَمَانٍ**) طبعًا (**لَا فِي زَمَانٍ**) لأن الحدوث هنا هو ابتداء، (**وَأَنَّ اللَّهَ صَارَ فَاعِلًا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ شَيْئًا مِنَ الْأَزَلِ إِلَى حِينِ ابْتِدَاءِ الْفِعْلِ، ولا كَانَ الْفِعْلُ مُمْكِنًا**) هذا هو قولهم مثل ما سبق في قضية التسلسل، **واستدلالهم هنا على هذا النحو**: أن هذا الحديث يدل على أن الله –عَزَّ وَجَل– كان موجودًا وحده، وأنه لم يكن يفعل لأنه لو كان يفعل لكان معه مخلوقاته، مع أن المخلوق لا يكون مع الخالق أبدًا، المخلوق لا يمكن أن يكون مع الخالق أبدًا.

أحيانًا يأتي في كلام شيخ الإسلام ما يوهم هذا؛ لأن المسألة واضحة، فبعض أهل البدع يأتي ويتصيد أحدهم كتب أن ابن تيمية يرى أن المخلوقات مع الله -عَزَّ وَجَل- مجنون، المخلوق يكون مع الخالق!

☜ **أولًا**: شيخ الإسلام يصرح بهذا في عددٍ من المواضع، المخلوق لا يمكن أن يكون مع الخالق؛ لأنه مخلوق خلقه.

☜ **وثانيًا**: قد يكون في بعض السياق، بما أن المسألة واضحة فالواحد فليعبر بـ...، ويأتي هذا المبتدع ويتصيد هذا الذي قد يفهم منه هذا، ويترك الكلام الصريح.

فهذا هو خلاصة الاستدلال عندهم ما ذكره في هذا القول. **هذه هي الخلاصة**: يستدلون بهذا الحديث على أن الله -عَزَّ وَجَل- كان معطلًا عن الفعل، ولم يكن معه شيء؛ لأنه لم يكن يخلق شيئًا، ولم يكن يفعل شيئًا.

**(وَالْقَوْلُ الثَّانِي: الْمُرَادُ إِخْبَارُهُ عَنْ مَبْدَأِ خَلْقِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَشهودِ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، كَمَا أَخْبَرَ الْقُرْآنُ بِذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ)** ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام مسلم في صحيحه **(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: «قَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ». فَأَخْبَرَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّ تَقْدِيرَ هَذَا الْعَالَمِ الْمَخْلُوقِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ كَانَ قَبْلَ خَلْقِهِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَأَنَّ عَرْشَ الرَّبِّ تَعَالَى كَانَ حِينَئِذٍ عَلَى الْمَاءِ)**.

كل هذه المسائل فيها دلالة على وجود مخلوقات قبل هذا العالم المشهود، وأن الكتابة كانت تتعلق بهذا العالم المشهود؛ لأنه سيأتي الاستدلال بالقلم أيضًا «**أَوَّل مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَم**». هكذا يروون: «**أَوَّل مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَم**»، مع أنه «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ، قَالَ لَهُ: اكْتُبْ**» فالقلم الله -عَزَّ وَجَل- خلق وأمره أن يكتب هذا التقدير الذي يتعلق بهذا العالم المشهود.

➢ **طيب، ذكر قولين هنا، ما هو القول الراجح؟**

القول الثاني هو القول الراجح.

**(دَلِيلُ صِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ الثَّانِي مِنْ وُجُوهٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ قَوْلَ أَهْلِ الْيَمَنِ: "جِئْنَا لِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ"، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى حَاضِرٍ مَشْهُودٍ مَوْجُودٍ)، ("جِئْنَا لِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ")** هم

سألوه عن شيء موجود يشار إليه، (**وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى حَاضِرٍ مَشْهُودٍ مَوْجُودٍ، وَالْأَمْرُ هُنَا بِمَعْنَى الْمَأْمُورِ؛ أَيِ الَّذِي كَوَّنَهُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**) وهو الكون.

✪ **الخلاصة:** أن الأمر هنا هو الكون ("**جِئْنَا لِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ**")؛ أي أن عن أول هذا الكون.

(**وَقَدْ أَجَابَهُمُ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ بَدْءِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَوْجُودِ، لَا عَنْ جِنْسِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْأَلُوهُ عَنْهُ**).

ما ذكره ابن أبي العز هنا هو الوجه الثاني من الوجوه التي ذكرها شيخ الإسلام، هناك وجه قبل هذا أشار إليه ابن أبي العز بهذا؛ لأنهم لم يسألوه عنه، نتحدث عنه إن شاء الله بعد الصلاة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * * * * * * * * * * *

## ٤٩

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

**أما بعد:**

كنا في بداية ذكر الوجوه التي تدل على صحة القول الثاني، وهو أن المراد في هذا الحديث إخبار النبي –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عن مبدأ خلق هذا العالم المشهود، وليس فيه إخبارٌ عن أول المخلوقات على الإطلاق، **فهناك فرقٌ بين أمرين:**

- الحديث عن الأولية بنسبية.
- والحديث عن الأولية بإطلاق.

هم المتكلمون يرون أن هذا الحديث فيه بيان أول مخلوقٍ بإطلاق، بينما الحديث فيه بيان أول المخلوقات من هذا العالم المشهود، أو بيان إخبار مبدأ هذا العالم المشهود.

ذكر الأدلة ابن أبي العز –رَحِمَهُ اللهُ– هنا، وما ذكره في قوله: (**أَحَدُهَا**) هذا هو الوجه الثاني مما ذكره شيخ الإسلام.

**الوجه الأول الذي ذكره شيخ الإسلام** أشار إليه هنا لا عن جنس المخلوقات؛ لأنهم لم يسألوه عنه.

➢ **أولًا ركز شيخ الإسلام على الجواب: هل الجواب مطابقٌ للسؤال أو لا؟**

نحن اختلفنا في السؤال، السؤال عن الأولية المطلقة، أو عن الأولية النسبية؟ اختلفنا، من وجوه التعرف على تحديد المراد من السؤال الجواب، ننظر إلى الجواب؛ لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- سيجيب عما سئل، فلما ننظر إلى السؤال وإلى الجواب نرى أن الجواب عن أولية نسبية، وليس عن أول مخلوق بإطلاق، مما يدل على أن هذا لم يُسأل عنه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أصلًا، لو سئل عنه لأجاب عنه، بينما هو أجاب عن شيءٍ آخر، فقد أجابهم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- عن بدء هذا العالم الموجود، لا عن جنس المخلوقات؛ لأنهم لم يسألوه عنه.

إذن النظر إلى الجواب يحدد المراد من السؤال. هذا الذي ركز عليه شيخ الإسلام في البداية في الوجه الأول.

**في الوجه الثاني**: أن في الحديث ما يشير إلى هذا التحليل؛ لأن فيه ("**جِئْنَا لِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ**") والمراد بالأمر المأمور وهو الكون، وليس فيه سؤالٌ عن أمر الله -عَزَّ وَجَلَّ-، أو أول أمرٍ، أو أول خلقٍ، أو أول فعلٍ ليس هناك سؤال عنه، ليس هناك سؤال عن أول خلقٍ على الإطلاق، أو أول فعلٍ على الإطلاق، لا، السؤال ورد فيه أداة الإشارة، وهذه الإشارة إلى شيءٍ مشهود وهو هذا العالم المشهود الذي تحدث عنه هذا الجواب، والذي تحدث عنه الله -عَزَّ وَجَلَّ- في القرآن.

(**وَقَدْ أَخْبَرَهُمْ عَنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَالَ كَوْنِ عَرْشِهِ عَلَى الْمَاءِ، وَلَمْ يُخْبِرْهُمْ عَنْ خَلْقِ الْعَرْشِ**) لم يتطرق حتى عن العرش مع أنه مخلوق، (**وَهُوَ مَخْلُوقٌ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) لم يتطرق إليه، ولم يتطرق إلى الماء مع أنه موجود قبل خلق السماوات والأرض كما ورد في الآية ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾[هود:٧] هذا كله يدل على أن المراد على أن البيان في الحديث لمبدأ هذا العالم المشهود، وليس عند أول المخلوقات، لو كان الحديث عن أول المخلوقات لاستقام دليلهم، ولاستقام شيئًا ما ما ذهبوا إليه من (**امْتِنَاعِ حَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا**)، ولكن الحديث هنا عن أوليةٍ معينة وهي عن مبدأ خلق هذا العالم المشهود، وهناك عوالم لا ندري عنها منها ما ذُكِر هنا.

➢ **العرش، متى خُلِق العرش؟**

➢ **الماء، متى خُلِق الماء؟ وما هو الماء أصلًا؟ هو هذا الماء، متى خُلق؟**

ما ندري عنه.

(**وَأَيْضًا**) من الوجوه (**فَإِنَّهُ قَالَ**: «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ**». **وَقَدْ رُوِيَ** «**مَعَهُ**»، **وَرُوِيَ** «**غَيْرُهُ**») تحدثنا عن هذا.

(**وَالْمَجْلِسُ كَانَ وَاحِدًا**) إذن الذي روي بهذه الروايات من هذه الألفاظ الثلاثة هو اللفظ الأول والأخير (**قبله، وغيره**)، (**قبله، وغيره**) كلاهما صحيحان، وكلاهما عند البخاري.

⇦ «**قَبْلَه**» ورد في رواية أبي حمزة السكري عن الأعمش عن الجهم بن شداد.

⇦ و«**غَيْرُه**» ورد عن رواية عمر بن حفص عن أبيه، عن الأعمش.

☜ كلاهما ورد عن رواية الأعمش في صحيح البخاري.

⇦ أما (**مَعَهُ**) فكما قلنا: لم يرد.

➢ **طيب، وردت ألفاظ عديدة: هل يرجع هذا إلى تعدد المجالس؟**

يقول شيخ الإسلام: (**وَالْمَجْلِسُ كَانَ وَاحِدًا**)، وهذا نقله أيضًا الحافظ ابن حجر وأقره، (**وَالْمَجْلِسُ كَانَ وَاحِدًا**).

**هناك حديثان عن وفود أهل اليمن:**

➢ حديث اشتهر هكذا عن وفد اليمن، وهو هذا الحديث.

➢ وحديث آخر فيه أيضًا وفد الأشعريين.

الإمام البخاري لما ذكر هذه الوفود (باب ما ورد عن أهل اليمن والأشعريين) أو العكس، غاير بينهما؛ لأن الأشعريين هم أيضًا أهل اليمن، وفد، وهما وفدان من أهل اليمن، وفي كليهما، في ذكر كلا الوفدين هناك قصة.

إذن الألفاظ متعددة، وجميع الألفاظ عن هذا الحديث عن وفدٍ واحد، وليس عن وفدين، (**وَالْمَجْلِسُ كَانَ وَاحِدًا، فَعُلِمَ أَنَّهُ قَالَ أَحَدَ الْأَلْفَاظِ**) إذن هذا يدل على أن اللفظ الذي قاله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- هو لفظٌ واحد، والبقية بالمعنى.

➢ **طيب، ما هو اللفظ الذي اختاره شيخ الإسلام؟**

(**فَعُلِمَ أَنَّهُ قَالَ أَحَدَ الْأَلْفَاظِ، وَالْآخَرَانِ رُوِيَا بِالْمَعْنَى**) شيخ الإسلام اختار لفظ الـ(قبل) (**وَلَفْظُ الْقَبْلِ ثَبَتَ عَنْهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ**) مما يدل على أن هذا اللفظ هو الذي قاله النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

(**فَفِي [صَحِيحِ مُسْلِمٍ] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ**: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**») إذن هذا اللفظ له شاهدٌ أيضًا من حديثٍ آخر، والحديث في [صحيح مسلم].

(**وَاللَّفْظَانِ الْآخَرَانِ لَمْ يَثْبُتْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ**) أحدهما لم يثبت حتى هنا، اللفظ الذي يتركز عليه احتجاج المتكلمين لم يثبت حتى هنا، أما اللفظ الآخر فهو في صحيح البخاري، ولكن بغض النظر عن استدلال المبتدعة «**كَانَ اللهُ وَلَا شَيء مَعَه**» ليس فيه إشكال؛ لأن الله -عَزَّ وَجَل- جميع ما خلقه ليس مقارنًا له في الزمان، ولكنهم يستدلون على وجهٍ آخر «**وَلَا شَيءٍ مَعَه**» وهذا يدل على أنه لم يخلق، ولم يتكلم، ولم..، هذا الذي ..ها، أيضًا «**كَانَ اللهُ وَلَا شَيء غَيْرُه**» صحيح ولا إشكال فيه؛ لأن جميع المخلوقات ليست مقارنة له في الزمان، ولا يمكن أن يقارن المخلوق الخالق في الزمان لا يمكن، إنما الحديث عن تحديد أول مخلوق، هل هناك أول مخلوق وقبله الله -عَزَّ وَجَل- لم يخلق؟ هذا الذي لا يجوز أن يقال.

طيب، («**اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**» **الحديث وَاللَّفْظَانِ الْآخَرَانِ لَمْ يَثْبُتْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ؛ وَلِهَذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ إنَّمَا يَرْوِيهِ بِلَفْظِ الْقَبْلِ، كَالْحُمَيْدِيِّ وَالْبَغَوِيِّ وَابْنِ الْأَثِيرِ**).

**بالنسبة للحميدي**: كل من ترجمه ذكر أنه الحميدي شيخ البخاري، وهذا خطأ، الحميدي وذكر بعض الشراح أيضًا بعض من شرح: أن الحميدي بما أنه هو الذي روى عنه البخاري هذا اللفظ، لفظ القبل، وهذا يدل على أن من روى هذا اللفظ هو أثبت من روى، وفي الحقيقة الحميدي لم يرد في سند هذا الحديث أبدًا، الحميدي عبد الله بن الزبير الحميدي توفي سنة مئتين وواحد وعشرين، أو تسعة عشر، وهو أول شيخٍ للبخاري في [صحيحه] وهو قرشي؛ ولذلك روى الإمام البخاري أول حديثٍ عنه في صحيحه ذهابًا منه إلى حديث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- «**قَدِّمُوا قُرَيْش وَلَا تَتَقَدَّمُوهُم**» ولكن الحميدي هذا متأخر، هذا الحميدي هو تلميذ ابن حزم، ومن أبرز تلاميذ ابن حزم، توفي سنة

أربعمئة ثمانٍ وثمانين، توفي سنة ثمانٍ وثمانين بعد الأربعمئة، وهو من أبرز تلاميذ ابن حزم، وهو من المحدثين، وممن اهتم بالصحيحين كثيرًا، وله كتاب اسمه [الجامع بين الصحيحين] وهو مطبوع.

طبعًا ذِكْر شيخ الإسلام هنا: (**كَالْحُمَيْدِيِّ وَالْبَغَوِيِّ وَابْنِ الْأَثِيرِ**) يعني مقارنته بالبغوي وابن الأثير المفروض يحدد المراد بال..ها، ولكن بما أن هناك حميدي معروف من شيوخ البخاري، فذهب المترجمون كلهم إلى أنه هو الحميدي الذي هو الزبير، عبد الله بن الزبير الزبير الحميدي.

**طالب: هذا الحميدي توفي سنة كم؟**

**الشيخ:** مئتين وتسعة عشر، أو مئتين وواحد وعشرين، تسعة عشر.

**أما (الْبَغَوِيِّ)**: فهو الإمام المعروف، توفي سنة خمسمئة وستة عشر، الحسين بن مسعود البغوي نسبةً إلى بَغْو وهي مدينة تقع بين إيران وأفغانستان تقع على الحدود، الحدود الشرقية لإيران، والحدود الغربية لأفغانستان. مدينة بَغْو تقع هناك، وقريب منها مدينة سرخس على الحدود، الحدود بين..، وقريب منها مدينة إيران على الحدود الأفغانية.

(**الْبَغَوِيِّ**) له كتاب [شرح السنة] وهو مطبوع في ستة عشر مجلدًا.

**(وَابْنِ الْأَثِيرِ)**: ابن الأثير أيضًا جمع الكتب الستة وكتابه أيضًا مطبوع [جامع الأصول]، وهو دقيق في اختيار الألفاظ، وأيضًا بالنظر إلى النسخ؛ ولذلك ذكرهم شيخ الإسلام هنا.

**(وإذا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا اللَّفْظِ تَعَرُّضٌ لِابْتِدَاءِ الْحَوَادِثِ، وَلَا لِأَوَّلِ مَخْلُوقٍ)** إذا كان لفظ القبل هو الراجح، فليس فيه هذه المسألة أبدًا. هذا وجه.

**(وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ -أَوْ مَعَهُ، أَوْ غَيْرُهُ-، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ» فَأَخْبَرَ عَنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ بِالْوَاوِ)**.

- **ما هي الثلاثة؟**
  - الماء.
  - والعرش.
  - والذكر.

**(أَخْبَرَ عَنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ بِالْوَاوِ)** مما يدل على أن المراد ليس إخبارًا بترتيب أول مخلوقٍ، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، لا.

(وَ«خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» رُوِيَ بِالْوَاوِ وَبِثُمَّ) «ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ».

(فَظَهَرَ أَنَّ مَقْصُودَهُ إِخْبَارُهُمْ بِبَدْءِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) ما يتعلق بالسماوات والأرض المراد بيان بدء خلقهما (وَهِيَ الْمَخْلُوقَاتُ الَّتِي خُلِقَتْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، لَا ابْتِدَاءِ خَلْقِ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ قَبْلَ ذَلِكَ)؛ لأن الله -عَزَّ وَجَل- لما ذكر العرش والماء لم يذكر ذلك بأداةٍ تدل على الترتيب، مما يدل على أن المراد ذكر بعض المخلوقات السابقة، وليس المراد ترتيب هذه المخلوقات من حيث بدايتها وترتب بعضها عليها.

(وَذَكَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِمَا يَدُلُّ عَلَى خَلْقِهِمَا، وَذَكَرَ مَا قَبْلَهُمَا بِمَا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ وَوُجُودِهِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِابْتِدَاءِ خَلْقِهِ لَهُ).

**إذن هناك ثلاثة أمور:**

- الماء.
- العرش.
- وذُكِر هنا وكذلك الذكر الزبور.

ذكر هذه الأمور ذُكِرَت بأداة لا تدل على الترتيب مما يدل على أن المراد هو بيان خلقهما، وبيان خلقها وكونها، بيان وجودها، أما ما ورد في خلق السماوات والأرض، أو ما ورد في خلق هذا الكون في هذا العالم هذا ورد في كلمة (ثُمَّ) التي تدل على أن خلقها بعد تلك المخلوقات التي ذُكِرَت في سياق ذكر خلق السماوات والأرض.

(وَأَيْضًا: فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ الْحَدِيثُ قَدْ وَرَدَ بِهَذَا وَهَذَا) هب أنَّ جميع الروايات، وجميع الألفاظ وردت في الصحيحين، هب، «لَا شَيء مَعَهُ»، «وَلَا شَيء قَبْلَه»، «وَلَا شَيء غَيْرَهُ» هب أنها وردت كلها وثبتت كلها، ونحن أمام مسألة غريبة؛ يعني اللفظ الذي يستدلون به أصلًا غير موجود في الصحيحين وفي كتب السنة المعروفة. هب أنها موجودة، ومرادكم من هذا «وَلَا شَيء» هناك ألفاظ اخترتم منها «وَلَا شَيء مَعَهُ»:

- **الخطوة الأولى** الألفاظ كثيرة، ولكنكم اخترتم منها «وَلَا شَيء مَعَه» هذه الخطوة الأولى.
- **الخطوة الثانية**: قلتم: أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يريد ذكر بداية المخلوقات عمومًا. هكذا قلتم، وهب أن هذا احتمال من الاحتمالات، مع أنه هذا أصلًا بالنظر إلى السؤال والجواب، وصيغة

السؤال هذا ليس مطروحًا أصلًا، هب أنه احتمالٌ من الاحتمالات، من الذي قال لكم: أن هذا هو، مع أنه ليس حتى كاحتمال؟

يقول شيخ الإسلام: (**فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ الْحَدِيثُ قَدْ وَرَدَ بِهَذَا وَهَذَا، فَلَا يُجْزَمُ بِأَحَدِهِمَا إِلَّا بِدَلِيلٍ، فَإِذَا رَجَحَ أَحَدُهُمَا فَمَنْ جَزَمَ**) هب أن الراجح من هذه الألفاظ «**وَلَا شَيء مَعَه**» مثلًا (**فَمَنْ جَزَمَ بِأَنَّ الرَّسُولَ أَرَادَ الْمَعْنَى الْآخَرَ**) الذي يريده هو، وهو فهمه الخاص لرواية «**وَلَا شَيء مَعَهُ**» (**فَهُوَ مُخْطِئٌ قَطْعًا**)؛ لأنه تجاوز مراحل كثيرة:

⇦ **أولًا**: الألفاظ كثيرة.

⇦ ثم عليه أن يبين أن هذا اللفظ لا يريده هو الراجح.

⇦ ثم عليه أن يبين أن هذا المراد الذي يريده هو الراجح؛ لأن «**وَلَا شَيء مَعَه**» من معانيه الواضحة أن الخالق متقدم على المخلوقات، وهذا هو الواضح، إلا أنه يريد أن الخالق لم يكن يخلق.

(**فَهُوَ مُخْطِئٌ قَطْعًا، وَلَمْ يَأْتِ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْآخَرِ، فَلَا يَجُوزُ إِثْبَاتُهُ بِمَا يُظَنُّ أَنَّهُ مَعْنَى الْحَدِيثِ**).

➢ **قد يقال: كيف تتكلم بهذا واللفظ قد ورد باعترافك أنت؟**

يقول شيخ الإسلام: (**وَلَمْ يَرِدْ** «**كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ**» **مُجَرَّدًا، وَإِنَّمَا وَرَدَ عَلَى السِّيَاقِ الْمَذْكُورِ**) والسياق المذكور فيه ذكر مخلوقات أخرى، لو قال هكذا: «**كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ**» فقط، وليس فيه ذكر مخلوقات أخرى أيضًا لقلنا: أن ما تذكرونه قد يكون احتمالًا من الاحتمالات.

(**وَإِنَّمَا وَرَدَ عَلَى السِّيَاقِ الْمَذْكُورِ، فَلَا يُظَنُّ أَنَّ مَعْنَاهُ الْإِخْبَارُ بِتَعْطِيلِ الرَّبِّ تَعَالَى دَائِمًا عَنِ الْفِعْلِ حَتَّى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**) تنزلًا مع الخصم، نقول: هذا الذي اخترته هو الراجح. ولكن من قال لك: أن المعنى الباطل الذي تريده هو الراجح؟ من؟ أين في الكتاب والسنة ما يرجح هذا؟ أين؟

(**وَأَيْضًا**) وجه آخر (**قَوْلُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-**: «**كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ -أَوْ مَعَهُ، أَوْ غَيْرُهُ-، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»، **لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى مَوْجُودٌ وَحْدَهُ لَا مَخْلُوقَ مَعَهُ أَصْلًا؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ**: «**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» **يَرُدُّ ذَلِكَ**).

يقول شيخ الإسلام: أن ألفاظ الحديث تأبى ما تذهب إليه، أنت تريد أن تقول: أن هذا العالم المشاهد هو أول المخلوقات، وأن الله -عَزَّ وَجَل- لم يخلق قبله شيئًا، ولم يفعل قبله شيئًا، طيب النص نفسه يرد عليك في هذا النص أن هناك مخلوقات سابقة «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»، إذن ماذا تفعل؟

(**لِأَنَّ قَوْلَهُ: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» يَرُدُّ ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ وَهِيَ: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» إِمَّا حَالِيَّةٌ**) الله -عَزَّ وَجَل- خلق السماوات والأرض في حال كون العرش على الماء (**أَوْ مَعْطُوفَةٌ، وَعَلَى كِلَا التَّقْدِيرَيْنِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مَوْجُودٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَعُلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْمَشْهُودِ**) هذا هو المراد، بالنظر إلى السؤال، وبالنظر إلى صيغة السؤال، وبالنظر إلى الجواب، وبالنظر إلى السياق كله. هذا كله يدل على أن النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- لم يُسأل أصلًا عن أول المخلوقات أبدًا.

✪ **بقي من أدلتهم والذي ذكره أيضًا عددٌ من أئمة السنة الشيخ الألباني ما ورد عن القلم:**

«أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ» هكذا يقرؤون «أَوَّلُ» هذا مبتدأ «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ» هذا مبتدأ «الْقَلَمُ» هذا خبر، وفيه بيان أن الله -عَزَّ وَجَل- لم يخلق قبل القلم شيئًا، **وهذه المسألة أيضًا اختُلِفَ فيها:**

☜ **جماهير السلف من المتقدمين والمتأخرين**: على أن العرش قبل القلم؛ لأن ذكر القلم ورد في سياق حديث النبي -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- عن هذا العالم المشهود، وقد تبين أن العرش وجوده سابقٌ على هذا الكون، فيكون وجود العرش سابقًا أيضًا على...

☜ **بينما ذهب الشيخ الألباني**: إلى أن أول المخلوقات هو القلم، وشنَّع على شيخ الإسلام في مسألة التسلسل، وشيخ الإسلام كما ذكرت لكم ظُلِمَ في هذه المسألة من الموافقين والمخالفين.

وذكر أنه قد خاض فيما نهانا عنه، وهو علم الكلام، وموقف شيخ الإسلام من الخوض في علم الكلام معروف، وأن حديثه في هذا هو خوضٌ في علم الكلام.

وشيء من هذا ليس صحيحًا؛ نحن رأينا أن شيخ الإسلام لم يخرج عما ذكره السلف قديمًا الإمام أحمد والدارمي وغيرهم من أن الله -عَزَّ وَجَل- متصفٌ بصفاته أزلًا وأبدًا. هذه هي المسألة، متصفٌ بصفاته أزلًا وأبدًا، وعلى القول بـ(**امْتِنَاع حَوَادِث لَا أَوَّلَ لَهَا**) لا يكون متصفًا بصفاته أزلًا أبدًا، لم يكن قادرًا، لم يكن مريدًا، لم يكن متصفًا بصفاته أزلًا وأبدًا، وأن الله -عَزَّ وَجَل- مرت عليه فترة،

وهذه الفترة مدة مديدة لا نعرف مداها، لا نعلم مداها مرت عليه وهو لا يستطيع أن يخلق، ولا يستطيع أن يفعل.

فدفاع شيخ الإسلام هنا عن الربوبية ربوبية الله -عَزَّ وَجَل-، وعن صفاته، وعن كماله، وليس فيها خوض، ما اختاره من لفظ التسلسل أن تستبعد كلمة التسلسل، ليس من المهم أن تقول: أنك تختار أن التسلسل في الماضي جائز، لا، المهم أنك تعتقد أن الله -عَزَّ وَجَل- متصفًا بصفاته أزلًا وأبدًا، وأنه ليس هناك فترة كان معطلًا عن هذا.

ذكر شيخ الإسلام في حديثه عن حديث عمران بن حصين ذكر أن بعضهم زاد هذا اللفظ (وهو الآن على ما عليه كان) وذكر أنه حديثٌ موضوع، وهو فعلًا حديثٌ موضوع.

والمبتدع طبعًا الحديث ولو كان موضوعًا مرحب به عندهم إذا كان يخدمهم، أما إذا كان يخدش في قواعدهم، يتصادم مع قواعدهم، فهو من أخبار الآحاد لا يفيد اليقين، ولا يفيد دلالةً ولا ثبوتًا، و، و، و إلى آخره إطالة، وإلا ولو كان موضوعًا فهو مرحبٌ به، وهذا كثير جدًّا عند المتكلمين.

(المتن)

قال -رَحِمَهُ الله-:

قَوْلُهُ: (لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوب، وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوق) يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ الرَّبُّ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ مَرْبُوبٌ، وَمَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ خَالِقٌ قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ مَخْلُوقٌ. قَالَ بَعْضُ الْمَشَايِخِ الشَّارِحِينَ: وَإِنَّمَا قَالَ: (لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَمَعْنَى الْخَالِقِ) دُونَ الْخَالِقِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُخْرِجُ لِلشَّيْءِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ لَا غَيْرَ، وَالرَّبُّ يَقْتَضِي مَعَانِيَ كَثِيرَةً، وَهِيَ: الْمُلْكُ وَالْحِفْظُ وَالتَّدْبِيرُ وَالتَّرْبِيَةُ، وَهِيَ تَبْلِيغُ الشَّيْءِ كَمَالَهُ بِالتَّدْرِيجِ، فَلَا جَرَمَ أَتَى بِلَفْظٍ يَشْمَلُ هَذِهِ الْمَعَانِيَ، وَهُوَ الرُّبُوبِيَّةُ. انْتَهَى. وَفِيهِ نَظَرٌ، لِأَنَّ الْخَلْقَ يَكُونُ بِمَعْنَى التَّقْدِيرِ أَيْضًا.

قَوْلُهُ: (وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، كَذَلِكَ اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ)؛ يَعْنِي: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، فَكَذَلِكَ يُوصَفُ بِأَنَّهُ خَالِقٌ قَبْلَ خَلْقِهِمْ، إِلْزَامًا لِلْمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمْ، كَمَا حَكَيْنَا عَنْهُمْ فِيمَا تَقَدَّمَ. وَتَقَدَّمَ تَقْرِيرُ أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ.

(الشرح)

(**لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ**) الفقرة تتعلق بما سبق، وأن الله -عَزَّ وَجَل- متصفًا بصفاته أزلًا وأبدًا، ولكن ما يفيده كلام الإمام الطحاوي أن (**لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ**) هذا يبين ما استظهره ابن أبي العز من أن الإمام الطحاوي يذهب إلى منع التسلسل في الماضي، وقد ذكرنا المذاهب في هذا، مما ذكرناه مذهب الماتريدية، مذهب الماتريدية هو أقرب إلى مذهب أهل السنة، ولكن بما أنهم لا يوافقون أهل السنة في إثبات الصفات الاختيارية، فإثباتهم لصفات الفعل المتعدية على أنها أزلية هذا يجعلهم مثل الأشاعرة، ذكرنا الخلاف في هذا، الصفات الاختيارية اللازمة، الصفات الاختيارية المتعدية، وذكرنا أن لماتريدية يثبتون هذا، ويثبتون أيضًا أن الخلق غير مخلوق، ويوافقون أهل السنة في هذا وهذا، ولكن بما أنهم لا يقولون بإثبات الصفات الاختيارية، فإثباتهم للصفات الاختيارية المتعدية مع جعلها أزلية لا يكون له معنى، فهم من ناحية يوافقون أهل السنة، ولكنه في الصميم يخالفونهم، فإثباتهم لا يكون له معنى.

طيب، (**لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ**) هكذا الجزم، (**وَمَعْنَى الْخَالِقِ وَلَا مَخْلُوقَ**) من معاني كلامه أن أسماء الله -عَزَّ وَجَل- وصفاته أزلية، وهذا صحيح، ومما قد يؤخذ منه أن هناك فترةً ليس فيها مخلوق، وليس فيها مربوب كما هو مذهب المتكلمين، وهذا ليس بصحيح.

ذكر هنا ابن أبي العز ما ذكره بعض المشايخ من المغايرة بين الربوبية والخالق، هو لما قال: (**لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ وَلَا مَرْبُوبَ، وَمَعْنَى الْخَالِقِ**) كان بإمكانه أن يقول: ومعنى الخالقية ولا مخلوق.

➢ **لماذا قال في الأول: (الربوبية)، وفي الثاني لم يقل: الخالقية؟**

يقولون: لأن الربوبية لها معاني كثيرة، وأنت لما تقول: (**لَهُ مَعْنَى الرُّبُوبِيَّةِ**) فهذا اللفظ يشمل جميع المعاني، أما الخالق فله معنًى واحد وهو إيجاد من العدم، وليس هناك معاني كثيرة حتى يقول: الخالقي؛ ولذلك اقتصر على الاسم، وقال: (**وَمَعْنَى الْخَالِقِ**) بما أنه معنى واحد لم يعبر عنه بالمصدرية، أما هذاك عبر عنه بالمصدرية؛ لأنه يدل على معاني كثيرة.

ثم تعقب هذا، (**وَفِيهِ نَظَرٌ، لِأَنَّ الْخَلْقَ يَكُونُ بِمَعْنَى التَّقْدِيرِ أَيْضًا**) إذن الخلق بمعنى الإخراج من العدم، والخلق بمعنى التقدير، إذن له معاني كثيرة، مما يدل على أن هذه المغايرة ليس لأجل هذا اللفظ، لأجل هذا المعنى الذي ذكره بعض المشايخ.

هو لما يقول: (**لِأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُخْرِجُ لِلشَّيْءِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ لَا غَيْرَ**) إذن لا يحتمل إلا معنًى واحدًا، إذن لو قال: الخالقية لم يكن المعنى يختلف، أما الربوبية فالمعنى يختلف له معنى الرب ولا مربوب، والربوبية معانيها كثيرة؛ ولذلك عبر بالربوبية لتعدد المعاني، أما الخالق معنى واحد: الإخراج من العدم، فابن أبي العز يقول: (**فِيهِ نَظَر**) لأن الخلق أيضًا له معاني.

➢ **طيب، ماذا غاير؟**

هكذا عبَّر.

(**وَكَمَا أَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَا أَحْيَا اسْتَحَقَّ هَذَا الِاسْمَ قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ**).

➢ **هل استحق الله –عَزَّ وَجَل– اسمه المحيي بعدما أحيا فعلًا؟**

لا، استحق هذا الاسم قبل الإحياء. يقول: (**هَكَذَا اسْتَحَقَّ اسْمَ الْخَالِقِ قَبْلَ إِنْشَائِهِمْ**).

➢ **هذا كله ردٌّ على من؟**

الرد منصبٌّ على مذهب المعتزلة؛ لأن المعتزلة يقولون: أن أسماء الله –عَزَّ وَجَل– مخلوقة، وهي أصلًا من المخلوقين بعدما خلقهم سموه بهذه الأسماء، إذن هذه الأسماء بعد آثار صفاته، وليست قبلها، والرد عليهم: أن الله –عَزَّ وَجَل– متصفٌ بصفاته أزلًا وأبدًا، وأن هذه الأسماء منه، وكون الآثار تكون بعده مترتبةً، ومتعاقبةً لا يخدش في كونه متسميًا بهذه الأسماء، ومتصفًا بهذه الصفات.

(**يَعْنِي: أَنَّهُ –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ مُحْيِي الْمَوْتَى قَبْلَ إِحْيَائِهِمْ، فَكَذَلِكَ يُوصَفُ بِأَنَّهُ خَالِقٌ قَبْلَ خَلْقِهِمْ، إِلْزَامًا لِلْمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ قَالَ بِقَوْلِهِمْ، كَمَا حَكَيْنَا عَنْهُمْ فِيمَا تَقَدَّمَ. وَتَقَدَّمَ تَقْرِيرُ أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**).

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**طالب:** .....

**الشيخ:** إي، أنا نسيت التقدير صحيح.

«**أَوَّل مَا خَلَقَ الله الْقَلَم**» هذه جملة «**فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ**» هذه جملة أخرى، والصحيح أنها جملة واحدة «**أَوَّل مَا خَلَقَ الله الْقَلَم، قَالَ لَهُ: اكْتُبْ**» جملة واحدة وليست جملتان.

**الطالب:** .....

**الشيخ:** الخلاف بين القلم والعرش فقط، هل العرش أول المخلوقات أو القلم قبله؟

**طالب:** (٣٧:٥٩) أن القلم أول المخلوقات المشاهدة، والعرش

**الشيخ:** لا، بإطلاق، هذا كلام الشيخ الألباني، القلم أول المخلوقات كلها؛ فلذلك رد على شيخ الإسلام.

**طالب:** .....

**الشيخ:** ما أذكر، أين ذكر؟ في الفتح؟

**طالب:** .....

**الشيخ:** هو وصل في الشرح إلى أين؟ أظنه كتاب الحج.

**طالب:** .....

**الشيخ:** إي، طيب.

* * * * * * * * * * * * * *